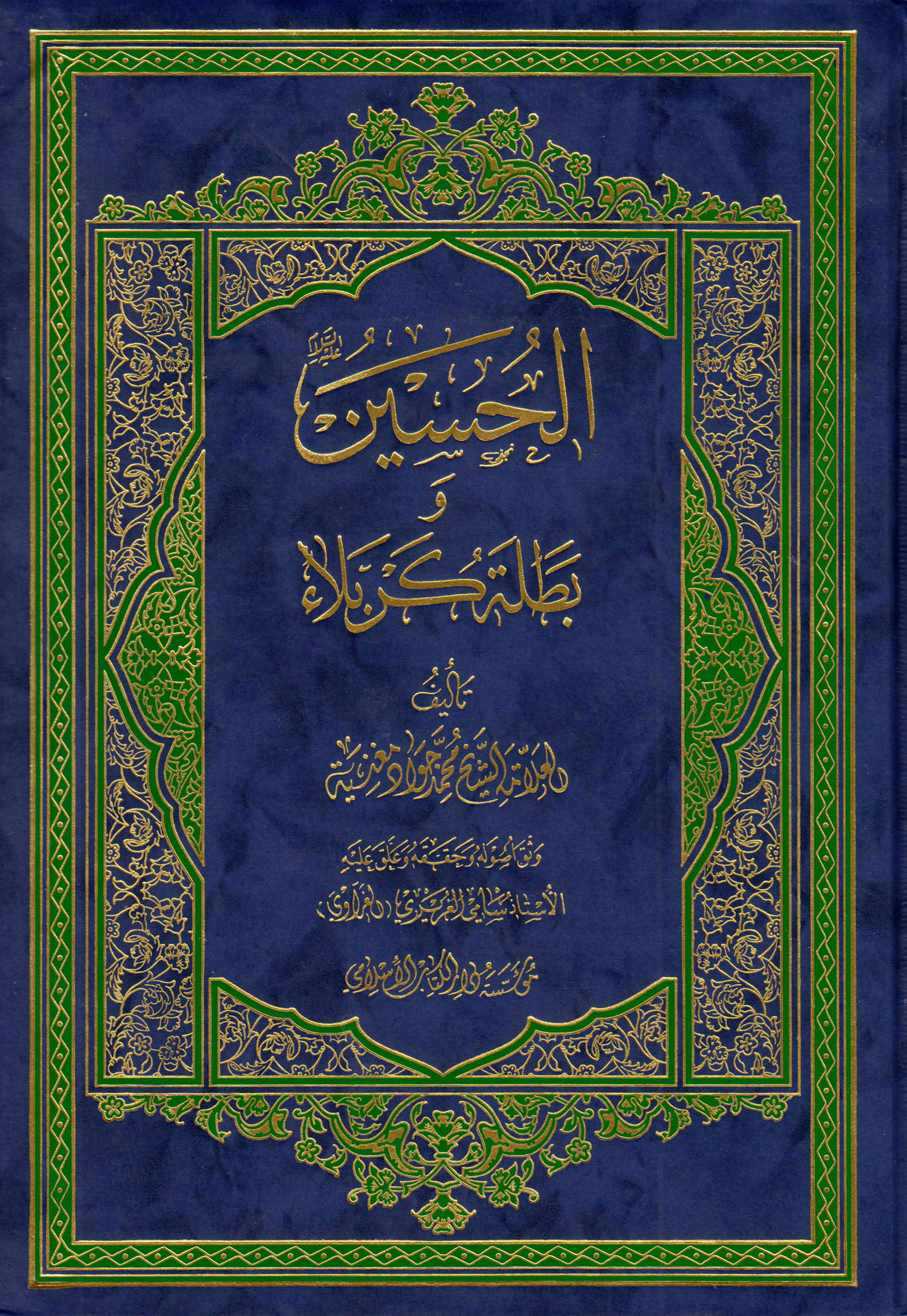

الحسين عليه السلام
و
بطلة كربلاء
تأليف
العلامة الشيخ محمد جواد مغنية
وثق أصوله وحققه وعلق عليه
الأستاذ سامي الغريري (الغراوي)
مؤسسة دار الكتاب الإسلامي


شبكة الفكر
alfeker.net


الحسين عليه السلام
و
بطلة كربلاء

الحسين عليه السلام

و

بطلة كربلاء

المجالس الحسينية
مع بطلة كربلاء
مقالات أهل البيت عليهم السلام

تأليف

العلامة الشيخ محمد جواد مغنية

وثق أصوله وحققه وعلق عليه
الأستاذ سامي الغريري (الغراوي)

مؤسسة
دار الكتاب الإسلامي

الكتاب .... الحسين عليه السلام و بطلة كربلا

المؤلف .... العلامه محمدجواد مغنية رحمه الله

الناشر........................ دارالكتاب الاسلامي

الطبعة .... الاولى ١٤٢٦ هـ. ق / ٢٠٠٥ م

المطبعة........................ مطبعة ستار

عدد النسخ .... (٢٠٠٠) نسخه

الترقيم الدولي: ٣ - ١٦٩ - ٤٦٥ - ٩٦٤

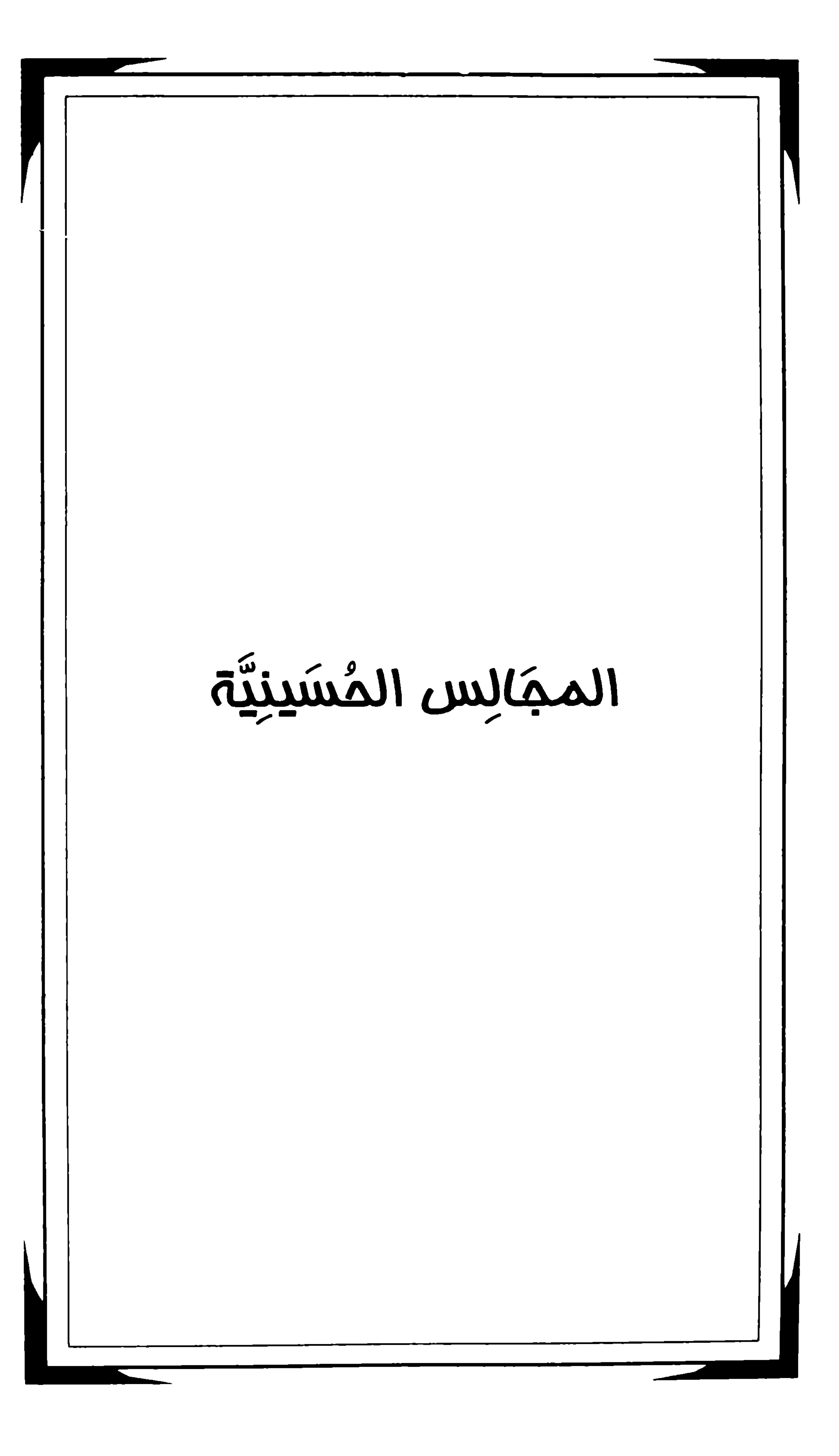
ISBN: 964 - 465 - 169 - 3

فَهْرَس الْمُوضُوعَات

المجَالِس الحُسَينِيَّة

مَع بَطلَة كَربَلاء

مَقَالاَت فِي أَهْل البَيْت



المَجَالِس الحُسَينِيَّة

المُقَدِّمَة

اَبْتَدِيءُ بِسْمِ اللهِ وَبِحَمدِهِ، وَأُصلّي عَلىٰ النَّبيّ وَآله، وَالسَّلاَم عَلىٰ سِبْطِهِ الشَّهيد أَبي عَبدالله الحُسَين إِمَام الهُدَىٰ وَالعُروَة الوثْقىٰ.

وَبَعد، فَقْد اَعْتَاد البَاحثُون أَنْ يَنْظرُوا إِلَىٰ يَوْم الحُسَين عليه السلام عَلىٰ أَنَّـه اَمْـتدَاد للصّرَاع بَيْن هَاشِم وَأُمَيَّة، وأَنَّهُ نَتِيجَة لحَوَادث مُتتَابعَة، مِنْهَا مُحَاربَة أَبي سُفْيَان جَدّ يَزِيد للرَّسُول صلى الله عليه وآله جَدّ الحُسَين، وَمِنْهَا مُحَاربَة مُعَاويَة أَبي يَزِيد للإِمَام عَليّ عليه السلام أَبي الحُسَين، وَمِنْهَا وقُوف الحُسَين حَائِلاً بَيْنَ يَزِيد وزَيْنَب زَوّجَة عَبدالله بن سَلاَّم، إِلَىٰ غير ذَلِكَ[1].

وَسوَاء أَكَان يَوْم الحُسَين مِن ثَمرَات التَّخاصم بَيْنَ الآبَاء والأَجْدَاد، أَم بَيْنَ الأَوْلاَد وَالأَحْفَاد فَإِنَّ الإِمَام الصَّادِق عليه السلام قَد أَوضَح سَبَب ذَا العِدَاء بقَوْلِهِ: «نَحْنُ وَآل أَبي سُفْيَان تَعَادينَا فِي الله، قُلنَا: صَدَق الله. وقَالُوا كَذَب الله»[2].

وَهَذِهِ الصَّفحَات تُقَدّم الأَرقَام عَلىٰ هَذِه الحَقِيقَة، وَإِنَّ العَدَاء بَيْنَهُما إِنَّما هُو

---

(١) أُنظر، الإِتحَاف بِحُبِّ الأَشْرَاف الشَّيخ عَبدُ الله بنَ مُحَمَّد بن عَامِر الشَّبرَاوي: ٤٤٩، بِتَحقِّيقنَا، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة: ١ / ٢١٧، النَّصَائِح الكَافيَة لِمَن يَتَولىٰ مُعَاويَة: ١٢٩، وَمَن أَرَاد المَزِيد فَعَليهِ مُطَالعَة (دِرَاسَة عَن أُرَيْنب بِنْت إِسحَاق) لعَبدالله بن حَسّون العَليّ، مَطْبَعَة الزَّهرَاء سَنَة (١٩٥٠ هـ ٢).

(٢) أُنظر، مَجْمَع الزَّوَائِد: ٧ / ٢٣٩، مُسْنَد البَزّار: ٢ / ١٩١ ح ٥٧١، وَقْعَة صِفِّين لنَصر بن مُزَاحم: ٣١٨، مَعَاني الأَخبَار: ٢٤٦، النَّصَائِح الكَافيَة لِمَن يَتَولىٰ مُعَاويَة: ٤٦، المِعيَار وَالمُوَازنَة: ١٤٥.

عِدَاء بَيْنَ الكُفْر الَّذي يَتمثَّل فِي الأُمويِّين، وبَيْنَ الإِيمَان الَّذي يَتجسّم فِي أَهْل البَيْت عليهم السلام، وَذَكَرتُ مَع كُلّ رَقم جُمْلَة تُنَاسبهُ مِمَّا حَدَث يَوْم الطَّفّ، عَسَىٰ أَنْ يَتلُو المُوَالُون لأَهْل البَيْت بَعْض صَفْحَات الكِتَاب فِي المَجَالِس الحُسَينيَّة، لأُشَارك فِي الثَّواب، وَالحَسنَات مَن أَحيَا أَمْرَهُم، وَعَظَّم شعَائِرهُم. قَالَ الإِمَام زَين العَابدِين عليه السلام:

«أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحمَّدٍ وَآلِهِ، وَٱشْغَلْ قُلُوبَنَا بِذِكْرِكَ عَنْ كُلِّ ذِكْرٍ، وَأَلْسِنَتَنَا بِشُكْرِكَ عَنْ كُلِّ شُكْرٍ، وَجَوَارِحَنَا بِطَاعَتِكَ عَنْ كُلِّ طَاعَةٍ فَإِنْ قَدَّرْتَ لَنَا فَرَاغاً مِنْ شُغْلٍ فَٱجْعَلْهُ فَرَاغَ سَلاَمَةٍ لاٰ تُدْرِكُنَا فِيهِ تَبِعَةٌ، وَلاَ تَلْحَقُنَا فِيهِ سَأْمَةٌ، حَتَّى يَنْصَرِفَ عَنَّا كُتَّابُ السَّيِّئَاتِ بِصَحِيفَةٍ خَالِيَةٍ مِنْ ذِكْرِ سَيِّئَاتِنَا، وَيَتَوَلَّىٰ كُتَّابُ الْحَسَنَاتِ عَنَّا مَسْرُورِينَ بِمَا كَتَبُوا مِنْ حَسَنَاتِنَا....»[1].

لاَ شَيء أَسوَأ أَثرَاً، وَأَكْثَر ضَرَراً مِن الفَرَاغ، هٰذَا فَقِير عَاطِل عَن العَمَل لاَ يَجْد وَسِيلَة تَدرُ عَلَيهِ ثَمَن الرَّغِيف، فَيَجرُم، وَيَحتَال بكُلّ طَرِيقَه للحصُول عَلىٰ العَيْش، وَذَاك غَني كَسُول يَقْتُل وَقْتَه وَنَفْسه بِإِدمَان الشَّرَاب، وَالإِفرَاط فِي أَنوَاع المَلذّات، وَثَالِث يَقْبَض رَاتباً، أَو يَملك عِقَارَاً، أَو يَجد كَفِيلاً يُؤَمّن لهُ الحَيَاة، وَيَتّسع وَقْتَه لأَكْثَر مِن الأَكل وَالنَّوم، وَلاَ شَيء يُؤهْله لغَير الأَكل وَالنَّوم، فَيملأ فرَاغه بِالقَال، وَالإِشتغَال بِهَذَا طَوِيل، وَذَاك قَصِير...

وَإِذَا عَرَفنَا مَا فِي الفرَاغ مِن مَفَاسد عَرَفنَا السّر فِي قَول الإِمَام زَين العَابدِين عليه السلام:

«أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَٱشْغَلْ قُلُوبَنَا بِذِكْرِكَ عَنْ كُلِّ ذِكْرٍ، وَأَلْسِنَتَنَا

(١) أُنظر، الصَّحِيفَة السَّجاديَّة: ١٦٥، الدُّعَاء الحَادي عَشر، (دُعَاؤُهُ بِخَوَاتِمِ الْخَيْرِ). بتحقِّيقنَا.

بِشُكْرِكَ عَنْ كُلِّ شُكْرٍ، وَجَوَارِحَنَا بِطَاعَتِكَ عَنْ كُلِّ طَاعَةٍ فَإِنْ قَدَّرْتَ لَنَا فَرَاغاً مِنْ شُغْلٍ فَاجْعَلْهُ فَرَاغَ سَلاَمَةٍ لاَ تُدْرِكُنَا فِيهِ تَبِعَةٌ، وَلاَ تَلْحَقُنَا فِيهِ سَأْمَةٌ، حَتَّىٰ يَنْصَرِفَ عَنَّا كُتَّابُ السَّيِّئَاتِ بِصَحِيفَةٍ خَالِيَةٍ مِنْ ذِكْرِ سَيِّئَاتِنَا، وَيَتَوَلَّىٰ كُتَّابُ الْحَسَنَاتِ عَنَّا مَسْرُورِينَ بِمَا كَتَبُوا مِنْ حَسَنَاتِنَا....».

خَاف الْإِمَام مِن الفرَاغ؛ لأَنَّهُ يُؤدي بصَاحِبِهِ إِلَىٰ المُحرمَات، وَالمُوبقَات، فَسَأل الله أَنْ قَدّرَ لهُ شَيئاً مِنْهُ أَنْ يَجْعَلهُ فَرَاغ سَلاَمَة لاَ فَرَاغ تَهلُكة. فَرَاغ المُؤْمِن الَّذي يَشغَل قَلْبَه وَلِسَانه بذِكْر الله عَن عيُوب النَّاس، وَعَن كُلّ ذِكْر، وَجوَارحِهِ بطَاعَة الرَّحمن عَن طَاعَة الشَّيطَان.

إِنَّ المُجْرِم لاَ يَشعر باللَّذة فِي ذِكْر الله، وَمَرضَاته، بَل لاَ شَيء أَثْقَل عَلَيهِ مِن ذَلِكَ، تَمَاماً كَالمَرِيض الَّذي يَجد العَسَل مُرّ المَذَاق، وَمَن ٱستَحوَذ عَلَيهِ الشَّيطَان لاَ يَطْمئن قَلْبَه إِلىٰ ذِكْر الله وَشُكره، وَلاَ تَسكُن نَفْسه إِلاَّ إِلَىٰ الحَرَام، وَالمُنْكرَات، وَلاَ يَرتَاح ضَمِيرَه إِلاَّ بعيُوب النَّاس، وَأَكل لحُومهم..

إِنَّ الحصُول عَلىٰ مَرضَاة الله سَهْلٌ يَسِير، وَالسَّبِيل إِلَىٰ طَاعَتِهِ يَجْدهَا الغَنيّ وَالفَقِير، وَالقَوّي وَالضَّعِيف؛ لأَنَّها لَيْسَت سِلعَة تَحتَاج إِلَىٰ مَالٍ، وَلاَ عَملاً شَاقّاً يَفْتَقر إِلَىٰ قُوّة، إِنّها طَهَارة النَّفس، وَتَنْزِيه اللِّسَان عَن الغِيبَة وَالكَذب، أَنَّها الشُّغل بذِكْر الله عَن كُلّ ذِكْر، وَبشُكره عَن كُل شُكر، فَمَن حَمد الله مُخلصاً فَهُو مُطِيع، وَمَن قَالَ حَقّاً فَلَهُ الأَجر وَالثَّواب، وَمَن ٱثنىٰ عَلىٰ الصَّالِحين، وَأَحبَّ عَمَلهُم كَان مَعَهُم، وَأي شَيء أَيسَر مِن الكَلاَم، وَتَحرِيك اللِّسَان؟!...

أَجَل، لاَ شَيء أَسهَل عَلَيك مِن أَنْ تُرضي الرَّقِيب الَّذي عَنَاه الله بِقَولِهِ: ﴿مَا

يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[١] . تُرضِيه بِتَرك الإِسَاءَة إِلَىٰ خَلقِهِ ، وَبكَلمَة طَيِّبَة يُسجلهَا لَكَ كِتَاب الحَسنَات ، وَيَدّخرونهَا لِيَوْم يُنادي فِيهِ النَّاس : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[٢] .

إِنَّ تَعَالِيم أَهْل البَيْت لاَ تَنْحَصر بعِلمٍ دُون عِلم ، وَفَضَائلهُم لاَ تَخْتَص بِالكَمَال فِي جِهْةٍ دُون جِهْة ، وَمبَائهُم لَيْسَت لزَمَان دُون زَمَان ، أَنَّهُم كَالقُرآن النَّاطق الَّذي فِيهِ تِبيَان كُلّ شَيء ، فَالمَجَال ، إِذَن ، يَتّسع للعَارف الَّذي قَدَّر لَهُ شَيء مِن فَرَاغ أَنْ يَملأَهُ بِنَشر فَضَائِلهم ، وَبَثّ تَعَالِيمهم ، وَإِحيَاء مَا تَركُوه للإِنْسَانيّة مِن تُرَاث . فَهذِهِ المُجلّدَات ، فِي فِقْهِهِم ، وَمنَاقِبهم ، وَأَخلاَقهم ، وَأَحَادِيثِهم ، وَمُنَاجَاتهم ، لاَ يَبلغهَا الإِحْصَاء ، وَهي مَيسُورة لكُلِّ طَالِب ، فَبَدلاً مِن أَنْ يَقْتل الوَقت بكَلاَم لاَ طَائِلَ تَحْتَه يَسْتَطِيع أَنْ يُحدّث ، أَو يَكْتُب فِي جهَادهِم ، وَنُصرتهِم للحَقِّ وَأَهْله ، وَفي فَلسَفتهِم فِي الحَيَاة ، وَفِقههِم ، وَأَخلاَقهِم ، وَأَنْ يُفكّر ، وَيُطِيل التَّفكِير في أَدعِيَتهِم ، وَكَلامِهِم الَّذي كَانُوا يُنَاجُون بِهِ خَالق الكَائِنَات . يَسْتَطِيع أَنْ يَقْتَبس مَا شَاء ، وَمَتىٰ شَاء مِن أَنوَارهِم الَّتي لاَ تَبلغ إِلَىٰ نهَايَة ، وَلاَ تُحَدّ بلَفظ .

وَأَي شَيء أَفْضَل مِن الحَدِيث عَن العِتْرَة الطَّاهرَه وَمَنَاقبهِم ؟ ! وَأَي عِلْمٍ أَجْدىٰ ، وَأَنْفَع مِن عُلومهِم وَموَاعظِهِم ؟ ! أَنَّها تَذْكُر الله ، وَتَبعَث عَلىٰ طَاعَته ، وَالبُعد عَن مَعْصته ، أَنَّها كَالغَيث تُحيي النّفُوس بَعْدَ مَوتهَا ، وَتَجعلهَا مَع الخَالدِين وَالأَنْبيَاء وَالصَّالحِين ، وَبمقدَار مَا يَبلغ الإِنْسَان مِن عُلُوم أَهْل البَيْت يَبلغ حَدّه مِن العَظمَة وَالخُلُود .

---

(١) سُورَة قٓ : ١٨ .

(٢) ٱلْقَصَص : ٦٥ .

إنَّ عَظمَة الكُلَيني، وَالطُّوسي، وَالمُفِيد، وَالحِلّي، وَالمَجْلسي، وَالشَّهِيد، وَالأَنْصَاري وَغَيرهم وَغيرهم، لاَ مَصْدَر لهَا إلاَّ عُلُوم أَهْل البَيْت، وإلاَّ لأَنَّهُم عُرفُوا شَيئاً مِن آثَارهِم، لقَد وجِدَ فِي كُلِّ عَصْر أَقطَاب مِن الشِّعيَة تَنْحَني الرُّؤوس إجلاَلاً لقَدرهم مَقَامهم، وَيَرتَبط تَأرِيخ العُلوم بتَأرِيخهم، وَلاسرّ إلاَّ مَدْرسَة أَهْل البَيْت وَهدَايتهُم، وَحِكمَتهم وَلَولاَها لَمْ يَكُونُوا شَيئاً مَذْكُوراً.

وَبالتَالي، فَإنَّ تَأرِيخ الإمَامِيَّة فِي عَقِيدهم، وَفِقههِم وَأَدبهم هُو تَأرِيخ الوَلاَء لأَهْل البَيْت، وَهَذِه كُتبهُم وَمؤلفاتهُم تَزْخَر بِأَقوَال الرَّسُول وَمَنَاقب الأَئِمَّة الأَطْهَار مِن أَبْنَائهِ، وَإنَّ فِي هَذِه الصَّفحَات ذِكْراً لآل الرَّسُول الأَعْظَم ﷺ، وَقَد شَغَلتُ أَمداً مِن عُمري، وَلاَ أُعَرّفهَا بِأَكْثَر مِن ذَلِكَ.

وَ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ـ لِولاَيَتهم ـ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1].

(١) ٱلأَعْرَاف: ٤٣.

الشِّيعَة ويَوْم عَاشُورَاء

لمَاذَا يَهْتَّم الشِّيعَة هَذَا الْإِهْتِمَام البَالغ بذِكْرَىٰ الحُسَين، وَيُعلنُون الحِدَاد عَلَيهِ، وَيُقِيمُون لَهُ عَشرَة أَيَّام مُتوَاليَة مِن كُلّ عَام ؟ هَل الحُسَين أَعْظَم، وَأَكْرَم عَلىٰ الله مِن جَدّهِ مُحَمَّد، وَأَبيهِ عَليّ ؟ ! وَإذَا كَان الحُسَين إمَاماً فَأَنَّ جَدّه خَاتَم الْأَنْبِيَاء، وَأَبَاه سَيِّد الْأَوْصِيَاء ! لمَاذَا لاَ يُحيي الشِّيعَة ذِكْرىٰ النَّبيّ، وَالوَصيّ، كمَا يَفْعلُون بذِكْرىٰ الحُسَين ؟ !.

الجَوَاب: أَنَّ الشِّيعَة لاَ يُفضلُون أَحداً عَلىٰ الرَّسُول الْأَعْظَم. أَنَّهُ أَشْرَف الخَلق دُون ٱستثنَاء، وَيُفضلُون عَلِيّاً عَلىٰ النَّاس بإِسْتثنَاء الرَّسُول، فَقْد ثَبَت عِندَهُم أَنَّ عَلِيّاً قَالَ مُفَاخرَاً: « أَنَا خَاصف النَّعل »[1]. أَي مُصْلِح حِذَاء الرَّسُول. وَقَالَ: « لَقَد

(١) أُنظر، الْمُعْجَم الكَبِير: ٦ / ٢٦٩ ح ٦١٨٤، تَأرِيخ مَدِينة دِمشق: ٤٢ / ٤٣، شَرح النَهْج لِابْن أَبي ٱلْحَدِيد: ١٣ / ٢٢٨، بِشَارة المُطَصفىٰ: ١٤٠، لِسَان المِيزَان: ٣ / ٢٨٣، يَنابِيع المَودَّة: ٨٢ و ١٢٩، الْإِصَابَة: ٧ / ٢٩٤ و ٣٥٤ ح ١٤٠٧٨، كَنز العُمَّال: ١١ / ٦١٦ ح ٣٢٩٩٠، مِيزَان الْإِعتدَال: ٢ / ٢١٢، أَرْجَح المطَالب لعُبيد الله الأَمرتسري: ٢٣، مَجمَع الزّوائد: ٩ / ١٠٢، المُصَنَّف: ٧ / ٥٠٣ و: ٨ / ٣٥٠، الْآحَاد وَالمثَاني: ١ / ١٤٩، شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغَة لِابْن أَبي ٱلْحَدِيد: ٤ / ١١٧، نُظم دُرَّر السّمطَين: ٨٢، إكمَال الكَمَال: ٧ / ١٢٧، كَنز العُمَّال: ١٣ / ١٤٤، أُسد الغَابَة: ٤ / ١٨، تَهذِيب الكَمَال: ٢٠ / ٤٨٠، جوَاهر المطَالب فِي مَناقب عَليّ بن أَبي طَالب لِابْن الدِّمَشْقِي: ١ / ٣٨، المُسترشد فِي الإِمَامة لُمحمّد ٱبن جَرِير الطَّبَرِيّ: ٣٥٤، مَناقب أَمِير الْمُؤْمِنِين لُمحمّد بن سُليمان الكُوفِي: ١ / ٢٦٣ و ٢٩٤، مَنَاقب ↔

رَأَينَا يَوْم بَدْر وَنَحنُ نَلوذ بِرَسُول الله صلى الله عليه وآله ، وَهُو أَقْرَبنَا إِلىٰ العَدوّ ، وَكَان مِن أَشَد النَّاس يَوْمَئِذٍ بَأساً »[1]. وَقَالَ : « دَخَلتُ عَلىٰ رَسُول الله وَكَانَت لَهُ هَيبَة وَجَلال ، فَلَمَّا قَعدتُ بَيْن يَدَيه أُفْحِمت ، فوَالله مَا اَستَطعت أَنْ أَتَكلَّم »[2].

أَجل ، أَنَّ الشِّيعَة الإِمَامِيَّة يَعْتَقدُون أَنَّ مُحَمَّداً لاَ يُوَازِيه عِندَ الله مَلَك مُقرّب ، وَلاَ نَبيّ مُرسَل ، وَأَنَّ عَليّاً خَلِيفَته مِن بَعْدِهِ ، وَخَير أَهْله ، وَصَحْبه ، وإِقَامَة عَزَاء الحُسَين مَظْهَر لِهَذِهِ العَقِيدَة ، وَعَمل مُجسّم لهَا ، وَتَتضح هَذِه الفِكرَة إِذَا عَرَفنَا هَاتَين الحَقِيقَتَين .

آل أَبي طَالب : ٣ / ٢٥ ، ذَخَائِر الْعُقْبىٰ : ٥٨ ، مناَقب أَهْل اَلْبَيْت : ٤٠ ، الإِسْتِيعَاب بـهامش الإِصَـابَة : ٣ / ٤٦ ، و : ٤ / ١٧٤٤ ح ٣١٥٧ ، مُسْنَد البَزار : ٩ / ٣٤٢ ح ٣٨٩٨ ، أَمثَال الحَدِيث : ١ / ٦٨ ، الْبَيَان وَالتَّعرِيف : ٢ / ١١٠ و ١١١ ، فَيض القَدِير : ٤ / ٣٥٨ ، سِير أَعْلاَم النُّبلاء : ٢٣ / ٧٩ ، مِيزَان الاعْتدَال فِي نَقد الرِّجَال : ٣ / ٤ ح ٢٥٩ و ٩٣ ح ٤٣٠٠ ، لِسَان المِيزَان : ٢ / ٤١٣ ح ١٧٠٤ و : ٣ / ٢٨٢ ح ١١٩٠ ، العِلل المُتنَاهِية : ١ / ٢٤٠ ح ٣٨٣ ، كَشف الخفَاء : ١ / ٢٨٨ ح ٥٩٦ .

فَهُو أَمِير الْمُؤْمِنِين ، وَيَعْسُوب الدّين وَالمُسْلِمِين ، وَمُبِير الشّرك وَالمُشرِكِين ، وَقَاتل النَاكِثِين وَالقَاسِطِين وَالمَارِقِين ، وَمولىٰ الْمُؤْمِنِين ، وَشَبه هَارون ، وَالمُرتضىٰ ، وَنَفس الرّسول ، وأَخوه ، وَزَوج البَتُول ، وَسَيف الله المَسلُول ، وَأبو السِّبطين ، وَأَمِير البَررة ، وَقَاتل الفَجرة ، وَقَسِيم اَلْجَنَّة وَالنَّار ، وَصَاحب اللِّواء ، وَسيِّد العَرب ، وَخَاصف النَّعل ، وَكَاشف الكُرب ، وَالصّدّيق الأَكْبَر ، وَأبو الرّيحَانتين ، وَذو القَرنين ، وَالهَادي ، وَالفَاروق ، وَالدّاعي ، وَالشّاهد ، وَبَاب المَدِينة ، وَالوَلي ، وَالوَصي ، وَكشّاف الكُرب ، وَقاضي دَين الرَّسُول ، وَمُنجز وَعدَه . . . إلخ .

(١) أنظر ، مُسْنَد أَحْمَد : ١ / ٨٦ ، مَجمَع الزَّوائِد : ٩ / ١٢ ، المُصنَّف لِلكُوفي : ٧ / ٥٧٨ ، نُظم دُرَر السّمطَين : ٦٢ ، كَنز العُمَّال : ١٠ / ٣٩٧ ح ٢٩٩٤٣ ، تَأرِيخ دِمشق : ٤ / ١٤ ، البِدَايَة وَالنّهاية : ٣ / ٣٤٠ ، الشّفا بِتَعرِيف حقُوق المُصْطَفىٰ : ١ / ١١٦ ، السِّيرَة النَّبوِيَّة لاِبن كَثِير : ٢ / ٤٢٥ ، سُبل الْهُدَىٰ وَ الرَّشاد : ٤ / ٤٦ .

(٢) أُنظر ، ذَخَائر العُقبىٰ : ٢٧ ، كَنز العُمَّال : ١٣ / ٦٨٣ ح ٣٧٧٥١ ، البدَاية وَالنّهاية : ٣ / ٤١٨ ، المَناقب للخوَرزمي : ٣٣٥ ، الذُّرِّيَّة الطَّاهِرَة : ١ / ٦٣ ح ٩٢ ، مُسْتَدرك سَفِينَة البحَار : ١٠ / ٥٧٩ .

١ـ تَزوّج الرَّسُول الأَعْظَم ﷺ[١]، وَهُو ٱبْن (٢٥) سَنَة[٢]، وَقُبِضَ وَلَهُ (٦٣) سَنَة[٣]، وَبقي بَعد خَدِيجَة دُون نِسَاء سَنَة وَاحِدَة[٤]، ثُمَّ تَزوّج الكَثِيرَات حَتَّىٰ

---

(١) أوَّل أزْوَاجه ﷺ: خَدِيجَة بِنْت خُوَيْلد بن أَسدٍ بن عَبدالعزّىٰ بن قُصيّ، تَزوَّجها ﷺ قَبل الوَحي وَعُمره حِينَئذٍ خَمسٍ وَعشرُون سَنَة، وَقِيل: إحدىٰ وَعشرُون سَنَة. وكَانَ عُمرُهَا حِينَئذٍ أرْبَعِين سَنَة، وَأَقَامت مَعَه أَرْبَعاً وَعشرِين سَنَة، وَلَم يَنْكح عَلَيْهَا إمْرَأَةً حَتَّىٰ مَاتت. وَأُمّها: فَاطِمَة بِنْت زَائِدَة بن الأَصمّ، من بَنِي عَامر بن لُؤي.
وكَانَتْ خَدِيجَة رَضي الله عَنْهَا أَوْسط نِسَآءَ قُرَيْش نَسباً، و أَعظمهُنّ شَرفاً، تُوفيت بَعد أَبي طَالبٍ رضي الله عنه بِثلاَثة أَيَّام، وَسمّىٰ رَسُول الله ﷺ ذَلِكَ العَام بعَام الْحُزْن. (أُنظر، جوَامع السِّيرَة: ٣١، أُسد الغَابَة: ٧٨/٧، المعَارف لِابْن قُتَيْبَة: ١٣٢ تَحقِّيق ثروَة عكَاشَة طَبْعَة قُم، السِّيرَة النَّبوِيَّة لِابْن هِشَام: ١/ ١٨٩).

(٢) أُنظر، السِّيرَة النَّبَوِيَّة لِابْن هِشَام: ١/ ١٨٧.

(٣) أُنظر، شَرْح صَحِيح مُسْلم: ٩/ ١٤٠، و: ١٧/ ١٣٣، الدِّيبَاج عَلىٰ مُسْلم: ٣/ ٤٠٨ و: ٦/ ١٤٨، تَلخِيص الحَبِير لِابْن حَجر: ٤/ ٥٩٥، مُسْنَد أَحمَد: ١/ ٣٦٣ و: ٥/ ٨٩، السُّنن الكُبرىٰ: ٣/ ١٩٦، دَلاَئل النُّبوَّة للبَيهقي: ٢/ ١٥٣، سُنن الدَّارمي: ١/ ١٥ و ١٨ و ٣٦٧، مَجْمع الزَّوَائد: ٢/ ١٨٢ و: ٨/ ٢٩٨، البِدَاية وَالنّهاية: ٦/ ١٤١ و: ٣٠٨، المُصنَّف لِابْن أَبي شَيبَة الكُوفِي: ٧/ ٤٣٣، صَحِيح ابن خُزَيمة: ٣/ ١٤٠، المُعجَم الكَبِير: ١٢/ ١٤٥ و: ٢٣/ ٢٥٥، الطَّبقَات الكُبرىٰ: ١/ ٢٥٢، تَأرِيخ دِمَشق: ٤/ ٣٩٠ و: ٧/ ٢٠٢، أُسد الغَابة: ١/ ٢٩، الكَامل فِي التَّأرِيخ: ٣/ ٢٨٨، تَهذِيب الكمَال: ١/ ٢٣٥.

(٤) أَوّل أَزوَاجه ﷺ: خَدِيجَة بِنت خُوَيْلد بن أَسدٍ بن عَبدالعزّىٰ بن قُصيّ، تَزوَّجها ﷺ قَبل الوَحي وَعُمره حِينئذٍ خَمسٍ وَعشرُون سَنَة، وَقِيلَ: إحدىٰ وَعشرُون سَنَة. وكَانَ عُمرُهَا حِينئذٍ أَرْبَعِين سَنَة، وَأَقَامت مَعهُ أَربعَاً وعشرِين سَنَة، وَلَم يَنْكح عَلَيْهَا إمْرَأَةً حَتَّىٰ مَاتت. وَأُمّها: فَاطِمَة بِنت زَائِدَة بن الأَصمّ، مَن بَنِي عَامر بن لُؤي.
وكَانَتْ خَدِيجَة رَضي الله عَنْهَا أَوسط نِسَآءَ قُرَيْش نَسباً، وَأَعظَمهنّ شَرفاً، تُوفّيت بَعد أَبي طَالبٍ رضي الله عنه بِثلاَثة أَيَّام، وَسمّىٰ رَسُول الله ﷺ ذَلِكَ العَام بعَام الْحُزْن. (أُنظر، جوَامع السِّيرَة: ٣١، أُسد الغَابَة: ٧٨/٧، المعَارف لِابْن قُتَيْبَة: ١٣٢ تَحقّيق ثروَة عكَاشة طَبْعَة قُم، السِّيرَة النَّبوِيَّة لِابْن هِشَام: ١/ ١٨٩).

جَمَعَ فِي آنٍ وَاحد بَيْنَ تِسع[١]، وَٱمْتَدت حَيَاته الزَّوجِيَة (٣٧) عَامَاً، وَرُزق مِن خَدِيجَة ذَكرَين: القَاسم وَعَبدالله، وَهُما الطَّيب، وَالطَّاهر، مَاتَا صَغِيرَين[٢]، وَرُزق مِنْهَا أَيضَاً أَرْبَع بَنَات: زَيْنَب[٣]، وَأُمّ كُلثُوم[٤]، وَرُقـيَّة[٥]، وفَـاطِمَة[٦]، أَسـلَمْنَ

(١) وَبَعد وَفَاتهَا تَزَوَّج سَوْدَة بُنْت زَمعَة، ثُمَّ عَائِشَة، عَقَد لَهُ عَلَيها أَبُو بَكر فِي مَكَّة، وَهِي بِنْت سِت سنوَات. وَبَنى بِهَا النَّبيّ فِي المَدِينَة بَعد أَنْ أَكْمَلت التِّسع وَحِين تُوفّي النَّبيّ كَان لهَا مِنْ العُمر ثمَاني عَشرَة سَنَة، وَعَاشَت إِلَىٰ السَّبعِين، وَمَاتت فِي أَيَّام مُعَاوِيَة، وأَيضَاً تَزَوَّج النَّبيّ أُمّ سَلَمة، وَهِي بِنْت عَمّته عَاتِكَة بِنْت عَبدالمُطلب، وَحَفْصَة بِنْت عُمر، وَزَيْنب بِنْت جَحش، وَهِي بِنْت عَـمّته أُمـيمَة بِـنْت عَـبدالمـطلب، وَجُويرِيَة بِنْت الحَارث، وأُمّ حَبِيبَة بِنْت أَبي سُفْيَان، وَصَفِية بِنْت حَـي بـن أَخْـطَب، وَمَـيمُونة بِـنْت الحَارث، خَالة عَبدالله ٱبن عَبَّاس، وَمَارِية القُبطِية، وَرَيحَانة بِنْت زَيد، وَتُكَانة بِنْت عَمْرُو. وقَدْ دَخَل بِهؤلاَء جَمِيعاً، وَكُنَّ ثَيِّبَات إِلاَّ عَائِشة كَانَت بِكراً، ولَهُ زَوْجَات أُخر طَلقهُنَّ قَبْل الدُّخُول.

أُنظر، أُسد الغَابَة: ٧ / ١٥٧، المعَارف: ١٢٣، السِّيرَة لِابْن هِشَـام: ٤ / ٢٨٣، الْإِصَـابَة: ٧ / ٢٠٩ و: ٨ / ١٥٧، الْإِستِيعَاب: ٤ / ١٨١٣، الطَّبقَات الكُبْرىٰ: ٨ / ٨٣ و ١١٢ و ٢٣٣، صَحِيح مُسْلم: كـتَاب الرّضَاع: ١٠٦٥ ح ٤٩، صَحِيح البُخَاري: تَفْسِير سُورَة ٱلْأَحْزَاب: ٣ / ١١٨ وَكتَاب النّكَاح: ٣ / ١٦٤ و ١٦٥، البدَاية وَالنّهاية: ٦ / ٣٩٠، جوَاهر المَطَالب فِي مَنَاقب الْإِمَام عَليّ: ٢ / ١٢٢، تَأرِيخ الطَّبري: ٦ / ٢١، نَسْب قُرَيْش: ٤٠، جَمْهَرة أَنْسَاب العَرَب: ٣٣.

(٢) أُنظر، صَحِيح البُخَاري: ٢ / ٨٤ و ٨٥، كَنز العُمّال: ح ٤٠٤٧٩، السّنن الكُبرىٰ للبَيهقي: ٤ / ٦٩، مُسْنَد أَحمَد: ٣ / ١٩٤، صَحِيح مُسْلم: ٧ / ٧٦، مُسنَد أَبي يَعلىٰ: ٦ / ٤٣، الْإِصَابَة: ٤ / ٢٨٣ ـ ٢٨٤ و: ٧ / ٢٠٩، البدَاية وَالنّهاية: ٦ / ٣٩٠، الطَّبقَات الكُبرىٰ: ٨ / ٢٣٣، جوَاهر المَطَالب فِـي مَـنَاقب الْإِمَام عَليّ: ٢ / ١٢٢، الأُم للشَّافِعِي: ٤ / ٢٥٩ و: ٧ / ٣٦٨، المَجْمُوع: ٣ / ١٥٠. السّيرة النَّبوية لِابْن هِشَام: ١ / ١٩٠، الطَّبقَات الكُـبرىٰ: ١ / ١٣٣، شَـرْح الأَخـبَار: ٣ / ١٥، مَـنَاقب آل أَبـي طَـالِب: ١ / ١٤٠، مَنَاقب الخوَارزمي: ١ / ١٦١.

(٣) أُنظر، الأُم للشَّافِعِي: ٤ / ٢٥٩ و: ٧ / ٣٦٨، المَجْمُوع: ٣ / ١٥٠.

(٤) أُنظر، قُصّة زَوَاجهَا مِن عُثْمَان بن عَفَّان فِي تَلخِيص الحَبِير لِابْن حَجر العَسقلاَني: ٥ / ٢١٠، مُسْـنَد أَحمَد: ٦ / ٣٨٠، مُسْتَدرك الحَاكم: ٢ / ٣٧٩ و: ٤ / ١٤، السُّنن الكُبْرىٰ: ٢ / ٤٢٥ و: ٧ / ٧٠.

(٥) أُنظر، بَدَائِع الصَّنَائع: ١ / ٣٠٨، مُسْنَد أَحْمَد: ١ / ٦٨ و: ٧٥، مُسْتَدرك الحَاكم: ٢ / ٦٢٣ و: ٣ / ٢١٨ و: ٤٦.

وَتَزوّجنَ، وَتوفينَ فِي حيَاته مَا عَدَا فَاطِمَة، وَولدتُ لَه مَاريَة القُبْطيَّة إبْرَاهِيم، وَاْخْتَاره الله، وَلَهُ مِن العُمر سَنَة وَعَشرَة أَشهُر، وَثمانيَة أَيَّام[1]، فَاْنْحَصر نَسْل الرَّسُول بفَاطِمَة، وَولديهَا مِن عَليٍّ، الحَسَن، والحُسَين[2]، فَهُم أَهْله الَّذِين ضَمَّهُم وَإِيَّاه «كِسَاء»[3] وَاحد، وبَيْت وَاحد.

---

(٦) أنظر، مَطَالب السُّوول فِي مَنَاقب آل الرَّسُول: ٢١٠، وَكَذَلِكَ زُبدَة المَقَال فِي فَضَائِل الآل: (مَخطُوط وَرَق ٩٦ فِي النُّسخَة تَحتَ رَقم ٣٠٣)، مقَاتل الطَّالبيِّين: ٥٩، الإِصَابَة: ٨ / ١٥٧، الطَّبقَات الكُبْرىٰ لِاْبن سَعد: ٨ / ١١.

(١) أُنظر، النّهايَة فِي غَرِيب الحَدِيث: ١ / ١٥٧، سُبْل الهُدىٰ وَالرَّشَاد: ١١ / ١٩، السِّيرَة النَّبويّة لِاْبْن هِشَام: ١ / ١٩٠، الطَّبْقَات الكُبْرىٰ لِاْبْن سَعد: ١ / ١٣٣، شَرْح الأَخْبَار: ٣ / ١٥، مَنَاقب آل أَبِي طَالب: ١ / ١٤٠، مَنَاقب الخوَارزْمِي: ١ / ١٦١، صَحِيح البُخاري: ٢ / ٨٤ و ٨٥، كَنْز العُمَّال: ح ٤٠٤٧٩، السُّنن الكُبْرىٰ للبَيهقي: ٤ / ٦٩، المُحلىٰ: ٥ / ١٤٦.

(٢) أُنظر، تَأرِيخ الطَّبَرِيّ: ٤ / ٥٠، والإِصَابَة (قِسم اَلنِّسَاء)، الرّوض الأُنُف: ٢ / ٢٦٨، وَقْعَة صِفِّين: ٥٤١، شَرْح النّهج لِاْبْن أبي اَلْحَدِيد: ٢ / ٢٥٢ و: ٣ / ١٩٠،، الإِصَابَة حرف المِيم: ٣ق ٢ / ٤٥١ طَبْعَة أُخرىٰ، الإِسْتِيعَاب: ٣ / ٣٢٨، الْفُتُوح لِاْبْن أَعْثَمْ: ١ / ٤٧٢ وما بعدها، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة لِاْبْن قُتَيْبَة: ١ / ٥٥، وَمَا بَعدها، تَهذيب الكَمَال: ٢٤ / ٥٤١ رَقم ٥٠٩٧، والإِصَابَة: ٤ / ٢٩٨ طَبعَة أُخرىٰ، المعَارف: ١٣٦، تَذكرة خوَاصّ الأُمّة: ١١٤ طَبْعَة النَّجف، التَّمهِيد والْبَيَان: ٢٠٩، الأَغَانِي: ٢١ / ٩، الإِشتقَاق: ٣٧١.

(٣) أُنظر، مُسْنَد أَحْمَد: ٢ / ٤٤٢، مُنْتَخب كَنْز العُمّال بهَامش مُسْنَد أَحْمَد: ٥ / ٩٢، الإِصَابَة: ٤ / ٣٧٨، الصَّوَاعق المُحرقَة: ١٦٣، الإِسْتِيعَاب المَطبُوع بهَامش الإِصَابَة: ٢ / ٣٧، مصَابِيح السُّنَّة للبَغوي الشَّافِعي: ٢ / ٢٨٠، الفِرْدَوْس بمَأثُور الخِطَاب: ١ / ٥٣ الطَّبعَة الأُولىٰ، سُنن التّرمذي: ٥ / ٣٦٠ ح ٣٩٦١ و ٣٩٦٢ طَبْعَة بَيرُوت، سُنن اَبن مَاجَه: ١ / ٥٢ / ١٤٥، مَودّة القُربَىٰ: ٣٣، المَنَاقب لِاْبْن المغَازلي: ٦٤، المُسْتَدرك عَلىٰ الصَّحِيحين: ٣ / ١٤٩، كَنْز العُمّال: ١٣ / ٦٤٠، أُسد الغَابَة: ٣ / ١١، و: ٥ / ٥٢٣، مَجْمَع الزَّوائِد: ٩ / ١٦٦ و ١٦٩، كفَايَة الطَّالب: ٣٣٠ طَبْعَة الحَيدَريّة، و: ١٨٨ و ١٨٩ طَبْعَة الغَري، نُزل الأَبرَار: ٣٥ و ١٥٠، فَرَائِد السّمطَين للجُويني: ٢ / ٣٩ / ٣٧٣، سِمط النّجوم: ↔

وَقد كَان هَؤلاَء الأَرْبَعَة عليهم السلام بَعد الرَّسُول صلى الله عليه وآله سَلوَة وَعزَاء للمُسْلِمين عَن فَقْد نَبِّيهم، وَإِنْ عَظُم الخَطْب، لأَنَّ البَيْت الَّذي كَان يَأوِيه مَا زَال مَأهُولاً بِمَن يُحبّ، عَامراً بِأَهْلِه وَأبنَائه، وَمَاتَت فَاطِمَة بَعْد أَبِيهَا بِـ(٧٢) يَوْماً[1]، فبقي بَـيْت النَّـبيّ مُزيناً وَمُضيئاً بعَليٍّ، وَالحَسَن، والحُسَين، ثُمَّ قُتل عَليّ فَظل الحَسنَان، وَكَان حُبّ المُسْلمين لهُما لاَ يُعَادلهُ شَيء إلاَّ الحُبّ لنَبيهم الكَرِيم، لأَنَّهُما البَقيَة البَاقيَة مِـن نَسْلِهِ، وَأَهْل بَيْته، وَبعدَ أَنْ ذَهَب الحَسَن إِلَىٰ رَبّه[2] لَمْ يَبق مِـن أَهْـل البَـيْت إلاَّ الحُسَين، فَتَمثلُوا جَمِيعَاً فِي شَخْصِهِ، فَكَان حُبّ المُسْلِمين لَهُ حُبّاً لأَهْل البَـيْت

↔ ٢ / ٤٨٨، شوَاهد التّنزيل: ٢ / ٢٧، المَنَاقب للخوَارزمي: ٩١، مَقْتَل الحُسَين: ١ / ٦١ و ٩٩، نُظم دُرَر السّمطَين للزَّرندي: ٢٣٢ و ٢٣٩، المُعْجَم الصَّغِير للطَّبراني: ٢ / ٣، الفَتْح الكَبِير: ١ / ٢٧١، مشكَـاة المصَابِيح للعُمري: ٣ / ٢٥٨، الرّياض النّضرة: ٢ / ٢٤٩ الطّبعة الثّانيَة، يَنَابِيع المَودَّة للقُندوزي: ٣٥ و ١٦٥ و ١٧٢ و ١٩٤ و ٢٣٠ و ٢٦١ و ٢٩٤ و ٣٠٩ و ٣٧٠ طَبْعَة أسلاَمبُول، بِشَارَة المُصْطَفَىٰ: ١٢٨، تَهذِيب تأرِيخ دِمَشق لِابْن عَسَاكر: ٤ / ١٩٩، مَطَالب السّؤول: ٦٤، الإِسْتِيعَاب: ١ / ٣٦٨، المقَاتل: ٥٩، تأرِيخ الخُلفَاء: ٧٣، شَذرَات الذَّهب: ١ / ١٠.

(١) اختُلف فِي وَفَاة الصِّدِّيقَة عَلىٰ أَقوَال. أُنظر، المنَاقب للـخوَارزمـي: ١ / ٨٣، الإِصَـابَة: ٤ / ٣٨٠، مقَاتل الطَّالبيين: ٣١، الطَّبقَات الكُبرىٰ: ٨ / ١٨، المِلل وَالنِّحل: ١ / ٥٧، لسَان المِيزَان: ١ / ٢٩٣، فرَائد السّمطَين: ٢ / ٣٦، شَرح النَّهْج لِابْن أَبي الحَدِيد: ١٤ / ١٩٣، إثبَات الوَصيّة للمَسعُودي: ٢٣، الذُّرّيّة الطَّاهرة: ٢١٦، مُروج الذّهب: ١ / ٤٠٣، المعَارف: ١٤٢.

(٢) أُنظر، وَقعَة صِفِّين: ٢٣٤، طَبعَة القَاهرة، تأرِيخ الطَّبريّ: ٦ / ٩، ابن الأَثِير: ٣ / ١٢٨، الإِستيعَاب: ١ / ٣٤٠، شَرح النَّهج لِابْن أَبي الحَدِيد: ١ / ٤٨٣ و: ٤ / ١١ و ١٧، المقَاتل: ٤٣، وأَنسَاب الأَشْرَاف: ١ / ٤٠٤، و: ٤ / ١١ و ١٧، ابن كَثِير: ٨ / ٤١، تَأرِيخ الخُلفَاء: ١٣٨، الإِصَابَة تَرجمَة الحَسَن، ابْـن قُتَيْبَة: ١٥٠، الصَّوَاعِق: ٨١، المَسْعُودِي فِـي مُـروج الذّهب بـهَامش الكَـامِل: ٢ / ٣٥٣، ٦ / ٥٥، وتَهْذِيب تَأرِيخ دِمَشْق لِابْن عسَاكـر: ٤ / ٢٢٦، وأَسْـمَاء المُغتَالِين مِـن الأَشْـرَاف: ٤٤، وتَأرِيـخ اليَعقُوبي: ٢ / ٢٢٥، وابن الأَثِير: ٢ / ١٩٧، وابن شُحنَة بهَامش ابن الأَثِير: ١١ / ١٣٢، تَأرِيخ الدّول الإِسْلاَميّة: ١ / ٥٣، تَذكِرة الخواصّ: ٦٢، تَأرِيخ أَبي الفدَاء: ١ / ١٩٤، الاِسْتِيعَاب: ١ / ٣٨٩.

أَجْمَعِين، للنَّبيّ، وَعَليّ، وَفَاطِمَة، وَالحَسَن، وَالحُسَين، تَمَامَاً كمَا لَو كَان خَمْسَة أولاَد أَعزَاء، ثُمَّ فَقْدتَ مِنْهُم أَرْبَعَة، وَبَقي مِنْهُم وَاحد فَإِنّه يَأخـذ سَـهم الجَـمِيع وَتُوازي مَنْزلَته مِن قَلْبك مَنْزلة الخَمْسَة مُجْتَمعِين، وَبهذَا نَجْد تَفْسِير قَوْل سَـيِّدَة الطَّفّ زَيْنَب، وَهي تَنْدُب أَخَاهَا الحُسَين يَوْم العَاشر مِن المُـحرّم «اليَـوْم مَـات جَدّي رَسُول الله، اليَوْم مَاتَت أُمّي فَاطِمَة، اليَوْم قُتْلَ أَبي عَليّ، اليَوْم سُمّ أَخـي الحَسَن» . وَنَجد تَفْسِير مَا قَالهُ الإِمَام الشَّهِيد لجَيْش يَزِيد حِـين صَـمَّموا عَـلىٰ قَتْلِه: «أَفَتَشُكُّونَ في أَنِّي ٱبْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ؟ فَوَاللهِ مَا بَيْنَ المشْرِقِ والمغْرِبِ ٱبْـنُ بِنْتِ نَبِيَ غَيْرِيْ مِنْكُمْ وَلاَ مِنْ غَيْرِكُمْ، وَأَنا ٱبْنُ بِـنْتِ نَـبِيِّكُمْ خَـاصَّة. أَخْـبِرُونِي أَتَــطْلُبُونِيْ بِـقَتِيْلٍ مِـنْكُمْ قَـتَلْتُهُ؟ أَوْ مَـالٍ لَكُـمْ ٱسْـتَهْلَكْتُهُ؟ أَوْ بِـقِصاصٍ مِـنْ جِرَاحِة؟»[1] .

وَلِذَا أُقْفل بَيْت الرَّسُول بِقَتل الحُسَين كَان، وَالحَال هَذِه، ٱستشهَاده ٱسْتشهَاداً لأَهْل البَيْت جَمِيعَاً، وَإِحيَاء ذِكرَاه إِحيَاء لذِكرىٰ الجَمِيع.

٢ ـ إِنَّ وَقْعَة الطَّفّ كَانَت وَمَا زَالَت أَبْرَز، وَأَظْهَر مَأسَاة عَرَفهَا التَّأرِيـخ عَـلىٰ الإِطْلاَق، فَلَم تَكُن حَربَاً، وَلاَ قِتَالاً بِالمَعْنىٰ المَعرُوف للحَرب، وَالقـتَال، وَإِنَّـما كَانَت مَجْزرَة دَامِيَة لآل الرَّسُول كِباراً وَصِغَارَاً، فَلَقد أَحَاطَت بِهم مِن كُلّ جَانب كَثْرَة غَاشمَة بَاغيَة، وَمَنْعَت عَنْهُم الطَّعَام، وَالشَّراب أَيَّامَاً، وَحِين أَشرَف الجَمِيع عَلىٰ الهَلاَك مِن الجُوع، وَالعَطش ٱنْهَالوا عَلَيهم رَمياً بِالسّهام، وَرَشقَاً بِالحِجَارَة،

( ) أُنظر، يَنَابِيع المَودّة لذَوي القُرْبىٰ القُندوزي: ٣ / ٦٤، تَأرِيخ الطَّبري: ٤ / ٢٤٠، الكَامِل لإبْن الأَثِير: ٤ / ٢٤، مَقْتَل الخوَارزمي: ١ / ٢٣٨ فَصْل ١١، مقَاتل الطَّالبِيين لأَبي الفَرج: ٤٥ طَبْع إِيرَان.

(١) أُنظر، الإِرْشَاد الشَّيخ المُفِيد: ٢ / ٩٨، إِعْلاَم الوَرىٰ بِأَعلاَم الهُدَىٰ الشَّيخ الطَّبرسي: ١ / ٤٥٩، تَأرِيخ الطَّبري: ٤ / ٢٨٠ ـ ٢٨١.

وَضَرباً بِالسّيُوف، وَطَعناً بِالرِّمَاح، وَلمَّا سَقطُوا صَرعىٰ قَطعُوا الرّؤوس، وَوَطأوا الجُثَث بحوَافر الخَيل، مُقْبلِين وَمُدبرِين، وَبَقرُوا بطُون الأَطفَال، وَأَضرمُوا النَّار فِي الأَخبيَة عَلىٰ النِّسَاء؛ فَجَدِير بِمَن وَالىٰ نَبِيه الأَكْرَم، وَأَهْل بَيْته أَنْ يَحْزَن لحُزنهِم، وَأَنْ يَنْسىٰ كُلّ فَجِيعَة وَرزيَة إلاَّ مَا حَلَّ بِهم مِن الرَّزايَا، وَالفَجَائِع مُعَدّداً مَنَاقِبهم، وَمَسَاويء أَعدَائِهم مَا دَام حَيّاً.

أَنَّ الحُسَين عِندَ شِيعَته، وَالعَارفِين بأَهدَافه وَمَقَاصده لَيْسَ اسمَاً لشَخص فَحَسب، وَإِنَّما هُو رَمز عَمِيق الدَّلاَلَه، رَمز للبطُولَة، وَالْإِنْسَانيَة، وَالأَمَل، وَعُنوَان للدِّين وَالشَّرِيعَة، وَالفِدَاء وَالتَّضْحيَة فِي سَبِيل الحَقّ، وَالعَدَالَه، كَمَا أَنَّ يَزِيد رَمْز للفَسَاد وَالإِستبدَاد، وَالتَّهتُك، وَالرَّذِيلَة، فَحَيثمَا كَان وَيَكُون الفَسَاد، وَالفُوضىٰ وَانْتهَاك الحُرمَات، وَإِراقَة الدّمَاء البَرِيئَة، وَالخَلاَعَة، وَالفُجُور، وَسَلب الحقُوق وَالطُّغيَان فَثَمَّ اسم يَزِيد وَأَعمَال يَزِيد، وَحَيثمَا كَان وَيَكُون الثَّبَات وَالإِخلاَص وَالبَسَالة، وَالفَضِيلَة، وَالشَّرف فَثَمَّ اسم الحُسَين، وَمَبَادىء الحُسَين، وهَذَا مَا عَنَاه الشَّاعر الشِّيعي مِن قَوْلِهِ:

كَـان كُـلّ مَكَـان كَـربُلاَء لَـدىٰ … عَيني وكُلّ زَمَان يَوْم عَاشُورَا[1]

(١) أُنظر الشِّيعة في المِيزَان: ٨٦٩. بتَحقِّيقنَا.

مَودَّة أَهْل البَيْت

مهمَا ٱخْتَلفَت الأَفرَاد فِي أَوْجه الشَّبه فَإِنَّك وَاحد بَيْنَ ٱبْنَاء الأُمّة الوَاحدَة وَالدِّين الوَاحد جَامعاً مُشتَركاً، وَطَابعاً يُمَيزهَا عَن غيرهَا مِن الأُمَم وَالطَّوائِف، وَأَقْرَب وَسِيلَة لمَعْرفَة هَذَا الجَامع المُشْتَرك هِي أَقوَال الأُدبَاء وَالشُّعرَاء، فَإِنَّهُم يُمثلُون تَقَالِيد قَومهُم، وَيُعبرُون عَن عَقَائِد طوَائِفهُم أَصدَق تَعْبير.

وَلَقد تَقوّلَت فِئَة مِن النَّاس الأَقَاويل فِي عَقِيدَه التَّشيُّع، وَٱفْتَروا عَلَيهم بمَا يُغْضب الله وَالرَّسُول، وَلَكن للشِّيعَة تَأرِيخاً طَوِيلاً، وَحَافلاً بِالحوَادث وَالثَّورَات، وَالعُلُوم وَالآدَاب، وَكُلّها تُنبيء عَن حَقِيقَة التَّشيُّع، فَيَستَطِيع طَالِب الحَقّ أَنْ يَعْرفَه بنَظرَة وَاحدَة إِلَىٰ آثَار عُلمَائِهم أَو أُدبَائِهم يَقُول شَاعِرهم:

آل بَيْت النَّبيّ أَنْتُم غِيَاثي ... فِي حَيَاتي وَعُدتي لمعَادي

مَا تَزَودتُ للقِيَامَة إِلاَّ ... صَفو وِدّي لَكُم وَحُسن ٱعْتقَادي[1]

فَعَقِيدَة التَّشيُّع، إِذَن تَرتكز عَلَىٰ أَمرَين: حُسن الإِعْتقَاد، وَصَفو الوِد لأَهْل البَيْت. وَحُسن الإِعْتقَاد هُو الإِيمَان باللهِ وَكتَابه، وَبالنَّبيّ وَسُنّته، وَقَد أَوجَب القُرآن، والحَدِيث مَودَّة أَهْل البَيْت، وَإِنَّ إِنْكَار مَودَّتهم وَوَلاَئهم إِنكَار كتَاب الله

---

(١) مِن قَصِيدَة طَوِيلَة للمَرحُوم الشَّيخ عَبد الحُسَين الأَعْسَم يَرثي بهَا الحُسَين عليه السلام، وَهُو مِن عُلمَاء الإِمَامِيَّة، وَشعرَائهم، تُوفّي (١٢٤٧ هـ). (مِنهُ رحمه الله).

وَسُنَّة الرَّسُول.

وَلسَائِل أَنْ يَسأَل: هَلْ مِن دَلِيل يُلْزِم النَّاس بمَودَّتهم غير شهَادَة كتَاب الله وَالحَدِيث؟ هَل مِن سَبِيل يُقْنع مَن لاَ يُؤمن بالله، وَلاَ بِالرَّسُول يُقْنعهُ بدَلِيل مَعقُول مَقبُول أَنَّ مَودّة أَهْل البَيْت يَفرضهَا الوجدَان، وَمَنطق العَدل عَلىٰ كُلّ إِنْسَان مُسْلِماً كَان أَو غَير مُسْلِم؟.

أَجل، أَنَّ مَن يُوَالي الحَقّ وَالعَدل يُوالي أَهْل البَيْت، وَمَن يُعَادي الحَقّ يُعَادي أَهْل البَيْت، لأَنَّ أَهْل البَيْت هُم الحَقّ، وَالحَقّ هُو أَهْل البَيْت.

وَقَد تَقُول: هَذِه دَعوىٰ تَفْتَقر إِلَىٰ إِثبَات.

وَالجَوَاب: أَنَّ أَي دَلِيل عَلىٰ ذَلِكَ أَدَل مِن أَنْ يَكُون الحُسَين بِنَفْسه صَاعقَة إِلٰهيَة تَنْفجر عَلىٰ البَاطل؟! وَأَي شَاهد أَصدَق مِن الدِّمَاء وَالأَروَاح تُبذَل لنُصرَة الحَقّ؟! ثُمَّ هَذَا النَّشِيد، وَالهُتَاف بِاسم الحُسَين أَلاَ يَدل عَلىٰ أَنَّ الحُسَين هُو الحَقّ؟! وإِذَا لَمْ يَكُن الحُسَين هُو الحَقّ فَلمَاذَا كُلّ هَذَا العدَاء وَالبُغض مِن يَزِيد البَاطل؟.

وَبقَدَر مَا بَلَغ الحُسَين مِن الحَقّ، إِنْ صَحَّ التَّعبِير بَلَغ يَزِيد مِن البَاطل، وَكمَا عَبَّر الحُسَين بِإِستشهَاده عَن مَكَانتهِ مِن الحَقّ فَقْد عَبَّر يَزِيد بضَرَاوتهِ عَن مَنْزلتهِ مِن البَاطل. لقَد بَلَغ الحنذق وَالغَيظ بيَزِيد إِنْ فَعَل بالحُسَين وَأَهْله مَا فزعل، لاَ لشَيء إلاَّ عَدَاوَة للحَقّ، وَهذَا مَا أَرَاد الحُسَين أَنْ يُعلنَهُ للمَلأ، وَيُخبر بهِ الأَجْيَال، فَسَأَل يَزِيد قَائِلاً: «وَيْحكُم! أَخبِرُونِي أَتطْلُبُونِي بِقَتِيْلٍ مِنْكُمْ قَتَلْتُهُ؟ أَوْ بِمَالٍ لَكُمْ اسْتَهْلَكْتُهُ؟ أَوْ بِقِصاصٍ مِنْ جِرَاحِة؟» [1].

(١) أُنظر، الإِرشَاد الشَّيخ المُفِيد: ٢ / ٩٨، إِعْلاَم الوَرىٰ بِأَعلاَم الهُدَىٰ الشَّيخ الطَّبرسي: ١ / ٤٥٩، تَأرِيخ

أَجْل، أَنَّهُم يَطلبُونَهُ بأَكْثَر مِن ذَلِكَ، يَطْلبُونَه بمَا طَلَبه النَّمرُود مِن إبْرَاهِيم الخَلِيل. وَبمَا طَلَبهُ فِرْعَون مِن مُوسىٰ الكَلِيم، وَبمَا طَلَبهُ أَبُو سُفْيَان مِن مُحَمَّد الحَبِيب، وَمَا طَلَبهُ مُعَاويَة مِن عَليّ المُرتَضىٰ، أَنَّهم يَطلبُون ؟!

أَنْ لاَ يُوجد شَيء عَلىٰ الكُرة يُقَال لهُ دِين، وَإِيمَان، وَعدَالَة، وَإِنْسَانِيَّة، وَيَأبىٰ الحُسَين إلاَّ الدِّين، لأَنّه لاَ شَيء أَعظَم مِن الدِّين عِندَ الحُسَين، أَنَّه أَعْظَم مِن الأَروَاح، وَمِن الأَنبيَاء، وَالأَوْصِيَاء، فَكَم مِن نَبِي قَدَّم نَفْسَه فِدَاء للدِّين ؟! وَكَم مِن إِمَام ٱستُشهِد مِن أَجل حِمَايتَه وَصيَانَته ؟! أَنَّ عَظمَة الدِّين لاَ يُسَاويهَا شَيء لأَنَّها مِن عَظمَة الله الَّذي لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ.

وَمَا أَدْرَك هَذِه الحَقِيقَة أَحد كمَا أَدْرَكهَا النَّبيّ، وأَهْل بَيْته، وَمِن أَجل ذَلِكَ بذَلُوا فِي سَبِيلهِ مَا لَمْ يَبذلهُ إِنْسَان، وَعَبدُوا الله عِبَادَة الخَبِير بمَا لهُ مِن عَظمَة وَسُلطَان، فَلَقد أَجْهَد النَّبيّ نَفْسه فِي صَلاَة حَتَّىٰ تورّمَت قَدمَاه[1]، وحَتَّىٰ عَاتَبه الله بقَولِه: ﴿طه مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾[2]. وَقَد كَان مِن عَادَة الإِمَام إذَا سَجَد أَصَابَته غَشيَة لاَ يَحس مَعهَا بمَن حَولَه، قَالَ أَبُو الدَّردَاء:

«رَأيتُ عَلِيَّاً، وَقَد ٱعْتزَل فِي مَكَانٍ خَفي، وَسَمعتَهذ، وَهُو لاَ يَشعر بمكَاني، يِنَاجي رَبّه، وَيَقُول: إِلٰهي إنْ طَال فِي عصيَانَك عُمري، وَعَظُم فِي الصُّحف ذَنْبي

↔ الطَّبري: ٤ / ٢٨٠ ـ ٢٨١.

(١) أُنظر، مُسْنَد أَحْمَد: ٤ / ٢٥١، سُنن النَّسائي: ٣ / ٢١٩، شَرْح مُسْلِم: ١٧ / ١٦٢، مَجْمَع الزَّوَائِـد: ٢ / ٢٧١، تُحفَة الأَحوذي: ٢ / ٣٨٣، المُصنَّف، للصَّنعَاني: ٣ / ٥٠، مُسْنَد الحُمَيدي: ٢ / ٣٣٥، السُّنن الكُبرىٰ: ١ / ٤١٨، صَحِيح ٱبن حبَّان: ٢ / ٩، المُعْجَم الصَّغير للطَّبراني: ١ / ٧١، النَّعِيم المُقِيم لعِترَة النَّبأ العَظِيم: ٦٠٤، بتَحقِّيقنَا.

(٢) طه: ٢ ـ ١.

فَمَا مُؤمل غير غُفرَانك، وَلاَ أَنَا بِرَاجٍ غير رُضوَانك، ثُمَّ رَكَع رَكعَات، وَلمَّا فَرَغ اَتَّجه إِلَىٰ الله بِالدُّعَاء، وَالبُكاء، وَالبَث وَالشَّكوىٰ، فكَان مِمَّا نَاجىٰ بـه: «إِلٰهي أُفكر فِي عَفوك فتهُون عَليَّ خَطِيئَتي، ثُمَّ أَذكُر العَظِيم مِن أَخذك، فَتعظم عَليَّ بَلِيَتي. آهٍ إِنْ أَنَا قَرَأتُ فِي الصُّحف سَيئَة أَنَا نَاسيهَا، وَأَنْتَ مُحصِيها، فَتَقُول خُذُوه، فَيَالهُ مِن مَأخُوذ، لاَ تُنْجِيه عَشِيرَته، وَلاَ تَنْفَعه قَبِيلَته، وَلاَ يَرحَمه المَلأ إِذَا أُذن فِيهِ بِالنِّداء! آهٍ مِن نَار تُنْضج الأَكبَاد وَالكرلىٰ! آهٍ مِن نَارٍ نَزّاعَة للشّوىٰ! آهٍ مِن غَمرَة مِن مُلهبَات لَظىٰ! ثُمَّ أَنْعم بِالبُكَاء، ثُمَّ سَكَت لاَ يُسمَع لهُ حِس، وَلاَ حَرَكَة.

قَالَ أَبُو الدَّردَاء: فَأَتيتهُ فَإِذَا هُو كَالخَشبَة المُلقَاة، فَحرّكتَهُ فَلَم يَتحَرّك، فَقُلتُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[1]، مَات وَالله عَليّ بن أَبي طَالِب. فَأَتيتُ مَنْزله أَنْعَاه لفَاطِمَة، فَقَالت فَاطِمَة لأَبي الدَّردَاء: «مَا كَان مِن شَأنه؟ فَلمَّا أَخبَرها، قَالَت: هِي وَالله الغَشيَة الَّتي تَأخذهُ مِن خَشيَة الله»[2].

وَكَان الإِمَام زَين العَابدِين عليه السلام فِي الصَّلاَة فَسقط وَلَدهُ فِي البئْر فَلَم يَنْثَن عَن صَلاَته، وَحِين فَرغ مِنْهَا مَدَّ يَدَه، وَأَخرجَه، وَقَالَ: أَنّي كُنتُ بَيْنَ يَدي جَبّار، لَو مِلت بوَجهي عَنْهُ لمَال عَنّي بوَجْهه»[3]. وإِذا كَان أَهْل البَيْت يَهتمُون بِالصَّلاَة هَذَا الإِهْتمَام حَتَّىٰ فِي الحَرْب، وَسَاعة العُسرَة، فَكَيف يَدّعي التَّشيُّع لهُم مَن يَتركهَا وَيَتهَاون بهَا فِي السِّلم، وَسَاعَات الفَرَاغ، وَيُفضّل عَلَيها اللَّهو وَالمُجُون.

وَمَرَّة ثَانيَة نكرِّر القَوْل بِأَنَّ التَّشيُّع يرتكز عَلىٰ الإِعْتقَاد بالله، وَالرَّسُول، وَاليَوْم

---

(١) اَلْبَقَرَة: ١٥٦.

(٢) أُنظر، شَرْح نَهج البَلاَغَة لِابْن أَبي الحَدِيد: ١٨ / ٢٢٥، الأَمَالي للشَّيخ الصَّدوق: ١٣٧، رَوضَة الوَاعظِين: ١١٢، مَنَاقب آل أَبي طَالِب لِابن شَهر آشوب: ١ / ٣٨٩.

(٣) أُنظر، الهِدَايَة الكُبرىٰ: ٢١٥، دَلاَئِل الإِمَامَة: ١٩٨، مَنَاقب آل أَبي طَالب: ٣ / ٢٧٨.

الآخر. وَإِقَام الصَّلاَة، وَإِيتَاء الزَّكَاة، وعَلىٰ صَفو الوِد لأَهْل البَيْت الَّـذِين قـتْلُوا وَقُتلُوا مِن أَجل الصَّلاَة، وَعبَادَة الوَاحد الأَحد. ٱنْتحيٰ الإِمَام نَاحيَة يُصلّي لله فِي صِفِّين، وَالحزْب قَائِمَة عَلىٰ أَشُدّها، وَحِين ٱفْتَقدهُ أَصْحَابه ٱضْطَربُوا، وَكَسرُوا جفُون أَسيَافهم، وَآلوا أَنْ لاَ يَغمدُوهَا حَتَّىٰ يُشَاهدُوا الإِمَام، وَلمَّا وَجَدهُ الأَشْتَر قَائِماً للصَّلاَة ٱنْتظَرهُ حَتَّىٰ فَرَغ مِنْهَا، وَقَالَ لهُ: «أَفي مِثْل هَذِه السَّاعَة؟! فَأَجَابهُ: نُقَاتل لأَجْلهَا وَنَترُكها[1]؟!...

وَقَام الحُسَين إِلىٰ الصَّلاَة فِي قَلْب المَعْرَكَة، وَأَصحَابه يَتَساقطُون قزتْلىٰ بيْنَ يَدَيه، فَصلّىٰ بمَن بَقيَّ مِنْهُم، وَسَعِيد بن عَبدالله الحَنفي قَائِم بَيْنَ يَدَيه يُسْتَهدف مِن النِّبَال وَالرِّمَاح حَتَّىٰ سَقَط إِلىٰ الأَرْض، وَهُو يَـقُول: «أَللَّـهُمَّ ٱلعـنْهُم لَـعن عَـاد وَثَمود، أَللَّهُمَّ بَلّغ نَبّيك عَنّي السَّلاَم، وَٱبْلغهُ مَا لَقيتُ مِن أَلَم الجرَاح، فَأنّي أَردتُ ثوَابك فِي نُصرَة نَبّيك»[2]. ثُمَّ قَضىٰ نَحْبَه، فَوجد بِهِ ثَلاَثَة عَشَر سَهمَاً سِوىٰ مَا بِهِ مِن ضَرْب السُّيُوف، وَطَعن الرِّمَاح.

---

(١) أنظر، وَسَائِل الشّيعَة: ٤ / ٢٤٦ ح ٢، كَشف اليَقين: ١٢٢.

(٢) أُنظر، تَأريخ الطّبَري: ٥ / ٤٢٢ وفي ٤٣٦، و: ٤ / ٣٢٠ طَبْعَة أُخرىٰ، مَقْتَل الحُسَين لأَبي مَخْنَف: ١١٣، الإِرشَاد للشَّيخ المُفِيد: ٢ / ٩٥، الأَخبَار الطِّوَال: ٢٥٦. مَنَاقب آل أَبي طَالب: ٤ / ١٠٣، مَقْتَل الحُسَين: ١ / ١٩٥ و: ٢ / ٢٠.

هَل أَقْدَم الحُسَين عَلىٰ ٱلتَّهْلُكَة

قَد يَتْسَاءل: كَيف تَحَدّىٰ إِبْرَاهِيم الخَلِيلعليه‌السلام شعُور قَوْمه، وَأَهَانهُم فِي آلِهَتِهِم وَأَعْظَم مُقدّسَاتهم، وَلَم يَعبأ بِالنَّمرُود صَاحب الحَول وَالطَّول؟! هَذَا، وَهُو أَعْزَل مِن السِّلاح، وَالمَال لاَ نَاصر لهُ، حَتَّىٰ أَبوَيه لَمْ يَجرءَا عَلىٰ مُنَاصرَته وَالذَّب عَنْهُ.

حَطَّم الخَلِيل آلهَة قَوْمه، وَدَاسهَا بقَدَمَيه، وَقَالَ للأُلُوف المُؤلّفة: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَاتَعْقِلُونَ﴾[1]، وَلَم يَخْش سَطوَتهُم، وَنَارهُم الَّتي أَوقَدُوهَا لحَرْقهِ حَيّاً.

وَمُوسىٰ الكَلِيمعليه‌السلام الشَّرِيد الطَّرِيد الَّذي أَكَل بَقلَة الأَرْض حَتَّىٰ بَانَت خُضرتهَا مِن شَفِيف بَطْنهِ لهُزَالهِ، وَحَتَّىٰ سَأَل رَبّه قِطْعَة خُبْز، وَتَضَرّع إِلَيهِ بقَوْلهِ: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[2]. هَذَا الفَقْر إِلَىٰ لُقمَة الخُبز يَصْرَخ فِي وَجْه فِرْعَون المُتألّه، صَاحب النِّيل، وَالمُلك العَرِيض الطَّوِيل، وَيَقُول لهُ: «أَنْتَ الضَّال المُضّل!...

وَمُحمَّد اليَتِيمصلى‌الله‌عليه‌وآله[3] الَّذي لاَ يَملك شَيئاً مِن حُطَام الدُّنْيا[4] كَيف سَفّه أَحلاَم

---

(١) ٱلأَنبِيَاء: ٦٧.

(٢) ٱلقَصَص: ٢٤.

(٣) مَاتت أُمّهُ، وَلَهُ سُت سِنِين. أُنظر، الخَصَائِص الكُبرىٰ: ١ / ٨٠. الحَاوي للفَتاوي: ٢ / ٢٢، السِّيرَة

قُرَيْش سَادَة العَرب ، وَسَبّ آلهَتهُم ؟ ! وَبأيّة قُوّة هَدّد كِسرىٰ مَلك الشَّرق ، وَقيصَر مَلك الغَرب ، وكَتب إلَىٰ كُلٍ أَسْلِم تَسْلَم[٥] ؟ !.

وَبكَلمَة وَاحدَة ، مَا هِي القُوّة ؟ وَمَا هُو الدَّافع الَّذي بَعْثَ الأَنْبيَاء وَالرُّسُل عَلىٰ تِلْكَ المُغَامرَات الَّتي لاَ يَقْدم عَلَيهَا إلاَّ مَعتُوه لاَ يَدْري مَا يَقُول ، أَو رَسُول لاَ يَنْطُق بلسَانهِ ، بَل لسَان قُوّة خَارقَة ، وَفَوق القِوىٰ جَمِيعاً ؟ !.

وَلَيْسَ مِن شَكٍ أَنَّ الأَنْبيَاء حِين يَدعُون الجَبابرَة الطُّغَاة ، وأَهْل الجَاه وَالسّلطَان دَعوَة الحَقّ إنّما يَدعُونهُم مَدفُوعِين بقُوّة لاَ تُقَاوم ، وَيُخَاطبُونهُم بأسم الله الّذي يُؤمِنُون بهِ أَكْثَر مِن إيمَانهِم بِأَنْفسهِم ، وَبأسم الوَحي الّذي يُسمَعُونه بعقُولهِم وَآذانِهم .

يَقْدِم الجَيْش أَو يَحْجم بأَمر قَائدِهِ وَرَئِيسهِ ، وَيَبْرُز الفُرسَان إلَىٰ المَيدَان فَيَقْتلُون أَو يُقْتَلُون ، وَمَن يُقْتَل فَهُو شَهِيد تُقَام لهُ حَفلاَت التَّكرِيم وَالتَّعظِيم ، وَتُرفَع لهُ فِي السَّاحَات العَامَّة النُّصب وَالتَّماثِيل ، وَتُوضع عَلىٰ قَبْرِهِ أَكَاليل الأَورَاد

↔ لزيني دَحلاَن بهَامش السِّيرَة الحَلبيَّة : ١ / ٥٧ . السِّيرَة لِابْن هِشَام : ١ / ١٦٨ ، مُرُوج الذَّهب : ٢ / ٢٧٥ ، الطَّبقَات الكُبرىٰ لِابْن سَعد : ١ / ١١٦ ، البدَايَة وَالنّهايَة لِابْن كَثِير : ٢ / ٢٥٥ ، تَأرِيخ الطّبريّ : ٢ / ٢٧٢ ، الرّوض الأنف للسُّهَيلي : ١ / ٨ ، تَأرِيخ اليَعقُوبيّ : ٢ / ٦ ، حَاشيَة البجِيرميّ : ٢ / ٢٤٩ ، مَسَالك الحُنفَا : ٦٣ ، دَلاَئل النُّبوّة للبَيهقي : ١ / ١٨٨ .

(٤) كُلّ مَا وَرثَه النَّبيّ صلى الله عليه وآله مِن أَبوَيه أَمَة ، وَهي أُمّ أَيمَن ، وَخَمسَة جمَال ، وَقَطيعَة غَنْم ، وَقَد أَعتَق أُمّ أَيمَن حِين تَزوّج بخَدِيجَة . (مِنْهُ رحمه الله) . أُنظر ، تَركَة النَّبي : ١ / ١٠١ .

(٥) أُنظر ، صَحِيح البُخَاري : ١ / ٩ ، صَحِيح مُسْلِم : ٣ / ١٣٩٦ ، مُسْنَد أَحْمَد : ١ / ٢٦٢ ، صَحِيح ابن حبَّان : ١٤ / ٤٩٥ ، مُسْنَد أَبي عوَانَه : ٤ / ٢٦٨ ، السُّنن الكُبرىٰ للبَيهقي : ٩ / ١٧٦ ، مُعْتصر المُخْتَصر : ١ / ٢٠٧ ، المُعْجَم الكَبِير : ٨ / ١٥ ، تَفْسِير ابن كَثِير : ٣ / ٣٩٥ ، تَفْسِير البَيضَاويّ : ٤ / ٩ ، أَسبَاب النُّزول : ١٦٩ .

وَالزُّهُور. وَهَكَذَا الْأَنْبيَاء يُقْدمُون بدَافع مِن الله وَقيَادَته، وَيَـتَّحدُون أَهْـل القُـوّة وَالسُّلطَان بأَمر الله وَإِرَادَته، فَينْتَصرُون أَو يُقْتلُون، وَهُـم فِـي الحَـالَين عُـظمَاء يَمْتثلُون أَمر الله، وَبِهِ يَعْملُون، فَإِذَا ٱستُشهدُوا فَإِنَّما يَسْتَشهدُون، وَهُـم يُـبلغُون كَلمَة الله إِلَىٰ خَلقِه، وَيُمثلُون الإِنْسَان فِي أَسمىٰ حَالاَت الإِخلاَص وَالتَّضْحيَة.

هَذَا هُو مَنْطق أَهْل الدِّين وَالعَـقل، وَهَـذي هِـي عَـقِيدَة أَصـحَاب الإِيـمَان وَالوجدَان، أَمَّا المُلحدُون الَّذِين لاَ يُؤمنُون بالله وَاليَوْم الآخر مِـن شَـبَاب هَـذَا العَصر، وَمَثلهُم السُّذّج المُغفلُون مِن قَبلُ وَمِن بَعدُ، أَمَّـا هَـؤلاَء فَـيقُولُون: لَـقد جَازَف الحُسَين بخُرُوجه إِلَىٰ العِرَاق، لأَنَّ أَهْلَه أَهْل الغَدر، وَالنِّفَاق، وَأَصحَاب أَبيهِ وَأَخيهِ، وَإِذَا خَرج، وَخَدعَتهُ كُتبهُم وَرُسلهُم فَكَان عَلَيهِ أَنْ يَسْتَسلم، بَعد أَنْ رَأىٰ مَا رَأىٰ، مِن عَزْمِهم وَتَصمِيمهِم عَلىٰ قَتْلهِ، وَعَجزهِ عَن الذَّب وَالدّفَاع عَـن نَفْسهِ وَأَهْله. قَالُوا هَذَا، وَهُم يَعْتَقدُون أَنَّ الإِستشهَاد فَضِيلَة مِمَّن ٱستُشهد مَع قَائِد يَملك العِدّة وَالعَدَد. أَمَّا الحُسَين فِي نَظَرهم فَقْد خَاطَر وَجَازَف، لأَنَّه ٱستُشهد وَلاَ قُوّه تَدعَمَه، وَسُلطَان يُنَاصرَه[1].

---

(١) أُنظر، العَوَاصم مِن القَوَاصم، تَحْقِّيق: مُحبّ الدِّين الخَطِيب ـ طَبع سَنَة (١٣٧١ هـ): ٢٣٢. مِثْل هَذِه الأَكَاذِيث وَالمَقُولاَت المَوضُوعَة، أَو الَّتي لاَ تُفَسّر بِشَكلهَا الصَّحِيح هِي الَّـتي شَـلّت حَـركَة الأُمَّـة، وَجَعلتهَا قَابعَة تَحت سَيطرَة الحَاكم المُسْتَبد، وَأَطفَأت الرُّوح الجِهَاديَّة فِي الأُمَّة. هَذَا أَوّلاً.
وَثَانيّاً: لَيْسَت هَذِه هِي المَرَّة الأُولىٰ الَّتي نَقرَأ فِيهَا الزُّور، وَالبُهتَان عَلىٰ الشِّيعَة. فَـلقَد عَـودنَا بَـعض الكُتّاب المُسْتَأجرين مِنْ المُسْتَعمرين، وَالوَهَابيِّين عَلىٰ شَحنَائِهم، وَأَسوَائِهم الَّتي ٱستفَاده مِنْهَا أَعدَاء الإِسْلاَم وَالمُسْلمِين، وَلَمْ تَضر الشِّيعَة شَيئاً. وَلَكن الشَّيء الجَدِيد هُو هَذَا الكِذب الصّرَاح عَـلىٰ الله وَالرَّسُول، وَتَحريف آي الذِّكر الحَكِيم، وَالدَّس فِي سُنَّة الرَّسُول العَظِيم...
وَوَلَيْسَ مِنْ شَكٍّ أَنَّ السّكُوت عَن الجَبْهَان، وَمُحبّ الدِّين الخَطِيب، وَغَيرهما مِمَّن كَتَب وَنَشر، وَحَمل ↔

إِنَّ الَّذِين يَقُولُون هَذَا القَوْل يُخطئُون الفَهم، وَلاَ يَنظرُون إِلَىٰ أَبعَد مِن أُنُوفِهِم، أَنَّ الحُسَين لَمْ يَنْهَض مِن تِلقَاء نَفْسه، وَلَم يَخرج إِلَىٰ العِرَاق رَغبَة فِي شَيء مِن أَشيَاء هَذِه الحَيَاة، وَإِنَّما خَرَج بِأَمر الله، وَقَاتَل بإِرَادَة الله، وَٱستُشهد بَيْنَ يَدي الله، فكمَا أَنَّ الجُندي لاَ مَنَاص لهُ مِن البِرَاز وَالنِّزال حِين صَدَرت أَوَامر رَئِيسَه وَقَائِده، كَذَلِكَ الحُسَين لاَ نَدحَة لهُ إِلَىٰ التَّخلص، وَالفِرَار بَعد أَنْ أَمرَه الله... مِمَّا كَان وَفَعل، وَيُؤكد هَذِه الحَقِيقَة قَول الحُسَين لمَن نَهَاه عَن الخُرُوج، فَلقَد أَتَاه فِيمَن أَتَاه جَابر بن عبدالله الأَنْصَاري، وَقَالَ لهُ: أَنْتَ وَلَد رَسُول الله صلى الله عليه وآله، وَأَحد سِبطَيه لاَ أَرىٰ إِلاَّ أَنْ تُصَالح كَمَا صَالَح أَخُوك، فَأَنَّه كَان مَوقفاً رَشِيداً.

فَقَالَ لهُ الحُسَين، يَا جَابر! قَد فَعل ذَلِكَ أَخي بأَمر الله تَعَالىٰ وَرَسُوله صلى الله عليه وآله، وَأَنَا أَيْضَاً أَفْعَل بِأَمر الله تَعَالىٰ وَرَسُوله صلى الله عليه وآله[1].

⇔ وَتحَامل عَلىٰ الشِّيعَة وَالتَّشيُّع لآل الرَّسُول قَدْ أَدَّىٰ كَنَتيجَة طَبيعيَّة إِلَىٰ الكِذب والإِفترَاء عَلىٰ الله وآيَاته، والنَّبيّ وَعِترَته، والإِسْلاَم وَحُمَاته.

وَثَالثاً: وَهَذِه «رِسَالة العَقِيدَة الوَاسطِيَة» لِابْن تَيميَّة الَّذي يُقَدّسه الوَهَابِيُون «فَصل فِي سُنَّة رَسُول الله» جَاء فِيهِ: «يَنْزل رَبنا إِلَىٰ سَمَاء الدُّنْيَا كلّ لَيلَة حِين يَبقىٰ ثُلث اللَّيل الآخر فَيقُول: مَنْ يَدعُوني أَستجب لهُ؟ مَنْ يَسألني أُعطِيه؟ مَنْ يَسْتغفرني فَأَغفر لهُ؟» ثُمَّ قَالَ ابْن تَيمِية: هَذَا مُتفق عَلَيه... وأَيضاً جَاء فِيهِ: «لاَ تَزَال جَهَنّم يُلقىٰ فِيهَا وهِي تَقول: هَل مِنْ مَزِيد؟ حَتَّىٰ يَضع رَبّ العِزَّة فِيهَا رِجلَه فَتَقول: قَطّ قَطّ» وَقَالَ أَيضَا: مُتفق عَلَيه. أُنظر، الفَصل فِي الأَهوَاء وَالمِلل وَالنِّحل: ١ / ١٦٧.

وَرَابعاً: لقَد وَجد مُعَاوِيَة أَبَا هُرَيرَة، وَسَمُرَة بن جُنْدُب يَضعَان الأَحَادِيث الكَاذبَة عَلىٰ لسَان الرَّسُول فِي مَدح مُعَاوِيَة، وَالطَّعن عَلىٰ عَليّ؛ كَمَا وَجَد وَلَده يَزِيد شَيخاً يَقُول: أَنَّ الحُسَيْن قُتل بِسَيف جَدّه!... لَم تُوجد هَذِه الكَلمَة فِي تَأرِيخ ابن خُلدُون المَوجُود الآن، وَكَأَنَّه ذَكرَها فِي النُّسخَة الَّتي رَجَع عَنهَا كمَا قَال بَعْض المُؤرّخِين. أُنظر، الضَّوء اللاَّمع: ٤ / ١٤٧، فَيض القَدِير شَرح الجَامع الصَّغِير: ١ / ٢٦٥ ح ٢٨١ و: ٥ / ٣١٣ ح ٧١٦٣.

(١) أُنظر، الثَّاقب فِي المَنَاقب: ٣٢٢ ح ٢٦٦، مَعَالِم السِّبطَين: ١ / ٢١٦.

وَهَذَا الجَوَاب يُحَدّد لنَا سُلُوك الحُسَين فِي حَيَاته كُلّها، وَلاَ يَدْع قَولاً لقَائِل، وَإِنّه يَسِير بأَمر الله، وَعَلىٰ سُنَّة جَدّه مُحَمَّد رَسُول الله ﷺ، فَلقَد أَوقع النَّبيّ ﷺ صُلح الحُدَيبيَة مَع مُشركي مَكَّة بأَمر الله، وَمَحا كَلمَة بِسم الله الرَّحمن الرَّحيم، وَمُحَمَّد رَسُول الله مِن كِتَاب الصُّلح بأَمر الله[1]، وَرَضي أَبُوه بِالتَّحكِيم يَوْم صِفِّين بأَمر الله[2]،

(١) فِي سَنَة خَمْس للهِجْرَة خَرَج النَّبيّ مِن المَدِينَة إِلَىٰ مَكَّة فِي نَاس مِن أَصحَابِهِ يُرِيد العُمرَة، فَمَنعهُ المُشركُون مِن دخُولهَا، ثُمَّ وَقَع الصُّلح بَيْنَه وَبَيْنهُم عَلىٰ أَنْ يَترُك العُمرَة هَذِه السَّنَة إِلَىٰ السَّنَة القَادمَة فَيَدخُل مَكَّة بِلاَ سِلاَح، وَأَمرَ النَّبيّ عَلِيّاً أَنْ يَكْتُب كتَاب الصُّلح، فَكَتَب بِسم الله الرَّحمن الرَّحِيم: هَذَا مَا قَاضىٰ عَلَيهِ مُحَمَّد رَسُول الله، فَأَبىٰ المُشركُون إِلاَّ مَحو البَسمَلة وَالشَّهادَة لمُحَمَّد بِالرِّسَالَة، فَقَال النَّبيّ للإِمَام: أَمح. فَقَال الإِمَام: إِنَّ يَدي لاَ تَنْطَلق بمَحو اسمَك مِن النُّبوّة، وَالتَفت إِلَىٰ مَندُوب المُشركِين، وَقَالَ لَهُ: أَنَّه رَسُول الله رَغم أَنْفك، فَتولىٰ النَّبيّ ﷺ المَحو بِنَفسه. (مِنْهُ ﵀).

أُنظر، سُنن التّرمذي: ٥/ ٢٩٨ ح ٣٧٩٩، الفَضَائِل لأَحمد: ٢/ ٦٤٩، مُسْنَد أَحمَد: ١/ ١٥٥، المُسْتَدرك للحَاكم: ٢/ ١٣٧، تَأرِيخ الطَّبري: ٤/ ٤٨، مُرُوج الذَّهب: ٢/ ٤٠٤.

(٢) لقَد تَكَلَّم الشَّارحُون عَن حَزْب الْخَوَارِج، ومرُوقهم، وأَطَال المُؤرخُون الْحَدِيث عَن أَحوَالهم، ووضع فِيهِمْ العَدِيد من المُؤلفات، ومن أَحبَّ مَعْرِفَة التَّفاصِيل فليرَجع إِلَيْهَا، وإِلَىٰ أَقْوَال شَارحي النَّهج... وغَرضنا الآنْ أَنْ نُشِير إِلَىٰ مَوقف أَمِير ٱلْمُؤْمِنِين ؑ مِنْهُم، ويَتَلخص بأَنـه حَاول جُهد المُستطَاع أَنْ لا يُهيجَهُم فِي شَيء. وَمن جُملة مَا قَالَ لَهُمْ: «أَلَمْ أَقُل عِند رَفع ٱلْمَصَاحِف: إِنَّ مُعَاوِيَة وَرهطَه لَيسوا بأَصْحَاب دِين، وَلاَ قُرآن، وَإِنّما هُم يَكِيدُون، ويَخدعُون، وَيَتَّقُون حَرّ السَّيْف؟. فَأَبَيْتُمْ إِلَّا إِيقَاف الْقِتَال، وَالكَف عَنْه، وَإِلَّا التَّحْكِيم، وَإِلَّا الْأَشعَرِيّ.. فَرضِيت مُكرهاً خَوْف الْفِتْنَة، وَرضُوخاً لأَهْوَن الشَّرين.. وَأَيضاً قُلتُ لكُم بَعد التَّحْكِيم: أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَلاَّ يَتَعَدَّيَا الْقُرْآنَ فَتَاهَا عَنْهُ، وَتَرَكَا الْحَقَّ، وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ، وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا فَمَضَيَا عَلَيْهِ»؟.

أُنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة من كَلاَم له ؑ رَقم (١٢٧)، البدَايَة والنِّهَايَة: ٩/ ٣٣٩، الإِحْتِجَاج: ٢/ ٥٨، الإِرْشَاد: ٢/ ١٦٥، أَنْسَاب الأَشْرَاف: ٢/ ٣٥٧، الأَخْبَار الطّوال: ٢٠٩، تَأرِيخ ابن خلدون: ق٢/ ج٢/ ١٧٧، يَنَابِيع المَودَّة: ٢/ ٢٠ ـ ٢١، وَقْعَة صِفِّين: ٥١٧، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة: ١/ ١٦٨، الكَامِل لِابْن الأَثِير: ٢/ ٤٠٤.

وَصَالَح أَخُوه الحَسَن مُعَاوِيَة بأَمر الله[١]، وَنَهض هُو نَهْضَتهُ المُباركَة بأَمر الله، إنَّ الَّذِين يَعْترضُون عَلىٰ نَهضَة الحُسَين لاَ يُفسرُون الأَشيَاء تَفسِيراً وَاقعيَّاً، وَلاَ تَفسِيراً دِينيَّاً، وَإنَّما يُفسرُونها تفسِيراً ذَاتيَّاً وَشَخصيَّاً مَحضاً لاَ يَمت إلَىٰ العِلم وَالدِّين بسَبب، وَلاَ يَنْظرُون إلَىٰ حِكمَة الله، وَحُجَته البَالغَة: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾[٢].

لَقَد بَيَّن سَيِّد الشُّهدَاء كَلمَة الله، وَدَعَا إلَىٰ الحَقّ، وَحذَّر المُخَالفِين مِن عَاقبَة الظُّلم، وَالطُّغيَان، فَمِن خطْبَةٍ لَهُ يَوْم الطَّفّ:

«فَسُحْقاً لَكُمْ يا عَبِيْدَ الأُمّة، وَشُذَاذ الأَحْزابِ، وَنَبذَةَ الكِتابِ، وَنَفْثَةَ الشَّيْطانِ، وَعَصبَةَ الآثَامِ، وَمُحرَّفِيْ الكِتَابِ، وَمُطْفِئي السُّنَنِ، وَيحكُم هَؤلاَء...!، وَعَنَّا

---

(١) اختلف المُؤرِّخُون اختلافاً كَثِيراً فِيمن بَدر لطَلب الصُّلح، فابن خُلدون فِي تأرِيخه: ٢ / ١٨٦ ذَهب إلىٰ أنّ المُبَادر لذَلِك هُو الإمَام الحَسن عليه السلام حِين دَعا عَمْرُو بن سَلمة الأَرحَبي وأرسَله إلىٰ مُعَاويَة يَشْترط عَليه بَعد مَا آل آمره إلىٰ الإنحلاَل، وَقَال ابن الأَثِير فِي الكَامل: ٣ / ٢٠٥ مِثل ذَلِكَ؛ لأنَّ الإمَام الحَسن عليه السلام رَأىٰ تَفرّق الأَمْر عَنْه، وَجَاء مِثلهُ فِي شَرح النَّهج لِابْن أَبِي الحَدِيد: ٤ / ٨.
وأمّا ابن أعثَم فِي الفتُوح: ٢ / ٢٩٢ قَال: ثُمّ دَعَا الحَسَن بن عَليّ بعَبد الله بن نَوفل بن الحَارث بن عَبدالمطّلب بن هَاشِم وهُو ابن أُخت مُعَاويَة فَقَال لهُ: صرّ إلىٰ مُعَاويَة فَقل لهُ عَني: إنّك إنْ أَمَنت النَّاس عَلىٰ أَنْفُسِهم... وَقَرِيب مِن هَذا فِي تأرِيخ الطَبري: ٦ / ٩٢، والبدَاية وَالنّهاية: ٨ / ١٥، وابن خُلدُون: ٢ / ١٨٦، وتأريخ الخُلَفَاء: ٧٤، والأَخبَار الطّوال: ٢٠٠، وتأرِيخ اليَعقُوبي: ٢ / ١٩٢.
أمّا الفَرِيق الآخر فَقد ذَكر أنّ مُعَاويَة هُو الّذي طَلب وَبَادر إلىٰ الصُّلح بَعدمَا بَعث إليه برَسَائل أَصْحَابه المُتضمّنة للغَدر وَالفَتك بِهِ مَتىٰ شَاء مُعَاويَة أو أَرَاد، كمَا ذَكر الشَيخ المُفِيد فِي الإرشَاد: ٢ / ١٣ و ١٤ وَصَاحب كَشف الغُمّة: ١٥٤، ومَقَاتِل الطَّالبيّين: ٧٤، وَتَذكرة الخوَاصّ لسِبط ابن الجَوزي: ٢٠٦ وَلَكننا نَعْتقد أنّ مُعَاويَة هُو الّذي طَلب الصُّلح، وَممّا يَدل عَلىٰ ذَلِكَ خطَاب الإمَام الحَسن عليه السلام الّذي ألقَاه فِي المدَائن وَجَاء فيهِ: ألاَ وإنّ مُعَاويَة دَعَانا لأَمر لَيس فيهِ عزّ وَلاَ نِصفه....
أُنظر، الكَامل فِي التَاريخ: ٣ / ٢٠٥، وَتَأرِيخ الطَبري: ٦ / ٩٣.

(٢) الأَنفَال: ٤٢.

تَخاذَلُون، أَجَلْ وَاللهِ، الْخَذلُ فِيْكُمْ مَعْروفٌ، وَشُجتْ عَلَيْهِ أُصُولُكُمْ، وَتَآزَرَتْ عَلَيْهِ فُرُوعُكُمْ، وَثَبَتَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ. وَغَشِيَتْ صُدُورُكُمْ، فَكُنْتُمْ أَخْبَثَ ثَمَرَةٍ: شَجيً لِلْناظِرِ، وَأَكْلَةً لِلْغاصِبِ.

أَلاَ وَإِنَّ الدَعِيَّ ٱبْنَ الدَّعِيِّ قَدْ رَكَزَ بَيْنَ ٱثْنَتَيْن بَيْنَ السِّلَّة وَالذِّلَّة، وَهَيْهاتَ مِنَّا الذِّلَّة، يَأْبي اللهُ لَنا ذَلِكَ وَرَسُولُهُ وَالمُؤمِنُونَ، وَجُدُودٌ طابَتْ، وَحُجُورٌ طَهُرَتْ، وَأُنُوفٌ حَمِيَّة، وَنُفُوسٌ أَبِيَّة، لاَ تُؤثِرُ طاعَةَ اللِّئامِ عَلىٰ مَصارِعِ الكِرامِ..[1].

أَمَا وَالله لاَ تَلبثُون بَعدهَا إِلاَّ كَرَيثَّما يَرْكب الفَرس، حَتَّىٰ تَدُور بكُم دَور الرَّحي، وَتَقلق قَلق المُحور، عَهْدٌ عَهْدهُ إِلَيَّ أَبـي عَن جَدّي رَسُول الله ﷺ: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَايَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَاتُنظِرُونِ﴾[2]؛ ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3].

وَقَالَ الحُسَين، حِين بَلَغهُ مَقْتَل ٱبْن عَمّه مُسْلِم: «وَأَيـم الله لتَـقْتلني الفِئَة البَاغيَة، وَليَلبسنَّهُم الله ذُلاً شَاملاً، وَسَيفاً قَاطعاً»[4].

لَيْسَ هَذَا القَوْل تَنبأ بِالصِّدفَة، وَأَخذاً مِن مَجرىٰ الحوَادث. كَلاَّ، وَإِنَّما هُو كمَا قَالَ الْإِمَام عَهْد مِن الله سُبْحَانَهُ إِلَىٰ نَبِيّه مُحَمَّد، ومِنْهُ إِلَىٰ أَمِير المُؤمِنِين، وَمِنْهُ إِلَىٰ الْإِمَام الشَّهِيد، وَقَد صَدَق التَّأرِيخ ذَلِكَ، وَمَا نَقص مِنْهُ شَيء، فَلَم يَلبَث قَاتلُو

---

(١) أُنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٥ / ٤٢٥ ـ ٤٢٦ طَبعَة سَنَة ١٩٦٤م، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٣ / ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

(٢) يُونُس: ٧١.

(٣) هُود: ٥٦.

(٤) أُنظر، الفُتُوح لِابْن أَعْثَم: ٥ / ٧٩، مَقْتَل الحُسَين عليه السلام للخوَارزمي: ١ / ٢٢٦، مُثِير الأَحزَان: ٤٦، أَعيَان الشِّيعَة: ١ / ٥٩٥، اللُّهُوف فِي قَتلىٰ الطُّفُوف: ٢٩.

الحُسَين عليه السلام حَتَّىٰ دَارَ الزَّمن بهِم دَورَاته، وَضَربهُم بضَربَاته.

لقَد دَعَا نَبّي الله يَحيىٰ إِلَىٰ الوَاحد الأَحد، فَقَتلهُ جَبّار أَثِيم، وَأَهدىٰ رَأسَه بَطَست إِلَىٰ بَغي[1]، وَدعَا الحُسَين إِلَىٰ الحَقّ وَالعَدل، فَقَتله الطُّغَاة، وَأَهدُوا رَأسَه إِلَىٰ يَزيد اللَّعِين، وَقَتل زَكريَّا وَغَيره مِن الأَنْبيَاء، وَهُم يُبشرُون وَيَنذرُون، فَإذَا كَان الحُسَين قَد أَخطَأَ فِي اَستشهَاده مِن أَجل الحَقّ، وَالعَدل فَقَد أَخطَأَ إِذن الأَنْبيَاء، وَالأَوليَاء، وَالمُصلحُون الَّذِين قُتلُوا، وَشُردُوا فِي سَبِيل الله، وَإِعلاَء كَلمَة الحَقّ، وَإِلقَاء الحُجّة عَلىٰ المُبْطلِين.

قَالَ عَليّ بن الحُسَين: «مَا نَزل أَبي مَنْزلاً، أَو اَرتَحل عَنْهُ فِي مَسِيره إِلَىٰ العِرَاق إِلاَّ وَذَكر يَحيىٰ بن زَكريَا». وَقَالَ يَومَاً، «مِن هَوان الدُّنيَا عَلىٰ الله أَنَّ رَأس يَحيىٰ بن زَكرِيَّا أُهدي إِلىٰ بَغي مِن بَغَايا بَني إِسرَائِيل...»[2].

ذَكَر الحُسَين يَحيىٰ للشَّبه بَيْنَ الإِثْنَين، فَلقَد أُهديَ رَأس الحُسَين إِلَىٰ بَغي مِن بغَايَا الأُمويِّين الَّذِين كَانُوا أَشرّ، وَأَضرّ عَلىٰ العَرب، وَالمُسْلمِين مِن صهَاينَة هَذَا العَصر. نَكَث يَزِيد رَأس الحُسَين بالخَيزرَان عِناداً لله وَرَسُوله[3]، وَلأَنَّ في هَذَا

(١) أنظر، الفُتُوح لِابْن أَعْثَمْ: ٥ / ٤٢ مَقتل الإِمَام الحُسَين: ١ / ١٩٢، اللُّهُوف فِي قَتلىٰ الطُّفُوف: ١٢.

(٢) أُنظر، مُسْتَدرك الحَاكم: ٢ / ٢٩٠ و: ٣ / ١٧٨، كَنز العُمّال: ١٢ / ١٢٧ ح ٣٤٣٢٠، فَيض القَدِير: ١ / ٢٦٥، تَفسِير القُرطُبي: ١٠ / ٢١٩، الدّر المَنثُور: ٤ / ٢٦٤، تَأرِيخ اَبن عَسَاكر: ١٤ / ٢٢٥ و: ٦٤ / ٢١٦، بُغيَة الطَّلب فِي تَأرِيخ حَلب: ١ / ٩٣، تَأرِيخ بَغدَاد: ١ / ١٥٢.

(٣) أُنظر، سُنن التّرمذي: ٥ / ٦٥٩، موَارد الظَمآن: ١ / ٥٥٤، مُسْنَد أَبي يَعلىٰ: ٥ / ٢٢٨، المُعْجَم الكَبِير: ٣ / ١٢٥ و: ٥ / ٢٠٦ و ٢١٠، تُحفَة الأَحوَذي: ١٠ / ١٩١ و ٣٠٧، سِير أَعلاَم النُّبلاَء: ٣ / ٢٦١ و ٣١٥ و ٣٢٠، تَهذِيب الكَمَال: ٦ / ٤٣٤، تَأرِيخ وَاسط: ١ / ٢٢٠، فَضَائِل الصَّحَابة لأَحمَد: ٢ / ٧٨٣، تَأرِيخ الطَّبري: ٣ / ٣٠٠، الإِتْحَاف بِحُبِّ الأَشْرَاف الشَّيخ عَبدُ الله بنَ مُحمَّد بن عَامِر الشَّبرَاوي: ١٥٢، بِتَحقِّيقنَا.

الرَّأس الشَّرِيف عُلُوم القُرآن الكَرِيم، والرَّسُول العَظِيم.

أَيُهدىٰ إِلَىٰ الشَّامَات رَأس ٱبْن فَاطم
وَيَــقرَعهُ بــالخَيزرَانــة كَــاشحَه

وَتُسْـبىٰ كَـريمَات النَّـبيّ حـوَاسـرَاً
تُفَادي الجَوا مِـن ثَكـلهَا وَتُـرَاوحَـه

يَلُوح لهَا رَأس الحُسَـين عَـلىٰ القَـنَا
فَتَبكي وَيَـنْهَاها عَـن الصَّـبر لائِـحَه

رِضَا الله رِضَانَا أَهْل البَيت

مِن كَلاَم سَيِّد الشُّهدَاء أَبي عَبدالله الحُسَين عليه السلام :

« أَللَّهُمَّ ٱجْعَلني أَخْشَاك كَأَنّي أَرَاك ... وَٱجْمَعني عَلَيكَ بِخِدمَة تُوصلني إِلَيكَ ، وَكَيف يُسْتَدل عَلَيك بمَا هُو فِي وجُودِهِ مُفْتَقر إِلَيكَ ؟ ! أَيَكُون لغَيرك مِن الظُّهور مَا لَيْسَ لَكَ حَتَّىٰ يَكُون المظهر لَك ؟ ! مَتىٰ غِبْتَ حَتَّىٰ تَحْتَاج إِلَىٰ دَلِيل يَدل عَلَيك ؟ ! عُمِيَّت عَينٌ لاَ تَرَاك عَلَيهَا رَقيباً ، وَخَسرَت صَفْقَة عَبد لَم يَجْعل لهُ مِن حُبّك نَصيباً » [1] .

هَكَذا عَرف الله سُبْحَانَهُ أَئِمَّة أَهْل البَيْت عليهم السلام . عَرفُوه حَتَّىٰ كَأَنَّهُم يَرونَه وَجْهاً لوَجْه ، وَحَتَّىٰ كَأَنَّهُم يَسمعُون أَوَامره ، وَنَواهيه رَأساً وَبلاَ وَاسطَة ، لَقَد فَتَح الله لهُم أَبوَاب العُلُوم بربُوبِيَته وَعَظمَته ، وَأَضَاء لهُم طُرق الإِخلاَص لهُ فِي تَوحِيدَه وَطَاعَته ، وَشَرّفهُم بِالفَضَائِل عَلىٰ جَمِيع خَلقه ، فَمَا نَطقُوا إِلاَّ بكَلمَة الله ، وَمَا عَملُوا إِلاَّ بمَا يُرضي الله ، وَمَا قَطعُوا أَمراً ، إِلاَّ بأَمرٍ مِن الله . لمَّا عَزم الحُسَين عَلىٰ الخُرُوج إِلَىٰ العِرَاق قَام خَطيباً ، وَقَالَ :

« الحَمد لله مَا شَاء الله ، وَلاَ قُوّة إِلاَّ بِالله ، وَصلَّىٰ الله عَلىٰ رَسُوله ، خُطَّ المَوت عَلىٰ وِلد آدَم مَخطّ القِلاَدَة عَلىٰ جِيد الفَتَاة ، وَمَا أَوْلَهني إِلَىٰ أَسلاَفِي ٱشتِيَاق

---

(١) أُنظر ، كتَاب الإِقبَال لِابْن طَاوس : ٣٤٩ ، مِن دُعَاء الحُسَين يَوْم عَرفَة .

يَعْقُوب إِلَىٰ يُوسُف وَخير لِي مَصْرَع أَنَا لاَقِيه، كَأَنّي بِأَوصَالي تَقْطعهَا عُسلاَن الفَلوَات بَيْن النَّواوِيس، وكَرْبُلاَء فَيملأنَّ مِنّي أَكرَاشاً جُوفا، وَأَجربَة سَغْبا، لاَ مَحِيص عَن يَوْم خُطَّ بِالقَلم، رِضَا الله رِضَانَا أَهْل البَيْت نَصْبر عَلَىٰ بَلاَئهِ وَيُوفِينا أُجُور الصَّابِرين، لَنْ تَشُذَّ عَن رَسُول الله لُحْمَته بَل هِي مَجْمُوعَة لهُ فِي حَظِيرَة القُدس تُقرُّ بِهم عَيْنه، وَيُنْجز بِهم وَعْدَه، مَن كَانَ بَاذِلاً فِينَا مُهْجَتْه، وَمُوطِّناً عَلَىٰ لقَاء الله نَفْسه فَلْيَرحَل مَعَنا فَإِنّني رَاحل، مُصْبِحاً إِنَّ شَاء الله تَعَالىٰ»[١].

قِيل للإِمَام الصَّادِق عليه السلام: «بَأي شَيء يَعْلَم المُؤمن أَنَّه مُؤمن؟

قَالَ: بِالتَّسلِيم وَالرِّضا فِيمَا وَرَد عَلَيهِ مِن السُّرُور أَو السَّخط»[٢].

إِذَن لاَ يُقَاس المُؤمِن المُخلص بِالإِعتقَادَات وَالعِبادَات، وَإِنَّما يُقَاس إِيمَانه وَإِخلاَصه بِالتَّسلِيم لأَمر الله، وَطِيب نَفْسه بِمَا يُرضي الله، وَلَو كَان قَرضَاً بِالمقَارِيض، وَنَشراً بِالمَنَاشِير.

قَالَ أَمِير المُؤمِنِين: «أَوحىٰ الله إِلَىٰ دَاود: تُرِيد، وَأُرِيد، وَلاَ يَكُون إِلاَّ مَا أُرِيد، فَإِنْ أَسلَمتَ لمَا أُرِيد أُعطِيتَ مَا تُرِيد، وَإِنْ لَمْ تُسلم لمَا أُرِيد أَتْعبتُك فِيمَا تُرِيد، ثُمَّ لاَ يَكُون إِلاَّ مَا أُرِيد»[٣].

وَقَالَ: «... وَلاَ تُسْخِطِ اللهَ بِرِضَا أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، فَإِنَّ فِي اللهِ خَلَفاً مِنْ غَيْرِهِ، وَلَيْسَ مِنَ اللهِ خَلَفٌ فِي غَيْرِهِ...»[٤].

---

(١) أُنظر، شَرْح الأَخْبَار، القَاضي النُّعمَان المَغْربي: ١٤٦، كَشف الغُمَّة: ٢ / ٢٣٩، اللّهُوف فِي قَتْلَىٰ الطُّفُوف: ٢٥.

(٢) أُنظر، أُصول الكَافي: ٢ / ٦٢ ح ١٢.

(٣) أُنظر، توحِيد الصَّدُوق: ٣٣٧.

(٤) أُنظر، نَهج البَلاَغَة: مِن كتَابٍ لهُ عليه السلام تَحت رَقم (٢٧).

وَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَن طَلَب رِضَا مَخلُوق بسَخَط الخَالق سَلَّط الله عَـلَيهِ ذَلِكَ المَخلُوق»[١].

وَأَوضَح مِثَال عَلىٰ هَذِه الحَقِيقَة جَـزَاء ٱبْـن زِيَـاد لِابْـن سَـعد. قَـاتِل هَـذَا الحُسَين عليه السلام طَمعاً فِي مُلك الرَّي، فَحَرمهُ مِن المُلك، ثُمَّ سَلَّط الله عَلَيهِ المُختَار[٢] فَذَبحهُ عَلىٰ فرَاشه، وَحَرمَهُ الحَيَاة. ﴿فَانتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٣].

وَلَبىٰ أَصحَاب الحُسَين نداءهُ، وَرَحلُوا مَعَهُ، وَبَذلُوا مُهجهُم دُونه طَلَبَاً لمَرضَاة الله، وَرَغبَة بلقَائهِ وَثوَابه، فَلَقد كَان حَنْظَلَة بن أَسعَد الشَّبامي[٤] يَوْم الطَّفّ يَـقف بَيْنَ يَدي الحُسَين يَقيهِ السّهام، وَالرّمَاح، وَالسُّـيُوف بـوَجْههِ وَنَـحرهِ، وَيُـنَادي يَاقَوم! إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْل يَوْم الأَحْزَاب، مِثْل قَوْم نُـوحٍ، وَعَـادٍ، وَثَـمود، وَالَّذِين مِن بَعْدهِم: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾[٥]، ﴿وَيَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَـادٍ﴾[٦]. يَـا قَـوم لاَ تَـقْتلُوا حُسَـيناً: ﴿فَـيُسْحِتَكُم بِـعَذَابٍ وَقَـدْ خَـابَ مَـنِ

(١) أُنظر، تُحف العُقُول: ٥٢.

(٢) أُنظر، تَأريخ الطَّبري، «ثَورَة المُختَار»: ٤ / ٤٨٧ ـ ٥٧٧ و: ١٤٦/٧، الفَرق بَيْنَ الفِرق: ٣١ ـ ٣٧، الكَامِل لِابْن الأَثِير: ٨٢/٤ ـ ١٠٨، الحُور العِين: ١٨٢، الأَخبَار الطّوَال: ٢٨٢ ـ ٣٠٠، أَخبَار اليَمن: ٣٢، الفَاطميُون فِي مَصْر: ٣٤ ـ ٣٨.

(٣) ٱلرُّوم: ٤٧.

(٤) الشَّبامي: شَبَام بَطن مِن هَمدَان، مِن القَحطَانيَة (يَمن، عَرَب الجُنُوب) كُوفِي.

(٥) غَافِر: ٣١.

(٦) غَافِر: ٣٠ ـ ٣٢.

اَفْتَرَىٰ ﴾[١].

ثُمَّ قَالَ حَنْظَلة: السَّلاَم عَلَيكَ يَا أَبَا عَبدالله، صَلّىٰ الله عَلَيك وَعلىٰ أَهْلِ بَيْتك، وَعَرَّف بَينَنَا وَبَينك فِي جَنْته، وَقَاتل حَتَّىٰ قُتل رضوَان الله عَـلَيهِ[٢]، وَكَـان مِـن الَّذِين عَنَاهُم الله بقَولِهِ تَعَالىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفُ بِالْعِبَادِ ﴾[٣].

---

(١) طه: ٦١.

(٢) أنظر، تَارِيخ الطَّبَري: ٥ / ٤٤٣، مَقْتل الحُسَين: ٢ / ٢٤.

(٣) ٱلبَقَرَة: ٢٠٧.

رُوح النَّبيّ وَالوَصيّ

قَالَ عَبدالله بن عَمَّار، وَقَد شَهد مَعْركَة الطَّفّ: «مَا رَأيتُ مَكْثُوراً قطّ، قُتل وُلده وَأَهْل بَيْته، وَأَصحَابه أربَط جَأشَاً مِن الحُسَين، وَإِنْ كَانَت الرِّجَال لتَشدّ عَـلَيهِ، فَيَشدّ عَلَيهَا بسَيفهِ، فَتَنكَشف عَنْهُ إِنْكشَاف المِعزىٰ إِذَا شَـدّ فِـيهَا الذِّئب، وَكَـان يَحْمل فِيهِم، وَقَد تَكَاملُوا ثَلاَثِين أَلفَاً، فَيَنهزمُون بَيْنَ يَدَيه، كَأَنَّهُم الجَرَاد المُنْتَشر ثُمَّ يَرجَع إِلَىٰ مَركَزه، وَهُو يَقُول: «لاَ حَوْل وَلاَ قُوّة إلاَّ باللهِ العَليّ العَظِيم»»[1].

لَقَد دُهش هَذَا الرَّاوي مِن شَجَاعَة الحُسَين، وَمُضي عَزْمه، وَذُهل، وَهُو يَنْظُر إِلَيه، وَقَد شَدَّ عَلىٰ ثَلاَثِين أَلفَاً[2] فَتَنْكَشف عَنْهُ إِنْكشَاف المِعزىٰ إِذَا شَـدَّ عَـلَيهَا اللَّيث، لقَد دُهش وَذُهل، وَمَا دَرىٰ أَنَّه ٱبْن عَليّ القَائِل: «وَاللهِ لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ

---

(١) أُنظر، تَأرِيخ بَغدَاد: ٣ / ٣٣٤، شَرْح الأَخْبَار: ٢ / ١٦٤، اللُّـهُوف فِـي قَـتلىٰ الطُّـفُوف: ٤٩ و ٧٠، المُجْدي فِي أَنسَاب الطَّالبيِّين: ١٢، البدَايَة وَالنِّهايَة: ٨ / ٢٠٤، مَقْتَل الحُسَين لأَبي مَـخْنَف: ١٩٤، تَرجَمَة الإِمَام الحُسَين لِابْن عَسَاكر: ٣٣٣.

(٢) نَعْتَقد أَنَّ عَدَد الجَيْش الأُموي فِي كَرْبُلاَء يَتجَاوز الأَرْبعَة آلاَف، وَهُو العَدَد الَّذي يَبدُو مَقبُولاً لَدَىٰ المُؤرِّخِين. فَقَدْ وَرَد عَلَىٰ لسَان الطِّرمَّاح بن عَديّ فِي كَلاَمه مَع الحُسَين حِين لَقي الحُسَين فِي عَذِيب الهجَانَات، قَوْلهِ: «... وقَدْ رَأيتُ قَبل خرُوجي مِن الكُوفَة إِلَيك بيَوْم ظَهر الكُوفَة وفِيهِ مِن النَّاس مَا لَمْ تَر عَينَاي فِي صَعِيد وَاحد جَمعاً أَكْثَر مِنْهُ، فَسَأَلتُ عَنْهُم، فَقِيل: اجتمعُوا ليَعرضُوا، ثُمَّ يُسرحُون إِلَىٰ الحُسَين....أُنظر، الطَّبَري: ٥ / ٤٠٦. وَتَذكر كُتب المَقتل عِدّة رُوايَـات فِـي عَـدَد أَفـرَاد الجَـيْش الأُموي، أَقرَبهَا إِلَىٰ تَمثِيل الحَقِيقَة فِي نَظرنا أَنَّ العَدَد يَترَاوح بَيْن عِشرِين وَثَلاَثِين أَلفَاً.

عَلَىٰ قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا، وَلَوْ أَمْكَنَتِ الْفُرَصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا»[١].

وَتَعَجُّب الرَّاوِي مِن صَبْر الحُسَين وَإِيمَانه، وَنَسِي أَنَّه ٱبْن مَن خَاطَب الله بِقَولِهِ: «أَللَّهُمَّ أَنَّك تَعْلَم لَو أَنِّي أَعلَم أَنَّ رِضَاك فِي أَنْ أَضَع ظَبَّة سَيفي فِي بَطْني، ثُمَّ ٱنْحَنِي عَلَيهِ حَتَّىٰ يَخرج مِن ظَهري لفَعَلتُ»[٢].

أَنَّ أَهْل البَيْت لاَ يُقيمُون وَزنَاً لشَيء فِي هَذِه الحَيَاة، وَلاَ يَكْتَرِثُون، وَلَو مُلِئَت الأَرْض عَلَيهِم خيلاً، وَرجَالاً، وَيَصبرُون عَلىٰ التَّضْحيَة بالنَّفس، وَالنِّسَاء، وَالأَطفَال، وَيُطيقُون كُلّ حَمل إِلاَّ سَخط الله وَغَضبه، فَإِنَّهُم يَفرُّون مِنْهُ، وَيَعْجزُون عَنْهُ، وَلاَ يَسْتَطيعُون الصَّبر عَلىٰ اليَسِير مِنْهُ، مَهمَا تَكُن الظُّرُوف.

وَهُنا تَبرز خَصَائِص الإِمَامَة، وَالعِصْمَة[٣]، وَنَجد السّر الَّذي يُمَيِّز أَهْل البَيْت عَن غَيرهِم مِن النَّاس الَّذِين يَصْعب عَلَيهم كُلّ شَيء إِلاَّ مَعصيَة الله، فَإِنّها أَهوَن عِندَهُم مِن التَّنفس، وَشِرب المَاء، أَنَّ الحُسَين بَشَر يَأكل الطَّعام، وَيَمشي فِي الأَسوَاق، وَلكنَّهُ يَحمل صِفَة تَجْعَله فَوق النَّاس أَجْمَعِين، وَقَد أَشَار النَّبيّ صلى الله عليه وآله إِلَىٰ هَذِه الصِّفَة بقَولِهِ: «حُسَين مِنّي، وَأَنَا مِن حُسَين»[٤]، وَمُحَمَّد مَن نُور الله،

---

(١) أنظر، نَهج البَلاَغَة: الرِّسَالَة «٢٥».

(٢) أنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ١/ ٣٣١٧ و: ٤/ ٢٢ و: ٥/ ٣٨، فِي عُنوَان «مَقْتَل عَمَّار....»، المِعيَار المُوَازنَة: ١٣٦، وَقعَة صِفِّين لنَصر: ٣٢٠، سِير أَعلاَم النُّبلاَء: ٦/ ٦٥، الإِصَابَة: ٤/ ٧٦٩.

(٣) ٱستَدل عُلمَاء الشِّيعَة عَلىٰ عِصمَة الإِمَام بِأَنَّ الغَايَة مِن وجُودَه إِرشَاد النَّاس إِلَىٰ الحَق، وَرَدعهم عَن البَاطل، فَلو أَخطَأ أَو عَصىٰ لكَان كَمن يُزيل القَذَارَة بمِثلهَا، وَلاَفْتَقر الإِمَام إِلَىٰ آخر، وَيَتسلسَل. وَهَذَا دَلِيل نَظري، أَمَّا الدَّلِيل العَملي المَلمُوس عَلىٰ عِصمَة عَليّ وَأَولاَده الأَئِمَّة فَسِيرتهم وَتَضحيَاتهم فِي سَبِيل الحَق، وَالعَدَالَة، وَكَفىٰ بمَوقف الحُسَين دَلِيلاً قَاطعاً، وَبُرهَاناً سَاطعاً عَلىٰ عِصْمَتِهِ. (مِنْهُ رحمه الله).

(٤) أنظر صَحِيح التِّرمذي: ١٣/ ١٩٥، و: ٥/ ٦٥٦/ ٣٧٧٥، و: ٢/ ٣٠٧، سُنن ٱبن مَاجه: ١/ ٥١ ح ↔

فَالحُسَين، إِذَن مِن نُور الله، وَقَد عَلَّق الأُستَاذ العَلاَيلي عَلىٰ هَذَا الحَدِيث: «بأَنَّه يُفِيد الإمتزَاج، وَالإتحَاد»[1].

قَالَ الأُستَاذ العَقَّاد فِي كتَاب «أَبُو الشُّهدَاء»:

«ظَل الحُسَين عَلىٰ حُضُور ذِهنه، وَثبَات جَأشَه فِي تِلكَ المِحْنَة المُترَاكمَة الَّتي تَعْصف بِالصَّبر، وَتَطِيش بِالأَلبَاب... وَهُو جُهد عَظِيم لاَ تَحتَويه طَاقَة اللَّحم وَالدَّم. فَإِنّه ﷺ كَان يُقَاسي جُهد العَطش، وَالجُوع، وَالسَّهر، وَنَزف الجُرَاح، وَمُتَابعَة القِتَال، وَيُلقي بَاله إِلَىٰ حَركَات القَوم وَمكَائِدهُم، وَيُدبّر لرَهْطِه مَا يَحْبطُون بِه تِلْكَ الحَركَات، وَيَتّقُون بِهِ تِلْكَ المَكَائِد، ثُمَّ يَحْمل بَلاَءَهُ وَبَلاءهُم. وَيَتكَاثر عَلَيهِ وَقر الأَسىٰ لَحظَة بَعد لَحظَة، كُلَّما فُجع بشَهِيد مِن شُهدَائهم. وَلاَ يَزَال كُلَّما أُصِيبَ عَزِيز حَمَلهُ إِلَىٰ جَانب إِخوَانه، وَفِيهِم رَمق يُنَازعهُم وَيُنَازعُونه، وَيَنسُون فِي حَشرجَة الصُّدُور مَا فِيهِم... فَيطلبُون المَاء، وَيَحزُّ طَلبهُم فِي قَلْبِهِ كُلَّما أَعيَاه الجوَاب، وَيَرجع إِلَىٰ ذَخِيرَة بَأسِه، فَيَستَمد مِن هَذِه الآلاَم الكَاويَة عَزمَاً يُنَاهض بِهِ المَوت، وَيَعرض بِهِ عَن الحَيَاة... وَيَقُول فِي أَثر كُلّ صَرِيع: «لاَ خَير فِي العَيش بَعْدَك»[2].

↔ ١٤٤، مُسْنَد أَحمَد: ٤ / ١٧٢، المُسْتَدرك عَلىٰ الصَّحيحَين: ٣ / ١٧٧، تَهذِيب الكَمَال: ٧١، أُسد الغَابَة: ٢ / ١٩، و: ٥ / ١٣٠، تَيسِير الوصُول: ٣ / ٢٧٦، مَقتَل الحُسَين للخوَارزمي: ١ / ١٤٦، البُخاري فِي الأَدَب المُفرد: ح ٣٤٦، كَنْز العُمّال: ٦ / ٢٢١، و: ١٦ / ٢٧٠، و: ١٣ / ١٠١ و ١٠٥ و ١٠٦، و: ١٢ / ١٢٩ ح ٣٤٣٢٨، و: ٧ / ١٠٧، المُعْجَم الكَبِير للطَّبَراني: ٣ / ٣٢.

(١) أُنظر، سمُو المَعنى فِي سمُو الذَّات: ٧٨ طَبعَة (١٩٣٩م).

(٢) أُنظر، كتَاب «أَبُو الشُّهدَاء الحُسَين بن عَليّ»: ١٧٦، طَبعَة القَاهرَة.

« لاَ حَوّل وَلاَ قُوّة إِلاَّ باللهِ العَليّ العَظِيم »[(١)].

يَمُس أَحدنَا الخَطب مَسّاً خَفِيفاً فَيَملاء الدُّنْيَا صُرَاخاً وَعَويلاً، وَيَمْتَحنه الله بِنَقصٍ مِن المَال أَو الأَهْل، فَيَخرج مِن عَقْلِهِ وَدِينهِ، وَيَجرأ عَلىٰ خَالقهِ بِأَلفَاظ تَصم مِنْهَا المَسَامع، وَتَخرس لهَا الأَلسُن. وَتَنهَال السّهام، وَالسُّيُوف، وَالرِّمَاح عَلىٰ الحُسَين، وَيَتفجّر جَسَدَه الشَّرِيف بِالدِّمَاء، وَيَتسَاقط القَتلىٰ مِن أَوْلاَدهِ، وَأَصحَابه بِالعَشرَات، وَهُو يَنْظُر إِلَيهم، ثُمَّ لاَ يَزِيد عَلىٰ قَول: « لاَ حَوّل وَلاَ قُوّة إِلاَّ باللهِ العَليّ العَظِيم »، أَجل، لقَد قَالَ حِينَ سَقَط عَلىٰ الأَرْض مُخَاطباً رَبّه، وَهُو يُسلّمه النَّفس الأَخِير:

« أَللَّهُمَّ أَنَّك قَرِيب إِذَا دُعِيت، مُحِيط بمَا خَلَقت، قَابل ٱلتَّوْبَة لمَن تَاب إِلَيك، قَادر عَلىٰ مَا أَردَت... أَدعُوك مُحتَاجاً، وَأَرغَب إِلَيكَ فَقِيراً، وَأَفزَع إِلَيكَ خَائِفاً »[(٢)].

أَنْتَ خَائِف مِن رَبّك يَا أَبَا عَبدالله، وَغَيرك فِي أَمَان مِن عقَابه!. وَمِن أَي شَيء تخَاف! مِن ظُلمك وَطُغيَانك... وَمَا ظُلم أَحَد فِي الكَون كمَا ظُلمت.. أَو مِن تَهَاونك بأَمر الله، وَكُنتَ تُصلّي لهُ فِي اليَوْم وَاللَّيلَة أَلف رُكعَة!. أَو مِن سكُوتك عَن حُكّام الجَور، وَتَرك الأَمر بِالمَعرُوف. وَمَا ضَحىٰ أَحد فِي هَذِه السَّبِيل كمَا ضَحيت!.. أَو تَخشىٰ جُبنَك وَخَورك، وَقَد لاَقيتَ ثَلاَثِين أَلفاً بصَدرك، وَقَلبَك، وَكُنتَ عُنوَاناً لصَبر الأَنْبيَاء، وَمثَال الشَّجَاعَة، وَالإِبَاء لكُلّ جِيل كَان وَيَكُون!...

(١) أُنظر، تَأرِيخ بَغدَاد: ٣ / ٣٣٤، شَرْح الأَخْبَار: ٢ / ١٦٤، اللُّهُوف فِي قَتلىٰ الطُّفُوف: ٤٩ و ٧٠، المُجْدي فِي أَنْسَاب الطَّالبيِّين: ١٢، البدَايَة وَالنِّهايَة: ٨ / ٢٠٤، مَقْتَل الحُسَين لأَبي مَخْنَف: ١٩٤، تَرجَمَة الإِمَام الحُسَين لِابْن عَسَاكر: ٣٣٣.

(٢) أُنظر، مِصبَاح المُتهجّد: ٨٢٧، إِقبَال الأَعمَال: ٣ / ٣٠٤.

إذاً مَاذَا أَرَاد الحُسَين بقَوله: «وَأَفْزَع إلَيكَ خَـائِفاً»[١]. أنَّـه أَرَاد أَنْ يَـقُول لله سُبْحَانَهُ: عَلىٰ الرَّغم مِن كُلّ مَا حَلَّ بِي يَا إلٰهي فَأَنَا طَيِّب النَّـفس، صَـابر عَـلىٰ امتحَانك وَبلاَئك، رَاض بحُكمك وَقضَائك، وَمَا أَنَا بـمُتَأَلم وَلاَ مُـتَبرم، لأنَّـه لاَ مَطمَح لِي إلاَّ رِضَاك، فَإنْ تَأَلمتُ وَخفتُ مِن شَيء فَإنَّما أَخَاف أنْ تَمْنَعني حُبّك وَقُربَك.

وَهُنَا يَقف العَقل حَائِرَاً وَمُتسَائِلاً: هَل فِي الكَون أعظَم، وَأَكبَر مَنْزِلَة عِندَ الله مِن الحُسَين؟؟ هَل ضَحّىٰ أَحد فِي سَبِيل الله، وَالحَقّ كمَا ضَحّىٰ الحُسَين، وَهَل وجِدَ مَن هُو فِي عُمقهِ وَرحَابَته؟! وَلَو أبتُلي أَحد بمَا أُبتُلي بِهِ الحُسَـين لوَجـدنَا وَجْهَاً للموَازنَة وَالمُقَارنَة. لقَد سَمعنَا بمَن ضَحّىٰ بنَفْسهِ، أَو بمَالهِ، أَو بأَولاَدهِ، أَمَّا مَن ضَحّىٰ بكُلّ هَذِه مُجْتَمعة، أَمَّا مَن ذُبح أَطفَاله الصِّغَار وَالكبَار، وَقُتل جَـمِيع أَهْل بَيْته وَأَصحَابه، وَسُبيَت نسَاؤه، وَأُحرقَت دِيَاره، وَنُهبَت أَموَاله، وَرُفع رَأسَه عَلىٰ الرُّمح، وَوطَأت الخَيل صَدْرَه وَظَهرَه، أَمَّا كُلّ هَذِه مُجْتَمعَة فَلَم تَكُن لأَحد غَير الحُسَين، وَلَن تَكُون أَبداً! وَبالتَالي، فَإنّنَا نَتسَاءل: هَل فِي الكَون أَعظَم مِن الحُسَين؟ ونَحْنُ نُؤمن بأَنّه الصُّورَة الكَاملَة لعَظمَة جَدّه مُحمَّد، وَأَبيه عَليّ.

---

(١) أُنظر، المَصدَر السَّابق.

خُرُوج الإِمَام بِأَهْلِهِ

قَامَت المَرْأة بدَورٍ هَام فَي وَقْعَة الطَّفّ، وَكَان لهَا أَبْعَد الأَثَر فِي الكَشف عَـن مَخَازي الأُمويِّين، وَٱنْهيَار حُكمهم، وَتَألّب النَّاس عَلَيهم، فَمِن النِّسَاء مَن دَفَعَت بِٱبْنهَا أَو زَوْجهَا إِلَىٰ القَتْل بَيْنَ يَدي الحُسَين تَقَرُّباً إِلَىٰ الله، وَالرَّسُول، كمَا فَعَلت أُمّ وَهَب وَزَوّجَته، وَمِنْهُنَّ مَن حَملنَّ السِّلاح للدِّفَاع عَن نِسَاء النَّبيّ وَأَطفَاله، وَمِنْهُنَّ مَن تَظَاهرنَّ ضِدّ حُكَّام الجَور الَّذِين قَتلُوا ٱبْن بِنْت رَسُول الله، وَرَشقنَّ جَـيْش الطُّغَاة بِالحِجَارَة هَاتفَات بِسَب يَزِيد وٱبْن زِيَاد.

أَرسَل الحُسَين رَسُولاً إِلَىٰ زُهَير بن القَين ليَأتِيه، وَلمَّا دَخَـل عَـلَيهِ الرَّسُـول وَجَدهُ مَع قَومه يَتغَذُون، وَحِين أَبْلَغهُ رِسَالَة الحُسَين طَرَح عَلىٰ كُلّ إِنْسَان مَا فِي يَده، وَجَمُدَ حَتَّىٰ كَأَنَّ عَلىٰ رَأسهِ الطَّير، فَالتَفتَت ٱمرَأة زُهَير، وَقَالَت: يَا سُبْحَان الله! أَيَبعَث إِلَيكَ ٱبْن رَسُول الله، ثُمَّ لاَ تَأتيهِ؟! فَذَهب زُهَير إِلَىٰ الحُسَين، وَمَا لَبثَ أَنْ جَاء مُسْتَبشراً مُشرق الوَجْه، وَقَالَ: قَد عَزَمت عَلىٰ صُحبَة الحُسَين لأُفـدِيه بِنَفسي، وَاقِيه برُوحي، ثُمَّ التَفتَ إِلَىٰ زَوّجَته، وَقَـالَ لهَـا: أَنْتِ طَـالق، إِلحَـقي بأَهلكِ، فَإِنّي لاَ أُحبّ أَنْ يُصيبُك بسَببي إِلاَّ خَير، وَأَعطَاهَا مَا لهَا، وَسَلّمهَا إِلَـىٰ بَعْض أَهلهَا. فقَامَت إِلَيه، وَبَكت وَوَدعَته قَائِلة: «كَان الله عَوناً وَمُعِيناً لَكَ، خَار

الله لَكَ ، أسأَلك أَنْ تَذكُرني يَوْم القِيَامَة عِندَ جَدّ الحُسَين »[١] .

لَقَد دَفَعت هَذِه الحُرّة المَصُونَة المُؤمِنَة بزَوّجها إِلَىٰ سَعَادَة الدّارَين وَنَالَت الدَّرجَات العُلىٰ عِندَ الله وَالنَّاس ، فَمَا زَال ٱسمهَا يُعْلَن عَلىٰ المَنَابر وَيُدوّن فِي الكُتب مَقرُوناً بِالحَمْد وَالثَّناء إِلَىٰ يَوْم يُبْعثُون ، وَهي فِي الآخرَة مَع جَدّ الحُسَين وَأَبيهِ وَأُمّه ، وَحَسُن أُولَئك رَفِيقاً ، وَهكَذا المَرأَة العَاقلَة المُؤمِنَة تَدفَع بزَوّجها إِلَىٰ الخَير ، وَتَردَعهُ عَن الشَّر مَا ٱستطَاعَت إِلَىٰ ذَلِكَ سَبِيلاً .

وَكَانَت ٱمرَأَة مِن بَني بَكْر بن وَائل مَع زَوّجها فِي أَصحَاب عُمَر بن سَعد ، فَلَمَّا رَأَت القَوْم قَد ٱقْتَحمُوا عَلىٰ أَطفَال الحُسَين ، وَنسَاؤه هَاربَات حَاسرَات ، يَسْتغثنَّ وَيَندبنَّ ، وَلاَ مُغيث ، أُسودَّ الكَون فِي وَجههَا ، وَفَار الدَّم فِي قَلبهَا وَعُروقهَا ، وَأَخذَت سَيفاً ، وَأَقْبلَت نَحو الفُسطَاط مُنَاديَة : يَا آل بَكْر أَتُسلَب بنَات رَسُول الله ؟ ! لاَ حُكم إِلا لله ! يَا لثَارَات رَسُول الله ! فَأَخذهَا زَوّجهَا ، وَردهَا إِلَىٰ رَحْلهِ[٢] .

وَلَيْسَ مِن شَكٍ أَنَّ ثَورَة هَذِه السَّيِّدَة النَّبِيلَة قَد بَعَثت الإِستيَاء وَالنّقمَة عَلىٰ الأُمويِّين ، وَمَلأت النُّفُوس عَلَيهِم وَعَلىٰ سلطَانِهم حِقداً وَغيظاً ، وَكُلّ مَا حَدَث فِي كَرْبَلاَء ، وَفِي الكُوفَة ، وَفي مَسِير السَّبَايَا إِلَىٰ الشَّام كَان مِن أَجدىٰ الدّعَايَات وَأَنْفعهَا ضِدّ الأُمويِّين .

أَمَر ٱبْن زِيَاد أَنْ يُطَاف بِالرَّأس الشَّرِيف فِي أَزقّة الكُوفَة يُهَدد بِهِ كُلّ مَن تُحَدّثه

(١) أُنظر ، تَأرِيخ الطَّبري : ٤ / ٢٩٨ ، مَقْتَل الحُسَين عليه السلام ، لأَبي مَخْنَف : ٧٤ و ١١٣ ، رَوضَة الوَاعِظِين : ١٧٨ ، مَقْتَل الحُسَين للخوَارزمي : ٢ / ٤ ، و : ٤ / ٣٢٠ ، إِعلاَم الوَرَىٰ : ١ / ٤٥٧ ، الإِرشَاد للشَّيخ المُفِيد : ٢ / ٩٥ ، مَنَاقب آل أَبي طَالب : ٣ / ٢٥٠ ، البِدَايَة وَالنّهَايَة : ٨ / ١٩٣ ، الأَخبَار الطّوَال : ٢٥٦ ، تَأرِيخ الطَّبري : ٥ / ٣٩٦ ـ ٣٩٧ .

(٢) أُنظر ، اللُّهُوف فِي قَتلىٰ الطُّفُوف : ٧٨ .

نَفْسه بِالخُرُوج عَن طَاعَتِهِ، وَطَاعَة أَسيَاده، فَكَان هَذَا التَّطوّف خَير وَسِيلَة لِنَشر الدَّعوَة العَلويَة، وَمَبدأ التَّشيُّع لأَهْل البَيْت، وَلَعن مَن شَايَع، وَبَايَع، وَتَابَع عَلىٰ قَتْل الحُسَين، وَسَلاَم الله عَلىٰ السَّيِّدَة الحَورَاء حَيْث قَالَت لِيَزِيد: «فَوَالله مَا فَرَيت إِلاَّ جِلدَك، وَمَا حَزَزت إِلاَّ لَحْمك»[1].

وَبَعد الطَّوَاف بِالرَّأس أَرْسَلهُ ٱبْن زِيَاد وَسَائر الرُّؤوس إِلَىٰ يَزِيد مَع أَبي بُردَة، وَطَارق بن ضَبَّان فِي جَمَاعَة مِن أَهْل الكُوفَة، ثُمَّ أَمَر بنسَاء الحُسَين وَصِبيَانه فَشُدّوا بالحِبَال عَلىٰ أَقتَاب الجِمَال مَكشُوفَات الوجُوه، وَمَعهُم الإِمَام زَين العَابِدِين قَد وضْعَت الأَغلاَل فِي عُنُقِهِ، وَسَرّح بِهِم ٱبْن زياد مَع مَحْفَر بن ثَعْلبَة وَشِمر بن ذِي الجَوشن[2]، فَأَسرعَا حَتَّىٰ لَحقَا بالقَوم الَّذِين مَعْهُم الرُّؤوس، وَكَانُوا إِذَا مَرّوا بِبَلدٍ ٱستَقبلهُم أَهْله بِالمُظَاهرَات، وَالهُتَافَات المُعَاديَة، وَرَشقتهُم النِّسَاء وَالأَطفَال بِالحِجَارَة يَصرخُون بِهِم: يَا فَجرَة، يَا قَتلَة أَوْلاَد الأَنْبيَاء.

سَبَوا الأَطْفَال، والنِّسَاء، وَطَافُوا بهنَّ وَبالرُّؤوس لِيَقضُوا عَلىٰ مَبدَأ عَليّ وَأَبنَاء عَليّ، فَكَان السَّبي، وَالتَّطوّاف، ضَربَة مُمِيتَة لَهُم وَلسلطَانهم، وَوَسِيلَة حَقَّقت الغَايَة الَّتي أَرَادهَا الحُسَين مِن نَهضَته، فَلَقد أَثَار السَّبي الأَحزَان، وَالأَشجَان فِي كُلّ نَفْس، وَزَاد مِن فَجَائع الوَاقعَة المُؤلمَة، وَكَشف أَسرَار الأُمويِّين للقَاصي وَالدَّاني، وَظَهرَت قَبَائحهُم وَمخَازيهم للعَالِم وَالجَاهل، وَٱستَبَان للمُسْلِمين فِي

---

(١) أُنظر، الإِحْتِجَاج: ٢ / ٣٦، مُثِير الأَحزَان لِابْن نَما: ٨١، مَقْتَل الحُسَين لأَبي مَخْنَف الأَزدي: ٢٢٧.

(٢) أُنظر، الكَامل لِابْن الأَثِير: ٤ / ٩٢، مِيزَان الإِعتدَال: ١ / ٤٤٩، لسَان المِيزَان: ٣ / ١٥٢، تَارِيخ عُلمَاء الأَندُلس: ١ / ١٦٦، جَمْهرَة الأَنْسَاب: ٢٧٠، اللُّبَاب: ٢ / ٦٩، المُحبّر: ٣٠١، تَارِيخ الطَّبَري: ٤ / ٣٤٩ و: ٥ / ٤٥٥ ـ ٤٥٦، مُثِير الأَحزَان: ٦٥، اللُّهُوف فِي قَتْلىٰ الطُّفُوف: ٦٠، الإِرشَاد للشَّيخ المُفِيد: ٢ / ١٦٣، الأَخبَار الطِّوَال: ٢٥٩، مَقْتل الحُسَين لأَبي مَخْنَف: ٢٠٤.

كُلّ مَكَان وَزَمَان إِلاَّ الأُمويِّين أَعدىٰ أَعدَاء الإِسلاَم يُبطنُون الكُفر، وَيُظهرُون الإِيمَان رِيَاءٍ وَنِفَاقاً.

وَبِذَلِكَ نَجد الجَوَاب عَن هَذَا السُّؤال: لِمَاذَا صَحِبَ الحُسَين مَعَهُ النِّسَاء والأَطْفَال إِلَىٰ كَرْبُلاَء؟! وَمَا كَان أَغْنَاه عَن تَعرضِهم للسَّبي وَالتَّنكِيل؟!.

لَقَد صَحبهُم مَعَهُ الحُسَين ليَطُوفُوا بِهِم فِي البُلدَان، وَيَرَاهُم كُلّ إِنْسَان مُكشّفَات الوجُوه، يَقُولُون للنَّاس ـ وَفي أَيدِيهِم الأَغلاَل وَالسَّلاسل ـ: «أَيُّها النَّاس أُنْظُروا مَا فَعَلت أُمَيَّة الَّتي تَدّعي الإِسلاَم بآل نَبِيّكُم».

نُقلَ عَن السِّبط ابْن الجَوزي عَن جدّه أَنَّه قَالَ: «لَيْسَ العَجَب أَنْ يَقْتُل ابْن زِيَاد حُسَيناً، وَإِنَّما العَجَب كُل العَجَب أَنْ يَضرب يَزِيد ثَنَايَاه بالقَضِيب، وَيَحمل نسَاءه، سَبَايا عَلىٰ أَقتَاب الجِمَال!...»[1]. لَقَد رَأىٰ النَّاس فِي السَّبَايَا مِن الفَجِيعَة أَكثَر مِمَّا رَأوا فِي قَتْل الحُسَين، وهَذَا بِعَينهِ مَا أَرَادهُ الحُسَين مِن الخُرُوج بالنِّسَاء وَالصِّبيَان، وَلَو لَم يَخْرج بهُنَّ لمَا حَصَل السَّبي وَالتَّنكِيل، وَبالتَالي لَمْ يَتحقَّق الهَدَف الَّذي آرَاه الحُسَين مِن نَهْضَته، وَهُو إِنْهيَار دَولَة الظُّلم، وَالطُّغيَان.
وَلَو اُفْتُرِض أَن السَّيِّدَة زَيْنَب بَقيَت فِي المَدِينَة، وَقُتلَ أَخُوهَا فِي كَرْبُلاَء فَمَاذَا تَصْنَع؟! وَأَي عَمَل تَسْتَطِيع القِيَام بِهِ غَير البُكَاء وَإِقَامَة العَزَاء؟!.

وَهَل تَرضىٰ لنَفسهَا، أَو يَرضىٰ لهَا مُسْلِم أَنْ تَركَب جَملاً مَكشُوفَة الوَجْه

---

(١) أُنظر، تَذكرَة الخوَاصّ: ١٤٨ طَبْعَة لَكنهُو، صُورَة الأَرْض لِابْن حَوقل: ١٦١، الكَامل لِابْن الأَثِير: ٤ / ٣٥، مُروج الذّهب للمَسعُودي: ٢ / ٩١، وَالعِقد الفَرِيد: ٢ / ٣١٣، أَعلاَم النِّسَاء: ١ / ٥٠٤، وَمَجْمع الزّوائد: ٩ / ١٩٨، الشِّعر وَالشُّعراء: ١٥١، الأَشبَاه وَالنَّظائِر: ٤، الأَغَاني: ١٢ / ١٢٠، الفُتُوح لِابْن أَعْثَم: ٥ / ٢٤١، شَرْح مقَامَات الحرِيري: ١ / ١٩٣، البدَايَة وَالنّهايَة: ٨ / ١٩٧، الطَّبري فِي تَأرِيخه: ٦ / ٢٦٧، و: ٤ / ٣٥٢، الآثَار البَاقِية للبِيرُوني: ٣٣١ طَبعَة أُوفسيت، قَرِيب مِنْهُ.

تَنْتَقل مِن بَلدٍ إِلَىٰ بَلَد تُؤلّب النَّاس عَلىٰ يَزِيد، وٱبْن زِيَاد ؟! وَهل كَان يَتسَنىٰ لهَا الدُّخُول عَلىٰ ٱبْن زِيَاد فِي قَصْر الإِمَارَة، وَتَقول لهُ فِي حَشْدٍ مِن النَّاس: «الحَمْد لله الَّذي أَكرمنَا بنَبيه مُحَمَّد، وَطَهرنَا مِن الرِّجس تَطْهِيراً، إِنَّما يُفْتَضح الفَاسق، وَيُكذِّب الفَاجر، وَهُو غَيرنَا وَالحَمد لله»[1]؟! وَهَل كَان بِإمْكَانهَا أَنْ تَدخُل عَلىٰ يَزِيد فِي مَجْلسهِ وَسُلطَانه، وَتُلقي تِلْكَ الخُطَب الَّتي أَعْلَنَت بهَا فِسْقه، وَفجُورَه، وَلَعن آبَائه، وَأَجدَاده عَلىٰ رُؤوس الأَشْهَاد ؟!.

أَنَّ السَّيِّدَة زَيْنَب لاَ تَخرُج مِن بَيْتهَا مُختَارَة، وَلاَ يَرضىٰ المُسْلِمُون لهَا بِالخُرُوج مَهمَا كَان السَّبَب، حَتَّىٰ وَلَو قَطَّع النَّاس يَزِيد بأسنَانهِم، وَلَكن الأُمويِّين هُم الَّذِين أَخرجُوهَا، وَهُم الَّذِين سَارُوا بهَا، وَهُم الَّذِين أَدْخَلُوهَا فِي مَجَالسهِم، وَمَهدُوا لهَا طَرِيق سَبّهم وَلَعْنهم، وَالدّعَايَة ضِدّهُم وَضِدّ سُلطَانهم.

وَمَرَّة ثَانِيَة نَقُول: هَذِه هِي المَصْلَحة فِي خُرُوج الحُسَين بنسَائهِ وَأَطفَاله إِلَىٰ كَرْبُلاَء، وَمَا كَان لأَحد أَنْ يُدركهَا فِي بِدء الأَمر إِلاَّ الحُسَين وَأُخْته زَيْنَب، عَهْدٌ إِلَىٰ الحُسَين مِن أَبيهِ عَليّ عَن جَدّه مُحَمَّد عَن جِبرِيل عَن رَبّ العَالمِين. سرّ لاَ يَعْلَمهُ إِلاَّ الله، وَمَن ٱرتضَاه لِعلمهِ ورسَالَته.

(١) أنظر، الإِرشَاد: ٢ / ١١٥، إِعلاَم الوَرىٰ بِأَعلاَم الهُدَىٰ: ١ / ٤٧١، يَنَابِيع المَودَّة لذَوي القُرْبَىٰ: ٣ / ٨٧.

مَا ذَنْبُ أَهْل البَيْت

سُؤال رَدَّدَتهُ الأَجْيَال مُنذ القَدِيم، وَيُرَدّدهُ الآن كُلّ إِنْسَان، وَسَيَبقىٰ خَالداً إِلَىٰ آخر يَوْم لاَ يَقْطَعه مُرُور الزَّمن، وَلاَ تَحُول دُونَهُ الحَوَادث وَإِنْ عَظُمَت.

سُؤال نَظْمَهُ الشُّعرَاء فِي آلآف القَصَائِد، وَدَونهُ الكُتَّاب فِـي مِـئَات الكُـتب، وَأَعْلَنهُ الخُطبَاء عَلىٰ المَنَابر فِي كُلّ جُزء مِن أَجْزَاء المَعْمُورَة.

سُؤال رَدَّدَهُ المُؤمِن وَالجَاحد، وَالكَبِير وَالصَّغِير حَتَّىٰ الأَطْفَال.

سُؤال كَبِير فِي مَعْنَاه، صَغِير فِي مَبْنَاه يُعَبَّر عَنْهُ بكَلمَتَين فَقط، وَهَذَا هُو:

مَـــا ذَنْبُ أَهْـــل البَـــيْت	حَتَّىٰ مِنْهُم أَخلُوا ربُــوعَه
تَـــركُوهُم شَـــتّىٰ مَـــصَا	ئِـــبهُم وَأَجْـمَعها فَـظِيعَه
فَـــمُغَيَّب كَـــالبَدْر تَـــر	تَقْب الوَرىٰ شَوقَاً طُلُوعه
وَمُكَـــابد للسُّـــم قَـــد	سُـقِيَت حشَـاشَتهُ نَـقِيعَه
وَمُـــــضَرجٌ بِـــالسَّيف آ	ثَر عِـزّه وَأَبـىٰ خُـضُوعه
وَمُـــــصَفّد لله سَـــــلَّم	أَمـر مَـا قَـاسىٰ جَـمِيعَه
وَسَـــلِيبَة بَـــاتَت بأَفْـعىٰ	الهَـــمّ مُـــهْجَتهَا لَسِـــيعَه

وَمَرَّة ثَانِيَة

مَا ذَنّبُ أَهْل البَيْت حَتَّىٰ مِنْهُم أَخلُوا ربُوعَه ؟!.

وَأي ذنْب أَعْظَم مِن ذنْب الحرّة الطّاهرَة عِندَ الفَاجرَات العَاهرَات ؟ ! وَأي جُرْم أَكْبَر مِن جُرْم الأَمِين المُجَاهد فِي سَبِيل الله عِندَ الخَونَة الّذِين بَاعُوا دِينَهُم وَضَمَائِرهُم للشَّيطَان ؟ ! وَأي إسَاءَة تُعَادل إسَاءَة المُحق عِندَ المُبطلِين ؟ ! وَأي عدَاء أَقوىٰ مِن عدَاء الجَهلَة السُّفهَاء للعَالم الشَّرِيف ؟ ! .

أَلاَ يَكفي أَهْل البَيْت مِن الذُّنُوب أَنْ يَشْهَد القرآن بقَدَاستهِم وَتَطهيرهِم ، وَأَنْ تُعْلِن الإِذَاعَات فِي شَرق الأَرْض وَغربهَا فِي كُلّ يَوْم ، وَفِي كُلّ صَبَاح وَمَسَاء : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[1] ؟ ! أَلاَّ يَكفي

---

(١) لاَ بُدّ لنَا مِن تَحدِيد مَعْنَىٰ (الأَهْل) لُغَةً واصْطلاَحاً ـ كمَا وَرَدت فِي كتَاب الله ، وَأَحَادِيث رَسُوله صلى الله عليه وآله وَقَوَامِيس اللُّغَة العَرَبِيَّة ، وذَلِكَ لقَطع الطَّرِيق عَلَىٰ المُتلاَعِبين ، وَإلقَاء الحُجّة عَلَىٰ الآخرِين ، ولْيَكُنْ تَحْدِيدنَا عَلَىٰ نَحو الإِسْتعرَاض السَّرِيع .

فَالأَهْل فِي اللُّغَة : أَهْل الرَّجُل ، عَشِيرَته ، وَذُوو قُربَاه ، جَمْعَه : أَهلُون ، وَأَهَلات ، وَأَهْل . يَأهل وَيَأهِل أَهولاً وَتَأهل وَاتّهل : اتّخذ أَهلاً .

وأَهْل الأَمْر : وُلاَته ، وللبَيْت سكّانه ، وللمَذْهَب مَن يُدِين بِهِ ، وَللرَّجُل زَوْجَته كَأهلَته ، وَللنَّبيّ صلى الله عليه وآله أَزوَاجَه ، وَبَنَاته ، وَصِهرَه عَليّ عليه السلام أَو نسَاؤه ، والرِّجَال الّذين هُم آله ، وَلكلّ نَبيّ أُمّته ، وَمكَان آهل ، لَهُ أَهْل وَمَأهُول ، فِيهِ أَهْل . . . (انْظر القَامُوس المُحِيط للفيرُوزآبَادي) .

وَذكر فِي المُعْجَم الوَسِيط تَعرِيفاً آخر للأَهل : الأَهْل : الأَقَارب ، وَالعَشِيرَة ، وَالزَّوْجَة ، وأَهْل الشّيء : أَصْحَابه ، وأَهْل الدَّار وَنَحوها : سكّانها .

وَذكر الرّازي صَاحب مُختَارَات الصّحَاح مَعْنَىٰ الأَهْل فَقَالَ : مِن الأَهَالة ، وَالأَهَالة لُغةً : الوَدَك وَالمُستَأهل هُو الّذي يَأخذ الأَهَالة ، وَالوَدَك دِسم اللّحم ، والبَيْت عِيَال الرَّجُل . . . وَالأَهْل ، وَالأَقَارب ، وَالعَشِيرَة ، وَالزَّوْجَة ، وَأَهْل الشّيء أَصْحَابه ، وَأَهْل الدَّار سكّانها .

إذَنْ ، كَلِمَة « أَهْل » عِندَما تُطلَق فَإنّهَا تَحْتَمل عِدّة مَعَان ، فرُبّمَا تعني : الزَّوْجَة فَقط ، أَو الأَوْلاَد فَقط ، أَو الزَّوْجَة والأَوْلاَد مَعاً ، أَو الأَقَارب وَالعَشِيرَة ، إلىٰ غَيْر ذَلِكَ . وَلذَا نَجد كُلّ وَاحِدَة من هَذِه المَعَانِي قَد وَرَدت فِي القُرْآن الكَرِيم ، حَيْث قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن ⟷

﴿جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ ٱلْقَصَصِ: ٢٩.

فأَهْل مُوسَىٰ عليه السلام فِي الآيَة الكَرِيمَة هِي الزَّوْجَة الَّتي خَرَج بهَا عَائِداً مِن مَدْين إلىٰ مِصر، ولَيْس يَصحَبهُ أَحد سوَاهَا، فَلاَ تَنْصرف كَلِمَة «أَهْله» إلىٰ مَعنىً آخر. (اُنظر تَفْسِير السَّيِّد عبدالله شُبّر: ٣٧٣ الطَّبعَة الثَّالثَة دَار إحيَاء التّرَاث).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يُوسُفَ: ٢٥.

وَالأَهْل هُنا أيضاً تَعْني الزَّوْجَة، وَهِي زَوْجَة عَزِيز مِصْر لاَ غَيْر.

وأَمَّا قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ الْعَنْكَبُوتِ: ٣٣، وَقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾. طه: ١٣٢. فكَلِمَة «الأَهْل» فِي الآيَتين الشَّرِيفَتَين تَعْني الأُسرَة المكوّنة مِن الزّوجين، والأَوْلاَد، ومُتَعَلِّقِي ٱلرِّجَال، عَلَىٰ الرّغم مِن ٱستثنَاء زَوْجَة لُوطٍ عليه السلام فَنَالهَا العَذَاب.

وأَمَّا قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ...﴾ هُودٍ: ٤٥ و ٤٦، فكَلِمَة «الأَهْل» هُنا تَعْني أُسرَة الرَّجُل السَّالِكِين لدَربه، وَالسَّائرين عَلَىٰ خَطّه، ولذَا خَرج ٱبْنِهِ عَن الأُسرَة، وَلذَا لَم يَعدْ أَحد أَبنَائه، لأَنّه خَرَج عَن خَطّ أَبِيه عليه السلام. وَكَانَ نُوح عليه السلام يَحْمل زَوْجه وأَوْلاَده وَزَوْجَات أَوْلاَده. (لاَحظ تَفْسِير الآيَة فِي كُتب التَّفْسِير وخَاصّةً تَفْسِير الجَلاَلَين).

أَمَّا قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ ٱلنِّسَاء: ٣٥. وقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ يُوسُفَ: ٢٦، فكَلِمَة «الأَهْل» فِي الآيَة الأُولَىٰ تَعْني أَقَارب وَعَشِيرَة الزّوجَين. أَمَّا فِي الآيَة الثَّانِيَة فَتَعني أَقَارب وَعَشِيرَة إمْرَأَة عَزِيز مِصْر. (لاَحظ تَفْسِير الآيَة فِي كُتب التَّفْسِير وخَاصّةً تَفْسِير الجَلاَلَين، وَلاَحظ تَفْسِير المِيزَان: ١٢/ ١٤٢).

وأَمَّا قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ ٱلأَنْبِيَاء: ٨٤، فكَلِمَة «أَهْل» فِي الآيَة هُنا تُشِير إلىٰ أَبنَاء النَّبِيّ أَيُوب عليه السلام بَعد كَشْف الضّرّ عَنْه.

أَمَّا قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ فَاطِرٍ: ٤٣، وقَوْله تَعَالَىٰ: (إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ ٱلنِّسَاء: ٥٨، وَقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ ٱلْكَهْفِ: ٧١،

↔ فكَلِمَة «أَهْل» فِي هَذِه الآيَات الشَّرِيفَة تَعْنِي أَصْحَاب الشَّيء أَو أَصْحَاب ٱلْعَمَل.
وَالخُلاَصة: أَنّ كَلِمَة «أَهْل» قَد وَرَدت فِي ٱلْقُرْآن ٱلْكَرِيم (٥٤) مرّة (أُنظر الْمُعْجَم المُفَهرس لأَلْفَاظ ٱلْقُرْآن ٱلْكَرِيم لُمحَمَّد فُؤاد عَبد البَاقي).
أَمَّا كَلِمَة «بَيْت» الَّتي وَرَدت فِي مَوَاطن عَدِيدَة مِن كتَاب الله تَعَالَىٰ وَسُنَّة نَبِيِّه صلى الله عليه وآله، أَيضاً حَمَلَت عَدَّة مَعَانٍ، مِنْهَا: ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَام. ومِنْهَا: ٱلْبَيْت النَّسبي، ومِنْهَا: ٱلْبَيْت المَادّي المُعدّ للسَكن، وغَيْر ذَلِكَ.
فَقَد وَرَدت بِمَعْنَىٰ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَام (١٥) مرّة؛ (أُنظر، ٱلْبَقَرَة: ١٢٥ و ١٢٧ و ١٥١، ٱلْأَنفَالِ: ٢٥، هُودٍ: ٧٣، ٱلْحَجِّ: ٢٦ و ٢٩ و ٣٣، آلِ عِمْرَانَ: ٩٦ و ٩٧، ٱلْمَائِدَةِ: ٢ و ٩٧، ٱلْأَحْزَابِ: ٣٣، ٱلطُّورِ: ٤، إِبْرَاهِيم: ٢٧) لِأَنَّهَا مِن الْأَلْفَاظ المُشتَرَكَة.
أَمَّا إِذَا أَضفنَا كَلِمَة «ٱلْبَيْت» إِلىٰ الْأَهْل فَقَد وَرَدت فِي ٱلْقُرْآن ٱلْكَرِيم مرّتَين كمَا فِي قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ هُودٍ: ٧٣. وقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ ٱلْأَحْزَابِ: ٣٣.
أَمَّا كَلِمَة «أَهْل ٱلْبَيْت» فِي السُّنّة المُطهّرة فكَثِيرَة الورُود، وَلاَ يُمكن لنَا اَستعرَاضها، لإِستلزَام ذَلكَ مُرَاجعَة قَوْله، وَفِعْله، وَتَقرِيره صلى الله عليه وآله، وَهَذَا مِمَّا لاَ يُمكن حَصرَه.
وَبِمَا أَنّ المَدلُول الْحَقِيقِي لِهَذَا المُصْطَلح الجَلِيل قَد تَعرّض لحَملَةٍ مِن التّزوير، وَالتّشويه، و هُو مَدَار بَحثنَا فَيَقتضي التّنويه عَمّا وَرَد عَنْه صلى الله عليه وآله عَلَىٰ سَبِيل الْإِجمَال لاَ التّفصيل. فَقَد وَرَد عَنْه صلى الله عليه وآله عَن طَرِيق أَهْل السُّنّة وَالشّيعَة مَا يُقارِبُ الثّمانِين، رَوىٰ مِنْهَا أَهْل السُّنّة مَا يَقرب مِن أَرْبَعِين حَدِيثاً. وَرَوىٰ أَهْل الشّيعَة أَكْثر مِن ثَلاَثِين طَرِيقاً (راجع تَفْسِير المِيزَان: ١٦ / ٣٢٩). وَعَلَىٰ الرّغم مِن ذَلِكَ فَقَد تمَخّض عَن إِهمَال القَرِينَة قِيَام عِدّة آرَاء وَمذَاهب كلّ مِنْهَا تَزعَم سَلاَمَة الْإِتّجَاه و التّفْسِير لِهَذَا المُصْطَلح.
فَمِنْهُم مَن يَقُول: إِنَّ أَهْل ٱلْبَيْت الّذين عَنَتهُم آيَة التَّطْهِير هُم: بَنُو هَاشم ـ أَي بَنُو عَبدالمُطّلِب جَمِيعاً ـ. ومِنْهُم مَن قَالَ: إِنّهم مُؤمنُو بَني هَاشِم وَعَبدالمُطّلب دُونَ سَائِر أَبنَائهمَا (أُنظر، رُوح الْمَعَانِي للآلُوسي: ٢٤ / ١٤).
وَمِنْهُم مَن يَقُول: إِنّهم العَبّاس بن عَبدالمُطّلب وَأَبنَاؤه (أُنظر، الْمَصْدَر السّابق).
وَمِنْهُم مَن يَقُول: هُم الّذين حُرموا مِن الصَّدَقَة: آل عَليٍّ، وَآل عَقِيل، وآل جعفرٍ، وآل الْعَبّاس (أُنظر، تَفْسِير الخَازن: ٥ / ٢٥٩).
ومِنْهُم مَن يَقُول: هُم نِسَآءَ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله، وَعليّ، وفَاطِمَة، والْحَسَن، والحُسَيْن: (أُنظر، تَفْسِير الخَازن: ↔

٥ / ٢٥٩ ، تَفْسِير الكَشّاف : ٣ / ٦٢٦ ، فَتْح القَدِير للشّوكَاني : ٤ / ٢٧٨ و ٢٨٠).
ومِنْهُم مَن يَقُول : هُم نِسَآءَ النَّبِيّ ﷺ خَاصّةً ، حَتَّىٰ أنّ عِكْرِمَة كَانَ يَقول : مَن شَاء بَاهلتَه بأنّهَا نـزَلَتْ بِأزوَاج الرَّسُول ﷺ .
ولَسْنَا بِصَدَد مُنَاقشَة هَذِه الأَقوَال ، وَلَكن نُذكّر القَارىء الكَرِيم بِأنّ عِكْرِمَة بن عَبدالله يَرىٰ رَأي نَجدَة الحَرُورِيّ وهُو مِن أشدّ الخَوَارِج بُغضاً لعَليّ بن أبي طَالب عليه السلام . وَيَرىٰ أيضاً كُفر جَمِيع المُسْلِمِين مِن غَيْر الخَوَارِج . وهُو القَائِل فِي مَوسم الحَجّ : وَدَدتُ أنّ بِيَدي حَربةً فَأعْتَرض بهَا مَن شَهد المَوسم يَمِيناً وَشمَالاً . وهُو القَائِل أيضاً عِندَما وَقف عَلَىٰ بَاب المَسْجِدِ الحَرَام : مَا فِيهِ إلّا كَافر .
وَمِن مَفَاهِيمَه الإعتقَاديّة : إنّما أنزَل الله مُتشَابه القُرْآن ليُضلّ بِهِ . وَقَد اشْتهر بكِذبِهِ وَوضعه للحَدِيث ابن عَبّاس ، وَابن مَسعُود ، وَلذَا وَصَفه يَحيىٰ بن سَعِيد الأنْصَاري بِأنّه كَذّاب . (اُنظر ، تَرجمَة عِكْرِمَة فِـي مِيزَان الإعْتِدَال للذَّهبي : وَالمعَارف لِابْن قُتَيْبَة : ٤٥٥ الطّبعة الأُولَىٰ قُم مَنشُورَات الشَّرِيف الرَّضِـي ، طَبقَات ابن سَعد) . أَفَيصحّ بَعد هَذَا أنْ نَأخذ بحَدِيثٍ يَروِيه ؟!
أمّا الرّاوي الثّانِي بَعد عِكْرِمَة فَهُوَ مُقَاتل بن سُليمَان البَلخي الأَزْدِيّ الخرَاسَاني ، كَانَ مُـفسّراً لِـلقُرْآن الكَرِيم عَلَىٰ طَرِيقَته الخَاصّة ، حَتَّىٰ قَالَ فِيهِ ابن المُبارك : مَا أحسن تَفْسِيره لَو كَانَ ثقَة . (اُنظر ، مِيزَان الإعتدَال للذّهبي : ٤ / ١٧٣ الطّبعَة الأُولَىٰ بَيرُوت ، تَـهْذِيب الـعُمّال فِـي أسـمَاء الرِّجَـال للـحَافظ الخَزْرَجِي الأنْصَاري) . وكَانَ مِن غُلاَة المُجسّمة يُشبّه الخَالِق بالمَخلُوقِين ، حَتَّىٰ قَالَ أبُو حَنِيفَة : أفرَط جَهَم فِي نَفي التّشبِيه حَتَّىٰ قَالَ : إنّه تَعَالَىٰ لَيْسَ بشَيء ، وَأفرَط مُقَاتل فِي الإثبَات حَتَّىٰ جَـعَله مِـثْل خلَقه . (اُنظر ، المَصْدَر السّابق) . وَقَالَ النّسائي : والكَذّابُون المَعْرُوفُون بوَضع الحَدِيث : ابن أبي يَحيىٰ بالمَدِينَة ، والوَاقدي ببَغدَاد ، وَمُقَاتل بن سُليمَان . (مِيزَان الإعْتِدَال : ٣ / ٥٦٢ فِي تَرجمَة مُحمَّد بن سَعِيد المَصلُوب) . وكَانَ مُقَاتل عَلَىٰ مَذْهَب المُرجئَة . (الفَصْل لِابْن حَزم : ٤ / ٢٠٥) ، وَيَأخذ عَـن اليَـهُود ، وَالنّصارىٰ وَيغرّر بالمُسْلِمِين ، حَتَّىٰ قَالَ فِيهِ الذّهبي : كَـانَ مُـقَاتل دَجّـالاً جَسُـوراً . (اُنـظر ، مِـيزَان الإعْتِدَال : ٣ / ٥٦٢) .
عَود عَلَىٰ بِدء : كَيْفَ يُفسّر عِكْرِمَة أو مُقَاتل بِأنّ الآيَة نَزَلَتْ فِي نِسَآءَ النَّبِيّ ﷺ خَاصّةً مَع أنّ المُرَاد مِن الرّجس هُو مُطلق الذّنب ؟! وَهَذَا يَلزم إذهَاب الرّجس عَنهنّ وَبالتّالي لاَ يَصحّ أنْ يُقَال : ﴿يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ...﴾ الأَحزَاب : ٣٢ ، وَلمَا صَحّ قَوله تَعَالَىٰ : ﴿يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ الأَحزَاب : ٣٠ .

وكَيْفَ يُفسّران إيذاءهنّ لهُ ﷺ مع إذْهَاب الرّجس عَنهنّ؟! حَيْث ذكَر البُخاريّ: إنَّ النّبيّ ﷺ هَجَر عَائِشَةَ، وَحَفصة شَهراً كَاملاً، وذلِكَ بِسَبب إفشَاء حَفصَة الْحَدِيث الّذي أسرَّه لهَا إلىٰ عَائِشَة. فَقَالَت للنّبيّ ﷺ: إنّك أقسمتَ أنْ لاَ تدخل عَلَينا شَهرَاً. (أنظر، صَحِيح البُخَاريّ: ٣/ ٣٤). وفي روَايَة أنس: قَالَ ﷺ: «آليت مِنهنّ شَهرَاً». (أنظر، نَفس المَصْدَر السّابق). وَهَا هُو ٱبن عَبَّاس يَقول: لَم أزل حَرِيصَاً عَلَىٰ أنْ أسأل عُمَرَ بن الخطّاب عَن المَرأتَين مِن أزوَاج النّبيّ ﷺ اللّتَين قَالَ الله تَعَالَىٰ فِيهِمَا: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ ٱلتَّحْرِيم: ٤. حَتَّىٰ حَجَّ وَحَجَجتُ مَعهُ... حَتَّىٰ قَالَ ٱبن عَبّاس: فَقُلتُ لِلْخَلِيفَة: مَن المَرأتَان؟ فَقَالَ عُمَرَ بن الخطّاب: وَاعجباً لَك يَا ٱبن الْعَبّاس! هُما عَائِشَةَ وَحَفصَة. (أنظر، لْمَصْدَر السّابق: ٧/ ٢٨ ـ ٢٩، و: ٣/ ١٣٣). وَهَا هِي عَائِشَةَ وَتَعقّبها للنّبيّ ﷺ بعدمَا فَقَدتهُ فِي لَيَالي نوبتهَا، وقَوْله ﷺ لهَا: «مَالك يَا عَائِشَةَ! أغرتِ؟ فَقَالت: وَمَالي أنْ لاَ يغار مِثْلي عَلَىٰ مِثْلك؟! فَقَالَ لهَا ﷺ: أفَأخذكِ شَيطانكِ؟! (أنظر، مُسْنَد أحْمَد: ٦/ ١١٥، تَفسِير الطَّبَرِيّ: ٢٨/ ١٠١، طَبقَات ٱبْن سَعد: ٨/ ١٣٥ طَبعَة أُوربَا، وصَحِيح البُخَاريّ: ٣/ ١٣٧، و: ٤/ ٢٢، صَحِيح مُسْلِم كتَاب ٱلطَّلَاقِ ح ٣١ ـ ٣٤).

وكَيْفَ يُفسّران قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ٱلْأَحْزَاب: ٥٧، وقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٱلتَّوْبَة: ٦١، وَقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ...﴾ ٱلتَّحْرِيم: ٥، وَقَوْله ﷺ لأُمّ سَلمَة عِندمَا سَألته: يَا رَسُول الله ألستُ مِن أهْل ٱلْبَيْت؟ قَالَ: أنتِ إلىٰ خَير إنّك مِن أزوَاج النّبِيّ. وَمَا قَالَ: إنّك مِن أهْل ٱلْبَيْت؟! (أنظر، شوَاهد التّنزيل لِلحَاكِم الحَسَكاني: ٢/ ١٢٤ تحقِيق الشّيخ المَحمُودي نَقلاً عَن كتَاب مُعْجَم الشّيوخ: ٢/الوَرق ٧ مِن المُصوّرة، تَفْسِير الطَّبَرِيّ: ٢٢/ ٧).

أمَّا المَدلول الْحَقِيقِي لأهْل ٱلْبَيْت بَعد تَخصِيص هَذَا التّعمِيم وَتَقيِيد الإطلاَق فِي الآيَة ٱلْكَرِيمَة مِن خِلاَل القَرِينَة الّتي تُرَافق الإستعمَال، وكَذَلِكَ مِن خِلاَل الأحَادِيث النّبويّة المُحدّدة للمُرَاد مِن أهْل ٱلْبَيْت فِي آيَة التّطْهِير، وَهِي مَا أجمَعت عَلَيْهِ الأُمّة مِن خلاَل كُتب الْحَدِيث المُعتبرة أو كُتب التّفْسِير فإنّه يَظهَر لنَا أنّ هَذِه الآيَة نَزَلَتْ فِي خَمسةٍ، وهُم: مُحمَّد، وَعليّ، وفَاطِمَة، والْحَسَن، و الحُسَيْن.

وَمَصَادر تِلك الأحَادِيث غَير مَحصُورَة، وَلَكن نُشِير إلىٰ مَاهُو مُتدَاول وَمَنشُور مِنهَا:

١ ـ رَوَت أُمّ ٱلْمُؤْمِنِين أُمّ سَلمَة بشَأن نُزول هَذِه الآيَة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ

↔ ٱلْبَيْتِ﴾ قَالَت: إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي بَيْتِي، وفِي ٱلْبَيْت سَبعَة: جِبْرِيلَ، وَمِيكَال، وَعلِيّ، وفَاطِمَة، والْحَسَن، والحُسَيْن رَضي الله عَنْهُم وَأنا عَلَىٰ بَاب ٱلْبَيْت، قُلتُ: يَا رَسُول الله، أَلست مِن أَهْل ٱلْبَيْت؟ قَالَ: إنَك إلىٰ خَير، إنَّكِ إلىٰ خَير! إنّكِ مِن أَزوَاج النَّبِيّ. (أنظر، الدُّر المَنثُور للسُّيوطي: ٤/ ١٩٨، وَمشكل الآثار: ١/ ٢٣٣، وَرواية أُخرىٰ فِي سُنن التِّرمِذي: ١٣/ ٢٤٨، ومُسْنَد أَحمَد: ٦/ ٣٠٦، أُسد الغَابَة: ٤/ ٢٩، وتَهْذِيب التَّهْذِيب: ٢/ ٢٩٧).

٢ ـ وَرَوىٰ عَبدالله بن جَعْفر بن أَبي طَالب قَالَ: لمّا نَظر رَسُول الله ﷺ إلىٰ الرَّحْمَة هَابطَة قَالَ: أُدعوا لِي، أُدعوا لِي، فَقَالت صَفيّه بِنْت حُيي بن أَخطب زوّج رَسُول الله ﷺ: مَن يَا رَسُول الله؟ قَالَ: أَهْل بَيْتِي: عَلِيّاً، وفَاطِمَة، والْحَسَن، والحُسَيْن. (أنظر، مُسْتَدرَك الصَّحِيحَين: ٣/ ١٤٧، صَحِيح مُسْلِم: ٥/ ١٥٤، مُسْنَد أَحمَد: ١/ ٩، سُنن البَيْهَقِيّ: ٦/ ٣٠٠). فَجيء بِهِمْ، فَألقىٰ عَلَيْهِمْ النَّبِيّ ﷺ كسَاءَه، ثُمّ رَفَع يَدَيه، ثُمّ قَالَ: أَللَّهُمَّ هَؤُلَاء آلي فَصلّ عَلَىٰ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد. فَنَزل قَول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ...﴾.

٣ ـ وَرَوت أُمّ ٱلْمُؤْمِنِين عَائِشَةَ بشَأن نُزول هَذِه الآيَة قَالَت: خَرَج رَسُول الله غَدَاةً وعَلَيْهِ مَرطٌ مُرَحّل مِن شَعرٍ أَسْوَد، فَجَاء الْحَسَن بن عَليّ فأدْخَلَه، ثُمّ جَاء الحُسَيْن فَدَخل مَعهُ، ثُمّ جَاءَت فَاطِمَة فأدْخَلَها، ثُمّ جَاء عَليّ فأدْخَلَه. (أنظر، مُسْتَدرَك الصَّحِيحَين: ٣/ ١٤٧ طَبعَة حَيدَر آبَاد، تَفْسِير الطَّبَرِيّ: ٢٢/ ٥ طَبعَة بُولاَق)، ثُمّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

٤ ـ وَعَن أَنَس بن مَالك قَالَ: إنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ يَمرّ ببَاب فَاطِمَة سِتة أَشهر كُلّما خَرَج إلىٰ صَلاَة ٱلْفَجْرِ يَقول: الصَّلاَة يَا أَهْل ٱلْبَيْت، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. (أُنظر، المصَادر السَّابقة، وتَفْسِير ٱبْن كَثِير: ٣/ ٤٨٣، وَالدُّر المَنثُور، ٥/ ١٩٩، ومُسْنَد الطَّيَّالِسِي: ٨/ ٢٧٤).

فهَؤُلَاء أَهْل بَيْت النَّبِيّ ﷺ عَليّ، وفَاطِمَة، والْحَسَن، والحُسَيْن: كَمَا جَاء فِي النَّقل المُتوَاتر الَّذي لاَ يَقبل اللّبس، وَكمَا هُو مَعرُوف مِن أَحوَال النَّبِيّ ﷺ وَسِيرَته مَعَهُم.

وَنَظراً لَكثرَة المَصَادر التّأريخِية، وَالحَدِيثيَة، والتَّفْسِيريَة نَكتَفي بِذكرهَا فَقط دُونَ تَدوِين ٱلْوَاقِعَة.

أوّلاً: بِدءً بالسَّيِّدة عَائِشَةَ زَوجَة النَّبِيّ ﷺ وَٱعترَافهَا بِأنّ أَهْل ٱلْبَيْت هُم: عَليّ، وفَاطِمَة، والْحَسَن والحُسَيْن ﷺ، وَهِي خَارِجَة عَنْهُم، أي لَم تَشملهَا الآيَة.

↔

↔ أُنظر، صَحِيح مُسْلِم بَاب فَضَائِل أَهْل ٱلْبَيْت: ٢ / ٢٦٨ طَبْعَة عِيسَىٰ الحلَبي بمِصْر. و: ١٥ / ١٩٤ طَبْعَة مِصْر أَيضاً بشَرح النّوَوي، فَتْح الْبَيَان لصدّيق حَسن خَان: ٧ / ٣٦٥، فَتح القَدِير للشّوكاني: ٤ / ٢٧٩، شوَاهد التّنزيل للحَسكَاني الحَنفي: ٢ / ٥٦ ح ٦٧٦ ـ ٦٨٤ تَحقِّيق الشّيخ المَحمُودي، المُسْتَدرَك لِلْحَاكِم: ٣ / ١٤٧، الدُّر المَنثُور للسُّيوطي: ٥ / ١٩٨، كفَايَة الطّالب للحَافظ الكَنجي الشّافعي: ٥٤ و ٣٧٣ و ٣٧٤ طَبْعَة الحَيدريّة، نُظم دُرَّر السّمطَين للزّرندي الحَنفي: ١٣٣.

وَثَانِياً: ٱعْترَاف أُمّ ٱلْمُؤْمِنِين أُمّ سَلمَة زَوّج النَّبِيّ صلى الله عليه وآله بِأنّ أَهْل ٱلْبَيْت هُم: عليّ، و فَاطِمَة، والْحَسَن والحُسَيْن عليهم السلام، وَهِي خَارجَة عَنْهُم.

أُنظر، شوَاهد التّنزِيل للحَسكاني الحَنفي: ٢ / ٣٩ ح ٦٥٩ و ٧٠٦ و ٧٠٧ ـ ٧١٠ و ٧١٣ و ٧١٤ و ٧١٧ و ٧٢٠ و ٧٢٢ و ٧٢٤ و ٧٢٥ و ٧٢٦ و ٧٢٩ و ٧٣١ و ٧٣٧ و ٧٣٨ و ٧٤٠ و ٧٤٧ و ٧٤٨ و ٧٥٢ و ٧٥٥ و ٧٥٧ ـ ٧٦١ و ٧٦٤ و ٧٦٥ و ٧٦٨، الرّياض النّضرة لمُحبّ الدِّين الطّبَريّ الشّافعي: ٢ / ٢٤٨ الطّبعة الثّانِيَة، مَطَالب السّؤول لِابْن طَلْحَة الشّافعي: ١ / ١٩ طَبْعَة النّجف، سُنن التّرمِذي: ٥ / ٣٢٧ ح ٣٢٠٥، صَحِيح التّرمِذي: ٥ / ٣١ ح ٣٢٥٨ و ٣٢٨ ح ٣٨٧٥ و ٣٦١ ح ٣٩٦٣.

وأُنظر، فَتح الْبَيَان لصدّيق حَسن خَان: ٧ / ٣٦٤، فَتح القَدِير للشّوكاني: ٤ / ٢٧٩، مَنَاقب الْإِمَام عَليّ بن أَبي طَالب لِابْن المغَازلي الشّافعي: ٣٠٣ ح ٣٤٧ و ٢٤٩، تَفْسِير ٱبْن كَثِير: ٣ / ٤٨٤، الدُّر المَنثُور للسُّيوطي: ٥ / ١٩٨، نُظم دُرَّر السّمطَين للزّرندي الحَنفي: ٢٣٨، كفَاية الطّالب للحَافظ الكَنجي الشّافعي: ٣٧٢ طَبْعَة الحَيدريّة، يَنَابِيع المَودَّة للحَافظ القُندُوزي الحَنفي: ١٠٧ و ٢٢٨ و ٢٣٠ و ٢٩٤ طَبْعَة ٱسلاَمبُول، أُسد الغَابَة لِابْن الأَثِير: ٢ / ١٢، و: ٣ / ٤١٣، و: ٤ / ٢٩، السِّيرَة النّبَويّة بهَامِش السِّيرَة الْحَلَبية: ٣ / ٣٣٠ طَبْعَة البَهية بمِصْر، تَفْسِير الطّبَريّ: ٢٢ / ٧، إِسعَاف الرّاغبِين بهَامِش نُور الأَبْصَار: ٩٧ طَبْعَة عُثْمَانِيّة.

وَثَالِثاً: ٱختصَاص أَهْل ٱلْبَيْت بعَليّ، وفَاطِمَة، والْحَسَن، والحُسَيْن عليهم السلام مِن خِلاَل قَوْله صلى الله عليه وآله: «أَللّهُمّ هَؤُلاَء أَهْل بَيْتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُم الرِّجْس وَطَهِّرْهُم تَطْهِيراً. وقَرِيب مِنْهُ أَلفَاظ أُخرىٰ كمَا وَرَد عَن جَابر بن عَبدالله: أَنّ رَسُول الله صلى الله عليه وآله دَعَا عَلِيّاً، وَٱبنَيه وفَاطِمَة، فَألبسهُم مِن ثَوبِهِ، ثُمّ قَالَ: أَللّهُمّ هَؤُلاَء أَهْلي، هَؤُلاَء أَهْلي.

أُنظر، شوَاهد التّنزيل لِلْحَاكِم الحَسكاني الحَنفي: ٢ / ٢٨ تَحقِّيق الشّيخ المَحمُودي ح ٦٤٧ ـ ٦٤٩ و ٦٥٤ و ٦٥٩ و ٦٧٠ و ٦٧٢ و ٦٧٣ و ٦٧٥ و ٦٨٢ و ٦٨٤ و ٦٨٦ و ٦٨٩ و ٦٩١ ـ ٦٩٣ و ٧١٨ ـ ↔

↔ ٧٢٢ و ٧٢٤ و ٧٢٦ و ٧٣١ و ٧٣٢ و ٧٣٤ و ٧٣٧ ـ ٧٤١ و ٧٤٣ و ٧٥٤ و ٧٥٨ ـ ٧٦١ و ٧٦٥ و ٧٦٨، فَرَائد السِّمطَين: ١/٣١٦ ح ٢٥٠ و ٣٦٨ ح ٢٩٦، و: ٢/١٤ ح ٣٦٠، الرِّياض النّضرة لمحبّ الدِّين الطَّبَريّ الشّافعي: ٢/٢٤٨ الطّبعة الثّانِيَة، السِّيرَة الْحَلَبِية للحَلبي الشّافعي: ٣/٢١٢ طَبْعَة البَهية بمِصْر، صَحِيح التِّرمِذي: ٥/٣١ ح ٣٢٥٨ و ٣٢٨ ح ٣٨٧٥ و ٣٦١ ح ٣٩٦٣، صَحِيح مُسْلِم بَاب فَضَائِل عَليّ بن أبي طَالب: ١٥/١٧٦ طَبْعَة مِصْر بشَرح النّووي.

وأُنظر أَيضاً، مَنَاقب الإِمَام عَليّ بن أبي طَالب لِابْن المَغَازلي الشّافعي: ٣٠٢ ح ٣٤٦ ـ ٣٥٠، مَطَالب السّؤول لِابْن طَلْحَة الشّافعي: ١/١٩ طَبْعَة النّجف، المَنَاقب للخوَارزمي الحَنفي: ٦٠، مَقْتَل الحُسَيْن للخوَارزمي: ١/٧٥، خَصَائِص أَمِير ٱلْمُؤْمِنِين للنّسائي: ٤ و ١٦ طَبْعَة القَاهِرَة و ص ٤٦ بتَحقِّيق الشّيخ المَحمُودي، المُسْتَدرَك عَلَىٰ الصَّحِيحَين لِلْحَاكِم: ٢/١٥٠ و ٤١٦، و: ٣/١٠٨ و ١٤٦.

وأُنظر كَذَلِكَ، السِّيرَة النّبَوِيَّة لزَين دَحلان بهَامِش السِّيرَة الْحَلَبية: ٣/٣٣٠ طَبْعَة البَهية بمِصْر، فَتح الْبَيَان لصدّيق حَسن خَان: ٧/٣٦٤، فَتح القَدِير للشّوكاني: ٤/٢٧٩، الدُّر المَنثُور للسُّيوطي: ٥/١٩٨، تَفْسِير ٱبْن كَثِير: ٣/٤٨٣، مَجْمَع الزّوائد: ٧/٩١، تَأرِيخ الخُلَفَاء للسُّيوطي: ١٦٩، يَنَابِيع المَودَّة للحَافظ القُندوزي الحَنفي: ١٠٧ و ١٠٨ و ١٩٤ و ٢٢٨ ـ ٢٣٠ و ٢٤٤ و ٢٨١ و ٢٩٤ طَبْعَة أَسلاَمبُول، مُسْنَد أَحمَد: ١/١٨٥، و: ٣/٢٥٩، و: ٦/٢٩٨ طَبْعَة المَيمنية بمِصْر، مشكَاة الْمَصَابِيح للعُمري: ٣/٢٥٤ تَأرِيخ ٱبْن عَسَاكر الشّافعي: ١/٢١ ح ٣ و ص ١٨٤ و ٢٤٩ و ٢٧١ ـ ٢٧٣، تَفْسِير الفَخر الرّازي: ٢/٧٠٠، أُسد الغَابَة لِابْن الأَثِير: ٢/١٢، و: ٣/٤١٣، و: ٤/٢٦، و: ٥/٦٦ و ١٧٤ و ٥٢١ و ٥٨٩.

ورَاجع مُنْتَخَب كَنز الْعُمَّال بهَامِش مُسْنَد أَحمَد: ٥/٥٣، مَصَابِيح السُّنّة للبَغوي الشّافعي: ٢/٢٧٨ طَبْعَة مُحمَّد عليّ صَبِيح، الْمُعْجَم الْصَّغِير للطَّبَرَاني: ١/٦٥، نُظم دُرَر السّمطَين للزَّرندي الحَنفي: ١٣٣ و٢٣٨ و ٢٣٩، مَعَالِم التّنزيل للبَغوي الشّافعي مَطبُوع بهَامِش تَفْسِير الخَازن: ٥/٢١٣، الصَّوَاعِق المُحرِقَة لِابْن حَجر: ١١٩ و ١٤١ ـ ١٤٣ و ٢٢٧ طَبْعَة المُحمَّدية، تَفْسِير الخَازن: ٥/٢١٣، مِرآة الجنَان لليَافعي: ١/١٠٩، التّأرِيخ الْكَبِير للبُخاري: ١/ق ٢/٦٩ رَقم ١٧١٩ و ٢١٧٤ طَبْعَة سَنَة ١٣٨٢ هـ. أَسْبَاب النّزول للوَاحدي: ٢٠٣، الإِتْحَاف للشّبرَاوي الشّافعي: ٥، الإِسْتِيعَاب لِابْن عَبد البرّ بهَامِش الإِصَابَة: ٣/٣٧ طَبْعَة السّعادة، كفَاية الطّالب للحَافظ الكَنجي الشّافعي: ٥٤ و ١٤٢ و ١٤٤ و ٢٤٢ طَبْعَة الحَيدريّة.

↔

وَرَابعاً: اَختصَاص أَهْل اَلْبَيْت بعَليّ، وفَاطِمَة، والْحَسَن، والحُسَيْن: وذَلِكَ مِن خِلاَل أَقْوَاله ﷺ عِندَما يَخرج للصَلاَة، وَيمرّ ببَاب عَليّ وفَاطِمَة عليهما السلام، كروَايَة أَنس بن مَالك قَالَ: إنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ يَمرّ بباب فَاطِمَة سِتة أَشهر، فَإِذَا خَرج إلىٰ صَلاَة اَلْفَجْرِ يَقول: الصَّلاَة يَا أَهْل اَلْبَيْت، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اَللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ اَلرِّجْسَ أَهْلَ اَلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

أنظر، شوَاهد التّنزيل للحَسكاني الحَنفي: ٢ / ١٨ ح ٦٣٧ ـ ٦٤٠ و ٦٤٤ و ٦٩٥ و ٦٩٦ و ٧٧٣ تحقيق الشّيخ المَحمُودي، مَطَالب السّؤول لِابْن طَلْحَة الشّافعي: ١ / ١٩، صَحِيح التّرمِذي: ٥ / ٣ ح ٣٢٥٩، مُسْنَد أَحمَد: ٣ / ٢٥٩ و ٢٨٥ طَبْعَة المَيمنية بمِصْر، مُنْتَخَب كَنز الْعُمَّال بهَامِش مُسْنَد أَحمَد: ٥ / ٩٦، الدُّر المَنثُور للسُّيوطي: ٥ / ١٩٩، تَفْسِير الطَّبَرِيّ: ٢٢ / ٦، مَجْمَع الزّوائد للهَيثمي الشّافعي: ٩ / ١٦٨، تَفْسِير اَبْن كَثِير: ٣ / ٤٨٣ و ٤٨٤، المُسْتَدرَك لِلْحَاكِم: ٣ / ١٥٨، يَنَابيع المَودَّة للقُندوزي الحنَفي: ١٩٣ و ٢٣٠ طَبْعَة اَسلاَمبول، فَتح الْبَيَان لصدّيق حَسن خَان: ٧ / ٣٦٥ طَبْعَة القَاهرَة، أَنْسَاب الأَشْرَاف للبلاَذري: ٢ / ١٠٤ ح ٣٨، أُسد الغَابَة لِابْن الأَثِير: ٥ / ٥٢١.

وَخَامسَاً: اَختصَاص أَهْل اَلْبَيْت بعَليّ، وفَاطِمَة، والْحَسَن، والحُسَيْن عليهم السلام مِن خِلاَل سَبب النّزول، وَمَا قَاله ﷺ فِيهِمْ كَحَدِيث أُمّ سَلمَة: إنَّ النَّبِيّ ﷺ كَانَ فِي بَيْتِها، عَلَىٰ مَنَامة لهُ، عَلَيْهِ كسَاء خَيبري، فَجَاءت فَاطِمَة ببُرمَة فِيْهَا خُزيرَة، فَقَالَ: اَدعي زوّجك واَبنَيك، فَدَعتهُم، فَبينَّما هُم يَأكُلون إذ نَزَلَتْ عَلَىٰ النَّبِيّ ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اَللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ اَلرِّجْسَ أَهْلَ اَلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. فَأَخذ النَّبِيّ ﷺ بفَضلة الْكِسَاء فَغشّاهم إيّاها، ثُمّ قَالَ: أَللَّهُمَّ هَؤُلاَء أَهْل بَيْتِي وَحَامّتي فَأَذْهب عَنْهُم الرِّجس وَطَهّرهُم تَطْهِيراً. قَالهَا النَّبِيّ ﷺ ثَلاَث مَرَّات. قَالَت أُمّ سَلمَة: فَأَدخلتُ رَأسي فِي اَلْبَيْت، فَقُلتُ: وَأَنَا مَعَكُمْ يَا رَسُول الله؟ قَالَ: إنَّكِ إلىٰ خَير.

أُنظر، شوَاهد التّنزيل لِلْحَاكِم الحَسْكَاني: ٢ / ١٣ ح ٦٣٧ ـ ٦٤١ و ٦٤٤ و ٦٤٨ ـ ٦٥٣ و ٦٥٦ ـ ٦٦١ و ٦٦٣ ـ ٦٦٨ و ٦٧١ ـ ٦٧٣ و ٦٧٥ و ٦٧٨ و ٦٨٠ و ٦٨١ و ٦٨٦ و ٦٨٩ و ٦٩٠ و ٦٩١ و ٦٩٤ و ٧٠٧ و ٧١٠ و ٧١٣ و ٧١٤ و ٧١٧ و ٧١٨ و ٧٢٩ و ٧٤٠ و ٧٥١ و ٧٥٤ ـ ٧٦٢ و ٧٦٤ و ٧٦٥ و ٧٦٧ و ٧٦٩ و ٧٧٠ و ٧٧٤ طَبْعَة وزَارة الثّقافَة والإرْشَاد اَلإسْلاَمي، صَحِيح مُسْلِم: فَضَائِل أَهْل اَلْبَيْت ٢ / ٣٦٨ طَبْعَة عِيسَىٰ الحَلبي، صَحِيح التّرمِذي: ٥ / ٣٠ ح ٣٢٥٨، و: ٥ / ٣٢٨ ح ٣٨٧٥ طَبْعَة دَار الْفِكْر، مُسْنَد أَحمَد: ١ / ٣٣٠ طَبْعَة المَيمنية بمِصْر، فرَائِد السِّمطَين للحمُويني الشّافعي: ١ / ٣١٦ ح ٢٥٠، و: ٢ / ٩ ح ٣٥٦ و ٣٦٢ و ٣٦٤، إسعَاف الرّاغِبين للصبّان بهَامِش نُور الأَبْصَار: ١٠٤ و ١٠٥

أَهْل البَيْت جُرمَاً أَنْ يَقُول عَنْهُم الرَّسُول الأَعْظَم : « مَثلُ أَهْل بَيْتِي كَسَفِينةِ نُوح مَن رَكبهَا نَجا ، ومَن تَخَلف عَنْهَا غَرَق »[1] ؟ ! ومَاذَا أَبْقىٰ إِذَن إِلَىٰ غَيرهِم ؟ أَلاَ يَكْفي

و ١٠٦ طَبْعَة السّعيدية ، فَتْح القَدِير للشّوكاني : ٤ / ٢٧٩ .

وَأنظر كَذَلِكَ ، نُور الأَبْصَار للشّبلنجي : ١٠٢ طَبْعَة السّعيدية ، فَتح البَيَان لصدّيق حَسن خَان : ٧ / ٣٦٣ ـ ٣٦٥ ، الرّياض النّضرة لمحبّ الدّين الطّبَريّ الشّافعي : ٢ / ٢٤٨ الطّبعة الثّانِيَة ، فَضَائِل الخَمْسَة : ١ / ٢٢٤ ـ ٢٤٣ ، يَنَابِيع المَودَّة للقُندوزي الحَنفي : ١٠٧ و ١٠٨ و ٢٢٨ ـ ٢٣٠ و ٢٤٤ و ٢٦٠ و ٢٩٤ طَبْعَة أسلاَمبُول . العِقد الفَريد لِابْن عَبد رَبّه المَالِكي : ٤ / ٣١١ طَبْعَة لُجنة التَّأْلِيف والنّشر بمِصْر ، الإِسْتِيعَاب لِابْن عَبدالبرّ بهَامِش الإِصَابَة : ٣ / ٣٧ طَبْعَة السّعادة ، خصَائِص أَمِير المُؤْمِنِين للنسّائي الشّافعي : ٧٢ تَحقِّيق الشّيخ المَحمُودي ، مُنْتَخَب كَنز العُمَّال بهَامِش مُسْنَد أَحمَد بن حَنْبَل : ٥ / ٩٦ .

وأنظر أَيضَاً ، السِّيرَة النَّبَويَّة لزَين دَحلان بهَامِش السِّيرَة الحَلَبِية : ٣ / ٣٢٩ و ٣٣٠ طَبْعَة البَهية بمِصْر ، كفَاية الطّالب للحَافظ الكنجي الشّافعي : ٥٤ و ٣٧٢ ـ ٣٧٥ ، أُسد الغَابَة فِي مَعْرِفَة الصَّحَابَة لِابْن الأَثِير الشّافعي : ٢ / ١٢ ـ ٢٠ ، و : ٣ / ٤١٣ ، و : ٥ / ٥٢١ و ٥٨٩ ، أَسْبَاب النّزول للوَاحدي : ٢٠٣ طَبْعَة الحَلبي بمِصْر ، الصَّوَاعِق المُحرِقَة لِابْن حَجر الشّافعي : ٨٥ و ١٣٧ طَبْعَة المَيمنية بمِصْر ، الإِتقَان فِي عُلُوم القُرْآن للسُّيوطي : ٤ / ٢٤٠ مَطبعَة المَشهد الحُسَيْني بمِصْر ، التّسهيل لعُلوم التّنزيل للكَلبي : ٣ / ١٣٧ ، التَّفْسِير المُنِير لمَعَالِم التّنزيل للجَاوي : ٢ / ١٨٣ ، أَحْكَام القُرْآن للجصّاص : ٥ / ٢٣٠ طَبْعَة عبدالرَّحْمَان مُحَمَّد ، منَاقب عَليّ بن أَبي طَالب لِابْن المغَازلي الشّافعي : ٣٠١ ح ٣٤٥ و ٣٤٨ ـ ٣٥١ .

وَرَاجع مَصَابِيح السُّنّة للبَغوي الشّافعي : ٢ / ٢٧٨ طَبْعَة مُحَمَّد عَليّ صَبيح ، روَاية عَن عَمْرُو بن يَزِيد عَن مَكحُول وفِيْهَا قَالَ جِبْرِيل : وَأنا مِنْكُم يا مُحَمَّد .... ، مَجْمَع البَيَان : ٧ ـ ٨ : ٣٥٦ و ٣٥٧ طَبْعَة إِحيَاء التّراث العَرَبِي بَيرُوت ، تَفْسِير الشّوكاني : ٤ / ٢٨٠ ، المُسْتَدرَك لِلْحَاكِم : ٣ / ١٤٦ ، تَفْسِير جَامع البَيَان : ١ / ٢٩٦ دَار المَعْرِفَة ، تَفْسِير النّيسابوري : ٢٢ / ١٠ ، تَفْسِير الطَّبَرِيّ : ٢٢ / ٦ و ٧ و ٢٨ طَبْعَة مِصْر ، الدُّر المَنثُور للسُّيوطي : ٥ / ١٩٨ و ١٩٩ ، مشكَاة المَصَابِيح للعُمري : ٣ / ٢٥٤ ، الكشّاف للزَّمَخشري : ١ / ١٩٣ طَبْعَة مُصطَفىٰ مُحَمَّد ، تَفْسِير القُرطُبي : ١٤ / ١٨٢ الطّبعة الأُولَىٰ بالقَاهرَة ، تَفْسِير ابْن كَثِير : ٣ / ٤٨٣ ـ ٤٨٥ و ٤٩١ الطّبعة الثَّانِيَة بمِصْر ، تَذكرَة الخواصّ للسّبط بن الجَوزي الحَنفي : ٢٣٣ ، مَطَالب السّؤول لِابْن طَلْحَة الشّافعي : ١ / ١٩ و ٢٠ طَبْعَة دَار الكُتب فِي النّجف ، أَحْكَام القُرْآن لِابْن عَربي : ٢ / ١٦٦ طَبْعَة مِصْر .

(١) أُنظر ، مُسْتَدرَك الصَّحِيحَين : ٢ / ٣٤٣ ، طَبْعَة حَيْدَر آباد سَنَة ١٣٢٤ هـ . وفِي روَايَة : كَمثل ، وفِي

عَليّ مِن الذُّنُوب وَالعُيُوب أَنْ يَقُول النَّبيّ:

«أَنَا مَدِينَه الْعِلم، وعَليٌّ بَـابهَا»[(١)] . وَأَنْ يَـقُول لهُ: «أَنْتَ أَخـي فِـي الدُّنْـيَا

↔ ورِوَاية أُخرىٰ: عَن البزّار عن ٱبن عبّاس وَعَن ٱبْن الزُّبَيْر. ولِلْحَاكِم عَن أَبِي ذَرّ مِثلها.

وعَن عَليّ عليه السلام: ومَن تعلّق بهَا فَاز، ومَن تخلّف عَنْهَا زجّ فِي ٱلنَّار. (ذَخَائِر الْعُقْبَىٰ: ٢٠). وفِي روايةٍ عن عَليّ عليه السلام: وَمَن تخلّف عَنْهَا أُولج ـ يَعني دَخل ـ. مَوَدَّة ٱلْقُرْبَىٰ: ١٣، كَنْز الْعُمَّال: ١٢ / ١٠٠ / ٣٤١٨٠، و: ١٦ / ١٥٣، و: ١٢ / ٩٥ فَضل أَهْل ٱلْبَيْت ح ٣٤١٥١، وأُنظر جَمع الفوَائد: مـنَاقب أَهْـل ٱلْـبَيْت وَأَصْهَاره: ٢ / ٢٣٦، القَول المُبين فِي فَضَائِل أَهْل البَيْت المُطَهرين: ، مُحمَّد بن عَبدالله سُليمان العزيّ: ٢٩، مَجْمَع الزّوائد: ٩ / ١٦٨، الْمُعْجَم الْكَبِير للطَّبراني: ٣ / ٤٥ / ٢٦٣٦، مُنْتَخب كَنز الْعُمَّال بهَامش أَحْمَد: ٥ / ٩٢، الفَضَائِل لأَحْمَد: ٢ / ٧٨٥ / ١٤٠٢، الجَامِع الْصَّغِير: ٢ / ٥٣٣ / ٨١٦٢، حلية الْأُلِيَاء لأَبِي نَعِيم: ٤ / ٣٠٦، تَأرِيخ بَغدَاد للخَطيب: ١٢ / ١٩، مَجْمَع الزّوائـد للـهَيْثمي: ٩ / ١٦٨، فـرَائـد السِّمطَين: ٢ / ٢٤٢ / ٥١٦، و: ٢ / ٢٤٧، جوَاهـر العَـقْدين: ٢ / ١٩٠، المـنَاقب لِابْـن المـغَازلي: ١٣٢ / ١٧٣ ـ ١٧٧، شوَاهد التّنزيل: ١ / ٣٦١، الدُّر المَنْثُور: ١ / ٧١، مَنَاقب آل أَبِي طَـالِب: ٣ / ٣٩، بُلوغ الْأَرب وَكنُوز الذَّهب فِي مَعرفة المَذْهَب: ٧٣، مَن هُم الزّيدِيَّة: ١١٨، كتَاب الْأُصُول: ٤٢، الْأَمَالي لأَبي طَالب: ١٠٥.

(١) لقَد وَصل إِلينَا الحَدِيث متوَاترَاً عَن طَرِيق الشّيعَة، وَالسُّنّة كمَا صَرح بِذَلِكَ أَكْثَر الْفُقهَاء، والْعُلَمَاء، وأَصْحَاب الْحَدِيث، والسُّنن مَع وجُود بَعْض الْإِخْتِلَاف فِي اللَّفظ. أُنظر، تَأْرِيخ دِمَشْق / تَرجمَة الْإِمَام علي عليه السلام: ٣ / ٤٦٧، والمنَاقِب لِابْن المغَازلي: ٨١، وصَـحِيح التّـرمِذي: ٢ / ٢٩٩ ح ٣٨٠٧، سُـنن التّـرمِذي: ٥ / بَـاب ٨٧ / ٣٠١، وأَخـرجَـه الطّـبرانـي فِـي الـمُعْجَم الْكَـبِير: ٣ / ١٠٨، و: ١١ / ٥٥ / ١١٠٦١ عن ٱبن عبّاس، الْحَاكِم فِي المنَاقِب: ٢٢٦، مُسْتَدرَك الصَّحِيحَين: ٣ / ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٩، أَسنىٰ المطَالِب للجَزري: ٧٠ و ٧١، تَأرِيخ بَغدَاد: ١١ / ٢٠٤ و ٤٨ و ٤٩ و: ٢ / ٣٧٧ و: ٤ / ٢٤٨، و: ٧ / ١٧٢، لِسَان المِيزَان لِابْن حَجَر: ١ / ١٩٧ تَحت رَقم ٦٢٠، الصَّوَاعِق الْمحرِقَة: ٧٣ و ١٢٠ و ١٢٢ / ٩ طَبعَة الْمحمَّدية أَورَد الْحَدِيثِين «أَنَا مَدِينَة العِلْم...» و «أَنَا دَار ٱلْحِكْمَة...».

وأُنظر تَهْذِيب التَّهذيب: ٦ / ٣٢٠، و: ٧ / ٤٢٧، تَذكِرة الحفّاظ: ٤ / ٢٨ طَبعَة حَيدرآبَاد، الفِـرْدَوْس لأَبي شجَاع الدَّيلمي: ١ / ٧٦ / ١٠٩، مَوَدَّة القُرْبَىٰ: ٢٤، مصَابِيح السُّنّة للبَغوي: ٢ / ٢٧٥، الجَـامِع الْصَّغِير للسّيوطي: ١ / ٣٧٤ ح ٢٧٠٥ و ٢٧٠٤ طَبعَة مُصطفىٰ مُحمَّد، مُنْتَخَب كَنز الْعُمَّال بهَامش مُسْنَد ↔

وَالآخرَة»[١]... «مَنْ كُنْتُ مَولاَه فَعَليّ مَولاَه»[٢]. وَلَم يَقُل هَذَا فِي حَقٍّ أحد

↔ أحـمَد: ٥/ ٣٠، وَكَنز الْعُمَّال: ٦/ ١٥٢ و ١٥٦، و ١١/ ٦١٤/ ٣٢٩٧٩، و ٦٠٠/ ٣٢٨٨٩، و: ١٣/ ١٤٧/ ٣٦٤٦٢ و ٣٦٤٦٣، و: ١٥/ ١٢٩/ ٣٧٨ الطَّبعة الثَّانِيَة، اَلْفَتْح الْكَبِير للنَّبهاني: ١/ ٢٧٢ و ٢٧٦، البدَاية والنّهَايَة لِابْن كَثِير: ٧/ ٣٥٨، مَجْمَع الزّوائد للهَيثمي: ٩/ ١١٤، حليَة الأَوْلياء: ١/ ٦٤ و ٦٣، فرائد السِّمطَين: ١/ ٩٨، شواهد التَّنزيل للحَافظ الحَسكَاني: ١/ ٣٣٤/ ٤٥٩ و ٨١/ ١١٨ و ٨٢/ ١١٩ و ١٢٠ و ١٢١ طَبعَة أُخرىٰ، الرّيَاض النّضرة: ٢/ ١٩٣ و ٢٥٥ الطَّبعة الثَّانِيَة.

وَرَاجع فَضَائِل الْخَمْسَة: ٢/ ٢٤٨ و ٢٥٠، جَامع الْأُصُول: ٩/ ٤٧٣/ ٦٤٨٩، شَرح النَّهْج لِابْن أَبِي اَلْحَدِيد: ٢/ ٢٣٦ طَبعَة بَيْرُوت، و: ٧/ ٢١٩ طَبعَة مِصْر بتَحقِّيق مُحَمَّد أبُو الْفَضْل، مِيزَان الْإعْتِدَال للذَّهبي: ١/ ٤١٥ و ٤٣٦ تحت رَقم ٤٢٩، و: ٢/ ٢١٥، و: ٣/ ١٨٢، و: ٤/ ٩٩، أُسد الغَابَة: ٤/ ٢٢، تَأرِيخ دِمَشق لِابْن عسَاكر الشَّافعي /تَرجمَة الإِمَام عَلي عليه السلام: ٢/ ٤٥٩/ ٩٨٣ و ٤٦٤ و ٤٧٦ حَدِيث ٩٨٤ و ٩٨٦ و ٩٩٧.

(١) أنظر، سُنن التّرمِذي: ٥/ ٢٠ ح ٣٨٠٤، صَحِيح البُخَاريّ: ٢/ ٢٩٩، و: ٥/ ٣٠٠/ ٣٨٠٤ و ٦٣٦/ ٣٧٢٠، جَامع التّرمِذي: ٢/ ٢١٣، مُسْتَدرَك الْحَاكِم: ٣/ ١٤، تَيسِير الوصُول: ٣/ ٢٧١، مشكَاة الْمَصَابِيح هَامِش المُرقَاة: ٥/ ٥٦٩ الطّبعة الثّانِيَة، الرِّيَاض النَّضرة: ٢/ ١٦٧ و ٢١٢، تَأرِيخ مَدينَة دِمَشق: ١/ ١٠٩ ح ١٤٩، الإِسْتِيعَاب بهَامِش الإِصَابَة: ٣/ ٣٥، مُسْنَد أَحْمد: ١/ ٢٣٠.

(٢) لَمْ يَكْتَف الرَّسُول صلى الله عليه وآله بِأبدَاء التَّوجِيهَات، وَإِصدَار التَّحذِيرَات، بَل أتَّخَذ إِلىٰ جَانِب ذَلِكَ مواقف عَمَلِية مِن أَجْل صِيَانَة وحدَة الأُمَّه وَيَأتِي فِي مُقَدّمة تِلكَ المواقِف موقفه مَوقِفه بشَأن الإِمَامَة وَالخِلاَفَة مِن بَعدِه، فَأنَّ المُتتبع لِسِيرَة الرَّسُول الأَعْظَم صلى الله عليه وآله لاَ يَجد فِيهَا أهتمَاماً بِشَيء كَالإِهتَمام بِخلاَفَة الإِمَام عَليّ عليه السلام مِن بَعدَه بِنصُوص لاَ يَبْلغهَا الحَصر وَالْإِحصَاء بَعْضهَا فِي الْإِشَادة بِالإِمَام، وَبَيَان فَضله وَمَنْزِلَته وَمزَايا شَخصِيته، وَبَعْضها الآخَر فِي تَعيينه خَلِيفَةً، وَإمَاماً للمُسْلِمِين مِن بَعده، وَأَهـمّ وَأَبـرَز تِـلكَ المواقف مَوقفه يَوْم قَال صلى الله عليه وآله فِي آخر حَجّة حَجّها إِلىٰ بَيْت الله الحَرَام فِي مَكّة المُكَرَّمَة، وَالَّتي تُسمّىٰ بحَجّة الوَداع. «أيّ بَلَدٍ هَذا، أَلَيسَت بِالبَلدَة الحَرَام»؟.

قُلنَا: بَلىٰ يَا رَسُول الله!.

قَالَ: «إِنِّي أُوْشك أَنْ أُدعىٰ فَأُجِيب..».

قَالُوا: نَشْهَد أَنَّك بَلَّغتَ وَنَصَحت فَجَزَاك الله خَيراً؛

↔

↔ قَالَ: «أَلَيس تَشهَدُون أَنْ لاَ إِله إِلاّ الله، وَأَنّ مُحَمَّداً عَبده وَرَسُوله....؟».
قَالُوا: بَلىٰ نَشْهَد ذٰلِكَ.
قَالَ: «أَللَّهُمَّ اَشْهَد».
ثُمَّ قَالَ: «أَلاَ تَسْمَعُون؟».
قَالُوا: نَعَم.
قَالَ: «يَا أَيُّها اَلنَّاس إِنِّي فَرط، وَأَنْتُم وَارِدُونَ عَلَيَّ الحَوض....». أُنظر، الأَمالي الخَمِيسِيَّة: ١/١٥٦، مَجْمَع الزَّوَائد: ٩/١٦٢، مُسْتَدرك الحَاكِم: ٣/١٠٩، اَبن كَثِير: ٥/٢٠٩.
ثُمَّ قَالَ: «أَلَسْتُم تَعْلمُون أَنّي أَوْلىٰ بِالمُؤْمِنِين مِن أَنْفُسِهم؟».
قَالُوا: بَلىٰ يَا رَسُول الله! أُنظر، مُسْنَد أَحْمَد: ١/١١٨، سُنن اَبن مَاجه: ١/٤٣ ح ١١٦، اَبن كَثِير: ٥/٢٠٩.
قَالَ: «أَلَسْتُم تَعْلمُون ـ أَو تَشهَدُون ـ أَنّي أَوْلىٰ بِكُلّ مُؤمِن مِن نَفْسه؟».
قَالُوا: بَلىٰ يَا رَسُول الله. أُنظر، مُسْنَد أَحْمَد: ٤/٢٨١ و ٣٦٨ و ٣٧٠، اَبن كَثِير: ٥/٢٠٩ و ٢١٢.
ثُمَّ أَخَذ بِيد عَليّ بن أَبِي طَالب بِضَبْعِيهِ فَرَفعهَا حَتَّىٰ نَظَر اَلنَّاس إِلىٰ بَيَاض إِبْطِيهِمَا.
أُنظر، الأَمَالي لأَبي طَالب: ٣٥، أَمَالي المُؤيد بِالله: ١٠٤، مُسْتَدرك الحَاكِم الحَسَكَاني: ١/١٩٠ و ١٩٣، كتَاب الأُصُول: ٣٨ـ ٣٩.
ثُمَّ قَالَ:
«أَيُّها اَلنَّاس! الله مَولاَي وَأَنا مَوْلاَكُم؛ فَمَن كُنْتُ مَوْلاَه، فَهَذَا عَليّ مَوْلاَه. أَللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاَه، وَعَادِ مَنْ عَادَاه، وَاَنْصُر مَن نَصَره، وَاَخذُل مَن خَذَله، وَأَحبّ مَن أَحبّه، وَأَبغض مَن أَبْغَضه».
ثُمَّ قَالَ: «أَللَّهُمَّ اَشهَد». أُنظر، مُسنَد أَحْمَد: ١/١١٨ و ١١٩ و: ٤/٢٨١، تَذكرَة الخوَاص للسِّبط الجَوزِي الحَنفِي: ٣٠، السِّيرَة الحَلَبِية: ٣/٢٥٧، السِّيرَة النَّبوِّية لزَينِي دَحلاَن بهَامِش الحَلَبِية: ٣/٣. أُنظر، مُسْنَد أَحْمَد: ١/١١٨، بُلُوغ الأَرب وَكنُوز الذَّهب فِي مَعرِفة المَذْهَب: ١٣٢، كتَاب الأُصُول: ٣٨ـ ٣٩، الأَمَالي لأَبي طَالب: ٣٣، أَمَالي المُؤيد بِالله: ٩٠، مَجْمَع الزَّوَائد: ٩/١٠٤ و ١٠٥ و ١٠٧، شوَاهد التَّنزِيل: ١/١٩٣، تَأرِيخ اَبن كَثِير: ٥/٢١٠. أُنظر، شوَاهد التَّنزِيل للحَسَكَاني: ١/١٩١، تَأرِيخ اَبن كَثِير: ٥/٢١٠.
ثُمَّ لَم يَتفرَّقا ـ رَسُول الله وَعَليّ ـ حَتَّىٰ نَزَلت هَذِه الآيَة: ﴿اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ ↔

سِوىٰ عَليّ. أَلاَ يَكْفِي عَليّ عَيباً أَنْ يَقُول عَنْهُ سَيِّد الرُّسُل حِينَ بَرَز عَمْرُو بن وَدّ: «بَرَز الإِيمَان كُلّه إِلىٰ الشِّرك كُلّه»[1]؟! أَمَّا ذَنْبُ عَليّ الَّذي لاَ كُفَّارَة لهُ أَبداً فَهو

↔ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾. ٱلْمَـٰائِدَةِ: ٣.

فَقَالَ رَسُول الله ﷺ:

«اللهُ أَكْبرُ عَلىٰ إِكمَال الدِّين، وَإِتمَام النِّعمَة، وَرِضـا الرَّبّ بـرِسَالتِي، وَبـالوِلاَيَة لِـعَليّ مِـن بَـعْدي. ثُمَّ قَال: «مَن كُنتُ مَوْلاَه فَعليٌّ مَوْلاَه، أَللَّهُمَّ والِ مَن وَالاَه، وَعَادِ مَن عَادَاه، وأنصر مَن نَصرَه، وأخذُل مَن خَذلهُ».

(١) فَقَد رَوىٰ المُوَرِّخُون فِي مُبَارزَة عَليّ عليه السلام يُوم الْخَنْدَق، وأنّها أفضَل مِن أعْمَال الأُمّة إِلىٰ يُوم القِيَامَة بِأَلفَاظ مُختلفة تُؤَدِّي إِلىٰ نَفْس الْمَعْنَىٰ. فَقَد روىٰ صَاحب المُسْتَدرَك عَن سِفيَان الثُّوري أَنّه ﷺ قَال ذَلِكَ لِعَليّ عليه السلام يُوم الْخَنْدَق. ورواه الخَطِيب البَغدَادي فِي تَأرِيـخه: ١٣ / ١٩ عـن إِسْحَاق بـن بِشـر القُرَشيّ. وذكره الفَخر الرَّازي فِي تَفْسِيره الْكَبِير: ٣٢ / ٣١، وفِي ذِيل تَفْسِير سُورَة ٱلْقَدْرِ وَرَد بلفظ: لمُبَارزَة عَليّ عليه السلام مَع عَمْرُو بن عَبدودّ أفضَل من عَمَل أُمّتي إِلىٰ يُوم الْقِيَامة. وذَكر ٱبن أَبي ٱلْحَدِيد فِي شَرح النَّهج أَيضاً: ١٩ / ٦١ أنّه ﷺ قَال حِين بَرَز عَليّ عليه السلام لعَمْرُو بن عَبدودّ: بَـرَز الإِيـمَان كـلّه إِلىٰ الشِّرك كلّه. وَقَالَ الإِيجي فِي شَرح المَوَاقف: ٦١٧ قَوله ﷺ: لضَربَة عَليّ يُوم الْخَنْدَق أفضَل من عِبَادة الثَّقَلَين. وفِي السِّيرة الحَلَبِية بهَامش السِّيرَة النَّبَوِيَّة: ٢ / ٣٢٠ قَال ﷺ: قَتلُ عَليّ لعَمْرُو بـن عـبدودّ أفضَل من عِبَادة الثَّقَلَين.

وَقَالَ الفَخر الرَّازي فِي نِهَاية الْعُقُول فِي دَرَاية الأُصُول: ١١٤ أنّه ﷺ قَال: لضَربَة عَليّ يُوم الـخَنْدَق أفضَل مِن عبَادة الثَّقَلَين، تَأرِيخ دِمَشق تَرجمة الإِمَام عَليّ عليه السلام: ١ / ١٥٥، وفرَائد السِّمْطَين: ١ / ٢٥٥ ح ١٩٧، وهَامش تَأرِيخ دِمَشق: ١٥٥، وشواهد التَّنزِيل: ٢ / ١٤ ح ٦٣٦، والمنَاقب للخوَارزمـي: ١٦٩ ح ٢٠٢ و ٥٨ الفَصل ٩، فِي كِتَاب المَوَاقف: ٣ / ٢٧٦، وهدَاية المُرتاب: ١٤٨، وكَنز الْعُمَّال: ٦ / ١٥٨ الطَّبعَة الأُولَىٰ، شَرح الْمُخْتَار قَالَ ٱبن أَبي ٱلْحَدِيد فِي (٢٣٠) فِي بَـاب قـصار كَـلاَم أَمِـير الْمُؤْمِنِينَ مِن نَهج ٱلْبَلاغَة: ٥ / ٥١٣.. تَعدل أعـمَال الـمُهَاجِرين والأَنـصَار وطَـاعاتهم كـلّها، الدُّر المنثُور: ٥ / ١٩٢.

وهَا هو عليه السلام يَقول: .... نَشدتكم الله، أفِيكُم أحدٌ يُوم عَبر عَمْرُو بن عَبدودّ الْخَنْدَق وكَاع عَـنهُ جَـمِيع النَّاس فَقتلَه غَيْرِي؟ قَالُوا: أَللَّهُمَّ لاَ. (أنظر، تَأرِيخ بغداد: ١٣ / ١٩، مقتل الحُسَيْن للخوارزمي: ٤٥، ↔

أَنْ يَسأَل الله النَّاس غَداً عَن وَلاَيَته وَمُتَابعَته، كمَا يُسأَلُون عَن الإِيمَان باللهِ، وَالرَّسُول، وَاليَوْم الآخر، قَالَ ابْن حَجر، وَهُو مِن عُلمَاء السُّنَّة فِي كتَابه الصَّوَاعق المُحرقَة: أَنَّ قَولَه تَعَالىٰ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[1]، نَزلَت فِي عَليّ، وَأَنَّ

⇔ تَلخيص المُسْتَدرَك: ٣/ ٣٢). ويُوم الْخَنْدَق لمَا سَكت كلّ منهُم ولَم يُجب طَلب عَمْرُو بن عَبدودّ العَامري. وكَادت تكُون هَزِيمة نَكراء لَوْ لَم يَنهض بِها عَليّ بن أَبي طَالب، وبهَذا قَال ﷺ: بَرَز الإِيمَان كلّه إِلىٰ الشِّرك كلّه.

وبهَذا وذَاكَ تَذهب أدرَاج الرِّيَاح إيرَادَات، وإشكالاَت، وتَبرِيرَات ابن تَيمِية حِين قَال كمَا ورَد فِي السِّيرة الحَلبِية ومَعَها هامش السِّيرَة النَّبَوِيَّة: ٢/ ٣٢٠: إنَّها أي ضَربة عَليّ يُوم الْخَنْدَق أفضَل مِن عِبَادة الثَّقلِين ـ من الأَحَادِيث المَوْضُوعَة الّتي لَم ترد فِي شَيء مِن الكُتب الّتي يُعتمد عَليها وَلاَ بِسند ضَعِيف، وكَيف يَكُون قَتل كَافر أفضَل من عِبَادة الثَّقلِين الإِنس والْجِنّ ومِنهُم الأَنْبِيَاء؟! ثُمّ قَال: بل إنّ عَمْرُو بن عَبدودّ هَذَا لَم يُعرف لهُ ذِكر إلاّ فِي هَذِه الغَزْوَة.

والجَوَاب نَحْنُ لَسنَا بصدد هَذَا الكلاَم ومُناقشته بل نُورد مَا قَاله العلاّمة بُرهان الدِّين الحَلبي الشَّافعي فِي نَفْس كتَابه السِّيرة الحَلبِية وفِي نَفْس الجزْء والصَّفحة: إنّ عَمْرُو بن عَبدودّ هَذَا لَم يُعرف لهُ ذِكر إلاّ فِي هَذِه الغَزْوَة، قِيل وَلَيْسَ لهُ أصل، وكَان عَمْرُو بن عَبدودّ قَد قَاتل يُوم بَدْر حَتَّىٰ أثبَتته الجرَاحة فَلم يَشهد يُوم أُحُد، فَلَمَّا كَان يُوم الْخَنْدَق خَرج معلّماً... وأنّه نَذر لا يمسّ رَأسه دهناً حَتَّىٰ يَقتل مُحَمّد ﷺ... وقوله «كَيف يَكُون قَتلُ كَافرٍ أفضَل من عِبَادة الثَّقلِين» فِيهِ نَظر لأنّ قَتل هَذَا كَان فيهِ نُصرة لِلدِّين وخُذْلان الْكَافِرين... وَقَالَ الشَّيخ المُظفر فِي دلاَئل الصِّدْق: ٢/ ٤٠٢: لمُبَارزة عَليّ لعَمْرُو أفضَل من... فكَان هو السَّبب فِي بقَاء الإِيمَان واستمرَاره وهُو السَّبب فِي تَمكِين الْمُؤْمِنِينَ مِن عِبَادتهم إِلىٰ يُوم الدِّين، لكن هَذَا بِبَركة النَّبيّ الْحَمِيد ودَعوته وجِهاده فِي الدِّين.... وانظر أيضاً المِعيار والموَازنة: ٩١، حيَاة الحَيَوَان الكُبرىٰ للدّمِيري: ١/ ٢٣٨ طَبْعَة مَصر عَام ١٣٠٦ هـ، المَطبعَة المَشرفِية، عليّ بن أَبي طَالب بَقِية النُّبُوَّة: ١٤٥ طَبع مَصر عَام ١٣٨٦ هـ، مَطبعَة السُّنَّة المُحَمّدِية، الإِمَام عَليّ أسد الله وَرَسُوله: ٢٨، الإِمَام عَليّ رَجل الإِسْلاَم المُخلّد لِعَبد المَجِيد لُطفي: ٧٥، خَاتم النَّبِيين لُمحَمّد أبو زُهره: ٢/ ٩٣٨.

(١) الصَّافَّات: ٢٤.

النَّاس مَسئُولُون عَن ولاَيَته[1]. هَذِي هِي عُيُوب الإِمَـام، وَهَـذِي هِـي ذُنُـوب أَبْنَائه عليهم السلام!...

قَالَ الإِمَام أَحْمَد بن حَنْبَل لمَّا سُئِلَ عَن مُـعَاويَة: «أَنَّ قَـومَاً أَبـغَضُوا عَـلِيَّاً، فَتَطلبُوا لهُ عَيبَاً فَلَم يَجدُوه، فَعَمدُوا إِلَىٰ رَجُلٍ قَد نَاصَبهُ العدَاوَة، فَأَطـرُوه كَـيدَاً لعَليٍّ»[2].

أَجل، أَنَّهُم لَمْ يَجدُوا. وَلَن يَجْدُوا عَـيبَاً وَاحـدَاً للإِمَـام، وَلَـو حَـرصُوا كُـلّ الحِرص، وَلَكن هَذَا لاَ يَمْنَعهُم مِن الاُفْترَاءَات وَالأَكَاذِيب، كمَا لَمْ يَمْنعهُم مـقَام الرِّسَالة عَمَّا نَسبُوه إِلَىٰ النَّبيّ صلى الله عليه وآله مِن أَنْ هَوىٰ إِمرَأَة زَيد ٱبْن حَارثَة، وَأَنَّه لَمْ يَزل بهَا حَتَّىٰ ٱستَخلصهَا لنَفْسه. وَٱقرَأ مَعي هَذِه الفِريَة لتَـعرف جَـرَائـمهُم عَـلىٰ الله وَالرَّسُول:

كَان هَاشِم المِرقَال[3] بَطلاً شُجَاعَاً، وَمُؤمنَاً صَادقَاً، وَكَان مِن أَفَاضل أَصْحَاب النَّبيّ صلى الله عليه وآله، وَصَاحب لوَاء الإِمَام يَوْم صِفِّين قَاتَل قِتالاً شَدِيدَاً حَتَّىٰ قُتلَ فِي نُصرَة

---

(١) أُنظر، الصَّوَاعق المُحرقَة لِابْن حَجر: ٩٠ طَبْعَة المَيمَنيَّة بمَصر و: ١٤٧ طَبْعَة المُحَمَديَّة، نُظم دُرَر السّمطَين: ١٠٩، شَوَاهد التَّنزِيل: ٢ / ٧٨٥ ـ ٧٨٩، كفَايَة الطَّالب: ٢٤٧ طَبْعَة الحَيدريَّة و ١٠٥ طَبْعَة الغَري، فَرَائِد السّمطَين: ١ / ٧٩، تَذكرَة الخوَاصّ: ١٧.

(٢) أُنظر، النَّصَائح الكَافيَة لمُحَمَّد بن عَقِيل: ٢٢.

(٣) طَعْنَهُ الحَرث بن المُنْذر فِي بَطْنِهِ فَسَقط عَلىٰ الأَرْض، وَقَد رَأىٰ عُبَيدالله بن عُمر صَرِيعَاً إِلَىٰ جَانبِهِ، فَجَشىٰ حَتَّىٰ دَنَا مِنْهُ وَعضَّ عَلىٰ ثَدْيَيه حَتَّىٰ تَبَيَّنت فِيهِ أَنْيَابه، ثُمَّ مَات هَاشِم، وَهُو عَلىٰ صَدْر عُبَيدالله. (مِنْهُ رحمه الله». أُنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٦ / ٢٤، وَقـعَة صِـفِّين: ٣٥٦، أُسـد الغَـابَة: ٥ / ٤٩، المُسـتَدرك: ٣ / ٣٩٦، الإِصَابَة: ٣ / ٥٩٣، الإِستِيعَاب بهَامش الإِصَابَة: ٣ / ٦١٦، تأرِيـخ الخَـطِيب البَـغدَادي: ١ / ١٩٦، البدَايَة وَالنّهايَة: ٧ / ١٩٦، مُروج الذَّهب: ٢ / ٣٨٥، الفتُوح لِابْن أَعْثَم: ٢ / ٤٣٧، الأَخبَار الطّوال: ١٦٧.

الإِمَام فِي اليَوْم الَّذي اُسْتُشهد فِيهِ عَمَّار بن يَاسر ، وَفي ذَات يَوْم رَأىٰ شَابّاً يَخْرُج مِن عَسْكَر الشَّام يَضْرب عَسْكَر الإِمَام بسَيفهِ ضرْب المُسْتَمِيت ، وَمِن غَير وَعي ، فَأتَاه وَكَلّمهُ بهدُوء ، وَقَالَ لهُ : يَا هَذَا ! أنَّك تَقف مَوقفاً غَريباً ، أنتَ مَسئُول عَنْهُ غَداً . فَقَال لهُ الشَّاب : لَقَد قِيلَ لِي : أَنَّ صَاحبكُم لاَ يُصلّيَ ! . . . فَقَال لهُ هَاشِم : أنَّهم خَدعُوك ، فَعليّ وُلد فِي الكَعْبَة ، وَأَوَّل مَن صَلّىٰ مَع الرَّسُول إِلَىٰ القِبلَة ، وَقَاتَل مُعَاويَة وَأَبَاه مِن أجْل الصَّلاَة ، وَلَو رَأيتَ عَسْكَر عَليّ فِي ظَلاَم اللَّيل لرَأيتَ التَّهجد ، وَالتَّضرع ، وَالصَّلوَات ، وَتلاَوة القُرآن ، فَاَقْتَنع الشَّاب ، وَتَرك القِتَال[1] .

(١) أنظر ، هَذِهِ القصّة فِي تَأرِيخ الطَّبري : ٣ / ٩٤ ، وَوَقعَة صِفِّين : ٤٠٢ طَبعَة مَصْر . الكَامِل فِي التَّأرِيخ : ٣ / ١٣٥ ، المِعيَار وَالموَازنَة : ١٦٠ . شَرْح نَهج البَلاَغَة لِابن أبي الحَدِيد : ٢٧٨ .

وَهُو هَاشم بن عُتْبَة بن أبِي وَقَّاص الزُّهرِي ، المُلقّب بالمِرْقَال ، وكَانَ مَع عَليّ عليه السلام يُوم صِفّين ، وَمن أشجَع النّاس ، وكَان أعوَر ، وهُو القَائل :

أَعْـوَرُ يَـبغِي أَهْـلَه مَـحلاً ... قَد عَالج اَلْـحَيَاة حَـتَّىٰ مَـلّا

لاَ بُدّ أنْ يَغُلَّ أَو يُغَلّا

وَقِيل هَكَذا تَرتِيب الأَبيَات كمَا وَرد فِي مرُوج الذّهب : ٢ / ٢٢ ، وَالطَّبرِيّ : ٦ / ٢٢ .

قَد أَكْثَروا لَـومِي وَمَـا أقـلّا ... إنّي شَرَيْتُ النَّفْسَ لَن أعـتَلّا
أَعْـوَرُ يَـبغِي نَـفْسَه مَـحَلّاً ... لاَ بُـدّ أنْ يَـغُلَّ أَو يُـغَلّا
قَد عَالج اَلْـحَيَاة حَـتَّىٰ مَـلّا ... أشدُّهُم بِذِي الكُـعوبِ شَـلّا

وفي الطَّبرِيّ : ٦ / ٢٤ : يَتَلُّهم بذِي الكُعوبِ تَلّا .

فَقَتل مِن القَوْم تِسعَة نَفر أَو عَشرة وَحمل عَلَيْهِ الحَارث بن المُنْذِر التّنوخِي فطَعَنه فَسَقط ، وقَد رَثَاه الإِمَام عَليّ عليه السلام فقَال كمَا ذَكر نَصر بن مُزاحم فِي وَقْعَة صِفّين : ٣٥٦ .

جَـزَىٰ الله خَـيراً عُـصبةً أَسْـلمِيةً ... صِباحَ الوُجُوهِ صرِّعوا حَوْلَ هَـاشم

وَلَكن مَا أَنْ سَقط هَاشم ؛ فَأَخذ رَايَته اَبْنِهِ عَبدالله بن هَاشم وخَطب خُطبةً عَظِيمة وَقَالَ فِيهَا : إنّ هَاشمَاً كَان عَبداً مِن عبَاد الله الّذين قَدّر أَرزَاقهُم ، وَكَتب آثَارهُم ، وَأَحصىٰ أَعْمَالَهُم ، وَقضىٰ آجَالهُم ، فَدعَاه
↔

وَقَالَ الشِّمر أَو مَن هُو عَلىٰ شاكلَتهِ، قَالَ للحُسَين، وَهُـو يُـصلّي فِـي قَـلْب المَعْرَكَة قَبْل مَصْرَعه، صَلِّ يَا حُسَين، إنّ صَلاَتك لاَ تُقْبَل»[1]. الله أَكْـبَر!... لاَ يَقْبَل الله صَلاَة الحُسَين، وَيَقْبل مِن الشِّمر قَتْل الحُسَين!.. وَقَالَ ٱبْن زيَاد حِـينَ بَـلَغهُ قَـتْل الحُسَـين: الحَـمْد لله الَّـذي قَـتَل حُسَـيناً، وَنَـصر أَمِـير المُـؤمِنين يَزِيد»[2]!.. وَعِندَما أُوتي بمُسلِم بن عَقِيل لِاٰبْن زيَاد، وَكَان قَد آلمَه العَطَش مِن أَثَر القتَال، فَرأىٰ قِلّة مَاء فَطَلَب أَنْ يَسقُوه مِنْهَا، فَقَالَ لهُ بَاهلي: «لاَ تَذُوق مِـنْهَا قَطرَة حَتّىٰ تَذُوق الحَمِيم فِي نَار جَهنّم»[3]، وَكَان يَزِيد يَـنْكث ثَـنَايَا الحُسَـين بقَضِيب مَكتُوب عَلَيهِ: «لاَ إِله إلاَّ الله مُحَمَّد رَسُول الله»[4]، وَسَجد مُعَاوِيَة شُكرَاً لله بَعْدَ أَنْ قَتَل الحَسَن بِالسّم[5]، وَهَكَذا يُدلسُون وَيمُوهُون، ليَـثق بـهِم السُّـذّج البُسطَاء، وَيَثنُوا المُخلصِين عَن طَرِيق الحَقّ، وَالجِهَاد فِي سَبِيله؛ وَلَكنَّ الله، وَهُو أَحكَم الحَاكمِين، قَد فَضَحهُم إِلَىٰ يَوْم يُبعثُون، وَعَاملهُم بخلاَف قَـصْدهم، أَمَّـا

⇔ رَبّه الَّذي لاَ يُعصىٰ فَأَجَابه... وَلهَاشم المِرقَال موَاقف كَثِيرة ذَكرها ٱبن نَصر فِي وَقْـعَة صِـفِّين: ٩٢ و ١٥٤ و ١٩٣ و ٢٠٥ و ٢٠٨ و ٢١٤ و ٢٥٨ و ٣٢٦ و ٣٢٨ و ٣٣٥ و ٣٤٠ و ٣٤٦ و ٣٤٨ و ٣٥٣ و ٣٥٩ و ٣٨٤ و ٤٠١ـ ٤٠٥ و ٤٢٦ و ٤٢٨ و ٤٣١ و ٤٥٥.

أُنظر تَرجمته فِي أُسد الغَابَة: ٥ / ٤٩، وَالمُسْتَدرَك: ٣ / ٣٩٦، وَتَأرِيـخ الطَّـبَرِيّ: ٥ / ٤٤، الإِصَـابَة: ٣ / ٥٩٣، الإِسْتِيعَاب بهَامش الإِصَابَة: ٣ / ٦١٦، وَتَأرِيخ الخَطِيب البَغدادي: ١ / ١٩٦.

(١) أُنظر، يَنَابِيع المَودّة: ٣ / ٧١ طَبعَة أُسوَة.

(٢) أُنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٤ / ٣٥١، جوَاهر المطَالب فِي منَاقب أَمِير المُؤمِنِين عَليّ: ٢ / ٢٩٢.

(٣) أُنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٤ / ٢٨١ ـ ٢٨٢.

(٤) أُنظر، أُسد الغَابَة: ٢ / ٢١، تَأرِيخ الطَّبري: ٤ / ٣٤٩، مَناقب التِرمذي: ٥ / ٦٦٠ ح ٣٧٨٠.

(٥) أُنـظر، مُـرُوج الذَّهـب: ٢ / ٣٠٥، الإِستِيعَاب: ١ / ٣٧٤، كـفَايَة الطَّـالب: ٢٦٨، مَـقْتل الحُسَـين للخوَارزمي: ١ / ١٤١ الفُتُوح لِاٰبْن أَعْثَم: ٢ / ٣٢٣ هَامش رَقم «٣».

المُخلصُون فلَم يَكْتَرِثُوا.

يُزْري الجَبَان بسَيفِ عِنْتَر وَالبَخِيل بجُودِ حَاتم

وَمَهمَا تَكُن الدّعَايَات، وَالْإِفتِرَاءَات فَلاَ تَسْتَطِيع الصّمُود أَمَام الحَقِيقَة، أَمَام عَظمَة الْإِمَام وَأَبْنَاء الْإِمَام. فَهذِهِ المَحَافل فِي كُلّ مَكَان، وَهَذِه الدّمُوع الجَارِيَة أَنهُراً عَلىٰ الحُسَين، وَهَذِه الأَصوَات المُدويّة بِالصَّلاَة عَلَيهِم، وَاللَّعنَة عَلىٰ أَعدَائِهِم وَقَاتِليهِم، وَهَذِه القُبَاب الذَّهبيَة الَّتي تُنَاطح السّحاب، وَهَذِه الوفُود الَّتي تَؤمّها مِن كُلّ حَدبٍ وَصَوبٍ، كُلّ هَذِه وَمَا إِليهَا إِنْ هِي إِلاَّ صَوَاعق، وَقنَابل تَنْهَال عَلىٰ أَعدَاء أَهْل البَيْت، وَأَناشِيد الخُلُود يُردّدهَا الدَّهر إِلَىٰ يَوْمَ يُبْعَثُون.

أَجل، لقَد قُتل الحُسَين، وَغَرق جِسْمَهُ الشَّرِيف فِي بَحْرٍ مِن دمَائِهِ، أَمَّا رُوحَه وَذِكرَاه، أَمَّا مَبدَأهُ وَعَملهُ فَفي بَحْرٍ مِن عُطرٍ وَنُور.

إِنْ يَبْق مُلقىً بِلاَ دَفنٍ فَإِنَّ لَهُ قَبْرَاً بِأَحْشَاء مَن وَالاَه مَحفُورَاً

مَا هَذَا البُكَاء

لَكَ عِنْدي مَا عشْتَ يَـا ٱبْـن رَسُـول اللهِ حُــزْن يَــفي بِـحَقِّ ودَادِي
نَــاظرٌ بِــالدّمُوع غَـير بَـخِيلٍ وَحْشــي بِـالسَّلو غَـير جَـوَاد

هَذَا هُو شِعَار الشِّيعَة: قَلْب حَزِين، وَطَرف دَامع عَلىٰ مُصَاب أَهْل البَيْت عليهم السلام.

وَقَالَ قَائِل: أَلاَ يَجْد الشِّيعَة سَبِيلاً يُعبّرُون بِهِ عَن وَلاَئِهِم لأَهْـل البَـيْت غَـير البُكَاء وَالدّمُوع ؟!.

قُلتُ: أَجل: نُعبّر أَيضاً عَن وَلاَئنَا لهُم بـالصَّلوَات إِلَـىٰ مَـقَامَاتِهِم المُـقَدّسَة، وَالتَّبرك بِأَضرحَتِهِم، وَبشَدّ الرِّحَال إِلَىٰ مَقَامَاتِهِم المُقَدّسَة، وَالتَّبرك بأَضرحَـتِهِم الشَّرِيفَة.

قَالَ: تَعِيشُون فِي عَصْر الذَّرَّة وَالكَوَاكب، ثُمَّ تَبكُون عَلىٰ مَن مَات مِن مِئَات السِّنِين، وَتَشدّون الرِّحَال إِلَىٰ الأَحْجَار وَالصّخُور ؟!.

قُلتُ: أَمَّا البُكَاء عَلىٰ الحُسَين عليه السلام فَلَيْسَ بُكَاء عَلىٰ مَن مَـات، كـمَا يَـفْهَمهَا الجَاهلُون، وَلاَ هُو بُكَاء الذُّل وَالإِنْكسَار، وَإِنَّما هُو ٱحْتجَاج صَارخ عَلىٰ البَاطِل وَأَهْله، أَنَّه صوَاعق تَنْهَال عَلىٰ رُؤوس الطُّغَاة الظَّالمِين فِي كُلّ زَمَان وَمَكَان، أَنَّه تَعْبِير صَادق عَن الإِخلاَص للحَقّ، وَالنِّقمَة عَلىٰ الجَور، أَنَّـه تَـعظِيم للـتَّضحيَة وَالفِدَاء، وَالحَقّ وَالوَاجب، وَالشَّجَاعَة عَلىٰ المَوت، وَإِكبَار للأَنفَة مِـن الضَّـيم،

وَالصَّبر فِي المِحْنَة، وَالشَّدَائِد. أَنَّ الَّذِين يَنْشدُون فِي مَحَافل التَّعزِيَة:

لاَ تَطْهَر الأَرْض مِن رِجسِ العِدىٰ أَبداً
مَا لَمْ يَسَل فَوقهَا سَيل الدَّم العَرم[١]

لاَ يَبْكُون بُكَاء الذُّل وَالضَّعف، بَل يَنْظمُون نَشِيد الحَمَاسَة مِن دمُوعِهم، وَيُردّدُون هُتَاف الحقّ وَالعَدل مِن الحَسرَات وَالزَّفرَات.

أَمَّا زِيَارَات الأَمَاكن المُقدّسَة، أَمَّا الصّخُور وَالأَحْجَار فَلَيسَت الهَدف، وَالغَايَة، وَلَو كَانَت هِي القَصد لكَان فِي هَذِه الجِبَال الشَّامخَات غِنىٰ عَن مَشقّة السَّفر وَالتِّرحَال، أَنَّ المَقصُود بِالذَات هُو صَاحب المَقَام، أَمَّا الأَحجَار فَلهَا شَرَف الإِنْتسَاب، تَمَامَاً كَالأَحْجَار الَّتي بُني مِنْهَا البَيْت الحَرَام، وَمَسْجِد الرَّسُول، وَسَائِر المَعَابد، وَكَجِلد القُرآن الكَرِيم[٢]. وَقَد رَأينَا كَيف تَحْتَفظ الشُّعوب وَالدُّول ببيُوت الأُدبَاء الكِبَار، كَشكسبِير، وَلاَمرتين، وَهُوغُو وَغَيرهم، وَتُحِيطهَا بهَالَة مِن التَّقدِيس وَالتَّعظِيم. وَلَو عُرِض للبَيع سَاعَة أَو حِذَاء أَو أَي شَيء يُنسَب لعَظِيم قَدِيم لبُذلَ فِي سَبِيلهِ أَغْلىٰ الأَثمَان، وَمَا ذَاك إِلاَّ لشَرف الإِنْتسَاب.

جَاء فِي التَّأرِيخ أَنَّه حِينَ أُتي برَأس الحُسَين إِلَىٰ يَزِيد كَان يَتَّخذ مَجَالس الشُّرب، وَالرَّأس الشَّرِيف بَيْنَ يَدهِ، فَصَادَف أَنْ دَخَل عَلَيهِ رَسُول مَلك الرُّوم،

---

(١) أُنظر، دِيوَان سَيِّد حَيْدَر الحِلّي (رحمه الله) مِن قَصِيدَةٍ فِي رِيَاض المَدْح وَالثَّنَاء: ٥٥.

(٢) حَكَم الفُقهَاء بتَحرِيم تَنْجِيس المَسَاجد أَرْضهَا، وَحِيطَانهَا، وَحَصِيرهَا، وَفَرشهَا، وَأَوجَبُوا إِزَالَة النَّجَاسَة، وَقَالُوا: بتَحرِيم مَس كتَابَة القُرآن الكَرِيم إِلاَّ مَع الوضُوء، وَقَالَ الشَّافعيَّة: لاَ يَجُوز مَس جِلْده أَيضاً، حَتَّىٰ وَلَو انْفصَل عَنْهُ، وَلاَ مَس عِلَّاقَته مَا دَام القُرآن مُعَلّقَاً بهَا. (مِنْهُ رحمه الله).

أُنظر، السُّنَن الكُبرىٰ للبَيهقي: ١ / ٨٧، تَنوِير الحوَالِك: ١ / ٣٠٣، سُنن الدَّار قُطني: ١ / ١٢١، أَحْكَام القُرآن للجَصَّاص: ٥ / ٣٠٠، تَفسِير الثَّعالبي: ٤ / ٣٥٧، المَطَالب العَاليَة: ١ / ٢٨.

وَهُو عَلَىٰ هَذِه الحَال، فَأَنْكَر عَلَيهِ أَشدّ الإِنْكَار بَعد أَنْ عَلمَ أَنَّ الرَّأس هُـو رَأس الحُسَين، وَقَالَ لهُ فِيمَا قَالَ: هَل سَمعتَ يَا يَزِيد! حَدِيث كَنسيَة الحَافر؟

قَالَ: وَمَا هِيَّ؟.

قَالَ الرُّومي: عِندَنَا مَكَان يُقَال بأَنَّ حِمَار عِيسىٰ عليه السلام مَرَّ بِهِ، فَبَنَينا فِيهِ كَـنِيسَة الحَافر[1] نِسبَة إِلَىٰ حَافر حمَار عِيسىٰ عليه السلام، ونَحْنُ نَحجّ إِلَىٰ المَكَان فِي كُلّ عَام، وَمِن كُل قُطر، وَنُهدي إِلَيهِ النُّذُور، وَنُعَظمهُ كمَا تُعظمُون كُتبكُم، فَأَشهَد أَنَّك عَلَىٰ بَاطل، فَأَمر يَزِيد بقَتل الرَّسُول. فَقَام الرُّومي إِلَىٰ الرَّأس فَقَبّلهُ وَتَشهدَ الشَّهادَتين، ثُمَّ أُخذَ، وَصُلب عَلَىٰ بَاب القَصر!..[2].

وَقَالَ الأُستَاذ العَقّاد فِي كِتَاب «أَبو الشُّهدَاء»، تَحتَ عُنوَان الحَرَم المُـقدّس: «عُرفَت قَدِيماً بأَسم كُور بَابل ثُمَّ صُحفّت إِلَىٰ كَرْبُلاَء، فَجَعلهَا التَّصحِيف عَرضَة لتَصحِيف آخر يَجْمَع بَيْنَ الكَرب وَالبَلاَء، كمَا وَسَمهَا بَعْض الشُّعرَاء.

وَلَم يَكُن لهَا مَا تُذكَر بِهِ فِي أَقرَب جِيرَة لهَا فَضلاً عَن أَرجَـاء الدُّنْـيَا البَـعِيدَة مِنْهَا... فَلَيسَ لهَا مِن مَوقعهَا، وَلاَ مِن تُربتهَا، وَلاَ مِن حوَادثهَا مَا يُـغري أَحـداً

---

(١) بَيْنَ عُمَان وَالصِّين بَحْر مَسِيرَة سَنَة لَيْسَ فِيهَا عُمْرَان إِلاَّ بَلدَة وَاحدَة فِي وَسَط المَاء طُولهَا ثَـمَانُون فَرسخاً فِي ثَمَانِين مَا عَلَىٰ وَجْه الأَرْض بَلدَة أَكْبَر مِنْهَا. ومِنْهَا يُحْمَل الكَافُور وَاليَاقُوت، أَشجَارهُم العُود وَالعَنْبَر، وَهي فِي أَيدي النَّصارىٰ لاَ مِلكَ لأَحد مِن المُلوك فِيهَا سوَاهم، وَفِي تِلكَ البَلدَة كَنَائِس كَثِيرَة أَعْظَمها كَنِيسَة الحَافر فِي مِحرَابها حُقّة ذَهب مُعلقَة. فِيهَا حَافر يَقُولُون إِنَّ هَذَا حَافر حمَار كَان يَركَبهُ عِيسىٰ، وَقَد زَينُوا حَول الحُقّة بِالذَّهب وَالدِّيبَاج، يَقصدهَا فِي كُلّ عَام عَـالِم مِـن النَّـصارىٰ، وَيَطُوفُون حَولهَا، وَيُقبّلُونهَا، وَيَرفعُون حوَائجهُم إِلَىٰ الله تَعَالىٰ. (مِنْهُ رحمه الله).

(٢) أُنظر، نُور العَين فِي مَشْهد الحُسَين للإِسفرَايِيني: ٨٠، نَهج الإِيمَان لِابْـن جَـبر: ٦١٠، الصَّـوَاعـق المُحرقَة: ١١٩، مُثِير الأَحزَان: ٨٢، مَقْتَل الحُسَين لأَبي مخْنَف الأَزدي: ٢٢٩، اللُّـهُوف فِـي قَـتْلىٰ الطُّفُوف: ١١١.

برُؤيتهَا، ثُمَّ يَثْبت فِي ذَاكرَة مَن يَرَاهَا سَاعَة يَرحَل عَنْهَا.

فَلعَلَّ الزَّمن كَان خَلِيقاً أَنْ يَعْبر بهَا سَنَة بَعد سَنَة، وَعَصراً بَعد عَصر دُون أَنْ يَسمَع لهَا ٱسم، أَو يَحسُ لهَا بوجُود... وَشَاءَت مُصَادفَة مِن المُصَادفَات أَنْ يُسَاق إِلَيهَا رَكْب الحُسَين بَعد أَنْ حِيلَ بَيْنَه وبَيْنَ كُلّ وجهَة أُخرىٰ، فَٱقْتَرَن تَأرِيخهَا مُنذ ذَلِكَ اليَوْم بتَأرِيخ الْإِسلاَم كُلّه. وَمِن حَقّه أَنْ يَقْتَرن بتَأرِيخ بَني الْإِنْسَان حَيثُما عُرِفَت لهَذَا الْإِنْسَان فَضِيلَة تَسْتَحق بهَا التَّنوِيه وَالتَّخلِيد.

فَهيَّ اليَوْم حَرَم يَزُورَه المُسْلِمُون للعِبرَة وَالذُّكرىٰ، وَيَزُورَه غَير المُسْلِمِين للنَّظر وَالمُشَاهدَة، وَلَكنّها لَو أُعطِيَت حَقّها مِن التَّنوِيه وَالتَّخلِيد، لحَقَّ لهَا أَنْ تَصْبَح مَزَاراً لكُلِّ آدمي يُعرَف لبَني نَوعَه نَصِيباً مِن القَدَاسَة، وَحَظّاً مِن الفَضِيلَة، لأَنَّنا لاَ نَذْكر بُقعَة مِن بقَاع هَذِه الْأَرْض يَقْتَرن ٱسمهَا بجُملَة مِن الفَضَائِل وَالمنَاقب أَسمىٰ وَأَلزَم لنَوع الْإِنْسَان مِن تِلْكَ الَّتي ٱقْتَرنَت بٱسم كَرْبُلاَء بَعد مَصْرَع الحُسَين فِيهَا»[1].

هَذِه شهَادَة حَقّ مِن خَبِير مُنْصِف، لَقَد ٱقْتَرن تَأرِيخ كَربُلاَء بتَأرِيخ الْإِسلاَم كلّه، فَمَا مِن كِتَاب فِي تَأرِيخ العَرب وَالمُسْلِمِين إِلاَّ وَلكَربُلاَء مِنْهُ الحَظّ الْأَوفر، كمَا ظَهر أَثرهَا فِي كُتَّاب الغَرب، وَدوَاوين الشُّعرَاء، وَمَا ذُكرت عَلىٰ لسَانٍ، أَو فِي كِتَابٍ إِلاَّ بِالْإِكْبَار وَالتَّعظِيم، وَلولاَ الحُسَين لَمْ تَكُن شَيئاً مَذْكُوراً:

مَا رَوْضَة إِلاَّ تَمَنّت أَنَّها لَكَ مَضْجَع وَلخُطّ قَبْرك مَوضع[2]

---

(١) أنظر، كتَاب «أَبو الشُّهدَاء الحُسَين بن عَليّ»: ١١٢، طَبعَة القَاهِرَة.

(٢) أنظر، مُعْجَم الأُدبَاء ليَاقُوت الحَموي: ١١ / ١١٠.

مِنْ أَخْلاَقِ الإِمَامِ زَيْنِ العَابِدِين عليه السلام[1]

(١) سُمي زَين العَابدين لكَثرَة عبادَته وَهُو الإمَام الرَّابع عَليّ مَذهَب الإمَامِيَّة.
أُنظر، الصَّواعق المُحرقَة: ٢٠٠، تهذِيب التَّهذِيب للعَسقلاَني: ٧/ ٣٠٦، شَذرَات الذَّهب: ١/ ١٠٤.
وِلد الإمام زَين العَابدِين عليه السلام بِالمَدِينَة الشَّريفَة يَوْم الخَمِيس خَامس شعبَان سَنَة ثَمان وَثلاَثِين فِي أَيَّاماً جدّه عَليّ بن أَبِي طَالِب قَبل وَفَاته بِسَنتَين (أُنظر، أَخبَار الدُّول: ١٠٩، مَطَالب السّؤول: ٢/ ٤١، تَأرِيخ الأَئِمَّة لِابن أَبي ثَلج: ٤).
وَكُنيَته المَشهُورة: أَبُو الحَسَن، وَقِيل: أَبُو مُحمَّد، وَقِيل: أَبُو بَكْر (أُنظر، بَحر الأَنسَاب: ٥٢، صُبح الأَعش: ١/ ٤٥٢، الإتحَاف بِحُبّ الأَشرَاف: ٢٧٧، بِتَحقِّيقنَا).
وَأَلقَابه كَثِيرة: أَشهرهَا زَين العَابدِين، وسَيِّد العَابدِين، وَالزَّكي، وَالأَمِين وَذُو الثَّفنَات (أُنظر، ذخَائر العُقبىٰ: ١٥١، تَأرِيخ الطَّبري: ٦/ ٢٦٠، تَذكرَة الخوَاصّ: ١٥٦).
وَصِفَتهُ: أَصْفَر قَصِير نَحِيف (أُنظر، الفُصُول المُهمَّة فِي مَعرفَة الأَئِمَّة لِابْن الصَّباغ المَالكي: ٢/ ١٨٠، بِتحقِيقنا).
تُوفّي عَليّ زَين العَابدِين عليه السلام فِي ثَاني عَشر المُحرّم (أُنظر، مَطَالب السّؤول: ٧٩، تَأرِيخ المُلوك للقرَماني: ١١١) سَنَة أَربع وَتسعِين مِن الهِجرَة، وكَان عُمَره إِذ ذَاكَ سَبعَاً وَخَمسِين سَنَة (أُنظر، المعَارف لِابن قُتيبَة: ٢١٥، مطَالب السّؤول: ٧٩، الصَّوَاعق المُحرقة لِابن حَجر: ١٢٠).
وَلَهُ خَمسَة عَشر وَلداً (أُنظر، الصَّواعق المُحرقة: ٢٠١، تَهذِيب التَّهذِيب: ٤/ ٨٦، النُّجوم الزَّاهرة: ١/ ٢٠٢). ما بَيْن ذكرٍ وَأُنثى، أَحد عَشر ذكَراً، وَأَربع إِنَاث، وَهُم: مُحمَّد المُكنّىٰ بِأَبي جَعْفَر المُلقّب بِالبَاقر، أُمّه أُمّ عَبد الله بِنْت الحَسَن بن عَليّ عَمّ عَليّ زَين العَابدِين، وَزَيد، وَعُمر، أُمّهُما أُمّ وَلَد، وَعَبد الله، والحَسَن والحُسَين أُمّهَا أُمّ وَلَد، والحُسَين الأَصغر، وَعَبدالرَّحمن، وَسَلمان أُمّهم أُمّ وَلَد. وعَليّ وَكَان أَصغر وِلد عَليّ بن الحُسَين، وَخَدِيجَة، أُمّهما أُمّ وَلد، وفَاطِمَة، وعَلَيّة، وَأُمّ كُلثُوم، أُمّهن أُمّ وَلد.

↔

كَان مِن أَخلاَق زَين العَابدِين، وَمَا أَخلاَقه إلاَّ أَخـلاَق أَبـيه الحُسَـين، وَمَـا أَخلاَق الحُسَين إلاَّ أَخلاَق أَبيه عَليّ، وَمَا أَخلاَق عَـليّ إلاَّ أَخـلاَق ٱبْـن عَـمّه مُحمَّد، وَمَا أَخلاَق مُحمَّد إلاَّ أَخلاَق القُرآن الَّتي عَبَّر عَنْهَا الرَّسُول بِقَولِه: «إِنَّـمَا بُعثْتُ لأُتَمم مَكَارِم الأَخْلاَق»[1]. وَالَّتي شَهد الله بهَا لرَسُولهِ فِـي مُـحْكَم كـتَابهِ العَزِيز ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَـظِيمٍ﴾[2]، وَكُلّ وَاحد مِن أَئِمَّة أَهْل البَيْت عَلىٰ خُـلق جَدّه النَّبيّ المُختَار صلى الله عليه وآله.

كَان مِن أَخلاَق الإِمَام زَين العَابدِين عليه السلام الإِحسَان لمَن أَسَاء إِلَيه؛ فَقْد رُوي أَنَّه كَان لهُ ٱبْن عَمّ يُؤذِيه، فَكَان يَأتِيهِ الإِمَام لَيلاً، وَيُعطِيه الدَّنَـانِير، وَهُـو مُـتَستّر، فَيقُول لهُ: لَكن عَليّ بن الحُسَين لاَ يَصْلني، لاَ جَزَاه الله خَيراً، فَيَسمع الإِمَام ذَلِكَ وَيَصْبر، فَلَمَّا مَات ٱنْقَطعَت عَنْهُ الدَّنَانِير، فَعَلمَ أَنَّ الَّذي كَان يُـعطِيه وَيَـصلَه هُـو الإِمَام زَين العَابدِين عليه السلام[3].

فَهولاَء أَوْلاَده رَضي الله عَنْهُم أَجْمَعِين.

وَفِي بُغيَة الطَّالب: أَنَّ أَوْلاَد عَليّ زَين العَابدِين الذُّكُور عَشرَة فَقط. وَالله أَعْلَم (أُنظر، بُغيَة الطَّالب فِي ذِكر أَولاَد عَليّ بن أَبي طَالب، السَّيِّد مُحمَّد بن طَاهر بن حُسين بن أَبي الغَيث الحُسيني المَعرُوف بِٱبن بَحر اليَمني المُتوفَّىٰ عَام (١٠٨٦هـ). مَخطُوط. الإِرشَاد للشَّيخ المُفِيد: ٢ / ١٥٥، تَأرِيخ أَهل البَيْت: ١٠٣ نَقلاً عَن تَأرِيخ ٱبن الخَشّاب: ١٨٠ هَامش رَقم ٣٥، كَشف الغُمّة: ٢ / ٨١، تَذكرة الخـوَاصّ: ٣٤٢، الطَّبقَات الكُبرىٰ: ٥ / ٢١١).

(١) أُنظر، بدَايَة المُجتَهد: ٢ / ٣٢١، السُّنن الكُبرَىٰ: ١٠ / ١٩٢، تُحفَة الأَحوَذي: ٥ / ٤٧٠، نُـظم دُرَر السّمطَين: ٤٢، كَنز العُمّال: ١١ / ٤٢٠ ح ٣١٩٦٩، فَيض القَدِير شَرح الجَـامِع الـصَّغِير: ٥ / ٢٠٩، كَشف الخَفَاء: ١ / ٢١١ ح ٦٣٨، مَكَارِم الأَخْلاَق للطَّبرسي: ٨، مَكَارِم الأَخلاَق لِٱبْن أَبي الدُّنْيا: ٦، مُسْنَد الشّهاب: ٢ / ١٩٢ ح ١١٦٤، تَكملَة حَاشيَة ردّ المحتَار: ١ / ٢٣٤.

(٢) ٱلقَلَم: ٤.

(٣) أُنظر، تأرِيخ مُختَصر دِمَشق: ١٧ / ٢٤٠ و ٢٣٥، المنَاقب لِٱبْن شَهرآشُوب: ٤ / ١٥٧ و ١٦٢، سِير

وَكَان هِشَام بن إسمَاعِيل[١] وَاليَاً عَلَىٰ المَدِينَة مِن قِبل عَبدالمَلك بن مَرْوَان، وَكَان أَيَّام ولاَيَته يَتعمَّد الإِسَاءَة إِلَىٰ الإِمَام زَين العَابدِين عليه السلام، وَلمَّا حَكَم الوَلِيد بَعد وَالدَه عَبدالمَلك عَزَل هِشَامَاً، وَأَمرَ أَنْ يُوقَف فِي طَرِيق عَام، وَيُعرَض للنَّاس، كِي يَقْتَص مِنْهُ كُلّ مَن أَسَاء إِلَيه أَيَّام ولاَيَته، فَكَان الَّذِين يَمرُون بِهِ مِن الَّذِين ظلَمهُم، وَأَسَاء إِلَيهم يَشْتمُونه، وَيَضرِبُونه، وَيُطَالبُونه بِرَدّ ظُلاَمتهُم، وَكَان أَخوَف مَا يَخَاف مِن الإِمَام زَين العَابدِين عليه السلام لَكَثرَة مَا أَسَاء إِلَيه.

وَلَكنَّ الإِمَام عليه السلام جَمَع أَهْله وَخَاصّته، وَأَوصَاهُم أَنْ لاَ يَتَعرض لهُ أَحد مِنْهُم بمَا يَكْرَه، وَكَان يَمر بِهِ فَيُسلم عَلَيهِ، وَيلْطف بهِ، وَيقُول لهُ: أُنظر، إِلَىٰ مَا أَعْجَزك مِن مَالٍ تُطَالب بِهِ، فَعندنَا مَا يُسْعدك فَطِب نَفْسَاً مِنَّا وَمِن كُلّ مَن يُطِيعنَا[٢]. فَقَال هِشَام: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[٣].

وَبَعد مَذْبحَة كَرْبُلاَء ثَار أَهْل المَدِينَة عَلَىٰ الأُمَوِيِّين وَطَردهُم مِنْهَا، وَأَرَاد مَرْوَان بن الحَكم أَنْ يَستَودع أَهْلَه وَأَولاَده، وَيَأمَن عَلَيهم عِندَ مَن يَحمِيهم مِن القَتْل، وَالتَّشرِيد، فَلَم يَقْبلهُم أَحد، فَضَمّهم الإِمَام زَين العَابدِين إِلَىٰ عِيَاله، وَحمَاهم بكَنَفهِ، وَأَحسَن إِلَيهم، وَدَافَع عَنْهُم، وَلَم يَدع أَحداً يَصل إِلَيهم بسُوء[٤].

↔ أَعلاَم النُّبلاَء: ٤ / ٣٩٧، الطَّبقَات الكُبرىٰ: ٢١٤، كَشف الغُمّة: ٢ / ٧٥.

(١) أُنظر، تَهذِيب التَّهذِيب: ٧ / ٣٠٦، تَذكرة الحُفّاظ: ١ / ٧١، شَذرَات الذّهب: ١ / ١٠٤.

(٢) أُنظر، شَرْح الأَخبَار: ٣ / ٢٦٠، تَذكرَة الخوَاصّ: ٣٢٨، مَنَاقب آل أَبي طَالب: ٣ / ٣٠، تَأرِيخ الطَّبري: ٥ / ٣١٧، الكَامل فِي التَّأرِيخ: ٤ / ٥٢٦، مُختَصر تَأرِيخ دِمَشق: ١٧ / ٢٤، فَيض القَدِير شَرْح الجَامع الصَّغِير: ٥ / ٥٣٣، الطَّبقَات الكُبرىٰ: ٥ / ٢٢٠.

(٣) الأَنْعَام: ١٢٤.

(٤) أُنظر، صَفوة الصّفوة: ٢ / ٥٤، تَهذِيب الكَمَال: ٣ / ٤٥٤، كَانَت وَقعَة الحرّة سَنَة (٦٣ هـ).

وَالحَكَم وَالد مَرْوَان كَان يُؤذي الرَّسُول فِي مَكّة، وَيَستَهزيء بِهِ، وَيُخبر عَنْهُ المُشْرِكِين، وَقَد عَفَا النَّبيّ عَنْهُ فِيمَن عَفَا مِن الأُمويِّين يَوْم الفَتْح[١]. وَٱبْنه مَرْوَان قَاد الجُيُوش يَوْم الجَمَل[٢] مَع عَائِشَة، وَطَلْحَة، وَالزُّبَيْر لحَرب أَمِير المُؤمِنِين عَليّ، وَعفَا عَنْهُ بَعد أَنْ وَقَع أَسِيراً فِي قَبْضَته، فَترَكهُ ليَنْضم إِلَىٰ مُعَاويَة يُحَارب

(١) أنظر، النّزَاع وَالتَّخَاصم فِيمَا بَيْن بَني أُميَّة وبَني هَاشم: ٢٣، السِّيرَة النَّبويَّة: ٢ / ٨٢، طَبْعَة ٢ مِصْر، شَرح النَّهج: ١ / ٦٦ و ٢٣٣، مُسْتَدرَك الْحَاكِم: ٣ / ٣٣٧ و: ٣٤٥، الكَامِل لِابْن الأَثِير: ٣ / ٦٥ و ٧٣، الطَّبريّ: ٥ / ٨٠ و ٩٤، مُسْنَد أحمد: ٥ / ١٥٥ و ١٦٦، و: ٦ / ٤٥٧، كَنز الْعُمَّال: ٦ / ١٧٠، العِقد الفَرِيد: ٣ / ٩١، المعَارف لِابْن قُتَيْبَة: ٨٤، تَأرِيخ أَبي الفِدَاء: ١ / ١٦٨، الإِصَابَة: ٣ / ٦١٩، سُنن البَيْهَقِيّ: ٨ / ٦١، الطَّبَقَات لِابْن سَعد: ٥ / ٨، أَنْسَاب الأَشْرَاف: ٥ / ٢٨، كَنز الْعُمَّال: ١١ / ٦٨٥، البدَاية والنّهاية: ٦ / ٢١٤، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة: ١ / ٣٤ـ٣٨.

(٢) ذَكر قِصَّة الْجَمَل، وكِلَاب الْحَوْأب، الطَّبري فِي تَأرِيخه: ٣ / ٤٧٥، وَٱسم جَمل أُمّ الْمُؤمِنِينَ يسمّىٰ «عَسكَراً» وكَانَ عَظِيم الخَلق شَدِيداً، فَلَمَّا رَأتهُ أَعْجبهَا، وَأَنشأ الجمّال يُحدّثها بقُوَّتِه، وشِدَّتِهِ، ويقُول فِي أَثنَاء كَلَامه «عَسْكر» فَلَمَّا سَمعَت هَذِه اللّفظة ٱسترجَعت، وَقَالت: ردّوه لاَ حَاجَة لِي فِيهِ، وذَكرت حِين سُئلت أنَّ رَسُول الله صلى الله عليه وآله ذَكر لهَا هَذَا الاِسم، وَنَهاهَا عَن ركُوبه وَأَمرت أَنْ يُطلب لهَا غَيْره، فَلم يُوجد لهَا مَا يُشْبهه فَغيّر لهَا بجلالٍ غَيْر جَلاله، وَقِيل لهَا: قَد أَصبنَا لَكِ أَعظم مِنْهُ خَلقاً، وأشدّ مِنْهُ قوّة، وأُتيت بهِ فَرَضيت!

أُنظر، شَرح النّهج لِابْن أَبي الْحَدِيد: ٦ / ٢٢٤، وَفي: ٦ / ٢٢٧ (أَنّ عَائِشَة رَكبت يَوْم الحَرْب الْجَمَل المُسمّىٰ عَسْكراً فِي هَودجٍ قَد أُلبس الرّفُوف، ثُمّ أُلبس جلُود النِّمر، ثمّ أُلبس فَوق ذٰلِكَ درُوع الْحَدِيد)، فِي تَأرِيخ ٱبن أَعْثَمْ: ١٧٦ مِثْله، وَزَاد الطَّبَريّ فِي تَأرِيخه: ٥ / ٢١٢، وٱبن الأَثِير: ٣ / ٩٧ أنّ ضَبّة، والأَزد أَطَافت بعَائِشَة يَوْم الْجَمَل. وَإِذَا رِجَال مِن الأَزد يَأخذُون بَعر الْجَمَل يَفتّونه ـ يكسرُونه بأَصَابِعِهِمْ ـ وَيَشمّونه ويَقُولُون: بَعرُ جَمَل أُمّنا رِيحهُ رِيح المِسك...

مُروج الذّهب: ٢ / ٣٦٦، تَأرِيخ الطَّبري: ٥ / ١٧٨، وَطَبعة أُوروبا: ١ / ٣١٢٧، ٱبن كَثِير فِي تَأرِيخه: ٦ / ٢١٢، السُّيوطي فِي خصَائصه: ٢ / ١٣٧، والبَيْهَقِيّ، والمُسْتَدرَك: ٣ / ١١٩، والإِصَابَة: ٦٢، السِّيرة الْحَلَبِية: ٣ / ٣٢٠، مُسْنَد أحمَد: ٦ / ٩٧، السَّمعَاني فِي تَرجمَة الْحَوْأب في الأَنْسَاب، وَالسِّيرة الْحَلَبِية: ٣ / ٣٢٠، ومُنْتَخَب الكَنز: ٥ / ٤٤٤.

عَليّاً فِي صِفِّين[١]، وَبَعد أَنْ اَستَتب الأَمر لمُعَاويَة، وَنَصَّب مَرْوَان واليَاً عَلىٰ المَدِينَة جعَل مَرْوَان يُؤذي الإِمَام الحَسَن، وَيُجرّعهُ الغَيظ[٢]، ثُمَّ كَانَت مَجْزرَة الطَّفّ، وَظَهرَت مَخَازي الأُمويِّين فِي أَبْشَع صُورهَا.

وَبَعد هَذَا كُلّه لاَ يَصْفَح الإِمَام زَين العَابدِين عَن أَسوَاء أُمَيَّة، وَيَتجَاهلهَا فَحَسب، بَل أَحسَن إِلَيهِم، وَحَمىٰ لهُم العِيَال وَالأَطْفَال، وَضَمّهُم إِلَىٰ أَهْلهِ وَأَولاَده، وَدَفع عَنْهُم السّوء وَالأَذى، هَذَا بَعد أَنْ ذَبَح الأُمويُون أَخَاه الرَّضِيع[٣]، وَأَوطَأوا الخَيل صَدر أَبِيهِ وَظَهره[٤]، وَأَسرُوا الإِمَام زَين العَابدِين مَع عَمّاته مُكبّلاً بِالحَدِيد، وَهُو لمَا بِهِ مِن الأَسقَام وَالآلاَم[٥].

وَيَعْجَب كُلّ مَن عَرَف هَذِه الحَقِيقَة، وَيَتسَاءل فَي حَيرَة وَذهُول: كَيف فَعَل الإِمَام زَين العَابدِين هَذَا الفِعْل مَع مَن وَقَف ذَاكَ المَوقف مَعَهُ، وَمَع جدّه، وَأَبِيه، وَعَمّه، وَأُخوَته، وَنسَائه؟! وَهَل هَذَا حِلْم وَعَقل، أَو إِنْسَانِيَّة وَرَحمَة؟!.

---

(١) أُنظر، الإِسْتِيعَاب: ٦٤ـ٦٧، وَقْعَة صِفِّين: ٤٦٢ طَبعَة ٢ سَنَة ١٣٨٢ هـ، شَرْح النَّهج لِابْن أَبي اَلْحَدِيد: ١ / ٢٦١ و: ٢ / ٣٠١، تَهْذِيب اَبْن عسَاكر: ٣ / ٢٢٠، تَأرِيخ الطَّبَرِيّ: ٦ / ٨٠، و: ٤ / ٢٠، تَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢ / ١٤١، تَأرِيخ دِمَشْق: ٣ / ٢٢٢، نهَايَة الأَرَب للقَلقَشندي: ٣٧١، مُرُوج الذّهب بهَامِش اَبْن الأَثِير: ٦ / ٩٣، الجَمهرَة: ٢٢٨ و ٣٩١، أُسد الغَابَة: ٣ / ٣٤٠، و: ١ / ١٨٠، اَبْن الأَثِير: ٣ / ١٥٣.

(٢) أُنظر، المقَاتل: ٤٣، أَنسَاب الأَشرَاف: ١ / ٤٠٤، شَرح النَّهج لِابْن أَبي الحَدِيد: ٤ / ١١ و ١٧:... تأرِيخ الخُلفَاء: ١٣٨، الإِصَابة الصّوَاعق المُحرقة: ٨١، مُرُوج الذّهب بهَامش الكَامل: ٢ / ٣٥٣، ٦ / ٥٥، تَهذِيب تأرِيخ دِمشق لِابْن عَسَاكر: ٤ / ٢٢٦، وَأسمَاء المُغتَالِين مِن الأَشرَاف: ٤٤، تأرِيخ اليَعقُوبي: ٢ / ٢٢٥، اَبن شُحنة بهَامش اَبن الأَثِير: ١١ / ١٣٢.

(٣) أُنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٤ / ٣٤٢، المعَارف: ٢١٣، أَنسَاب الأَشرَاف: ٣ / ٣٦٢، مقَاتل الطَّالبِيين: ٩٤، الأَغَاني: ١٤ / ١٦٣، المَسْعُودي فِي يَنَابِيعه: ٣ / ٧٧، مَقْتَل الحُسَين للخوَارزمي: ٢ / ٣٢.

(٤) أُنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٤ / ٣١٤، وَالكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٣ / ٢٨٤.

(٥) تَقَدَّمت تَخرِيجَاته. وَأُنظر، مَقتل الخوَارزمي: ٢ / ٦١.

وَالجوَاب: أَنَّ هَذَا سُمُو وَترفُع عَن كُلّ مَا فِي هَذِهِ الحَيَاة. سمُو عَن طَبَائِع البَشر، وَانْفعَالاَت النَّاس. وَعمَّا يَشْتَرك فِيهِ أَنَا، وَأَنْتَ، وَغيرنَا. أَنَّ هَذَا مِن صُنع الإِمَامَة، وَالعِصْمَة لاَ مِن صُنْعي وَصُنعك، وَلاَ مِن صُنع الَّذين يَخطبُون وَيعظُون.

لَقَد عفَا مُحمَّد عَن أَبي سُفْيَان، وَزَوّجته هِنْد، وَعَن وَحْشي وَغيرهم، عفَا عَنْهُم، لأَنَّه مُختار مِن الله لاَ مِن النَّاس، وَعفَا عَليّ عَن مَرْوَان وَابْن العَاصّ، لأَنَّه إمَام بإِرَادَة السَّماء لاَ بِانْتخَاب أَهْل الأَرْض، وَفَعَل زَين العَابِدِين مَا فَعل، لأَنَّه الإِمَام ابْن الإِمَام أَبي الأَئِمَّة الأَطْهَار القَائِمين بحُجّة الله عَلىٰ جَمِيع خَلْقه.

فَلاَ بِدع إِذَن أَنْ يُحسن الإِمَام زَين العَابِدِين لمَن أَسَاء إِلَيه، وَلاَ عَجَب أَنْ يَفعَل الأُمويُون مَا فَعَلوا، وَإِنَّما العَجَب أَنْ لاَ يُحسن الإِمَام لمَن أَسَاء إِلَيه، وَأَنْ لاَ يُسيء الأُمويُون إِلَىٰ مَن أَحسَن إِلَيهم، وإِلَىٰ النَّاس أَجْمَعِين[1]، وَهَذَا هُو جوَاب الشَّاعر الَّذي قَالَ[2]:

وَعَلَيكَ خِزي يَا أُمَيَّة دَائِم

يَبْقَىٰ كمَا فِي النَّار دَام بَقَاكِ

فَلَقَد حَمَلتِ مِن الآثَام جَهَالَة

مَا عَنْهُ ضَاق لمَن وَعَاك وِعَاكِ

(١) أُنظر، صَحِيح مُسلم: ٣/١٤٠٨ ح ٨٦، سُنن أَبِي دَاود: ٣/١٦٣ ح ٣٠١٢. فهَذَا أَبُو سُفْيَان أَشدّ عَدَاوة لرَّسُول الله صلى الله عليه وآله فِي مُحَاربَته، وَغزوَاته تَشهَد بذَلك، وَإِنّما أَسلَم عَلىٰ يَد العَبَّاس الَّذي مَنع النَّاس مِن قَتله، وَجَاء بِهِ رَدِيفاً، شرّفه النَّبيّ صلى الله عليه وآله، وَكرّمه فكَانَ جَزَاء ذَلِك مِن بَنِيه أَنْ حَاربُوا عَليّاً عليه السلام، وَسَمّوا الحَسَن عليه السلام، وَقتلُوا الحُسَيْن عليه السلام، وَحمَلُوا النِّسَاء عَلىٰ الأَقْتَاب حوَاسراً، وَقيّدوا بِالحَدِيد زَين العَابِدِين عليه السلام الَّذي لمّا أَوْقفُوه عَلىٰ مَدرج جَامع دِمشق فِي مَحلّ عَرض السَّبايَا.

(٢) أُنظر، الدُّر النَّضِيد: ٢٤٠، الغَدِير: ٦/٥٨١، القَصِيدَة للشَّيخ عَليّ الشَّفهيني الحِلّي.

هَلَّا صَفَحتِ عَن الحُسَين وَرهطَه
صَفْح الوَصـي أَبِـيه عَـن آبَـاكِ ؟

وَعَفَفّتِ يَوْم الطَّـفّ عـفّة جَـدّه الـ
ـمَبعُوث يَوْم الفَتْح عَـن طُـلقَاكِ ؟

أَفَـهل يَـدٌ سَـلبَت إِمَـاءك مِـثْلمَا
سَلَبت كَرِيمَات الحُسَـين يَـدَاكِ ؟

أَم هَل بَـرَزْنَ بـفَتْح مَكّـة حُسّـراً
كـنِسَائِه يَـوْم الطُّـفُوف نسَـاكِ ؟

حُبّ الله وَالرَّسُول

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[1]

أَنَّ هَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة نَصّ صَرِيح فِي صِفَات عُمَر بن سَعَد، حَتَّىٰ كَأَنَّها نَزلَت فِيهِ بالذَّات. فَلَقد دَعَاه الحُسَين إِلَىٰ أَنْ يَكُون مَعَهُ، وَيَدع ٱبْن زيَاد، فَقَال ٱبْن سَعَد: أَخَاف أَنْ تُهْدَم دَاري. وَهَذَا مصدَاق قَولَه تَعَالىٰ: ﴿وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ﴾:

قَالَ الحُسَين: أَنَا أَبْنِيها لَكَ.

قَالَ ٱبْن سَعَد: أَخَاف أَنْ تُؤخذ ضَيعَتي. وهَذَا مَا دَلَّ عَلَيهِ قَوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾.

قَالَ الحُسَين: أَنَا أَخْلف عَلَيك خَيراً مِنْهَا.

قَالَ ٱبن سَعد: أَنَّ لِي بِالكُوفَة عِيَالاً أَخَاف عَلَيهم ٱبن زِيَاد. وَهَذَا مَا أَشَار إِلَيه قَولَه عزَّوجلَّ: ﴿وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾[2].

---

(١) ٱلتَّوْبَة: ٢٤.

(٢) أنظر، تأريخ الطَّبري: ٣ / ٣١٢ و: ٤ / ٣٤١، الكَامِل فِي التَّأرِيخ لِابن الأثِير: ٣ / ٢٨٣ و: ٤ / ٥٥٤.

هَذَا هُو مَبدَأ ٱبْن سَعَد الَّذي عَلَيهِ يَمُوت وَيَحيَا: ضَيْعَتهُ، وَدَارِه، وَأَهْله، وَعَشِيرَته، أَمَّا الدِّين وَالضَّمِير، أَمَّا الله وَرَسُوله فَأَلفَاظ يَجْتَرهَا مَا دَامَت تَحفظ لَهُ الضَّيعَة وَالدَّار، وَالأَبْنَاء وَالأَقَارب. حَارب ٱبْن سَعَد حُسَيناً بِدَافع المَنْفَعَة الشَّخصيَّة، وَحُبّ الدُّنْيَا، وَكُلّ مَن آثر المَال وَالأَهْل عَلىٰ طَاعَة الله، وَالرَّسُول فَإِنّه عَلىٰ مَبدأ ٱبْن سَعَد وَدِينَه، وَإِنْ بَكىٰ عَلىٰ الحُسَين حَتَّىٰ ٱبْيَّضت عَينَاه، وَلَعَن ٱبْن سَعَد فِي اليَوْم أَلف مَرّة، مَا دَام لاَ يَفعَل إِلاَّ بنَفْس البَاعث الَّذي بَعَث ٱبْن سَعَد عَلىٰ قَتْل الحُسَين.

قَالَ النَّبيّ صلى الله عليه وآله: «وَالَّذي نَفْسي بِيَده لاَ يُؤمِن عَبد حَتَّىٰ أَكُون أَحبّ إِلَيهِ مِن نَفْسهِ، وَأَبَويه، وَأَهْله وَوُلده، وَالنَّاس أَجْمَعِين»[1].

وَإِذَا عَطَفنَا هَذَا الحَدِيث الشَّرِيف عَلىٰ الحَدِيث الَّذي رَوَاه السُّنَّة وَالشِّيعَة:

↔ الكَامِل فِي التَّأرِيخ لِابْن الأَثِير: ٤ / ٥٥٤، الفُتُوح لِابْن أَعْثَم: ٥ / ١٠٣، مَقتل الحُسين للخوَارزمي: ١ / ٢٤٥، البدَاية وَالنّهاية: ٨ / ١٨٩.

(١) أُنظر، صَحِيح البُخَاريّ: ١ / ٩، مُسْنَد أَحمَد: ٣ / ٢٠٧ و ٢٧٥ و ٢٧٨، مُغْني المُحتَاج لمُحَمَّد بن الشَّربيني: ٤ / ٢٢٢، صَحِيح مُسْلِم: ١ / ٤٩، شَرْح صَحِيح مُسْلِم: ٢ / ١٥، سُنن ٱبن مَاجَه: ١ / ٢٦، كَشف القنَاع للبَهوتي: ٥ / ٣٠: الدّيبَاج عَلىٰ مُسْلِم: ١ / ٦٠، مُنْتَخب مُسْنَد عَبد بن حَمِيد: ٣٥٥، السُّنن الكُبرىٰ: ٦ / ٥٣٤ و: ٧ / ٤٨١ ح ١١٧٤٤ و ١١٧٤٦، مُسْنَد أَبي يَعلىٰ: ٥ / ٣٧٨ و: ٦ / ٢٣، صَحِيح ٱبن حَبَّان: ١ / ٤٠٦، المُعْجَم الأَوسَط: ٨ / ٣٥٥، مُسْنَد الشَّاميِّين: ٤ / ١٤ ح ٢٥٩٣ وص: ٩٢ ح ٣٣٣٨، كتَاب الأَربعُون الصُّغرىٰ للبَيهقي: ٨٥، كَنْز العُمَّال: ١ / ٣٧ ح ٧٠ و ٧١ وص: ٤١ ح ٩١، و: ١٢ / ١٨٣ ح ٣٤٥٨١ و ٣٤٥٨٤، فَيض القَدِير شَرْح الجَامع الصَّغِير: ٦ / ٥٧١، الشّفَا بتَعرِيف حُقُوق المُصْطَفىٰ للقَاضي عَيَّاض: ١٨، سُبل الهُدىٰ وَالرّشاد: ١٠ / ٤٧٦ و: ١١ / ٤٣٠، سُنن الدّارمي: ٢ / ٣٠٧، الإِيمَان لِابْن مَندَة: ١ / ٤٣٥، شُعب الإِيمَان: ٢ / ١٣٢، الفِرْدَوْس بمَأثُور الخِطَّاب: ٥ / ١٥٣، مُسْنَد أَبي يَعلىٰ: ٥ / ٣٧٨، السُّنن الكُبرىٰ: ٧ / ٤٨١ و: ١٠ / ٣١٩، مُسْنَد أَبي عوَانَة: ١ / ٣٣.

« حُسَين مِنّي ، وَأَنَا مِن حُسَين »[١] ، تَكُون النَّتيجَة الطَّبيعيَّة أَنَّ العَبد لاَ يُؤمِن حَتَّىٰ يَكُون الحُسَين أَحبّ إِلَيهِ مِن نَفْسه ، وَأَبوَيهِ × وَأَهْلِهِ ، وَوُلدِهِ ، وَالنَّاس أَجْمَعِين .

وَقَد وجِدَ بَيْنَ المُسْلِمين مِن الرّجَال ، وَالنِّسَاء مَن أَحبَّ النَّبيّ ﷺ هَذَا الحُبّ ، وَفَدَوه بِالأَروَاح ، والأَوْلاَد ، فَلَقد فرّ النَّاس عَنْهُ يَوْم أُحد ، وَثَبَت مَعَهُ الإِمَام عَليّ عليه السلام وَأَبُو دُجَانَة[٢] ، وَسَهل بن حُنَيف ، وَعَاصم بن ثَابت ، وَنَسيبَة بِنْت كَعَب المَازنيَّة ، وكَانُوا يَتَلقُون الضَّرب ، وَالطَّعن عَن الرَّسُول[٣] . وكَانَت نَسِيبَة تَخرُج مَعَهُ فِي غَزوَاته تُدَاوي الجَرحىٰ ، وَكَان ٱبْنهَا مَع مَن كَان فِي أُحد فَأَرَاد أَنْ يَنْهَزم وَيَترَاجع ، فَقَالَت لهُ : يَا بُني أَين تَفرّ عَن الله ، وَالرَّسُول ؟ ! فَرَدّته وَحَمل عَلَيهِ رَجُل فَقَتلهُ ، فَأَخذَت سَيفَه ، وَقَتلَت بِهِ قَاتلَه ، فَقَال لهَا النَّبيّ ﷺ : « بَارَك الله فِيكِ يَا نَسِيبَة » ، وَكَانَت تَقي الرَّسُول بصَدرهَا ، وَثَدييهَا حَتَّىٰ أَصَابتهَا جُرَاحات كَثِيرَة[٤] .

---

(١) تَقَدَّمَت تَخرِيجَاتَه .

(٢) أُنظر ، الكَافِي : ٨ / ٣١٩ ح ٥٠٢ ، تُحف العُقول : ٣٤٥ ، شَرح الأَخبَار : ٢ / ٤٧٣ . وأُنظر ، تَرجَمته فِي سِير أَعلاَم النُّبلاء : ١ / ٢٤٣ رَقم « ٣٩ » ، أُسد الغَابة : ٢ / ٣٥٢ .

(٣) أُنظر ، الكَامِل فِي التَّأرِيخ لِابْن الأَثِير : ٢ / ١٠٨ و ١٤٨ ، السِّيرة الحَلبِيَة : ٢ / ٢٢٧ ، تَأرِيخ الطَّبَرِيّ : ٢ / ٢٠٣ ، الدُّر المَنثُور : ٢ / ٨٠ و ٨٨ و ٨٩ ، شَرح النَهج لِابْن أَبي ٱلحَدِيد : ١٥ / ٢٠ و ٢٢ و ٢٤ و ٢٥ ، و : ١٣ / ٢٩٣ ، و : ١٤ / ٢٧٦ ، البداية والنّهاية لِابْن كَثِير : ٤ / ٢٨ و ٢٩ ، السِّيرة النَّبَوِيَّة لِابْن كَثِير : ٣ / ٥٥ و ٥٨ ، السِّيرة النَّبَوِيَّة لِابْن هِشام : ٤ / ٨٥ ، لُباب الآدَاب : ١٧٩ ، تَفْسِير الرَّازي : ٩ / ٥٠ و ٦٧ ، كَنز العُمَّال : ٢ / ٢٤٢ ، و : ١٠ / ٢٦٨ و ٢٦٩ ، حيَاة الصَّحَابَة : ١ / ٢٧٢ ، و : ٣ / ٤٩٧ ، المغَازي للوَاقدي : ٢ / ٦٠٩ و ٩٩٠ ، طَبقَات ٱبن سَعد : ٣ / ١٥٥ ، و : ٢ / ٤٦ و ٤٧ الطَبعة الأُولَى ، تَأرِيخ الخَمِيس : ١ / ٤١٣ و ٤٣١ طَبعَة آخر ، مُسْتَدرَك الحَاكِم : ٣ / ٢٧ ، مَجْمَع الزَّوائد : ٦ / ١١٢ .

(٤) أُنظر ، الطَّبقَات الكُبرىٰ : ٨ / ٤١٢ ، أُسد الغَابة : ١ / ٣٧٠ ، سِير أَعلاَم النُّبلاء : ٢ / ٣١٨ ، تَهذِيب التَّهذِيب : ١٢ / ٤٢٢ ، الإِصَابة : ٨ / ٤٤١ ، شَرح النَّهج لِابْن أَبي الحَدِيد : ١٤ / ٢٦٥ .

وَتَجمَّع النَّاس مَع الحُسَين، وَهُو سَائِر فِي طَرِيقهِ إِلَىٰ العِرَاق، وَلمَّا جَدّ الجِدّ تَفرقُوا عَنْهُ، كمَا تَفرقُوا عَن جَدّه مِن قَبل، وَلَم يَبق مَعَهُ إلاَّ صَفوَة الصَّفوَة مِن الَّذِين أَحبّوا الله، وَالرَّسُول وَآله، وَآثرُوا المَوت مِن أَجْلِهم عَلىٰ الأَهْل وَالمَال، قَال عَابس بن أَبي شَبِيب:

(«يَا أَبا عَبدالله، أَمَا وَالله أَمسىٰ عَلىٰ وَجْه الأَرْض قَرِيب وَلاَ بَعِيد أَعزّ عَليَّ، وَلاَ أَحبّ إِليّ مِنْكَ، وَلَو قُدرت عَلىٰ أَنْ أَدفَع عَنْكَ الضَّيم، وَالقَتْل بشَيء أَعزّ عَليّ مِن نَفْسي لفَعَلت[1]. السَّلاَم عَلَيك يَا أَبا عَبدالله، أَشهَد أَنّي عَلىٰ هَديك، وَهَدي أَبِيك، ثُمَّ مَشَىٰ بِالسَّيف إِلَىٰ المَعْركَة».

فَرَآهُ رَجُل مِن جَيْش ٱبْن سَعَد، وَكَان قَد شَاهدَهُ فِي المَغَازي، وَالحُرُوب، فَنَادىٰ بأَصحَابه: «أَيُّها النَّاس هَذَا أَسَد الأُسُود، هَذَا ٱبْن شَبِيب فَلاَ يَبْرُز إِلَيهِ أَحد»، فَأَخذ شَبِيب يُنَادي: أَلاَ رَجل أَلاَ رَجُل، فَتَحامَاه العَسكَر، فَنَادىٰ ٱبْن سَعَد: ٱرضَخُوه بِالحِجَارة، فَرَموه بهَا مِن كُلّ جَانب، فَالقىٰ دِرعَه وَمَغفرَه، وَشدّ عَلَيهم، فكَان يَطرد أَمَامه أَكثَر مِن مِئَتَين»)[2].

وَمَا أَشْبَه مَوقف أُمّ وَهَب فِي كَرْبُلاَء بمَوقف نَسيبَة فِي أُحد، قَالَت لاِبْنها

---

(١) أُنظر، تَأرِيخ الطَّبَري: ٥/ ٣٥٥ و ٤٤٣، شَرْح الأَخبَار: ٣/ ٢٤٩، مُعْجَم رِجَال الحَدِيث: ١٠/ ١٩٣ رَقم «٦٠٥٢»، رِجَال الطُّوسي: ٢٠٣، مَقْتل الحُسَين للخوَارزمي: ١/ ١٩٧، البِدَايَة وَالنّهايَة: ٨/ ٢٠٠، مُثِير الأَحزَان: ٢١.

(٢) أُنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٥/ ٣٥٥ و ٤٤٣، مَقْتل الحُسَين للخوَارزمي: ١/ ١٩٧، شَرْح الأَخبَار: ٣/ ٢٤٩، مُعْجَم رِجَال الحَدِيث: ١٠/ ١٩٣ رَقم «٦٠٥٢»، رِجَال الطُّوسي: ٢٠٣، البِدَايَة وَالنّهايَة: ٨/ ٢٠٠، مُثِير الأَحزَان: ٢١.

وَهَب: « قُم يَا بُني ! وَٱنصُر ٱبْن بِنْت رَسُول الله . قَالَ : أَفْعَل يَا أُمّاه ، وَلاَ أُقَصِّر »[١] .
وَحَمل عَلىٰ جَيْش الأَعدَاء ، حَتَّىٰ قَتَل مِنْهُم جَمَاعَة ، فَرَجع إِلَىٰ أُمّه وَٱمرَأته ، وَقَالَ : يَا أُمّاه أَرَضيتِ ؟

فَقَالَت : كَلّا ، إِلاَّ أَنْ تُقْتَل بَيْنَ يَدي الحُسَين .

فَقَالَت لهُ ٱمرَأته : باللهِ عَلَيك لاَ تَفْجَعني فِي نَفْسك .

فَقَالَت أُمّه : لاَ تَقْبَل مِنْهَا ، ٱرجَع وَقَاتل ، فَيكُون رَسُول الله شَفِيعَاً لَكَ يَوْم القِيَامَة[٢] ، فَرَجع ، وَهُو يَقُول :

إِنّـي زَعِـيم لَك أُم وَهَب ... بِالطَّعن فِـيهِم تَـارَة وَالضَّـرب
إِنّـي ٱمـرء ذُو مُـرّة وَعَـصب ... وَلَستُ بِـالخوَار عِـندَ النُّكب
حَسْبي إِلٰهي مِن عُلَيم حَسْـبي

وَلَم يَزل حَتَّىٰ قَتَل تِسعَة عَشَر فَارسَاً ، وَإِثني عَشَر رَاجلاً ، ثُمَّ قُـطعَت يَـدَاه ، فَأَخَذت أُمّه عَموداً ، وَأَقْبَلت نَحوه ، وَهي تَقُول : « فِدَاك أَبـي وَأُمّـي قَـاتل دُون الطَّيبِين حَرَم الرَّسُول » ، وَأَرَاد أَنْ يَردّها إِلَىٰ النِّسَـاء ، فَأَخـذَت بـجَانب ثـوبه ، وَقَالَت : لَن أعِود أَمُوت مَعَك . فَقَال لهَا الحُسَين :

---

(١) أُنظر ، تَأرِيخ الطَّبَري : ٥ / ٤٢٩ ـ ٤٣٠ و ٤٣٦ و ٤٣٨ ، البِدَايَـة وَالنّـهايَة : ٨ / ١٩٧ ، الكَـامل فِـي التَّأرِيخ : ٢ / ٥٦٤ ، تَأرِيخ الطَّبري : ٤ / ٣٢٧ ، أَعيَان الشِّيعَة : ١ / ٦٠٢ ، مُثِير الأَحـزَان : ٤٦ ، بـحَار الأَنوَار : ٤٥ / ١٧ ، العَوَالم : ٢٦٠ ، مَقْتل الحُسَين لأَبي مَخْنَف : ١٢٤ ، اللُّهُوف فِي قَتلىٰ الطُّفُوف : ٦٣ و ١٣٠ ، أَمَالي الشَّيخ الصَّدوق : ٣٢٥ ، رَوضَة الوَاعظِين : ١٨٧ ، لوَاعج الأَشجَان : ١٤٤ .

(٢) أُنظر ، مَقْتَل الحُسَين للخوَارزمي : ٢ / ١٢ ، تَرجَمة الإِمَام الحُسَين لِابن عَسَـاكـر : ٣٣١ ، العَـوَالم : ٣٣٨ ، مَقْتَل الحُسَين لأَبي مَخْنَف : ١٢٤ ، لوَاعج الأَشجَان : ١٣٨ .

ٱرْجعي، جُزيتُم مِن أَهْل بَيْت خيراً». فرَجَعت.

وَقَاتَل وَهزب حَتَّىٰ قُتل، فَذَهَبت ٱمرَأته تَمْسَح الدَّم عَن وَجْهِهِ، فَبَصر بهَا شِمر، فَأَمر غُلاَماً لهُ، فَضَربهَا بعَمُود كَان مَعَهُ عَلىٰ رَأسهَا، فَشَجّها وَقَتلهَا، وَهي أَوّل ٱمرَأة قُتلَت فِي عَسكَر الحُسَين عليه السلام[1].

وَكَان غُلاَم مَع أُمّه في كَرْبُلاَء قُتل أَبُوه فِي المَعْرَكَة، فَقَالَت لهُ أُمّه: أُخرُج يَا بني، وَقَاتل بَيْنَ يَدي الحُسَين، فخَرج، وَلمَّا رَآه الحُسَين، قَالَ: هَذَا شَاب قُتل أَبُوه، وَلعلَّ أُمّه تَكرَه خرُوجه. فَقَال الغُلاَم: أُمّي أَمَرتني بِذَلِكَ؟ فَبرَز وَهُو يَقُول:

أَمِيري حُسَين وَنِعمَ الأَمِير — سُرُور البَشِير النَّذِير

عَليّ، وفَاطِمَة وَالدَاه — فَهَل تَعْلمُون لهُ مِن نَظِير

لهُ طَلعَة مِثْل شَمْس الضُّحىٰ — لَه غُرّة مِثْل بَدْر مُنِير

وَقَاتل حَتَّىٰ قُتل. فَأَخذَت أُمّه رَأسَه، وقَالَت: أَحْسَنت يَا بُني، يَا سُرُور قلْبي، وَيَا قُرّة عَيني، ثُمَّ رَمَت برَأس ٱبْنهَا رَجُلاً فَقتلَته، وَأَخذَت عَمُود خَيمَته، وَحَمَلت عَلَيهِم وَهي تَقُول:

أَنَا عَجُوز سَيِّدي ضَعِيفَة — خَاوِيَّة بَالِية نَحِيفَة

أَضربكُم بِضَربَة عَنِيفَة — دُون بَني فَاطِمَة الشَّرِيفَة

وَضَربَت رَجُلين فَقَتلتهُما، فَأَمر الحُسَين عليه السلام بِصَرفهَا، وَدَعا لهَا[2].

أَرَأيتَ إِلَىٰ هَذِه!.. أُمّ لاَ تَرضىٰ عَن وَلدهَا، وَأَعزّ مِن كَبدهَا إِلاّ أَنْ تَرَاه مُضرجَاً

---

(١) أنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٤ / ٣٢٧، وَقعَة الطَّف: ٢١٧، البدَايَة وَالنّهايَة: ٨ / ١٩٧، منَاقب آل أَبي طَالب: ٣ / ٢٥٠، مُثِير الأَحزان: ٤٢، الكَامِل فِي التَّأريخ: ٢ / ٥٦٤.

(٢) أُنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٤ / ٣٣٣، مَقتَل الحُسَين للخوَارزمي: ٢ / ٢١ و ٢٢.

بدمَائِهِ جُثَّة بِلاَ رَأس!... وَلاَ عَجَب أَنَّه حِبّ الله وَرَسُوله وَعِترَته، وَلَيْسَ كَمِثل الله وَرَسُوله وَعِترَته شَيء، فكَذَلِكَ حُبّهم عِندَ المُؤمِنِين حَقّاً لاَ يِعَادله شَيء، حَتّىٰ الْأَروَاح وَالْأَبْنَاء.

بِهذَا الحُبّ، بِهذَا الْإِخلاَص لأَهْل البَيْت، بِهَذِه التَّضحيَة، بِهَذِه الرُّوح وَحدهَا يَسْتَعد المُؤْمِنُون الخُلّص لمَا بَعد المَوت، بهَذَا الزُّهد فِي العَاجل يَقفُون غَداً مَرفُوعي الرُّؤوس أَمَام جَبَّار السَّموَات وَالْأَرْض.

لقَد تَرَك أَصحَاب الحُسَين الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لله وَفي الله، وَضحُوا بالْأَروَاح، وَالْأَزوَاج، وَالْأَبْنَاء، وَالْأَموَال فِي حُبّ الحُسَين، وَمودّة القُرْبَىٰ، وَإِعلاَء كَلمَة الحَقّ، فَكَانُوا مَع الحُسَين وَجدّه فِي الآخرَة، كمَا كَانُوا مَعَهُ في الدُّنْيَا، وَحَسُن أُولَئك رَفِيقاً.

قَالَ الْإِمَام البَاقر عليه السلام: «إِذَا أَردتَ أَنْ تَعْلَم أَنَّ فِيكَ خيراً، فَانظُر إِلَىٰ قَلْبَك، فَإِنْ كَان يُحبّ أَهْل طَاعَة الله عزّوجلّ، وَيَبْغض أَهْل مَعْصيَته فَإِنَّ فِيكَ خَيرَاً، وَإِنْ كَان يُحبّ أَهْل مَعْصيَة الله، وَيَبغَض أَهْل طَاعَته فَلَيْس فِيكَ خَير، وَالله يَبغضك وَالمَرء مَع مَن أَحَب»[1].

عَجباً لقَلْبي وَهُو يَألَف حُبّكُم ... لِمَ لاَ يَذُوب بحُرقَة الْأَرزَاء
وَعَجبتُ مِن عَيني وَقَد نَظَرت إِلَىٰ ... مَاء الفُرَات فَلَم تَسل فِي المَاء

(١) أُنظر، صَحِيح البُخَاري: ٧ / ١١٢، صَحِيح مُسْلِم: ٨ / ٤٣، سُنن الدّارمي: ٢ / ٣٢١، المَحَاسن: ١ / ٢٦٣ ح ٣٣١، عِلَل الشَّرائع: ١ / ١١٧ ح ١٦، مُصادقَة الإِخوَان: ٥٠ ح ٣، بحَار الكَافي: ٢ / ١٢٦ ح ١١، بحَار الأَنوَار: ٦٦ / ٢٤٧، يَنَابيع المَودّة: ١٨٨، الإِشرَاف عَلىٰ فَضل الأَشرَاف لإِبرَاهِيم الحَسَنيّ، الشّافِعيّ، السَّمهُوديّ، المَدَنيّ: ٢٦٧ بِتَحقِّيقنَا.

عَدَاء فِي الله

وَمَا كُلّ جَدٌّ فِـي الرِّجَـال مُـحَمَّد   وَلاَ كُـلّ أُمّ فِـي النِّسَـاء بَـتُول[1]

أَجل، وَلاَ كُلّ أَب كعَليّ، وَلاَ كُلّ آخ كَالحَسَن، وَلاَ كُلّ أُخت كزَينَب، وَلاَ كُل آبْن كزَين العَابدِين، وَلاَ كُلّ أَصْحَاب كَحَبِيب، وَزُهَير، وَبُـرَير، وَلاَ كُـلّ شَـهِيد كَالحُسَين، وَيَقف يَزِيد فِي المَوقف المُـعَاكس المُـنَاقض فِـي نَسَـبه وَأَخـلاَقه وَأَصْحَابه، فَلاَ سكِّير وَشرِّير كيَزِيد، وَلاَ أَحد أَخْبَث مِن أَبيهِ مُعَاويَة، وَلاَ عَدوّ لله وَرَسُوله أَعدىٰ مِن جَدّه أَبي سُفْيَان، وَلاَ آكلَة لأَكبَاد الشُّهدَاء، كَجدّته هِنْد، وَلاَ أَصْحَاب أَكثَر لُؤمَاً وَجُرماً مِن آبْن زِيَاد، وَشِمر، وَآبْن سَعَد.

قَالَ الإِمَام الصَّادِق بقَولهِ: «نَحْنُ وَآل أَبي سُفْيَان تَعَادينَا فِي الله، قُلنَا: صَدَق الله. وقَالُوا كَذَب الله»[2]. فَالعدَاء، إِذَن، بَيْنَ الصِّدق وَالكَذب، وبَيْنَ الكُفْر الَّذي يَتَمثّل بالأُمويِّين، وبَيْنَ الإِيمَان الَّذي يَتَجسّم بأَهل البَيْت، وَقَد حَاول مُعَاويَة أَنْ يَجْمَع الحَقّ وَالبَاطل، وَيُجري المُصَالحَة بَيْنَ الرَّحمن وَالشَّـيطَان، فَكَـتَب إِلَـىٰ

---

(١) مِن قَصِيدَةِ الشَّيخ حَسَن آل أَبي عَبدالكَرِيم المَخزُومي مِن شُعرَاء الشِّيعَة فِي القَرن الثَّامن كمَا جَاء فِي الغَدِير: ٦ / ٣٩٨ و: ١١ / ٢١٠.

(٢) أُنظر، مَجْمَع الزَّوَائِد: ٧ / ٢٣٩، مُسْنَد البَزّار: ٢ / ١٩١ ح ٥٧١، وَقْعَة صِفِّين لنَصر بن مُزَاحم: ٣١٨، مَعَاني الأَخبَار: ٢٤٦، النَّصَائِح الكَافيَة لِمَن يَتَولىٰ مُعَاويَة: ٤٦، المِعيَار وَالمُوَازنَة: ١٤٥.

مَرْوَان بن الحَكم، وَكَان عَلىٰ المَدِينَة، أَنْ يَخْطُب بِنْت زَيْنَب بِنْت أَمِير المُؤمِنِين، وَأَبُوهَا عَبدالله بن جَعْفَر، أَنْ يَخْطبهَا لِابْنِهِ يَزِيد، فَكَلَّم مَرْوَان أَبَاهَا عَبدالله، فَقَال لهُ: أَنَّ أَمرهَا إِلَىٰ سَيِّدنَا الحُسَين خَالهَا، فَذَهَب مَرْوَان إِلَىٰ الحُسَين، وَقَالَ لهُ: أَنَّ مُعَاوِيَة أَمَرني أَنْ أَجْعَل مَهرهَا حُكم أَبيهَا بَالغاً مَا بَلَغ، مَع قَضَاء دَينَه، وَصُلح مَا بَيْنَ هَذَين الحَيَّين، وَأَنْ مَن يَغْبطكُم بيَزِيد أَكْثَر مَن يَغْبطَه بكُم، وَالعَجَب كَيف يَستَمهر يَزِيد، وَهُو كُفؤ مَن لاَ كُفؤ لهُ، وَبوَجْهه يُسْتَسقىٰ الغمَام!...

فَقَال الحُسَين: الحَمد لله الَّذي اْختَارنَا لنَفسهِ، وَاْرتَضَانَا لدِينه، وَاْصطَفَانَا عَلىٰ خَلقهِ، أَمَّا قَولَك يَا مَرْوَان مَهرهَا حُكم أَبِيهَا، فَلعَمري لَو أَردنَا ذَلِكَ مَا عَدونَا سُنّة رَسُول الله فِي بنَاته وَنسَائه، وَهُو أَرْبَعمِئة وَثمَانُون درهَماً، وَأَمَّا قَولَك عَن قَضَاء دَين أَبِيها فَمَتىٰ كَان نسَاؤنا يَقضِينَّ عنَّا الدّيُون؟! وَأَمَّا صُلح مَا بَيْنَ الحَيَّين فنَحْنُ عَادينَاكُم فِي الله، فَلاَ نُصَالحكُم للدُّنيَا، وَأَمَّا قَولك كَيف يَستَمهر يَزِيد فَقْد اْستَمهَر[1] النَّبيّ صلى الله عليه وآله، وَأَمّا قَولك يَزِيد كُفؤ مَن لاَ كُفؤ لهُ فَمَن كَان كُفؤه قَبل اليَوْم فَهُو كُفؤه اليَوْم مَا زَادَته إِمَارَته فِي الكَفَاءة شيئَاً، أَمَّا قَولك بوَجههِ يُستَسقىٰ الغمَام فَإِنَّما ذَاك وَجْه رَسُول الله، وَأَمَّا قَولك مَن يَغْبطنَا بهِ أَكثَر مِمَّن يَغْبطَهُ بنَا، فَإِنَّما يَغبطنَا بهِ أَهْل الجَهْل، وَيَغبطهُ بنَا أَهْل العَقل، ثُمَّ أَشهَدَ الحُسَين مَن حَضَر عَلىٰ أَنَّه زَوّج اْبنَة شَقِيقَته، وَكَانَت تُدعىٰ أُمّ كُلثُوم، مِن اْبن عَمّها القَاسم بن مُحمَّد بن جَعْفر بن أَبي طَالِب.

أَرَاد يَزِيد اْبن آكلَة الأَكبَاد الزَّوَاج مِن بِنْت العَقِيلَة زَيْنَب بِنْت عَليّ وَفَاطِمَة،

(١) اْستَمهَر، أَي دَفَع المَهر.

وَجَعل المَهر أَربعمِئة وَثَمَانِين درهَماً، وَنَحلهَا ضَيعَة لهُ، وكَانَت غِلتهَا ثَمَانيَة آلآف دِينَار.

وَخُيِّلَ لأَبِيه مُعَاوِيَة، وَهُو صَاحب العَرش وَالتَّاج أَنَّ بمَقدُوره الجَمع بَيْنَ الفُجُور وَالقَدَاسَة، بَيْنَ الشَّجرَة المَلعُونَة فِي القُرآن، وَمَن أَذْهَب الله عَنْهُم الرِّجس، وَطَهّرْهُم تَطْهِيراً، وَلَكن الحُسَين أَلقىٰ عَلَيهِ دَرسَاً مِن أَهم الدُّرُوس وَأَبْلَغهَا، وَأَفْهَمه أَنَّه، وَإِنْ اٰمتَّد سُلطَانه، وَكَثُر مَاله فَهُو أَذَل مِن ذَلِيل، وَأَخَس مِن خَسِيس، وَأَحْقَر مِن أَنْ يَكُون كُفؤاً للطَّيِبين الأَبرَار، أَفْهَمهُ أَنَّهُم أَهْل بَيْت لاَ يَتزوّجُون وَلاَ يُزوّجون زَوّاجاً تجَارِيَّاً، وَإِنَّ الخُصُومة بَيْنَ البَيْتَين لَيْسَت عَلىٰ الجَاه وَالسُّلطَان، وَلاَ عَلىٰ المَال وَالحُطَام، وَإِنَّما هِي خصُومَة فِي الله، وبَيْنَ مَن كَذّب الله وَصَدّقه[١].

وَهَذَا هُو السَّبَب الأَوّل وَالأَخِير الَّذي بَاعد بَيْنَ العِترَة الطَّاهِرَة وَأُمَيَّة الفَاجِرَة، وَهَذَا هُو التَّفسِير الصَّحِيح لمَذبحَة كَرْبُلاَء. وَمِن الخطَأ أَنْ يُعدّ مِن أَسبَاب هَذِه الكَارِثَة رَدّ يَزِيد حِين أَرَاد الزَّواج مِن بِنْت العَقِيلَة، وَمَنْعه مِن الوصُول إِلَىٰ زَيْنَب زَوّجَة عَبدالله بن سَلَّام، كَلَّا، لاَ سَبَب إِلاَّ العَدَاء فِي الله، إِنَّ أَهْل البَيْت لاَ يُحبّون وَلاَ يُبغضُون إِلاَّ فِي الله، فَإِذَا زُوّجُوا، أَو تَزَوّجُوا، أَو رَفضُوا، فَعَلىٰ هَذَا الأَسَاس وَحْدَه، فَهُو مَبدَأهُم، وَهَدفهُم، وَشعَارهُم.

لَمْ يَطلبُوك بثَأْرٍ أَنْتَ صَاحِبَهُ ... ثَأر لعَمرُك لَولاَ الله لَمْ يُثر[٢]

---

(١) أُنظر، مَنَاقب آل أَبي طَالب: ٣ / ٢٠٠. وَرَوَاه مُختَصراً صَاحب الإِصَابَة: ٨ / ٢٧٩، مُقدَّمة فَتْح البَاري: ١ / ٢٤١، مُعْجَم مَا اٰستَعجم: ٢ / ٦٥٩، مُستَدرك الوَسَائِل: ١٥ / ٩٨ ح ٥.

(٢) أُنظر، دِيوَان الأُزري الكَبِير، للشَّيخ كَاظم الأُزري التَّمِيمي: ٣٠٠.

هَذَا كِتَابُ الله

نَكثَ طَلْحَة وَالزُّبَيْر بَيْعَة الْإِمَام عَليّ عليه السلام، وَتَحَالفَا مَع عَائِشَة عَلىٰ حَرْبهِ، وَجمعُوا عَلَيهِ المَجْمُوع يَوْم الجَمل، وَنكّلُوا بعَاملهِ ٱبن حُنَيف، وَقتلُوا كَثِيراً مِن الصَّالحِين الآمنِين، وَحِين قَابلُوه وَجْهَاً لوَجْه، وَشرّعُوا عَلَيهِ السُّيُوف وَالرِّمَاح دَعَا أَمِير المُؤمِنِين بمُصْحَف، وَقَالَ: («مَن يَأخذهُ وَيَدعُوهُم إِلَىٰ مَا فِيهِ، فَيُحيُون مَا أَحيَاه، وَيُمِيتُون مَا أَمَات». فَقَام فَتىً، ٱسمهُ مُسْلِم المُجَاشعي، وَقَالَ: يَا أَمِير المُؤمِنِين أَنَا آخذهُ وَأَدعُوهم إِلَىٰ مَا فِيهِ.

فَقَال لهُ الْإِمَام: إِنَّك إِنْ فَعَلتَ ذَلِكَ لمَقتُول. فَقَال الفَتىٰ: وَالله يَا أَمِير المُؤمِنِين مَا مِن شَيء أَحبّ إِلَيَّ مِن الشَّهادَة بَيْنَ يَدَيك، فَأَخذَ المُصحَف وَتوجّه إِلَىٰ عَسكَرهِم، فَنَظر إِلَيه أَمِير المُؤمِنِين، وَقَالَ: «إِنَّ الفَتىٰ مِمَّن حَشَا الله قَلْبه نُوراً وَإِيمَاناً، وَهُو مَقْتُول، وَقَد ٱشفَقتُ عَلَيهِ مِن ذَلِكَ، وَلَن يُفلح القَوم بَعد قَتْلهِم إِيَّاه»، فَمَضىٰ الفَتَىٰ بِالمُصحَف حَتَّىٰ وَقَف بِأَزَاء عَسْكَر عَائِشَة، وَكَان لهُ صَوت، فَنَادىٰ: «مَعْشَر النَّاس، هَذَا كتَاب وَأَنَّ أَمِير المُؤمِنِين عَليّ بن طَالِب يَدعُوكُم إِلَىٰ الحُكم بِمَا أَنْزَل الله فِيهِ، فَأَنِيبُوا إِلَىٰ طَاعة الله، وَالعَمل بكتَابهِ، وَكَانَت عَائِشَة وطَلْحَة والزُّبَيْر يَسمعُون فَأَمسكُوا عَن الجوَاب، وَبَادَر أَصحَاب الجَمل إِلَىٰ الفَتىٰ، وَالمُصحَف فِي يَمِينهِ فَقطعُوا يَدَه اليُمنىٰ، فَتنَاول المُصْحَف بِيَده اليُسرىٰ،

وَنَادَاهُم بِأَعْلَىٰ صَوتِه مِثل نِدَائه الأَوَّل، فَقطعُوا يَدَه اليُسرىٰ، فَاحْتَضن المُصْحَف، وَدمَاؤه تَجري عَلَيهِ، وَنَادَاهُم إِلَىٰ العَمَل بهِ، فَقَتلُوه، قَطَّعُوه إِرباً إِرباً. فَقَال الإِمَام: «وَالله مَاكُنْتُ فِي شَكٍ وَلاَ لَبْس مِن ظَلاَلَة القَوم وَبَاطلهم، وَلَكن أَحْبَبتُ أَنْ يَتبيَّن لَكُم ذَلِكَ»)[1].

أَحبَّ الإِمَام أَنْ يُبيّن للنَّاس وَللأَجيَال أَنَّه وَمَن اتّبعهُ عَلىٰ حَقٍّ وَهدَايَة، وَأَنَّ مَن حَارَبه وَعَانَده عَلىٰ بَاطل وَضَلاَلة، أَرَادَ أَنْ يُقِيم الدَّلِيل المَحسُوس المَلمُوس عَلىٰ أَنَّه إِمَام العَدْل وَالرَّحمَة، وَخُصُومه أَئِمَّة الظُّلم وَالجَور: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

وَهَكَذَا فَعَل وَلَدهُ الحُسَين يَوْم الطَّفّ، فَمَا أَنْ كَانَت صَبِيحَة اليَوْم العَاشر مِن المُحرّم حَتَّىٰ لَبْس عِمَامَة جَدّه رَسُول الله وَردَاءَه، وَتَقلَّد سَيف جَدّه، وَرَكب نَاقة أَو فَرَسهُ المَعرُوفَة، وَوَضع المُصْحَف أَمَامَهُ، وَاتّجه إِلَىٰ الّذِين تَجمّعُوا عَلىٰ قَتْلِهِ، وَشَرّعُوا السُّيُوف وَالرِّمَاح فِي وَجْهِهِ، وَرَفع يَدَيه إِلَىٰ السَّمَاء، وَقَالَ عَلىٰ مَسمَع مِن الجَمِيع:

«أَللَّهُمَّ أَنْتَ ثِقَتي فِي كُلّ كَرْب، وَأَنْتَ رَجَائِي فِي كُلّ شدّة، وَأَنْتَ لِي فِي كُلّ أَمرٍ نَزلَ بي ثِقَة وَعدّة، كَمْ مِن هَمٍّ يَضْعَف فِيهِ الفُؤَاد، وَتَقلُّ فِيهِ الحِيلَة، وَيُخذل فِيهِ الصَّدِيق، وَيَشمت فِيهِ العَدوّ أَنزَلته بِكَ، وَشَكوتَه إِلَيكَ رَغبَة مِنّي إِلَيكَ عَمَّن سوَاك، فَفَرجتَه عَنّي وَكَشَفته وَكفَيته ؟! فَأَنْت وَلي كُلّ نِعمَة وَصَاحب كُلّ حَسَنة

---

(١) أنظر. الفُتوح لِابْن أَعْثَمْ: ١/ ٤٦٥، ابن حَزم فِي الجَمهرَة: ١٦٢، الأَغَاني: ١٠/ ٢٠٣، شَرح النَّهج لِابْن أَبِي الحَدِيد: ٩/ ١١٢ تحقِيق مُحمّد أبو الفَضْل. تَأرِيخ الطَّبري: ٣/ ٥١٧ و، ٥/ ٢٠٦ و ٢١٦، و: ٣/ ٥٢٢، أُسد الغَابَة: ٣/ ٣٠٨، نَسب قُرَيْش: ١٩٣، مُروج الذّهب: ٢/ ٩ و ١٣.

(٢) الأَنفَال: ٤٢.

وَمُنْتَهىٰ كُل رَغْبَة »[1].

وَبَعد أَنْ نَاجىٰ رَبّه بهَذِه الدّمُوع الحَزِينَة، وَالقَلب النّقي التَفت إِلَىٰ جمُوع الضَّلاَل، وَقَالَ:

« أَيّها النَّاس آسمعُوا قَولي، وَلاَ تَعْجلُوني حَتَّىٰ أَعظَكُم بِمَا يَجْب لكُم عَلَيَّ. وحَتَّىٰ أَعْتَذر إِلَيكُم مِن مَقدَمي عَلَيكُم، فَإِنْ قَبلْتُم عُذري، وَصَدّقتُم قَولي، وَأَنْصفتمُوني، كُنتم بذَلِكَ أَسعَد، ولَم يَكُن لكُم عَليَّ سَبِيل، وَإِنْ لَم تَقبلُوا مِني العُذر فَآجمعُوا أَمركُم وَشُركَائكُم، ثُمَّ لا يَكُن أَمركُم عَلَيكُم غُمَّة، ثُمَّ آقضُوا إِليَّ وَلاَ تَنظرُون وَلِيي الله الَّذي نَزّل الكتَاب وَهُو يَتولىٰ الصَّالحِين ».

« أَمَّا بَعْد. فَآنسبُوني، فَآنْظرُوا مَن أَنَا، ثُمَّ آرْجعُوا إِلىٰ أَنْفُسكُم فَعَاتبُوهَا، وَآنْظرُوا: هَلْ يَصْلُح لَكُم قَتْلي وَآنْتِهَاك حُرْمَتي؟ أَلَستُ آبن بِنْت نَبِّيكُم ﷺ، وَآبْن وَصيّه وَآبن عَمّه، وأَوّل المُؤْمِنين بِالله، وَالمُصدّق لرَسُولِه بمَا جَاء بِهِ مِن عِنْدَ رَبّهِ؟ أَو لَيْس حَمْزَة سيّدُ الشُّهدَاء عَمّ أَبي، أَو لَيْس جَعْفرُ الشَّهِيدُ الطَّيَّارُ عَمّي؟ أَو لَم يَبلُغكُم قَولٌ مُستَفِيضٌ فِيكُم أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ لِي وَلأَخِي: « هَذَانِ سَيّدا شَبَاب أَهْل الجَنَّة »[2]؟ فَإِنْ صَدّقْتمُونِي بِمَا أَقولُ ـ وهُو الحَقُّ ـ والله مَا تَعمَدتُ

---

(١) أُنظر، تَأْرِيخ الطَّبري: ٣ / ٣١٨، تَرجَمَة الإِمَام الحُسَين لِابْن عَسَاكر: ٣١٣، تَأرِيخ دِمَشق: ١٤ / ٢١٧، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٢ / ٥٦١، نُظم دُرَّر السّمطَين: ٢١٦، البدَايَة وَالنّهايَة: ٨ / ١٨٣.

(٢) أُنظر، كَنز الْعُمَّال: ٦ / ٢٢٠ و ٢٢١ و ٢١٧، و: ٧ / ١٠٧ و ١١١ و ١٠٨، و: ١٢ / ٩٦ و: ١٢ / ٣٤٢٤٦، و: ١٣ / ٣٧٦٨٢، صَحِيح التّرِمذي: ٢ / ٣٠٦ و ٣٠٧، مُسْنَد أَحْمد: ٣ / ٣ و ٦٢ و ٨٢، حليَة الأَوْلِيَاء: ٥ / ٧١ و ١٣٩، و: ٤ / ١٣٩ و ١٩٠، مَجْمَع الزّوائد: ٩ / ١٨٢ ـ ١٨٤ و ١٨٧، تَأرِيخ بَغداد: ٩ / ٢٣١ و ٢٣٢، و: ١٠ / ٩٠ و ٢٣٠، و: ١ / ١٤٠، و: ٢ / ١٨٥، و: ١٢ / ٤، و: ٦ / ٣٧٢، الإِصَابَة: ١ /ق ١ / ٢٦٦، و: ٦ /ق ٤ / ١٨٦، منَاقب أَمِير الْمُؤْمِنِين مُحَمَّد بن سُليمان الكُوفي: ٢ / ↔

كَذِباً مُذ عَلِمتُ أَنَّ الله يَمقُت عَلَيه أَهْله، وَيضرّ بِهِ مَن ٱخْتَلقَهُ، وَإِنْ كَذبتمُوني فَإِنَّ فِيكُم مَن إِنْ سَألتمُوهُ عَن ذَلِكَ أَخبَركُم: سَلُوا جَابر بن عَبدالله الأَنْصَاري، أَو أَبَا سَعِيد الخدْري، أَو سَهل بن سَعد السَّاعدي، أَو زَيد بن أَرْقم، أَو أَنَس بن مَـالك يُخبرُوكُم أَنَّهُم سَمعُوا هَذِه المقَالة مِن رَسُول الله ٩ لِي وَلأَخي، أَفمَا فِي هَذَا حَاجزٌ لكُم عَن سَفكِ دَمي؟».

فَقَال لهُ شِمر بن ذِي الجَوشن:

هُو يَعبد الله عَلىٰ حَرفٍ إِنْ كَان يَدرِي مَا تَقول.

فَقَالَ لهُ حَبِيب بن مُظَاهر:

وَالله إِنِّي لأَرَاك تَعبد الله عَلىٰ سَبعِين حَرفَاً وَأَنا أَشْهد أَنَّك صَادق مَا تَدري مَا يَقول، قَد طَبع الله عَلىٰ قَلبك.

ثُمَّ قَال لَهُم الحُسين:

«فَإِنْ كُنْتُمْ فيْ شَكٍ مِنْ هَذا القَولِ أَفَتَشُكُّونَ في أَنِّي ٱبْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ؟ فَواللهِ مَا بَيْنَ المشْرِقِ والمغْرِبِ ٱبْنُ بِنْتِ نَبِيَ غَيْرِيْ مِنْكُمْ وَلاَ مِنْ غَيْرِكُمْ، وَأَنا ٱبْـنُ بِـنْتِ نَبِيِّكُمْ خَاصَّة. أَخْبِرُونِيْ أَتَطْلُبُونِيْ بِقَتِيْلٍ مِنْكُمْ قَتَلْتُهُ؟ أَوْ مَالٍ لَكُمْ ٱسْتَهْلَكْتُهُ؟ أَوْ

↔ ٢٥٩. الجَامِع الْصَّغِير للسُّيوطي: ١/ ١٩.

وأُنظر، ذَخَائِر الْعُقْبَىٰ: ١٣٥ و ١٣٠ و ١٢٩، كنُوز الحقَائق: ١١٨ و ٨١ و ٣٦، خصَائص النّسائي: ٣٤ و ٣٦، سُنن ٱبن مَاجه: ١/ ٤٤/ ١١٨، بَاب فَضَائِل أصحَاب رَسُول الله صلى الله عليه وآله: وَأَورَده الْحَاكِم في المُسْتَدرَك: ٣/ ١٦٧ و ٣٨١، تَأرِيخ دِمَشق: ٧/ ١٠٣، أُسد الغَابَة: ٥/ ٥٧٤، ٱبن حبّان في صَحِيحه: ٢١٨، تَهذيب التّهذيب: ٣/في تَرجمة زِيَاد بن جبِير، سُنن التِّرمِذي: ٥/ ٣٢١/ ٣٨٥٦ و: ٣٢٦/ ٣٨٧٠، الفضَائل لأَحْمَد: ٢/ ٧٧٩/ ١٣٨٤، الصَّوَاعِق: ١٨٧ و ١٩١ ب ١١ فصل ٢، الجَامِع الْصَّغِير: ١/ ٥٨٩/ ٣٨٢٠ و ٣٨٢١ و ٣٨٢٢، مِنْهَاج السُّنَّة: ٤/ ٢٠٩، فرَائِد السِّمطَين: ٢/ ٣٥ و ١٤٠ و ١٣٤ و ١٥٣ و ٢٥٩، الخرَائج وَالجرَائح: ٢٨٩، ينَابيع المَودَّة: ٣٦٩ و ٣٧٢.

بِقِصاصٍ مِنْ جِرَاحِة ؟ » ؟[1].

وَلَم يَرد الحُسَين بهَذِه المُظَاهرَة الَّتي اَهتَزّت لهَا الأَرْض وَالسَّمَاء، وَأَغْضَبَت الله فِي عَرشِهِ، وَأَبْكَت مُحَمَّداً فِي قَبرهِ أَنْ يَستَعطف وَيَسترحم، كَلَّا، أَنَّه أَجَل وَأَعظَم مِن أَنْ يَطْلب العَطف مِن اللِّئَام وَالطُّغَام، هَذَا، إِلَىٰ أَنَّه أَعْلَم النَّاس بمَا هُم عَلَيهِ مِن القَسَاوَة وَالفَظَاظَة؛ لَقَد أَرَاد الحُسَين أَنْ يُثْبت للعَالم أَنْ لاَ هَدَف لأَعدَائه وَخصُومه إلاَّ التَّشفي وَالْإِنْتقَام مِن الْإِسلاَم وَنَبيّ الْإِسلاَم، أَرَاد كمَا أَرَاد أَبُوه مِن قَبل أَنْ يُبَيّن للأَجيَال أَنَّ الوَلاَء لأَهْل البَيْت وَلاَء لله وَللرَّسُول، وَأَنَّ حَربهُم حَرب لله وَللرَّسُول.

وَقَد أَدرَك شِيعَة أَهْل البَيْت هَذِه الحَقِيقَة، فَاَتّخذُوهَا شِعَاراً لهُم وَلعَقيدتهِم. وَأَعلنُوها فِي كُلّ مَوطن وَمَوقف تَقرباً إِلَىٰ الله وَرَسُوله وَعِترَته الأَطْهَار.

---

(١) أُنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٣/ ٣١٩و: ٤/ ٢٨٠ ـ ٢٨١.

يَوْم الطَّفّ يَوم الفَصْل

أَنَّ يَوْم الطَّفّ يَشْبَه يَوْم القِيَامَة مِن جِهَات:

١ ـ قَالَ الله سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَاتَلُومُونِى وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾[1].

وَعَد الشَّيطَان أَتبَاعَه بِالفَوز وَالنَّجَاة، وَحَذَّرهُم الله مِنْهُ، فَعصُوا الرَّحمن، وَٱتَّبَعوا الشَّيطَان، وَلمَّا جَاء يَوْم الفَصْل أَنْكَرهُم، وَتَبرأ مِنْهُم، وَقَالَ: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[2].

و (وَعَد عُبَيد الله بن زِيَاد عُمَر بن سَعد ولاَيَة الرَّي)[3] إِذَا قَاتَل الحُسَين، وَكَان يَتَطلّع إِلَيهَا، وَيَطمَع فِيهَا، فَقَبل وَقَاد الجُيُوش، وَحَذّرهُ سَيِّد الشُّهدَاء مِن العَاقبَة،

---

(١) إِبْرَاهِيم: ٢٢.

(٢) ٱلْمَائِدَة: ٢٨.

(٣) أُنظر، الرَّي: مَدِينَة مَشهُورَة مِن أُمّهَات البِلاَد وَأَعلاَم المُدن كَثِيرَة الفوَاكه وَالخيرَات، وَهي مَحطّ الحَاج، وَهي بَيْنَ نِيسَابُور وَدَارين. وَقَال الإِصْطَخري: هِي مَدِينَة لَيْسَ بَعد بغدَاد فِي المَشرق أَعْمَر مِنهَا. وَقَالَ الأَصْمَعي: هِي عَرُوس الدُّنيَا وَإِليهَا يَتَجر النَّاس: ٣٥٥ ـ ٣٥٨، مُعْجَم البُلدَان: ج ٤. أُنظر، الطَّبقَات الكُبرى: ٥ / ١٢٥، مُرُوج الذَّهب: ٤ / ٧٠ و: ٥ / ١٤٣ و ١٤٧ و ١٧٤ و ١٩٦، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٤ / ٢١، تَأرِيخ الطَّبري: ٥ / ٤٠٩، مَقْتَل الحُسَين لأَبي مَخْنَف: ٥٠.

وَقَالَ لهُ: يَا ٱبْن سَعَد أَتُقَاتلني ؟! أَمَا تَتقي الله الَّذي إِلَيه معَادك ؟ أَتُقَاتلني وَأَنا ٱبن مَن عَلِمت ؟ أَلاَ تَكُون مَعي، وَتَدع هَؤلاَء ؛ فَإِنّه أَقرَب إِلىٰ الله تَعَالىٰ ؟ !

وَلمَّا آيَس مِنْهُ الحُسَين قَالَ لهُ: «مَالَك ؟ ذَبَحك الله عَلىٰ فرَاشك عَاجلاً، وَلاَ غَفر لكَ يَوم الحَشر، فوَالله إِنّي لأَرجُو أَلاَّ تَأكلَ مِن بُرّ العرَاق إِلاَّ يَسِيراً».

فَقَال ٱبن سَعَد مُسْتَهزءاً

فِي الشَّعِير كفَايَة[1].

وَٱخْلَف ٱبْن زيَاد بوَعدهِ لِابْن سَعَد، كمَا أَخْلَف الشَّيطَان مَع أَتبَاعَه، وَصَدَق الحُسَين، فَلَم تَمض الأَيَّام حَتَّىٰ قُتل عُمَر وَٱبْنه حَفص عَلىٰ يَد المُختَار.

٢ـ قَالَ تَعَالىٰ فِي صِفَة أَهْل النَّار: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾[2]. وهَذِه بالذَات صِفَات الَّذِين حَاربُوا الحُسَين فِي كَرْبُلاَء، فَقْد وَعَظهُم وَحَذّرهُم، وَذكّرهُم بكتَاب الله وَآيَاته، وَلَكنَّهُم صَمّوا عَن النَّبأ العَظِيم كمَا عَموا:

وَذكَرت مَا فَجَّر الصُّخُور فَلَم يَكُن ... إِلاَّ قُلوبهُم هُنَاك صخُور

٣ـ قَالَ تَعَالىٰ: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسِ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾[3]. يُنَادي المُنَادي يَوْم القِيَامَة: أَين أَهْل الحَقّ الَّذِين ٱتّبعُوا المُصْلِحِين ؟ فَتَأتي بِهِم المَلاَئِكَة يُزَفّون إِلَىٰ الجنَّة. ثُمَّ يُقَال: هَاتُوا مُتبعي رُؤوس الضَّلاَلَة فَتسوقهُم الزَّبَانيَة إِلَىٰ جَهنّم[4].

---

(١) أُنظر، الكَامِل فِي التَّأريخ لِابْن الأَثِير: ٣ / ٢٨٣ و: ٤ / ٥٥٤، الفُتُوح لِابْن أَعْثَم: ٥ / ١٠٣، مَقتل الحُسين للخوَارزمي: ١ / ٢٤٥، البدَاية وَالنّهاية: ٨ / ١٨٩.

(٢) ٱلإِسْرَاء: ٩٧.

(٣) ٱلإِسْرَاء: ٧١.

(٤) أُنظر، تَفْسِير القُرطبي: ١٠ / ٢٩٧، أَحكَام القُرآن للجَصَّاص: ٣ / ٢٦٧.

وَقَاد ٱبْن سَعَد أَهْل الكُوفَة إِلَىٰ غَضَب الله وَنِقْمَته، وَقَاد الحُسَين أَصْحَابه إِلَىٰ رِضوَان الله وَرَحْمَته.

جَاء الحَدِيث عَن النَّبيّ ﷺ أَنَّـه إِذَا كَـان يَـوْم القِـيَامَة أَقُـول لأُمَّـتي: كَـيف خَلَّفْتمُوني فِي الثَّقلَين؟ فَيَقُولُون: أَمَّا الأَكْبَر فَـعَصيناه، وَأَمَّـا الأَصْـغَر فَـقَتلنَاه. فَأَقُول: أُسلكُوا طَرِيق قَادَتكُم، فَيَنصَرفُون ضَمَّاً مُسودّة وجُوهُهُم»[1].

٤ـ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْـجَنَّةِ وَفَـرِيقٌ فِـى ٱلسَّعِيرِ﴾[2]. وَٱنْقَسم النَّاس فِي كَرْبُلاَء فَرِيقَين: فَرِيقاً مَع الحُسَين، وَفَرِيقاً مَع ٱبْن سَعد، وَبَرَز كُلّ إِنْسَان عَلَىٰ حَقِيقَته، وَأَخذَ المَكَان الَّذي يَسْتَحقه، فَـلَم يَـخْتَلط الطَّالح مَع الصَّالِحين، وَلاَ الصَّالح مَع المُجرِمين، تَمَامَاً كمَا هُو الشَّأن فِـي يَـوْم القِيَامَة، حَيْث لاَ رِيَاء، وَلاَ نِفَاق، وَمُسَاومَات.

وَقَد ٱخْتَلَط، فِي بِدء الأَمر وَقَبل المَـعْرَكَـة، الطَّـيب بِـالخَبِيثِين، وَالخَـبِيث بِالطَّيبِين، فَكَان مَع ٱبْن سَعَد الحُرّ الرِّيَاحي، وَأَبُو الشَّعْثَاء الكِنْدي، وَحِـينَ جَـدّ الجدّ، وَجَاء دَور الغَربَلَة وَالتَّصفيَة عَدلاَ إِلَىٰ الحُسَين، وَٱستُشهدَا بَيْنَ يَدَيه. وَبَايَع الحُسَين قَوم عَلَىٰ المَوت، وَكَاتبُوه، ثُمَّ نَكثُوا، وَعَادُوا إِلَىٰ طَبِيعَتهِم. وَهَكذَا لَـمْ يَبق مَع ٱبْن سَعد إِلاَّ مَن كَان عَلَىٰ شَاكلَته لُؤمَاً وَخسَاسَة يُوردهُم النَّار، وَبِـئس الوِرد المَورُود، وَلَم يَبق مَع الحُسَين إِلاَّ صَفوَة الصَّفوَة يَسِير بِهم إِلَىٰ الجَنّة حَتَّىٰ إِذَا جَاؤهَا قَالَ لهُم خزَنَتهَا سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ فَنِعْمَ عُقْبَىٰ الدَّار.

وَمَن تَتبّع سِيرَة أَصحَاب الحُسَين لاَ يَـجد لإِخـلاَصِهم وَعَـزمهِم نَـظِيراً بَـيْنَ

---

(١) أُنظر، الخِصَال: ٤٥٩، المُسْتَرشد: ٦٧٩، مُثِير الأَحزَان: ١٠.

(٢) ٱلشُّورىٰ: ٧.

الشُّهداء، وَٱتّباع الأَنْبِيَاء، كَمَا لاَ يَجد شَبهَاً لتَضحيَات الحُسَين فِي التّأرِيخ كُـلّه. وَقَد ٱثْنىٰ عَلَيهم الشُّعرَاء بمَا هُم أَهْل لأَكْثَر مِنْهُ. قَالَ الشَّيخ حَسَن البَحرَاني يَصف إِيمَانهم وَوَرعهم:[1].

إنْ يَنطقُوا ذُكرُوا أَو يَسكـتُوا فَكـرُوا ... أَو يَغضبُوا غَفرُوا أزو يَقطعُوا وزصلُوا
أَو يَظلمُوا صَفحُوا أَو يُوزنُوا رَجـحُوا ... أَو يُسألُوا سَمحُوا أَو يَحكمُوا عَـدَلُوا

وَقَالَ السَّيِّد مَهْدي الحِلّي فِي شجَاعَتهِم:

مِن تَحْتهِم لَـو تَـزُول الأَرض لاَ تَـنْصبُوا ... عَلىٰ الهَوىٰ هَضبَاً أَرسَـىٰ مِـن الهَـضبِ

وَتَكفِيهم شهَادة الحُسَين عَن كُلّ مَدح وَثنَاء، قَـالَ: «وَالله لَـقَد بَـلوتَهُم فَـمَا وَجَدتُ فِيهِم إِلاَّ الأَشوَس الأَقْعَس يَستَأْنسُون بِالمَنيَّة دُونـي ٱسـتِئنَاس الطِّـفْل بمحَالب أُمّه»[2].

وَقَالَ فِيهِم أَيضَاً: «... أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّيْ لا أعْلَمُ أَصْـحاباً أَوْفـىٰ وَلاٰ خَـيْراً مِـنْ أَصْحَابِيْ، وَلاٰ أَهْلُ بَيْتٍ أَبَـرَّ ولاٰ أَوْصَـلَ مِـنْ أَهْـلِ بَـيْتِيْ، فَـجَزَاكُـمُ الله عَـنِّيْ جَمِيْعاً»[3].

رُوي أَنَّ الحُسَين كَان فِي يَوْم الطَّفّ كُلَّما ٱشتَّد الأَمر أَشرَق وَجْهه، وَهَـدَأت جوَارحَه، وَسَكنَت نَفْسه، حَتَّىٰ قَالَ النَّـاس بَـعْضهُم لبَـعض: أُنـظُروا لاَ يُـبَالي بِالمَوت! وَكَيف يُبَالي بالمَوت، وَهُو ٱبْن القَائِل: «دَخَلْتُ إِلَىٰ الْمَوْتِ، أَوْ خَرَجَ

---

(١) أُنظر، الشِّيعَة فِي المِيزَان: ٨٢٦ بتَحقِّيقنَا، مَنَاقب آل أَبي طَالب: ٣/ ٤٣٦، الصِّرَاط المُستَقِيم: ٢/ ٢١٤.

(٢) أُنظر، مَقْتل الحُسَين للمُقرّم: ٢٦٢.

(٣) أُنظر، الإِرشَاد للشَّيْخ المُـفِيد: ٣٢١، المَـطْبَعَة الحَـيدَريَّة سَـنَة (١٩٦٢م ـ ١٣٨١هـ). و: ٢/ ٩١، العَوَالم: ٢٤٣، إِعلاَم الوَرىٰ: ١/ ٤٥٥.

الْمَوْتُ إِلَيَّ »[1]، أَو كَمَا قَالَ: « وَاللهِ لاَبْنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ »[2]. وَهَكَذَا كَان أَصحَاب الحُسَين لاَ يُبَالُون بِالمَوت، بَل يَستَبشِرُون بِهِ حَيث يَعْلمُون أَنَّهُم عَلىٰ حَقّ، وَغَيرهم عَلىٰ بَاطل، فَهُم عَلىٰ يَقِين أَنَّهُم سَيَقِفُون بَيْنَ يَدي الله مَرفُوعي الرُّؤوس، مَوفُوري الكَرَامَة.

قَالَ بُرَير بن خُضَير الهَمدَاني لعَبد الرَّحمن الأَنْصَاري: وَلَكنّي لمُسْتَبشر بِمَا نَحْنُ لاَقُون، وَالله مَا بَيْنَنا وبَيْنَ الحُور العِين إِلاَّ أَنْ يَمِيل عَلَينَا هَؤلاَء بِأَسيَافِهِم، وَوَدّدتُ أَنَّهُم مَالُوا عَلَينَا السَّاعَة »[3].

هَذِه صُورَة صَادقَة نَاطقَة بحَقِيقَة الأَصحَاب جَمِيعاً، وَأَنَّهم عِندَ ثِقَة الإِمَام وَقَوله: « يَستَأنسُون بِالمَنيَّة دُوني ٱستِئنَاس الطِّفْل بمحَالب أُمّه ». لَقَد رَخُصت عِندَهُم الأَروَاح، وَلَم يَكترِثُوا بِالمَال، وَالعِيَال، مَا دَامُوا مَع النَّبيّ وَآله.

وَقَالَ الحرّ الرِّيَاحي: « إِنّي أُخيِّر نَفْسي بَيْنَ الجَنّة وَالنَّار، فوَالله لاَ ٱختَار عَلىٰ الجَنَّة شَيئاً، وَلَو قُطّعت وَحُرّقت »[4]. أَيقَن الحرّ أَنَّ الجَنَّة مَع الحُسَين، وَأَنَّ ثَمنهَا القَتْل، وَأَنَّ الحَيَاة « قَلِيلاً » مَع ٱبْن سَعَد، ثُمَّ يَعْقبهَا العَذَاب الدَّائِم، فَٱخْتَار المَوت مَع الحَقّ عَلىٰ الحَيَاة مَع البَاطل، وَكَان مِثَالاً صَادِقاً لقَول الإِمَام: « أَمَّا بَعْدُ. فَقَدْ نَزَلَ مِنَ الأَمْرِ بِنَا ما تَرونَ، وَإِنَّ الدُّنْيا قَدْ تَغَيَّرَتْ وَتَنَكَّرَتْ، وَأَدْبَرَ مَعْرُوفُها، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلاَّ صَبابَةٌ كَصَبابَةِ الإِنَاءِ، وَخَسِيسُ عَيْشٍ كَالمَرْعَىٰ الوَبِيْلِ، أَلاَ تَرونَ إِلىٰ

---

(١) أُنظر، شَرح ٱلخُطْبَة: (٥٥).

(٢) أُنظر، شَرح ٱلخُطْبَة: (٥).

(٣) أُنظر، تَأرِيخ الطَّبَري: ٥ / ٤٢١ و ٤٢٣، الفُتُوح لِابْن أَعْثَم: ٣ / ١٠٦، الكَامل لِابْن الأَثِير: ٤ / ٣٧، مَقتَل الحُسَين لأَبي مَخْنَف: ١١٢.

(٤) أُنظر، مَقْتَل الحُسَين لأَبي مَخْنَف: ١٢١، إِعْلاَم الوَرىٰ بأَعْلاَم الهُدىٰ: ٤٦٠.

الحَقِّ لا يُعْمَلُ بِهِ ، وَإِلىٰ الباطِلِ لا يُتَنَاهَىٰ عَنْهُ ، لِيَرْغَبَ المؤمِنُ فيْ لِقَاءِ اللهِ ، فَإِنِّي لاَ أَرىٰ المَوْت إِلاَّ سَعادَةً ، وَالحَيَاة مَعَ الظَّالِمِيْنَ إِلاَّ بَرَماً »[١] .

وَتَقدَّم جُون مَولىٰ أَبي ذَرّ[٢] يَطلب مِن الإِمَام الإِذن بِالبرَاز فَقَال لهُ الإِمَام: « إِذْهَب لشَأنك ، إِنَّما طَلبتَنا للعَافيَة فَلاَ تَبْتلِ بطَرِيقَتنا ، فَصُعق جُون مِن هَذَا الجوَاب ، وَقَالَ : يَا ٱبْن رَسُول الله : أَنَا فِي الرَّخَاء أَلحَس قصَاعكُم ، وَفِي الشِّدَة أَخذلكُم ! وَالله أَنَّ رِيحي لمُنتِن ، وَإِنَّ حَسَبيَ لِلَئِيم ، وَإِنَّ لَوني لأَسُود ، فَتَنَفس عَليّ بِالجنَّة ، فَيَطِيب رِيحي ، وَيَشرف حَسَبي ، وَيَبيَّض وَجْهي ، لاَ وَالله لاَ أُفَارقكُم حَتَّىٰ يَخْتَلط هَذَا الدَّم الأَسوَد بدمَائِكُم »[٣] .

أَي وَالله إِنَّ الجَنّة فِي أَنفَاس الحُسَين ، وَفِي التُّرَاب الَّذي أُرِيق عَلَيهِ دَم الحُسَين ، وَأَنَّ بَيَاض الوَجه عِندَ الله فِي الإِسْتشهَاد بَيْنَ يَدي الحُسَين ، وَأَنَّ الدَّم

---

(١) أنظر ، تَأرِيخ الطَّبري : ٣/ ٣٠٧ ، و : ٤ / ٣٠٥ طَبْعَة آخر ، و : ٥ / ٤٢٥ ـ ٤٢٦ طبعَة سَنَة ١٩٦٤ م ، ٱبن عَسَاكر (ترجَمة الإِمَام الحُسين عليه السلام) : ٢١٤ .

(٢) جَوْن : عَبد ٱشْترَاه الإِمَام عَليّ بن أَبي طَالب ، وَوَهبهُ الصَّحَابي الجَليل أَبي ذَرّ ، يُعِينَه عَلىٰ مَتَاعب الحَيَاة ، وَبَعد وَفَاة أَبي ذَرّ ٱنْتَقل جُون إِلىٰ بَيْت الإِمَام عَليّ ، وَبَعد وَفَاة الإِمَام عَليّ ٱنْتَقل إِلىٰ بَيْت الحَسَن ، وَبَعدَه إِلَىٰ بَيْت الحُسَين ، وَحِينَ خَرَج إِلىٰ العرَاق صَحِبَه مَعَه . وَهَكَذا نَشَأ جُون فِي أَطْهَر البُيُوت وَأَقدسهَا ، وَكَانت لهُ هَذِه الخَاتمَة الطَّيبَة ، جُون عَبد رِقّ يُبَاع وَيُشترىٰ كَالسِّلع وَالحَيوَانَات ، وَيَزِيد عَربي قَرشي يَأمر وَينهىٰ ، وَتَخْضَع لهُ رقَاب المُسْلِمين . . . فَيَا للغُبن وَسُخرِيَة الأَوضَاع . . . وَرَحم الله أَبَا العَلاَء ، القَائِل :

أَلَيس قُرَيْشكُم قَتَلَت حُسَيناً ... وَصَار عَلىٰ خِلاَفَتكُم يَزِيد

أُنظر ، الدِّيوَان : ١٦٥ ، مَقْتل الحُسَين : ١ / ٢٣٧ ، و : ٢ / ١٩ ، بحَار الأَنوَار : ٤٥ / ٢٢ و ٧١ و : ٩٨ / ٢٧٣ . رِجَال الشَّيخ الطُّوسي : ٧٢ ، تَأرِيخ الطَّبَري : ٤/ ٣١٨ و : ٥ / ٤٢٠ ، المَنَاقب لِابْن شَهر آشُوب : ٣ / ٢٥٣ و : ٤ / ١٠٣ ، شَرْح الأَخبَار : ٣ / ٢٤٦ .

(٣) أُنظر ، اللُّهُوف فِي قَتْلىٰ الطُّفُوف : ٩٤ ـ ٩٦ .

الحَسِيب النَّسِيب هُو الَّذي يَخْتَلط بدمَاء الحُسَين.

لقَد ٱمتَاز شُهدَاء الطَّفّ بِأمُور:

«مِنْهَا»: أَنْ ضَمّتهُم وَالحُسَين تُربَة وَاحدَة، وَمقَام وَاحد، حَتَّىٰ أَصْبَحَت قبُورهُم مَزَاراً لجَمِيع زُوَار الحُسَين.

وَ«مِنْهَا»: أَنَّهُم ذَهَبوا إِلَىٰ الله وَالرَّسُول فِي وَفدٍ يرَئسهُ الحُسَين.

وَ«مِنْهَا»: ٱختلاَط دمَائهُم بدمَاء الحُسَين، وَٱرتفَاع رُؤوسهُم مَع رَأسهُ عَلىٰ الرِّمَاح، وَوَطء أَجسَامهم مَع جِسْمه.

سَلّ كَرْبلاَء كَمْ حَوت مِنْهُم بِدُور دُجىٰ
كَأَنَّـهـا فُـلـك للأَنْـجُم الزُّهـر

وَيُذكِّرنَا مَوقف جُون فِي كَرْبُلاَء بمَوقف عَمْرُو بن الجَمُوح فِي أُحد، كَان عَمْرُو مِن أَصحَاب الرَّسُول، وَكَان رَجُلاً أَعْرَج، وَلَهُ بَنُون أَربَعَة يَشهدُون المَشَاهد مَع النَّبيّ، ويَوْم أُحد خَرَج أَوْلاَدَه مَع الرَّسُول، فَأَرَاد هُو الخُرُوج أَيضاً فَحَاول قَومه أَنْ يَحبسُوه، وَقَالُوا لهُ: أَنْتَ رَجل أَعرَج، وَلاَ حَرج عَلَيك، وَقَد ذَهَب بنُوك مَع النَّبيّ، وَمَاذَا تَبْغي بَعدَ هَذَا؟!.

فَقَال: يَذْهَب أَوْلاَدي إِلَىٰ الجنَّة، وَأَجْلس أَنَا عِندَكُم ثُمَّ أَخَذَ دِرقَته، وَذَهب وَهُو يَقُول: أَللَّهُمَّ لاَ تَردّني إِلَىٰ أَهلي، فَخَرج وَلحقَه بَعْض قَوْمه. يُكلمُونَه فِي القُعُود، فَأَبىٰ وَجَاء إِلَىٰ النَّبيّ، وَقَالَ لهُ: يَارَسُول الله: أَنَّ قَومي يُريدُون أَنْ يَحْبسُوني عَن هَذِه المَكْرمَة وَالخُرُوج مَعَك، وَالله إِنّي أَرجُو أَنْ أَطأَ بعَرجَتي هَذِه فِي الجَنَّة.

فَقَال لهُ: أَمَّا أَنْتَ، فَقَد عَذَرك الله، وَلاَ جِهَاد عَلَيك، فَأَبىٰ، فَقَال النَّبيّ ﷺ

لقَوْمِهِ وَبَنيه: لاَ عَيلَكُم أَنْ تَمنعُوه، لعَلَّ الله يَرزقَهُ الشَّهادَة، فَخَلّوا سَبِيله فَاسْتُشهد رُضوَان الله عَلَيهِ»[1].

(١) أُنظر، سُنن البَيهقي الكُبرىٰ: ٩ / ٢٤ ح ١٧٥٩٩، الجِهَاد لِابن المُبَارَك: ١ / ٥٩ ح ٧٨، صَفوَة الصَّفوَة: ١ / ٦٤٦، الإِصَابَة: ٦ / ٤٥١، السِّيرَة النَّبويَّة: ٤ / ٣٩، تَفسِير القُرطبي: ٨ / ٢٢٦.

يَوم ٱلفَتْح

قَالَ الْإِمَام الصَّادِق عليه السلام: «أَنَّ الحُسَين لمَّا فَصل مُتوجهاً إِلَىٰ العِرَاق أَمَر بقُرطَاس، وَكَتَب بِسم الله الرَّحمن الرَّحِيم مِن الحُسَين بن عَليّ إِلَىٰ بَني هَاشِم، أَمَّا بَعد؛ فَإِنّه مَن لَحق بي ٱستُشهد، وَمَن تَخَلّف لَم يَبلغ ٱلفَتح، وَالسَّلاَم»[1].

وَلَم يَرد الْإِمَام بِالفَتح فَتْح البِلاَد وَالمَمَالِك، وَإِنّمَا أَرَاد ظهُور أَمر الله، وَٱنْتصَار كَلمَة الْإِسلاَم، وَقَد كَان الْإِمَام عَلىٰ يَقِين مِن هَذَا الْإِنْتصَار، وَلذَا قَالَ: وَمَن تَخلّف لَمْ يُدرك الفَتح، أَي لَم يَنل شَرف الجِهَاد فِي سَبِيل الدِّين[2]. حَارَبت أُمَيّة صَاحِب الدَّعوَة، وَهي عَلىٰ الشِّرك ظَاهِرَاً وَبَاطنَاً، وَلمَّا جَاء نَصْر الله وَالفَتح ٱستَسلمَت، وَأَظْهَرت الْإِسلاَم، وَأَبْطَنت الكُفْر، وَلمَّا ٱنْتَقل النَّبيّ صلى الله عليه وآله إِلَىٰ رَبّه عَادَت إِلَىٰ مُحَاربَة الْإِسلاَم، وَلَكن عَن طَرِيق الكَيد وَالتَّآمر، كمَا تَدل حَكَايَة أَبي سُفْيَان مَع الْإِمَام حِينَ بُويع أَبُو بَكْر بِالخِلاَفَة، حَيث قَالَ أَبُو سُفْيَان لعَليّ: «إِنْ شِئت مَلأْتُها لَك عَلَيهم خَيلاً وَرِجَالاً»[3].

وَقَال للْإِمَام: «وَالله إِنّي لأَرَىٰ عجَاجَة لاَ يُطْفِئهَا إِلاَّ دَمّ يَا آل عَبد مُنَاف، فِيما

---

(١) أنظر، اللُّهُوف فِي قَتْلىٰ الطُّفُوف السَّيِّد ٱبن طَاوس الحَسني: ٤٠.

(٢) أُنظر، كَامِل الزِّيَارَات لِابْن قَولوَية: ٧٥.

(٣) أُنظر، شَرْح النَّهج لِابْن أَبِي ٱلحَدِيد: ١ / ٧٤.

أَبُو بَكْر مِن أُمُوركُم، أَينَ المُسْتَضعفَان، أَينَ الأَذلاَن عَليّ وَالعبَّاس»[١].

فَردّه الإِمَام وَأَفْهَمهُ أَنّه مُنَافق يَغش الإِسلاَم، وَيَكِيد للمُسْلِمين.

ظَنَّ أَبُو سُفْيَان أَنَّ الفُرصَة قَد سَنْحَت لبلُوغ مَآربَه بمَوت الرَّسُول، وَالنِّزَاع عَلىٰ الخِلاَفَة، وَمَا دَرىٰ أَنَّ عَلِيّاً حَامي حِمىٰ الإِسلاَم لَهُ بِالمرصَاد، كمَا كَان لَهُ فِي بَدْر، وَأُحد، وَالأَحْزَاب؛ وَتَمضي الأَيَّام، وَيَصبح ٱبْن أَبي سُفيَان مَلكاً عَلىٰ المُسْلِمين، فَحَاول أَنْ يُؤسّس للفِكْر وَالإِلحَاد، وَيَجعَل المُلك فِي نَسْل الشُّرَّاك إِلىٰ آخر يَوْم، وَلَكن الحُسَين لهُ بِالمرصَاد كمَا كَان عَليّ لأَبِيه مِن قَبل.

رَأينَا الإِستعمَار إِذَا ثَارَت عَلَيهِ الشُّعوب المُسْتَضعفَة، وَأَرَادَت، التَّحرر مِن نَيرهِ وَٱستغلاَله يَخْتَار مِن أَهْل البِلاَد خَائنَاً كَيَزِيد، وَيُنَصّبهُ حَاكمَاً عَلىٰ الشَّعب، وَيَمْنَحهُ ٱسم الإِستقلاَل، فَيكُون للخَائِن الإِسم، وَللإِستعمَار الحُكم، وَتَبقىٰ الأَوضَاع كمَا كَانَت، أَو أَسوَأ حَيْث صُبغت بِالصّبغَة الشَّرعيَّة، كمَا فَعلَت فَرنسَا بسُورية وَلُبنَان، وَالإِنجلِيز فِي مَصْر أَيَّام فَارُوق، وَفِي العِرَاق أَيَّام نُوري سَعِيد، يَقُول الشَّاعر العِرَاقي مُخَاطبَاً حَاكم العِرَاق فِي عَهْد الإِنْجلِيز:

فَأَنْتَ للحُكم ٱسم وَالإِنجلِيز المُسمّىٰ

وَهذَا مَا أَرَاد مُعَاويَة تَطْبِيقَه بِالذَات مِن خِلاَفَة وَلده يَزِيد، وَٱستمرَار المُلك فِي نَسْل أَبي سُفْيَان، أَرَاد أَنْ يَكُون الإِسم للإِسلاَم فِي الظَّاهر، وَالحُكم للشِّرك وَالإِلحَاد فِي الوَاقع. وَسَلك كُلّ سَبِيل لتَحقِّيق هَذِه الغَايَة، فَمِن دَس السّم بَالعَسل، إِلىٰ القَتْل بِالسَّيف، وَمِن دَفن الأَحيَاء، إِلىٰ سَبّ الأَموَات، إِلىٰ مَا لاَ نهَايَة لجرَائِمه وَمُوبقَاته.

(١) أنظر، المَصْدَر السَّابِق: ٣/ ٢٠٢.

وَمَا كَانَت لتُخفىٰ هَذِه الحَقِيقَة عَلىٰ الحُسَين، وَمَا كَان ٱبْن عَليّ ليَبخَل بـدَمه عَلىٰ دِين جَدّه، كَيف وَهُو القَائِل: «فَإِنِّي لاَ أَرىٰ المَوْت إِلاَّ سَعادَةً، وَالحَيَاة مَـعَ الظَّالِمِيْنَ إِلاَّ بَرَماً»[1]. رَأىٰ الحُسَين أَنَّ الأُمويِّين يَخدعُون النَّاس بٱسم الإِسلاَم، كمَا يَخْدَع عَمِيل الإِستعمَار الشَّعب بٱسم الإِستقلاَل، فَأَرَاد الإِمَام أَنْ يَفْضَحهُم، وَيُثبت للمَلأ أَنَّهُم أَعدىٰ أعدَاء الإِسلاَم، فَنَهض بٱسم الدِّين، وَحقُوق المُسْلمِين، يِمثّل شعُور كُلّ مُسْلِم لاَ يَسْتَطِيع الجَهر بمَا يَنوي وَيَضمر، نَهضَ وَهُو أَعْزَل إِلاَّ مِن الحَقّ، وَجَابَه البَاطل صَاحب العدّة وَالعَدَد، وَدعَا إِلَىٰ كتَاب الله، وَسُنّة الرَّسُول، فَقَتَله الأُمويُون، وَذَبحُوا أَطفَال الرَّسُول وَسَبوا نسَاءه، لاَ لشَيء إِلاَّ لأَنّهُم دُعَـاة للدِّين، وَالحَقّ، فَعَرف النَّاس بَعد وَقْعَة الطَّفّ أَنَّ الأُمويِّين مَا زَالُوا مُشركِين، كمَا كَانُوا يَوْم بَدْر، وَأُحد، وَالأَحْزَاب، وَأَنَّهُم لَم يُؤمنُوا بِالله وَرَسُوله طَرفَة عَـين، وَأَنَّهُم يَضمرُون للإِسلاَم كُلّ شَرّ وَعنَاد، وَقَد صَور الشَّاعر هَـذِه الحَـقِيقَة بـقَولِه يَصف يَزِيد بن مُعَاوِيَة[2]:

لَئن جرَت لَفظَة التَّـوحِيد فِـي فَـمِهِ ... فَسَيفَه بسِـوىٰ التَّـوحِيد مَـا فُـتكَا
قَد أَصبَح الدِّين مِنْهُ يَشْتَكي سُـقمَاً ... وَمَا إِلَىٰ أَحـدٍ غَـير الحُسَـين شَكَـا
فَمَا رَأىٰ السِّبط للدِّين الحَنِيف شفَا ... إِلاَّ إِذَا دَمَـه فِـي كَـرْبُلاَء سُـفكَا

❊ ❊ ❊

يَاوَيّحَ دَهْر جَنىٰ بـالطَّفّ بَـيْنَ بَـني ... مُـحَمَّد وَبَـني سُـفْيَان مُـعْتَرَكَا
حَاشَا بَني فَاطِم مَـا القَـوْم كُـفؤهُم ... شـجَاعَة لاَ وَلاَ جُـوداً وَلاَ نُسكَـا
مَـا يَـنْقم النَّـاس مِـنْهُم غَـير أَنَّـهُم ... ينهُون أَنْ تُـعْبَد الأَوثَـان وَالشّـركَا

---

(١) تَقدّمت تخرِيجَاته.

(٢) أُنظر، دِيوَان سَيِّد جَعْفر الحِلّي: ١٧٦.

وَكَان لفَاجعَة كَرْبلاَء دَوي هَائِل اهتّزت لَهُ الدُّنْيا بكَاملهَا، حَتّىٰ كَأنَّ النَّبيّ نَفْسه هُو المَقتُول. وَقَامَت الثّورَات فِي كُلّ مَكَان يَتلُو بَعْضهَا بَعْضاً، حَتّىٰ زَالَت دَولَة الأُمويِّين مِن الوجُود، وَتمّت كَلمَة الله بالقَضَاء عَلىٰ الشِّرك المُستَتر بأسم الإِسلاَم، وهَذَا مَا عَنَاه الحُسَين بقَولِه لبَني هَاشِم: «وَمَن تَخلّف لَم يَبلغ الفَتح، وَالسَّلاَم»[1].

وإذَا أَردت مِثَالاً يُوضّح هَذِه الحَقِيقَة فَأنظُر إِلَىٰ المُظَاهرَات الَّتي تَقُوم بهَا الشُّعُوب ضِدّ الحَاكم الخَائِن، فَإِنَّ المُتظَاهرِين يَعْلمُون عِلْم اليَقِين أَنَّه سَيُطلق عَلَيهم النَّار، وَأَنَّ القَتلىٰ ستَقع مِنْهُم بالعَشرَات، وَمَع ذَلِكَ يُقدِمُون وَلاَ يَكْترثُون بِالمَوت، لأَنَّ غَايَتهُم أَنْ يَفْتَضح هَذَا الخَائن، وَأَنْ يَعرف العَالم مقَاصده وَنوَايَاه، فَينهَار حُكمَه، وَيُبِيد سُلطَانه، وَتَكُون الدِّمَاء البَريئَة ثَمناً لتَحرُر البِلاَد مِن العُبُوديَة وَالإِستغلاَل.

وَمِن هُنا كَان لأَصْحَابهَا هَذَا التَّقدِيس، وَالتَّعظِيم، تُقَام لهُم التَّماثِيل فِي كُلّ مكَان، وَتُسمّىٰ بأسمَائِهم فِرق الجَيش وَالشَّورَاع، وَتُشاد الأَندِيَة وَالمَعَاهد، وَيرتَفع شَأن أُسرهُم إِلَىٰ أَعْلىٰ مَكَان، وَمِن قَبل لَم يَكُونُوا شَيئاً مَذْكُوراً.

وَدمَاء كَرْبلاَء لَمْ تَكُن ثَمناً لحُرّيَة فَرد أَو شَعب أَو جِيل، بَل ثَمناً للدِّين الحَنِيف، وَالإِنْسَانيَّة جَمعَاء، ثَمناً لكتَاب الله وَسُنّة الرَّسُول وَمِن هُنا كَان لهَا مَا للقُرآن والإِسلاَم مِن التَّقدِيس وَالإِجلاَل، كمَا أَنَّ لدمَاء الأَحرَار مَا لأَوطَانِهم مِن التَّكرِيم وَالتَّعظِيم، وَكَان لبَني هَاشِم أُسرَة الحُسَين مَا كَان لأُسر الشُّهداء الأَحرَار.

---

(١) أنظر، اللُّهُوف فِي قَتْلىٰ الطُّفُوف السَّيِّد ابن طَاوس الحَسني: ٤٠، مناقب آل أَبي طَالِب لِابْن شَهر آشُوب: ٣/ ٢٣٠.

وهَذَا مَا عَنَاه الحُسَين قَولَه يَوْم الطَّف مُخَاطبَاً أَهْله وَأَرحَامه: «صَبْراً يَا بَني عمُومَتي، صَبْراً يَا أَهْل بَيْتي، لاَ رَأيتُم هوَاناً بَعد اليَوْم»[(١)].

وَسُئل الإِمَام زَين العَابدِين عليه السلام: «مَن كَان الغَالب يَوْم كَرْبُلاَء؟ فَقَال: أسمع المُؤذّن تَعْرف الجوَاب. أَشْهَد أَنْ لاَ إِله إِلّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُول الله، وَأَنَّ عَليّاً أَمِير المُؤْمِنِين بِالحَقّ وَلي الله»[(٢)].

أَوصىٰ الحُسَين أَهْل بَيْته بِالصَّبر بَعدمَا اُستُشهد جَمِيع أَصْحَابه، وَلَم يَبق مَعَهُ إِلاَّ وُلده، وَوُلد عَليّ، وَوُلد جَعْفَر، وَوُلد عَقِيل، وَوُلد الحَسَن، وَقَد إِجْتَمعُوا يُودّع بَعْضهُم بَعْضاً، وَهُم كَالزُّهر فِي مُقْتَبل العُمر.

كِرَام بأَرْض الغَارضيَة عرسُوا ... فَطَابَت بِهِم أَرجَاء تِلْكَ المَنَازلِ
أَقَاموا بهَا كَالمُزن فَاخْضرَّ عُودهَا ... وَأَعْشَب مِن أَكنَافهَا كُلّ مَاحلِ
زَهَت أَرضهَا مِن بَشر كُلّ شَمردَل ... طَوِيل تُجَاد السَّيف حُلو الشَّمَائِلِ
كَأَنَّ لعزرَائِيل قَد قَالَ سَيفَه ... لَكَ السِّلم مَوفُوراً وَيَوْم الكِفَاح لَي
حَموا بِالظُّبىٰ دِين النَّبيّ وَطَاعنُوا ... ثَبَاتاً وَخَاضَت جُردهُم بالجحَافلِ
وَلمَّا دَنَت آجَالهُم رَحبُوا بهَا ... كَأَنَّ لهُم بالمَوت بُلغَة آملِ
عَطَاشىٰ بجَنْب النَّهر وَالمَاء حَولهُم ... يُبَاح إِلَىٰ الورّاد عَذْب المَنَاهلِ
عطَاشىٰ بجَنْب النَّهر وَالمَاء حَولهُم ... يُبَاح إِلَىٰ الوَارد عَذْب المَنَاهلِ
فَلَم تَفْجَع الأَيَّام مِن قَبل يَومهِم ... بأَكرَم مَقتُول لاَ لأُمّ قَاتِلِ

---

(١) أُنظر، شَرْح الأَخبَار: ٣ / ٢٣٨، مَقْتَل الحُسَين للمُقرّم: ٣١٨ و ٣٢٢.

(٢) أُنظر، مَقْتَل الحُسَين للخوَارزمي: ٦٩ ـ ٧١.

بَدْرٌ وَالطَّفّ

كَان أَصحَاب الرَّسُولﷺ فِي بَدْر ثَلاَثمِئَة وَبضعَة عَشَر رَجُلاً[1]، وَكَان المُشركُون أَلف رَجُل[2].

وكَان أَصحَاب الحُسَينعليه السلام فِي كَرْبُلاَء ثَلاَثَة وَسَبعِين[3]، وجَيْش العَدوّ ثَلاَثِين أَلفاً أَو يَزِيدُون[4].

وَقَالَ النَّبيّ ﷺ لقُرَيْش يَوْم بَدْر: «خَلّوني وَالعَرب، فَإِنْ أَكُ صَادقاً كُنتُم أَعلىٰ

---

(١) أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ فقَد نصّ المُؤرّخون أنّ عَددهُم كَان (٣١٣) رَجُلاً ولَم يَكُن فِيهِمْ إلاّ فَارسِين: المُقداد بن عَمْرُو الكِندِي، والزُّبَيْر بن العوّام، وكَانَتْ مَعهم (٧٠) بَعِيراً وكَانُوا يَتَعاقبُون عَلىٰ البَعِير بَيْنَ الرَّجُلِين والثَّلاَثة والأَرْبَعَة، فَمَثلاً كَان بَيْنَ النَّبيّ ﷺ، وعَليّ، وَزَيد بن حَارثة بَعِير. وكَانَتْ رَايَة النَّبيّ ﷺ مَع عَليّ عليه السلام كمَا جَاء فِي الكَامِل لِابْن الأَثير: ٢ / ١١٦ والسِّيرة الحَلبية بهَامش السِّيرة النَّبَوِيَّة: ٢ / ١٤٣، تَأرِيخ دِمشق: ١ / ١٤٣ / ٣٠٢.

(٢) كَانَ عَدد ٱلْمُشْرِكِين يَتراوح بين (٩٠٠ و ١٠٠٠) كمَا جَاء فِي تَأْرِيخ الطَّبَرِيّ: ٤ / ٢٦٧، وَالسِّيرة لِابْن هِشام: ٢ / ٣٥٤، وفِيهِمْ الْعَبَّاس بن عَبدالمُطّلب وأبُو جَهل، وقُتل مِن ٱلْمُشْرِكِين (٧٠) مِن رجَالاَتهم وسَادَاتهم.

(٣) أُنظر، تَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢ / ٢٣٠، الإِتحَاف بِحُبّ الأَشرَاف للشَّبرَاوي: ١٥١. بِتَحقِّيقنَا، مَقْتَل الحُسَين: ٢ / ٤. والخوَارزمي يَروي غَالِباً عَن تَأرِيخ آبْن أَعْثَم، أَبُو مُحَمَّد أَحْمَد، تُوفّي سَنَة (٣١٤هـ) فِي الفُتُوح: ٣ / ٩٤، وهَذِهِ الرّوَايَة عَن هَذَا المُؤرخ، فَتَكُون إذَنْ، روَايَة فِي مُستوىٰ روَايَة الطَّبَري.

(٤) تَقدَّم الكَلاَم حَول عَدَد الجَيْش الأُموي فِي كَرْبُلاَء.

بي عَيناً، وَإِنْ أَكُ كَاذباً كَفتكُم ذؤبَان العَرب أمري، فَٱرجعُوا»[١]. فَأبُوا عَلَيهِ إلاَّ القِتَال.

وَقَالَ الحُسَين عليه السلام لجَيش ٱبْن زيَاد: «كَتَبتُم إلَيَّ أنْ قَد أَيْنَعت الثِّمار وَٱخْضرَّ الجنَاب، وَإنَّما تَقدم عَلىٰ جنُود مُجنّدَة، فَٱقْبل. فَإِنْ كُنتُم كَرهتمُوني فَدعُوني أنْصرف عَنْكُم إِلَىٰ مَأمَني مِن الأَرْض». فَأَبُوا عَلَيهِ، كمَا أَبىٰ المُشركُون عَلىٰ جَدّه مِن قَبل[٢].

وَقَالَ النَّبيّ صلى الله عليه وآله لأَصْحَابه يَوْم بَدْر: «قُومُوا إِلَىٰ جَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَاوات وَٱلْأَرْضُ»[٣].

وَقَالَ الحُسَين عليه السلام لأَصْحَابه: «قُومُوا إِلَىٰ المَوْت الَّذي لاَ بُدّ مِنْهُ، فَنَهضُوا جَمِيعاً وَالتَقىٰ العَسكرَان الرَّجّالَة وَالفُرسَان. وَٱشْتَدّ الصِّرَاع وَخَفىٰ لإِثَارة العِثْيَر الشّعَاع. وَالسَّمهريَة تَرهف نَجيعاً وَالمَشرفيَة يُسْمع لَهَا فِي الهَام رَقيعاً وَلاَ يَجد الحُسَين عليه السلام فِي مَسَاقط الحَرْب لوَعظهِ سَمِيعاً»[٤].

---

(١) أُنظر، تَأرِيخ دمَشق: ٣٨ / ٢٥٤ و: ٦٦ / ٣١٨، مَغَازي الوَاقدي: ١ / ٦١.

(٢) أُنظر، المَقتل لأَبي مَخْنَف: ١٦، الفُتُوح: ٣ / ٣٣، مَقْتل الحُسَين للخوَارزمي: ١ / ١٩٥، اللُّهُوف فِي قَتلىٰ الطُّفُوف: ١٥، أَنْسَاب الأَشرَاف: ٣ / ١٥٨، وَقعَة الطَّفّ لأَبي مَخْنَف: ٩٢، تَذكرَة الخوَاصّ: ٢٢٠، الأَخبَار الطّوال: ٢٢٩، مُخْتَصر تَأرِيخ دمَشق: ٢٣ / ١٥١، جَمْهرَة أَنْسَاب العَرب: ٢٩٥، تَأرِيخ الطَّبري: ٤ / ٣٢٣، البدَايَة وَالنّهايَة: ٨ / ١٩٤، إِعْلاَم الوَرىٰ بأَعلاَم الهُدَىٰ: ١ / ٤٥٩.

(٣) أُنظر، مُسْنَد أَحْمَد: ٣ / ١٣٦، صَحِيح مُسْلِم: ٦ / ٤٤، المُسْتَدرَك عَلىٰ الصَّحِيحَين: ٣ / ٤٢٦، السُّنن الكُبرىٰ: ٩ / ٤٣ و ٩٩، تَفْسِير ٱبن كَثِير: ١ / ٥٤٣ و: ٢ / ٣٣٧، الطَّبقَات الكُبرىٰ: ٣ / ٥٦٥، سِير أَعلاَم النُّبلاء: ١ / ٢٥٣، الإِصَابَة: ٤ / ٥٤٩ و: ٧ / ٢٤٠، البدَايَة وَالنّهايَة: ٣ / ٣٣٨، السِّيرَة النَّبوّية: ٢ / ٤٢١.

(٤) أُنظر، مُثِير الأَحْزَان: ٤١.

وَقَالَ الْإِمَام الصَّادِق عليه السلام: «لَقَد كَشَفَ الله الغطَاء لأَصحَاب الحُسَين حَتَّىٰ رَأوا مَنَازِلهُم فِي الجَنَّة»[١].

وَكَان أَصحَاب الرَّسُول يَوْم بَدْر يتَسَابقُون إِلَىٰ المَوت ليَصلُوا إِلَىٰ أَمَاكنِهِم فِي الجنّة، حتَّىٰ أَنَّ عُمَر بن الحمَام لمَّا سَمع النَّبيّ يَقُول: «قُومُوا إِلَىٰ الجَنَّة كَان يَأكل تَمرَات فِي يَده فَرمَاها، وَقَالَ: «لَئن حُيِّيت حَتَّىٰ آكلُهنَّ، أَنَّها لحيَاة طَويلَة...»[٢].

وَهَكذَا كَان الرَّجُل مِن أَصحَاب الحُسَين يَسْتَقبل الرِّمَاح وَالسُّيُوف بصَدره وَوَجْهه، ليَصل إِلَىٰ مَكَانه فِي الجَنّة.

وَقَالَ المُقدَاد بن الأَسوَد للنَّبيّ يَوْم بَدْر: «وَالله لَو أَمَرتنَا أَنْ نَخُوض جَمر الغَضَا وَشَوك الهرَاس لخضنَاه مَعْك[٣]، وَالله لاَ نَقُول لَكَ مَا قَالَت بنُو إِسرَائِيل لمُوسىٰ عليه السلام: ﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾[٤].

وَقَالَ الحُسَين لأَصْحَابه: «... أَلاَ وَإِنّي أَظنّ يَوْمنَا مِن هَؤلاَء الأَعدَاء غَداً، وَإِنّي قَد أَذِنتُ لَكُم، فَانْطَلقُوا جَمِيعاً فِي حِلٍّ لَيسَ عَلَيكُم مِن ذِمَام، هَذا اللَّيْلُ قَدْ

---

(١) أنظر، عِلَل الشَّرَائع: ١/ ٢٢٩ ح ١.

(٢) أُنظر، تَفْسِير اَبن كَثِير: ٢/ ٣٣٧، صَحِيح البُخَاري: ٤/ ١٤٨٧ ح ٣٨٢٠، سُنن النَّسائي: ٦/ ٣٣ ح ٣١٥٤، مُوطَّأ مَالِك: ٢/ ٤٦٦ ح ٩٩٧، مُسْنَد أَبي يَعلىٰ: ٣/ ٤٦٥ ح ١٩٧٢، التَّمهِيد لِابن عَبدالبر: ٢٤/ ٩٨ ح ٤٧٧، شَرْح الزَّرقَاني: ٣/ ٦٠، الإِصَابَة: ٦/ ٦٥٢ رَقم «٩٢٥١».

(٣) أُنظر، مغَازي الوَاقدي: ١/ ٤٨ ـ ٤٩ طَبعَة أكسفُورد، وإِمْتَاع الأَسْمَاع للمَقْرِيزي: ٧٤ ـ ٧٥، تَأرِيخ الخَمِيس: ١/ ٣٧٣، التَّعلِيق عَلىٰ هَذَا الحَدِيث فِي كتَابنَا «البَيْعَة وَولاَيَة العَهْد وَالشُّورىٰ وَآثَارها فِي تَنْصِيب الخَلِيفَة»، دِرَاسَة عَلمِيَة تَحلِيلَية لرَدّ الشُّبهَات: ١٩٦، وَمَا بَعدَها.

(٤) اَلْمَـائِدَة: ٢٤.

غشِيَكُمْ فاتَّخذُوهُ جَمَلاً، وَلْيأْخُذْ كُلّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِيَدِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِيْ، فَجَزاكُمُ اللهُ جَمِيعاً خَيْراً، وَتَفَرَّقُوا فِيْ سَوادِكُمْ وَمَدائِنِكُمْ، فَإِنَّ القَوْمَ إِنَّما يَطْلُبُونِيْ، وَلَوْ أَصابُوْنِيْ لَذُهِلُوا عَنْ طَلَبِ غَيْرِيْ...»[١].

فَقَال: أنَّكم تُقْتَلون غَداً كُلّكم، وَلاَ يَفْلت مِنْكُم رَجل.

قَالُوا: الحَمْد لله الَّذي شرّفنَا بِالقَتل مَعَك[٢].

وَقَالَ أَبُو جَهْل يَوْم بَدْر: «أَللَّهُمَّ أَنَّ مُحَمَّداً أَقْطَعنا للرّحم، وَأتانَا بمَا لاَ نَعْرف، فَأنصُرنا عَلَيهِ»[٣].

وَقَالَ يَزيد لعَليٍّ بن الحُسَين: يَا عَليّ بن الحُسين أَنّ أَبَاك الّذي قَطَع رَحمي، وَجَهل حَقّي، وَنَازَعني سُلطاني فنزل بهِ مَا رَأيت، فَقَال عَليّ عليه السلام: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَـٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[٤].

فَقَال يَزِيد: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن

---

(١) أنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٥ / ٤١٩، تَأريخ اليَعقُوبي: ٢ / ٢٣١، مَقْتَل الخوَارزمي: ١ / ٢٤٧. (مِنهُ رحمه الله).
أُنظر، مَقْتَل الحُسَين لأَبي مَخْنَف: ٧٩ ـ ٨٠ مَع اختلاَف يَسِير، الإِرشَاد للشَّيخ المُفِيد: ٢ / ٧٦، مَقْتَل الحُسَين للخوَارزمي: ١ / ٢٢٨، تأرِيخ الطَّبري: ٤ / ٣٠١، الكَامل فِي التَّأرِيخ لِابْن الأَثِير: ٣ / ١٧ و ١٨، البِدَايه وَالنّهاية لِابْن كَثِير: ٨ / ١٦٨ و ١٧١، الأَخبَار الطّوال: ٢٤٨.

(٢) أنظر، البِدَايَة وَالنّهايَة: ٨ / ١٩١.

(٣) أُنظر، تَفْسِير الطَّبري: ٢ / ٣٤ و: ٩ / ٢٠٨ و ٢٠٩، تَفْسِير ابن كَثِير: ٢ / ٢٩٧، المُصنّف لِابن أَبي شَيبَة ٧ / ٣٥٥ ح ٣٦٦٧٤، السِّيرَة النَّبويّة: ٣ / ١٧٦ و: ٣ / ٢٢٢، شَرْح نَهج البَلاَغَة لِابْن أَبي الحَدِيد: ١٤ / ١٣٢، تَفْسِير القُرطُبي: ٧ / ٣٨٦.

(٤) الحَدِيد: ٢٣.

كَثِيرٍ﴾[١] فَقَال عَليّ ﷺ: هَذَا فِي حَقّ مَن ظَلم لاَ فِي مَن ظُلم[٢].

وَقَالَ يَزِيد فِيمَا قَالهُ للْإِمَام زَين العَابدِين ﷺ: «الحَمْد لله الَّذي قَتَل أَبَاك.

فَقَال لهُ الْإِمَام: لَعنَة الله عَلىٰ مَن قَتَل أَبي»[٣].

وَٱنْتَشر الْإِسلاَم بَعد غَزْوَة بَدْر، وَتَحرّر الضُّعفَاء مِن سَيطرَة الْأَقوِيَاء.

وَوَلد بكَربلاَء مَبدَأ جَدِيد، هُو الْإِيمَان بأَنَّ المَوت فِي سَبِيل الحَقّ خَير مِن الحَيَاة مَع المُبطِلِين، وَقَضىٰ هَذَا المَبدَأ عَلىٰ الْأُمويِّين وَسِلطَانهم الجَائر، وَلقَد أَثْبَتت التَّجارب بأَنَّ إِيمَان الْإِنْسَان بحقّه، وَحِرصه عَلىٰ حُرّيتَه، وَحفَاظه عَلىٰ رِزقه أَقوىٰ مِن كُلّ سلاَح وَعتَاد، فَلَقد تَغلبَت إِفرِيقيَا الجَائعَة العَزلاَء، وَغَيرهَا مِن الشُّعوب المُسْتَضعفَة عَلىٰ المُسْتَبدِين الْأَقويَاء، تَغَلبَت بقُوّة الْإِيمَان بأَنَّ الْإِنْسَان يَجب أَنْ يَعِيش حرّاً كَرِيماً، وَهَذَا هُو مَبدَأ الحُسَين الَّذي ضَحّىٰ مِن أَجْلهِ بنَفسه وَأَهْله.

وَلاَ شَيء أَدَل عَلىٰ قُوّة الصِّلَة وَالشَّبه بَيْنَ بَدْر وكَرْبُلاَء مِن إِنشَاد يَزِيد، وَهُو يَنْكث ثَنَايا الحُسَين بقَضِيبه[٤]:

---

(١) ٱلشُّورَىٰ: ٣٠.

(٢) أُنظر، تأرِيخ الطَّبري: ٦ / ٢٦٥، الفُتُوح: ٣ / ١٥٢، تأرِيخ ٱبن عَسَاكر: ٤ / ٣٤١، سِير أَعْلاَم النُّبلاَء: ٣ / ٣٠٣، البدَايَة وَالنّهايَة: ٨ / ٢١١، تَرجمَة الْإِمَام الحُسَين ﷺ لِابْن عَسَاكر: ٣٣٨.

(٣) أُنظر، الْإِحْتجَاج: ٢ / ٣٩ و ١٣٢.

(٤) أُنظر، اللُّهُوف فِي قَتْلىٰ الطُّفُوف: ١٠٢، مَقْتَل الحُسَين للخوَارزمي: ٢ / ٦٦، شَرح النَّهج لِابْن أَبي الحَدِيد: ٢ / ٣٨٣ الطَّبعَة الأُولىٰ مَصر، الأَمَالي لأَبي عَليّ القَالي: ١ / ١٤٢، وَالبَكري فري شَرحِهِ: ١ / ٣٨٧، ٱلأثَار البَاقيَة: ٣٣١ طَبعَة الأوفسيت، الأَخبَار الطّوَال: ٢٦١، سَمط النُّجوم العوَالي: ٣ / ٧٣، فحُول الشُّعرَاء: ١٩٩ ـ ٢٠٠، سِيرة ٱبن هِشَام: ٣ / ١٤٤، الحَيوَان للجَاحظ: ٥ / ٥٦٤، مقَاتَل الطَّالبيِّين: ١١٩، مَقْتل الحُسَين لأَبي مُخْنف: ٢١٣ و ٢٢٠.

لَـعِبَت هَـاشِم بِـالمُلك فَـمَا / مَـلَكٌ جَـاءَ وَلاَ وَحـيٌ نَـزَل

لسُت مِنْ خِـنْدف إِنْ لَـمْ أَنْـتَقم / مِنْ بَـني أَحْـمَد مَـا كَـان فَـعَل

لمَّا بَدتْ تِلكَ الحمُول وَأشرَقتْ / تِلكَ الرُّؤوس عَلىٰ شَفا جِيرُون

نَعَت الغُرَاب فَقُلتُ قُل أَو لاَ تَقُل / فَقَد ٱقتَضِيت مِن الرَّسُول دِيُوني

يَا غُرَاب البـين مَـا شِـئت فَـقُل / إِنّـما تَـندب أمـرَاً قَـد حَـصَل

إِنَّ أشـيَاخي بِـبَدر لَـو رَأوا / مَصرَع الخَزرَج مِن وَقع الأَْثـل

لأَهـلوّا وَٱسْـتَهلوا فَـرحـاً / ثُـمَّ قَـالوا يَـا يَـزِيد لاَ تَـسل

كَلَّا، لَمْ يَنْتَقم يَزِيد مِن بَني أَحْمَد، وَإِنَّما ٱنْتَقم الله مِنْهُ وَمِن بَني أُمَيَّة بَني أَحْمَد وَللإِنْسَانيَة جَمعَاء، أَنَّه لَمْ يَقْتل مَبدأ الحُسَين، وَإِنَّما قَتَل نَـفْسه، وَقَـضىٰ عَـلىٰ سُلطَانه، كمَا قَالَت السَّيِّدَة زَيْنَب فِيمَا قَالَت ليَزِيد بَعدمَا سَمعَتهُ يَهْتف بأَشيَاخه:

تَهْتف بِأَشيَاخك!... زَعَمت أَنَّك تُنَاديهِم، فَلتَردَن وَشيكاً مَوردهُم، وَلتَـردَن أَنَّك شللّتَ وَبكمتَ، وَلَم تكُن قُلت مَا قُلت، وَفعلت مَا فَعَلت، أَللَّـهُمَّ خُـذ لنَـا بحَقّنا، وَٱنْتَقم ممَّن ظَلمنَا، وَٱحلل غَضَبك بمَن سَفك دمَاءنا، وَقَتل حُمَاتنَا، فوَالله مَا فَرَيت إِلاَّ جِلدَك، وَلاَ حَزَزت إِلاَّ لَحمك»[1].

وَأصل هَذِه الأَبيَات لِابْن الزِّبَعرىٰ كمَا جَاء فِي الصَّوَاعق: ١١٦، وَزَاد فِيهَا بَيتاً مُشتَمِلاً عَلىٰ الكُفر. أُنظر، صورَة الأَرْض لِابْن حَوقل: ١٦١، اليَافعي فِي مرآة الجِنَان: ١ / ١٣٥، وَالكَامِل لِابْن الأَثِـير: ٤ / ٣٥، ومُروج الذّهب للمَسعُودي: ٢ / ٩١، وَالعِقد الفَـريد: ٢ / ٣١٣، أَعْـلاَم النِّسَـاء: ١ / ٥٠٤، وَمَجمع الزَّوائد: ٩ / ١٩٨، الشِّعر وَالشُّعراء: ١٥١، الأَشباه وَالنَّظائِر: ٤، الأَغَاني: ١٢ / ١٢٠، الفتُوح لِابْن أَعْثَم: ٥ / ٢٤١، تَذكرة الخوَاصّ: ١٤٨، شَرْح مقَامَات الحرِيري: ١ / ١٩٣، البدَاية وَالنّهاية: ٨ / ٢٤٦، والطّبري فِي تأرِيخه: ٦ / ٢٦٧، و: ٤ / ٣٥٢، الآثَار البَاقِية للبِيرُوني: ٣٣١ طَبعَة أُوفسيت، شَرْح نَهج البَلاَغَة لِابْن أَبي الحَدِيد: ١٥ / ١٧٨، وَقَالَ:

(١) أُنظر، بَلاَغَات النِّسَاء لِابْن طَيفُور: ٢٢، الإِحْتجَاج: ٢ / ٣٦، مُثِير الأَحزَان لِابْن نَـما: ٨١، مَـقْتَل الحُسَين لأَبي مَخْنَف الأَزدي: ٢٢٧.

إنه ٱبْن عَليّ

لَو حَدّثَك مُحَدّث أَنَّ رَجُلاً بُذلَت لهُ المَلاَيين عَلىٰ أَنْ يَنْطق بكَلمَة بَـاطل لاَ يَسأَله عَنْهَا سَائِل ، وَلاَ يُؤاخَذ فِي هَذِه الحَيَاة ، فَأَبىٰ وَٱمْتَنع لاَ لشَيء إِلاَّ لأَنَّ شَفَتَيه تَتَنزّه عَن التَّفوه بِالبَاطل ، أَو قَالَ لَك أَنَّ المُلك قَد أَتَاه لُقمَة سَائغَة بلاَ مُعَارض وَلاَ مُنَازع عَلىٰ أَنْ يَقْطَع عَلىٰ نَفْسه وَعداً بأَنْ يَسِير عَلىٰ طَرِيق مَن مَضىٰ مِن المُلُوك وَالحُكّام ، فَأَبىٰ وَٱمْتَنع لاَ لشَيء إِلاَّ لأَنّه لاَ يُرِيد أَنْ يَكُون مُقَلّداً لغَيرهِ ، وَلاَ أَنْ يَعد وَيَخلف ؛ فَذَهب المُلك إِلَىٰ غَيرهِ ، فَلَم يَهتّم وَلَم يَكْتَرث ، حَتَّىٰ كَأَنَّه نَوَاة يَـلفظهَا مِن فَمهِ ، أَو حَصَاة تَسقط مِن يَدهِ ، أَو أَخبَرك مُخبر أَنَّ عَدوّاً قَصَد هَـذَا الرَّجُـل للقَضَاء عَلىٰ حَيَاته ، وَلمَّا بَرَز لهُ وَجْهَاً لَوجه وَتَمكّن مِن عَدوّه ، وَأَصْبَح فِي قَبْضةِ يَده ، وَرَأىٰ هَذَا العَدوّ المَوت نَصْب عَينَيهِ ، طَلَب مِنْهُ العَفو وَالصَّفح ، فَعفَا وَصَفح لاَ لشَيء إِلاَّ رَغبَة فِي العَفو وَالصّرفح ، وَهُو يَعْلَم عِلْم اليَقِين أَنَّه لَو قَتَله لبَاء المَقتُول بِالإِثم ، وَكَان للقَاتل الفَضل وَالعُذر عِندَ الله ، وَالنَّاس .

لَو حَدّثك بهَذَا أَو بَعْضَاً مِنْهُ إِنْسَان ، أَي إِنْسَان ، لقُلتَ : أَنَّ مُحدّثك لاَ يَدْري مَا يَقُول ، وَأَنَّه يَتَوهم وَيَتكلّم ، ذَلِكَ لأَنّا قَد ٱعتَدنا أَنْ نَرىٰ النَّاس يَكذبُون وَيُرائُون ، وَيُمرغُون الجبَاة بتُرَاب الأَقدَام مِن أَجل الدّرهَم وَالدِّينَار ، وَأَلفنَا أَنْ نَقرَأ وَنَسمَع العقُود وَالموَاثِيق فِي بَيَانَات الحُكّام ، وَكلّها عَكْس مَا يُؤمنُون بهِ وَيُدينُون ، وَضِدّ

مَا يَنوون وَيَعملُون، وَرَأينا كَيف يَنْتَقم الظَّافرُون مِن خُصُومِهم؟ وَكَيف يُخيّرونَهم بَيْنَ المَوت وَالعبُوديَة؟ حَتَّىٰ وَلَو كَانَت الخصُومَة فِـي الرَّأي وَالْإِجْـتهَاد. لذَلِكَ وَغير ذَلِكَ تَسْتَبعد هَذَا النَّوع مِن الحَدِيث، لأَنَّك تَأخذ بمَبدأ قِيَاس بَعْض النَّاس عَلَىٰ بَعْض.

وَلَكن هَذَا مَا حَصَل بالفِعل، وَشَهد بِهِ القَرِيب وَالبَعِيد، إقرَأ تَأرِيخ الْإِمَام عَليّ ابن أَبي طَالِب، لتَلمس هَذِه الحَقِيقَة، وَتُؤمن بهَا إِيمَانك بوجُودك، فَقَدْ بَايَعهُ عَبد الرَّحمن بن عَوف عَلَىٰ أَنْ يَعمَل بكتَاب الله، وَسُنَّة الرَّسُول، وَسِيرَة الخَليفَتَين أَبي بَكْر وَعُمَر، فَقَال لهُ عَليّ: أَعْمَل بكتَاب الله وَسُنّة الرَّسُول، وَأَرجُو أَنْ أَفعَل عَلَىٰ مَبلغ عِلمي وَطَاقتي، فبَايع عَبدالرَّحمن عُثْمَان، وَلَو قَالَ الْإِمَـام نَـعْم لتَـمّت لهُ الخِلاَفَة بدُون مُعَارض، وَلكنَّه أَبىٰ أَنْ يَكُون مُقلّداً، أَو أَنْ يَعد وَيَخلف[1].

---

(١) أَلاَ يَظْهَر مِن هَذَا كلّه أَنّ الرّجل ـ أَي عُمَرَ بن الخَطَّاب ـ قَد جَعل أَمر التَرشِيح بِيَد رَجُل وَاحد وهُو عَبد ٱلرَّحْمَان بن عَوف، وَعَبد ٱلرَّحْمَان هَذَا يَعْرِف بأَنّ الْإِمَام عَليّ عليه السلام يَرفض الْإِلتزَام بسِيرَة الشّـيخَين، وَلذَا ٱشترَط الْإِلتزَام حَتّىٰ يَبعد عَنْهَا عَلِيّاً وذَلِكَ لمَا بَيْنَهُما مِن الْإِخْتِلاَف مِن حيثُ السِّيرَة حَتّىٰ فِـي الْإِستخلاَف، ولِمَا بَيْنَ سِيرتهُما وبَيْنَ سِيرَة الرَّسُول صلى الله عليه وآله، طَلَب عَبد ٱلرَّحْمَان فِي حَقِيقَته تَعْجِيزي لاَ يُمكن أَنْ يَقبَل بِهِ إِلاّ اللّعُوب الّذي لاَ يَرعىٰ عَهداً وَلاَ يَلْتَزم بتَعهد، وذَلِكَ مُستحِيل عَلىٰ مِثْل عَليّ عليه السلام، لِذَا قَبلهَا عُثْمَان وَلَم يَلتَزم بهَا أَبَداً وهُو يَعْلَم أَنّه لَن يَلتَزم، وكَيْفَ يَلتَزم بثلاَثَة أَنْمَاط مِن السِّيرَة مُتبَاينَة، مُخْتَلفة، وَلَيْس فِيهَا جَامع.

مَا هِي المِيزَة، وَالخصِّيصَة، وَالمَنْقَبة الّتي تَمَيز بهَا عَبد ٱلرَّحْمَان بن عَوف حَتَّىٰ يُجعل هُو الحَكم بَيْنَ طَرفي الْإِخْتِلاَف إِذَا وَقع حَتّىٰ وَإِنْ صَفق بإحدىٰ يَدَيه عَلَىٰ الْأُخرىٰ كمَا ذَكرنَا سَابقاً مِـن المَـصَادر التَّأرِيخية.

أَلكَوْن عَبد ٱلرَّحْمَان بن عَوف زَوّج أُمّ كُلثُوم بنْت عُقْبَة بن أَبي مُعَيْط، وَأُمّها أَروىٰ بِنْت كَرِيز، وَأَروىٰ أُمّ عُثْمَان فلذَلك هُو صِهره كمَا يَقُولُون؟

وَفي يَوْم أُحد بَرَز إلَىٰ طَلْحَة بن أَبي طَلْحَة ، وَكَان كَبْش الكَتِيبَة فصَرعهُ الإمَام بضَربَة ، وَلمَّا أَرَاد أَنْ يَجْهز عَلَيهِ بالثَّانيَة ، قَالَ لهُ طَـلْحَة : أَنشُـدك الله يَآبـن عَـمّ وَالرّحم ، فَآنْصَرف عَنْهُ ، فَقَال لهُ المُسلمُون : أَلاَّ أُجهزتَ عَلَيهِ ؟ فَقَال : نَاشَدني الله

⟷

أُنظر ، أَنسَاب الأَشرَاف : ٥ / ١٩ .

أَم لكُونه مِن أَنصَار ، وَحِزب أَبي بَكر فِي يَوْم السَّقِيفَة مَع عُمَرَ ، وَأَبي عُبَيْدَة ، وَالمُغِيرَة بْنَ شُعْبَةَ ، وَسَالم مَوْلَىٰ حُذَيْفَة ؟ .

أُنظر ، الاِسْتِيعَاب : ٢ / ٣٨٥ ، الإِصَابَة : ٢ / ٤٠٨ ، أُسد الغَابَة : ٣ / ٣١٣ .

أَم لكُونه قَالَ يَوْم السَّقِيفَة : « يَا مَعْشَرَ الأَنْصَار إنّكم وَإنْ كُنتُم علىٰ فَضل فلَيس فِيكُم مِـثل أَبـي بَكْـر وَعُمَرَ . . » .

أُنظر ، تَأرِيخ اليَعقوبيّ : ٢ / ١٠٣ .

أَم لكُونه مِن الرّجَال الّذين دَخلُوا بَيْت فَاطِمَة بنْت رَسُول الله ﷺ مَع عُمَرَ بن الخَطَّاب ، وَخَالد ، وَثَابت بن قَيْس ، وَزيَاد بن لَبيد ، وَمُحَمَّد بن مَسْلَمَة ، وَزَيد بن ثَابت ، وَسَلمة بن سَالم ، وَسَلمَة بن أَسلَم ، وَأُسيد بن حُضَير ؟

أُنظر ، تَأرِيخ الطَّبريّ : ٢ / ٤٤٣ ، شَرْح النّهج لِابْـن أَبـي الْـحَدِيد : ٢ / ١٣٠ ، الاِسْـتِيعَاب : ٢ / ٨٣ ، الإِصَابَة : ٢ / ٦١ ، هَذِه المَصَادر عَلىٰ سَبِيل المِثَال لاَ الحَصر .

أَم أَنّ عُمَرَ عَلِم بأَنّ عَبد الرَّحمَان لاَ يَختلف مَع ختَنه عُثْمَان ، وَابن عَمّه سَعد كمَا صَرّح بِهِ أَمِير الْمُؤْمِنِينَ عَليّ وَقَالَ لهُ : حَبَوتَه حَبو دَهرٍ لَيس هَذَا أَوَّل يَوْم تَظاهرتُم فِيهِ عَلَينَا فَصبرٌ جَمِيل ، وَالله المُستعَان عَلىٰ مَاتَصفُون . . . ؟

أَم لكُونه صَاحب ثَروَة قَدّروهَا بأَلف بَعِير ، وَثَلاَثة آلاف شَاة ، وَمِئَة فَرس كمَا تَرك ذَهباً قُطّع بالفُؤوس حَتّىٰ مُجلت أَيْدِي الرّجَال مِنْهُ ؟ .

أُنظر ، الطَّبَقَات الْكُبْرَىٰ : ٣ / ١٣٦ .

ثُمّ لِمَاذَا أَدخَل ـ جَعَل الحَكم ـ عبد الله بن عُمَرَ أَيضاً كمَا فِي بَعْض الأَخْبَار وهُو القَائِل كمَا رُوي فِي تَأرِيخ الْمَدِينَة عَن إبْرَاهِيم قَالَ : قَالَ عُمَرَ بن الخَطَّاب « يَأمرُوني أَنْ أُبَايع لرَجُل لَم يُحسن أَنْ يُـطلق آمْرَأَته » ؟

أُنظر ، تَأرِيخ الْمَدِينَة : ٣ / ٩٢٣ و ٣٤٣ ، تَأرِيخ السّيوطيّ : ١٣٥ .

وَالرّحم »[(١)]، وَتَرك ٱبْن العَاصّ بعد أَنْ أَصْبَحت حَيَاته فِي يَده، وَلَـو قَـتَله لدَبَّ الذُّعر فِي جَيْش مُعَاوِيَة، وَتَمزّق شَرّ مُمزّق، وَعَفَا يَوْم الجَمل عَـن مَـرْوَان بـن الحَكَم، وَهُو أَلَد الخصُوم وَأَخْطَرهُم، وَسَقىٰ أَهْل الشَّام المَاء بَعد أَنْ مَنعُوه مِنْهُ[(٢)].

وَقَالَ قَائِل جَاهل: أَنَّ الإِمَام لاَ يَعْرف السِّيَاسَة، لأَنَّه لَو مَنع المَاء عَـن أَهْـل الشَّام، أَو قَتلَ مَرْوَان، وَٱبْن العَاصّ لضَمن النَّصر بأَيْسَر الأَسبَاب؟، وَيَصحّ هَذَا القَوْل فِي حَقّ الَّذِين تُسَيّرهُم مَنَافعهُم الشَّخصيَّة، وَيَسْـتبيحُون كُـل شَـيء فِـي سَبِيلهَا، أَمَّا فِي حَقِّ الإِمَام الَّذي يَرىٰ الدُّنْيَا بكَاملهَا أَحقَر مِن وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا، وَأَهون عَلَيهِ مِن رَمَاد أَذرَتهُ الرِّيَاح فِي يَوْمٍ عَاصف »[(٣)]، أَمَّا فِي حَـقِّ الإِمَام الَّذي يَرىٰ المَوت أَيسَر عَلَيهِ مِن شُرب المَاء عَلىٰ الظَّمأ، أَمَّا الَّذي يَـرىٰ

(١) أُنظر، الطَّبري فِي تَأرِيخه: ٢ / ١٣١، السِّيرَة الْحَلَبِية: ٢ / ٢٢٤، وَالمعَارف لِابْن قُتَيْبَة: ١٦١، تَنوِير المقبَاس مِن تَفْسِير ٱبن عبَّاس: ١٤٧.

(٢) فَكّرتُ مَلياً فِي صَفح الإِمَام، وَبَقيتُ اللَّيالي وَالأَيَّام أَبْحَث عَن تَفسِير تَركُن إِلَيهِ نَفسِي، فَـلَم أَجـد وَجْهاً إِلاَّ أَنَّه مَخلُوق مُسْتقل قَائِم بنَفسه، لاَ يَشبَه أَحداً، وَلاَ يَشْبهه أَحد مِن النَّاس لاَ فِي المَاضِي وَلاَ فِي الحَاضر وَالمُستَقبل، فهُو بطَبعهِ وَمزَاجه يَصْفح عَن قَاتلهِ، وَقَاتل أَولاَده دُون أَي تَكَلّف، كَمَا يَصْفح عَمَّن يُسيء إِلَيهِ بكَلمَة صَغِيرَة نَابيَة سوَاء بسوَاء، وَلاَ أَدل عَلىٰ ذَلِكَ مِن وَصِيّته بـقَاتلِهِ ٱبْـن مُـلْجَم، وَقَوله: وَإِنْ تَعفُوا: أَقْرب إِلَىٰ التَّقوىٰ. (مِنْهُ رحمه الله).

أُنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٣ / ٥٦٩، وَقْعَة صِفِّين: ١٦١، الأَخبَار الطّوال: ١٦٨، شَرْح نَهج البَلاَغَة لِابن أَبي الحَدِيد: ٣ / ٣١٨ و: ٤ / ١٣.

مَال جَيش الإِمَام عَلَىٰ أَعدَائهِم، وَٱضطرُوهُم إِلَىٰ تَرك الشَّرِيعَة، فَسِيطر عَـلَيهَا الإِمَـام، وَٱلَـحَّ عَـلَيْهِ جَمَاعَة من أَصْحَابه أَنْ يَمنع مُعَاوِيَة مِن الْمَاء كمَا مَنعه، فأَبىٰ، وَقَالَ: « لاَ أَفْعَل ما فَعله الـجَاهِلُون!! سَنعرض عَلَيْهِمْ كتَاب الله، وَندعُوهم إِلىٰ ٱلْهُدَىٰ، فَإِنْ أَبَوْا أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ السَّيْفِ». أُنظر، مِنْهَاج الْبَرَاعَة: ٤ / ٣١٠، شَرْح الْمُخْتَار: ٤٦، وَقْعَة صِفِّين: ٥٣٩، الْفُصُول الْمُهِمَة لِابْن الصَّباغ الْمَالِكي، بِتَحقِيقنا: ١ / ٤٤٧ و ٤٩٧، وَ « الإِمَام عَليّ صَوت العَدَالَة الإِنْسَانِيَّة »: ٤ / ٩٧٣.

(٣) أُنظر، نَهج ٱلْبَلاَغَةَ: ٱلخُطْبَةُ (٢٢٤).

الحِذَاء البَاليَة خَيراً ألف مَرّة مِن المُلك، وَالسُّلطَان إلاّ أنْ يُقِيمَ حَقّاً، أَوْ يَدْفَعَ بَاطِلاً»(١)، أمَّا هَذَا المَلاَك الَّذي لاَ يَشْبَه أَحداً، وَلاَ يَشْبَهه أَحد مِن النَّاس، فَلاَ يَصحّ فِي حَقّه شَيء مِن مقَاييس النَّاس الَّتي تَقُوم عَلىٰ الأَطْمَاع، وَالتهَالك عَلىٰ الحُطَام.

وَخَير كَلمَة قَرَأتهَا فِي الاْعتذَار عَن صَفح الإِمَام عَن أعدَائه، وَٱستخفَافه بالمُلك مَا قَالهُ الأُستَاذ جُردَاق: «أَنَّ الَّذِين يَعترضُون عَلىٰ الإِمَام يُريدُونَه أَنْ يَكُون مُعَاويَة بن سُفيَان، وَيَأبىٰ هُو إلاَّ أَنْ يَكُون عَليّ بن أَبي طَالِب»(٢).

وَهكَذَا أَرَاد أَتبَاع يَزِيد وَمَن عَلىٰ شَاكلَتِهِ أَرَادوا أَنْ يَكُون الحُسَين كَٱبن سَعَد وَٱبن زيَاد حِينَ طَلبُوا مِنْهُ أَنْ يُبَايع يَزِيد، وَيَأبىٰ هُو إلاّ أَنْ يَكُون الحُسَين بن عَليّ، وَإلاّ أَنْ يَحْمل رُوح أَبيه بَيْنَ جَنْبَيه، وَإلاّ أَنْ يَرىٰ المَوت سعَادَة، والحَيَاة مَع الظَّالِمين نَدمًا.

قَالَ لهُ قَيس بن الأَشْعَث يَوْم الطَّفّ: ٱنزل عَلىٰ حُكم بَني عَمّك، فَإِنَّهُم لَم يَرُوك إلاّ مَا تُحبّ. فَقَال لهُ الحُسَين: «لاٰ وَاللهِ، لا أُعْطِيهِمْ بِيَدِي إعْطَاءَ الذَّلِيلِ، وَلاَ أُقرُّ إقْرارَ العَبِيد. عِبادَ اللهِ: ﴿إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾(٣). ﴿إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّايُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾(٤)، أَلاَ وَإنَّ الدَّعي ٱبن الدَّعي قَد رَكَز بَيْن ٱثْنَتين: بَيْن السِّلة وَالذِّلّة، وَهَيهَات مِنَّا الذِّلَّة، يَأبىٰ الله لنَا ذَلِكَ، وَرَسُوله، وَالمُؤْمِنُون، وَجُدُود طَابَت، وَحُجُورٌ طَهُرَت، وَأُنُوفٌ حَمِيَّة، وَنُفُوس أَبِيَّة لاَ تُؤثرُ

(١) أنظر، نَهج البَلاَغَة: الخُطْبَة «٣٣».

(٢) أنظر، عَليّ صَوْت العَدَالة الاْنسَانية: ٤ / ٧٧٥.

(٣) ٱلدُّخَان: ٢٠.

(٤) غَافر: ٢٧.

طَاعَة اللِّئَام عَلىٰ مَصَارِع الكِرَام »[١].

وَحِين هَلَك مُعَاوِيَة كَتَب يَزِيد إِلَىٰ ٱبْن عَمّه الوَلِيد بن عُتْبَة بن أَبِي سُفْيَان، وَكَان وَالِياً عَلىٰ المَدِينَة: « أَمَّا بَعْد فَخُذ حُسيناً... بِالبَيْعَة أَخذاً لَيْس فِيهِ رُخْصَة، حَتَّىٰ يُبَايع. وَالسَّلاَم »[٢]. وَلمَّا وَصل الكِتَاب إِلَىٰ الوَلِيد أَرسَل فِي طَلب الحُسَين، فَدعَا الإِمَام جَمَاعة مِن مَوَاليه، وَأَمرهُم بحَمل السّلاَح، وَقَالَ لهُم: « إِنَّ الوَلِيد قَد ٱستَدعَاني، وَلَستُ آمن أَنْ يُكلفني أَمرَاً لاَ أُجِيبَه إِلَيه، فَإِنْ سَمعتُم صَوتي قَد عَلاَ، فَٱدخلُوا عَلَيهِ، لتَمنعُوه مِنّي، وَصَار الحُسَين إِلَىٰ الوَلِيد، فَوَجَد عِندَه مَرْوَان بن الحَكم، فَقرَأ الوَلِيد كتَاب يَزِيد عَلىٰ الحُسَين، فَطَلب الحُسَين مِنْهُ الإِمهَال، فقَال لهُ الوَلِيد: ٱنْصَرف إِذَا شِئْت عَلىٰ ٱسم الله، فَقَال لهُ مَرْوَان: « لَئِنْ فَارَقك السَّاعة وَلَم يُبَايع لاَ قَدَرت مِنْهُ عَلىٰ مِثْلهَا أَبَداً حَتَّىٰ تَكْثر القَتلىٰ بَيْنكُم وَبَيْنَه، وَلَكنْ ٱحْبِسْه فَإِنْ بَايَع وَإِلاَّ ضَرَبت عُنْقه ».

وَفي روَايَة أَنَّ الحُسَين قَالَ للوَلِيد: « أَيُّها الأَمِير، إِنَّا أَهْل بَيْت النُّبوَّة، وَمَعدِن الرِّسَالة، وَمُختَلف المَلاَئِكَة، بِنَا فَتَح الله، وَبِنَا خَتَم، ويَزِيد فَاسق، فَاجر، شَارب الخَمْر، قَاتِل النَّفس المُحتَرمة، مُعلِن بِالفِسق وَالفجُور، وَمِثْلِي لاَ يُبَايع مِثْله »[٣].

---

(١) أنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٥ / ٤٢٥ ـ ٤٢٦ طَبعَة سَنَة ١٩٦٤م، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٣ / ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

(٢) أنظر، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٢ / ٥٢٩ و: ٣ / ٢٦٣، تأرِيخ الطَّبري: ٤ / ٢٥٠، و: ٥ / ٣٣٨، الأَخبَار الطّوَال: ٢٢٧، الفُتُوح لِابْن أَعْثَم: ٢ / ٣٥٥ و: ٣ / ٩، مَقْتَل الحُسَين للخوَارزمي: ١ / ١٨٠ مِثْله. وَهذَا يُبْطل كلّ كَلاَم يُدَافع بِهِ عَن يَزِيد وَعَن تَبرير المُنَافقِين وَالمُسْتَشرقِين الَّذين يَدّعُون بِأَنّ يَزِيد لَم يَكُن رَاغباً فِي قَتْل الإِمَام الحُسين عليه السلام.

(٣) أُنظر، مَقْتَل الحُسَين للخوَارزمي: ١ / ١٨٤ وَزَاد فِيهِ: وَالله لَو رَام ذَلِك أَحد لَسَقيتُ الأَرض مِن دَمه قَبل ذَلِك، فَإِنْ شِئتَ ذَلِك فَرم أَنْت ضَرب عُنقي إِنْ كُنتَ صَادِقاً...، تأرِيخ الطَّبري: ٤ / ٢٥١، تَذكرة ↔

وَلمَّا جَنَّ اللَّيل أَقبَل الحُسَين إِلَىٰ قَبْر جدّه، وَقَالَ: السَّلاَم عَلَيكَ يَا رَسُول الله، أَنَا الحُسَين بن فَاطِمَة فَرخِك وَٱبن فَرخَتُك، وَسِبطك الَّذي خَلفتَهُ فِي أُمَّتك، فَٱشْهد عَلَيهم يَا نَبي الله أَنَّهم قَد خَذَلُوني وَضَيعُوني، وَلَم يَحفظُوني، وهَذِه شَكوَاي إِلَيك حَتَّىٰ أَلقَاك، ثُمَّ قَام فَصَفَّ قَدَميه للصَّلاَة. فَلَمَّا كَانَت اللَّيلَة الثَّانيَة خَرج إِلَىٰ القَبر أيضاً، وَصَلَّىٰ ركعَات، فَلَمَّا فَرَغ مِن صَلاَته، جَعَل يَقُول:

« أَللَّهُمَّ هذَا قَبْر نَبيك مُحمَّد ﷺ، وَأَنَا ٱبْن بِنْت نَبيك، وَقَد حَضَرني مِن الأَمر مَا قَد عَلِمت، أَللَّهُمَّ إِنّي أُحبّ المَعرُوف، وَأُنْكر المُنكَر، وَأَنَا أَسَأَلُك يَا ذَا الجَلاَل وَالإِكرَام، بحَقِّ القَبر وَمَن فِيه إِلاَّ ٱختَرت لِي مَا هُو لَك رِضىٰ، وَلرسُولَك رِضىٰ، ثُمَّ بَكىٰ حَتَّىٰ إِذَا كَان قَرِيباً مِن الصُّبح، وَضَع رَأسهُ عَلىٰ القَبر فَاغفىٰ، فَإِذَا هُو برَسُول الله قَد أَقبَل فِي كَتِيبَة مِن المَلاَئِكَة عَن يَمِينه وَعَن شمَاله وبَيْنَ يَدَيه، فَضَمَّ الحُسَين إِلىٰ صَدرَه، وَقَبَّل بَيْنَ عَينيه، وَقَال: حَبِيبي يَا حُسَين كَأَنّي أَرَاك عَن قَرِيب مُرملاً بدمَائك، مَذبُوحاً بِأَرض كَربٌ وَبَلاَء، مِن عصَابَة مِن أُمّتي، وَأَنْت مَع ذَلِكَ عَطشَان لاَ تُسقىٰ، وَظَمآن لاَ تُروىٰ، وَهُم مَع ذَلِكَ يَرجُون شَفَاعَتي، لاَ

↔ الخوَاصّ لسِبط ٱبن الجَوزي: ٢٢٩ طَبعَة إِيران، الآدَاب السّلطَانِية للفَخري: ٨٨، الكَامِل فِي التَّأريخ لِابن الأَثِير: ٤/ ٧٥، تأرِيخ ٱبن عَسَاكر: ٧/ ٤٠٧، أَنسَاب الأَشرَاف: ٥/ ١٢٩، الفُتُوح: ٣/ ١٤، وَكَان يُقَال لهُ ـ أي مَروان ـ ولولدَه: بَنُو الزَّرقَاء، يَقول ذَلِك مَن يُريد ذمّهم وَعَيبهُم، وَهِي الزَّرقَاء بِنْت مَوهب جَدّة مَروان بن الحَكم لأَبِيه، وَكَانت مِن ذَوات الرَّايَات الّتي يُستَدلّ بِهَا عَلىٰ بيُوت البُغَاء، فَلِهَذا كَانُوا يُذمّون بِهَا. وَقَال البَلاذري فِي أَنسَاب الأَشرَاف: ٥/ ١٢٦ ٱسمهَا مَارِية ٱبنَة مَوهب وَكَان قيناً. أُنظر، تَذكرة الخواصّ: ٢٢٩، تأرِيخ ٱبن عسَاكر: ٧/ ٤٠٧، تَارِيخ الطَّبري: ٨/ ١٦، تَفسِير مِن آية ١٣ سُورَة القَلَم فِي قَوله ﴿عُتُلٍّم بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ وَأُنظر، كَنز العمّال للمُتقي الهِندي: ١/ ١٥٦، رُوح المَعَاني للآلوسي: ٢٩/ ٢٨، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة: ١/ ٢٢٧، الفُصُول المُهِمَّة فِي مَعرفَة الأَئِمَّة لِابن الصَّباغ المَالكي: ٢/ ١٠٦، بِتَحقِيقنا.

أَنِيلهُم الله شفَاعتي يَوْم القِيَامَة ، حَبَيبي يَا حُسَين إِنَّ أَبَاك وَأُمّك وَأَخَاك قَدمُوا عَليّ وَهُم مُشتَاقُون إِلَيكَ ، وَإِنَّ لَكَ فِي الجنَان لدَرجَات لَنْ تَنَالهَا إِلاَّ بالشّهادَة . فَـجَعَل الحُسَين عليه السلام يَنْظر إِلىٰ جَدّه وَيَقُول : يَا جَدّاه لاَ حَاجَة لِي فِي الرّجُـوع إِلىٰ الدُّنْـيَا فَخُذْني إِلَيكَ وَأَدخُلني مَعكَ فِي قَبْرك »[1].

يَـا غِـيرَة الله اَغْـضبي لنَّـبيهِ ... وَتَزَحزحي بِالبِيض عَن أَغـمَادهَا
مِن عُصبَةٍ ضَـاعَت دمَـاء مُـحَمَّد ... وَبَـنيهِ بَـيْنَ يَـزِيدهَا وَزيَـادهَا
ضُـربُوا بسَـيف مُـحَمَّد أَبْـنَاءَه ... ضَرب الغَرَائب عَدن بَعد ذيَـادهَا
يَا يَـوْم عَـاشُورَاء كَـمْ لَكَ لَـوعَة ... تَـترَقص الأَحشَـاء مِـن إِيـقَادهَا
مَـا عُـدتَ إِلاَّ عَـاد قَـلبي غـلَة ... حَرّىٰ وَلَو بَالَغت فِـي إِبـرَادهَـا[2]

---

(١) أُنظر ، مَقْتَل الحُسَين لأَبي مَخْنَف : ٧ ، الفُتُوح لِابن أَعْثَم : ٣ / ١٩ ، تَأْريـخ الطَّـبري : ٤ / ٢٥٣ ، و : ٦ / ١٩٠ مَقْتَل الحُسَين للخوَارزمي : ١ / ١٨٦ ، الفُصُول المُهمَّة فِي مَعرفَة الأَئِمَّة لِابْن الصَّبَاغ المَالكي : ٢ / ١٠٧ ، بِتَحقِيقنا ، نُزهَة الأَبْصَار بطَرَائِف الأَخبَار وَالأَشعَار : ١ / ٣٦٣ ، الكَامِل فِي التَّارِيخ : ٤ / ٨ ، تَهْذِيب تَأْرِيخ دمَشق لِابْن عَسَاكر : ٤ / ٣٢٩ ، مُرُوج الذَّهب : ٢ / ٨٦.

(٢) أُنظر ، شَرْح الأَخبَار : ٢ / ١٧٣ ، الغَدِير : ٤ / ٢١٧ و : ٦ / ٣٦٢ ، رِيَاض المَدح وَالثَّنَاء : ٣٢.

لاَ عَذَّبَ الله أُمّي

لاَ عَــذّب الله أُمّــي أَنَّــها شَــربَت حُبّ الوَصــي وَغَــذتْنِيه بِــاللّبنِ

وَكَـان لِـي وَالدٌ يَـهْوىٰ[1] أَبَـا حَسـن فَصرتُ مِن ذَا وَذي أَهوىٰ أَبَا حَسنِ[2]

طَلَب هَذَا الشَّاعر مِن الله سُبْحَانَهُ الرَّحمَة وَالرِّضوَان لأُمّـه وَأَنْ يَـبْعد عَـنْهَا العَذَاب، وَالهَوَان، لأَنَّها غَذّتهُ حُبّ الوَصي مُنذ طُفُولته وَنُعومَة أَظفَاره، وكَـانَت السَّبَب الأَوّل لإِيمَانه، وَحُبّه لمَن أَحبّ الله وَرَسُوله، فَكَان أَنّىٰ آتّجه وَتَحرك يَرن فِي أُذنَيه هَذَا الِاسم الحَبِيب الَّذي يَجد لهُ أَطيَب الوَقع عَلىٰ قَـلْبِهِ وَسَـمعه، فـهُو يَحْمد الله عَلىٰ هَذِه السَّعَادة، وَيَشكر لوَالدتهِ فَضلهَا وَحُسن تَربِيَتها. وَرضوَان الله وَرَحمَته عَلَيها وَعَلَيهِ.

خَلَق الله مُحَمَّداً وأَهْل بَيْته مَعَالم للدِّين، وَسُبلاً إِلَىٰ الحَق، فَمَن ضَلَّ عَنْهُم فَلَن يَهْتَدي إِلَىٰ الله فِي طَاعَة، وَلاَ يُقبل مِنْهُ عَملاً، فَلَقد قَرن الله سُبْحَانَهُ طَاعَته بطَاعَة الرَّسُول، فَقَال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُـولَهُۥ فَـقَدْ فَـازَ فَـوْزًا عَـظِيمًا﴾[3]، وَقَـالَ:

---

(١) فِي الأَصْل، «يُدعىٰ».

٢) تُنْسَب هَذِه الأَبيَات إِلَىٰ الشَّاعر الكَبِير المُتنَبيّ، وَكَذلِكَ إِلىٰ الإِمَام الشَّافعي. أُنـظر، تَأرِيـخ بَـغدَاد: ٤ / ٦٠٢، رَيحَانة الأَدَب: ٣ / ٤٤٠، شَذرَات الذَّهب: ٣ / ١٣، الوَفيَّات: ١ / ١٠٢.

(٣) ٱلْأَحْزَاب: ٧١.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾[١]، وَقَالَ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾[٢]، وَقَالَ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[٣]، إِلَىٰ غير ذَلِكَ مِن الآيَات لَم تُفرّق بَيْنَ الله وَمُحمَّد فِي الطَّاعَة وَالمَعصيَة.

وكَذَلِكَ الرَّسُول الأَعْظَم لَمْ يُفرّق بَيْنَ التَّمسك بِهِ وَالتَّمسك بأَهل بَيْته، فَقَد جَاء فِي كتَاب ذَخَائر العُقبىٰ: «أَنَّ النَّبيّ قَالَ: «أَنَا وأَهْل بَيْتي شَجرَة فِي الجَنَّة وَأغصَانها فِي الدُّنيَا فَمَن تَمسك بنَا اتّخذ إِلَىٰ رَبّه سَبِيلاً»[٤]. وَجَاء فِي الصَّفحَة نَفْسهَا حَديث الثَّقلَين، وإِذَا عَطَفنَا هَذَا الحَدِيث عَلىٰ قَولِهِ تَعَالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[٥]، كَانَت النَّتِيجَة أَنَّ أَهْل البَيْت هُم الطَّاعَات وَالحَسنَات، وَإِنَّ أَعْداءهُم هُم المَعَاصي وَالسَّيئَات، وَمِن أَجْل هَذَا قَالَ الفَرَزْدَق[٦]:

(١) مُحَمَّد: ٣٣.

(٢) ٱلفَتْح: ١٧.

(٣) ٱلنِّسَاء: ٨٠.

(٤) أُنظر، ذَخَائر العُقبىٰ للحَافظ الطَّبري: ١٦ طَبعَة (١٣٥٦ هـ)، شَوَاهد التَّنزيل: ١ / ٣٨٠، الصَّوَاعق المُحرقَة: ٩٠، يَنَابِيع المَودَّة: ٢ / ٣٦٦ح ٤٧ و ص: ٣٦٦ح ٢٠٨، مَنَاقب أَهْل البَيْت: ١٧٣، الرّياض النَّضرة: ٢ / ٣٦٨، طَبْعَة (١٩٥٣م).

(٥) ٱلنِّسَاء: ٨٠.

(٦) أُنظر، أَنوَار الرَّبِيع: ٤ / ٣٥، تَأرِيخ الأَدب العَربي: ٢٦٨ طَبعَة بَغدَاد عَام ١٣٤٧ هـ، كِفَاية الطَّالب: ٣٠٣، حيَاة الحَيوَان: ١ / ١١، شَذرَات الذَّهب: ١ / ١٤٢، البدَاية وَالنِّهاية: ٩ / ١٠٩، شَرح لاَمِيَّة العَجم للصَّفدي: ٢ / ١٦٢، مُروج الذَّهب: ٢ / ١٩٥، الصَّواعق المُحرقَة: ١١٩، نِهَايَة الإِرَب: ٢١ / ٣٢٧، و: ٣ / ١٠٧، طَبعَة أُسوة، سَرح العُيُون لِابن نُبَاتة: ٣٩٠، تَأرِيخ دِمَشق: ٣٦ / ١٦١.
قَالَ: فَلمّا سَمع هِشَام هَذِه القَصِيدة غَضب، ثُمّ إِنّه أَخذ الفَرزدَق وَحَبسَهُ مَا بَيْن مَكّة وَالمَدِينَة، وَبَلغ ↔

مِن مَعشرٍ حُبّهمُ دِين وَبُغضهمُ كُفر وَقُربهمُ مُنجىً وَمُعتصمُ

يَدُلنَا هَذَا البَيْت دلاَلَة صَرِيحَة وَاضحَة عَلىٰ أَنَّ المُوَالِين للعِترَة الطَّاهرَة إنَّما يُوَالونهُم وَلاَء عَقِيدَة وَإِيمَان، لاَ وَلاَءً سِيَاسيَّاً، وَيَبغضُون أَعدَاءهُم بُغضَاً دِينيَّاً لاَ حِزبيَّاً؛ وَقَد صَرّحَت الآيَات القُرآنيَّة، وَالأَحَاديث النَّبويَّة بِأَنَّ أَعظَم الفُرُوض، بَعد التَّوحِيد وَنُبوّة مُحمَّد، المَودّة فِي القُرْبَىٰ. وَلهَذَا وَحدَه نَجد تَأرِيخ الإِمَامِيَّة فِي

⇔ عَليّ بن الحُسين اَمتدَاحه، فَبَعث ـ بِأَربعَة الآف دِرهَم فَردّها، وَكَتب إِلَيه: إِنَّما مَدحتُك بمَا أَنتَ أَهْله، فَردّها عَلَيه عَليعليه السلام، وَكَتب إِلَيه: أَنْ خُذها وَتَعَاون بهَا عَلىٰ دَهرك، فَإِنَا أَهْل بَيْت إِذَا وَهبنَا شَيئَاً لاَ نَستَعيدَه، فَقَبلهَا مِنهُ.

وَفِي روَايَة فَبَعث بِإِثني عَشر أَلف دِرهَم، وَفِي روَايَة بِعَشرَة الآف دِرهَم، وَقَال: أعذرنَا يَا أَبَا فرَاس، فَلَو كَان عِندَنا أَكثَر مِن هَذَا لَوَصلنَاك بِهِ، وَجَعل الفَرزدَق يَهجُو هِشَاماً وَهُو فِي السِّجن، فَبَعث إِلَيه، وَأَخرجه.

أَتَحْبسني بَيْن المَدِينَة وَالَّتي إِليهَا قُلوب النَّاس تَهوي مَنيبهَا
يُقلّب رَأسَاً لَم يَكن رَأس سَيِّد وَعَيناً لهُ حَولاَء بَاد عُيوبهَا

ذكَر الجَاحظ فِي رَسَائلِهِ (٨٩) أَنَّ هِشَام بن عَبدالمَلك كَان يُقَال لهُ: الأَحول السّراق، وَقَد أَنشدهُ أَبُو النَّجم العِجلي أُرجوزته الَّتي يَقُول فِيهَا: الحَمد لله الوَهوب المُجزل.

فَأَخذ يُصفق بِيَديه اَستحسَاناً لهَا حَتّىٰ صَار إِلىٰ ذِكر الشَّمس قَال: وَالشَّمس فِي الأَرْض كَعَين الأَحول، فَأمر بوَج عُنُقه وَإِخرَاجه، وَعلّق الجَاحظ عَلىٰ ذَلكَ بِقَوله: وَهَذَا ضَعف شَدِيد، وَجَهل عَظِيم.

وَقَالَ الشَّيخ عَبد الجَوَاد الشَّربِيني فِي كِتَاب دُرَر الأَصْدَاف فِي مناَقب الأَشرَاف كَان عَليّ بن الحُسَين عَاملاً عَلىٰ كتمَان أَسرَار الله تَعَالىٰ فِي العَالم كمَا أَشَار إِلَى ذَلكَ فِي قَولهعليه السلام:

يَا رَبّ جَوهر عِلْم لَو أَبُوح بِهِ لقِيل لِي أَنْتَ مِمّن يَعبد الوَثنَا
وَلاَستَحل رِجَال صَالحُون دَمي يَرَون أَقْبح مَا يَأتُونه حَسَنا

أُنظر، دُرَر الأَصْدَاف فِي فَضل السَّادَة الأَشرَاف، لعَبد الجوَاد بن خُضر الشَّربِيني، وَتَفْسِير الآلُوسي: ٦/ ١٩٠، دِيوَان الفَرزدَق: ١/ ٥١، تَهذِيب الكمَال: ٤١/ ٤٠٣، تَهذِيب الكمَال: ٢٠/ ٤٠٢، تَأرِيخ الخَطِيب البَغدَادي: ١٢/ ١٨١.

عَقِيدَتهِم، وَفِقههِم، وَأَحَاديثهِم، وَشِعرهِم، وَنَثرهِم تَأرِيخ وَلاَء وَأَتبَاع لأَهْل البَيْت، وَنَجد مُؤلفَاتهِم، وَكُتبهِم فِي شَتىٰ أَنوَاعهَا تزْخَر بأَقوَال الرَّسُول، وَآثَار أَبْنَائه، بَل نَجد العُلْمَاء، وَالشُّعرَاء وَغَيرهم مِن الإِمَامِيَّة يَسْتَعذبُون المَوت وَالإِضْطهَاد فِي حُبّ آل مُحَمَّد، وَالذَّب عَنْهُم وَعَن تَعَالِيمهم وَمَبادِئِهم؛ فَلَقد حُبس الفَرَزْدَق لأَنَّه ثَار مِن أَجل الإِمَام زَين العَابدِين، وَخَاطب هِشَام بقَصِيدَتهِ الذَّائِعَة الَّتي قَالَ لهُ فِيهَا:

هَذَا الَّذي تَعرف البَطحَاء وَطأَتهُ ... وَالبيتُ يَعرفهُ وَالحِلُّ والحَرمُ
هَذَا ابن خَير عِبَادالله كُلّهمُ ... هَذَا التَّقيّ النَّقيّ الطَّاهر العَلَمُ
هَذَا ابن فَاطمَة إنْ كُنت جَاهلهُ ... بِجَدّه أَنبيَاء الله قَد خُتموا
مِن مَعشرٍ حُبّهمُ دِين وَبُغضهمُ ... كُفر وَقُربهمُ مُنجىً وَمُعتصمُ
إنْ عُدّ أَهل التُّقىٰ كَانوا أَئِمّتهم ... أَو قِيل مَن خَير أَهْل الأَرض قِيل هُمُ
مُقدّمٌ بَعد ذِكر الله ذِكرهمُ ... فِي كُلّ بَدو وَمُختوم بهِ الكَلمُ

* * *

فَلَيْس قَولك مَن هَذَا بضَائِره ... العُرب تَعرف مَن أَنكرتَ وَالعَجمُ

وَالكُمَيت القَائِل[1]:

---

(١) هُو الكُمَيْت بن زَيد بن خَنْس الأَسدي، أَبُو المُسْتَهل، شَاعر الهَاشميين، مِن أَهْل الكُوفَة، اشتُهر بالعَصر الأُموي، شِعرَه يُقَارب أَكثر مِن خَمسَة آلآف بَيْت. أُنظر، تَرجَمته فِي الشِّعر وَالشُّعرَاء: ٥٦٢، خُزَانة الأَدب للبَغدَادي: ١ - ٦٩، جَمهَرة أَنْسَاب العَرب: ١٨٧.

أُنظر، مُروج الذَّهب: ٣/ ٢٤٢ طَبعَة ١٩٤٨م، الأَغَاني: ١٥/ ١٢٤ و: ١٧/ ٢٨، شَرح هَاشميَات الكُمَيْت لأَبي ريَاش القَيسي: ٦٦، الهَاشمِيَات وَالعَلويَات، قَصَائِد الكُمَيْت، وَابن أَبي الحَدِيد: ٢٦، ↔

بَني هَاشِم رُهط النَّبيّ فَإنَّني بِهم وَلهُم أَرضىٰ مِرَاراً وَأَغْضَبُ

قَهُدمَت دَارَه، وَطُرد وَشُرّد، لأَنّه أَوقَف لسَانَه وَبَيَانه عَلىٰ نُصرَة الأَئِمَّة الأَطْهَار[1].

وَدِعْبل[2] صَاحب التَّائِيَة الذَّائِعَة النَّائِحَة الَّتي يَقُول فِيهَا[3]:

أَفَاطم لَو خِلتِ الحُسَين مُجدلاً وَقَد مَات عَطشَاناً بِشَطّ فُرَاتِ

إذاً لِلَطمتِ الخَدّ فَاطم عِندَه وَأَجرَيتِ دَمْع العَين فِي الوَجنَاتِ

هَذَا الشَّاعر الثَّائِر لاَقىٰ فِي حُبّ مُحَمَّد وَعترَته أَبْشَع أَنوَاع التَّنكِيل وَالتَّعذِيب.

وَقَالَ المُتوكّل للعَالِم الكَبِير ٱبْن السِّكِّيت: أَيُّهما أَحبّ إِلَيكَ، وَلدَاي: المُعْتز،

↔ أَمَالي السَّيِّد المُرتَضىٰ: ١/٢٨، تأرِيخ دِمَشق: ٥/٢٣٣، سِير أَعلاَم النُّبلاء: ٥/٣٨٨، شَرْح الشَّرِيف الرَّضي عَلىٰ الكَافِية: ٢/٢٤١.

(١) أُنظر، الهَاشمِيَات وَالعَلويَات، قَصَائِد الكُميْت، وَٱبن أَبي الحَدِيد: ١٦١، أَنْسَاب الأَشْرَاف: ٣/٢٣٨.

(٢) أَبُو عَليّ دِعْبل بن عَليّ بن رَزين الخُزَاعي مِن شُعرَاء القَرْن الثَّاني، وَالثَّالث الهِجريِّين، وُلد سَنَة (١٤٨هـ) فِي الكُوفَة، تَحدّىٰ دِعْبل ظُلم العبَّاسيِّين وَطُغيَانِهم حَتَّىٰ أَنَّه قَال: أَنا أَحمل خَشَبتي عَلىٰ كَتفي مُنذ خَمسِين عَاماً، لستُ أَجد أَحداً مَن يَصلبنِي علَيهَا. وَقَد عَاصر هَذَا الشَّاعر البَارع الإِمَام الصَّادق، وَالكَاظِم، وَالرِّضا، وَالجوَاد،. قَرأ قَصِيدَته التَّائِيَة عَلىٰ الإِمَام الرِّضاﷺ أَثنَاء ولاَيَة العَهْد فَبَكىٰ الإِمَام لبَعض أَبيَاتها، وَٱستَحسنهَا وَدَعا لهُ وَأَكرَمه، تُوفّي؛ سَنَة (٢٤٦هـ).

أُنظر، تَرجَمته فِي سِير أَعلاَم النُّبلاء: ١١/٥١٩، الكَامل فِي التَّأرِيخ: ٧/٩٤، مُروج الذَّهب: ١/١٧٩، و: ٢/٧٨، و: ٣/٢٣١، وَفيَّات الأَعيَان: ٢/٢٦٦، الأَغَاني: ١٨/٢٩ طَبعَة بُولاق، فَرَائد السِّمْطَين للجُويني: ٢/٣٣٧ح ٥٩١، وَهُنَاك شُعرَاء آخرُون للإِمَام عَليّ بن مُوسىٰ الرِّضاﷺ.

(٣) أُنظر، دِيوَان دِعْبل: ١٢٤، الفُصُول المُهمَّة لِابن الصَّباغ المَالكي: ٢/٣١٠ وَمَا بَعدهَا، بِتَحقِّيقنا، مَقصد الرَّاغب: ١٦٧، الفَرج بَعد الشِّدّة: ٣٢٩، كَشف الغُمّة: ٢/٣١٨ ـ ٣٢٧، سِير أَعلاَم النُّبلاَء: ٩/٣٩١، فَرَائِد السِّمطَين للجُويني: ٢/٣٣٧ح ٥٩١، يَنَابِيع المَودّة للقُندوزي الحَنفي: ٤٥٤، مطَالب السُّؤول: ٨٥، مُعْجَم الأُدبَاء: ٤/١٩٦، تَذكرَة الخوَاصّ لسِبط ٱبن الجَوزي: ٢٣٨، مقَاتل الطَّالبيِّين لأَبي فَرج الإِصفهَاني: ٥٦٥.

أَم الْحَسَن وَالْحُسِين ؟!.

فَقَال لهُ : « وَالله ! إِنَّ قَنبَراً خَادِم عَليّ بن أَبي طَالب خَيْر مِنْكَ وَمِن وَلَدِيك.

فَأَمر المُتوكل جلاَوزَته بِسَل لِسَانه مِن قَفَاه فَسُل، وَمَات فِي سَاعته[1].

وَالحَبْر الشَّهير بِالشَّهيد الأَوّل مُحَمَّد بن مَكّي قُتل وَصُلب وَرُجم، ثُمَّ أُحرق لاَ لشَيء إِلاَّ لأَنّه يَتَشيَّع لآل مُحَمَّد، وَهَكَذَا كَان مَصِير العَالم العَظِيم زَين الدِّين المَعرُوف بِالشَّهِيد الثَّاني، وَغير هَؤلاَء كُثر لاَ يَبلغهُم الإِحصَاء تَقبلُوا القَتْل وَالعَذَاب مُغْتَبطِين بمَرضَاة الله، وَنُصرَة أَوليَائه.

لاَقىٰ مُحَمَّد صلى الله عليه وآله مِن المُعَاندِين كُلّ عَنَت فِي سَبِيل الإِسلاَم، فَاسْتَهزأوا بِهِ، وَقَالَ لهُ قَائلهُم : « أَمَا رَأىٰ الله غيرك يَبْعَثه رَسُولاً، وَأَغرُوا بِهِ سُفهَاءهُم وَعَبيدهُم يَسبُونَه وَيَصيحُون بِهِ حَتَّىٰ اجْتَمع النَّاس عَلَيه فَجَعلوا يَرمُونه بِالحجَارة حَتَّىٰ أَدمُوا رُجْلَيه[2]. وَأَلقُوا عَلَيهِ الأَوسَاخ، وَهُو يُصلّي لله، وَتَآمرُوا عَلىٰ قَتْلِهِ،

---

(١) أنظر، مقَاتِل الطَّالبِيِّين: ٥٩٧ ـ ٥٩٩.

وقَالَ ابْن خِلّكان: لمَّا هَدَم المُتوكّل قَبْر الحُسَين بن عَليّ عليه السلام سَنَة (٢٢٦ هـ) قَالَ البَسّامي:

تَـالله إِنْ كَـانَتْ أُمَـيَّة قَـدْ أَتَت ... قَتلىٰ ابْن بِـنْت نَـبِيّها مَـظلُوما

فَـلقَد أَتَـاه بـنُو أَبِيه مِـثلهَا ... هَـذَا لعَـمرُك قَـبرَه مَـهدُومَا

أَسَفُوا عَلىٰ أَنْ لاَ يَكونُوا شَايعُوا ... فِـي قَـتْلهِ فَـتَتبعُوه رَمِـيما

(٢) أنظر، فَتح البَاري: ١٢ / ٢٥٠، تَأوِيل مُختَلف الحَدِيث: ١٥٠، تَفسِير مَجمَع البَيَان: ٢ / ٣٨٦، تَفْسِير ابْن كَثِير: ٢ / ٥٧٥، الدُّر المنثُور: ٢ / ٢٩٨، تَفْسِير الثّعالبي: ٢ / ١٠٤، فَتح القَدِير: ٢ / ٦١، تَأرِيخ دِمَشق: ٦٢ / ٢٤٧، تَأرِيخ الطَّبَرِيّ: ١ / ١٨٢، عِصمَة الأَنبِيَاء للفَخر الرَّازي: ٧٨، عُيُون الأَثر لِابن سيّد النّاس: ٢ / ٤٢١، الشّفا بِتَعرِيف حقُوق المُصْطَفَىٰ: ١ / ١٠٥، المَوَاهب اللَّدُنِيَّة بِالمِنَح المُحَمدِيَّة للقَسْطلاَني: ١ / ٦٥.

وَعَذّبوا أَتبَاعه، كصُهَيب[١]، وَبلاَل[٢]، وَخبَّاب[٣]، وَعمَّار، وَأَبِـيه يَـاسر، وَأُمّـه سُميّة[٤] الَّتي طَعنهَا أَبُو جَهل فِي قَلبهَا فَمَاتَت[٥]، وَهي أَوَّل شَهِيدَة فِي الْإِسلاَم[٦].

---

(١) صُهيب بن سنَان الرَّبعي النَّمري فقد كَان أبوه عَامِلاً لِكسـرىٰ عَـلىٰ الابِـلة. فـغَارت الرُّوم عَـليهم، وأسرت صُهيباً فَنشأ فِيهِمْ، ثُمّ بَاعته إلِىٰ كَلب فجَاءت بِهِ إلِىٰ مَكَّة، فبَاعَته مِن عَـبدالله بـن جَـدعان فَأعتقه، وكَان مِن السَّابقِين إلِىٰ الإِسْلاَم الّذين عُذّبوا فِي مَكّة وكنّاه الرَّسُول أبَا يَحيىٰ، وكَان فِي لِسَانه لُكنَّة، توفّي بِالمَدِينة (٣٨أو ٣٩هـ) ودُفن بِها. (أُنظر، أُسد الغَابَة: ٣/ ٣١ـ ٣٣).

(٢) هُو بلاَل بن رَبَاح، وأُمّه: حمَامة. وكَانَ مِن مُولّدي «مَكَّة» لرَجُل مَن بَنِي جُمح فاَشتراه «أبُو بَكْر» بِخَمس أَوَاق وَأَعْتَقه، وكَانَ يُعذب فِي الله، وَشَهد بَدْراً والمَشَاهد كلّها. وَهُو أَوَّل مَن أَذّنَ لرَسُول الله ﷺ ـ فمَا قُبض رَسُول الله ﷺ ـ أَتىٰ «أَبَا بَكْر» فاَستأَذنه إلِىٰ الشّام، فَأَذِن لهُ، فَلَم يَزل مُقيماً بهَا، ولَم يُؤذّن بَعد النَّبي ﷺ. أُنظر، تَرجمَته فِي المعَارف لِابْن قُتَيْبَة: ١٧٦.

(٣) أُنظر، المُسْتَدرَك عَـلىٰ الصَّـحِيحَين: ٣/ ٢٨٥، مَـجْمَع الزَّوائـد: ٩/ ٣٠٥، المُـصَنَّف لعَـبدالرَّزاق الصَّنعَاني: ١١/ ٢٤٢ح ٢٠٤٣٢، الْمُعْجَم الأَوسط: ٣/ ٢٤١، الْمُعْجَم الكَبِير: ٨/ ٢٩و: ٢٤/ ٤٣٥، تَأرِيخ المَدِينة: ٢/ ٤٧٩، تَقرِيب التَّهذيب: ٢/ ٥٨٧، الْإِصَابَة: ٣/ ٣٦٥، أُسد الغَابَة: ٣/ ٣١، سِير أَعْلاَم النُّبلاء: ١/ ٣٤٩و: ٨/ ٥٣٠، مِيزَانٌ الْإِعتدال: ١/ ٣٣٦، الكَـامِل فِـي التَّأرِيـخ: ٢/ ٧٥و: ٧/ ١٦٧، تَأرِيخ دِمَشق: ١٠/ ٤٤٨و: ٢٤/ ٢٢٠، كَـنز العُـمَّال: ١١/ ٤٠٨ح ٣١٩٠٩و ٣٣١٣٣ و ٣٣٦٧٦، مُسْنَد الشَّامِيين: ٢/ ١١، الجَامِع الصَّغير: ١/ ٤١٣ح ٢٦٩٥و: ٢/ ٦٦ح ٤٧٩٣.

(٤) أُنظر، الطَّبَقَات الْكُبْرَىٰ: ٣/ ٢٥٣و ٢٥٩، عُمدَة القَاري فِي شَرْح صَـحِيح البُـخَاريّ: ٢٤/ ١٩٢، مُسْنَد أحمَد: ٢/ ١٦٤و ٢٠٦، تَأرِيخ الطَّبَرِيّ: ٤/ ٢و ٣و ٢٨و ٢٩، كَنز الْعُمَّال: ١٦/ ١٤٣، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٣/ ١٤٨و ١٥٧و ١٥٨، المُرقاة فِي شَـرْح المشكَـاة: ٥/ ٤٤٧، الْإِمَـامَة وَالسِّـيَاسَة: ١/ ١٢٦، تَأرِيخ الخَمِيس: ٢/ ٢٧٧، المُسْتَدرَك عَلَىٰ الصَّحِيحَين: ٣/ ٣٧٨، نَسِيم الرِّياض فِي شَرْح الشّفا: ٣/ ١٦٦، العِقد الفَرِيد: ٢/ ٢٠٣ـ ٢٠٤، خصَائص النّسائي: ١٣٣، الرّوض الْأُنف: ٤/ ٢٦٤ و ٢٦٥، تَأرِيخ مَدِينة دِمَشق: ٤٣/ ٤٢٥، تَفْسِير اَبْن العَرَبِي: ٢/ ٥١٩، تَهْذِيب الكَمَال: ١٧/ ١١٤.

(٥) أُنظر، تَفْسِير اَبن كَثِير: ٢/ ١٣٤، اَلْقُرْآن وإِعْجَازه العِلمي لُمحَمّد إِسْمَاعِيلَ إبرَاهِـيم: ٢١، الرَّوض الأُنف: ١/ ٢٠٣، الإِصَابة، التَّرجَمَة رَقم «٥٨٢».

(٦) أُنظر، الْإِستِيعَاب بهَامش الإِصَابة: ٤/ ٣٣١، الْإِصَابَة لِابن حَجر: ٤/ ٣٣٥(٥٨٢)، المَعَارف لِابْن ↔

وَهكَذا لاَقىٰ أَبْنَاء الرَّسُول وَشيعَتهُم فِي سَبِيل الدِّين والإِسلاَم، بَل لاَقُوا أَكثَر وَأَكْثَر حَتَّىٰ قَالَ قَائلهُم[1]:

نَحْنُ بَني المُصْطَفىٰ ذَوو مِحَن … تَـجرعهَا فِـي الحَـيَاة كَـاظِمنَا

عَـجِيبَة فِـي الأَنَـام مِـحْنَتنَا … أَوّلنَـا مُـبتَل وَآخـرنَا

يَـفْرَح هَـذَا الوَرىٰ بـعِيدهِم … ونَـحْنُ أَعـيَادنَا مَآتـمنَا

وَإِذَا كَانَت حَيَاة الأَئِمَّة الأَطْهَار كُلّها أَحزَان وَمَآتم حَتَّىٰ أَيَّام الأَعيَاد، فَحقِيق بنَا، نَحْنُ المُوَالِين لهُم، أَنْ نَجْعل هَذِه المَآتم مِن شعَائِر الدِّين، فَإِذَا اجْتَمعنَا للعَزَاء فَإِنّما نَجْتَمع، كمَا نَكُون فِي الجَامع للصَّلاَة، وَكمَا نَكُون فِي مَكّة المُكرّمَة للحَجّ لاَ نَبغي إِلاَّ مَرضَاة الله وَثوَابه، نَجْتَمع للعَزَاء أَملاً أَنْ تَنالنَا دَعوَة الإِمَام الصَّادِق عليه السلام حِينَ سَأَل رَبّه سُبحَانَه بقَولِهِ:

«أَللَّهُمَّ ارْحم تِلْكَ الأَعيُن الَّتي جَرت دمُوعهَا رَحمَة لنَا»، «وَارْحَم تِلْك القُلُوب الَّتي حَزنُت وَاحترَقت لنَا...»، «وَارْحَم تِلْكَ الصَّرخَة الَّتي كَانَت لنَا...».

قُتَيبَة: ١١١، وَقْعَة صِفِّين: ١٩٩، سِير أَعلاَم النُّبلاَء: ١/ ٤٠٩، تَأرِيخ بَغدَاد: ١/ ١٦١، تَأرِيخ دِمَشق: ٤٣/ ٣٥٩و ٣٦٠.

(١) الأَبيَات فِي يَتِيمَة الدَّهر: ١/ ٢٥٤، سِير أَعلاَم النُّبلاَء: ١٥/ ١٦٧، مَع بَعْض الإِخْتلاَف.

الْإِسْتِهَانَة بالمَوْت

قَالَ ٱبْن أَبي الحَدِيد فِي شَرْح النَّهج :

« قِيلَ لرَجُل شَهِدَ يَوْم الطَّفّ مَع عُمَر بن سَعَد : « وَيّحَكُم أَقَتَلتُم ذُرِّيَّة رَسُول الله ﷺ ؟ ! فقَال : عَضَضّتَ بِالجَنْدَل[1] أنَّك لَو شَهدتَ مَا شَهدنَا لفَعَلت مَا فَعَلنَا ، ثَارَت عَلَينَا عصَابَة أَيدِيهَا فِي مَقَابض سيُوفهَا ، كَالْأُسُود الضَّاريَة ، تَحْطّم الفُرسَان يَمِيناً وَشمَالاً ، وَتُلقي أَنْفسهَا عَلىٰ المَوت ، لاَ تَقْبل الْأَمَان ، وَلاَ تَرغَب فِي المَال ، وَلاَ يَحِول حَائِل بَيْنهَا وبَيْنَ الورُود عَلىٰ حِيَاض المَنيَّة ، أَو الْإِستِيلاَء عَلىٰ المُلك ، فَلَو كَفَفنَا عَنْهَا رُوَيداً لأَتَت عَلىٰ نفُوس العَسْكَر بحَذَافِيرهَا ، فَمَا كُنَّا فَاعلِين لاَ أُمَّ لَكَ ؟ ! » .

وَمِن أَجل ذَلِكَ صَاح عُمَر بن الحَجَّاج برفَاقِه المَارقِين :

« وَيلكُم يَا حُمقَاء ، مَهلاً ، أَتَدرُون مَن تُقَاتلُون ؟ إِنّمَا تُقَاتلُون فُرسَان المِصْر ، وأَهْل البَصَائِر ، وَقَوماً مُسْتَمِيتِين .... لاَ بَرَز إِلَيهِم مِنْكُم أَحد[2] . وَمِن أَجل ذَلِكَ

---

(١) الجَنْدَل : الصَّخر العَظِيم . (مِنْهُ ﵀) . أُنظر ، لسَان العَرب : ١١ / ١٢٨ .

(٢) أُنظر ، تَأرِيخ الطَّبَري : ٤ / ٣٣١ و : ٥ / ٤٣٥ ، الْإِرشَاد للشَّيخ المُفِيد : ٢ / ١٠٣ ، بحَار الْأَنوَار : ٤٥ / ١٩ ، جوَاهر المَطَالب فِي مَنَاقب الْإِمَام عَليّ لِابن الدّمشقي : ٢ / ٢٨٦ .

أَيضاً نَهىٰ ٱبْن سَعَد أَصْحَابه أَنْ يَبرزُوا لأَصْحَاب الحُسَين رَجُلاً رَجُلاً »[١].

وَلَيْسَ هَذَا بعَجِيب وَلاَ بغَرِيب عَلىٰ مَن لاَ يَبْتَغي شَيئاً فِي هَذِه الحَيَاة إلاَّ وَجْه الله وَالدَّار الآخرَة، لَيْسَ هَذَا غَريباً عَلىٰ الحَقّ إِذَا نَازل البَاطل، وَعَلىٰ مَن سَمع بعَقْله وَقَلبه صَوت الله يُنَادِيه إِقْدِم، وَلَك أَحسَن الجَزَاء. لقَد عَبَّر كُل شَهِيد فِي الطَّفّ بأَفْعَاله قَبل أَقوَاله عَمَّا قَالَهُ سَيِّد الشُّهدَاء: « أَمَا وَالله لاَ أُجِيبهُم إِلىٰ شَيء مِمَّا يُريدُون، حَتَّىٰ أَلقىٰ الله تَعَالىٰ، وَأَنَا مُخَضَّب بدَمي »[٢].

لَمْ يَكُن المَال وَالأَمَان مِن أَهدَاف أَبطَال الطَّفّ، لَمْ يَكُن لهُم إلاَّ هَدَف وَاحد، يَفْتَدُونه بكُلّ مَا غَلاَ وَعَز، وَيَسْتَعذبُون فِي سَبِيلهِ كُلّ شَيء حَتَّىٰ المَوت، لَيْسَ لأَصحَاب الحُسَين إلاَّ هَدَف وَاحد لاَ غَير هُو التَّقرب إِلَىٰ الله بنُصرَة العِترَة الطَّاهرَة، وَلاَ وَسِيلَة إِلَىٰ نُصرتهِم فِي هَذَا المَوقف إلاَّ بَذل النّفُوس، وَالإلتجَاء إِلَىٰ السُّيُوف، فَرَاحُوا يُحطمُون الفُرسَان بسِيُوفهِم يَمِيناً وَشمَالاً وَيَلقُون بأَنْفسهِم عَلىٰ المَوت، لاَ يَحُول بَيْنَهُم وبَيْنَ المَنيَّة حَائِل، وَمَا زَادهُم الحصَار، وَالجُوع، وَالعَطش إلاَّ بسَالَة وَمضَاء.

وَلَم تَكُن لأَصحَاب الحُسَين هَذِه الشَّجَاعَة وَالإستهَانَة بِالمَوت، وَلاَ هَذِه العَاطفَة السَّاميَة وَالمَعَاني النَّبيلَة لَولاَ إِيمَانهم باللهِ وَبالحُسَين. إِنَّ الإخلاَص للحَقّ يَبْعث فِي النّفُوس البطُولَة وَالتَّضحيَة، وَالعَزم وَالصَّرَاحة. وهَذَا مَا يَجعلنَا نُشكّك

(١) أنظر، شَرْح نَهج البَلاَغَة لِابْن أَبي الحَدِيد: ٣ / ٢٦٣، تَأرِيخ الطَّبري: ٤ / ٣٣١ و: ٥ / ٤٣٥، الإِرشَاد: ٢ / ١٠٣.

(٢) أنظر، اللُّهُوف فِي قَتلىٰ الطُّفُوف: ٥٧ و ١٠٠، مُثِير الأَحزَان: ٥٨، مَقْتل الحُسَين للخوَارزمي: ٢ / ٩، الحَدَائق الوَرديَّة (مَخطُوط)، يَنَابِيع المَودّة: ٣ / ٧٥، نَسَب قُرَيْش لمُصعَب الزُّبَيري: ٥٨، تَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢ / ٢١٧.

بالذين يُظهرُون الإيمان، وَلاَ يَجرَأون عَلىٰ التَّفوه بكَلمَة الحَقّ طَمعاً فِي حُطَام زَائل، أَو خَوفاً عَلىٰ مَنْصب لاَ يَدُوم، وَمِن أَجْلِهِ يُؤثرُون أهوَاء أَهْل الدُّنْيَا عَلىٰ إرَادَة الله وَالرَّسُول. قَالَ أَمِير المُـؤمِنِينَ عليه السلام: «أَغْـلَب النَّـاس مَـنْ غَـلَب هـوَاه بعلْمِهِ»[1]. وَقَالَ: عَلاَمَة الإيمَان أَنْ تُؤثر الصِّدق حَيث يَضرك عَلىٰ الكَذب حَيث يَنْفعك. لاٰ يُؤْنِسَنَّكَ اِلاَّ الْحَقُّ. وَلاٰ يُوحِشَنَّكَ اِلاَّ الْبَاطِلُ»[2].

وَمَا نَقَلهُ ٱبْن أَبي الحَدِيد عَن الرَّجُل الَّذي يَشْهَد يَوْم الطَّفّ يَدل دَلاَلَة صَرِيحَة وَاضحَة عَلىٰ صِدق مَا رُوي عَن شَجَاعَة أَبطَال الطَّفّ، وَأَنَّ الوَاحد مِنْهُم كَان يَقْتل جَمعاًكَثِيراً مِن أَصحَاب ٱبْن سَعَد قَبل أَنْ يُقتل، وَأَنَّهم كَانُوا عَلىٰ قَلتِهِم لاَ يَحْملُون عَلىٰ جَانب مِن جَيْش الكُوفَة إلاَّ كَشفُوه، فَلَقد أَرسَل عُروَة بن قَيس إِلَـىٰ ٱبْـن سَعد، وَكَان قَائِده عَلىٰ الخَيَّالَة، أَرسَل إِلَيهِ يَقُول: أَلاَ تَرىٰ مَا تَلقىٰ خَيلي مُنذ اليَوْم مِن هَذِه القِلّة اليَسِيرة؟! فَأَمَدهُ بخَمسمِئَة مِن الرُّمَـاة، فَأَقـبلُوا حَـتَّىٰ دَنـوا مِـن أَصحَاب الحُسَين، وَرَشقُوهُم بالنَّبل، فَلَم يَلبثُوا حَتَّىٰ عَقرُوا خيُولهُم، وَصَـارُوا رَجَّاله كُلّهُم، وَكَان البَاقُون مِن أَصحَاب الحُسَين إثنَين وَثَلاَثِين رَجُلاً، فَأَجْـمع عَلَيهم عَسْكر ٱبْن سَعَد، وَهُم أُلُوف، وَٱشْتَبكُوا مَعَهُم فِي أَشد قتَال، حَتَّىٰ ٱنْتَصف النَّهار، وَقَد قَتل أَصحَاب الحُسَين مِن أَهْل الكُوفَة المِئَات.

فَقَدْ رَمَاهُم أَبُو الشَّعثَاء الكِندي، وَهُو جَاثٍ بَيْنَ يَدي الحُسَين بمِئَة سَـهم لَـم يَكَد يُخيب مِنْهَا خَمسَة أَسهُم[3]. وَكَان نَافع البَجلي يَكْـتب ٱسـمه عَـلىٰ نَـبْله،

(١) أنظر، غُرر الحِكَم: ٣١٨١، عُيُون الحِكم وَالموَاعظ: ١١٦.

(٢) أُنظر، نَهج البَلاَغَة: الخُطبَة «١٢٠».

(٣) أُنظر، مَقْتَل الحُسَين للخوَارزمي: ٢ / ٢٥، تَأرِيخ الطَّبري: ٣ / ٣٣، أَعيَان الشِّيعَة: ١ / ٦٠٣، وَقعَة الطَّفّ: ٢٣٧.

وَيَرسلهَا، فَيَقْتل بهَا، وَيَجْرَح، وَقَلَّما تُخطيء، فَأَحَاطُوا بِهِ مِن كُلّ جَانب، وَضَرَبُوه وَأَسمَعهُم مَا يَكرهُون، وَقَالَ لهُم: قَتَلتُ مِنْكُم إِثْني عَشر رَجُلاً سِوىٰ مَن جُرح، وَلَو بَقِيَت لِي عَضُد لزِدتُ[1].

وَقَتل حَبِيب بن مُظَاهر ٱثْنَين وَستِين رَجُلاً، كَان يَصُول وَيَجُول عَلىٰ شَيخُوخَه وَكِبَر سِنّه، وَيَستَقبل الرِّمَاح بصَدرِهِ، وَالسُّيُوف بوَجْهه، وَقَد عَرضُوا عَلَيهِ الأَمَان وَالأَموَال، فَأبىٰ وَقَالَ: «لاَ وَالله لاَ عُذر لنَا عِندَ رَسُول الله صلى الله عليه وآله إِنْ قُتل الحُسَين، وَفِينَا عَين تَطرف». فَٱجْتَمعُوا عَلَيهِ، وَقتلُوه[2]. وكَان حَبِيب صحَابيّاً أَدْرَك النَّبيّ صلى الله عليه وآله، وَشَهد مَع أَمِير المُؤمِنين حَرب الجَمل، وَصِفِّين، وَالنَّهروَان، وَكَان مِن خَاصّته، وَحَملَة عُلُومه، وَكَان عَابداً زَاهداً يَختم القُرآن فِي لَيلَة وَاحدَة.

وَبعدمَا ٱنْتَهت المَعْرَكَة رَجع ٱبْن سَعد إِلىٰ الكُوفَة، ومَعَهُ سَبَايَا الحُسَين، فَخَرج النِّسَاء، والأَطْفَال يَنْظرُون إِلىٰ السَّبَايَا، وَكَان مَع مَن خَرَج القَاسم بن حَبِيب بن مُظَاهر، وَهُو يَومَئذٍ غُلاَم قَد رَاهق الحلم، فَرَأىٰ رَأس أَبِيه مُعلقاً فِي عُنق فَرس[3] فَأَقْبَل الغُلاَم مِن الفَارس لاَ يُفَارقهُ، فَإِذَا دَخَل القَصر دَخَل مَعَهُ، وَإِذَا

(١) أنظر، مقَاتل الطَّالبيِّين: ٧٨، إِقبَال الأَعمَال: ٣/ ٧٨، مَقْتَل الحُسَين لأَبي مخْنَف: ٩٨ و ١٣٤، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٤/ ٢٩، شَرْح الأَخبَار: ٣/ ٢٤٧، المَزَار للشَّهِيد الأَوّل: ١٥١، المَزَار للمَشهَدي: ٤٩٣، مُعْجَم رِجَال الحَدِيث: ٢٠/ ١٣٥ رَقم «١٣٠٠٢»، الإِرشَاد للشَّيخ المُفِيد: ٢/ ١٠٣، الأَخبَار الطِّوَال: ٢٥٥، الأَعلاَم: ٨/ ٦، مُثِير الأَحزَان: ٤٥، الكَامل فِي التَّأرِيخ: ٤/ ٢٩.

(٢) أنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٥/ ٣٥٢، مَقْتَل الحُسَين: ٢/ ٤، و: ٤/ ٣٢٠، مَقْتل الحُسين لِابي مَخْنَف: ١١٣، إِعلاَم الوَرىٰ: ١/ ٤٥٧، الإِرشَاد للشَّيخ المُفِيد: ٢/ ٩٥، مَنَاقب آل أَبي طَالب: ٣/ ٢٥٠، البِدَايَة وَالنِّهايَة: ٨/ ١٩٣، الأَخبَار الطِّوَال: ٢٥٦.

(٣) كَان أَمِير المُؤمِنين قَد أَخبَر حَبِيباً بمَا يَحدث لهُ، وَأَخبَر مَيثَم التَّمار بأَنّه يُصلَب، وَتُبقَر بَطْنَه، وَبَعد ↔

خَرَج مِنْهُ خَرَج مَعَهُ، فَٱرتَاب بِهِ الرَّجُل، وَقَالَ لهُ: مَالك يَا بُـنـي تَـتَّبعني ؟ فَـقَال الغُلاَم: إِنَّ هَذَا الرَّأس رَأس أَبي، ٱعْطني إِيَّاه حَتَّىٰ أَدْفنهُ. قَالَ: إِنَّ الأَمِير لاَ يَرضىٰ أَنْ يُدفَن، وَأُرِيد أَنْ يُثيبنُي عَلىٰ قَتْله. فَقَال لهُ الغُلاَم: وَلَكن الله لاَ يُثِيبُك، وَبَكىٰ.

ثُمَّ ذَهَب الغُلاَم، وَلَم يَكُن لهُ مِن هَم إِلاَّ أَنْ يَقْتل قَاتل أَبِيه، وَلَم تَمضِ الأَيَّـام حَتَّىٰ خَرَج مُصْعَب بن الزُّبَيْر[1]، وَكَان القَاتل مَع جَيْش مُصْعَب، فَرَاقَـبهُ الغُـلاَم يَلتَمس الفُرصَة السَّانحَة، وَفي ذَات يَوْم دَخَل عَسْكَر مُصعَب، فَوَجد القَاتِل نَائِماً فِي فُسطَاطه، فَضَربه بسَيفه حَتَّىٰ بَرد[2].

وَفَاة الإِمَام عَليّ عليه السلام التَقىٰ مَيْثَم بحَبِيب، وَكَان كُلّ مِنْهُما يَركَب فَرسَاً، فَقَال حَبِيب يُطَايب مَيثَماً: كَأنّي بِشَيخ أَصلَع قَد صُلب فِي حُبّ أَهل البَيْت، وَتُبقَر بَطْنهِ فَقَال مَيثَم: أَنّي لأَعرف رَجُلاً ثُمَّ ٱفْتَرقَا. فَقَال قَوم كَانُوا جَالِسِين يَسمعُون كَلاَمَهُما، مَا رَأَينَا أَحداً أَكذَب مِن هَذَين. وَقَبل أَنْ يَفْترق أَهل المَجلس أَقبَل رُشَيد الهجري، فَسَأل أَهل المَجلس عَنْهُما، فَقَالُوا: مَرَّا مِن هُنا، وَقَالا كَذَا وَكَذا. فَقَال رُشَـيد، نَسي مَيْثَم أَنْ يَقُول: أَنَّه يُزَاد فِي عَطَاء مَن يَأتي برَأس حَبِيب مِئَة دِرهم. ثُمَّ أَدبَر، فَقَال أَهل المَجلس: هَذَا، وَالله أَكذَبهم. وَلَكن لَمْ تَمض الأَيَّام حَتّىٰ شَاهَد هَؤلاَء مَيثَماً مَصلُوباً، وَرَأس حَبِيب يُطَاف بِـهِ، وَتَحقّق كُل مَا سَمعُوه. (مِنْهُ رحمه الله). أنظر، أَبصَار العَين فِي أَنْصَار الحُسَين: ١٠١، رِجَال الكَشي: ٧٨ رَقم «١٣٣»، مُنْتَهىٰ المَقَال فِي أَحوَال الرِّجَال: ٢ / ٣٢٨.

(١) أنظر، الأَخبَار الطّوَال: ٣١٨، تَأرِيخ الطَّبري: ٧ / ١٨١.

(٢) أنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٣ / ٣٢٧ و: ٦ / ٦٥٢، البدَايَة وَالنّهايَة: ٨ / ١٨٢، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٤ / ٧١.

أَنْتُم مُؤْمِنُون

أَينَ المُؤْمِنُون ؟ أَينَ المُسْلِمُون حقّاً ؟ أَينَ الأُسوَة وَالعَزَاء بِالأَنْبيَاء وَالأَوليَاء ؟ وَبالتَالي أَينَ المُوَالُون للنَّبي وأَهْل بَيْته الَّذِين أَحبُّوا مَا أَحبَّ الله ، وَمُحَمَّد ، وَعَليّ ، وَالحَسَن ، والحُسَين ؟ ! قَالَ أَمِير المُؤمِنِين عليه السلام : « وَلَو لَمْ يَكُن فِينَا إلاَّ حُبّنَا مَا أَبْغَض الله ، وَرَسُوله ، وَتَعظِيمنَا مَا صَغر الله وَرَسُوله لكَفىٰ بِهِ شقَاقاً لله وَمُحَادّة عَن أَمر الله »[1] .

نَحنُ نُنْكر عَلىٰ عُثمَان بن عَفَّان ، لأَنّهُ آثَر الأَقَارِب والأَرْحَام ، وَآوىٰ عَمّه الحَكَم طَرِيد رَسُول الله وَلَعِينَه[2] . وَنُنكِر عَلىٰ مُعَاوِيَة مُبَايَعته لوَلدَه يَزِيد الَّذي أَهلَك الحَرْث وَالنَّسل ، وَنُنْكر عَلىٰ ٱبْن العَاصّ ، لأَنّهُ بَاع دِيْنه إِلىٰ مُعَاوِيَة بولاَيَة مَصْر ، وَنُنْكر عَلىٰ ٱبْن سَعد ، لأَنّهُ قَتَل الحُسَين أَملاً بمُلك الرَّي ، أَجل ، أَنَّنا نُنْكر

---

(١) أُنظر ، شَرْح نَهج البَلاَغَة لِابْن أَبي الحَدِيد : ٩ / ٢٣٢ ، شَرْح نَهْج البَلاَغَة لمُحَمَّد عَبْدَه : ٢ / ٥٩ .

(٢) الحَكَم هَذَا هُو أَخُو عَفَّان أَبي عُثْمَان ، وَكَان يُوذي رَسُول الله ، وَيُنبيء المُشركِين بأَخبَاره . ذَات يَوم بَينَما يَمشي رَسُول الله مَشىٰ الحَكَم خَلفه يَتفَكك ، وَيتمَايل يَخْتَلج بفَمه وَأَنفه مُستَهزءاً بالرَّسُول فَالتَفت إِلَيه ، وَقَالَ لهُ كُن كَذَلِكَ . فَمَا زَال بقيَّة عُمره كَذَلِكَ . ثُمَّ أَسلَم خَوفاً مِن القَتْل ، فَطَرَدهُ الرَّسُول مِن المَدِينَة ، وَلَم يَزل خَارجهَا بقيَّة حَيَاة الرَّسُول وَخِلاَفَة أَبي بَكْر وَعُمَر حَتّىٰ تَولىٰ عُثْمَان فَردّه إِلَيهَا وَقرَّبَه ، وقَالَت عَائِشَة لِابْنِه مَرْوَان « أَشْهد أَنَّ الله لَعَن أَبَاكَ وَأَنتَ فِي صُلبِهِ » . (مِنْهُ رحمه الله) . أُنظر ، تَفْسِير القُرطُبي : ١٠ / ٢٨٦ ، تَرجمَة الإِمَام الحَسَن مِن طَبقَات ٱبن سَعَد : ٣٦ .

عَلىٰ هَؤلاَء وَأَمثَالهُم لاَ لشَيء إلاّ لأَنَّهم آثَروا العَاجلَة عَلىٰ الآجلَة، وَٱستجَابُوا لأَهوَاء الأَوْلاَد وَالأَرقَارب، وَٱستَبدّت بِهم الشَّهوَات وَالمَنَافع، وَلَم يَرعوا أَمر الله وَحُرمَة الدِّين.

وَنَحْنُ نُكَرّم أَهْل البَيْت، وَنُقِيم لهُم الحَفلاَت، وَنُحي الذّكريَات لأَنَّهم جَاهدُوا وَضَحّوا فِي سَبِيل الله، وَجَابهُوا البَاطل، وَقَاومُوا العُدوّان وَلَم يُثْنِهم الخَوف عَلىٰ مَنْصَب أَو وَلد، وَلكنَّا فِي نَفْس الوَقت نُسْتَجِيب لأَهوَاء الأَوْلاَد وَالأَقَارِب، وَتَسْتَبد بنَا الشَّهوَات، وَلَم نُرَاع لله أَمراً وَلاَ نَهياً، تَمَاماً كمَا فَعَل أَعدَاء أَهْل البَيْت، نَحْنُ فِي أَقوَالنَا وَمَظاهرنَا مَع الرَّسُول وَعِترَته، وَفي أَفعَالنَا وَوَاقعنَا مَع الَّذِين حَاربُوا الله وَرَسُوله، وَعَاندُوا الحَقّ وَأَهْله.

نَحْنُ لاَ نَطلب مِن المُسْلِم أَنْ يَكُون حُسَيناً، وَلاَ كَأَصحَاب الحُسَين، وَلَكن نَطْلب مِنْهُ أَنْ لاَ يَكُون كَٱبْن سَعد، وَأَصحَاب ٱبْن سَعد نَطلب أَنْ لاَ يُسمّي الظُّلم عَدلاً، وَالبَاطل حَقّاً تملقاً لأَبنَاء الدُّنْيَا وَرَغبَة فِي مَا بأَيدِيهِم، نُريدَه أَنْ يَقُول للظَّالم يَا ظَالم، وَلاَ يَسْكت عَن الحَقّ. أَنَّ السُّكُوت عَن الحَقّ وَمُدَراة الطُّغَاة وَأَصحَاب المَال، وَالجَاه لاَ تَجْتَمع مَع مُوَالاَة أَهْل البَيْت الَّذِين كَانُوا حَرباً عَلىٰ كُلّ طَاغ وَبَاغ؛ قَالَ الإِمَام البَاقر عليه السلام لجَابر الجُعفي:

«ٱعْلَم بِأَنّك لاَ تَكُون لنَا وَليّاً إلاَّ إِذَا ٱجْتَمع عَلَيك أَهْل مَصرك وَقَالُوا: إِنّك رَجُل سَوء لَم يَحزُنك ذَلِكَ، وَلَو قَالُوا: إِنّك رَجُل صَالح لَم يَسرّك ذَلِكَ وَلَكن ٱعْرض نَفْسك عَلىٰ كتَاب الله، فَإِنْ كُنتَ سَالكاً سَبِيله، زَاهداً فِي تَزهِيده، رَاغباً فِي تَرغِيبه، خَائِفاً مِن تَخوِيفه فَأَثبت وَأَبشر، فَإِنّه لاَ يَضرّك مَا قِيل فِيك. وَإِنْ كُنتَ مُبَايناً للقُرآن فمَاذَا الَّذي يَغرّك مِن نَفْسك؟!. إِنَّ المُؤمِن مَعْني بِمُجَاهدَة

نَفْسه ليَغلبهَا عَلىٰ هوَاهَا »[١].

فَالمُقيَاس هُو القُرآن. وَمَا اهتَمَّ القُرآن فِي شَيء أَكثَر مِن اهتمَامه بالمَعرُوف وَالنَّهي عَن المُنْكَر، قَالَ الله تَعَالىٰ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾[٢].

وَقَالَ الفُقهَاء: المَعرُوف قِسمَان وَاجب وَندب، وَالأَمر بالوَاجب وَاجب، وَالأَمر بالنَّدب نَدب، أَمَّا المُنْكَر فَكلّه حرَام، فَالنَّهي عَنْهُ وَاجب[٣].

وَقَالَ الإِمَام البَاقر عليه السلام: «يَكُون فِي آخر الزَّمَان قَوْم سُفهَاء، لاَ يُوجبُون أَمراً بمَعرُوف وَلاَ نَهياً عَن مُنْكَر إلاَّ إِذَا أَمنُوا الضَّرر، يَطلبُون لأَنْفسهِم الرُّخص وَالمَعَاذِير، يَتَّبعُون زَلاَّت العُلْمَاء وَفَسَاد عَلمهِم، يُقبلُون عَلىٰ الصَّلاَة وَالصِّيَام، وَمَا لاَ يُكلّفهُم فِي نَفْسٍ وَلاَ مَال، وَلَو أَضرّت الصَّلاة بسَائِر مَا يَعملُون بأَموَالِهم وَأَبدَانِهم لرَفَضُوها كمَا رَفضُوا أَتَم الفَرَائِض وَأَشرفهَا »[٤].

أَرَاد الإِمَام مِن أَتَم الفَرَائض وَأَشرفهَا الأَمر المَعرُوف وَالنَّهي عَن المُنكر، أَمَّا قَوْم آخر الزَّمَان فَهُم نَحْنُ، حَيث نَفْعَل المُنكَر غَير مُكترِثين، أَو نَرضىٰ بهِ، أَو نَغض الطّرف عَن فَاعلهِ مُتَذرعِين بخَوف الضَّرر، كمَا قَالَ الإِمَام، مُتجَاهِلين الصَّبر عَلىٰ المَكرُوه فِي جَنْب الله، وَخِدمَة الدِّين؟ وَأَيَّة فَضِيلَة للمُرشد إِذَا لَم يُعَان

---

(١) أُنظر، تُحف العُقُول: ٢٨٤.

(٢) ٱلْمَائِدَة: ٧٩.

(٣) أُنظر، تَذْكرَة الفُقهَاء: ١/ ٤٥٨.

(٤) أُنظر، مُختَلف الشِّيعَة: ٤/ ٤٦١، تَذكرَة الفُقهَاء: ١/ ٤٥٨ و: ٩/ ٤٤٠، الوَافي: ٩/ ٢٩، تَهذِيب الأَحْكَام: ٦/ ١٨٠.

المَشقّة وَالصّعاب فِي سَبِيل الحَقّ، وَإعلاَء كَلِمَته.

فَإِيَّاك أَنْ تَغْتَر بقَول مَن قَالَ: لاَ يَجب التَّذكر إلاَّ مَع أَمن الضَّرر وَاحتمَال النَّفع[١] وَلَو صَحَّ قَولِهِم هَذَا لمَا وَجَب التَّذكِير فِي وَقتٍ مِن الأَوقَات، لأَنّهُ لاَ يَخلُو زَمَان مِن مُعَانِدِين، وَلاَ يَسلَم مُحق مِن جَاحدِين، أَنَّ الأَمر بالمَعرُوف وَالنَّهي عَن المُنْكَر وَاجب، وَإِلقَاء الحُجّة لاَ بُدّ مِنْهُ. وَإِلَيكُم المَثَل وَالدَّلِيل:

قَبلَ أَنْ يَعْلَم الحُسَين بخَبَر ٱبْن عَمّه مُسْلِم كَتَب إِلَىٰ جمَاعَة مِن أَهْل الكُوفَة:

«بِسم الله الرَّحمن الرَّحِيم، مِن الحُسَين بن عَليّ إِلَىٰ إِخوَانه مِن المُؤمِنِين وَالمُسْلِمِين، سَلاَم عَلَيكُم، فَإِنّي أَحْمد إِلَيكُم الله الَّذي لاَ إِله إلاَّ هُو، أَمّا بَعد، فَإِنَّ كتَاب مُسْلِم بن عَقِيل جَائَني يُخبرني فِيهِ بحُسن رَأيكُم، وَإِجْتمَاع مَلئكُم عَلَىٰ نَصرنَا، وَالطَّلب بحَقنَا، فَسَألتُ الله أَنْ يُحسن لنَا الصُّنع، وَأَنْ يُثِيبكُم عَلَىٰ ذَلِكَ أَعْظَم الأَجْر، وَقَد شَخصتُ إِلَيكُم مِن مَكّة يَوْم الثُّلاَثَاء لثَمَان مَضَين مِن ذِي الحَجّة يَوْم التَّروِيَة، فَإِذَا قَدِمَ عَلَيكُم رَسُولي فَٱمْكثُوا فِي أَمركُم وَجدّوا، فَإِنّي قَادم عَلَيكُم فِي أَيَّامي هَذِه، إِنْ شَاء الله، وَالسَّلاَم عَلَيكُم وَرَحمَة الله وَبَركَاته»[٢].

وَأَرْسَل الكِتَاب مَع قَيس بن مِسْهر الصَّيدَاوي[٣]، وَلمَّا قَارب قَيْس الكُوفَة

---

(١) أَمّا قَولَه تَعَالىٰ: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ ٱلأَعْلَىٰ: ٩؛ فَلَيس النَّفع شَرطاً حَقِيقيّاً للتَّذكِير، وَإِنّما هُو أَشبَه بقَول القَائِل: سَلهُ إِنْ نَفَع السُّؤال؛ لأَنَّ الأَنْبيَاء بُعثوا للأَعذَار وَالإِنذَار، فَعَليهِم التَّذكِير عَلىٰ كُل حَال نَفع أَو لَم يَنْفع. (مِنْهُ رحمه الله).

(٢) أُنظر، البدَاية وَالنّهايَة: ٨ / ١٨١، الإِرشَاد: ٢ / ٧٠، مَقْتل الحُسَين لأَبي مَخْنَف: ٧٢، تَأرِيخ الطَّبري: ٤ / ٢٩٧، الأَخبَار الطِّوال: ٢٤٥، مُثِير الأَحزَان: ٣٠، يَنَابِيع المَودّة: ٣ / ٦١.

(٣) أُنظر، الفُتُوح لِابْن أَعْثَم: ٣ / ٩٢، مَقْتَل الحُسَين للخوَارزمي: ١ / ٢٢٩ و ٢٣٥، و ٢٤٨ طَبعَة آخر، بحَار الأَنوَار: ٤٤ / ٣٧٤، عوَالم العُلُوم: ١٧ / ٢٢٤، اللُّهُوف فِي قَتْلىٰ الطُّفُوف: ٣٢، المَلهُوف: ٦٤، كَشف الغُمّة: ٢ / ٢٠٢، أَعيَان الشِّيعَة: ١ / ٥٩٥، وَقعَة الطَّفّ: ١٦٦، مَقْتَل الحُسَين لأَبي مَخْنَف: ٧٨.

ٱعترضه الحُصَين بن نُمَير[١] فَأَخرَج قَيس الكِتَاب وَخرّقهُ، فَحَملهُ الحُصَين إِلىٰ ٱبْن زِيَاد، فَلَمَّا مَثل بَيْنَ يَدَيه، قَالَ لهُ: مَن أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا رَجُل مِن شِيعَة أَمِير المُؤمِنِين عَليّ بن أَبي طَالِب وَٱبْنه عليهما السلام، قَالَ: لمَاذَا خرّقتَ الكِتَاب؟. قَالَ: لئَلَّا تَعْلم مَا فِيهِ، قَالَ: وَمِمَّن وَإِلىٰ مَن؟ قَالَ: مِن الحُسَين بن عَليّ إِلىٰ جَمَاعَة مِن أَهْل الكُوفَة لاَ أَعرف أَسمَاءهُم، فَغَضب ٱبْن زيَاد، وَقَالَ: وَالله لاَ تُفَارقني حَتَّىٰ تُخبرني بأَسمَاء هَؤلاَء القَوم أَو تَصعَد المِنبَر وَتَلعن الحُسَين بن عَليّ عليهما السلام وَأَبَاه وَأَخَاه، وَإِلَّا قَطّعتُك إِربَاً إِربَاً.

فَٱغْتنَم قَيس هَذَا الفُرصَة لصعُود المِنْبَر، وَقَالَ: أَمَّا القَوم فَلاَ أُخبرك بأَسمَائِهِم، وَأَمَّا اللَّعن فَأَفْعَل، قَالَ لهُ: ٱصعَد وَالعَن، فَصَعد قَيس، وَحَمد الله وَأَثنىٰ عَلَيهِ، وَصَلّىٰ عَلىٰ النَّبي، وَأَكْثَر مِن التَّرحم عَلىٰ عَليّ، وَالحُسَين، وَالحَسَن، وَلعَن عُبَيدالله بن زيَاد وَأَبَاه، وَلَعن عُتَاة بَني أُميَّة عَن آخرِهِم، ثُمَّ قَالَ: أَيُّها النَّاس أَنَا رَسُول الحُسَين إِلَيكُم، قَد تَركتهُ فِي مَكَان كَذَا، فَأَجِيبُوه، فَأَمر ٱبْن زيَاد بالقَائه مِن أَعلىٰ القَصر، فَتَكسّرت عظَامه، وَبَقي بِهِ رَمق، فَأَتَاه رَجُل يُقَال لهُ عَبدالمَلك ٱبن عُمَير اللَّخمي فَذَبحهُ، فَقِيل لهُ فِي ذَلِكَ وَعِيب عَلَيهِ، فَقَال: أَردتُ أَنْ أُرِيحَه[٢].

---

(١) كَان الحُصَين عَلىٰ شَرطَة ٱبْن زِيَاد، وَهُو الَّذي رَمىٰ الكَعبَة بِالمَنْجَنِيق لمَّا تحَصَّن فِيهَا ٱبْن الزُّبَير، وَقُتل الحُصَين فِي ثَورَة التَّوابين، قَالَ ٱبْن أَبي الحَدِيد: أَنَّ أَبَا الحُصَين هُو الَّذي سَأل أَمِير المُؤمِنِين عَن عَدَد شَعر رَأسه حِين قَالَ: سَلُوني قَبل أَنْ تَفْقدُوني، فَقَال لهُ: وَمَا عِلاَقَه الصِّدق لَو أَخْبَرتك؟ كَيف تَعد الشَّعر، وَلَكن أُخبرك أَنَّ تحتَ كُلّ شَعرة فِي رَأسك شَيطَاناً يَلعنك، وَعَلاَمَة ذَلِكَ أَنَّ وَلدك سَيَحمل الرَّايَة وَيَخرج لقتَال وَلدي الحُسَين، وَلَم تَمض الأَيَّام حَتَّىٰ تَحقَّق مَا قَالَ الإِمَام. (مِنْهُ رحمه الله).

(٢) أُنظر، تَأرِيخ الطَّبَري: ٥ / ٣٩٥، إِقبَال الأَعمَال: ٣ / ٣٤٥، مَقْتَل الحُسَين لأَبي مخنَف: ١٦ و ٧١،

هَؤلاَءِ أَصحَاب يَزِيد، وٱبْن زِيَاد كُلّهُم عَبدالمَلك يَنْبشُون الأَموَات، وَيُمثلُون بِالأَبرَار؛ أَمَّا أَصحَاب الحُسَين فَكلّهُم قَيس بن مِسْهر. أَقدَم قَـيس رُضـوَان الله عَلَيهِ وَهُو عَلىٰ يَقِين مِن قَتْلهِ وَالتَّمثِيل بهِ، وَلَكن ٱستَخف بِالمَوت مَا دَام الغَرض الأَسمىٰ الَّذي قَصَد إِلَيهِ قَد تَحقّق، وَهُو تَبلِيغ رِسَالَة سَيّده الحُسَين، وَإِلقَاء الحُجّة عَلىٰ أَعدَاء الله.

وَالسّر الأَعْظَم فِي أَصحَاب الحُسَين أَنَّهُم يَطلبُون المَـوت بـلَهفَة المُشـتَاق، وَيُودُون لَو تَكرّر قَتْلهم مَرّات وَمَرّات فِي سَـبِيل الحُسَـين. وَهكَـذَا المُـؤمِنُون المُنزّهُون عَن الأَغرَاض، وَالمَطَامع لاَ يَخَافُون عَلىٰ أَنْفسهِم مِن القَتْل، وَلاَ عَلىٰ أَوْلاَدهِم مِن اليُتم وَالضَّيَاع، وَإِنَّما يَخشُون الله وَحدَه عَلىٰ دِينهِم وَإِيمَانهِم.

↔ تَأرِيخ الطَّبري: ٤ / ٢٦٢ و ٣٠٦ و: ٥ / ٣٩٤ ـ ٣٩٥، مَنَاقب آل أَبِي طَالب: ٣ / ٢٤١ و ٢٤٥، بحَار الأَنوَار: ٤٥ / ٣٣٣، و: ٩٨ / ٢٧٣ و ٣٤٠، العَوَالم: ١٨٣، شَرْح الأَخبَار: ٣ / ٢٤٥، المَزَار للشَّـهِيد الأَوّل: ١٥٢، المَزَار للمَشهَدي: ٤٩٣، مُعْجَم رِجَال الحَدِيث: ١٥ / ١٠٣ رَقم «٩٦٩٨»، اللُّهُوف فِي قَتْلَىٰ الطُّفُوف: ٤٦، الإِرشَاد للشَّيخ المُفِيد: ٢ / ٣٧، البِدَايَة وَالنِّهايَة: ٨ / ١٨١، الأَخبَار الطِّوال: ٢٢٩.

أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلاَ:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾[1].

نَصّت هَذِه الآيَة عَلىٰ أَنَّ أُولِي ٱلْعَزْمِ مِن الأَنْبِيَاء خَمْسَة: وَهُم نُوح، وإِبْرَاهِيم، وَمُوسىٰ، وَعِيسىٰ، ومُحَمَّد[2]، وَمَعنىٰ أَنَّهُم مِن أُولِي ٱلْعَزْمِ أَنَّ لكُلّ مِنْهُم شَريعَة خَاصّة، دَعَا إِلَيهَا، وَحَثّ عَلىٰ العَمل بهَا، وَلاَقىٰ فِي سَبِيل ذَلِكَ الكَثِير مِن المَصَاعب، وَالمتَاعب، وَلكنّه صَبرَ وَثَابَرَ، بخَاصّة مُحَمَّد بن عَبدالله ﷺ الَّذي قَالَ: «مِا أُوذي نَبّي بمِثْل مَا أُوذِيت»[3]، وَأَوصَاه الله سُبْحَانَهُ بالصَّبر كمَا صَبَر مَن كَان قَبْله مِن أُولِي ٱلْعَزْم، حَيْث قَالَ عزَّ مَن قَائِل: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ

---

(١) ٱلأَحْزَاب: ٧.

(٢) أُنظر، شَرْح أُصُول الكَافِي: ٧/ ٣٧٥، مَنَاقب آل أَبي طَالب: ١/ ٢٦٠، تَفْسِير المِيزَان: ١٨/ ٢٢١.

(٣) أُنظر، صَحِيح ابن حَبَّان: ٤/٥١٥ ح ٦٥٦٠، الأَحَادِيث المُختَارَة: ٥/ ٣٠ ح ١٦٣٣، مَوَارد الظَّمآن: ١/٦٢٦ ح ٢٥٢٨، سُنن التّرمذي: ٤/٦٤٥ ح ٢٤٧٢، سُنن ابن مَاجَه: ١/ ٥٤ ح ١٥١، المُصنّف لِابن أَبي شَيبَة: ٦/٣١٣ ح ٣١٧٠٤، مُسْنَد البَزّار: ٨/١٧٦ ح ٣٢٠٥، مُسْنَد أَحمَد: ٣/ ١٢٠ ح ١٢٣٣، مُسْنَد أَبي يَعلىٰ: ٦/ ١٤٥ ح ٣٤٢٣، صَفوَة الصَّفوَة: ١/ ٤٣٨، سِير أَعلاَم النُّبلاء: ٢١/ ١٨٩.

مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[١].

أَجل، مَا أُوذي نَبي بِمِثْل مَا أُوذي بِهِ مُحَمَّد صلى الله عليه وآله، وَلَكن وَلدَه الحُسَين عليه السلام قَد أَصَابهُ فِي سَبِيل الْإِسلاَم يَوْم كَرْبُلاَء أَشدّ وَأَعظَم مِمَّا أَصَاب جَدّه الرَّسُول الْأَعْظَم صلى الله عليه وآله، وَصَبَر صَبر الْأَنْبيَاء وَالرُّسل، أَمَر أَهْله وَأَصحَابه بالصَّبر، فَمِن أَقوَاله يَوْم الطَّفّ:

« صَبراً بَني الكِرَام، فَمَا المَوت إِلاَّ قَنْطَرة تَعْبر بكُم عَن البُؤس، وَالضَّرّاء إِلَىٰ الجنَان الوَاسعَة، وَالنَّعِيم الدَّائِم، فَأَيّكُم يَكْرَه أَنْ يَنْتَقل مِن سِجنٍ إِلَىٰ قَصر، وَمَا هُو لْأَعدَائِكُم إِلاَّ كمَا يَنْتَقل مِن قَصرٍ إِلَىٰ سِجنٍ وَعذَاب. أَنَّ أَبي حَدّثني عَن رَسُول الله صلى الله عليه وآله: « الدُّنيَا سِجن المُؤمِن، وَجَنَّة الكَافر »[٢]، وَالمَوت جِسر هَؤلاَء إِلَىٰ جنَّاتهِم، وَجِسر هَؤلاَء إِلَىٰ جهنّمهِم، مَا كَذَبتُ وَلاَ كُذّبت »[٣].

وَقَالَ وَهُو يُودّع عِيَاله:

« ٱسْتَعدُوا للبَلاَء، وَٱعلمُوا أَنَّ الله حَامِيكُم وَحَافظكُم، وَسَيُنجِيكُم مِن شَرّ الْأَعدَاء، وَيَجعل عَاقبَة أَمركُم إِلَىٰ خَير، وَيُعذّب عَدوّكُم بأَنوَاع العَذَاب، وَيُعوضكُم عَن هَذِه البَليَة بأَنوَاع النِّعم وَالكَرَامه، فَلاَ تَشكُوا وَلاَ تَقُولوا بأَلسنَتكُم مَا يَنْقص مِن قَدركُم »[٤].

لَقَد تَحَمّل مِن أرزَائِها مِحْنَاً ... لَمْ يَحْتملهَا نَبِي أَو وَصيّ نَبيّ

---

(١) ٱلْأَحْقَاف: ٣٥.

(٢) أُنظر، صَحِيح مُسْلم: ٨ / ٢١٠، مُسْنَد أَحمَد: ٢ / ٣٢٣، سُنن التِرمذي: ٣ / ٣٨٥ ح ٢٤٢٦، صَحِيح ٱبن حبَّان: ٢ / ٤٦٢ ح ٦٨٧.

(٣) أُنظر، تُحف العُقُول: ٥٣، مَعَاني الْأَخبَار: ٢٨٩ ح ٣.

(٤) أُنظر، جَلاَء العُيُون، للمَجْلسي: ١٥٦.

وَأَنَّ أَعــظَم مَــا لاَقَــاه مُـحْتسبَاً ... عِندَ الإِلٰـه فَسَـامىٰ كُـلّ مُـحْتَسبِ
حَمْل الفوَاطم أَسرىٰ للِشَّـام عَـلىٰ ... عُجفِ النِّيَاق تُقَاسي نَـهشَة القَـتبِ
وَمَــا رَأَت أَنْـبيَاء الله مِـن مِـحنٍ ... وَأَوصـياؤهم فِـي سَـالفٍ للـحُقبِ
كَمِحْنَة السَّـيِّد السَّـجّاد حِـين أَتَت ... يَزِيد نُسوَته أَسـرىٰ عَـلىٰ النُّـجبِ
أَمَــامهَا رُفـعَت فَـوق الأَسـنّة مِـن ... حُمَاتهَا أَرؤس فَاقَت سنىٰ الشُّـهبِ

أَمْضي عَلىٰ دِيْنِ النَّبيّ

قَالَ الله تَعَالىٰ:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾[1].

كُلّ إِنْسَان لَهُ عَاطفَة، وَشَهوَات، وَميُول، تَقيّاً كَان أَو شَقيّاً، وَالفَرق أَنَّ الشَّقي إِذَا تَصَادَمت عَاطفَته مَع دِينهِ تَغَلّبَت العَاطفَة عَلىٰ الدِّين، وكَانَت هِي الغَالبَة، وَهُو المَغلُوب، فَإِذَا مَالَت نَفْسه إِلَىٰ الحَرَام ٱقْتَحمهُ غَير مُكْتَرث بِوَاعِظ، وَمُزدَجر بزَاجر، أَمَّا التَّقي فَعَلىٰ العَكْس يَتَغلب دِينَه عَلىٰ عَاطِفَته، فَإِذَا رَاوَدَتهُ النَّفس إِلَىٰ المَعْصِيَة وَهَمَّ بهَا تَذَكّر أَمر الله وَنَهْيَه، وَزَجرَ مَشَاعره، وَنَهىٰ نَفْسَه عَن ميُولهَا وَهَوَاها.

وَالأَشيَاء الَّتي تَقُود العَاطفَة وَتُحركهَا كَثِيرَة لاَ يَبلغهَا الإِحْصَاء، كَالجَاه، وَالمَال وَالنِّسَاء، وَالوَلد وَالصَّدَاقه، وَمَا إِلَىٰ ذَلِكَ، وَلَكن عَاطفَة الأَب تّجَاه وَلَده أَقوَاهَا جَمِيعَاً، فكَم مِن عَالمٍ تثق بِهِ النَّاس قَادَته هَذِه العَاطفَة إِلَىٰ المَهَالك، وَأَودت بدِينه

---

(١) ٱلصَّافَّات: ١٠٢ـ١٠٦.

وَجَاهه وَكيَانه، وَهُنا يُعرف المُؤمن حَقّاً، وَيَتميّز عِن الزَّائِف.

وَالآيَة الكَرِيمَة خَير مِثَال عَلىٰ ذَلِكَ، فَإِنَّ الوَالد أَرْفَق النَّاس بوَلدِهِ. وَأَحبّهم إِلَىٰ قَلْبِهِ، وَمَع هَذَا فَإِنَّ دِين إِبْرَاهِيم عليه السلام تَغلب عَلىٰ هَذَا الرِّفق، وَالحُبّ، وهَذِه العَاطفَة الأَبويَّة، وَأَقدَم عَلىٰ ذَبح وَلَده طَاعَة لله سُبْحَانَهُ.. وَأَيضاً اَسْتَسلَم وَلَده للذَّبح طَاعَة لخَالقِهِ رَغم عَاطِفَته وَرَغْبَته فِي الحَيَاة.

وكَذَلِكَ الحُسَين عليه السلام سَلَّم للذَّبح وَلَدَيه عَليّ الأَكْبَر[1]، وَالطِّفْل الرَّضِيع[2]،

(١) أنظر، مقتَل الحُسَيْن لأَبي مُخنف: ١٦١ـ١٦٤، إبصَار العَين: ٢١ طَبعَة النَّجف، تأرِيخ الطَّبري: ٤ / ٣٤٠، و: ٦ / ٢٥٦، المعَارف: ٢١٣ و ٢١٤، مقَاتل الطّالبيِّين: ٥٥ و ٥٦، الكَامل لِابْن الأَثِير: ٤ / ٣٠، والأَخبَار الطّوَال: ٢٥٤، تَأرِيخ الطَّبري: ٦ / ٦٢٥.

(٢) هُو عَبد الله بن الحُسَين بن عَليّ عليه السلام وِلد فِي المَدِينَة، وَقِيل فِي الطَّفّ وَلَم يَصح، وَأُمّه الرَّبَاب بِنْت أمرىء القَيس وَهي الَّتي يَقُول فِيهَا الإِمَام الحُسَين عليه السلام:

لَعَمرُك إِنَّني لأُحبّ دَاراً ... تَحلّ بِهَا سُكَينَة وَالرَّبَاب

قَال المَسْعُودي فِي يَنَابيعه: ٣ / ٧٧، وَالإِصبهَاني: ٣٥ و ٩٥، وَالطَّبري: ٤ / ٣٤٢، و: ٢ / ٣٦٠ طَبعَة أُوربَا، وَغَيرهم: إِنَّ الحُسَين لمَّا آيس مِن نَفْسه ذَهَب إِلىٰ فُسطَاطه فَطَلب طِفلاً لهُ ليُودّعه فَجَاءتهُ بِهِ أُختهُ زَيْنَب فَتنَاولهُ مِن يَدهَا وَوَضعهُ فِي حِجرهِ، فَبَينَما هُو يَنْظر إِلَيه إِذْ أَتَاه سَهمٌ فَوقَع فِي نَحرهِ فَذَبحهُ. قَالُوا: فَأَخذ دَمَهُ الحُسَين عليه السلام بِكَفّه وَرَمىٰ بِهِ إِلىٰ السَّمَاء وَقَال: أَللّهُمّ لاَ يَكُون أَهوَن عَلَيك مِن دَم فَصِيل... قَالُوا: فَروي عَن البَاقر عليه السلام أَنّه لَم تَقع مِن ذَلِك الدَّم قَطرَة إِلىٰ الأَرض...

وَالَّذي رَمَاه بِالسَّهم حَرمَلة بن الكَاهن (كَاهل) الأَسدي، وَقِيل: إِنَّ الَّذي رَمَاه عُقبَة بن بِشر الغَنوي، وَقِيل: غَير ذَلِكَ. أُنظر، مَقْتل الحُسَين لأَبي مَخْنَف: ١٧١ ـ ١٧٢ وَهَامش «١» مِن ص ١٧٣، الفُتُوح لِابْن أَعْثَم: ٣ / ١٣١ ـ ١٣٢، المَنَاقب لِابْن شَهرآشُوب: ٢ / ٢٢٢، الإِختِصَاص للشَّيخ المُفِيد: ٣٠، نَسَب قُرَيْش: ٥٩، سِرّ السِّلسِلَة العَلويّة: ٣٠، اللُّهُوف في قَتْلىٰ الطُّفُوف: ٦٥ وَلَم يَذْكر اَسم أُمّه، تَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢ / ٢١٨ طَبعَة النَّجف، البحَار: ١٠ / ٢٣، و: ٤٥ / ٤٦ و ٤٧ طَبعَة آخر، مَقْتَل الحُسَين للخوَارزمي: ٢ / ٣٢، مُثِير الأَحزَان لِابْن نَما الحِلّي: ٣٦، البِدَاية وَالنّهايَة لِابْن كَثِير: ٨ / ١٨٦، أَخبَار الدُّول للقرَمَاني: ١٠٨، مُنْتهىٰ الآمَال: ١ / ٦٩٣، تَذكرَة الخَواصّ لسِبط اَبن الجَوزي: ٢٥٢، ⟺

وَأَخَاه أَبَا الفَضل[١]، وَجَمِيع أَقَـاربَه وَأَصـحَابه، ثُـمَّ ضَـحّىٰ بـنَفْسهِ، وَسَـلَّمهَا للسُّيُوف، وَالرِّمَاح، وَالسِّهام طَاعَة لله جَلَّ وَعزّ، وَبَرز إِلَىٰ المَوت مُردّداً شـعَارَه

↔ الإِحتجَاج: ٢ / ٢٥، يَنَابِيع المَودّة للقُندُوزي الحَنْفي: ٣ / ٧٨ طَبعَة أُسوة، الإِرشَاد للشَّـيخ المُـفِيد: ٢ / ١٠٨ و ١٣٥.

(١) العَبّاس بن عَليّ بن أَبِي طَالبعليه السلام وِلد سَنَة سِت وَعشرين مِن الهِجْرَة، وَكَان لهُ عَقب، وَكَان يُسمّىٰ بِالسَّقّاء، وَيُكنىٰ أَيضاً أَبَا قِربَة. وَكَان رَجُلاً وَسِيماً جَمِيلاً، يَركَب الفَرس المُطَهم وَرِجلاَه تَخطّان فِي الأَرْض، وَكَان يُقَال لهُ قَمر بَني هَاشِم، وَكَان لوَاء الحُسَين عليه السلام مَعَهُ يَوْم قُتل.

أُنظر، مَقَاتل الطَّالِبيِّين: ٨٩ ـ ٩٠، و: ٥٨ طَبعَة آخر، الفُتوح لِابْن أَعثَم: ٣ / ١٢٩، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة لِابْن قُتَيبَة: ٢ / ١٢، تأرِيخ خَلِيفَة: ٢٣٥، مُرُوج الذَّهب للمَسْعُودي: ٣ / ٧٧، المَعَارِف لِابْن قُتَيبَة: ٢١٧ و ٢١١ و ٨٨، الإِشتقَاق: ٢٩٦، جَمْهَرة أَنْسَاب العَرب: ٢٦٥ و ٢٦١، جَمع الفَوَائد: ٢ / ٢١٨، يَنَابِيع المَودّة: ٣ / ١٧، و: ٦٧ و ٦٨ طَبْعَة أُسوة، جوَاهر العِقدَين: ٢ / ٣٢٩، الإِرشَاد: ٢ / ١٠٩، و: ٢٥٥ طَبعَة آخر.

أُنظر أَيضاً، الإِرشَاد: ٢ / ١٢٥، مَقْتل الحُسَين لأَبي مَخْنَف: ١٧٤ و ٢٣٤، إِبْصَار العَـين فِـي أَنْـصَار الحُسَين: ٢٥ طَبعَة النَّجف الأَشرَف، المَنَاقب لِابْن شَهرآشُوب: ٣ / ٢٦٠، و: ٤ / ١٠٨، عوَالم العُلُوم: ١٧ / ٣٤٣، البحَار: ٤٥ / ٤٠، مَقْتل الحُسَين للخوَارزمي: ٢ / ٢٩ و ٣٠، العِقد الفَرِيد: ٢ / ٨٣، تَذكرَة الخوَاصّ لسِبط اَبن الجَوزي: ١٤٢، إِعلاَم الوَرىٰ: ٢٨، مُثِير الأَحزَان: ٢٨، أَسرَار الشَّهادَة: ٣٨٧، و: ٣٣٧ طَبعَة آخر، تأرِيخ الطَّبري: ٦ / ١٣٧، رَوضَة الوَاعظِين: ١٥٧، البِدَايَة وَالنّهاية: ٨ / ١٧٦، تَظلّم الزَّهراء: ١١٨، المُنْتَخب للطّريحي: ٣١١، و: ٣٠٥ طَبعَة آخر، رِيَـاض المَـصَائب: ٣١٣، المَـقْتل للمُقرّم: ٢٦٦ ـ ٢٧٠، مُنْتهىٰ الآمَال: ١ / ٦٨٦ و ٦٨٧، الخصَال: ١ / ٦٨، مَعَالي السِّبطَين: ١ / ٤٤١ و ٤٤٠، الدَّمعَة السَّاكبة: ٤ / ٣٢٢ ـ ٣٢٤، الفُـصُول المُـهمَّة لِابْـن الصَّـبَّاغ المَـالكي: ١ / ٦٤٥ و: ٢ / ١٦٧، النَّعِيم المُقِيم لعترَة النَّبأ العَظِيم: ٢٣٥، بِتَحقِّيقنَا.

وَفِي المَقَاتل: ٨٩ قَال: وَالعَبّاس... آخر مَن قُتل مِن إِخوَته لأُمّه وَأَبِيه... وَلَكنَّ الإِصفهَاني كَـعَادته يَطْلق العِنَان لقَلمه بدُون تَروّي وَبَصِيرة لأَنّه يَردفُ قَائلاً:... فَقَدّمهُم بَيْن يَدَيه، فقُتِلُوا جَمِيعَاً، فَحَاز مِيرَاثهُم... وَنَحنُ نَسأَلَ كَم تَتَصوّر أَيُّها المُؤرّخ أَنَّ العَبّاس بَقي حَيّاً بَعد إِخوَته حَتّىٰ يَحُوز مِيرَاثهُم؟ وَهَل أَنَّ العَبّاس كَان يُفكّر بِالمَادّيات كَمَا تُفكّر أَنْتَ وَغَيرك؟ وَهَل... وَهَل... إِلخ.

وَكَان يُقَال لهُ «قَمر بَني هَاشم» لوسَامَته وَجمَاله. أُنظر، تأرِيخ الطَّبري: ٤ / ١١٨.

الوَحِيد: «أَمْضي عَلىٰ دِينِ النَّبيّ»[١].

وَمِن أَجل هَذَا الشّعَار القُدّسي ٱستُشهد عَليّ، وَالحَسَن، وَالحُسَين وَأَصحَابهم وَشِيعَتهم الخُلّص، وَهُو المَثل الأَعْلىٰ لكُلِّ مَن وَالَىٰ آل بَيْت رَسُول الله صلى الله عليه وآله حَقّاً وَصِدقّاً، وَالفَلسفَة الصَّحِيحَة للتَّشيُّع الحَقّ الَّتي لاَ يحلّ مَحلهَا أَيَّة فَلْسَفَة أُخرىٰ.

عُشْ فِي زَمَانك مَا ٱسْتَطَعت نَبِيلاً	وَٱترُك حَدِيثُك للرُّوَاة جَمِيلا
وَلِعزّك ٱسترَخص حَيَاتُك أَنّه	أَغْلىٰ وَإِلاَّ غَادَرتك ذَلِيلا
تُعطي الحَيَاة قِيَادهَا لَكَ كُلّما	صَيرّتهَا للمُكرمَات ذَلُولاَ
العزّ مِقيَاس الحَيَاه وَضلَّ مَن	قَد عَدّ مِقيَاس الحَيَاة الطُّولا
قُل كَيف عَاش وَلاَ تَقل كَم عَاش مِن	جَعل الحَيَاة إِلَىٰ عُلاَه سَبِيلا
لاَ غَرو أَنْ طَوت المَنيَّة مَاجِداً	كَثُرَت مَحَاسنَه وَعَاش قَلِيلا
قَتَلُوك للدُّنيَا وَلَكن لَم تَدم	لبَني أُمَيَّة بَعد قَتلك جِيلا
وَلُرّب نَصرٌ عَاد شرّ هَزِيمَة	تَركَت بيُوت الظَّالِمين طُلُولا
حَلّت بصّفّين الكِتَاب رمَاحهم	ليَكُون رَأسك بَعْده مَحمُولا
يَدعُون بٱسم مُحَمَّد وَبكَرْبُلا	دَمَه غَداً بسيُوفهِم مَطلُولا[٢]

---

(١) أُنظر، مَقْتَل الحُسَين لأَبي مَخْنَف: ١٩٧، مَنَاقب آل أَبي طَالب: ٣ / ٢٥٨.

(٢) أُنظر، دِيوَان الأُزري الكَبِير، للشَّيخ كَاظم الأُزري التَّمِيمي: ٢٣٤.

لاَ عَمَلَ بَعْدَ اليَوْم

أَنَّ الَّذِين رَصدُوا خُطوَات الحَـيَاة مُـنذ دَرَج الإِنْسَـان عَـلىٰ وَجْـه الأَرْض، وَاَستَعرضُوا المَاضي يُدركُون أَنَّ جِيلنَا هَذَا لَمْ يَسْتَقل بـخَلق المَـدنيَّة الحَـدِيثَة وَإِيجَادهَا، وَإِنّما هِي نَتِيجَة لاَزمَة لإِطّرَاد تَقَدم الإِنْسَان وَرُقيِّه عَلىٰ سِلّم التَّصَاعد مُنذ وجِد حَتَّىٰ الآن، فَالسَّلف شَرِيك الخَلف فِي كُلّ مَا تَحوِيه المَدنيَّة مِن أَفَانِين وَأَعَاجِيب. إِنَّ حَلقَة الإِتّصَال بَيْنَ المَاضي وَالحَاضر هِي ورَاثَة الثَّاني للأَوّل، فِي جَمِيع أَشيَائِه المَاديَّة وَالمَعنويَّة، إِنَّ حَيَاة الإِنْسَان مِن بدَايتهَا إِلَىٰ نـهَايتهَا بـنَايَة وَاحدَة، وَكُلّ عَصر هُو حَجر فِي بنَائهَا، إِذَن نَحْنُ نَعِيش بالمَاضي وَالحَاضر مَعَاً، كمَا سَتَعِيش الأَجْيَال المُقبلَة بنَا وَالمُسْتَقبل.

لمَن هَذِه الأَنْظمَة وَالقوَانِين الَّتي تَرتَكز عَلَيهَا السِّـيَاسَة؟ وَمَـتىٰ نَشَأت هَـذِه الأَديَان الَّتي شُيِّدَت لهَا المَعَابد وَالمَعَاهد، وَنَبَتت بذُورهَا وَأَيْنَعت فِي كُلّ قَـلْب حَتَّىٰ سيّرت الأُمَم وَالأَفرَاد فِي مَسَالكهَا الخَاصّة وَالعَامّة؟ وَأَيـن أَربَـاب هَـذِه الأُلُوف مِن الكُتب الَّتي فَرَضت نَفْسهَا عَلىٰ الكُـلّيَات وَالجَـامعَات؟ أَمَّـا مَـنْشَأ اللُّغَات وَتَطورهَا فَعِلمُها عِند رَبّي، فَأي مَادّة تَـقع عَـلَيهَا العَـين نَـجَت مِـن يَـد المَاضي! وَأي رُوح لَم تَستَرشد بحِكمَته وَتَهتَد بسنَائه! وَكَم حَوت كنُوز آبَـائنَا العَرب مِن جوَاهر الحِكـمَة، فَأَضَـاعهَا ورّاثـهَا الأَقـربُون وَاَنْـتَفع بـهَا الأَبَـاعد

الغَاصبُون، وَآتّخذُوا مِن ثمَارهَا وَسِيلَة إلَىٰ الكِبريَاء، وَالتّعاظم عَلَينا، وَهي لنَا وَمِن مِيرَاثنا الَّذي ذَهَلنا عَنْهُ حَتَّىٰ أَصْبَح فَرِيسَة الذِّئَاب.

قَرَأتُ فِي مَجلّة «المُختَار» كَلمَة بعُنوَان «أَطع هَذَا الحَافز» للدُّكتُور وليَم مُولتُون، وَهي عَلىٰ طُولهَا وَعَرضهَا تَتلَخص بجُملَة نَطَق بهَا أَحد أَبطَال الطَّف الَّذِين نَاصرُوا الحُسَين بن عَليّ. وَهُو عَابس بن أَبي شَبِيب البَطل العَربي، قَالهَا عِندَما رَأىٰ السُّيُوف، وَالرِّماح، وَالسِّهام، وَالأَحجَار تَنهَال وَتترَاكم عَلىٰ الحُسَين وَأَهْل بَيْته وَأَصْحَابه، فَأَججَّ هَذَا المَنظر فِي نَفْسهِ شُعلَة جَعَلت الدّمَاء تَشب فِي عُرُوقه كَاللَّهب المُضْطَرم، وَخُيّلَ إلَيهِ أَنَّ السَّماء وَالأَرْض قَد آستحَالتَا إلَىٰ دُخان وَرَمَاد، فَنَظر إلَىٰ مَولىٰ كَان مَعَهُ يُدعىٰ شَوذَباً[1]، وَنَادَاه يَا شَوذَب مَا فِي نَفْسك أَنْ تَصْنَع اليَوْم، قَالَ شَوذَب: أُقَاتل حَتَّىٰ أُقتَل دُون آبْن رَسُول الله، قَالَ عَابس ذَلِك الظَّن بِك - أَنَّه لاَ عَمَل بَعدَ اليَوْم -[2] حِكمَة بَالغَة لَيْس كمِثلهَا شَيء إلاَّ العَمَل بهَا، وَلَو قَالهَا غَربي لقَرَأتهَا فِي كُلّ صَحِيفَة وَسَمعتهَا مِن كُلّ لسَان، وَلكنَّه مِنَّا، وَعَربي مِثلنَا.

وَصَدق شَوذَب القَوْل بِالفِعل فقَاتَل حَتَّىٰ قُتل، ومَاذَا فَعَل عَابس الَّذي نَطَق بهَذِه الحِكمَة الخَالدَة - لاَ عَمَل بَعدَ اليَوْم - تَقَدَّم مِن الحُسَين وَقَالَ: أَمَا وَالله مَا أَمسىٰ عَلىٰ وَجْه الأَرْض قَرِيب أَو بَعِيد أَحبّ عَليّ مِنْك، وَلَو قَدرتُ أَنْ أَدفَع عَنْكَ القَتْل بشَيء أَعزّ عَليّ مِن نَفْسي لفَعَلت، ثُمَّ مَضىٰ إلَىٰ المَعْرَكَة فَعَرفَه رَجُل

---

(١) أُنظر، تَأرِيخ الطَّبَري: ٤/ ٣٣٨ و: ٥/ ٤٤٣ و ٤٤٤، مَقْتَل الحُسَين: ٢/ ٢٢، شَرح الأَخبَار: ٣/ ٢٤٩، الإِرشَاد للشَّيخ المُفِيد: ٢/ ١٠٥، إقبَال الأَعمَال: ٣/ ٧٩، بحَار الأَنوَار: ٤٥/ ٧٣، ٩٨/ ٢٧٣، مُعْجَم رِجَال الحَدِيث: ١٠/ ٤٥ رَقم «٥٧٦٤»، إعلاَم الوَرىٰ: ١/ ٤٦٤.

(٢) أُنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٤/ ٣٣٨، مَقتَل الحُسَين لأَبي مَخْنَف: ١٥٤.

مِن أَصحَاب ٱبْن سَعد يُدعىٰ رَبِيع بن تَمِيم، وَكَان شَاهدَه مَع الإِمَام عَلـيّ فِـي صِفِّين، وَرَأىٰ مِنْهُ الأَعَاجِيب، فَصَاح رَبِيع بأَصْحَابه: أَيُّها النَّاس هَذَا أَسد الأُسُود لاَ يَخرجنَّ إِلَيه أَحد، فَأَخذ عَابس يُنَادي أَلاَ رَجُل فهَابَه القَوم، فنَادىٰ ٱبْن سَعَد: وَيلَكُم ٱرضَخُوه بالحِجَارَة، فَٱنْهَالت عَلَيهِ مِن كُلّ جَانب، فَلَمَّا رَأىٰ عَابس ذَٰلِكَ أَلقىٰ دِرعَه وَمَغفره وَشدَّ عَليهِم؛ قَالَ رَبِيع رَأَيتَهُ واللهِ يَطرد أَمَامه أَكْثَر مِن مِئَتَين، ثُمَّ تَكَاثرُوا عَلَيهِ فَقَتلُوه، وَٱخْتَصم الجَيش فِي قَتله وَٱدّعَاه الجَمِيع، فَأَصلَح ٱبْن سَعَد بَيْنهُم بقَوله: هَذَا لَم يَقْتلهُ وَاحد، كُلّكُم قَاتِله، فَهَدأت الفِتْنَة[1].

قُتلَ عَابس وَضَحّىٰ بنَفْسه فِي سَبِيل مَبدئه وَإِحيَاء عَقِيدَته، وَمَات شَهِيد الحَقّ وَالفَضِيلَة، وَبَلغ بعَمل سَاعَة مَا لَم يَبلغهُ غَيره بعَمل الدَّهر كُلّه، وَحَاول ٱبْن سَعد أَنْ يَصرَع الأَقمَار بِالأَحجَار فهَوت عَلىٰ رَأسه وَقَلبه، تَرْجمهُ بهَا يَد التَّارِيخ مَا وَجد لهُ قَارئاً أَو سَامعاً.

أَنَّ نِدَاء ـ لاَ عَمَل بَعدَ اليَوْم ـ هُو الشّعَار الوَحِيد الَّذي يُعبّر عَن مَـبدَأ شُـهدَاء الطَّفّ وَعَقِيدتهِم الَّتي مِن أَجْـلهَا نَـصَبُوا مُـهَجهُم هَـدفاً للسّـهَام وَالرِّمَـاح دُون الحُسَين، وَهل تُجدي الأَعمَال كُلّها بَعد قَتل الحُسَين! إِذَن العَمل كلّه فِـي هَـذَا اليَوْم بَل فِي هَذِه اللَّحظَة الَّتي مَا زَال الحُسَين فِيهَا حَيّاً.

وَقَد نَدم التَّوابُون بَعد قَتل الحُسَين عَلىٰ تَركهِم نُصرَته، فَنَهضُوا وَثَارُوا وَقتلُوا، وَلَكن عَملوا بَعد قَتل الحُسَين، وَلاَ عَمل بَعد قَـتله إِلاَّ الحَسـرَة وَالتَّـلهف، قَـالَ

---

(١) أُنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٥ / ٣٥٥ و ٤٤٣، مَقْتل الحُسَين للـخوَارزمـي: ١ / ١٩٧، شَـرح الأَخـبَار: ٣ / ٢٤٩، مُعْجَم رِجَال الحَدِيث: ١٠ / ١٩٣ رَقم «٦٠٥٢»، رِجَال الطُّوسي: ٢٠٣، البِدَايَة وَالنّهايَة: ٨ / ٢٠٠، مُثِير الأَحزَان: ٢١.

شَاعرهُم عَبدالله بن الحُرّ(١):

فَـيَالَكِ حَسـرَة مَـا دُمتُ حَـيّاً ... تُـرَدّد بَـيْنَ حَـلقي وَالتَّـرَاقـي

فَـلَو فَـلَق التَّـلهف قَـلْب حَـيّ ... لهَـمّ اليَـوْم قَـلْبي بـإنْفلاَق

فَقْد فَـاز الأُلىٰ نَـصرُوا حُسَـيناً ... وَخَاب الآخرُون أُولُوا النِّفَاق(٢)

وَهَذَا تَفْسِير قَول أَبي الشُّهدَاء ـ فَإنّي لاَ أَرىٰ المَوْت إلاَّ سَعادَةً، وَالحَـيَاة مَـعَ

---

(١) أنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٥ / ٤٦٩ ـ ٤٧٠. لعَلَّ مِن أَصدَق النَّمَاذج الَّتي حَفَظهَا لنَا تَأرِيخ تِلك الفَـتْرَة قَول عُبَيدالله بن الحرّ، الَّذي فرَّ مِن الكُوفَة حِين اَتّهمهُ عُبيدالله بن زِيَاد بِعَدم الوِلاَء للسُّلطَة، وَقَدِم إلىٰ كَرْبلاَء، فَنَظر إلىٰ مصَارع الشُّهدَاء وَقَال:

يَـقُول أَمِـير غَـادِر حَـقّ غَـادِر ... أَلاَ كُنتَ قَـاتَلتَ الشَّـهِيد بـن فَـاطِمَة

فَـيَا نَـدَمي أَلاَّ أَكُـون نَـصَرتَه ... أَلاَ كُـلّ نَـفْسٍ لاَ تُسَـدد نَـادِمة

وَإنّـي لأنَّـي لَـم أَكُـن مِـن حُـمَاته ... لذُو حَسـرَة مَـا إنْ تُـفَارق لاَزِمـة

سَـقىٰ الله أَروَاح الَّـذِين تَأزْروا ... عَلىٰ نَـصره سُـقياً مِـن الغَـيث دَائِـمَة

وَقَـفتُ عَـلىٰ أجدَاثـهم وَمجَالَهُم ... فَكَاد الحَشىٰ يَنْفض وَالعَـين سَـاجِمَة

لعَمرِي لَقَدْ كَانُوا مصَالِيت فِي الوَغـىٰ ... سُرَاعَـاً إلىٰ الهَـيجَا حُـمَاة خـضَارِمَة

تَآسُـوا عَـلىٰ نَـصر ابْـن بِـنت نَـبيّهُم ... بِأَسـيَافِهم آسَـاد غِـيل ضَـرَاغِـمَة

فَـإنْ يُـقتَلُوا فَكـلّ نَـفْس تَـقِيَة ... عَلىٰ الأَرْض قَد أَضْحَت لذَلِكَ وَاجِمَة

وَمَـا إنْ رَأىٰ الرَّاؤون أَفْـضَل مِـنْهُم ... لدَىٰ المَوْت سَادَات وَزُهـرَاً قَـمَاقِمة

أَتَـقْتلهُم ظُـلماً وَتَـرجُـو وِدَادنَـا ... فَـدَع خِـطَة لَـيْسَت لنَـا بِـمُلاَئِمَة

لعَـمرِي لَـقَدْ رَاغـمتمُونَا بِـقَتلِهم ... فَكَـم نَـاقِم مـنَّا عَـلَيكُم وَنَـاقِمة

أَهُـم مِـرَاراً أَنْ أَسِـير بِـجَحفَل ... إلىٰ فِـئَة زَاغَت عَـن الحَـقّ ظَـالِمَة

فَكـفُوا وَإلاَّ زُرتكُـم بِكـتَائِب ... أَشدّ عَلَيكُم مِـن زحُـوف الدَّيَـالمَة

أُنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٣/ ٦٣ و: ٤/ ٣٦٠ و: ٥/ ٤٦٩، البدَاية وَالنّهاية: ٨ / ٢٢٩، مَقْتل الحُسـين لِابي مِخْنف: ٢٤٥، تَأرِيخ دِمَشق: ٢٧ / ٤٣٠.

(٢) أنظر، خُزَانَة الأَدَب: ٢ / ١٥٧، الأَخبَار الطّوَال: ٢٦٢، تَرجَمَة الإمَام الحُسَين مِن الطَّبقَات الكُبرىٰ لِابن سَعَد: ٩٤.

الظَّالِمِيْنَ إلاَّ بَرَماً»[١] ـ لَمْ يَستَفد مِن هَذَا الدَّرس الَّذي هُو أَبلَغ دُرُوس الحَيَاة، سِوىٰ أَبطَال الطَّفّ الَّذِين تَسَابقُوا إِلَىٰ المَوت بَيْنَ يَدي الحَقّ، وَالفَضِيلَة فَرِحِين مُسْتَبشرِين.

وَبَيْنَ هَؤلاَء الأَبْطَال شَبَه كَبِير مِن الوجْهَة النَّفسيَّة؛ فَدَرس بَعْضهُم يُوقفنَا عَلىٰ حَقِيقَة البَاقِين لاَ نَسْتَثني مِنْهُم سِوىٰ رَجل وَاحد، هُو الضَّحاك آبْن عَبدالله المَشرقي، فَإِنّه لاَزَم الحُسَين مِن أَوّل يَوْم حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَبق مَع الإِمَام إلاَّ آثْنَان الضَّحاك ثَالثهُم، آستَأذن الحُسَين فَأَذن لهُ فَرَكب فَرَسهُ وَنَجَا، حَاول الضَّحاك أَنْ يُلاَئم بَيْنَ إِرَادة الحَيَاة وَآحْتِرَام العَقِيدَة، وَأَنْ تُسَالم كُلّ وَاحدَة جَارتهَا، وَلمَّا وَقَع بَيْنهَا العدَاء الصِّراع قَدَّم مَصَالحه الشَّخصيَّة عَلىٰ عَقِيدَته[٢]، عَلىٰ عَكْس النَّتِيجَة الَّتي آنْتَهىٰ إِلَيهَا الحرّ الرِّيَاحي[٣].

تَطَوع الحُرّ بن يَزِيد الرِّيَاحي فِي جَيْش آبْن زِيَاد لحَرب الحُسَين، وَلمَّا أَيقَن أَنَّ الحُسَين مَقْتُول لاَ محَالة آنْسحَب مِن جَيْش الكُوفَة وَصَحب مَعَهُ وَلدَه الشَّاب بُكَير وَآنْضمَّا إِلَىٰ الإِمَام وَقُتلا مَعاً بَيْنَ يَدَيه، لقَد كَان فِي الحُرّ حُنكَة وَمرُوَنَة إِلَىٰ جَانب إِيمَانه القَوي، فَحَاول أَنْ يُوَلّف بَيْنَ إِيمَانه وَتَقلبَات البِيئَة وَالظّرُوف، فَقَال

---

(١) تَقَدَّمت تَخْرِيجَاته.

(٢) أُنظر، تَأْرِيخ الطَّبَري: ٥/ ٤١٨ و ٤٤٥ و ٤٢٢ وفِي ٤٣٦ و: ٤/ ٣٢٠، مَقْتَل الحُسَين لأَبي مَخْنَف: ١١٣، الإِرشَاد للشَّيخ المُفِيد: ٢/ ٩٥، الأَخبَار الطّوَال: ٢٥٦.

(٣) أُنظر، جَمْهرَة أَنسَاب العَرب لِابْن حَزم: ٢١٥، مَقْتَل الحُسَين لأَبـي مَـخْنَف: ٨٢، مَـقْتَل الحُسَين للخوَارزمي: ١/ ٢٣٠، الكَامل فِي التَّأْرِيخ: ٢/ ٥٥١، البِدَاية وَالنّهَايَة: ٨/ ١٦٨، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة: ٢/ ١١، تَأْرِيخ الطَّبري: ٤/ ٣٠٢، الأَخبَار الطّوَال للدِّينوري: ٢٤٨ـ ٢٥٣، أَنسَاب الأَشرَاف: ١٦٩ـ ١٧٦، الفُتُوح لِابْن أَعثَم: ٣/ ٨٥.

فِي نَفْسه ـ أُصَانع القَوم بمَا لاَ يَنْفَعهُم وَلاَ يَضرّ الحُسَين كِي لاَ يَظنُوا أَنّي خَرَجتُ مِن طَاعَة ـ وَلمَّا ٱمْتَنع عَلَيهِ الوئَام بَيْنَ إِحيَاء العَقِيدَة وَإِرَادَة الحَيَاه ٱستجَاب إِلَىٰ صَوت ضَمِيرَه الحَي وَقَام بوَاجب الحَقّ فَضحّىٰ بحَيَاته وَحَيَاة وَلَده فِي سَبِيل إِحيَاء إِيمَانه الصَّادِق.

قَدَّم الحُرّ عَقِيدَته عَلىٰ حَيَاته، وَقَدَّم الضَّحاك حَيَاته عَلىٰ عَقِيدَته، وَلَم يَكُن هَذَا الفَارق الوَحِيد بَيْنَ الرَّجلَين، فَقَدْ بَعَثَ مَنْظَر القَتْل، وَالقَتلىٰ فِي نَفس الحُرّ الشَّجَاعَة وَالْإِقدَام عَلىٰ المَوت، بَينمَا بَعَث فِي نَفْس الضَّحاك الجُبن لذَىٰ أَدّىٰ بِهِ إِلَىٰ الهَزِيمَة وَالفرَار. فَرَّ الضَّحاك رَغبَة فِي البقَاء عَلىٰ نَفْسهِ وَأَهْله، وَقَدَّم الحُرّ وَلَده الشَّاب إِلَىٰ المَذبحَة طَيّب النَّفس، وَلمَّا رَآهُ قَتِيلاً يَتَخبط بدَمه قَالَ: الحَمْد لله يَا بُني الَّذي نَجّاك مِن القَوم الظَّالِمين، وَمَنَّ عَلَيك بالشّهادَة بَيْنَ يَدي إِمَامك.

أَنَّ تَطوع الحُرّ فِي جَيْش ٱبْن زيَاد وَموقفه مِن الحُسَين بَادىء ذِي بَدء لاَ يَدل عَلىٰ عَقِيدَته وَدَخيلَة نَفْسه السَّامِيَة، كمَا أَنَّ ٱنضمَام الضَّحاك إِلَىٰ الْإِمَام مُنذ اللَّحظَة الأُولىٰ إِلَىٰ قُرب الشَّوط الأَخِير لاَ يُنبيء عَن زُهدَه فِي الشَّهادة لأَجل الحَقّ، بَل يُشعر بالْإِقدَام وَالتَّضحيَة.

مِن هَذِه المُقَارنَة يُدرك البَصِير أَنَّ ثَوب الوَطَنيَة وَالطَّنطنَة وَالتَّهوِيل، لاَ يَدل عَلىٰ الْإِخلاَص وَالتَّضحيَة، كمَا أَنَّ الهُدُوء وَعَدَم الثَّرثَرة وَالتَّشدق بالأَلفَاظ الفَارغَة لاَ تَكْشف عَن الخِيَانَة وَالجُبن وَلَكن:

إِذَا ٱشْتَبَكت[1] دمُوع فِي خُدُودٍ ... تَبين مَن بَكىٰ مِمَّن تَبَاكىٰ[2]

---

(١) فِي بَعْض المَصَادر (ٱنْسَكبَت) وَفِي البَعْض (ٱشتَبهت) وَفِي البَعض (ٱشتَبكت).

(٢) يُنْسَب هَذَا الشّعر تَارَة إِلىٰ حَكيم مِن حُكمَاء العَرب كمَا فِي تَفْسِير القُرطبي: ٨/ ٢٣٠، وَتَارَة إِلَىٰ

مَا أَحبَّ البَاطِل شَابَّاً وَ لاَ كَهْلاً

فِي لَيلَة العَاشر مِن المُحرّم، ضُرب للحُسَين عليه السلام فُسطَاط، ليُطلي بِالمِسك وَالنُّورَة، وَلمَّا دَخَله وَقَف بُرَير بن خُضَير الهَمدَاني، وَعَبدالرَّحمن ابْن عَبد رَبّه الأَنْصَاري تَخْتَلف مناكبهُما، يَتضَايقَان، لِيَسبق كُلّ وَاحد صَاحِبه إِلَىٰ فَاضل المِسك، فيَفُوز بمَا لَمَسته أَنَامل الطُّهر وَالقَدَاسَة، فيَعبق نَشرَه مَع نَشر الدَّم الزَّكي، دَم الشَّهادَة وَالتَّضحيَة، قَالَ رَاوي الحَدِيث: فَأَخَذَ بُرَير يُهَازل عَبدالرَّحمن وَيُضَاحكهُ فَأَجَابه عَبدالرَّحمن دَعنَا، فوَالله مَا هَذِه بسَاعَة بَاطل.

قَالَ بُرَير: وَالله لقَد عَلِم قَومي أَنّي مَا أَحببتُ البَاطِل شَابَّاً وَلاَ كَهلاً[1]. وَلَكنّي لمُسْتَبشر بمَا نَحنُ لاَقُون، وَالله مَا بَيننَا وبَيْنَ الحُور العِين إِلاَّ أَنْ يمِيل علَينَا هَؤلاَء بأَسيَافهِم، وَوَدّدت أَنَّهُم مَالُوا عَلَينَا السَّاعَة[2].

أَنَّ البَاطِل فِي عُرف القُدّيسِين مِثْل عَبدالرَّحمن وَبُرَير أَنْ يَختَار الإِنْسَان الحَسَن مَع القُدرَة عَلَىٰ الأَحسَن، فَذِكر الله فِي هَذِه السَّاعَة الَّتي هِي أَشبَه مَا تَكُون

↔ المُتنَبي كمَا فِي الدّيوَان: ٥٨٦، وَتَارَة ثَالثَة إِلَىٰ الشَّريف المُرتَضي كمَا فِي التَّرجمَة.

(١) أُنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٤ / ٣٢١، البدَايَة وَالنّهايَة: ٨ / ١٩٣، مقتَل الحُسَين لأَبي مَخْنَف: ١١٥.

(٢) أُنظر، تَأرِيخ الطَّبَري: ٥ / ٤٢١ و ٤٢٣، الفُتُوح لِابن أَعْثَم: ٣ / ١٠٦، الكَامل لِابْن الأَثِير: ٤ / ٣٧، مَقتَل الحُسَين لأَبي مَخْنَف: ١١٢.

بسَاعَة النّزع وَتَسلِيم الرُّوح خَير مِن الدّعَابَة، وَالبُكَاء أَوْلَىٰ مِن الإِبْتسَام، وَمَا كَان عَبدالرَّحمن يَجْهَل بُرَيراً. كَيف وَقَد تَخرجَا مِن مَدرسَة وَاحدَة عَلَىٰ مُعَلم وَاحد، عَلَىٰ سَيِّد الوَصيِّين وَإِمَام المُتّقِين الَّذي كَان يُلقّنهُم دُرُوس الكَمَال بأَفعَاله قَبل أَقوَاله، وَيُعلمهُم أَنَّ الإِستخفَاف بصَغِير الذُّنُوب مِن أَكبَر الذّنُوب، لأَنَّهُ ٱستخفَاف بِاللهِ، وَشَرَائعهِ، وَقوَانيه!.

لَم تَكُن تِلك الدُّرُوس الَّتي تَلقَّاهَا بُرَير وَعَبدالرَّحمن عَن المُعلم الأَعْظَم أَلفَاظاً تَذْرُوهَا الرِّيَاح، وَأَصوَاتاً لاَ تَتجَاوز الآذَان، بَل هِي بذُور تُغرس فِي النَّفس فَتَحيَا وتَنمُو إِلَىٰ أَنْ تَصْبَح غَرَائز وَمَلكَات تُحرك أَربَابهَا، وَتَقُودهُم إِلَىٰ مَرضَاة الله وَرضوَانه.

لقَد عَرف عَبدالرَّحمن بُرَيراً كَهْلاً وَمَا عَرفهُ شَابّاً، وَالشَّبَاب مَظنَّة الوقُوع فِي الخَطَايَا، فَنَفىٰ بُرَير الطَّيب الَّذي لَم يَلغ فِي حَيَاته كُلّها بأَلفَاظ اللَّهو وَالعَبَث، نَفىٰ عَن نَفْسه هَذِه المَظنَّة بحُجّة لاَ تُعادلهَا حُجّة فِي القُوّة وَالصِّدق ـ وَالله لقَد عَلم قَومي أَنّي مَا أَحببَتُ البَاطل شَابّاً وَلاَ كَهْلاً ـ وَأَي حُجّة أَقوىٰ فِي الدّلاَلَة، وَأَصدَق فِي الشَّهادَة عَلَىٰ سَير الإِنْسَان وَسلُوكه مِن شهَادَة قَومه وَعَشيرَته الَّذين صَاحبُوه كَبيراً وَصَغِيراً، وَخَالطُوه غَنيّاً وَفَقيراً، وَرَؤوا أَفعَاله، وَسَمعُوا أَقوَاله فِي جَمِيع أَطوَاره وَأَدوَارَه فِي سرّه وَعَلاَنِيَته، وَرضَاه وَغَضبَه، وَحُزنه وَسُرُوره، وَنَعِيمَه وبُؤسه، لقَد تَمَكن بُرَير مِن نَفْسه وَتَغلب عَلَىٰ شَهوَاته فِي دَور شَبَابه، دَور طفُولَة العَقل، وَالإِسْتسلاَم إِلَىٰ المَلذَات وَالأَهوَاء، فَهو كَامل فِي شَبَابه، كَامل فِي كهُولَته، لَم يَرتَكب مُنكَراً وَلَم يَقْتَرف سَيئَة لاَ أَوّلاً وَلاَ آخراً. وَمَا أَحبَّ بَاطِلاً أَلبَتَة، وَهَؤلاَء قَومه وَعَارفُوه، يَشْهَد كَبِيرهُم وَصَغيرهُم أَنَّهُ مُنذ صِغَره ٱهتَدىٰ إِلَىٰ

سَبِيل الرُّشد وَالسَّداد، يَسْتَبق الخَيرَات، وَيُسَارع إِلَىٰ المَكرمَات، يُنَاصر الحَقّ وَالعَدَالَة، وَيُحَارب الظُّلم وَالعُدوَان. وَمِن أَقوَاله وَهُو فِي مَعْرِكَة الطَّفّ [١]:

يُعْرَف فِينَا الخَير أَهْل الخَير أَضربكُم وَلاَ أَرىٰ مِن ضَير

كَذَلِكَ فِعْل الخَير مِن بُـرَير وَكُـلّ خَـير فَـلَهُ بُـرَير

لَقَد اُرتَكز حبّه الخَير، وَبُغضَه الشَّر عَلىٰ إِيمَانه القَوي، وَعَقِيدَته فِي شَخصيتَه، وَثَبَاته فِي عَزْمِهِ، وَثقَته مِن مَقْدرَته وَشَجَاعَته.

كَان بُرَير يَوْم الطَّفّ كُلَّما تَكرّرت الفَظَائِع مِن العَدوّ يَقِف مُنذرَاً وَمُحذرَاً عَاقبزة البَغي مُذكرَاً باللهِ تَعَالىٰ وأَهْل بَيْت الرَّسُول ﷺ بقَولٍ لَينٍ خَفِيف عَلىٰ النُّفُوس وَالأَسمَاع، فَمَا فَاه بكَلمَة فِي مَوقف يُشْعِر بهجرٍ أَو فُحش.

فَكَان فِي مواقفِهِ كُلّها مُتّزناً فِي أَقوَاله، كَاظمَاً لغَيظه، مُعْتصمَاً بالصَّبر وَالأَنَاة، لذَلِكَ عِندَما أَكثَر عَلَيهم القَوْل لَم يَزيدُوا فِي جوَابه حَرفَاً عَلىٰ قَولِهِم: «لَقَد أَكثَرتَ الكَلاَم يَا بُرَير».

قَالَ لهُم فِي مَوقف: «يَا قَوم اُتّقوا الله فَإِنَّ ثُقل مُحَمَّد ﷺ قَد أَصْبَح بَيْنَ أَظهركُم»، وَقَالَ فِي مَوقفٍ ثَان: «أَفجزَاء مُحَمَّد هَذَا؟!»، وَفِي ثَالِثٍ: «لاَ أَفْلَح قَوم ضَيعُوا اُبْن بِنْت نَبّيهم، أُفٍ لهُم غدَاً» [٢].

وَلمَّا حَمل جَيْش البَغي عَلىٰ الحُسَين وَأَصْحَابه عليهم السلام اُنقَّض عَلَيهم بُرَير كَالصَّاعقَة يُفريهم بسَيفه وَيَقُول: «أَضربكُم وَلاَ أَرىٰ مِن ضَير» [٣].

---

(١) أُنظر، مَنَاقب آل أَبي طَالب: ٣ / ٢٥٠.

(٢) أُنظر، أَمَالي الشَّيخ الصَّدُوق: ٢٢٢، بحَار الأَنوَار: ٤٤ / ٣٨٣ و: ٤٥ / ٥.

(٣) تَقدَّمت تخرِيجَاته.

هَذِه أَلفَاظه، وهَذَا أُسلُوبه، وَخطَابه مَع قَوم مَا وَضعت أَلفَاظ السُّباب وَاللَّعن إلاَّ للدَّلاَلَة عَلىٰ خساستهِم. إنَّ تِلْكَ الفَظَائع لَم تَخْلق مِن بُرَير رَجُلاً غير بُرَير، فَهُو هُو ذَاك الوَادع المُتوَاضع، وَالزَّاهد الخَاشع الدَّاعي إلَىٰ سَبيل رَبّه بِالحِكمَة وَالمَوعظَة الحَسنَة، وإذَا كَان بُرَير عَظِيماً فَكَيف يُفوّه بالحَقِير الَّذي يَسْتَطِيع النّطق بِهِ الطِّفْل الصَّغير، وَالمَرأة الضَّعيفَة، وَالسَّفيه الفَاجر، إذَا كَان بُرَير عَظِيماً فَليَدع الكَلاَم للسَّيف وَحده. بَرَز بُرَير لقتَال جَيْش الظَّلاَم وبَيْنَ جَنْبَيه قَلْب يَستَبشر بالمَوت اَستبشَاره بعنَاق الحُور العِين، فَلَم يُدن أَحد مِنْهُ لشَجَاعتهِ وَهَيبته، فكَان يَحْمل عَلىٰ الأَعدَاء وَيَفرُون مِن بَيْنَ يَدَيه خَشيَة مِن لقَائهِ، فَيُنَاديهِم اَقتَربُوا مِنّي يَا قَتَلة المُؤمِنين، اَقترَبُوا مِنّي يَا قَتَلة أَولاَد رَسُول رَبّ العَالمِين، وَلمَّا عَجزُوا عَن مُقَاومَته وَجْهَاً لوَجْه اَغتَاله كَعب بن جَابر بطَعنَة رُمح فِي ظَهرهِ، بَعد أَنْ قَتَل مِنْهُم ثَلاَثِين رَجُلاً، فَأَودَت الطَّعنَة بحيَاته الطَّاهِرَة الزَّكية الَّتي شَهد لصَاحبهَا الرِّجَال وَالنِّسَاء مِن قَومهِ وَعَارفيهِ أَنَّهُ مَا عَرَف البَاطِل شَابّاً وَلاَ كَهْلاً؛ قَالَ بَعْض مَن أَعَان عَلىٰ الحُسَين عليه السلام لكَعب عِندَما رَآه قَاصد اَغْتيَال بُرَير: وَيْلَك هَذَا الَّذي كَان يُعلمنَا القُرآن[١]، وَأَقسَمت زَوّجَته لدىٰ رجُوعه إلَيهَا أَنْ لاَ تُكلمه أَبداً[٢]. لقَد لَبّىٰ بُرَير

---

(١) أُنظر، مَقْتَل الحُسَين للخوَارزمي: ١ / ٢٤٨ وَلَكن بِلَفظ «بُرَيْر بن خُضَيْر» بَدل «يَزِيد بن الحُصَيْن» كمَا جَاء فِي الفُصُول المُهمَّة لِابْن الصَّباغ المَالكي: ٢ / ١٤٤، بِتَحقِّيقنا. وَكَان مِن الزُّهّاد الَّذِين يَصُومُون النَّهار وَيقُومُون اللَّيل، فَقَال: يَابن رَسُول الله إئذَن لِي أَنْ آتي هَذَا الفَاسق عُمر بن سَعد فَأَعظهُ لعَلّهُ يَتّعظ وَيرتَدع عَمّا هُو عَلَيه، فَقَال الحُسَين: ذَاك إلَيك يَابُرَيْر، فَذَهب إلَيه حتّىٰ دَخَل عَلىٰ خَيمَته فَجَلس وَلَم يَسلّم، فَغَضب عُمَر وَقَال: يَا أَخَا هَمدَان مَا مَنْعَك مِن السَّلام عَليَّ أَلستُ مُسلماً أَعرف الله وَرسُوله وَأشهد بشَهادَة الحَقّ؟ فَقَال لهُ بُرَيْر: لَو كُنتُ عَرفت الله وَرسُوله كمَا تَقول لمَا خَرجت إلىٰ عِترَة رَسُول الله تُريد قَتْلهُم، وَبَعد فَهَذا الفُرات يَلوح بصَفَائه وَيزلج كَأنّه بطُون الحَيَّات تَشرب مِنْهُ كِلاَب
↔

دَعوَة رَبّه وَقَدَّم حيَاته قُربَاناً بَيْنَ يَدي الله وَرَسُوله ، وَفَاز بكَرَامَة الدُّنْيا وَالآخرَة . وذَلِكَ هُو الفوز العَظِيم .

السّواد وَخنَازيرهَا....

أُنظر ، الفُتُوح لِابن أَعْثَم : ٣/ ١٠٦ وزَاد فَأَطرَق عُمر بن سَعد سَاعَةً إِلىٰ الأَرض ثُمّ رَفع رَأْسَه وَقَال : إِنّي والله أَعْلمه يَابُرَيْر عِلماً يَقِيناً أَنّ كُلّ مَن قَاتلهُم وَغَصبهُم عَلىٰ حقُوقِهِم فِي النَّار لاَ مُحَالة ، وَلَكن وَيْحَك يَا بُرَيْر ! أَتُشِير عَليَّ أَنْ أَترك وِلاَية الرَّي فَتَصير لغَيري ؟ مَا أَجد نَفْسي تُجيبُني إِلىٰ ذَلِكَ أَبداً . . . وَمِثلهُ فِي الكَامل لِابن الأَثِير : ٤ / ٣٧ بِلَفظ « بُرَيْر » . وَمِثلهُ فِي أَمَالي الصَّدوق : ٩٦ مَجْلس ٣٠ طَبعَة أَوّل ، تَأرِيخ الفُتُوح التَّرجمَة الفَارسيَة : ٣٨٠ ، مُنْتهىٰ الآمَال : ١ / ٦٢٩ بِلَفظ « بُرَيْر بن خُضَيْر » اللُّهُوف فِي قَتلىٰ الطَّفُوف : ٩٥ ، المَقْتل لسَيّد عَبد الرَّزاق المُقرّم : ٢٣٢ ، تَأرِيخ الطَّبري : ٦ / ٢٤٣ ، و : ٢٤٠ طَبعَة آخر ، ٤ / ٣٢٠ بِلَفظ « بُرَيْر بن حُضَير » و : ٥ / ٢٤١ طَبعَة آخر ، بحَار الأَنوَار : ٤٥ / ٤ و ٥ و ١٥ ، عوَالم العُلوم للشَّيخ عَبد الله البَحرَاني الإِصفهَاني : ١٧ / ٢٣٣ ، مَقتَل الحُسَين لأَبي مَخْنَف : ١١٢ بِلَفظ « حُضَير » .

(٢) كَعب بن جَابر : أَحد جنُود الجَيش الأُموي ، قَالَت لهُ زَوجَته أَو أُختَه لمَّا رَجع مِن المَعْرَكَة : « أَعَنتَ عَلىٰ أبن فَاطِمة ، وَقَتَلت سيِّد القُرّاء ، لَقَدْ أَتيت عَظِيماً مِن الأَمر ، وَالله لاَ أُكلمُك مِن رَأسي كَلِمَة أَبداً » فَأَجابهَا بِشعر يَفْتَخر فِيهِ بِفعلَه تَضمَّن بيتاً يَذْكُر فِيهِ أَنّه أَنْقَذر رَضي بن مُنْقذ مِن القَتل حِين أَعَانه عَلىٰ خَصْمه فِي المَعْرَكَة :

قَتَلتُ بُرِيراً ، ثُمَّ حَمَلتُ نِعمَة ... أَبَا مُنْقذ لمَّا دَعَا : مَن يُمَاصِع

وَنُلفِت النَّظر إِلىٰ عَقِيدة الجَبر الظَّاهرة عِنْدَ رَضي بن مُنقذ العَبدي فِي البَيْت الأَوّل فِي قَوله (لَو شَاء رَبِّي مَا شَهدت قِتَالَهُم) ، أُنظر ، تأرِيخ الطَّبري : ٥ / ٤٣٢ ـ ٤٣٣ .

السَّيِّدَةُ زَيْنَب رَمْزٌ لشَيء عَمِيق الدَّلاَلَة

يَحْتَفل المَصْريُون فِي كُلّ عَام بمُولد السَّيِّدَة زَيْنَب[1]، وَتَجْتَمع الحُشُود لهَـذِه الغَايَة فِي مَسْجدهَا بِالْأُلُوف، وَكَتَب مُحرّر مَجلَة «الغَـد» مَـقَالاً خَـاصَّاً بـهَذِه المُناسبَة عَن السَّيِّدَة، قَالَ:

«طُوَال ثَلاَثَة أَسَابِيع فِي الشَّهر المَاضي، وَكَانَت حشُود مِن الرِّجَال، وَالنِّسَاء، وَالْأَطْفَال تَتَّجه إِلَىٰ حَيّ السَّيِّدَة، وَتَظل تِلكَ الحشُود الكَبِيرَة سَاهِرَة رَغم البَـرد الشَّدِيد حَتَّىٰ الفَجر، وَسَط الْأَنوَار الزَّاهِيَة أُلُوف مِن النَّاس تَسْتَمتع فِعلاً بالمَولد الكَبِير لبَطَلَة كَرْبُلاَء... زَيْنَب أُخت شَهِيد الْإِسلاَم الخَالد الحُسَين بن عَليّ.

وَفِي السَّرادقَات، وَالمقَاهي المُتنَقلَة، وَحَول السّيرك وَالمَلاَهي، تَرتَفع دَقَّات الدُّفُوف وَنَغمَات الرَّبَابَة، وَإِيقَاع الطُّبُول، وَأَصوَات المُطرِبين وَالمُنشدِين، وَتَهتز

---

(١) السَّيِّدة زَيْنَب بِنْت الإِمَام عَليّ عليه السلام أُمّها: فَاطِمَة الزَّهرَاء بِنْت رَسُول الله صلى الله عليه وآله، فَهي شَـقِيقَة الحَسَـن، والحُسَين عليهما السلام. تَزوّجهَا اَبن عَمّها عَبدالله بن جَعْفَر الطَّيَّار ذِي الجنَاحَين بن أَبِي طَـالِب، وَوَلدت لهُ عَليّاً، وَعَوناً وَيُدعىٰ بِالأَكبَر، وَعبَّاساً، ومُحمَّداً، وَأُمّ كُلثُوم. وَذُرّيَّتهَا مَوجُودة إِلَىٰ الْآن بِكَثرَة.

أُنظر، السِّيرَة لِابن إِسحَاق: ٢٢٦، صَحِيح البُخَاري: ٣/ ١٣٦٠ ح ٣٥٠٦ و: ٤/ ١٥٥٥ ح ٤٠١٦ و: ٥/ ٢٤، تَهذِيب الكَمَال: ١٤/ ٣٦٩، الإِسْتِيعَاب: ١/ ٢٤٢، الطَّبَقَات الْكُـبْرَىٰ: ٤/ ٣٩، الْإِصَـابَة: ١/ ٤٨٧، تَهذِيب الأَسمَاء: ١/ ١٥٥، التَّـرغِيب والتَّـرهِيب: ٢/ ٢٠٦ ح ٢١١٧، مَـجْمَع الزّوائـد: ٩/ ٢٧٣، المُعْجَم الْكَبِير: ٢/ ١٠٧ ح ١٤٦٧ و: ١١/ ٣٦٢ ح ١٢٠٢٠، أَنسَاب الْأَشرَاف: ٢/ ١٨٩، تَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢/ ٢١٣، تَأرِيخ الطَّبري: ٥/ ١٥٣.

القُلوب وَتَمتلىء بالبَهجَة العَرِيضَة... وَتَرتَفع الأَصوَات مِن حنَاجر الأُلُوف مُمتلئَة بالحُبّ الحَقِيقي تُنَادي: «يَا رَئِيسَة الدِّيوَان»...!

أَنَّ السَّيِّدَة زَيْنَب «رَئِيسَة الدِّيوَان» رَمْز لشَيء عَمِيق الدَّلاَلَة، أَنَّها المَرأَة البَاسلَة الشّجَاعَة الَّتي ظَلّت تُضمّد جرَاح الرِّجَال فِي مَعْركَة كَرْبُلاَء مِن أَبْنَاء بَيْت الرَّسُول وَأَتبَاع الحُسَين، حَتَّىٰ سَقطُوا جَمِيعَاً صَرعىٰ بَيْنَ يَدَيها.

لَمْ يَرهبهَا جنُود «يَزِيد بن مُعَاويَة» الأَنْذَال السَّفَّاحُون، الَّذِين آقتَلع حُكم يَزِيد البَاطش المُطلق مِن نفُوسهِم آخر خَيط يَربطهُم بِالإِنْسَانيَّة... فكَانُوا يَقطعُون بسيُوفهِم رِقَاب الأَطْفَال أَمَام السَّيِّدَة زَيْنَب، وَرَأتهُم يَبقرُون بَطن غُلاَم مِن أَبنَاء الحُسَين، فَلَم يَزدهَا ذَلِكَ إِلاَّ بسَالَة وَتماسكاً وَرَغبَة فِي النَّصر.

وَرَأت أَخَاها العَظِيم البَاسل «الحُسَين بن عَليّ» وَقَد وَقَف بمُفرَدهِ أَمَام جنُود يَزِيد وَهُو يَرفض التَّسلِيم وَرَاح يُقَاتلهُم بَعد أَنْ آستُشهد كُلّ أَتبَاعه وَأَهْله... مَا عَدَا وَلدهُ زَين العَابدِين الَّذي كَان مَريضاً، وَنَائِمَاً فِي حِضن عَمّته «زَيْنَب» فَتركُوه ظَنّاً مِنْهُم أَنَّه سَيلفظ أَنْفَاسه الأَخِيرَة مِن المَرض... لَكنّه عَاش... وكَان شَوكَة فِي جَنْب الدَّولَة الأُمويَّة، تِلْكَ الدَّولة الَّتي أَقَامهَا مُعَاويَة بِالدَّس وَالشَّر، وَالتَّنكُر لأَعظَم مَبَادىء الإِنْسَانيَّة فِي ذَلِكَ الزَّمَان... لرسَالَة مُحمَّد رَسُول الله صلى الله عليه وآله.

وَآنْدَفعت زَيْنَب مِن خبَائِها نَحو أَخِيها... حَاسرَة الرَّأس مُلتَاعَة، وَزَعقَت بكُلّ قوَاها... وَاحُسيناه... ثُمَّ سَقَط مُغمىً عَلَيهَا مِن الحُزن العَمِيق...

كَانَت تَرىٰ فِي نهَايَة الحُسَين، آنْهيَاراً لبنَاء هَائِل كَبِير أَقَامهُ جدّها النَّبيّ فِي طُول الأَرْض وَعَرضهَا، ليُخلّص البَشريَّة مِن آنْحطَاطهَا وَآنْدفَاعها نَحو الفُوضىٰ

وَالشَّر !.

وَمَع ذَلِكَ... فَإِنَّ مَصْرَع الحُسَين كَان نَذِيراً لدَولَة مُعَاويَة الآفَاق، وَانْهَارَت الدَّولَة بَعد ذَلِكَ بنِصف قَرن وَسَط أفرَاح الشَّعب.

ظَلَّ الشَّعب العَربي يَلعَن يَزيد بن مُعَاويَة وَخُلفَاءه حَتَّىٰ سَقطُوا بَل أَنَّ الشَّعب العَربي ٱنْتَقم مِن قَادَة الجَيْش الأُمويِّين شَرّ ٱنْتقَام، فَلَقي أكثَرهُم مَصرَعه بَعد أَنْ ٱستُشهد الحُسَين عَلىٰ أيديهِم وَهُو الإِمَام، وَالقَائِد، وَالزَّعِيم السِّيَاسي المثَالي لأُمّة العَرب فِي ذَلِكَ الحِين، وَالرَّجُل الَّذي قَام برحلَتهِ الدَّامِيَة إِلَىٰ العِرَاق، وَهُو يَعْلَم أَنَّ أُلوف الجُنُود المُرتَزقَة مِن جَيْش يَزيد، سَوف تَلحق بهِ وَتَحول بَيْنَه وبَيْنَ الاتِّصَال بِالشَّعب.

وَكَان الحُسَين يَعْلَم أَنّه مُسْتَشهد لاَ محَالَة، هُو وَأَهْل بَيْته، لَكِنّه مَضىٰ فِي طَرِيقه دُون خَوف أَو تَردّد، وَتِلْكَ صِفَات الزُّعمَاء الحَقِّيقيِّين للشُّعوب.

طَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُسَلّم نَفْسه فَأبىٰ... طَلبُوا مِنْهُ البَيْعَة ليَزيد، فَرَفض أَنْ يُبَايع شَابّاً فَاسداً شِرّيرَاً، لاَ يَصلح أَنْ يَقُود أُمّة حَدِيثَة فِي طَرِيقهَا الطَّويل.

وَٱمتَشق سَيفَه، وَظَلَّ يُقَاتل جنُود الشَّيطَان يَزِيد، خَلِيفَة المُسْلِمين الَّذي فَرَضه أَبُوه مُعَاويَة فَرضاً عَلىٰ الأُمّة العَربيّة...

وَلَم يَكُن مَعَهُ سِوىٰ العَشرَات مِن الرِّجَال، وَالنِّسَاء، وَالأَطفَال، كُلّ جَيشَه كَان يُمكن لفَصِيلَة مِن الجنُود سَحقهَا فِي لَحظَات.... لَكن الجَيش الصَّغِير صَمَد أَيَّامَاً طَويلَة وَقَاتل بقيَادَة الحُسَين ببسَالَة عَجِيبَة مُذهلَة، لَم يَشهَد تَأرِيخ الشَّرق أَو الغَرب مَثِيلاً لهَا.

كَان الحُسَين عَطشَان جَائعاً... وَرجَاله يَفْتك بِهِم الظَّمأ مِثْله، وَأَطفَاله

يَصرخُون فِي طَلب جُرعَة مَاء... كَان الحصَار مِن حَولهِ فِي كَرْبُلاَء مُحكَماً جداً، أُلوف مِن جنُود الشَّيطان يَمنعُون عَنْهُ وَعَن عِيَاله المَاء...!.

وَمَع ذَلِكَ قَاتَل وَصَمد وَلَم يَترك سَيفه وَرُمحَه إلاَّ بَعد أَنْ تَمزق جَسَده بـعَدِيد مِن السُّيُوف وَالحِرَاب.

وَخِلاَل ذَلِكَ كُلّه... خِلاَل أَعْظَم مَعْركَة فِي سَبِيل العَـقِيدَة، شَـهدهَا التَأرِيـخ القَدِيم، لأُمّة العَرب، بَرَزت شَخصيَّة السَّيِّدَة زَيْنَب «رَئِيسَة الدِّيوَان» كمَا نُسمِّيها نَحْنُ أَبنَاء مَصْر.. بَطَلَة بَاسلَة مُؤمنَة شُجَاعَة... حَتَّىٰ أَنَّ يَزِيد بن مُعَاويَة الآفَاق، لَم يَجرؤ عَلىٰ منُاقَشتهَا عِندَمَا سَاقُوها إِلَيه، وَرَفضَت أَنْ تُبَايعهُ، وَلَعَنته، كمَا لَعَنت كُلّ الَّذِين يَغدرُون وَيَطعنُون المُؤمِنِين فِي ظُهُورهِم!

وَمِن أَجل ذَلِكَ نَحْنُ فِي مَصْر وَفي كُلّ الوَطن العَربي، نُؤمِن ببطُولَة السَّـيِّدَة زَيْنَب، كمَا نُؤمن بِذَلِكَ البَطل الخَالد «الحُسَين بن عَليّ» أَبي الشُّهدَاء جَمِيعَاً... نُؤمن بأَمثَال هَؤلاَء الأَعَاظم، وَنَحْتَفل بمُولدهِم، وَنَـرقص، وَنُـغني، وَنَـطرب، وَنُنشد الأَغَاني حَول أَضرحَتهم، وذَلِكَ لأَننَا نُحبّهم وَلاَ أَحد يَستَطِيع أَنْ يُزِيل مِن قُلوبنَا الحُبّ الصَّادِق لرَائِد البطُولَة الخَارقَة...

وَقَد نَحيَا وَنَمتَلىء بِالأَمل فَنعمَل وَنُكَافح لأَنَّ مِـثْل هَـذَا الرَّمـز يُـضيء لنَـا الطَّريق، وَيُشحننَا بِالرغبَات الطَّيبَة وَالإِيمَان بالشَّرف.

وَنَحْنُ لاَ نُبَالغ إِذَا اعْتبرنَا مَولد السَّيِّدَة زَيْنَب وَمَـولد الحُسَـين مِـن الأَعـيَاد القَومِيّة لأُمّة العَرب»[1].

---

(١) أنظر، مَجلّة الغَد عَدَد فبرَاير شُبَاط سَنَة (١٩٥٩م) صَفحَة ٩ تَحت عُنوَان «مَولد السَّيِّدَة وَأَعيَان الأُمّة العَربيّة». (مِنْهُ رحمه الله).

وَصَدَق الكَاتب «أَنَّ السَّيِّدَة زَيْنَب رَمزٌ لشَيء عَمِيق الدَّلاَلَة» وَلَكن مِـن أَي نَوع هَذَا الشَّيء العَمِيق؟ وَهَل كَشَف عَنْهُ البَاحثُون وَالمُؤرّخُون؟

لَقَد تَكَلَّم العُلْمَاء وَالأُدبَاء قَدِيماً وَحَدِيثاً حَول شَخصيَة السَّيِّدَة، وَاتَّفقُوا عَلىٰ بسَالتهَا وَعِلمهَا وَقوّة صَبرهَا وَإِيمَانها وَعَقلهَا، وَعَلىٰ عَظمَة الدَّور الَّذي قَامت بِهِ فِي كَرْبُلاَء... وَحَاول كَثِيرُون أَنْ يَشرحُوا هَذَا الدَّور، وَيُفسّرُوا لنَا وَللأَجيَال السِّر الكَامن فِي ذهَابهَا مَع أَخيهَا إِلَىٰ كَرْبُلاَء... وَرَأىٰ بَعْضهُم أَنَّ الغَايَة مِن وجُودهَا مَع أَخِيهَا أَنْ تَبث دَعوَة الحَقّ، وَتُعلن سرّ نَهضَة الحُسَين، وَتُبلّغ حُجّته للمَلأ، وَتُبين مسَاويء الأُمويِّين، وَتُؤلّب النَّاس عَلىٰ الطُّغَاة البُغَاة بالمَوَاعظ وَالخُـطب، كـمَا فَعَلت فِي الكُوفَة وَالشَّام، وَفِي الطَّريق إِلَيهِمَا مُنْتَهزَة الفُرص، لإِنْجَاز مُهمّة أَخِيهَا سَيِّد الشُّهدَاء.

وَلَيْسَ مِن شَكٍ أَنَّها أَدّت هَذِه المُهمَّة عَلىٰ أَكمَل وَجْه بخَاصّة فِي مَجْلس يَزِيد وَابْن مَرجَانَة، فَلَقد عَرفَت كُلّا مِنْهُما بمَكَانة مِن الخِزي وَالعَار، وَفَضَحتهُما لدَىٰ الأَشهَاد، وَلعَنتهُما كمَا لَعَنت كُلّ الَّذِين يَغْدرُون وَيَفجرُون؛ وَقَد ذَكَرنا ذَلِكَ فِـي غَير مَكَان مِن هَذَا الكِتَاب بعُنوَان: «خُرُوج الحُسَين بأَهلِهِ إِلَىٰ كَرْبُلاَء» وَلَكـن هَل هَذَا وَحدَه هُو الشَّيء العَمِيق الَّذي تَرمز إِلَيه السَّيِّدَة زَيْنَب؟ كَلّا، فَأَنَّ مَعَهُ شَيئاً آخر أَعمَق وَأَبعَد مِن هَذَا بكَثِير، أَنّه الإِحتفَاظ بالدِّين، وَالإِبقَاء عَلىٰ شَريعَة سَيِّد المُرسَلِين، أَنَّ هَذَا الشَّيء العَمِيق يَعُود إِلَىٰ أَبيهَا أَمِير المُـؤمِنين، وَعُـلُومه الَّـتي تَلقَّاها عَن أَخِيه وابْن عَمّه خَاتم الرُّسل وَجدّ السَّيِّدَة زَيْنَب، وإِلَيكَ القِـصَّة مِـن أَوّلهَا:

قَالَ الشَّيخ مَحمُود أَبُو ريَّة خرِيج الأَزْهَر فِـي كـتَاب «أَضـوَاء عَـلىٰ السُّـنَّة

المُحَمّديَّة » :

« وُلد عَليّ قَبل البِعْثَة بنَحو عَشر سنِين ، وَتَربىٰ فِي حِجر النَّبيّ ، وَعَاش تَحت كَنْفه قَبل البِعْثَة ، وَظلَّ مَعَهُ إِلَىٰ أَنْ ٱنْتَقل إِلَىٰ الرَّفِيق الأَعلىٰ ، وَلَم يُفَارقهُ أَبداً لاَ فِي سَفر وَلاَ فِي حَضَر ـ وَهُو ٱبْن عَمّه ، وَزوّج ٱبْنَته فَاطِمَة الزَّهرَاء ـ وَشَهد المَشَاهد كُلّها سِوىٰ تَبُوك ، فَقَدْ ٱستَخلفهُ النَّبيّ فِيهَا عَلىٰ المَدِينَة ، فَقَال : يَا رَسُول الله ! أَتُخَلفني فِي الصِّبيَان ، وَالنِّسَاء ؟

فَقَال الرَّسُول : « أَمَا تَرضىٰ أَنْ تَكُون مِنّي بمَنزلَة هَارُون مِن مُوسىٰ إِلاَّ أَنَّهُ لاَ نَبّي بَعْدي » [١] .

وَلمَّا قَالَ مُعَاويَة لسَعد بن أَبي وَقَّاص مَا يَمنعكَ أَنْ تَسب أَبَا تُرَاب ؟

قَالَ لهُ : أَمَا مَاذكَرت ثَلاَثَاً قَالهُنَّ رَسُول الله صلى الله عليه وآله ، لأَنَّ تكُون وَاحدَة مِنْهنَّ أَحبّ إِليَّ مِن حُمر النِّعم ، فَلَن أَسبّهُ [٢] ، ثُمَّ ذَكر لهُ هَذِه الثَّلاَث ، وَهي حَدِيث : « أَنْتَ مِنّي

---

(١) أنظر ، الصَّوَاعِق المحرِقَة لِابْن حجر : ٢٩ ، صَحِيح البُخَاريّ : ٢ / ٢٠٠ و ٣٢٤ ، و : ٤ / ٢٠٨ ، و : ١٤ / ٢٤٥ / ٣٤٧٠ ، و : ١٦ / ٢١٧ / ٤١١٥ بِشَرح الكِرمَاني . صَحِيح مُسْلِم فِي فَضَائِل عَليّ : ٣٢٤ ، المُسْتَدرَك لِلْحَاكِم النّيسابوري : ٣ / ١٠٩ ، مُسْنَد ٱبْن مَاجه : ١ / ٢٨ ، مُسْنَد الإِمَام أَحمَد : ١ / ١٧٥ و ١٧٧ و ١٧٩ و ١٨٢ و ٣٣١ و ٣٦٩ ، كَنز الْعُمَّال : ٦ / ١٥٢ ح ٢٥٠٤ ، الإِصَابَة لِابْن حَجر : ٤ / ٥٦٨ ، ويَنَابِيع المَوَدَّة للقندوزي : ٢ / ٥٨ .

(٢) أنظر ، مُسْتَدرَك الصَّحِيحَين : ١ / ١٢١ ، طَبْعَة حَيْدَر آباد سَنَة ١٣٢٤ هـ ، كِفَاية الطَّالب : ٨٢ و ٨٣ ، فرَائد السِّمْطَين : ١ / ٣٠٢ و ٣٠٣ ح ٢٤١ ، مُروج الذّهب : ٢ / ٤٣٥ ، الصَّوَاعِق المُحرِقَة : ٧٤ طَبْعَة المَيمنيّة و : ١٢١ المُحمَّدية بتفَاوت ، ذَخَائِر الْعُقْبَىٰ : ٦٦ ، المنَاقِب للخوَارزْمِي : ١٣٧ ح ١٥٤ ، خَصَائِص النّسائي : ٢٤ ، كَنز الْعُمَّال : ٦ / ٤٠١ ، وَمشكَاة الْمَصَابِيح : ٥٦٥ و ٣ / ١٧٢٢ ح ٦٠٩٢ طَبْعَة أُخرىٰ ، وتَأْرِيخ الخُلَفَاء : ٦٧ ، والرّياض النّضرة : ٢ / ١٦٦ بأَلفَاظ مُتقَاربة ، فَضَائِل الخَمْسَة من الصّحاح السِّتة : ٢ / ٢٢٣ ، الفَضَائِل لأَحْمَد : ٢ / ٥٩٤ ح ١٠١١ ، جَمع الزّوائد : ٩ / ١٣٠ ، مُنْتَخَب كنز
↔

بمَنزلَة هَرون مِن مُوسىٰ »[١]، وَحَدِيث: « لأَعطينَ الرَّايَـة إِلَـىٰ رَجُـل يُـحبّه الله وَرَسُوله »[٢]، وَحَدِيث المُبَاهلَة. وَقَالَ لهُ النَّبيّ ﷺ: « مَـنْ كُـنتُ مَـولاَه فَـعَليّ مَولاَة »[٣]. وَهُو حَدِيث مُتوَاتر مَشْهُور.

وَقَالَ آبْن تَيميَّة: عَليّ أَفْضَل أَهْل البَيْت، وَأَفضَل بَني هَاشِم بَـعد النَّـبيّ ﷺ، وَقَد ثَبَت عَن النَّبيّ ﷺ أَنَّهُ أَدَار كسَاه عَلىٰ عَليّ، وفَاطِمَة، وَالحَسَن، وَالحُسَين، وَقَالَ: « أَللَّهُمَّ هَؤلاَء أَهْل بَيْتي فَأذهِبْ عَنهُم الرِّجْس وَطَهّرْهُم تَطْهِيراً »[٤].

وَمَغَازيه الَّتي شَهدهَا مَع رَسُول الله، وَقَاتَل فِيهَا كَانَت تِسعَة: « بَدْر، وَأُحـد، وَالخَنْدَق، وَخَيْبَر، وَفَتح مَكّة، وَيَوْم حُنَين، وَغَيرهَا »[٥]، وَثَبت فِي الصَّحِيح أَنَّ النَّبيّ قَالَ: « لأُعْطِينّ هَذِه الرَّايَة رَجُلاً يُحبّ الله وَرَسُوله، ويُـحبّه الله وَرَسُـوله،

↔ الْعُمَّال بهَامش مُسْنَد أحمَد: ٥ / ٣٠، يَنَابِيع المَوَدَّة: ١ / ١٥٢، و: ٢ / ١٠٢ و ٢٧٤ و ٢٧٧ طَبْعَة أُسوة، الجَامِع الْصَّغِير: ٢ / ٦٠٨ ح ٨٧٣٦، مَودَّة القُرْبَىٰ: ١٥.

(١) تَقَدَّمت تَخرِيجَاته.

(٢) أنظر، صَحِيح البُخَاريّ بِشَرح الكرمَاني: ١٦ / ٩٨ / ٣٩٣٥، و: ٥ / ٢٢ و ٢٣، عُـمدَة القَـاري فِـي شَـرح صَـحِيح البُـخَاريّ لِـلعِينِي: ٤ / ٧٣ و ٢٠٨ و: ١٢ / ١٩٠ ح ٢٧٤٤، و ٢٠٧ ح ٢٧٧١، و: ١٦ / ٢١٦، الصَّوَاعِق الُمحرِقَة: ٨٧، والسّيوطي فِي تَأرِيخه: ٦٦، ومُنْتَخَب كَنز الْعُمَّال هَامش مُسْنَد أَحْمَد: ٥ / ٣٩. صَحِيح مُسْلِم: ٢ / ٤٤٨ / ٢٤٠٤ و ٤٤٩ / ٢٤٠٥، الكَامِل لِابْن الأَثِير: ٢ / ٢١٦.

(٣) تَقَدَّمت تَخرِيجَاته.

(٤) أُنظر، فَتَاوىٰ آبْن تَيميَّة: ١ / ٢٥٠. (مِنْهُ ﷺ).

(٥) أُنظر، السِّيرَة النَّبوّية لِابْن هِشَام: ٥ / ٧٨، فَتح البَاري: ٧ / ٢٨٠، تُحفَة الأَحوَذي: ٥ / ٢٦٣، شَرح الزّرقَاني: ٢ / ٥٣٢، تَفْسِير القُرطُبي: ٤ / ١٩١ و ٢١٤، مُسْنَد أَبي عوَانـة: ٤ / ٣٦٥، الكَـامِل لِابْـن الأَثِير: ٢ / ١١٦، السِّيرة الحَلبية بهَامش السِّيرة النَّبويَّة: ٢ / ١٤٣، تَأرِيخ دِمشق: ١ / ١٤٣ / ٣٠٢، تَفْسِير آبن كَثِير: ٤ / ٣٧٠، صَحِيح البُخَاري: ٤ / ١٥١٦ ح ٣٩٠٦، المُستَدرك عَـلىٰ الصَّـحِيحَين: ٣ / ٥٩٤ ح ٦٢٠٣، مَجْمع الزَّوائد: ٦ / ١٤٢.

يَفْتَح الله عَلىٰ يَدِيه ». فَأعطاها عَلِيّاً[١].

هَذَا هُو عَليّ عليه السلام الَّذي لَو كَان قَد حَفَظ كُلّ يَوْم عَن النَّبيّ، وَهُو الفَطن اللَّبيب الذَّكي رَبِيب النَّبي حَدِيثاً وَاحداً، وَقَد قَضىٰ مَعَهُ رَشِيداً أَكثر مِن ثُلْث قَرن، لبَلَغ مَا كَان يَجب أَنْ يَروِيه حوَالي (١٢) أَلف حَدِيث عَلىٰ الأَقَل، هَذَا إِذَا رَوىٰ حَدِيثاً وَاحداً فِي كُلّ يَوْم، فمَا بَالُك لَو كَان قَد رَوىٰ كُلّ مَا سَمعَه[٢]، وَلَقد كَان لهُ حَقّ فِي روَايتهَا وَلاَ يَستَطِيع أَحد أَنْ يُمَاري فِيهَا. وَلَكن لَم يَصح عَنْهُ كمَا جَاء بكتَاب الفَصل إِلاَّ نَحو خَمسِين حَدِيثاً لَم يَحْمل البُخاري، ومُسْلِم إِلاَّ نَحو عِشرِين حَدِيثاً،... هَذَا كَلاَم أَبي ريَّة فِي كتَابهِ « أَضوَاء عَلىٰ السُّنَّة المُحمَّديَّة »[٣].

وَقَالَ الشَّيخ مُحَمَّد أَبُو زُهرَة وَهُو مِن كُبّار شيُوخ الأَزْهَر، وَالمُؤلّفِين المَعرُوفِين، قَالَ فِي كتَاب « الإِمَام الصَّادِق »[٤]:

« يَجْب عَلَينَا أَنْ نُقرّر هُنا أَنَّ فِقه عَليّ وَفتَاوية وَأَقْضِيَته لَمْ تُرو فِي كُتب السُّنَّة... وَكَان أَكثَر الصَّحَابَة اَتّصَالاً برَسُول الله صلى الله عليه وآله، فَقْد رَافق الرَّسُول، وَهُو صَبي قَبل أَنْ يُبْعَث، وَاَستَمر مَعَهُ إِلَىٰ أَنْ قَبَضَ الله تَعَالىٰ رَسُوله إِلَيه، وَلذَا كَان يَجب أَنْ يُذكَر لهُ فِي كُتب السُّنَّة أَضعَاف مَا هُو مَذكُور فِيهَا.

وَإِذَا كَان لنَا أَنْ نَتعرف السَّبَب الَّذي مِن أَجْلهِ اَخْتَفىٰ عَن جمهُور المُسْلِمين

---

(١) أُنظر، فَتَاوىٰ اَبْن تَيميَّة: ١ / ٣١٠. (مِنْهُ رحمه الله).

(٢) نَعَم، لقَد رَوىٰ كُلّ مَا سَمعهُ مِن النَّبيّ، وَلَكن لأَولاَده وَذرِّيَّته، وَروَاه ذُرِّيَّته للنَّاس عَلىٰ لسَان مُحَمَّد البَاقر، وَجَعْفر الصَّادِق، كمَا سَيتَّضح ذَلِكَ فتَابع القِرَاءَة لتَتأَكد مِن هَذِه الحَقِيقَة.

(٣) أُنظر، أَضوَاء عَلىٰ السُّنَّة المُحَمّديَّة »: ٢٠٤ طَبعَة (١٩٥٨م). (مِنْهُ رحمه الله).

(٤) هَذَا الكِتَاب أَكبَر مَوسُوعَة عِلميَّة عَن الإِمَام الصَّادِق، وَبَيَان عَظَمته عِندَ الله سُبْحَانَهُ، وَسمُوه فِي أَخلاَقه، وَخَير مَصْدَر للعُلمَاء، وَمُرشد لمَن يَجْهَل مقَام الصَّادِق خَاصَّة وَأَهْل البَيْت عَامَّة. (مِنْهُ رحمه الله).

بَعض مَرويَات عَليّ وَفقهه، فإنَّا نَقول: أنّه لاَ بُدّ أنْ يَكون الحُكم الأُموي أَثَّر فِي إخْتفَاء كَثِير مِن آثَار عَليّ فِي القَضَاء وَالإفتَاء، لأَنّهُ لَيس مِن المَعقُول أنْ يَلعنُون عَلِيًّاً فَوق المَنَابر، وَأنْ يَتركُوا العُلَمَاء يَتحدّثُون بعِلمهِ، وَيَنقلُون فتَاويه وَأَقوَاله للنَّاس وَخصُوصًاً مَا كَان يَتّصل مِنْهَا بأَسَاس الحُكم الإسلاَمي.

وَلَكن هَل كَان إختفَاء أَكْثَر آثَار عَليّ ﷺ، وَعَدم شُهرتهَا بَيْنَ جمَاهِير المُسْلِمين سَبيلاً لإندثَارهَا وَذهَابهَا فِي لُجّة التَّأريخ إلىٰ حَيث لاَ يَعْلَم بهَا أحد...!! أنَّ عَلِيَّاً ﷺ قَد ٱستُشهد، وَقَد تَرك وَرَاءه مِن ذُرِّيَّته أَبرَارَاً أَطهَاراً كَانُوا أَئِمَّة فِي عِلْم الإسلاَم، وكَانُوا مِمَّن يُقْتَدىٰ بهِم، تَرك وَلَديه فِي فَاطِمَة الحَسَن، والحُسَين، وَتَرك رُوّاد الفِكر مُحمَّد ٱبن الحَنفيَّة، فَأَودعهُم عَنْهُ ذَلِكَ العِلم، وَقَد قَالَ ٱبْن عبّاس: «مَا ٱنْتفَعتُ بِكَلامٍ بَعد كَلاَم رَسُول الله ﷺ كَٱنْتفَاعِي بِكتَابٍ كَتَبه إليّ أَمِير المُؤْمِنين عَليّ بن أَبي طَالب ﷺ»[1]. وَقَام أُولَئك الأَبْنَاء بالمُحَافظَة عَلىٰ تُرَاث أَبِيهم الفِكري، وَهُو إمَام الهُدىٰ، فَحفظُوه مِن الضَّيَاع، وَقَد ٱنْتَقل مَعهُم إلىٰ المَدِينَة لمَّا ٱنْتَقلوا إليهَا بَعد ٱسْتشهَاده ﷺ برَسُول الله ﷺ وَبذَلِكَ تَنْتَهي إلَىٰ أَنَّ البَيْت العَلوي فِيهِ عِلم الرّوَايَة كَاملَة عَن عَليّ ﷺ، رَووا عَنْهُ مَا رَوَاه عَن الرَّسُول كَاملاً، أَو قَريبَاً مِن الكمَال، وَٱستَكنُوا بهَذَا العِلم المُشرق فِي رُكن مِن البَيْت الكَرِيم»[2].

وَإذَا عَطَفتَ هَذَا القَوْل للشَّيخ أَبي زُهرَة عَلىٰ قَول الشَّيخ أَبي رِيَّة السَّابق، فَإنّك وَاصل حَتمَاً إلىٰ اليَقِين بأَنَّ عِلْم مُحمَّد عِندَ عَليّ، وَعِلم عَليّ عِند أَبْنَائه،

(١) أنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِمحَمَّد عَبْدَه: ٣ / ٢٠، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِٱبْن أَبِي ٱلحَدِيد: ١٥ / ١٤٠.
(٢) أُنظر، الإمَام الصَّادِق: ١٦٢ مَطْبَعَة أَحمَد عَليّ مُخَيبر. (مِنهُ ﷺ).

وَهُم الَّذِين نَشرُوه وَأَذَاعُوه عَلىٰ النَّاس.

نَقَلنَا أَقوَال هَذَين الشَّيخَين الجَلِيلَين مِن شيُوخ الأَزْهَر بـاللَّفظ لاَ بِـالمَعْنىٰ، نَقلنَاهُما بالحَرف الوَاحد مَع أَرقَام الصَّفحَات وَهي تُقَدّم الأَدلّة عَلىٰ حَقِيقَة لاَ تُرَد وَلاَ تَقبَل التَّشكِيك.

عَليّ بن أَبي طَالِب الَّذي لاَزَم النَّبيّ مُنذ طفُولَته[1] إِلىٰ آخـر يَـوْم مِـن أَيَّـام الرَّسُول لاَ يُروىٰ عَنْهُ إِلاَّ خَمسُون حَـدِيثاً!!... عَـليّ الَّـذي تَـربىٰ فِـي حِـجر الرَّسُول، وَكَان مِنْهُ بالمَنزلَة الخِصِّيصَة، كمَا قَالَ الإِمَام يَصف نَفْسه: «وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ، وَلاَ خَطْلَةً فِي فِعْلٍ، وَلَقَدْ قَرَنَ اللهُ بِهِ صلى الله عليه وآله مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلاَئِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنَ أَخْلاَقِ الْعَالَمِ لَـيْلَهُ، وَنَهَارَهُ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْـلاَقِهِ عِلْمَاً، وَيَأْمُرُنِي بِالإِقْتِدَاءِ بِهِ»[2]. لاَ يَروي عَن النَّبيّ إِلاَّ خَمسِين حَـدِيثاً، وَأَبُـو هُرَيرَة الَّذي لَم يَصْحب النَّبيّ إِلاَّ نَحو ثَلاَث سَنوَات، لاَ يَرَاه فِيهَا إِلاَّ قَليلاً، وَالحِين بَعد الحِين، يَروي عَنْهُ (٥٣٧٤) حَدِيثاً[3]!... وَلَو أَخذنَا بهَذَا القِيَاس لوَجب أَنْ

---

(١) قَالَ أَمِير المُؤْمِنِين فِي خُطْبَتِهِ المَعرُوفَة بِالقَاصِعَة: «وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللهِ ـ صلى الله عليه وآله ـ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ. وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَىٰ صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِـرَاشِـهِ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ. وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِـي قَـوْلٍ، وَلاَ خَطْلَةً فِي فِعْلٍ». أُنظر، نَهج البَلاَغَة: الخُطْبَة (١٩٢»، الكَامل فِي التَّأريخ: ٢ / ٥٨، تَأريخ الطَّبري: ٢ / ٥٧، الإِصَابَة: ٢ / ٥٠١.

(٢) أُنظر، نَهج اَلْبَلاَغَة: اَلْخُطْبَة (١٩٢).

(٣) أُنظر، هَدي السَّاري: ٤٧٧، قَال: وَلَهُ فِي البُخَاري «٤٤٦» حَديثاً، جوَامع السِّيرَة: ٢٧٦، مُسْـنَد الإِمَام أَحْمَد، بتَحقِّيق أَحْمَد مُحمَّد شَاكر: ١٢ / ٨٢، مُسْنَد اَبن رَاهويه: ١ / ٨، أَضوَاء عَـلىٰ السُّـنَّة المُحَمّديَّة: ٢٢٤.

يَروي الإِمَام (١٨٢١٦) حَدِيثاً ، لأَنّهُ لاَزَم النَّبيّ رَشِيداً أَكْثَر مِن ثُلث قَرن .

وَمِن هُنا تَعْلَم أَنَّ السِّر الوَحِيد لقلّة الرّوايَة عَن الإِمَام عَليّ هُو مَا أَشَار إِلَيه الشَّيخ أَبُو زُهرَة ، هُو عداء الأُمويِّين وَمَوقفهُم مِن الإِمَام ، وَمِمَّن يَذْكرَه بخَير ، فَقْد عَاقبُوا مَن يَروي مَنْقَبة مِن مَناقبه ، أَو يَنْقل حَدِيثاً عَنْهُ ، وَتَتبعُوا تلاَمِيذَه وَخَاصّته فِي كُل مكَان ، كمَيثَم التَّمار ، وَعَمر بن الحَمق ، وَرُشَيد الهِجري ، وَحِجر بن عَدي ، وَكُمَيل بن زيَاد وَغَيرهم وَغَيرهم ، وَقَتلُوهم الوَاحد بَعد الآخر ، وَنكلّوا بِهم شرّ تَنْكِيل ، كَي لاَ يَتسَرب عَن طَرِيقهِم أَثَر مِن آثَار عَليّ .

أَجل ، لَقَد بَذَل الأُمويُون أَقصىٰ الجهُود ، وَاستَعملوا التَّقتِيل وَالتَّنكِيل ، وَسَلكوا جَمِيع السُّبل ، ليَقضُوا القَضَاء الأَخِير عَلىٰ كُلّ أَثَر يَتّصل بعَليٍّ مِن قَرِيبٍ أَو بَعِيد إِلاَّ السَّب وَاللَّعن ، أَنَّ الأُمويِّين يَعلمُون حَقّ العِلم أَنَّ عَلِيّاً أَخُو رَسُول الله وَوَصيه ، وَوَارث عِلمه ، وَأَمِينه عَلىٰ شَرعه حُجّته البَالغة عَلىٰ النَّاس أَجمَعِين ، وَيَعلم الأُمويُون أَيضاً أَنَّهم مَلعُونُون فِي كتَاب الله ، وَعَلىٰ لسَان نَبّيه ، فَالإِمسَاك عَن عَليّ وَآثَاره مَعنَاه القَضَاء عَلىٰ حُكمهِم ، لأَنَّ آثَار عَليّ هِي آثَار مُحمَّد الَّذي نَصّ عَلىٰ أَنَّ الخِلاَفَة مُحرّمة عَلىٰ الأُمويِّين ، لذَا لَعنُوا الإِمَام عَلىٰ المَنابر ، وَقَتلُوا خَاصّته ، كَي لاَ يَروا شَيئَاً عَنْهُ ، وَلَكن : ﴿يَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1] ؛ فَلَقد أَودَع الإِمَام عُلُوم الرَّسُول ذُرِّيَّته وَأَولاَده ، كمَا قَالَ الشَّيخ أَبُو زُهرة ، وَوَصلَت إِلَينا عَن طريق آله وَذُرِّيَّته .

وَلَم تُخف هَذِه الحَقِيقَة عَلىٰ الأُمويِّين ، فَحَاولُوا القَضَاء عَلىٰ ذُرِّيَّة عَليّ ، وَأَنْ لاَ يبقُوا مِن نَسلهِ حَيّاً ، ليمحُوا كُل أَثَر مِن الوجُود ، وَأَصدَق شَاهد عَلىٰ ذَلِكَ قَول

(١) ٱلتَّوْبَة : ٣٢.

شِمر بن ذِي الجَوشَن: «قَد صَدَر أَمر الأَمِير عُبَيدالله أَنْ أَقتُل جَمِيع أَولاَد الحُسَين». قَالَ هَذَا حِين شَهَر سَيفه ليَقتل الإِمَام زَين العَابدِين، وَقَد دَفَعه عَنْهُ حَمِيد بن مُسْلِم وَعُمر بن سَعد، وقَالَت عَمّته الحَورَاء لَمَّا همّ بقَتلهِ: وَالله لاَ يُقْتَل حَتَّىٰ أُقتَل»[1]. وَفِي هَذَا نَجد التَّفسِير الصَّحِيح لقَتل الطِّفْل الرَّضِيع وَغَيره مِن أَولاَد أَهْل البَيْت عليهم السلام.

قَتَل الأُمويُون سَيِّدي شبَاب أَهْل الجَنَّة الحَسَن، والحُسَين، وَقَتلُوا أَبنَاء الحُسَين، وَلَم يَنْج مِنْهُم إلاَّ الإِمَام زَين العَابدِين، وَالفَضل الأَوّل فِي نجَاتهِ مِن القَتْل للسَّيِّدة زَيْنَب، دَفَعت عَنْهُ شِمرَاً في كَرْبلاَء، وٱبْن زيَاد في الكُوفَة، حَيث أَمَر بقَتْله، فتَعلقت بهِ السَّيِّدَة، وَٱعْتَنقتهُ قَائلَة: وَالله لاَ أُفَارقه، فَإِنْ قَتَلتهُ فَٱقْتلني مَعَهُ، فَنَظر ٱبْن مَرجَانه إِلَيهمَا سَاعَة، ثُمَّ قَالَ: «عَجباً للرَّحم!... وَالله إِنّي لأَظنّها وَدّت أَنّي قَتَلتها مَعَهُ، دَعُوه، فَأنّي أَرَاه لمَا بهِ»[2]. أَي يَرَاه مَرِيضاً.

كَلَّا، لَيْسَت المَسأَلة مَسأَلة رَحم، وَكَفىٰ، وَلاَ مَسأَلة حُبّ وَعَطف فَقط، أَنَّها أَعمَق وَأَبْعد مِن ذَلِكَ التَّفكِير، أَنَّها الخَوف عَلىٰ دِين الله وَعُلوم رَسُول الله مِن الضَّياع، لقَد ٱستمَاتَت السَّيِّدَة دُون الإِمَام زَين العَابدِين، لأَنَّهُ حَلقَة الإِتّصَال بَيْنَ الحُسَين وبَيْنَ الإِمَامَين البَاقر والصَّادِق اللّذين أَشَاعَا وَأَذَاعَا عُلُوم مُحمَّد وَعليّ.

كَان عِلْم الرَّسُول عِند عَليّ، وَعِلم عَليّ عِند وَلَديه الحَسَن والحُسَين، وَعِلم الحُسَين عِند زَين العَابدِين، ومِنْهُ إِلَىٰ وَلده البَاقر وَحَفِيده الصَّادِق ظ، وَهَكَذَا ٱنتَقلت عُلُوم الرَّسُول مِن إِمَام إِلَىٰ إِمَام حَتَّىٰ ذَهَب الأُمويُون، وَزَال حُكمهُم، وَلَم

(١) أنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٤ / ٣٥٠، البدَاية وَالنّهايَة: ٨ / ٢١١، مَقْتَل الحُسَين لأَبي مَخْنَف: ٢٠٦.

(٢) أنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٣ / ٣٣٧، الإِرشَاد: ٢ / ١١٧، مُثِير الأَحزَان: ٧٢، البدَايَة وَالنّهايَة: ٨ / ٢١١.

يَبق لهُ عَينٌ وَلاَ أَثَر فِي عَهْد الصَّادقَين حَيْث أَنْتَشرت عُلومهُما فِي كُلّ مكَان، وَلَم يَكُن مِن سَبِيل إِلَىٰ بثّ هَذِه العُلُوم فِي عَهْد الأُمويِّين، ويُؤكّد هَذِه الحَقِيقَة أَنَّ الحُسَين لمَّا توجه إِلَىٰ العِرَاق دَفع إِلَىٰ أُمّ سَلمَة الوَصيَّة وَالكُتب، وَقَالَ لهَا: إِذَا أَتَاك أَكْبَر وُلدي، فَأدفَعِيها إِلَيه، وَبَعد أَنْ قُتل الحُسَين أَتىٰ زَين العَابدِين إِلَىٰ أُمّ سَلمَة، فَدَفعَت إِلَيهِ كُلّ شَيء أَعطَاها الحُسَين[1].

فَالْإِمَام زَين العَابدِين هُو حَلقَة الْإِتّصَال بَيْنَ أَبِيه وَجدّه وبَيْنَ وَلدَيه الصَّادقَين، وَلَو فُقْدت هَذِه الحَلْقَة لَم يَكن لعُلوم عَليّ خَبر وَلاَ أَثَر، وَلخَسر الدِّين والْإِسلاَم أَعظَم ثمَاره وَأَثمَن كنُوزه، وَلهذَا وَقَفت السَّيِّدَة مَوقفهَا مَع الَّذِين حَاولُوا قَتل الْإِمَام زَين العَابدِين، وَكَان لهَا أَكرَم يَد وَأَفضلهَا رَمزاً لشَيء عَمِيق الدَّلاَلَة » كمَا قَالَ مُحرّر مَجلّة « الغَد » وَلكنّه لَم يُدرك نَوع هَذَا السِّر عَلىٰ حَقِيقَته، وَكفَاه مَعرفَة أَنْ يُدرك، وَلَو عَلىٰ سَبِيل الْإِجمَال، أَنَّ السَّيِّدَة زَيْنَب رَمزٌ لشَيء عَمِيق الدَّلاَلَة.

وَقَد يَتْسَاءل: إِذَا كَانَت الغَايَة الأُولىٰ وَالْأَخِيرة هِي المُحَافظَة عَلىٰ الْإِمَام زَين

---

(١) أُنظر، إِثبَات الوصيَّة للمَسعُودي: ١٤٣ و ٢٢٧ و ٢٣٠، الكَافِي: ١ / ٤٤٢ / ٣، الْإِختصَاص للشَّيخ المُفِيد: ٢١٠، إِكمَال الدّين: ١ / ٣١١، و: ١ / ٢٣٦ ح ٥٣ طَبعَة آخر، فَرَائِد السّمطَين للجُويني: ٢ / ١٣٦ ح ٤٣٢ ـ ٤٣٥ و ٣١٩ ح ٥٧١ و ١٣٢ ح ٤٣١، أَلقَاب الرَّسُول وَعترَته ﷺ: ١٧٠، أَمَالي الشّيخ الطّوسي: ١ / ١٧، عُيُون أَخبَار الرّضا: ١ / ٤٠ ح ١، و: ٢ / ٢٣٧ ح ٢٢، كتاب الغَيْبَة للنُّعمَاني: ٦٢ و ٦٦، كتَاب الغَيْبَة للطّوسي: ١٤٣ ح ١٠٨ و ١٩٥ ح ١٥٩، الْإِرشَاد: ٢ / ١٣٨، غَايَة المَرَام: ٧٤٣ ح ٥٧، العُمدَة لَابن البطرِيق: ٤١٦، سُنن أَبِي دَاود: ٣ / ٣٠٩ ح ٤٢٧٩، صَحِيح البُخاري: ٨ / ١٠٤، و: ٩ / ٨١، صَحِيح مُسْلِم: ٦ / ٤، و: ٢ / ١٨٣ و ١٨٤ / ١٨٢٢، سُنن التّرمذي: ٣ / ٣٤٠ بَاب ٤٠ / ٢٣٢٣، مَودّة القُرْبَىٰ: ٢٩، كتَاب سُليم بن قَيس: ٢٣ ح ٧، كفَايَة الأَثر: ١٩، مُسْنَد أَحمَد: ١ / ٣٩٨، المنَاقب لِابن شَهرآشُوب: ٤ / ١٧٢، مُختَصر البَصَائِر: ٣٩، مَعَاني الأَخبَار: ٣٥، أَمَالي الصّدوق: ١٢٤ ح ١٣.

العَابدِين فَلمَاذَا صَحبَهُ الحُسَين مَعَهُ إِلَىٰ كَرْبُلاَء ؟ وَلمَاذَا لَمْ يُبقه فِي حَـرَم جـدّه الرَّسُول ؟ . . .

وَالجَوَاب : أَنَّ المَدِينَة كَانَت تَحتَ سَيطَرَة الأُمويِّين ، وكَان فِيهَا مَـرْوَان ٱبْـن الحَكم الَّذي أَشَار عَلىٰ الوَلِيد بقَتل الحُسَين ، فَكَيف يَأمَن الحُسَين عَـلىٰ أَهْـلِهِ ، وَهُم بَيْنَ أَيدي الطُّغَاة ، وَفي حُكم أَشدّ النَّاس لُؤمَاً وَعدَاءاً للحُسَين وَلكُـلّ مَـن يَمتّ إِلَيهِ بسَبَب أَو نَسَب .

وَقَد ٱسْلَفنَا أَنَّ الأُمويِّين أَصدَروا أَمرهُم بـقَتل أَولاَد الحُسَـين حَـتَّىٰ الطِّـفْل الرَّضِيع ، فَهل يَعفُون وَيَصفحُون عَن خَلِيفَته وَأَكبَر أَولاَده وَوَارث عِلْمه ؟ ! وَهَل للأُمويِّين هَدَف مِن قَتل الحُسَين وأَولاَده وَأَصحَاب أَبِـيه وَأَصـحَابه إِلاَّ القَـضَاء عَلىٰ كُلّ أَثَر لأَبي الحُسَين وَجدّ الحُسَين ؟ ! .

وَمَرّة ثَانيَة نَقُول مَع مُحرّر المَجلّة : « أَنَّ السَّـيِّدَة زَيْـنَب رَمْـزٌ لشَـيء عَـمِيق الدَّلاَلَة » . أَنَّها لكَلمَة بَالغَة ، مَا أَنطق بهَا الكَاتب إِلاَّ الحَقّ ، وَإِلاَّ عَظمَة السَّيِّدَة ، أَنَّها لكَلمَة تَحْمل مِن المَعَاني مَا تضِيق عَنْهَا المُجلّدَات ؛ وَكُلّ مَآثر أَهْل البَيْت الطَّاهر لاَ تَتَّسع لهَا الكُتب وَالأَسفَار .

الإمَام الصَّادِق عليه السلام

فِي هَذِه السُّنَّة (١٣٨٠ هـ) ظَهَر فِي الرِّيَاض عَاصمَة المَملكَة السُّعوديَّة مَجلَّة تَحْمل آسم « رَايَة الإِسلاَم » ، وَصَاحب الإمتِيَاز آسْمَه الشَّيخ عَـبداللَّـطيف بـن إبْرَاهِيم آل الشَّيخ . وَرَئِيس التَّحرِير الشَّيخ صَالح بن مُحَمَّد بن لحيدَان ، وَالمُدِير الشَّيخ عَليّ بن حَمد الصَّالحي[1] . « ثَلاَثَة لَيْسَ لَيْسَ لهُم شَبِيه » بَـاعُوا أَنْـفسهُم للشَّيطَان ، وَقَبضُوا الثَّمن كَاملاً ، فَجَرىٰ مِنْهُم مَجرىٰ الدَّم فِي العُروق ، وَمَا خَالفُوا لهُ قَولاً ، وَلاَ عَصوا لهُ أَمراً حَتَّىٰ أَصَاب مِنْهُم كُل مَا يَـبْتَغي ، وحَـتَّىٰ أَصْـبَحُوا لهُ نَصيباً مَفرُوضَاً ، وَأَطوَع لهُ مِن بنَانه ، يُدِيرَه كَيف شَاء ، وَمَتىٰ أَرَاد ، فَإِذَا تَكـلمُوا فبلسَانه ، وَإِذَا كَتَبوا فبقَلَمه ، وَإِذَا فَكّروا فبوَحي مِنْهُ يُفكرُون ، وإِذَا فَعَلوا فـبأَمرهِ يَعْملُون .

وَفِي رَبِيع الآخر سَنَة (١٣٨٠ هـ) صَدَرت الأَوَامـر لهَـؤلاَء « الثَّـلاَثَة » مِـن سَيِّدهِم « أَبي مُرّة » أَنْ يَكتبُوا فِي مَجلّتهِ « رَايَـة الشَّـيطَان » مَـقَالاً وَضـع لهُـم تَصَامِيمه ، وَرَسم معَالمه ، ثُمَّ أَوحىٰ إِلَيهِم أَنْ يُقِيمُوا عَلَيهَا أَركَانه وَبُنيَانه ، فَنَشرُوا مقَالاً فِي العَدَد الخَامس بعُنوَان « خطَاب مَوجّه لشَيخ الجَامع الأَزْهَر » ، وَقـّعُوه

---

(١) كَان مِن نَتِيجَة الرُّدُود وَالإحتجَاجَات الَّتي قَام بهَا عُلمَاء جَبل عَامل ، وَأَهْل القَطِيف ، وَالبَحرَين أَنْ طَردَ المَسؤولُون فِي السُّعوديَّة الشَّيخ الصَّالحي مِن إدَارَة المَجلَّة . (مِنْهُ رحمه الله) .

بأسم «إبْرَاهِيم الجَبهَان». وَهَذي هِي الأُسّس الَّتي أوحىٰ بهَا إبلِيس إلَىٰ شيُوخه، وَأحتوَاهَا مقَال آله وَرجَاله.

١ ـ التَّهجُم عَلىٰ شَيخ الأَزْهَر بألفَاظ السَّفاهَة وَالجهَالَة؛ لأَنَّهُ نَاصَر دَعوَة التَّقريب بَيْنَ المَذَاهب الإِسلاَميَّة، وهَذِه الدَّعوَة تُرضي الله الَّذي قَالَ: ﴿وَلَاتَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ﴾[1]، وَتُغْضب سَيِّدهُم إبْلِيس الَّذي يُفرّق بَيْنَ المَرء وَزَوّجه، وَيُبث التَّعصب، وَالشِّقاق بَيْنَ العبَاد.

٢ ـ نَعتُ الإِمَام الصَّادِق عليه السلام بمَا يَهْتَزّ لهُ العَرش، وَيقُوم لهُ الكَون بمَا فِيهِ، أفْتَروا عَلىٰ عَظَمته لاَ لشَيء إلاَّ لأَنَّهُ إمَام العِلم وَالدِّين، وَقَائِد الخَير وَالحَقّ، وَحَرب عَلىٰ الشِّرك وَالمُشركِين، وَعزّ للإِسلاَم وَالمُسْلمِين، وَإلاَّ، لأَنّهُ مُهجَة الرَّسُول النَّاطق بلسَانه، وَالحَافظ لشَريعَته وَتَعَالِيمه.

٣ ـ تَكْفِير الشِّيعَة بعَامّة، وَالإِمَامِيَّة مِنْهُم بخَاصّة، وَالتَّحرِيض عَلىٰ قَتْلهِم وَإبَادتهِم، لأَنَّهم يَعْبدُون الله مُخلصِين لهُ الدِّين، لاَ يُوَالُون فَاجرَاً، وَلاَ يُهَادنُون جَائرَاً، وَلاَ يُسَاومُون مُسْتَعمرَاً.

هَذِي هِي الأُسّس الَّتي رَسَمهَا الشَّيطَان لشيُوخه، وَبَنوا عَلَيهَا بُنيَانه فِي مَجلّته، فَتَصدىٰ لهُم عُلمَاء جَبل عَامل فِي لُبنَان الَّذِين كَانُوا وَمَا زَالُوا الرُّكن الرَّكِين للإِسلاَم، وَالحِصن للتَّشيُّع وَمَباديء أَهْل البَيْت الكِرَام، فَاحْتَجُوا لدَىٰ المَسؤلين فِي السُّعوديَّة، وَفي سفَارتهَا ببَيرُوت، وَنَشرُوا الرُّدُود فِي المَجلاَّت وَالجرَائد، كمَا قَام أَهْل القَطِيف، وَالبَحرَين بوَاجبهِم فِي هَذِه السَّبِيل، وَهَدمُوا مَا بَنَاه شيُوخ مَجلّة الشَّيطَان وَنَقضُوا مَا دبرُوا، وَعَليهِ تَآمرُوا، حَتّىٰ اَضْطَروهُم

(١) الأنفَال: ٤٦.

مُرغَمين إلىٰ أَنْ يَكتبُوا فِي العَدَد السَّابع مِن هَذِه المَجلّة مَقالاً ضَافياً عَن الإِمَام الصَّادِق وَعَظمَته عِند الله وَالنَّاس، فَأقرّوا بِالحَقِّ بَعد أَنْ جَحدُوا، وَأَكذبُوا أَنْفسهُم بأَنْفسِهم. وَمِمَّا جَاء فِي المقَال المَذْكُور:

«نَحْنُ الآن بصَدد عَلَم مِن أَعلاَم الإِسلاَم، وَسَيِّد مِن سَادَات المُسْلِمين، لَمْ يَكُن أَمِيراً وَلاَ مَلكاً، وَلَم يَكُن قَائِداً وَلاَ خَلِيفَة، وَلكنَّه أَسمىٰ مِن ذَلِكَ وَأَجل، أَنَّه عَالِم مِن خيَار عُلمَاء المُسْلِمين، وَخِيرَة بَني هَاشِم، أَنَّه مِن سُلاَلَة آل بَيْت الرَّسُول الَّذي نَكُن لهُم كُلّ حُبّ وَاحترَام، وَالَّذِين لاَ يَحصل إِيمَان أَحد إِلاَّ وَقَلبهُ عَامر بحبّ رَسُول الله وَآله، فَآل البَيْت عِندَ أَهْل السُّنَّة مُكرمُون مُحترَمُون مُعْتَرف لهُم فَضلهُم وَقُربهُم مِن الرَّسُول، وَحُبّهم دِين وَصَلاح، وَالتَّرضي عَنْهُم مَبدَأ يَسِير المُسْلِمُون عَلَيهِ، وَصَاحبنَا مِن أَفضَل أَهْل البَيْت، وَلَم يَأت بَعده أَفضَل وَلاَ أَتقىٰ مِنْهُ، فهُو الإِمَام الَّذي اتّفق المُسْلِمُون عَلىٰ اخْتلاَف طوَائفِهم وَتَعدُّد مذَاهِبهم عَلىٰ إِمامَته وَوَرعه وَتَقوَاه، وَأَثنُوا عَلَيهِ وَمَدحُوه، لفَضلِه وَزُهده، وَعِلمه، وَقَرَابته مِن رَسُول الله... وَنَشر العِلم، وَأَخذ عَنْهُ خَلق كَثِير، وَرَوىٰ عَنْهُ سَادَة الأُمّة وَخيَارها أَمثَال سُفيَان الثَّوري، وابْن عُيَيْنة، وَسَلمَان بن بلاَل، وَالدَّراوَردي، وَابْن حَازم، وَأَبُو حَنِيفَة، وَمَالك... وَقَالَ أَبُو حَاتم: «لاَ يُسأل عَن مِثْله»[(١)]. وَقَالَ عُمَر بن المُقدَاد: «كُنتُ إِذَا نَظرتُ إِلَىٰ جَعْفر بن مُحمَّد عَلِمتُ أَنَّه مِن سُلاَلَة النَّبيِّين»[(٢)].

---

(١) أُنظر، الجَرح وَالتَّعدِيل: ٢ / ٤٨٧ رَقْم «١٩٨٧»، مِيزَان الإِعتدَال فِي نَقد الرِّجَال: ٢ / ١٤٤ رَقم «١٥٢١»، تَهذِيب التَّهذِيب: ٢ / ٨٨ رَقم «١٥٦»، تَهذِيب الكمَال: ٥ / ٧٨.

(٢) أُنظر، تَهذِيب التَّهذِيب: ٢ / ١٠٤، حليَة الأَولِيَاء: ٣ / ١٩٣، تَذكرَة الخوَاصّ: ٣٤٢، يَنَابِيع المَودّة: ٣ / ١٦٠، مَنَاقب آل أَبي طَالِب: ٣ / ٣٧٣.

وَأَثنىٰ عَلَيهِ شَيخ الإِسلاَم ٱبْن تَيميَّة[1] فِي مِنْهَاج السُّنَّة، وَقَالَ عَنْهُ: «أَنَّه مِن خيَار أَهْل الفَضل وَالدِّين»[2]، وَأَشَاد بفَضلهِ. وَقَالَ السَّخَّاوي: «كَان مِن سَادَات أَهْل البَيْت فِقهَاً، وَعِلمَاً، وَفَضلاً، وَجُوداً، يَصلح للخِلاَفَة بسُؤدَده، وَفَضله، وَعِلمه، وَشَرفه..»[3].

وَقَالَ عَنْهُ أَبو حَنِيفَة: «مَا رَأيتُ أَفْقَه مِنْهُ»[4].

وَقَالَ عَنْهُ مَالك: «ٱختَلفتُ إِلَيهِ زَمَاناً، فَمَا كُنتُ أَرَاهُ إِلاَّ مُصلّيَاً أَو صَائِمَاً، وَمَا رَأَيتهُ يُحدّث إِلاّ عَلىٰ طَهَارَة»[5].

هَذَا مَا قَالَتهُ المَجلّة فِي عَدَدها السَّابع بَعد أَنْ نَشَرت مَا نَشَرتهُ فِي العَدَد الخَامس، وَهَكذَا أَنْكَر أَبُو سُفْيَان نُبوّة مُحَمَّد، وَقَاد الجيُوش لحَرْبهِ فِي بَدْر، وَأُحد، وَالخَنْدَق، ثُمَّ آمن بهِ حِين جَاء نَصر الله وَالفَتح!...

كَتَبتُ رَدّاً عَلىٰ مَجلَّة الشّيُوخ الثَّلاَثَة نَشَرته العرفَان فِي عَدَد تشرِين الثَّاني سَنَة (١٩٦٠م)، ثُمَّ نُشر فِي كُرَاسَة مُسْتقلَة.

وَرَغب إِليّ بَعْض الإِخوَان الأَفَاضل أَنْ أَكتُب كَلمَة حَول كتَاب جَدِيد، ٱسمهُ

---

(١) ٱبْن تَيمِيّة الحُجَّة الكُبرىٰ وَالقُدوَة العُظمىٰ عِند الوهَابيِّين. (مِنْهُ رحمه الله).

(٢) أُنظر، مِنْهَاج السُّنَّة: ٤/٢٠٩.

(٣) أُنظر، القَول البَدِيع فِي الصّلاة عَلىٰ الحَبِيب الشَّفِيع، للحَافظ السَّخَاوي: ١١٣، رجَال مسلم: ١/١٢٠ رقم «٢٢١»، سِير أَعلاَم النّبلاَء: ١٣/١٢٠، شَرح الأَخبَار: ٣/٢٩١، مَنَاقب آل أَبي طَالب: ٣/٣٧٢.

(٤) أُنظر، تَهذِيب الكَمَال: ٥/٧٩، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٢/١٣٢، جَامع مَسَانِيد أَبي حَنِيفَة: ١/٢٢٢، مَنَاقب آل أَبي طَالب: ٣/٣٧٨، سِير أَعلاَم النُّبلاَء: ٦/٢٥٧.

(٥) أُنظر، تَهذِيب الكَمَال: ٥/٧٨، تَذكرَة الحُفَّاظ: ١/١٦٦، سِير أَعلاَم النُّبلاَء: ٦/٢٥٧، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٢/١٣٣.

« الإِمَام الصَّادِق » لفَضِيلَة الأُستَاذ العَالم الشَّيخ مُحَمَّد « أَبُو زُهرَة » ، وَفي نَفْس الوَقت طَلَب مِنّي الأُستَاذ نَزار أَنْ أَكتُب للعرفَان مقَالاً مُستقلاً عَن الإِمَام الصَّادِق عليه السلام ، لاَ أَتعَرض فِيهِ لكتَاب أَبي زُهرَة ، لاَ تَأيِّيداً وَلاَ تفنِيداً ، وَحُجّته فِي تبرير هَذَا الشَّرط أَنْ يَعرف أَصحَاب مَجلّة الشَّيطان عَلىٰ آيّة عَظمَة تَجرأوا ، وَمِن أَيّة قَدَاسة نَالوا ، فَيأتي المقَال رَداً ضِمنيّاً بَعد الرَّد الصَّريح .

وَمَا دَامت هَذي هِي الغَايَة الأُولىٰ وَالأَخِيرَة مِن هَذَا المقَال[1] ، فَإنّي أَنقُل للقُرّاء مَا ذكَره الشَّيخ أَبُو زُهرَة مِن النُّعُوت وَالأَوصَاف الّتي وَصَف بهَا الإِمَام الصَّادِق في كتَابِهِ المَذكُور ، هَذَا مَع العِلم بأَنَّ صَاحب الكِتَاب أَزْهَري ، بَل مِن شيُوخ الأَزْهَر الكُبّار ، وَالمُؤلّفِين المُكثرِين ، وَالبَاحثِين المَعرُوفِين ، وَقَد بَلَغت صَفحَات الكِتَاب (٥٦٨) بالقَطع الكَبِير ، وَكُلّها أَو جُلّها أَرقَام وَشوَاهد عَلىٰ إِمَامَة الصَّادِق فِي الدِّين وَالعُلُوم ، وَعُلو مَنْزلَته فِي الفضَائِل وَمكَارم الأَخلاَق كَامِلَة دُون اَسْتثنَاء .

وَقَد اَقْتَبستُ مِن مَجْمُوع صَفحَات الكِتَاب وَسطُوره كَلمتي التَالية مُشِيراً فِي آخرهَا إِلَىٰ بَعْض المُلاَحظَات . وَسَلفاً أَقُول : أَنَّها لَمْ تَفِ بِالغَايَة مِن عَظمَة الإِمَام الصَّادِق الَّتي صَورهَا الشَّيخ فِي كتَابِهِ ، فَلَقد أَبرَز مِن شَخصيَّة الإِمَام مَا لاَ يَفي بِهِ إِلاَّ كتَاب ضَخم فِي حَجم كتَابه الحَافل ، وَلَيْسَ مِن شَكٍّ أَنَّ إِيمَانه بقُوىٰ شَخصيَّة

(١) لَمْ يَكُن مِن قَصدي إِدرَاج هَذَا المقَال هُنا ، بَل كَان العَزم عَلىٰ نَشرَه فِي العرفَان ، وَكَفىٰ ، وَلَكن رَغَب إِليَّ أَكثَر مِن وَاحد أَنْ أَنشرَه فِي كُرَاسَة عَلىٰ حِدَة ، وَجَاءتني رَسَائِل بِذَلِكَ مِن بَعْض الإِخوَان فِي البَحرَين بَعد أَنْ عَلمُوا بِهِ ، فَرَأيتُ أَنْ أَنشرَه هُنا وَفي العرفَان ، لأَنَّ رسَالتي أَنْ تَعم منَاقب الآل الكِرَام كُلّ مَكَان وَزمَان ، وَأَنْ تَتردَّد عَلىٰ كُلّ لسَان ، وَفي كُلّ صَحِيفَة وكتَاب ، هَذَا بالإِضَافَة إِلَىٰ أَنّي عَرَفتُ كتَابي هَذَا فِي المُقَدّمَة « بأَنَّ فِيهِ ذِكراً لآل الرَّسُول ، وَلاَ شَيء أَكثَر مِن ذَلِكَ » . (مِنْهُ رحمه الله) .

الإِمَام وَغزارتهَا قَد ٱسْعفَاه وَأَمَدَّاه بتِلكَ الصَّحفَات الطّوال، وَعَكسَا فِي نَفسهِ وَعَقلهِ سطُورهَا وَكَلمَاتهَا.

ٱستَمع إِلَىٰ المُؤلّف، وَهُو يَقُول فِي أَوَّل صَفحَة مِن مُقدَّمة الكِتَاب: كَتَبنَا عَن سَبعَة مِن الأَئِمَّة الكِرَام، وَتَأخرنَا فِي الكتَابَة عَن الإِمَام الصَّادِق تَهيّبَاً لمَقَامه.

ثُمَّ أَنَّ الشَّيخ الفَاضل يُوَافق الإِمَامِيَّة الإِثني عَشريَّة عَن عِلم وإِيمَان بكُلّ مَا يَعْتَقدُونه بالإِمَام الصَّادِق، وَلاَ يُخَالفهُم إِلاَّ فِي أمرَين: الأَوّل فِي وجُوب العِصْمَة لهُ، وَالثَّاني فِي أَنَّه إِمَام سيَاسي، كمَا أَنَّه إِمَام دِيني بالنَّص مِن إِمَام عَن إِمَام إِلَىٰ أَنْ يَنْتَهي النَّص إِلَىٰ الرَّسُول الأَعْظَم صلى الله عليه وآله. أَنَّ الشَّيخ أَبَا زُهرَة يَعْتَقد بإِمَامَة الصَّادِق فِي الدِّين وَالعُلُوم، وَأَنَّه الفَصل وَالفَارق بَيْنَ الحَقّ وَالبَاطل، كمَا جَاء فِي: ١٨٤، وَلَكنَّه يَخْتَلف عَن الإِمَامِيَّة بالإِتّجَاه، وَقَد بَيْنَ ذَلِكَ صرَاحَة فِي: ٧٤ حَيث قَالَ مَا نَصّه بالحَرف الوَاحد:

«نَدْرُس الإِمَام الصَّادِق بنَظرنَا وَتَفكِيرنَا وَبٱتّجَاهنَا، وَلَسنَا بصَدَد تَقرِير مَا يَرَاه الَّذِين حَملوا ٱسم الجَعْفريَّة فَقط، وَلاَ ضَير فِي أَنْ يَخْتَلف نَظرنَا إِلَىٰ الإِمَام عَن نَظرهم مَا دَامت النَّتيجَة هِي بَيَان شَأن الإِمَام، وَبيَان عُلو قَدره، وَقَد ٱعْلَوه بنَظرهم، وَنُعلِيه بنَظرنَا، وَالغَايَة وَاحدَة، وَحَسبهُ شَرفَاً أَنَّه يَصل إِلَىٰ أَعلىٰ مَرَاتب الرِّفعَة بٱتّجَاهنَا وَٱتّجاههم، وَنَظرنَا وَنَظرهُم».

وَالآن، وَبَعد هَذَا التَّمهِيد تَعَالُوا مَعي لنَرىٰ إِلَىٰ هَذِه الشَّرارَة مِن القَبس الَّذي آتَانَا بِهِ فَضِيلَة المُؤلّف مِن نُور الإِمَام الصَّادِق وَهَديه:

نَسَبُهُ:

يَنْتَهي نَسَبهُ إِلَىٰ سَيف الله المَسلُول، وَفَارس الإِسلاَم عَليّ بن أَبي طَالِب، وَقَد نَال فَوق هَذَا كُلّه أَكبَر شَرَف فِي الإِسلاَم بَعد العَمَل الصَّالح، وَهُو مِن عِترَة النَّبيّ الطَّاهِرَة[١].

وَصْفَهُ الجِسْمي:

كَان ربعَة لَيْسَ بالطَّوِيل وَلاَ بالقَصِير، أَبْيَض الوَجْه أَزهَر، لهُ لمعَان كَأَنَّه سرَاج، أَسوَد الشّعر أَجْعَده، أَشم الأَنْف، وَقَد انْحَسر الشَّعر عَن جَبِينَه فَبدَا مُزهرَاً، عَلىٰ خَدّه خَال أَسوَد، وَلمَّا تَقدّم فِي السّن زَادَه الشَّيب بهَاءً وَوقَاراً وَجَلاَلاً وَهَيبَة[٢].

تَسمِيَتهُ بالصَّادِق:

قَالَ ابْن خِلّكِان فِي كتَاب وَفيَّات الأَعيَان: «لُقّب بالصَّادِق لصِدق مقَالَته»[٣]. وَقَال أَبو زُهرَة: «وَمَن يَكُون أَصدَق قَولاً مِمَّن لَقّبهُ الخصُوم

---

(١) أُنظر، كَشف الغُمّة: ٢ / ١٥٥ و ١٦١ و ١٨٧، عُمدَة الطَّالب: ١٩٥، مطَالب السّؤول: ٨١، وَفيَات الأَعيَان: ١ / ٢٩١، صَفوة الصَّفوة: ٢ / ٦١، الإِرشَاد للشَّيخ المُفِيد: ٣٠٤، و: ٢ / ١٧٩ طَبعَة آخر، الكَافِي: ١ / ٤٧٢، البحَار: ٤٧ / ١ح ١، و٤ح ١٢، و٦ح ١٧، دَلاَئل الإِمَامة: ١١١، تَذكرَة الحفّاظ: ١ / ١٦٦، كفَاية الطَّالب: ٤٥٥، الفُصُول المُهمّة: ٢ / ٢٣٧، بِتحقّيقنا.

(٢) أُنظر، الفُصُول المُهمَّة فِي مَعرفَة الأَئِمَّة لِابْن الصَّباغ المَالكي: ٢ / ٢٣٨، بِتحقِيقنا)، المنَاقب لِابن شَهرآشُوب: ٣ / ٤٠٠، نُور الأَبصَار للشّبلنجي: ٢ / ٨٨، بتَحقّيقنَا.

(٣) أُنظر، الجَامع الصَّغِير: ١ / ٢٣٨ ح ٣٩٨، التَّمهِيد لِابْن عَبدالبر: ٢ / ٦٦، تُحفَة الأَحوذي: ١ / ١١٥، فَيض القَدِير: ٣ / ٢٢٩، لسَان المِيزَان: ٧ / ١٩٠ رَقم «٢٥٢٦»، تَقرِيب التَّهذِيب: ١ / ١٤١ رَقم «٩٥٠».

وَالأَولِيَاء، والتَّأرِيخ كُلّه بالصَّادِق، وَهُو الإِمَام أَبُو عَبدالله عليه السلام[١] وَعَن آبَائه الأَكرَمين الأَبرَار الأَطْهَار عليهم السلام. وَمِن الأَئِمَّة مَن اختَلف فِيهِ النَّاس بَيْنَ مُوَال غَالي فِي ولاَيَته، وَخَصم غَالىٰ فِي خصُومَته، والإِمَام الصَّادِق أَجمَع العُلَمَاء عَلىٰ فَضْلِهِ، وإِذَا غَالىٰ كَثِيرُون فِي مَحبّته، فَإِنّه لَم يَكُن العَكس بالنِّسبَة إِلَىٰ الإِمَام الصَّادِق، حَيث لَمْ يُغَال فِي عَداوَته أَحد، بَل لَمْ يُعَاده أَحد[٢].

صِفَاتَه النَّفسيَّة:

أَمَّا صِفَاته النَّفْسيَّة وَالعَقليَّة فَقْد عَلاَ بِهَا عَلىٰ أَهْل الأَرْض، وَأَنَّىٰ لأَهْل الأَرْض أَنْ يُسَامتُوا أَهْل السَّماء؟! سمُو فِي الغَايَة، تَجرد فِي الحَقّ، وَريَاضَة للنَّفس، وَانْصرَاف إِلَىٰ العِلم، وَالعِبَادَة، وَابْتعَاد عَن الدُّنْيَا وَمَآربهَا، وَبَصِيرَة تُبَدّد الظُّلمَات، وَإِخلاَص لاَ يَفُوته إِخلاَص، لأَنَّهُ مِن مَعْدنهِ، مِن شَجرَة النُّبوّة، وإِذَا لَمْ يَكُن الإِخلاَص فِي عِترَة النَّبيّ، وَأَحفَاد عَليّ فَفِيمَن يَكُون؟! فَلَقد توَارَث أَحفَاد عَليّ الإِخلاَص خَلفاً عَن سَلَف، وَفرعاً مِن أَصل، فَكَانُوا يُحبّون لله، وَيُبغضُونْ لله وَيَعْتَبرُون ذَلِكَ مِن أُصُول الإِيمَان وَظوَاهر اليَقِين.

وَالصَّادِق مصدَاق لقَولِهِ تَعَالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[٣]، وَهُو مِن أَولِيَاء الله الَّذِين قَالَ فِيهِم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ

---

(١) أنظر، تأرِيخ الخَشّاب: ١٨٨، مَقصد الرَّاغب: ١٥٦، تَأرِيخ أَهْل البَيْت عليهم السلام: ١٣٨، الهِدَاية الكُبرىٰ: ٢٤٧، دَلاَئل الإِمَامة: ١١٢، المعَارف: ٢١٥، كفَاية الطَّالب: ٤٥٥.

(٢) أنظر، الإِمَام الصَّادق، أَبُو زُهرَة: ٣٦، الهِدَاية الكُبرىٰ: ٢٤٧.

(٣) فَاطِر: ٣٢.

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[١]، وَهُو مِن الَّذِين عنَاهُم جدّه الرَّسُول بقَولِهِ: «أَنَّ الله يُحبّ ذَا البَصر النَّافذ عِندَ وُرُود الشُّبهَات، وَيُحب ذَا العَقل الكَامِل عِندَ حلُول المشكلاَت»[٢]. وَمَن غير الصَّادِق يُبَدد الشُّبهَات بعَقلِهِ النَّير، وَبَصِيرَته الهَادِيَة المُرشدَة؟!.

وَكَان عَليّ بي أَبي طَالِب مِن أَسْخىٰ الصَّحَابَة، بَل مِن أَسْخىٰ العَرب، وَقَد كَان أَحفَاده كَذَلِكَ مِن بَعْدِهِ، فَزَين العَابدِين كَان يَحْمل الطَّعَام لَيلاً لِيُوزعَه عَلىٰ بيُوت مَا عَرفَت خصَاصتهَا إلاَّ مِن بَعْدِهِ[٣]، فَلَم يَكُن غَرِيبَاً أَنْ يَكُون الإِمَام الصَّادِق النَّابت فِي ذَلِكَ البَيْت الكَرِيم سَخيَّاً جوَاداً، فَقْد يُعطي حَتَّىٰ لاَ يُبقي لعيَاله شَيئَاً.

وَكَان حَلِيمَاً لاَ يُقَابل الإِسَاءَة بمِثلهَا، بَل يُقَابلهَا بِالَّتي هِي أَحسَن عَملاً بقَوله تَعَالىٰ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[٤].

أَمَّا الشَّجَاعَة فَقْد كَانَت مُلاَزمَة لذُرِّيَّة عَليّ، وَهي فِيهِم كَالجِبلّة، لاَ يَهَابُون المَوت، وَبخَاصّة مَن يَكُونُون فِي مِثْل حَال أَبي عبدالله الصَّادِق الَّذي عَمَرَ الإِيمَان قَلْبه، وَٱنْصَرف عَن الأَهوَاء وَالشَّهوات، وَٱستَولىٰ عَلَيهِ خَوف الله تَعَالىٰ وَحدَه، وَمَن عَمَر قَلْبه بالإِيمَان لاَ يَخَاف أَحداً إلاّ الله.

وَكَان ذَا فرَاسَة قَوِّيَة جَعَلتهُ ذَا إِحسَاس قَوي يُدرك بِهِ مَغبَة الأُمُور، وَالفرَاسَة مِن أَخلاَق المُؤمِنين، كمَا أَنَّ الله سُبْحَانَهُ قَد أَضفىٰ عَلَيهِ جَلاَلاً وَنُوراً مِن نُورِهِ،

---

(١) يُونُس: ٦٢.

(٢) أنظر، البدَايَة وَالنّهايَة: ١ / ٣٦٢، مُسْنَد الشّهَاب: ٢ / ١٥٢ ح ١٠٨٠.

(٣) أُنظر، تَأريخ دِمَشق: ٣٦ / ١٥١، تَأرِيخ اليَعقُوبي: ٣ / ٤٥، البدَايـة وَالنـهاية: ٩ / ١٠٥، مُختَصر تأريخ دِمَشق: ١٧ / ٢٣٨، حليَة الأَوليَاء: ٣ / ١٣٦.

(٤) ٱلمُؤمِنُون: ٩٦.

وَذلِكَ لَكثرَة عبَادتهِ وَصَمته عَن اللَّغو، وَقَد رَاع أَبَا حَنِيفَة مَنْظَر الإِمَام الصَّادِق، وَٱعترَاه مِن الهَيبَة لهُ مَا لَمْ يَعتَره مِن الهَيبَة للـمَنصُور صَـاحب الطَّـول وَالحَـول وَالقُوّة، وَالتَقىٰ بِهِ ٱبْن أَبي العَوجَاء، وَهُو مِن دُعَاة الزَّنَادقَة فَٱرتَـاع، وَلَـم يَـحر جوَاباً، فَتَعجب الصَّادِق مِن أَمرِهِ، وَقَالَ لهُ: مَالَك ؟!... فَقَال: مَا يَنْطُق لسَاني بَيْنَ يَدَيك، فَإِنّي شَاهَدتُ العُلْمَاء، وَنَاظرتُ المُتكَلمِين، فَمَا دَاخَلني قَـطّ مِـثْل مَـا دَاخَلني مِن هَيْبَتك[١]!..

هَذِه بَعْض صفَاته النَّفْسيَّة، وَببَعضهَا يَعلُو عَلىٰ الرِّجَال، وَيَـرتَفع إِلَـىٰ أَعْـلىٰ المَرَاتب، فَكَيف وَقَد تَحلّىٰ بهَذِه الصِّفَات وَغَيرهَا[٢]؟!..

عُلُومَه:

ٱنْصَرف الإِمَام الصَّادِق بكُلّهِ إِلَىٰ العِلْم، فَلَم يَشغَل نَفْسَه بشَيء سوَاه، وكَـان مخْلصَاً لله فِي إِحيَاء العِلم وَنَشرَه، يُـرشِد الضَّـال، وَيُـهدي إِلَـىٰ الحَـقّ، وَيَـردّ الشُّبهَات، وَيَدفَع الزَّيغ، وَيَعمل عَلىٰ تَنْقيَة عَقَائد المُسْلمِين مِمَّا ٱعْتَرىٰ بَعْضهَا مِن الْإِنْحرَاف، وَيَبث رُوح التَّسامح، وَيَمنَع الطَّائفيَّة، فكَان بِـذَلِكَ الإِمَـام الصَّـادِق حَقَّاً، وَحَفِيد الْإِمَام عَليّ، وَسَيِّد العِترَة الطَّاهرَة.

وكَان يَدْرس عِلم الكَون، وَمَا ٱشْتَمل عَلَيهِ، وَمِن تَلاَمِيذه الكِـيمَائِي الشَّـهِير جَابر بن حَيَّان[٣]، تَلقىٰ عِندَه عِلْم الكِـيميَاء، وَوضَـع فِـيهِ رَسَـائِل، طُـبع مِـنْهَا

---

(١) أُنظر، بحَار الأَنوَار: ٣/ ٤٦.

(٢) أُنظر، الإِمَام الصَّادق، الشَّيْخ أَبو زُهرة: ٣٦.

(٣) جَابر بن حَيَّان بن عَبد الله الكُوفي، أَبُو مُوسىٰ: فِيلسُوف كِيميَاني، كَان يُعرَف بالصُّوفي. مِن أَهْـل ↔

خَمسِمئَة رسَالَة فِي أَلمَانيَا قَبل ثَلاَثمئَة سنَة، وَهي مَوجُودة فِي مَكْتبَة الدَّولَة ببَرلين، وَفي مَكتبَة بَاريس؛ وَمِمَّا قَالهُ الأُستَاذ أَبُو زُهرَة:

«أَنَّ الإِمَام جَعْفرَاً كَان قُوّة فِكريَّة فِي هَذَا العَصر، فَلَم يَكْتَف بِالدّرَاسَات الإِسلاَميَّة، وَعُلُوم القُرآن، وَالسُّنَّة، وَالعَقِيدَة، بَل آتّجه إِلىٰ درَاسَة الكَون وَأسرَاره، ثُمَّ حلّق بعَقلِهِ الجَبّار فِي سمَاء الأَفلاَك، وَمدَارَات الشَّمس، وَالقَمر، وَالنّجُوم، وَبِذَلِكَ عَلم مقدَار نِعمَة الله عَلىٰ عَبيده... وقَدَ عُني عنَايَة كُبرىٰ بدرَاسَة

↔ الكُوفَة، وَأَصْلهُ مِن خرَاسَان. آتّصل بالبَرَامكَة، وَآنْقَطع إِلىٰ أَحدهِم جَعْفَر بن يَحييٰ. وَتُوفّي بطُوس. لَهُ تَصَانِيف كَثيرَة قِيل: عَددهَا (٢٣٢) كتَابَاً، وَقِيل: بَلَغت خَمسِمِئَة. ضَاع أَكثرهَا، وَتُرجم بَعض مَا بَقي مِنْهَا إِلىٰ اللّاَتِينيَّة. وَمِمَّا بَيْنَ أَيدينَا مِن كُتبِهِ ـ أَو الكُتب المَنسُوبَة إِلَيه ـ (مَجْمُوع رَسَائِل) نَحو أَلف صَفحَة، و (أَسرَار الكِيميَاء) و (عِلْم الهَيئَة) و (أُصُول الكِيميَاء) و (المُكْتَسب) مَع شَرح بِالفَارسيَّة للجَلدكي، وَكتَاب فِي (السّمُوم) و (تَصحِيحَات كُتب أَفلاَطُون) و (الخَمَائِر) و (الرَّحمَة) وَكتَاب (الخوَاصّ) الكَبير المَعرُوف بِالمقَالاَت الكُبرىٰ وَالرَّسَائل السَّبعِين، و (الرِّيَاض) و (صُندُوق الحِكْمَة) و (العَهْد) فِي الكِيميَاء. وَأَكثَر هَذِه المَخطُوطَات رَسَائِل. وَلجَابر شُهرَة كَبِيرَة عِندَ الإِفرَنج بمَا نَقلُوه، مِن كُتبه، فِي بِدء يَقظَتهم العِلميَّة. قَال برتلو (الجَابر فِي الكِيميَاء مَا لأَرسطُو طَاليس قَبله فِي المَنطق، وَهُو أَوّل مَن آستَخرج حَامض الكِبريتِيك وَسمَّاه زَيت الزَّاج، وَأَوّل مَن آكتَشَف الصّودَا الكَاوية، وَأَوّل مَن آستَحضر مَاء الذّهب، وَيُنسَب إِلَيه آستحضَار مُركبَات أُخرىٰ مِثْل كَربُونَات البُوتَاسيُوم وَكربُونَات الصُّوديُوم. وَقَد دَرَس خصَائِص مُركبَات الزِّئبق وَآستَحضرهَا) وَقَال لوبُون (تَتأَلّف مِن كُتب جَابر مَوسُوعَة عِلميَة تَحْتَوي عَلىٰ خلاَصَة مَا وَصَل إِلَيه عِلم الكِيميَاء عِند العَرب فِي عَصرهِ). وَقَد آشتَملَت كُتبه عَلىٰ بَيَان مُركبَات كِيمَاويَّة كَانَت مَجهُولَة قَبْله. وهُو أَوّل مَن وَصَف أَعمَال التَّقطِير وَالتَّبلور وَالتَّذويب وَالتَّحويل... إِلخ.

أُنظر، فَهرَست آبن النَّدِيم: ١ / ٣٥٤، أَخبَار الحُكمَاء: ١١١، المُقتَطف: ١ / ١٢٣، مُعْجَم المَطبُوعَات: ٦٦٤، الفِهرس التَّمهِيدي: ٥١٢ ـ ٥٢٠، آكتفَاء القنُوع: ٢١٣ و ٢١٤.

كَان فِي جُملَة البَرَامكَة وَمُنقطعَاً إِلىٰ جَعفَر آبن يَحيىٰ. وَفي الذَّرِيعَة: ٢ / ٥٥ نَصَّاً جَدِيداً، لهُ قِيمَته، وهُو روَايَة أَبي الرَّبِيع سُليمَان بن مُوسىٰ بن أَبي هِشَام عَن أَبِيه مُوسىٰ، فِي صَدر كتَاب (الرَّحمَة) لجَابر، قَالَ: (لمَّا تُوفِّي جَابر بطُوس سَنَة المِئتَين مِن الهِجرَة وَجد هَذَا الكِتَاب تَحت رَأسه).

النَّفس الإِنْسَانيَّة، وإِذَا كَان التَّأرِيخ يُقرّر أَنَّ سقرَاط قَد أَنْزَل الفَلسفَة مِن السَّماء إِلَىٰ الإِنْسَان، فَإِنَّ الإِمَام الصَّادِق قَد دَرَس السَّماء، وَالأَرْض، وَالإِنْسَان، وَشَرَائِع الأَديَان»[١].

وكَان فِي عِلم الإِسلاَم كُلّه الإِمَام الَّذي يَرجع إِلَيه، وَلهُ فِي الفِقه القَدح المُعلّىٰ، فهُو أَعلَم النَّاس بإِختلاَف الفُقهَاء، يَعلم الفِقه العرَاقي وَمَنَاهجه، وَفِقه المَدِينَة وَآرتبَاطه بأدلّتهِ وَآثَاره، وَآعْتَبره أَبُو حَنِيفَة أُستَاذه فِي الفِقه، فَقْد سُئل أَبُو حَنِيفَة: مِن أَينَ جَاء لَكَ هَذَا الفِقه؟

فَقَال: «كُنتُ فِي مَعدن العِلم، وَلَزِمتُ شَيخاً مِن شيُوخه»[٢]، وَهُو يَقْصد بمَعدن العِلم الإِمَام الصَّادِق.

وَهَيَّأ لهُ أَبُو حَنِيفَة أَربَعِين مَسأَلة بطَلَب مِن المَنصُور، فَأَجَاب عَنْهَا الإِمَام بمَا عِند العرَاقيِّين، وَمَا عِندَ الحجَازيِّين، وَمَا آرتَآه الإِمَام؛ فَقَال أَبُو حَنِيفَة: أَعْلَم النَّاس أَعْلَمهم بإِختلاَف النَّاس»[٣]. وَأَخذ عَنْهُ مَالك، وَيَحيىٰ، آبْن سَعِيد الأَنْصَاري، وسُفْيَان الثَّوري، وَغَيرهم كَثِير[٤].

وَرَوىٰ عَنْهُ أَصحَاب السُّنن: أَبُو دَاود، وَالتِّرمذي، وَالنَّسائي، وأبْن مَاجَه،

---

(١) أنظر، الإِمَام الصَّادق، الشَّيْخ أَبُو زُهرة: ١٠١. (مِنْهُ ﷺ).

(٢) أُنظر، تَهذِيب الكَمَال: ٥ / ٧٩، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٢ / ١٣٢، جَامع مَسَانِيد أَبي حَنِيفَة: ١ / ٢٢٢، مَنَاقب آل أَبي طَالب: ٣ / ٣٧٨، سِير أَعلاَم النُّبلاَء: ٦ / ٢٥٧.

(٣) أُنظر، مناَقب أَبي حَنِيفَة (للمُوفق): ١ / ١٧٢، جَامع أَسَانِيد أَبي حَنِيفَة: ١ / ٢٢٢، تَذكرَة الحفَّاظ: ١ / ١٥٧.

(٤) أُنظر، تَهذِيب الكَمَال: ٥ / ٧٨، تَذكرَة الحُفَّاظ: ١ / ١٦٦، سِير أَعلاَم النُّبلاَء: ٦ / ٢٥٧، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٢ / ١٣٣، الإِمَام الصَّادق، أَبُو زُهرَة: ٢٢ طَبْعَة أُولىٰ. أُنظر، تَرجَمة هَؤلاَء فِي سِير أَعلاَم النُّبلاء: ٦ / ١٥، تَذكرة الحُفَّاظ للذَّهبي: ١ / ١٣٧، الجَرح وَالتَّعدِيل: ٩ / ١٤٧، لسَان المِيزَان: ٤ / ٣٨٠، شَذرَات الذَّهب: ١ / ٢١٢، الثُّقات: ٥ / ٥٢١.

وَالدَّار قُطني، ومُسْلِم، وَكَثِيرُون غير هَؤلاَء مِن جمهُور السُّنَّة. وَقَالَ الشَّيخ أَبُـو زُهرَة: «أَنَّ العُلُوم الَّتي أَخذهَا عَليّ عَن النَّبيّ أَودعهَا ذُرِّيَّته، وَهُم أَذاعُوها عَلىٰ النَّاس حِين أُتِيحَت لهُم الفُرصَة. وهَذَا عَين مَا تَقُوله الإِمَامِيَّة فِي عُلُوم أَهْل البَيْت دُون زيَادة، وَقَد كَرّرُوه وَأَكدُوه فِي كُتب العَقَائد وَالحَـدِيث، وَالفِـقْه وَالتَّـفسِير، ونَظمَهُ أَحد شُعرَائهم[1]:

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَـبْغي لِـنَفْسك مَـذْهَباً ... يُنْجِيكَ يَوْم البَـعْث مِـنْ لهَبِ النَّـار

فَدَع عَـنْكَ قَـول الشَّـافِعِي وَمَـالِك ... وَأَحْمَد وَالمَروي عَنْ كَعْبِ أَحـبَار

وَوَالِ أُنَـــاساً نَـــقْلهُم وَحَـــدِيثهُم ... رَوىٰ جَدّنا عَنْ جِبرئِيل عَنْ البَاري

وَبهَذَا يَتَبيَّن مَعنَا أَنَّ قَول الشَّيخ: «أَنَّ الإِمَامِيَّة يَقُولُون: أَنَّ عِلْم الإِمَام جَـعْفَر إِلهَامي وَلَيْسَ بِكَسبي»[2]، مِن سَهو القَلم، وَنسبَة بِلاَ مَصْدَر، وإِذَا كَان الإِمَامِيَّة لاَ يَنسبُون عِلم النَّبيّ إِلَىٰ الإِلهَام بَل إِلىٰ جِبريل عَن الله جَلّ شَأنه؛ فَكَيف يَنْسبُون عِلم أَبْنَائه إِلَىٰ الإِلهَام؟ وَهُنَاك مُلاَحظَات أُخرىٰ عَلىٰ الكِتَاب:

«مِنْهَا»: «أَنَّ المُؤلّف لاَ يَسْتَطِيع أَنْ يَقْبل روَايَات الكُلَيني صَاحب الكَـافي، لأَنَّ بَعْض روَايَاته لاَ يَقُول بصحَتها كـبَّار عُـلمَاء الإِثـني عَشـريَّة، كَـالمُرتضىٰ وَالطُّوسي»[3].

وَنُجِيب فَضِيلَة الشَّيخ: بِأَنَّ التَّشكِيك فِي بَعْض روَايَات الكَافي لاَ يَسْـتَدعي طَرح روَايَاته كُلّهَا. وَقَد شَكَّك كَثِير مِن الحُفّاظ بِبَعض الرُّوَاة الَّذِين اعتَمد عَلَيهِم البُخاري فِي صَحِيحه، وَمَع ذَلِكَ لَم يَطْرَح أَهْل السُّنَّة كُل مَا فِي البُخَاري.

(١) أُنظر، عَوَلي اللّنَالي: ١ / ٣٠١، الصِّرَاط المُسْتَقِيم: ٣ / ٢٠٧.
(٢) أُنظر، الإِمَام الصَّادق، الشَّيخ أَبو زُهرة: ٧٠.
(٣) أُنظر، الإِمَام الصَّادق، الشَّيخ أَبو زُهرة: ٣٦.

نَقَل صَاحب كتَاب «أَضوَاء عَلىٰ السُّنَّة المُحَمّديَّة»: أَنَّ الحُفَّاظ ضَعّفُوا مِن رِجَال البُخَاري ثمَانِين رَجُلاً، وَمِن رِجَال مُسْلِم مِئَة وَستِين، وَبالرَّغم مِن هَذَا فَهُما مِن الصِّحَاح عِندَ السُّنَّة، وَإِذَا جَاز لنَا أَنْ نَطرَح جَمِيع روَايَات الكُلَيني لحَدِيثٍ وَاحد، أَو أَحَادِيث فِي مَوضُوعٍ مِن المَوضُوعَات يَجُوز لنَا، وَالحَال هَذِه، أَنْ نَطرَح جَمِيع روَايَات البُخَاري، وَمُسْلِم»[1].

هَذَا، وَقَد رَجَّح البُخَاري صِدق رَاوٍ، وَرَجّح مُسْلِم كِذبه، كعِكرمَة مَولىٰ ابْن عَبَّاس[2] وَمَع ذَلِكَ يَعْتَبر أَهْل السُّنَّة كُلاً مِن كتَاب البُخَاري ومُسْلِم صَحِيحاً، وَبَدِيهَة أَنَّ الشَّيء الوَاحد لاَ يَتّصف بصِفَة وَنَقِيضهَا فِي آنٍ وَاحد.

«وَمِنْهَا»: «أَنَّ النَّبيّ كَان يَجْتَهد، وَكَان فِي إِجْتِهَاده عُرضَة للخَطأ... بَل ثَبَت أَنّه قَد أَخطَأ وَعَلّمهُ رَبّه الصَّوَاب»[3].

إِنَّ خَطَأ الأَنْبيَاء فِي الأَحكَام مُحَال بحُكم العَقل؛ لأَنَّ وقُوع الخَطأ مِنْهُم مُنَاف لحِكمَة البِعْثَة المَقصُود مِنْهَا إِرشَاد الخَلق إِلَىٰ الحَقّ، أَنَّ قَول النَّبيّ دَلِيل قَاطع لرَفع الخَطأ، فَإِذَا أَخطَأ انْتفت عَنْهُ صفَة الدّلاَلَة، وَبالتَالي تَنْتَفي عَنْهُ صِفَة النّبُوّة وَالرِّسَالَة[4].

---

(١) أُنظر، أَضوَاء عَلىٰ السُّنَّة المُحَمّديَّة: ٢٧٥ طَبعَة دَار التَّألِيف سَنَة (١٩٥٨م). (مِنْهُ رحمه الله).

(٢) جَاء فِي كُتب السُّنَّة أَنَّ عِكرمَة هَذَا الَّذي صَدّقه البُخَاري وَعَمل بحَدِيثه قَد مَلأ الدُّنْيَا كِذباً، وَأَنَّه كَان يَرىٰ رَأي الخوَارج، وَيَقبل جوَائز الأُمرَاء، وَجَاء فِي كُتب السُّنَّة أَيضاً أَنَّ أَبَا هُرَيرَة كَذّبه عَليّ، وَعُمر، وَعَائِشَة، وَمَع ذَلِكَ رَوىٰ عَنْهُ البُخَاري، وَمُسْلِم. (مِنْهُ رحمه الله).

(٣) أُنظر، الإِمَام الصَّادق، الشَّيخ أَبُو زُهرة: ٧٣.

(٤) أُنظر، كتَابنَا «الإِجْتِهَاد وَالتَّقلِيد بِدَايَةً وَتَطوّراً، مُحَاوَلَة لِفَهمٍ جَدِيد، عَلَىٰ الصَّعِيد الأُصُوليّ المُقَارَن».

الحُسَين عُمْرَهُ، وَأَوْلادَهُ، وَالشُّهدَاء مِن أَهْلِهِ

مَوْلِدَه :

وُلد الحُسَين عليه السلام فِي شَعبَان سَنَة « ٣ هـ » [١] ، وَولد أَخُوه الحَسَن فِـي رَمـضَان سَنَة « ٢ هـ » [٢] ، وَحِين وَضَعتهُ فَاطِمَة قَالَت لأَبِيه : سَمِهِ .

قَالَ : مَا كُنتُ لأَسبق بِاَسمه رَسُول الله .

وَحِيَن رَآه النَّبيّ قَالَ للإِمَام : هَل سَميّتَهُ ؟ .

فَقَال : مَا كُنتُ لأَسبقَك بِاَسمِهِ .

فَقَال النَّبيّ : وَمَا كُنْتُ لأَسبق رَبّي عزَّوَجلّ .

فَأَوحىٰ الله أَنْ سَمه الحُسَين [٣] .

---

(١) أُنظر ، الإِرشَاد للشَّيخ المُفِيد : ٢ / ٢٧ مُؤسّسة آل البَيْت عليهم السلام ، المقَاتل : ٨٤ ، كَشف الغُمّة : ٢ / ٢١٥ ، معَالم العِترَة النَّبوية للجنَابذي (مَخطُوط) : وَرق ٦٣ ، التَّهذيب : ٦ / ٤١ ب ١٥ ، تَهذِيب تأرِيخ دِمَشق لابن عَسَاكر : ٤ / ٣١١ ، تَـهذِيب التَّـهذِيب : ٢ / ٣٤٥ ، العِـقد الفَـرِيد : ٤ / ٣٧٦ ، تأرِيـخ الطَّـبري : ٦ / ١٩٤ ، مروج الذَّهب : ٢ / ٦٢ ، البدَاية والنّهاية : ٨ / ٨٨ ، أُسد الغَابة : ٢ / ٢٢ ، اَبن الأَثِير : ٤ / ٨ ، الإِصَابة : ٢ / ١٤ ، تأرِيخ بَغدَاد : ١ / ٢٤١ ، تَهذِيب الأَسمَاء : ١ / ١٦٣ ، مَجْمَع الزَّوائد : ٩ / ١٩٤ .

(٢) أُنظر ، دَلاَئل الإِمَامَة : ٦٠ ، تَذكرة الخوَاصّ : ٢٠١ ، تَهذِيب تَأرِيخ دِمَشق : ٤ / ١٩٩ ، مطَالب السّؤول : ٦٤ ، الإِصَابَة : ١ / ٣٢٨ ، الإِستيعَاب : ١ / ٣٦٨ ، تَأرِيخ الخُلفَاء : ٧٣ .

(٣) أُنظر ، ذَخَائر العُقبىٰ : ٢١٢٠ ، مُسْند أَبي دَاود الطَّيالسي : ١ / ١٩ ، الإِصَابَة : ٨ / ١١٧ ، مَجْمَع الزَّوَائد :

↔

عُمرَهُ الشَريف:

أَقَام مَع جَدّه سِت سَنوَات، وَمَع أَبِيه ثَلاَثِين، وَمَع أَخِيه الحَسَن بَعد وَفَاة أَبِيه عَشراً، وَبَقي بَعدَ أَخِيه عَشرَاً[1]، فَكَان عُمرَهُ الشَّرِيف، (٥٦، وَقِيل ٥٧)[2].

أَوْلاَدَهُ:

لَهُ عَشْرَة أَوْلاَد (٦) ذُكُور و (٤) أُنَاث[3].

١ ـ عَليّ الأَكْبَر[4]،

↔ ٩ / ١٧٤، تأرِيخ الخَمِيس: ١ / ٤٧٠، مَعَاني الأَخبَار: ٥٧ ح ٦، عِلَل الشَّرائع: ١٣٨ / ٧ و ٥، أَمَالي الصَّدُوق: ١١٦ / ٣، عُيُون أَخبَار الرِّضا: ٢ / ٢٤ / ٥، صَحِيفَة الرِّضا: ١٦، المَنَاقب لِابْن شَهرآشُوب: ٣ / ١٨٩، أُسد الغَابة: ٢ / ١١، تَأرِيخ الخُلفَاء للسّيُوطي: ١٨٨، نهَاية الإِرَب: ١٨ / ٢١٣، الإِستِيعَاب بهَامش الإِصَابة: ١ / ٣٦٨، تهذِيب التَّهذِيب: ٢ / ٢٩٦، مُسنَد زَيد: ٤٦٨.

(١) أنظر، إِعْلاَم الوَرىٰ: ٢١٤ بلَفظ «سَبع سنِين»، كَشف الغُمّة: ٢ / ١٧٠، الإِرشَاد للشَّيخ المُفِيد: ٢ / ١٣٣ بلَفظ «سَبع سنِين»، الفُصُول المُهِمَّة فِي مَعرفَة الأَئِمَّة لِابْن الصَّبَاغ المَالكي: ٢ / ١٧٤، بِتَحقِيقنا، النَّعِيم المُقِيم لعِترَة النَّبأ العَظِيم: ٢٨٨، بتَحقِّيقنا.

(٢) أنظر، مقَاتل الطَّالبِيِّين: ٨٤، الإِرشَاد: ٢ / ١٣٣، المَعَارف: ٢١٣، المَنَاقب لِابْن شَهرآشُوب: ٣ / ٢٣١، كَشف الغُمّة: ٢ / ١٧٠، تأرِيخ اأن الخَشّاب: ٢ / ٢١٦، الإِتحَاف بِحُبِّ الأَشْرَاف الشَّيخ عَبدُ الله بنَ مُحمَّد بن عَامِر الشَّبرَاوي: ١٨٧، بِتَحقِّيقنا. بالإِضَافَة إِلَىٰ المَصَادر السَّابقَة.

(٣) أُنظر، بُغيَة الطَّالب فِي ذِكر أَولاَد عَليّ بن أَبي طَالب، السَّيِّد مُحمَّد بن طَاهر بن حُسين بن أَبي الغَيث الحُسينيّ المَعرُوف بِأبن بَحر اليَمني المُتوفّىٰ عَام (١٠٨٦ هـ). مَخطُوط. الفُصُول المُهِمَّة فِي مَعرفَة الأَئِمَة: ٢ / ١٧٥ بِتَحقِّيقنا، مَطَالب السّؤول فِي مَناقب آل الرَّسُول: النُّسخَة المَخطُوطة فِي مَكتبَة آيَة الله العُظمىٰ السَّيّد المَرعشي النَّجفي: وَرق ١٢٤، وَزُبدَة المقَال فِي فَضَائل الآل (مَخطُوط): وَرَق ١٣٥.

(٤) يُكنَىٰ أَبَا الحَسَن، وَيُلقب بِالأَكْبَر، لأَنَّه الأَكبَر عَلىٰ الأَصح، وَهُو أَوّل مَن قُتل بِالطَّفّ مِن بَني هَاشِم بَعد أَنْصَار الحُسَين عليه السلام قَتَلهُ مُرّة بن مُنْقذ بن النّعمَان العَبدي، ثُمّ اللَّيثي، وَكَان لهُ مِن العُمر بِضع عَشرَة ↔

وَأُمّه لَيلىٰ بِنْت أَبي مُرّة الثَّقفي[(١)]، وَأُمّها مَيمُونَة بِنْت أَبي سُفيَان، وَأُخت مُعَاويَة، فَعَليّ الأَكْبَر، اَبْن بِنْت عَمّة يَزِيد، ويَزِيد اَبْن خَال أُمّ عَليّ الأَكْبَر[(٢)]. وَنَادَاه رَجُل يَوْم الطَّفّ مِن عَسْكر اَبْن سَعد، وَقَالَ لهُ: أَنَّ لَكَ مَع يَزِيد رَحماً، فَإِنْ شِئتَ آمنَّاك، فَقَالَ لهُ: وَيْلَك لقَرَابة رَسُول الله أَحَقّ بالرّعَايَة.

وَقَالَ مُعَاويَة يَوْماً لجُلسَائهِ: «مَن أَحقّ النَّاس بهَذَا الأَمر؟

فَقَالُوا لهُ: أَنْتَ.

قَالَ: كَلَّا، أَوْلىٰ النَّاس بهِ عَليّ بن الحُسَين، جَدّه رَسُول الله، وَفِيه شجَاعَة بَني

سَنَة كمَا يَقُول الشَّيخ المُفِيد فِي الإِرشَاد: ٢/١٠٦ و ١٠٧، وَفِي مَقْتل المُقرّم: ٢٥٥ عُمرَهُ سَبع وَعشرُون سَنَة، وَفي مَنَاقب آل أَبي طَالب: ٤/١٠٩ «كَان عُمرَهُ «٢٥» سَنَة.

أُنظر، مَقْتَل الحُسَين لأَبي مَخْنَف: ١٦١ـ١٦٤، إِبصَار العَين فِي أَنْصَار الحُسَين: ٢١ طَبعَة النَّجف، تَأرِيخ الطَّبري: ٤/٣٤٠، و: ٦/٢٥٦ طَبعة آخر، المَعَارف لِابْن قُتَيبَة: ٢١٣ و ٢١٤، المَنَاقب لِابْن شَهرآشُوب: ٤/١٠٩، و: ٢/٢٢٢ طَبعَة إِيرَان، مقَاتل الطَّالبيِّين: ٥٥ و ٥٦، و: ٨٤ طَبعَة آخر، البِحَار: ٤٥/٤٢ و ٤٣، اَبن الأَثِير فِي الكَامِل: ٤/٣٠، الأَخبَار الطّوال: ٢٥٤، مَقْتل العوَالم: ٩٥، تَأرِيخ الطَّبري: ٦/٦٢٥، الفُصُول المُهمَّة لِابْن الصَّبَاغ المَالكي: ٢/١٦٨، بِتَحقِّيقنَا، الإِتحَاف بِحُبّ الأَشرَاف للشَّبرَاوي: ١٨٥. بِتَحقِّيقنَا.

(١) يُكنىٰ أَبَا الحَسن، وَيُلقّب بِالأَكبر، لأَنّه الأَكبر عَلىٰ الأَصح، وهُو أَوَّل مَن قُتل بِالطَّف مِن بَني هَاشم بَعد أَنْصَار الحُسَيْن عليه السلام قَتَله مُرّة بن مُنقذ بن النّعمَان العَبدي، ثُمّ اللّيثي، وَكَان لهُ مِن العُمر بِضع عشرَة سَنَة كمَا يَقول الشَّيخ المُفِيد فِي الإِرشَاد: ٢/١٠٦ و ١٠٧، وَفِي مَقتل المُقرّم: ٢٥٥ عُمره سَبع وَعشرُون سَنَة.

أُنظر، مقَتل الحُسَيْن لأَبي مُخنف: ١٦١ـ١٦٤، إِبصَار العَين: ٢١ طَبعَة النَّجف، تأرِيخ الطَّبري: ٤/٣٤٠، و: ٦/٢٥٦، المعَارف: ٢١٣ و ٢١٤، مقَاتل الطَّالبِيين: ٥٥ و ٥٦، الكَامل لِابْن الأَثِير: ٤/٣٠، والأَخبَار الطّوال: ٢٥٤، تأرِيخ الطَّبري: ٦/٦٢٥.

(٢) أُنظر، مُرُوج الذَّهب للمَسعُودي: ٢/٩١. أُنظر، مَقْتل الحُسَين للخوَارزمي: ٢/٣٠ و ٣١. مقَاتل الطَّالبِيّين: ٥٥ و ٥٦، و: ٨٤ طَبعَة آخر. تَأرِيخ الطَّبري: ٤/٣٥٨ و: ٦/٦٢٥.

هَاشِم، وَسخَاء بَني أُمَيَّة، وَزَهو ثَقِيف»[١].

٢ـ عَليّ الأَصْغَر، وَهُو الإِمَام زَين العَابدِين ٧[٢]، وَأُمّه شَاهِ زنَان[٣] بِنْت كِسرىٰ يَزْدَجِرد مَلك الفُرس، وَمَعنىٰ شَاه زَنَان بالعَربيَّة مَلِكَة النِّسَاء، وَنسل الحُسَين كُلّه مِن الإِمَام زَين العَابدِين[٤].

٣ـ عَليّ الأَوسَط[٥].

٤ـ جَعْفَر، مَات فِي حَيَاة أَبِيه، وَلاَ بَقيَة لهُ[٦].

٥ـ مُحَمَّد[٧].

٦ـ عَبدالله الرَّضِيع الَّذي جَاءَه سَهم، فَذَبحهُ، وَهُو فِي حِجْر أَبِيه[٨].

---

(١) أُنظر، البِدَايَة وَالنّهايَة: ٨/ ٢٠١، تَأرِيخ دِمَشق: ٤١/ ٣٦٢، شَرح الأَخبَار: ٣/ ١٥٤، تَأرِيخ خَليفَة بن خَيَّاط: ١٧٩، المُنْتَخب مِن ذَيل المُذَيل: ٢٤، تَرجمَة الإِمَام الحُسَين لِابن عَساكر: ٣٣١.

(٢) أُنظر، الصَّواعق المُحرقَة: ٢٠٠، تهذِيب التَّهذِيب للعَسقلاَني: ٧/ ٣٠٦، شَذرَات الذَّهب: ١/ ١٠٤، أَخبَار الدُّول: ١٠٩، مَطَالب السّؤول: ٢/ ٤١، تَأرِيخ الأَئمّة لِابن أَبي ثَلج: ٤.

(٣) أُنظر، الإِرشَاد: ٢/ ١٣٧، دَلاَئل الإِمَامة للطَّبري: ٨١، الأَخبَار الطّوال: ١٤١، وَفيَّات الأَعيَان: ٢/ ٤٢٩، صَفوة الصّفوة لِابن الجَوزي: ٢/ ٥٢، نهَاية الإِرَب: ٢١/ ٣٢٤.

(٤) شَاهِ زَنَان بِفَتح الشِّين المُعجَمة، وَكَسر الهَاء، وَفَتح الزَّاي وَالنُّون الثَّانِيَة بَعد الأَلف. كَلمَة فَارسيَّة مَعنَاها: مَلِكَة النِّسَاء، وَهي بِنْت يَزْدَجِرْد بِفَتح اليَاء المُثنَاة مِن تَحت، وَسكُون الزَّاي، وَفَتح الدَّال المُهمَلة، وَكَسر الجِيم وَدَال مُهمَلَة بَعد الرَّاء السَّاكنة، وِلد أَنو شروَان العَادل مَلك الفُرس. أُنظر، الأَخبَار الطّوال: ١٤١، فُتُوح البُلدَان للبَلاَذُري: ٣٢٢، طَبعَة مَصْر، مرآة الجنَان: ١/ ١٩٠.

(٥) أُنظر، مَناقب آل أَبي طَالب: ٣/ ٢٣١.

(٦) أُنظر، الفُصُول المُهمَّة فِي مَعرفَة الأَئِمَّة لِابْن الصَّباغ المَالكي: ٢/ ١٧٥، بِتَحقِيقنا)، نُور الأَبصَار للشَّبلنجي: ٢/ ٥٦، بتَحقِّيقنَا.

(٧) تَقَدَّمت تَرجَمتهُ.

(٨) تَقدَّمت تَرجَمتهُ.

الشُّهدَاء مِن أَقَاربِهِ:

اَسْتُشهد مِن أَقَارب الحُسَين اَثْنَان مِن وُلده، وَهُما عَليّ الإِبن الأَكْبَر [١]. وَالطِّفْل الرَّضِيع [٢].

وَتِسعَة مِن أُخوَته أَبنَاء عَليّ، وَهِم العَبَّاس، وَجَعْفَر، وَعُثمَان، وَعَبدالله، ومُحَمَّد، وَأَبُو بَكْر، وَعُمر، وَعَون، ومُحَمَّد الأَوسَط [٣].

وَأَرْبَعَة مِن وُلد الحَسَن وَهُم: القَاسم، وَعَبدالله، وَأَبُو بَكر، وَأَحمَد؛ وَسُبي مَع النِّسَاء ثَلاثَة مِن وُلد الحَسَن، الحَسَن بن الحَسَن المُثنىٰ، وَعَمْرُو، وَزَيد؛ وَحَارب الحَسَن المُثنىٰ مَع عَمّه الحُسَين حَتَّىٰ قُطعَت يَده، وَأُثْخن بِالجرَاح، وَلَم يُقْتَل [٤].

(١) تقدمت استخراجها.

(٢) تَقَدَّمت تَرجَمَتهُما.

(٣) تَقَدَّمت تَرجَمتهُم. اُنظر، بُغيَة الطَّالب فِي ذِكر أَولَاد عَليّ بن أَبي طَالب، السَّيِّد مُحَمَّد بن طَاهر بن حُسين بن أَبي الغَيث الحُسيني المَعرُوف بِاَبن بَحر اليَمني المُتوفّىٰ عَام (١٠٨٦ هـ). مَخطُوط. الفُصُول المُهِمَّة فِي مَعرفَة الأَئِمَة: ٢ / ١٧٥ بِتَحقِيقنا.

(٤) اُنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٤ / ٣٤٢، و: ٦ / ٢٥٩، مقَاتِل الطَّالبِيِّين، : ٥٦ و ٥٨ و ١٢٨، المَسْعُودي فِي يَنَابِيعه: ٣ / ٧٧، الفُصُول المُهِمَّة لِابْن الصَّبَاغ المَالكي: ٢ / ٦٩، بِتَحقِّيقنا، مَقْتل الحُسَين لأَبي مَخْنَف: ١٧٤، الإِرشَاد للشَّيخ المُفِيد: ٢ / ١٠٩، يَنَابِيع المَودّة للقُندُوزي الحَنْفي: ٣ / ١٧ طَبعَة أُسوة، مُعْجَم رِجَال الحَدِيث: ١٥ / ١٧ رَقم «٩٥١٣» و: ٢٢ / ٧٠ رَقم «١٤٠٠٠»، شَرح الأَخبَار: ٣ / ١٧٩، الكَامل فِي التَّأرِيخ: ٢ / ٥٧١ و: ٤ / ٩٢، ذَخَائر العُقبىٰ: ١١٧، أَمَالي الشَّيخ الصَّدوق: ٢٢٦، رَوضَة الوَاعظِين: ١٨٨، الأَخبَار الطّوال: ٢٥٧، مُثِير الأَحزَان: ٥٢ و ٥٥، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٤ / ٧٥، اللُّهُوف فِي قَتلىٰ الطّفُوف: ٥١، المَنَاقب لِابْن شهرآشُوب: ٣ / ١٩٢، الأَخبَار الطّوَال: ٣ / ١٩٦، ٢ / ٥٧١، البداية والنهاية: ٨ / ٢٠٣، مَقْتل الحُسَين لأَبي مَخْنَف: ١٩٣، جوَاهر المطَالب فِي مَنَاقب الإِمَام عَليّ: ٢ / ٢٨٨، إِقبَال الأَعمَال: ٣ / ٧٥ و ٣٤٣.

وَٱسْتُشهد ثَلاَثَة مِن أَولاَد زَيْنَب بِنْت أَمِير المُؤمِنِين، وَهُم عَـون، وَمُـحَمَّد، وَعُبَيد الله[١]، وأَبُوهُم عَبدالله بن جَعْفَر[٢].

وَوَاحد مِن وُلد جَعْفر بن أَبي طَالِب، وَهُو عَون أَخُو عبدالله ٱبْن جَعْفَر.

وَثَلاَثَة عَشَر مِن وُلد عَقِيل بن أَبي طَالِب، وهُم مُسْلِم بن عَقِيل، وَعَبدالله ٱبْن مُسْلِم بن عَقِيل، ومُحَمَّد بن مُسْلِم بن عَقِيل، ومُحَمَّد بن سَعِيد بن عَقِيل، وَعَبدالله الأَصْغَر بن عَقِيل، وَعَبدالله الأَكْبر بن عَقِيل، وَمُوسىٰ بن عَقِيل، وعَليّ بن عَقِيل، وَأَحمَد بن عَقِيل، وَجَعْفر بن عَقِيل، وَعَبدالرَّحمن بن عَقِيل[٣]، وَصَبيَّان مِن وُلد

---

(١) أنظر، مَقْتَل الحُسَين لأَبي مَخْنف: ١٦٧ و ٢٣٩، إبْصَار العَين فِي أَنْصَار الحُسَين: ٤٠ طَبعَة النَّجف، المَنَاقب لِابْن شَهرآشُوب: ٢ / ٢٢٠، مَقْتَل الحُسَين للخوَارزمي: ٢ / ٢٧، تأرِيخ الطَّبري: ٦ / ٢٥٦ و ٢٦٩، و: ٤ / ٣٤١ طَبْعَة آخر، مَقَاتل الطَّالِبِيِّين: ٦١، الإِرشَاد للشَّيخ المُفِيد: ٢ / ٦٨ و ١٠٧ و ١٢٥، المَعَارف لِابن قُتَيبَة: ٢٠٧. وَأُمّه الخَوصَاء، وَأُمّها هِند بِنْت سَالم... بن ثَعْلَبة. أنظر، الفُصُول المُهمَّة لِابْن الصَّبَاغ المَالكي: ٢ / ١٧٠، بِتَحقِّيقنَا.

(٢) أنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٤ / ٣٤١ و: ٦ / ٢٥٦، مقَاتِل الطَّالِبِيِّين: ٦٠، مُرُوج الذَّهب: ٣ / ٩٢ و ٣٣٣، مَقْتل الحُسَين للخوَارزمي: ٢ / ٢٧، إِبْصَار العَين فِي أَنْصَار الحُسَين: ٣٩ طَبعَة النَّجف، المَعَارف لِابن قُتَيبَة: ٢٠٦، مَقْتَل الحُسَين لأَبي مَخْنَف: ٧٣، تَأرِيخ الطَّبري: ٦ / ٢٥٦. وَفي الفُصُول المُهمَّة لِابْـن الصَّبَاغ المَالكي: ٢ / ١٧٠، بِتَحقِّيقنَا، «عَون» أُمّه جُمَانَة، وَقَد قَتَلهُ عَبد الله بن قُطنَة الطَّائي النَّبهاني. وَقِيل «قُطبَة» بَدل «قُطنَة» كمَا وَرَد فِي مَقْتَل الحُسَين لأَبي مَخْنَف: ١٦٥ ـ ١٦٦ و ٢٣٨، الفُتُوح لِابْن أَعْثَم: ٣ / ١٢٧، جَمْهَرة أَنْسَاب العَرب: ٦١ وَزَاد «وَهُو عَون الأَصغَر»، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة لِابن قُتَيبَة: ٢ / ١٢، البحَار: ١٠١ / ٢٤٣، تأرِيخ الطَّبري: ٦ / ٢٥٦، و: ٤ / ٣٤١ طَبعَة آخـر، المَـنَاقب لِابْـن شَهرآشُوب: ٤ / ١٠٦، و: ٢ / ٢٢٠ طَبعَة آخر، مقَاتِل الطَّالِبِيِّين: ٦٠، و: ١٢٢ طَـبعَة آخـر، و: ٩٥ طَبعَة آخر، مُنْتهىٰ الآمَال للمُحدّث القُمّي: ١ / ٦٧٨، مَقْتل الحُسَين للخوَارزمي: ٢ / ٢٧، الإِرشَـاد للشَّيخ المُفِيد: ٢ / ٦٨، وفي ص ١٠٧ بِلَفظ: وحَمَل عَلَيه عَبد الله بن قُطبَة الطَّـائي... وَانـظُر: ١٢٥ أَيضاً، يَنَابِيع المَودّة: ٣ / ٧٣ طَبعَة أُسوة.

(٣) أُنظر، مَقْتَل الحُسَين لأَبي مَخْنف: ١٦٨ و ٢٤٠، المَـنَاقب لِابْـن شَـهرآشُـوب: ٢ / ٢٥٤، تأرِيـخ

عَقِيل كَانَا مَع السَّبَايَا، وَهَرَبَا مِن الخَوف وَالذُّعر، فَأَتيَا دَار رَجُل طَائي فَلجَآ إِليه، وَلمَّا عَلم أَنَّهُما مِن سَبَايَا الحُسَين وَبَقَايَا أَهْل البَيْت قَتلهُما، وَجَاء برَأسَيهمَا إِلَىٰ ٱبْن زِيَاد يَطْلب الجَائِزَة. فَقَال لهُ ٱبْن زِيَاد: جَائِزتك القَتْل. وَأَمر بِهِ فَقُتل، فَمَجمُوع الَّذِين ٱستُشهدُوا مِن نَسل أَبي طَالِب (٣٢) مَا عَدَا الحُسَين عليه السلام[1].

مُطَلَّقة الحُسَين وَزَوجَة يَزِيد:

قَالَ فِي نَفس المَهمُوم: «أَنَّ هِنْد بِنْت عَبدالله بن عَامر كَانَت تَحت الحُسَين: فَطَلَّقهَا، وَتَزَوّجت يَزِيد، وَحِين دَخَل السَّبَايَا عَلىٰ يَزِيد فِي الشَّام حَسَرت هِنْد عَن رَأسهَا، وَشقّت الثِّيَاب، وَدَخلَت عَلىٰ يَزِيد فِي مَجْلسهِ تَنْدُب وَتَصيح، وَقَالَت: يَا يَزِيد أَرَأس ٱبْن فَاطِمَة بِنْت رَسُول الله مَصلُوب!»[2]...

↔ الطَّبري: ٦/ ٢٥٦ و ٢٦٩، و: ٤/ ٣٥٩ طَبعَة آخر، مَقَاتل الطَّالبِيِّين: ٦٨، الإِرشَاد للشَّيخ المُفِيد: ٢/ ٦٨ و ١٠٧ و ١٢٥، المَعَارف لِابن قُتَيبَة: ٢٠٧، مُعْجَم رِجَال الحَدِيث: ٥/ ٥٠ رَقم «٢٢٠١»، لوَاعج الأَشجَان: ١٧٢، الفُتُوح لِابْن أَعثَم: ٥/ ٢٠٢، البِدَايَة وَالنّهايَة: ٨/ ٢٠١، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٤/ ٧٣، شَرح الأَخبَار: ٣/ ٢٣٨، أَنسَاب الأَشرَاف: ١٩٣، إِقبَال الأَعمَال: ٣/ ٧٦ و ٣٤٣، الفُصُول المُهمَّة لِابْن الصَّبَاغ المَالكي: ٢/ ١٧٠، بِتَحقِّيقنَا.

(١) أُنظر، مَجمَع الزَّوَائِد: ٩/ ١٩٨، المُعْجَم الكَبِير: ٣/ ١١٨، سِير أَعلاَم النُّبلاَء: ٣/ ٣٢٠، تَهذِيب الكَمَال: ٢/ ٣٠٥ و: ٦/ ٤٣١، صَفوَة الصَّفوَة: ١/ ٣٠٩، الإِسْتِيعَاب: ١/ ٣٩٦، الإِصَابَة: ٥/ ٨، تَأرِيخ خَلِيفَة: ٢٣٥.

(٢) أُنظر، تَأرِيخ دِمَشق: ٦٢/ ٨٥، تَأرِيخ الطَّبري: ٣/ ٣٤١، جوَاهر المَطَالب فِي مَنَاقب عَليّ بن أَبي طَالب لِابْن الدِّمَشقي: ٢/ ٢٩٣، مَقْتَل الحُسَين لأَبي مَخْنَف: ٢١٢ و ٢١٩، مُختَصر تَأرِيخ دِمَشق: ٢٦/ ١٥١ طَبعَة دَار الفِكر.

يَزِيد

هُو يَزِيد بن مُعَاوِيَة[1]، وَيُنْسَب مُعَاوِيَة إِلَىٰ أَرْبَعة رِجَـال عُـمر بـن مُسَـافر، وَعُمَارة بن الوَلِيد، وَالعبَّاس بن عَبدالمُطّلب، وَرَجل أَسوَد يُـدعىٰ الصَّـباح[2]،

---

(١) يَزِيد بن مُعَاوِيَة بن أَبي سُفْيَان الأُموي: ثَاني مُلُوك الدَّولَة الأُمويَّة فِي الشَّام.
أُنظر، تَأرِيخ الطَّبري: حَوَادث سَنَة ٦٤، تَأرِيخ الخَمِيس: ٢ / ٣٠٠، مِنْهَاج السُّنَّة: ٢ / ٢٣٧ ـ ٢٤٥، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٤ / ٤٩، مُخْتَصر تَأرِيخ العَرب: ٧١ ـ ٧٦، البِدء وَالتَّأرِيخ: ٦ / ٦ ـ ١٦.

(٢) مُعَاويَة بن أَبي سُفيَان صَخر بن حَرب بن أُميّة بن عِبد شَمس، وَأُمّه هِنْد بِنْت عُتبَة بن رَبِيعَة، تَزَوّجت هِنْد أَوّلاً الفَاكه بن المُغِيرَة المَخزُومي فَقُتل عَنْهَا بِالغُمِيصَاء ـ كمَا جَاء فِي نَسَب قُرَيْش: ٣٠٠ ـ مَوضع قُرب مَكّة، ثُمّ تَزَوّجت حَفْص بن المُغِيرَة فَمَات عَنْهَا، ثُمّ تَزَوّجت أَبَا سُفيَان. وَكَانَت فِي زَمن الفَاكه مُتّهمَة بِالزّنَا كمَا يَذكر صَاحب العِقد الفَرِيد: ٦ / ٨٦ ـ ٨٧، وَالأَغَاني: ٩ / ٥٣، وَكَانَت مِمّن تُذكَر فِي مَكّة بفُجُورٍ، وَعُهرٍ كمَا ذَكَر اَبن أَبي الحَدِيد فِي شَرْح النَّهج: ١ / ٣٣٦ تَحقّيق مُحَمَّد أَبُو الفَضل، رَبِيع الأَبرَار للزَّمخشري: ٢ / ٥٤٨.
دَخَل أَبُو سُفيَان فِي الإِسلاَم، غَير أَنّ المذسْلِمِين لَم يَنسُوا موَاقِفه مِنْهُم فكَـانُوا لاَ يَـنظُرُون إِلَـيه وَلاَ يُقَاعدُونه كمَا جَاء فِي صَحِيح مُسْلِم: ٧ / ١٧١ وَهُو القَائِل: يَا بَني أُميّة تَلقّفوهَا تَلقّف الكُرة، فو الّذي يَحْلف بِهِ أَبذو سُفيَان مَا زلتُ أَرجُوهَا لكُم وَلتَصِيرنّ إِلىٰ صِبيَانكُم ورَاثةً... ذَكَر ذَلِك صَاحب مُرُوج الذَّهب بهَامش اَبن الأَثِير: ٥ / ١٦٥ ـ ١٦٦. وَأَضَاف صَاحب كتَاب الأَغَاني: ٦ / ٣٥٥، وَالإِستِيعَاب: ٦٩٠، وَالنّزاع وَالتَّخاصم للمَقريزي: ٢٠ طَبعَة النَّجف، وَغَيرهم قَوله: فوَالله مَا مِن جَنّةٍ وَلاَ نَارٍ، فَصَاح بِهِ عُثمَان: «قُم عَنّي، فَعَل الله بِكَ وَفَعل».
وَمُعَاويَة هَذَا أَسلَم بَعد الفَتْح، وَقَال فِيه رَسُول الله ﷺ: لاَ أَشبَع الله بَطْنه. كمَا ذَكَره صَاحب أَنسَـاب ↔

وَكَانَت هِنْد جدّة يَزِيد مُغرمَة بحُبّ السُّود، وَمَا نُسب مُعَاويَة أَحد مِمَّن يَعْرف حَالهَا إِلَىٰ أَبي سُفْيَان، لأَنَّها وَضَعتهُ بعَد زَوّاجها مِنْهُ بثَلاَثَة أَشهُر، وَهِنْد هَذِه هِي الَّتي أَكَلَت كَبَد الحَمْزَة عَمّ الرَّسُول، حَتَّىٰ أَصبَح لفَظ « آكلَة الأَكبَاد » عَلماً لهَا[1].

وَأُمّ يَزِيد هِي مَيسُون بِنْت عَبد الرَّحمن بن بَجْدَل الكَلْبي، مَكّنَت عَبداً لأَبِيهَا مِن نَفْسهَا، وَحَمَلت بيَزِيد[2].

↔ الأَشْرَاف: ١ / ٥٣٢، صَحِيح مُسْلم: ٨ / ٢٧، شَرْح النَّهج لِابْن أَبي الحَدِيد: ١ / ٣٦٥، مُسْنَد الطَّيالسي: ح ٢٧٤٦، وَآبن كَثِير: ٨ / ١١٩، وَقَال فِيه صلى الله عليه وآله: فِي قصَّة زَوّاج المُهَاجرَة الّتي اَستشَارت النَّبيّ صلى الله عليه وآله عِندَما خَطبهَا: أَمّا مُعَاوِيَة فَصعلُوك. كمَا جَاء فِي صَحِيح مُسْلم: ٤ / ١٩٥، مُسْنَد الطَّيالسي: ٢٢٨ / ١٦٤٥، وَسُنن ٱبن مَاجه: ح ١٨٦٩. وَقَال فِيه صلى الله عليه وآله عِندَما نَظر إِلىٰ أَبي سُفيَان وَهُو رَاكب، وَمُعَاويَة وَأَخُوه أَحدهُما قَائِد وَالآخر سَائق: أَللّهُمّ اَلعَن القَائد وَالسَّائق وَالرَّاكب. اُنظر، الطَّبَرِيّ فِي تَأرِيخه: ٤ / ٢٠٢، و: ١١ / ٣٥٧، وسِبط ٱبن الجَوزي فِي التَّذكرة: ١١٥، ووَقعَة صِفِّين: ٢٤٧، والزُّبير بن بَكّار فِي المُفَاخرَات بروَاية ابن أَبِي ٱلحَدِيد عَنْهُ فِي شَرح ٱلنَهج: ٢ / ١٠٣، سِير أَعْلاَم النُّبلاء: ١ / ٢٣٧، ومُسْنَد أَحمَد: ٤ / ٤٢١، والْمُعْجَم الكَبير: ١ / ٤٢٧، العِقد الفَريد: ٤ / ٣٤٥، الاِسْتِيعَاب: ٤١٢، وأُسد الغَابَة: ٣ / ١٠٦، وتَهذِيب ٱبن عسَاكر: ١٠ / ٩٣ و: ٧ / ٢٠٦، والإِصَابَة: ٢ / ٢٦٠، مُرُوج الذّهب بهَامش ٱبن الأَثِير: ٥ / ١٦٥ ـ ١٦٦، والنّزاع والتّخاصم للمَقْريزي: ٢٠ طَبعة النَّجف، أَنسَاب الأَشْرَاف: ١ / ٥٣٢، وصَحِيح مُسْلِم: ٤: / ١٩٥، ومُسْنَد الطَّيَّالسِي: ح ٢٧٤٦، وآبن كَثِير: ٨ / ١١٩، :٤ / ١٩٥، وسُنن ٱبن مَاجه: ح ١٨٦٩، الآحَاد والمثَاني: ١ / ٣٧١ و: ٦ / ٩٨ ح ٣٣١٣، المُعْجَم الأوسَط: ٧ / ٤٨، مُسْنَد الشَّاميِّين: ١ / ٢٥٧ ح ٤٤٤ و ٤٤٥، الجَامِع الصَّغير: ١ / ٤٣١ ح ٨١١، كَنز العُمَّال: ٤ / ٣٠١ ح ١٠٥٩٨ وص: ٤٥٥ ح ١١٣٥٧ و: ١١ / ١٢٤ ح ٣٠٨٧٩، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصّغِير: ٣ / ١٠٩ ح ٢٨١١، تَهذِيب الكَمَال: ٣٥ / ٣٤٢، صَحِيح البُخَاريّ: ٣ / ٢٣٢ و: ٤ / ٥١، البدَاية والنّهاية: ٦ / ٢٤٨.

(١) تَقدَّم إِسْتخرَاج ذَلِكَ.

(٢) إِنَّ مَيسُون اَبنَة بَجدَل الكَلْبية لمَّا زوّجت مُعَاويَة بن أَبِي سُفيَان، وَنُقلت إِلىٰ دِمشق وَأُسكنَت قَصراً مِن قصُور ٱلخِلاَفَة، حنَّت ذَات يَوم إِلىٰ البَادِية فَأَنْشأَت هَذِه الأَبيات. اُنظر، خِزَانة الأَدب: ٨ / ٥٠٣، ↔

وَجدّه أَبُو سُفْيَان أعدىٰ أَعدَاء الله وَرَسُوله، وَهُـو الَّـذي قَـاد الحَـرب ضِـدّ الْإِسلاَم، وَالقُرآن فِي بَدْر، وَأُحد، وَالْأَحْزَاب[1].

وُلاَدَتهُ وَشَكلهُ:

وُلد سَنَه (٢٥ هـ)، وَكَان رَفِيع الصَّوت، شَدِيد السُّمرَة، بَدِيناً، كَثِير اللَّحم، كَثِير الشَّعر، مُجَدّراً أُصِيب فِي صِغَره بالجُدري بَقيت آثَارهَا إِلَىٰ آخر عُمره[2].

↔ تَأرِيخ دِمشق: ٦٥/٣٩٩ و: ٧٠/١٣٣، حَاشِيَة الصَّبَان عَلىٰ الاِشْمُوني: ٣/٣١٣ الشَّاهد (٨٢٧)، تَفْسِير القُرطُبي: ٦/٢١٨ و: ١٥/٢٧٢، الأَعلاَم: ٧/٣٣٩، لِسَان العَرب: ١٣/٤٠٨، شَرح الرَّضِيّ عَلىٰ الكَافِية: ٤/٥٣، بَلاَغَات اَلنِّسَاء لِاَبْن طَيفُور: ١١٨، وَلَكنَّه نَسَب الأَبيَات إِلىٰ زَوّجَة يَزِيد بـن هُبيرة المحَاربي أَوَّل أَمِير وِلِّي اليَمَامة لِعَبد المَلك بن مَروان فَتَزوَّج اَمْرَأَة مِن وِلد طِلبة بن قَيس بـن عَاصم المَنْقري، فَقَالت هَذِه الأَبيَات.

لِـلبْسَ عَـبَاءَة وَتُـقرَ عَـيْنِي — أَحَبّ إلَيّ مِن لِبس الشُّفُوف

وَبَـيْت تَـخفق الْأَروَاح فِـيهِ — أَحَبّ إلَيّ مِـن قَـصرٍ مُـنِيف

وَكَـلب يَـنْبَح الطُّـرق عَـني — أَحَبّ إلَيّ مِـــن هِـرٍ أَلوف

(١) أُنظر، كَنز الْعُمَّال: ١٣/١١٢ الطّبعة الثَّـانِيَة، و: ١٥/١٤٦، و: ٦/٢٢٣ الطّـبعة الأُولَـىٰ، تَأرِيـخ دِمَشق: ٢/٢٢٩ ح ٣٦٧ و ٣٢٧ ح ٨٣١، مَجمَع الزّوائد: ٩/١١٨ و ١٧٩ و ١٨٩ الفضَائل لأَحْمَد بن حَنْبل: ح ٢٣١، المُسْتَدرَك لِلْحَاكِم: ٣/١٣٩، و: ٤/٤٦٤، تَأرِيخ بَغدَاد: ١٢/٣٩٨، و: ٧/٢٧٩، المنَاقب للخوارزمي: ٢٦، يَنابيع المَـوَدَّة: ٥٣ و ١٣٥، سُـنن البَـيْهَقِيّ: ٤/٧٠، سُـنن اَبـن مَـاجه: ٢/٥١٨، دَلاَئِل النُّبُوَّة للبَيهقي فِي تَرجمَة الإمَام الحُسَيْن عليه السلام من تَأرِيخ دِمشق: ح ٦٢٢ و ٦١٢ـ ٦١٤ و ٦٢٦ ـ ٦٣٠، الْمُعْجَم الْكَبِير للطّبَراني حيَاة الْإِمَـام الحُسَيْن عليه السلام: ١٢٢ ح ٤٥ و ٤٨ و ٩٥، كـفَاية الطَّالب: ٢٧٩، أَعلاَم النُّبُوَّة للمَاوردي: ٨٣ بَاب ١٢، نُظم دُرر السِّمْطَين: ٢١٥، البدَاية والنّهاية لِاَبْن كَـــثير: ٦/٢٣٠، و: ٨/١٩٩، الرَّوض النَّـــضِير: ١/٨٩ و ٩٢ و ٩٣، و: ٣/٢٤، مُـــروج الذّهب: ٢/٢٩٨، أُسد الغَابَة: ١/٢٠٨، حليَة الأَوْلِيَاء: ٣/١٣٥، تَفْسِير الرَّازي: ٩/٥٠ و ٦٧.

(٢) أُنظر، تَأرِيخ بَغدَاد: ١٠/٢٨٧، تَأرِيخ دِمَشق: ٣٧/١١٨ و: ٦٥/٣٩٧، تَأرِيخ الْإِسلاَم للذَّهبي: ↔

مِهنَتَهُ:

عَدَاوَة الله وَرَسُوله، وَقَتل العِترَة الطَّاهرَة، وَسَبي الحَرَائِر(١)، وَذَبح الأَطـفَال، وَنَكح الأُمّهات، وَالبَنَات، وَالأَخوَات(٢) وَالصَّيد، شُرب الخمر، وَاللّعب بِالكلاَب وَالقُرُود(٣). قَالَ عَبدالله بن حَنْظَلَة: «وَالله مَا خَرَجنَا عَلىٰ يَـزِيد حَـتَّىٰ خِـفنَا أَنْ

↔ ١ / ٢٦٧، سمُو المَعنىٰ فِي سمُو الذَّات: ٥٩، المَنَاقب وَالمَثَالب للقَاضي النُّعمَان المَغربي: ٧١، جوَاهر المطَالب فِي منَاقب الإِمَام عَليّ بن أَبي طَالب: ٢ / ١٤٣، أَنسَاب الأَشـرَاف: ٢ / ٢، مُـرُوج الذَّهب: ٣ / ٧٤، البدَايَة وَالنّهاية: ٨ / ٢٣٩، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابْن أَبي الحَدِيد: ٢٠ / ١٣٣، الأَخبَار الطّوال: ٢٦٥، النّزَاع وَالتَّخَاصم: ٥٦.

(١) أُنظر، وَفَاء الوَفَاء: ١ / ١٣١، يَنَابِيع المَودَّة: ٣ / ٣٥، تَأرِيخ الطَّبري: ٣ / ٣٥٨، الأَخـبَار الطِّـوَال: ٢٦٥، فَتح البَاري: ١٣ / ٧٠، تَأرِيخ خَليفَة بن خَيَّاط: ١٨٣، تَأرِيخ مَدِينَة دِمَشق: ٥٨ / ١٠٥.

(٢) أُنظر، العُرُوبَة للخَالصي: ٨٦ نَقلاً عِن رِسَالَة «تَجوِيز لَعن يَزِيد» لِابْـن الجَـوزي، وَأَبـو الشُّـهدَاء للعَقَّاد: ٦٠ طَبْعَة دَار الهِلاَل. (مِنهُ ﷺ).

(٣) أُنظر، الفَرْق بَيْن الفِرق للبَغدَادي: ٢٥، الإِمَامة وَالسِّيَاسة لِابْن قُتيبة: ١ / ١٥٢، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٤ / ٥١. قَالَ الإِمَام الحُسَين عليه السلام مُخَاطبَاً الوَلِيد: «إِنَّا أَهْل بَيْت النُّـبوَّة، وَمَـعدِن الرِّسَـالة، وَمُـختَلف المَلاَئِكَة، بِنَا فَتَح الله، وَبِنَا خَتَم، ويَزِيد فَاسق، فَاجر، شَارب الخَمْر، قَاتِل النَّفس المُحتَرمة، مُـعلِن بِالفِسق وَالفجُور، وَمِثْلِي لاَ يُبَايع مِثْله». أُنظر، مَقْتَل الحُسَين للخوَارزمي: ١ / ١٨٤ وَزَاد فِيهِ: وَالله لَو رَام ذَلِك أَحد لَسَقيتُ الأَرض مِن دَمه قَبل ذَلِك، فَـإِنْ شِـئتَ ذَلِك فَـرم أَنْت ضَـرب عُـنقي إِنْ كُـنتَ صَادِقاً...، تأرِيخ الطَّبري: ٤ / ٢٥١، تَذكرة الخوَاصّ لِسبط أَبن الجَوري: ٢٢٩ طَبعَة إِيران، الآدَاب السّلطَانِية للفَخري: ٨٨، الكَامِل فِي التَّأرِيخ لِابْن الأَثِير: ٤ / ٧٥، تأرِيخ أَبن عَسَـاكـر: ٧ / ٤٠٧، أَنسَاب الأَشرَاف: ٥ / ١٢٩، الفُتُوح: ٣ / ١٤، وَكَان يُقَال لهُ ـ أَي مَروان ـ وَلولدَه: بَنُو الزَّرقَاء، يَقول ذَلِك مَن يُرِيد ذَمّهم وَعَيبهُم، وَهِي الزَّرقَاء بِنْت مَوهب جَدّة مَروان بن الحَكم لأَبِيه، وَكَانت مِن ذَوات الرَّايَات الّتي يُستَدَلّ بِهَا عَلىٰ بيُوت البُغَاء، فَلِهَذا كَانُوا يُذمّون بِهَا. وَقَال البَلاذُري فِي أَنسَاب الأَشرَاف: ٥ / ١٢٦ أَسمهَا مَارِية أَبنَة مَوهب وَكَان قِيناً.

أُنظر، تَذكرة الخواصّ: ٢٢٩، تأرِيخ أَبن عسَاكر: ٧ / ٤٠٧، تأرِيخ الطَّبري: ٨ / ١٦، تَفسِير مِن آية ↔

نُرمىٰ بِالحِجَارَة مِن السَّماء ، إِنَّ رَجُلاً يَنكح الأُمّـهات ، وَالبَـنَات ، وَالأَخـوَات ، وَيَشرَب الخَمر ، وَيَدع الصَّلاَة ، وَالله لَو لَم يَكُن مَعي أَحد مِن النَّاس لأَبلَيت لله فِيهِ بَلاَءً حَسناً »[1].

حُكْمَهُ وَمَشَارِيعَهُ :

تَولّىٰ الحُكم بَعد أَبِيه فِي رَجَب سَنَة (٦٠ هـ)[2]، أَمَّا مَشَارِيع دَولَته . فَفي السَّنَة الأُولىٰ مِن حُكْمِهِ قَتَل الحُسَين وَأَولاَدَه وَأَصحَابه[3]، وَسَبي نِسَاءه، وَفي السَّنَة الثَّانِيَة أَبَاح مَدِينَة الرَّسُول ثَلاَثَة أَيَّـام[4]، وَقَـتل مِـن المُـهَاجِرِين، وَالأَنْـصَار ،

↔ ١٣ سُورَة القَلَم فِي قَوله : ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾ وَأنظر ، كَنز العمّال للمُتقي الهِندي : ١ / ١٥٦ ، رُوح المَعَاني للآلوسي : ٢٩ / ٢٨ ، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة : ١ / ٢٢٧ .

(١) أنظر ، تَأرِيخ دِمَشق : ٢٧ / ٤٢٩ ، تَأرِيخ الإِسلاَم : ٢ / ٣٥٦ ، تَأرِيخ اليَعقُوبي : ٢ / ٢٥٠ ، الطَّبقَات الكُبرىٰ : ٥ / ٦٦ ، يَنَابِيع المَودّة : ٣ / ٣٢ .

(٢) أنظر ، الفُتُوح لِابن أَعْثَم : ٢ / ٣٧٨ ، تَأرِيخ الطَّبري : ٤ / ٢٣٩ ، مُرُوج الذَّهب : ٣ / ٣ ، تَأرِيخ خَلِيفَة : ٢٢٦ ، الإِستِيعَاب لِابْن عبد البرّ القُرطبي : تَرجَمَة « ٤٩٧٧ » ، أُسد الغَابَة : تَرجَمَة « ٤٩٧٧ » ، الإِصَابَة : تَرجَمَة « ٨٠٧٤ » ، مَآثر الإِنَاقة : ١ / ١٠٩ ، الكَامل فِي التَّأرِيخ : ٢ / ٥٢٤ .

(٣) أُنظر ، أُسد الغَابَة : ٢ / ٢١ ، البدَاية والنّهاية : ٨ / ٢١٦ ، المقَاتل : ٤٣ ، أَنسَاب الأَشْـرَاف : ١ / ٤٠٤ ، اَبن أَبي اَلحَدِيد فِي شرح النّهج : ٤ / ١١ و١٧ ، اَبن كَثِير : ٨ / ٤١ ، تَأرِيخ الخُـلَفَاء : ١٣٨ ، الإِصَـابَة تَرجمَة اَلحَسَن ، اَبْن قُتَيْبَة : ١٥٠ ، الصَّوَاعِق : ٨١ ، المَسعُودي فِـي مُـرُوج الذّهب بـهَامش الكَـامِل : ٢ / ٣٥٣ ، ٦ / ٥٥ ، تَهذِيب تَأرِيخ دِمَشق لِابْن عَسَاكر : ٤ / ٢٢٦ ، تَأرِيخ اليَـعقُوبي : ٢ / ٢٢٥ ، اَبْـن الأَثِير : ٢ / ١٩٧ ، اَبْن شُحنَة بهَامش اَبْن الأَثِير : ١١ / ١٣٢ ، تَأرِيخ الدُّول الإِسْلاَميّة : ١ / ٥٣ ، تَذكِرة الخواصّ : ٦٢ ، تَأرِيخ أَبي الفدَاء : ١ / ١٩٤ ، الإِستِيعَاب : ١ / ٣٨٩ ، تَأرِيخ الخُلَفَاء للسُّيوطي : ٧٤ ، مُستَدرَك اَلحَاكِم : ٣ / ١٧٦ ، المنَاقِب لِابْن شهرآشوب : ٣ / ١٩١ ، كَشف الغمّة : ١ / ٥٨٤ .

(٤) أُنظر ، تَأرِيخ الخُلَفَاء : ١٩٥ ، تَأرِيخ الطَّبَرِي : ٥ / ٤٩١ ، شَرح نَـهج اَلـبَلاَغَة لِابْـن أَبِـي اَلـحَدِيد : ↔

وَالتَّابعِين عَشرَة آلآف سِوىٰ النِّسَاء، وَالصِّبيَان[1]، وَٱستَحل أعرَاض النِّسَاء حَتَّىٰ وَلَدت أَلف عَذرَاء لاَ يُعرف لموَالِيدهُن أَب[2]، وَفِي هَذِه الوَقعَة المَعرُوفَة بـوَقعَة

↔ ٣/ ٢٥٩، حوَاشي الشَّرواني: ٦/ ٤٢٠، نِيل الأَوطَار: ٧/ ٣٤٢، مروج الذَّهب: ٣/ ٦٩، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٣/ ٦٣، أنسَاب الأَشرَاف: ٥/ ٤٢، الإِسْتِيعَاب بِهَامش الإِصَابَة: ١/ ٢٥٨، تَأرِيخ ٱبن كَثِير: ٢/ ٢٢١، الإِصَابَة: ٣/ ٤٧٣، وَفَاء الوَفَا: ١/ ١٢٥ ـ ١٣٧ طَبْعَة بَيروت الثَّالِثة، تَأرِيخ الخَمِيس: ٢/ ٣٠٢، تَأرِيخ خَلِيفَة: ٢٣٦، تَأرِيخ دِمشق: ٤٣/ ٣٣١.

(١) أنظر، الإِمَامة وَالسِّيَاسة لِابْن قُتَيبة: ١/ ١٥٢، الكَامل: ٤/ ٥١. الفُصُول المُهِمَّة فِي مَعْرفَة الأَئِـمَّة لِابْن الصَّبَاغ المَالِكي: ٢/ ٢٢٤، بِتحقيقنَا. أَبَاح فِيهَا يَزِيد المَدِينَة المُنَوَّرَة ثلاثة أَيَّام، ثمّ يَأْتِي ٱبْـن عُمَر ويُوجه جرَائم يَزِيد حِينَما قَالَ مُخَاطباً عَبد الله بن مُطِيع: «سَمِعتُ رَسُول الله صلى الله عليه وآله يَقُول: مَن خَلَع يَداً مِن طَاعةٍ لَقي الله يَوْم ٱلقِيَامَة لاَ حُجّة لهُ، ومَن مَات ولَيْسَ فِي عُنقِهِ بَيْعَة...». أُنظر، صَحِيح مُسْلِم: ٦/ ٢٢. فَهل تَقْبَل هَذِه المَدرسَة ـ مَدرسَة ٱلخِلاَفَة ـ أنْ يَكُون خَلِيفتهَا يَزِيد بن مُعَاوِيَة الَّذي قَتل سِبط رَسُول الله صلى الله عليه وآله، وَرَيحَانته فِي كَربلاء، وأبَاح المَدِينَة ثَلاَثَة أَيَّام، وَرَمىٰ الكَعبَة بالمَنجنِيق، و... و...؟ وَكَتب مُعَاوِيَة العَهد إِلىٰ ٱبْنِهِ يَزِيد وَجَعل لهُ ٱلخِلاَفَة مِن بَعده وَقَالَ: «... إِنِّي مِن أَجْلك آثرت الدُّنْيَا عَلىٰ الآخِرَةِ، ودَفَعْت حقّ عليّ بن أَبي طَالب، وَحَملت الوِزر عَلىٰ ظَهري، وإِنِّي لخَائِف أنْ لاَ تَـقْبل وَصِيتي، فَتَقتل خيَار قَومك، ثُمّ تعَدُوَّ علىٰ حُرمَة ربّك فَتقتلهُم بغَير الحَقّ، ثمّ يَأْتِيك اليَوْم بَغْتَة، فَلاَ دُنيَا تُصيب، وَلاَ آخرَة تُحبّ، يَابُني إِنّي جَعلتُ هَذَا مَطمعاً لكَ، وَلولدكَ مِن بَعدك... وَكُن حَازماً صَارماً... فإِنّي كَفَيتنك الجِدّ، والتَّرحَال... وَلَقد وَطَّأت لكَ يَابُني البِلاَد، وَذَلّلتُ لكَ رقَاب العَرَب الصّـعاب... وَمَهدّت لكَ المُلك مِن بَعدي تَمهِيداً...».

أُنظر، نصّ الكَلاَم في الفُتُوح: ٣/ ٣٥٣ و ٣٥٤ و ٣٥٥ و ٣٥٦ و ٣٥٧، تَأرِيخ الطَّبريّ: ٦/ ١٧٩ و ١٨٠ بإِختلاف بَسيط، الإِصَابَة: ٤/ ١٦٩، تَهْذِيب التَّهذِيب: ٦/ ١٧٤، المَقتل للخوارزميّ: ١/ ١٧، البَيَان والتَّبيين: ٢/ ١٠٧، الكَامِل لِابْن الأَثِير: ٤/ ٤، مَع إِختلاف فِي بَعْض الأَلْفَاظ.

(٢) أُنظر، مُروج الذّهب: ٣/ ٧٩. وأبَاح المَدِينَة. أُنظر، تَأرِيخ الخُلَفَاء: ٢٠٩. وحَاصر عَبدالمَلك مَكَّة، وهَدم ٱلكَعْبَة، وَأَطلق يَد الحَجّاج فِي دمَاء ٱلمُسْلِمِين، وَبعَبد المَلك ٱقتدىٰ أَوْلاَده، وَأحفَاده، وزَادوا عَلَيْهِ أضْعَافاً مُضَاعفة. أُنظر، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة: ٢/ ٣٢، مُروج الذّهب للمَسعُودي: ٣/ ١٧٥، العِقد الفَرِيد: ٣/ ٢١٤. ويَقُول صَاحب مُروج الذّهب، وَصَاحب العِقد الفَرِيد فِي أَقوَال النَّاس فِي الحَجّاج: ↔

الحُرّة دَخَل رَجُل مِن عَسْكر يَزِيد عَلىٰ ٱمرَأة نُفسَاء مِن نسَاء الأَنْصَار، وَفي حِجرهَا طِفل رَضِيع فقَال لهَا: هَل مِن مَال؟ قَالَت: لاَ وَالله مَا تَركُوا لنَا شَيئاً.

فَقَال لهَا: أُعطِيني وَإلاّ قَتَلتكِ، وهَذَا الطِّفْل.

قَالَت: أَنّه وَلَد ٱبْن أَبي كَبْشَة الأَنْصَاري صَاحب رَسُول الله. فَلَم يَكْتَرث، وَأَخذ برِجل الصَّبي، وَفَمَهُ فِي ثَدي أُمّه، وَجَذبهُ مِن حِجرهَا، وَضَرب بِهِ الحَائِط، فَٱنْتَثر دمَاغه عَلىٰ الأَرْض[1].

وَفي السَّنَة الثَّالِثَة رَمىٰ يَزِيد الكَعْبَة بِالمَنْجَنِيق، وَقَذفهَا بِالحِجَارَة، وَأَحرقهَا بالنَّار[2].

وَفَاتَهُ:

مَات سَنَة (٦٤ هـ) بذَات الجَنْب «السّل» لإِدمَانه الشَّراب، وَإِفرَاطه فِي المَلذّات، بَات ذَات لَيلَة سَكرَاناً، فَأَصبَح مَيتّاً مُتغيِّراً كَأَنّه مَطلي بالقَار. وَقِيل:

↔ (أُحصي مَن قَتلهُم الحَجَّاج صَبراً سِواء مَن قَتل فِي حُرُوبِه فكَانوا (١٢٠) ألفاً، وكَانَ فِي حَبْسه (٥٠) أَلف رَجلاً، و(٣٠) أَلف إمْرَأة سِتة عَشر مِنْهُن عَاريَات، وكَانَ يُطعم المَسَاجِين كمَا يَقُول ٱبن الجَوزي فِي تَأْريخه، الخُبز مَمزُوجاً بالرَّماد). وَجَاء فِي العِقد الفَرِيد أَيضاً عَلىٰ لِسَان عُمَرَ بن العَزِيز: (لَو جَاء النَّاس يَوْم ٱلْقِيَامَة بفسَاقهم، وَجِئنا بالحَجَّاج لزدُنا عَلَيْهِمْ).

(١) أُنظر، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة لِابن قُتَيبَة: ١/٢٣٨.

(٢) أُنظر، فَتح البَاري: ٣/٤٥٥ و: ٨/٣٢٧، المُسْتَدرَك عَلىٰ الصَّحِيحَين: ٣/٦٣٦، الَّتمهِيد لِابْن عَبد البر: ١٦/١٤٣، شَرح الزَّرقاني: ٢/٢٩٧ و: ٣/ ١٥٩، تَهذِيب الأَسمَاء: ١/٢٣٧، سُبل السَّلاَم: ٤/٥٤، المحلىٰ: ١١/٩٦ و ١١٦، نَصب الرَّاية: ٣/ ٣٨٢، تَهذِيب التَّهذِيب: ٢/١٨٥ و ٣٣٨ و: ٥/١٨٨، عَون المَعبُود: ١٢/ ١٦٦، سِير أَعلاَم النُّبلاء: ٤/٣٤٣ و: ٢٢/٢١٨، أَخبَار مَكّة: ٢/٣٦٠، تَعجِيل المَنْفَعَة: ١/٤٥٢.

طَارَد غزَالاً، فوقَع عَن الفَرس، وَدق عُنُقه. مَات فِي جُـوارِيـنْ[1]، وَنُـقل إِلَـىٰ دِمَشق، وَدُفن بمَقبرَة البَاب الصَّغِير، وَقَبرهُ الْأَنَّ مَزْبَلة، وَفِي عَهْد العبَّاسيِّين نُبش قَبرَه، فَوَجد فِيهِ خَطّ أسوَد مُمتَد مِن أولهِ إِلَىٰ آخرِهِ[2].

قَالَ بَعْض المُؤلّفِين: لمَّا رَأىٰ الشَّيطَان يَزِيد بن مُعَاويَة تَعوذ مِنْهُ، وَقَـالَ: مَـا كُنتُ اَحْسب أَنَّ فِي الكَون مَن هُو أَشقىٰ مِنّي، حَتَّىٰ رَأيتُ يَزِيد!... وَلَكن يَزِيد عِنذ مَرْوَان بن الحَكم يُسْتَسقي الغَـمَام بـوَجهه[3]!... وَفـي كُـلّ عَـصْر يَـزِيد، ومَرْوَان، وَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا إِلاَّ حُسَين وَاحد.

وَيَسُـوس أَمـر المُسْـلِمين مُـولّه ... رِجْس وَتَـصرعهُ الطَّـلا فَـيُعَربد

وَيَـقُوم بِاَسـم الدِّيـن فِـيهِم آمـرَاً ... مَن لَمْ يُطب فِي النَّاس مِنْهُ المُولد

وَمِن العَـجَائب أَنْ يَسُـود مُـذَمم ... جَـمّ العُـيُوب وَأَنْ يُـنَحّىٰ السَّـيِّد

يَزِيد وَالمُسْتَعْمِرُون:

اَكْتَشف المُسْتَشرقُون يَزِيد بن مُعَاوِيَة، وَهُم يُنَقبُون عَن العَورَات فِي تَأرِيخ المُسْلِمين، فَطَارُوا بِهِ فَرحاً، كَأَنَّهُم اَهْتَدُوا إِلَىٰ آبَار غَـنيَّة بـالبِتْرُول... وَأَخـذُوا

(١) حوَارِين بَلدَة بَيْنَ دِمَشق وَحِمص، وَلاَ يَزَال فِيهَا آثَار رُومَانيَّة تُنبيء عَن قَصر فَخم كَان يَرتَادهُ يَزِيد، وَأهلهَا إِلَىٰ الآن يَطلقُون عَلَيهِ اَسم قَصْر يَزِيد. (مِنْهُ ﷺ).

(٢) أنظر، تَأرِيخ دِمَشق لِابْن عَسَاكر: ٤٩ / ٣٦٧ و: ٥٧ / ٣٠٨. قَبر يَزِيد بن مُعَاويَة فِي قَريَة قَرِيبَة مِن حِوَارِينْ تِبْعُد مَرحَلتَين مِن تَدمُر. أُنظر، مُعْجَم البُلدَان: ٢ / ٣١٥، تَأرِيخ خَلِيفَة بن خيَّاط: ١٩٦، اَبن الأَثِير: ٤ / ٩، تَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢ / ٢٥١، وَقِيل: لَم يُعْرَف لهُ قَبر. كَنْز العُـمّال: ٦ / ٦٣١، البـدَايَـة وَالنِّهايَة: ٨ / ١٠.

(٣) تَقَدَّمت تَخرِيجَاته.

يُمجدُونَه، وَيُشِيدُون بأَعْمَاله الإِصلاَحيَّة، بخَاصّة الأَب لاَمَانس[١] فقْد أَطنَب وَأَشَاد بسمُو أَفْكَاره وَمَشَاريعه الإِنْسَانيَّة، وَأَلّف فِيهِ وَفي أَبيه مُعَاوِيَة كتَاباً ضَخْمَاً قَدَّمه إِلىٰ قَومِهِ المُسْتَعمِرين، ليَختَارُوا عُملاَءَ مِن العَرب، وَالمُسْلِمين أَمثَال يَزِيد يُنصّبُونهُم حُكَّامَاً عَلىٰ قَومِهِم، وَحُرَاسَاً لمَصَالح الإِسْتعمَار، يَمدُّونهُم بالقُوّة وَالسّلاح، ليُنكّلوا بالمُصلحِين، وَيَكيدُوا للإِسلاَم، وَيَعملُوا علىٰ هَدمِهِ، وَتَقوِيض شعَائِرِهِ.

---

(١) لاَمَانس مُسْتَشرق فَرَنْسي، وَهُو أَصدَق مِثَال للمُسْتَشرق الطَّاعن عَلىٰ الإِسلاَم، وَرجَاله، وَالمُبغض للقُرآن، ومُحَمَّد وَآله. يَقُول عَن فَاطِمَة سَيِّدَة النِّسَاء: كَانَت بِنتَاً مُقلقَة مُزعجَة تُثِير الشَّغب وَالإِضْطرَاب. أَمَّا مُعَاوِيَة وَولده يَزِيد فَمن المُصطَفِين الأَخيَار، وَيَا لَيت جَمِيع حُكَّام الشَّرق فِي صفَاتهِمَا وَأَخلاَقهما حَتَّىٰ يَطمَئن الإِستعمَار «وَلاَ يُبيتَن إِلاَّ هَادِيء البَال».

عَمَل بنَظَرِيَّة جَولد تَسهِير فِي الحَدِيث، وَبَيَّن فِيهِ بأَنَّه مِن الخَيَال لأَنَّه مَأخُوذ مِن الأَصْل القُرآني، ثُمَّ قَال بأَنَّ السِّيرَة أَيضَاً هِي مِن الخَيَال كمَا جَاء فِي كتَابهِ حَيَاة مُحَمَّد وَالسِّيرَة، ثُمَّ تَهجَّم عَلىٰ فَاطِمة فِي كتَابهِ المَوسُوم (فَاطمَة وَبنَات مُحَمَّد). تُرجِمَة كُتبه إِلىٰ اللُّغَة العَرَبيَّة، وَالإِنجلِيزيَّة، وَالأَلمَانيَّة.

«المُتَرجم الدُّكتُور مُسْلِم فِدَاء حُسَين». مِن الهَيئَة العِلميَّة فِي زَهرَاء عليها السلام آكَادِيمي.

مَشْهَد الحُسَين

كَان مَصْرَع الحُسَين عليه السلام بِدء نهَايَة الحُكم الأُمَوي، إِذْ هُو السَّبَب الأَكْبَر لظُهُور الدَّعوَة إِلَىٰ آل البَيْت النَّبوي، وَٱنْتشَارهَا فِـي أَرجَـاء العَـالم الإِسـلاَمي، حَـتَّىٰ ٱسفَرَت عَن زَوَال تِلْكَ الدَّولَة وَقيَام دَولَة بَني العَبَّاس. لأَنَّ العَـرب وَالمُسْـلِمِين عَلىٰ السَّواء ٱعْتَبرُوا هَذَا الحَادث عُدوَاناً أَثِيماً عَلىٰ بَيْت النُّبوّة وَلذَلِكَ أَصْبَح سَهل كَرْبُلاَء بُقعَة مُقَدّسَة، كَثُرت حَولهَا المُؤلّفَات وَالأَشْـعَار وَالقَـصَّص. وَمِـمَّا رَوَاه الإِمَام السَّادس أَنَّ النَّبيّ صلى الله عليه وآله قَالَ: «أَنَّ المَلاَئِكَة حَمَلت تُرَاباً مُقدّسَاً مِن القُـدس إِلَىٰ كَرْبُلاَء قَبل أَلف سَنَة ليَكُون قَبراً»[1]. وَقِيلَ: «أَنَّ الإِمَام عَليّ عليه السلام تَحدّث عَن قَدَاسَة المَكَان فَقَال: «أَنَّ مِئَتي نَبي وَمِئَتي مَندُوب للأَنْـبيَاء وَمِـئَتَين مِـن أَبْـنَاء الأَنْبيَاء يُودُون أَنْ يُدفَنُوا هُنا»[2].

فَلَيس بغَرِيب إِذَن أَنْ يُصبح المَوضع الَّذي دُفن فِيهِ جَسَد سَيِّد الشُّهدَاء مَزَاراً، يَحجّ إِلَيه النَّاس للتَّبرك بهِ، وَتَأديَة وَاجب الإِحْترَام لهُ. وَٱسم كَرْبُلاَء أُطلق أَصلاً

---

(١) أُنظر، قَرِيب مِن هَـذَا فِـي مُسْـتَدرك الصَّـحِيحَين: ٣ / ١٧٦، الإِصَـابة: ١ / ٦٨ و: ٨ / ٢٦٧، و: ٥ / ٢٣١، مُسنَد أَحْمَد: ٦ / ٣٩٩، تَأْرِيخ دِمَشق: ١٣ / ٦٢ ح ٦٣١، مَجْمع الزَّوَائد: ٩ / ١٧٩ و ١٨٧، الصَّوَاعق المُحرقَة: ١٩٢ ح ٢٨ و ٢٩، المنَاقب لأَحمد: ٢ / ٧٧٠ ح ١٣٥٧.

(٢) أُنظر، مَجَلّة العَالم عَدَد حُزَيرَان سَنَة «١٩٥٩ م». (مِنْهُ رحمه الله). لَمْ أَعْثَر عَلىٰ هَذَا النَّص.

عَلىٰ القِسم الشَّرقي مِن حَدَائِق النَّخل الَّتي تُحِيط بالبَلدَة الَّتي نَـمَت وَاْزْدَهـرَت بسُرعَة، إلاّ أنَّنا نَجد لهَا ذِكراً فِي المَرَاجع التَّارِيخيَّة الأُولىٰ. وَأوّل مَا قَرأنا عَنْهَا أنَّ الخَلِيفَة العَبَّاسي المُتوكّل أَمر ـ عَام (٨٥٠ مِيلاَدي ـ) بـإِغرَاق المَـنْطَقَة وَهَـدم البيُوت وَالأَبْنيَة المَوجُودَة فِيهَا وَحَرث الأَرْض كُلّها، وَفَرض عُقُوبَات صَـارِمَة عَلىٰ الحُجَّاج القَادِمِين إِليهَا كَي يَمْنَع زيَارتهَا[1]. لَكنَّ البَلدَة مَا لَبثَت أَنْ عَـادَت

---

(١) عَنْ عَبدالله بن دَانيَة الطُّوري، قَالَ: حَجَجتُ سَنَة (٢٤٧ هـ) سَبع وَأَربعِين وَمِئَتين، فَلمَّا صَدَرتُ مِن الحَجّ وَصرتُ إِلَىٰ العِرَاق زُرتُ أَمِير المُؤْمِنِين عَليّ بن أَبي طَالِب عَلَىٰ حَال خِيفَة مِن السُّلطَان، ثُمَّ تَوجَهتُ إِلىٰ زِيَارَة الحُسَين، فَإِذَا هُو قَد حَرَث أَرْضه، وَفَجّر فِيهَا المَاء، وَأُرسلَت الثِّيرَان، وَالعَوامل فِي الأَرْض فَبعَيني وَبَصري كُنتُ أَرىٰ الثِّيرَان تُسَاق فِي الأَرْض فَتنسَاق لَهُم حَتّىٰ إِذَا جَاءَت القَبْر حَادَت عَنْهُ يَميناً وَشمَالاً، فَتُضرب بِالعِصي، الضَّرب الشَّدِيد فَلاَ يَنْفع ذَلِكَ، وَلاَ تطأ القَبْر بوَجْه، فمَا أَمكَنني الزِّيَارَة، فَتوجهتُ إِلَىٰ بَغدَاد وَأَنا أَقُول: تَاللهِ إِنْ كَانَتْ أُمَيَّة قَدْ أَتَت... الأَبيَات جوَاد شُبّر فِي أَدَب الطَّفّ: ١ / ٣٢٧، الطَّبْعَة الأُولىٰ ـ بَيْرُوت ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٩م.

إِذَن لَمْ يَكْتَف المُتوكل بِتَنكِيل الأَحيَاء، حَتَّىٰ اْعتَدىٰ عَلىٰ قبُور الأَموَات، فَهَدم قَبر الحُسَيْن عليه السلام وَمَا حَوله مِنْ المَنَازل وَالدُّور، وَمَنع النَّاس مِنْ زِيَارته، وَنَادىٰ مُنَادِيه مَنْ وَجدنَاه عِند قَبر الحُسَيْن حَبَسنَاه فِي المُطْبَق ـ سِجن تَحت الأَرْض.

وَيُنْسَب هَذَا الشِّعر إِلىٰ عَبدالله بن دَانيَة، كمَا جَاء فِي مَناقب آل أَبي طَالب: ٣ / ٢٢١، أَمَـالي الشَّـيخ الطُّوسي: ٣٢٩. قَالَ هَذَا الشِّعر وَهُو لاَ يَعلم فِي قَتل المُتوكل، فَوَصل إِلَيه الخَبر فِي تِلك اللَّيلَة.

أُنظر، الكَامل فِي التَّأرِيخ: ٧ / ٥٥، مقَاتل الطَّالبيين: ١٣٠ و ٤٢٨.

وكَان المُتوكل يُقرّب عَليّ بن جَهم؛ لأَنّه كَان يَبغض عَليّاً أَمِير المُؤْمِنِين، وكَان أَبي الجَهم هَذَا مَأبُوناً: سَمعَه يَوْمَاً أَبُو العَينَاء يَطْعن عَلىٰ الإِمَام، فَقَال لهُ: إِنَّك تَطْعَن عَليه، لأَنّه قَتل الفَاعل وَالمَفعُول مِنْ قَوم لُوط، وَأَنتَ أَسفَلهُما. أُنظر، شَرْح نَهج البَلاَغَة لِاْبن أَبي الحَدِيد: ١ / ٣٦٣، مَناقب آل أَبـي طَـالب: ٣ / ١٦ و ٢١٥ طَبعَة آخر.

وَأَبلغُ مَا قَرأت عَن هَذِه الجُرأَة وَالتَّضحِية: إِنَّ الأَدِيب العَالم المَعْرُوف بِاْبن السِّكِّـيت كَـان يَـوْمَاً فِـي مَجلس المُتوكل المُبْغِض المُعلن بِالعَدَاء لِلإِمَام أَمِير المُؤْمِنِين، فَقَال لِاْبن السِّكِّيت (هُو الشَّيخ الأَدِيب ↔

للظهُور ثَانيَة ، وَٱعْتَقد الشِّيعَة أَنَّ المَشْهَد لَمْ يَتَأثر أَبداً بالمَاء وَظَل عَلىٰ حَالِهِ . وَبَعد قَرن مِن الزَّمن كَتَب ٱبْن حَوقل عَن المَشْهد الَّذي بُني فَوق ضَرِيح الحُسَين عليه السلام فَوصَفَهُ بأَنّه غُرفَة وَاسعَة تَعلُوهَا قُبَّة ، لهَا بَاب فِي كُلّ مِن جِهَاتهَا

↔ يَعْقُوب بن إِسْحَاق الدُّورَقِي ، الأَهوَازي الشَّهير بأبن السِّكِّيت ، وَكَان عَالِماً بِنَحو الكُوفِيين ، وَعِلم القُرْآن ، وَاللُّغة ، وَالشِّعر ، رَاوِية ثِقَة ، أَخذ عَن البَصريين ، وَالكُوفيين ، كَالفَرَّاء ، وَأَبي عَمْرُو الشِّيباني ، وَالأَثرَم ، وَٱبن الأَعرَابي ، لَهُ تَصانِيف كَثِيرة فِي النَّحو ، وَمَعَانِي الشِّعر ، وَتَفْسِير دَوَاوِين الشِّعر ، مِنْهَا تَهذِيب الأَلفَاظ ، وَإِصلاَح المَنطق ، قَتَله المُتوكل بَعدَ أَنْ سَل لِسَانه مِن قَفَاه فَمَات رَحمه الله يَوْم الاثْنَيْن لِخَمس خَلون مِن رَجَب سَنَة أَرْبع وَأَرْبَعين وَمِئتِين ، بَعد إِنْ كَانَتْ وِلاَدته سَنَة (١٨٦ هـ) .
أُنظر ، بُغية الوعَاة : ٤١٨ ، وَبُغية الطَّالب لِابْن العَدِيم : ٨ / ٣٧٦٨ ، شَذرات الذَّهب : ٢ / ١٠٦ ، تَأرِيخ دِمشق : ١٨ / ٣١٧ ، ذَيل تَأرِيخ بَغدَاد : ٥ / ٦ ، البدَاية وَالنِّهاية : ١١ / ٢٣ ، سِير أَعْلاَم النُّبلاء : ١٢ / ١٩ ، وَفِيات الأَعْيَان : ٦ / ٣٩٩ .
وَٱبن السِّكِّيت هَذَا هُو القَائِل :

يُصَاب الفَتىٰ مِن عَثْرَة بِلسَانهِ ... وَلَيْسَ يُصَاب المَرْء مِن عَثْرَة الرِّجل
فَعَثرَته فِي القَول تُوَدِّي بِرَأسه ... وَعَثرَته فِي الرِّجل تَبْرا عَلىٰ مَهْل

وكَان عِند المُتوكل مُخنث يُدعىٰ عَبَّادة ، فَيشد عَلىٰ بَطْنِهِ مَخدَّة ، وَيَرقص بَيْنَ يَدي المُتوكل ، وَالمُغنُون يُغنُون : أَقبَل البَطِين خَلِيفَة المُسْلمِين وهُم يَعنُون عَليّاً أَمِير المُؤمِنِين ، وَالمُتوكل يَشرَب وَيَضحك ، وَفعل ذَلِكَ يَوْمَاً ، وَٱبْنه المُنْتَصر حَاضر ، فَقَال لأَبِيه : أَنَّ الَّذي يحْكِيهِ هَذَا الكَلْب وَيَضحك مِنْهُ النَّاس هُو ٱبْن عَمّك ، وَشَيخ أَهْل بَيْتك ، وبِهِ فَخرُك ، فكلْ أَنتَ لحْمه إِذَا شِئت ، وَلاَ تُطعم هَذَا الكَلْب وَأَمثَاله ، فَقَال المُتوكل للمُغَنين : غَنّوا .

غَارَ الفَتىٰ لِابْن عَمِّه ... رَأس الفَتىٰ فِي حَر أُمِّه

أُنظر ، الكَامل فِي التَّأريخ : ٧ / ٥٥ ، إِكمَال الكَمَال ، لِابْن مَاكُولا : ٦ / ٢٨ ، تَأرِيخ دِمَشق : ٢٦ / ٢٢١ .
وَسَمعهُ يَوْمَاً يَشْتُم فَاطِمَة بِنْت الرَّسُول ، فَسَأل أَحَد الفُقهَاء ، فَقَال لهُ : قَدْ وَجَب عَلَيه القَتل إِلاَّ أَنَّه مَنْ قَتَل أَبَاه لَمْ يَطل عُمَره .
فَقَال المُنْتَصر : لاَ أُبَالي إِذَا أَطَعت الله بِقَتله أَنْ لاَ يَطول عُمَري ، فَقَتلهُ ، فعَاش بَعْده سَبعَة أَشهُر .
أُنظر ، أَمَالي الشَّيخ الطُّوسي : ٣٢٨ ح ١٠٢ ، مَنَاقب آل أَبي طَالب : ٣ / ٣٢١ ، المُجدي فِي أَنسَاب الطَّالِبين : ٣٧٢ ، كتَاب العِبر للذَّهبي : ١ / ٤٤٩ .

الْأَرْبَع. وَبَعد مِئَتي سَنَة (٩٧٩ م ـ ٩٨٠ م) هَاجَم البَلدَة فَرِيق مِن الْأَعرَاب جَاءُوا مِن عَين التَّمر، وَخَرّبُوا المَشهَد وَغيره مِن الْأَمَاكن، فَصبَّ عَلَيهم بنُو بُوْيَه ـ وَهُم شِيعيُون ـ جَام غَضَبهُم وَعَاقبوهُم وَمَن رَافقهُم أَقسىٰ عقُوبَة، وَأَسرَعَ عَضد الدَّولَة[1] فَأَعَاد بنَاء كَرْبُلاَء وَبَسط عَلَيهَا الحمَايَة[2].

وَفِي رَبِيع الْأَوّل سَنَه (٤٠٧ هـ أَو ١٠١٦ م) شَبّ حَرِيق فِي البِنَاء فَتَهدّمت القُبّة وَالْأَروقَة وَاحتَرقت. وَفي سَنَة (٤١٤ هـ) أَمر الحُسَين بن الفَضل ببِنَاء سُور حَول كَرْبُلاَء. وَمِن ذَلِكَ الوَقت تَشَابَه تَأرِيخ النَّجف الْأَشرَف وَكَرْبلاَء إِلَىٰ حَدٍّ بَعِيد، فَاحْترمهَا الْأَترَاك الَّذِين احتَلُوا العِرَاق، وَزَار مَلك شَاة سَنَة (٤٧٩ هـ أَو ١٠٨٦ م) المَشهَدَين وَفَرّق الصَّدقَات وَالْأَموَال. وَنَجت البَلدتَان مِن غَزو المَغُول.

---

(١) عَضْد الدَّولَة البُوَيهي (٣٢٤ ـ ٣٧٤ هـ) فَنَاخسرُو، ابن الحَسَن المُلَقّب رُكْن الدَّولَة ابن بوَيه الدَّيلَمي، أَبُو شُجَاع: أَحد المُتغَلبِين عَلىٰ المُلك فِي عَهْد الدَّولَة العَبَّاسيَّة بِالعَرَاق. تَولىٰ مُلك فَارس، ثُمَّ مُلك المُوصل وَبلاَد الجَزِيرَة. وَهُو أَوَّل مَن خَطَب لهُ عَلىٰ المَنَابر بَعد الخَلِيفَة، وَأوّل مَن لُقّب فِي الْإِسْلاَم «شَاهنشَاه. قَالَ الزَّمَخشري فِي رَبِيع الْأَبرَار: وَصَف رَجُل عَضْد الدَّولَة فَقَال: وَجهٌ فِيه أَلف عَين، وَفَمٌ فِيهِ أَلف لسَان، وَصَدر فِيهِ أَلف قَلْب. كَان شَدِيد الهَيبَة، جَبَّارَاً عَسُوفَاً، أَدِيبَاً، عَالمَا بِالعَربِيّة، يُنظم الشّعر، نَعَتهُ الذَّهبي بِالنَّحوي، وَصَنَّف لهُ أَبُو عَليّ الفَارسي (الْإِيضَاح) و(التَّكملَة). كمَا صَنَّف لهُ أَبُو إِسحَاق الصَّابي كتَاب (التَّاجي) فِي أَخبَار بَني بوَيه، وَلَقَّبه بتَاج المِلّة وَمَدحه فحُول الشُّعرَاء كَالمُتنبي وَالسَّلاَمي. قَالَ الذَّهبي: أَظْهَر بِالنَّجف قَبرَاً زَعم أَنَّه قَبر الْإِمَام عَليّ عليه السلام وَبَنىٰ عَلَيه المَشْهد وَأَقَام مَأتم عَاشُورَاء. أُنظر، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: الجُزآن ٨ و ٩، بُغيَة الوعَاة: ٣٧٤، البِدَايَة وَالنّهايَة: ١١ / ٢٩٩، الْأَعلاَم: ٥ / ١٥٦.

(٢) هَذَا مِن أَعْمَال عَضْد الدَّولَة نَقلنَاه مِن كِتَاب «الحَضَارة الْإِسْلاَمِيَّة فِي القَرن الرَّابع الهِجْرِي» لآدَم مِتز، تَعرِيب الْأُستَاذ مُحمَّد عَبد الهَادي أَبي رِيدَة. وأُنظر، شَرْح نَهج البَلاَغَة لِابن أَبي الحَدِيد: ٢٠ / ٤٢، إِعجَاز القُرآن للبَاقلاَني: ١٩، تَأرِيخ بغَدَاد: ١ / ١٢١، مِيزَان الْإِعتدَال: ٤ / ٢٦، سِير أَعلاَم النُّبلاَء: ١٥ / ١٢١، المُنتَظم: ٧ / ١٠٤.

وَفِي سَنَة (١٣٠٣ م) زَار الخَان غَازي كَرْبُلاَء وَحَمَل مَعَهُ هَدَايَا غَالِيَة الثَّمن، وَشقَّ « أَرغُون » قَنَاة مِن نَهر الفُرَات إِلَىٰ البَلدَة أُطلق عَلَيهَا فِيمَا بَعد ٱسم نَهْر الحُسَينِيَّة. وَجَاء العُثْمَانِيُون إِلَىٰ الحُكم فَحَافظوا عَلَىٰ المَشهَدَين، وَزَار سُليمَان القَانُوني ضَرِيح الحُسَين وَأَمر بتَجدِيد حَفر القَنَاة، وَتَوسِيعهَا، وَزرَاعَة الأَرَاضي المُحِيطَة بالبَلدَة، وَكَانَت الأَوَامر تَصْدر إِلَىٰ الولاَة فِي بَغدَاد بأَنْ يُرَاعُوا كَرْبُلاَء وَيَعلُوا بأَبْنِيتهَا. وَجَدَّد مُرَاد الرَّابع سَنَة (٩٩١ هـ أَو ١٥٨٣ م) بنَاء الضَّرِيح وَالمَشهَد وَمَا حَولهُما مِن الزَّوَايَا.

وَعَادت النَّجف وكَرْبُلاَء إِلَىٰ حُكم الشِّيعَة إِذْ ٱنْتزعهَا « عبَّاس الكَبِير »[1] مِن الحُكم العُثْمَانِي، فَأَعَاد بنَاء المَشهدَين عَلَىٰ الشَّكل الَّذي نَرَاه فِي الوَقت الحَاضر. وَفِي سَنَة (١٧٤٣ م) شَيّد نَادِر شَاه[2] قُبّة مَشهَد الحُسَين، وَصَادر فِي الوَقت ذَاته الأَوقَاف الَّتي خُصّص رَيعهَا للأَئِمَّة. وَتوَالت الهَدَايَا مِن الأُمرَاء، وَالأَغنيَاء الشِّيعيِّين مِن كُل مَكَان. وَفي أَوَاخر القَرن الثَّامن عَشَر زَين مُؤسّس أُسرَة قَاجَار المَالكَة فِي إِيرَان القُبّة، وَالمَنَارَة بالذَّهب.

وَيَقع ضَرِيح الحُسَين عليه السلام فِي بَاحَة مسَاحتهَا (٣٥٤ قَدَماً = ٢٧٠ قَدَماً)[3] تُحِيط بهَا الإِيوَانَات وَالحُجرَات، وَجُدرانهَا مُحلاّة بحِجَارَة ذَات لَون أَزْرَق نُقشَت عَلَيهَا جَمِيع آيَات القُرآن الكَرِيم بأَحرف بَيضَاء. وَمَسَاحَة المَشهَد ذَاته (١٥٦ ـ ١٣٨)

---

(١) أُنظر، كِتَاب « تَأرِيخ إِيرَان » لمكَاريُوس: ١٥٣ طَبعَة سَنَة (١٨٩٨ م).

(٢) أُنظر، تَأرِيخ الشُّعُوب الإِسْلاَمِيَّة لبرُوكلمَان، مُعْجَم المُؤلِّفِين: ٩ / ٦٠، الأَنوَار العلويّة: ٤٢٠، أَعيَان الشِّيعَة: ٤٤ / ٢٧٠، الذَّرِيعَة: ٥ / ٦٣ و: ٢٦ / ١٥٢، مَعَادن الجوَاهر للسَّيِّد الأَمِين: ج ٢، وتَأرِيخ الشِّيعَة للشَّيخ المُظَفر.

(٣) القَدَم ثَلاَثُون سَانْتِمتر وَنِصْف عَلَىٰ التَّقرِيب. (مِنْهُ رحمه الله).

قَدَماً، وَيَتأَلّف مِن عمَارَة قَائِمَة الزّوايَا لهَا قَاعَة خَارجيَّة مُذَهّبَة تَحف بهَا مَمرّات أُعدّت للطَوَاف. وَفي مُنْتَصف الغُرفَة المَركزيَّة المُقَبّبة تُوجد «صَندُوقَة الحُسَين» وَحَولهَا مُشبْكَان، الخَارجي مَصنُوع عَلىٰ شِكل مَشرَبية مِن الفُضّة، وَالدَّاخلي مِن الذَّهب. وَفِي هَذَين المُشبْكَين يُلقي المُخلصُون هدَايَاهُم مِن النُّقُود وَالمُجوهرَات، وَيُفتحَان مرّة فِي السُّنَّة لجَمع هَذِه الهدَايا بحَفلَة ضَخْمَة. وَهُنَاك ضَرِيح ثَانٍ دُفن فِيه عَليّ الأَكبَر ٱبْن الحُسَين عليه السلام.

وَفِي كَرْبُلاَء مَشهَد كَبِير ثَانٍ للعبَّاس بن عَليّ، وَهُو يَشْبَه فِي نَسَق بنَائه وَحَجْمه وَتَعدد الأَروقَة وَالغُرف فِيهِ مَشهَد الحُسَين. وَالفَرق الوَحِيد هُو أَنَّ للثَّاني مَآذن وَللأَوّل مَئذنَتين، كمَا أَنَّ قُبّته غَير مُغطَاة بصفَائح الذَّهب.. وَالسَّبَب فِي ذَلِكَ هُو أَنَّ نَادِر شَاه رَأىٰ (وَهُو يَعْتَزم بنَاء المَشهدَين) العَبَّاس فِي مَنَامه، فَقَال لهُ: «أَنَا أَصغَر سِنّاً مِن الحُسَين، وَمَا أنا إِلاَّ قُلاَمَة ظفْر لسَيِّدي. ولذَلِكَ وَجَب أَنْ تَجْعَل فَرقاً فِي البنَاء بَيْنَ مَقَام السَّيِّد وَمَقَام العَبد». وَيَعْتَقد الزُّوَار أَنَّ النَّقمَة تَحل بكُلِّ مَن يَحْلف كَاذباً عِندَ ضَرِيح العَبَّاس.

وَفُرش دَاخل المَشهدَين بالسَّجاجِيد العَجِيبَة النَّفيسَة، وَزُين أَبْدَع زِينَة تُثِير الإِعجَاب وَالرَّوعَة، وَتَصْعب عَلىٰ الوَاصف.

لَقَد مَضىٰ عَلىٰ مَصْرَع سَيِّد الشُّهدَاء الحُسَين بن عَليّ عليه السلام (١٣١٧ سَنَة)[١]، وَمَا زَال الأُلُوف يَزُورُون مَشهَده للتَّبرك بهِ، وَتَقدِيم وَاجب الإِحترَام للمَدفُون فِيهِ، وَتَجدِيد ذِكرىٰ الفَاجعَة الَّتي حَدَثَت فِي العَاشر مِن شَهْر المُحرّم سَنَة (٦١ هـ).

(١) وَضَع الشَّيخ مُغنيَّة هَذَا الكِتَاب عَام (١٣٧٨ هـ). وَنَحنُ الآن فِي سَنَة (١٤٢٦ هـ). المُحقّق.

مُعَاوِيَة

حَاوَل بَعْض الشّيُوخ أَنْ يُنَزّه مُعَاويَة بن أَبي سُفْيَان عَن الجَرَائِم بَل أَلّف ٱبْن حَجَر كتَاباً للذَّب عَنْهُ، ٱسمَاه «تَطهِير الجنَان وَاللِّسَان عَن الخطُور وَالتَّفَوه بثَلْب سَيِّدنَا مُعَاويَة بن أَبي سُفْيَان»[1]. وَقَالَ آخر: «قُل مَا تَشَاء عَن يَزِيد وَلاَ

(١) التَّأرِيخ فِي كُلّ يَوْم يَكشف لنَا مَنقبَة مِن مناقب هَذا الصّعلوك! وَهَذا التّقوِيم لمُعَاوِيَة لَيس مِن الشّيعَة حتّىٰ تَقول هَذا مِن مُفتريَات الشِّيعَة، بَل إنّ الأَعْجَب هُنالِك إعْتراف صَريح مِن قِبل مُؤرّخيكُم مِمَّن يَخلط بين ٱلحَق، والبَاطِل بَعد إطلاَعه عَلىٰ أحَاديث الرَّسُول الأكرم ﷺ، وكَذلِك أقوَال بَعض الصّحابَة، والتّابعِين، بَل حَتَّىٰ مِن مُستشَاري مُعَاوِيَة نَفْسه، وبِطَانته، بِأنّ مُعَاوِيَة مَلعُون عَلىٰ لسَان رَسُول الله ﷺ، بَل أمر المُصْطَفىٰ الأمجَد، والّذي لاَ يَنطق عَن الهوىٰ: ﴿إنْ هُوَ إلّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾، ٱلمُسْلِمِين إذَا رَأيتُم مُعَاوِيَة عَلىٰ مِنبَري فَٱقتلُوه، و... و... ثُمّ بَعد هَذا الإطلاع يَقول بكلّ صَلافَة وَوَقَاحة أنَّ سَيِّدنا مُعَاوِيَة دَسّ السُّم لسَيِّدنا الحَسن، بوَاسطة جعدَة بِنْت الأشعث، وٱشترك سَيِّدنا مُعَاوِيَة بسُّم الأشتَر، و... ثُمّ يَقول: قَتل سَيِّدنا يَزيد سَيِّدنا الحُسَيْن، وَهَكذا يَستَمر فِي هَذِه الخُزعبلاَت، والتّرهات، ثُمّ يَدّعي بأنّه من المُؤرِّخين المُنْصِفِين المُحايدِين... وهَا هُو عَبد الله بن بدِيل يَقول فِي مُعَاوِيَة: «إنّ مُعَاوِيَة ٱدَّعىٰ مَا لَيس لهُ، ونَازع الأمْر أَهْله، وَمن لَيس مِثْله...».

أُنظر، وَقعَة صِفِّين: ٢٣٤، طَبعَة القَاهرة، تأريخ الطّبريّ: ٦ / ٩، ٱبن الأثِير: ٣ / ١٢٨، الإستيعَاب: ١ / ٣٤٠، شَرح النّهج لاِبْن أَبي الحَدَيد: ١ / ٤٨٣ و: ٤ / ١١ و١٧، المقَاتل: ٤٣، وأنسَاب الأشرَاف: ١ / ٤٠٤، ٱبن كَثِير: ٨ / ٤١، تَأرِيخ الخُلفَاء: ١٣٨، الإِصَابَة تَرجمَة الحَسَن، ٱبْن قُتَيْبَة: ١٥٠، الصَّوَاعِق: ٨١، مُرُوج الذّهب بِهَامش الكَامِل: ٢ / ٣٥٣، ٦ / ٥٥، تَهْذِيب تَأرِيخ دِمَشْق لاِبْن عسَاكر: ٤ / ٢٢٦، أَسْمَاء المُغتَالِين مِن الأشرَاف: ٤٤، تَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢ / ٢٢٥، ٱبْن الأثِير: ٢ / ١٩٧، وٱبْن

تُزِيد »[١].

وَالحَقِيقَية أَنَّ يَزِيد سَيئَة مِن سَيئَات مُعَاوِيَة ، وَأَنَّ الاِبْن لَمْ يَأتِ بمُنكَر إلاَّ أَتىٰ الأَب بمَا هُو أعظَم وَأَخطَر ، بَل أَنَّ مُعَاوِيَة أَحدَث بدعاً لاَ يَعرفهَا يَزِيد وَلاَ غير يَزِيد . وإِلَيكَ الأَرقَام .

تَأَمّر يَزِيد عَلىٰ المُسْلِمين بِالقَهر وَالغَلبَة ، وكَذَلِكَ أَبُوه مُعَاوِيَة تَأَمّر عَلَيهِم مِن غَير مَشورَتهم ، وعَلىٰ غَير رِضَا مِن المُهَاجِرين وَالأَنْصَار ، وَحَارب يَزِيد الحُسَين فِي كَرْبُلاَء ، وَقَتَلهُ وَقَتل أَصحَابه ، وَحَارب مُعَاوِيَة عَلِيّاً فِي صِفِّين ، وَقَتل عَمّار بن يَاسر الصَّحَابي الجَلِيل[٢] ، وَسمّ الحَسَن[٣] ، وَمَالك الأَشْتَر[٤] ، وَعَبدالرَّحمن بن

↔ شُحنَة بهامش اَبْن الأَثِير : ١١ / ١٣٢ ، تَأرِيخ الدّول الإسْلاَميّة : ١ / ٥٣ ، تَذكِرة الخواصّ : ٦٢ ، تَأرِيخ أَبي الفدَاء : ١ / ١٩٤ ، الاِسْتِيعَاب : ١ / ٣٨٩ ، تَأرِيخ الخُلَفَاء للسُّيوطي : ٧٤ ، مُسْتَدرَك الحَاكِم : ٣ / ١٧٦ .

(١) تَقَدَّم التَّعلِيق عَلىٰ مخَازي يَزِيد .

(٢) أنظر ، صَحِيح البُخَاريّ : ١ / ١٢٢ و ٢ / ٣٠٥ ، صَحِيح مُسْلِم : ٤ / ٢٢٣٥ ، صَحِيح التِّرمِذي : ٥ / ٦٦٩ ، مُسْنَد أحمَد : ٢ / ١٦١ و ١٦٤ ، و : ٤ / ١٩٧ ، و : ٦ / ٢٨٩ ، حليَة الأَوْلِيَاء : ٤ / ١١٢ .

(٣) أُنظر ، مُروج الذّهب : ٢ / ١٣٩ طَبعَة بَيْرُوت ، المُغتَالِين مِن الأَشْرَاف : ٣٩ ، وتَأرِيخ اليَعقُوبي : ٢ / ١٣٩ طَبعَة بَيْرُوت ، شَرح النّهج لِاَبْن أَبي اَلْحَدِيد : ٢ / ٢٩ ، والطَّبَرِيّ فِي تَأرِيخه : حوَادث سَنَة (٣٨ ـ ٣٩ هـ) ، تَهْذِيب الكَمَال : ٢٧ / ١٢٦ رَقم ٥٧٣١ ، التَّأرِيخ الْكَبِير للبُخاري : ٧ / ٣١١ ، وتَأرِيخ الصَّغِير : ١ / ٨٧ ، الثّقات لِاَبْن حبّان : ٢ / ٢٩٨ ، سِير أَعْلاَم النّبلاء : ٤ / ٣٥ ، تَأرِيخ مَدِينَة دِمَشْق : ٥٦ / ٣٧٦ و ٣٩١ ، الأَنْسَاب : ٥ / ٤٧٦ ، نَظَرَات فِي الكُتب الخَالدَة لحَامد حَفني : ١٦١ ، شَيخ المُضِيرة أَبُو هُرِيرة لمَحمُود أَبُو رِيَّة : ١٧٩ ، وَلَكنْ بَعْض المَصَادر نَسَبت القَوْل إلىٰ عَمْرُو بن العَاص .

العَسل الَّذي كَانَ يَدس فِيهِ السّم ، وَقَتل بِهِ الإِمَام الْحَسَن رَيحَانة رَسُول الله أُنظر ، المقَاتل : ٤٣ ، وأَنْسَاب الأَشْرَاف : ١ / ٤٠٤ ، وأبن أبي اَلْحَدِيد فِي شَرح النّهج : ٤ / ١١ و ١٧ ، اَبن كَثِير : ٨ / ٤١ ، تَأرِيخ الخُلَفَاء : ١٣٨ ، الإِصَابَة تَرجَمة الْحَسَن ، اَبْن قُتَيْبَة : ١٥٠ ، الصَّوَاعِق : ٨١ ، المَسْعُودِي فِي ↔

خَالد ٱبن الوَلِيد، وَقَتل حِجر بن عَدي، وَأَصحَابه فِي مَرج عَذْرَاء[٥]، وَمُحَمَّد بن أَبي بَكر[٦]، وَذَبح جَيْش يَزِيد بقيَادَة عُمَر بن سَعد أَطفَال الحُسَين، وكَذٰلِكَ ذَبح

↔ مُروج الذّهب بِهَامش الكَامِل: ٢ / ٣٥٣، ٦ / ٥٥، وتَهْذِيب تَأرِيخ دِمَشق لِابْن عسَاكر: ٤ / ٢٢٦، وأَسْمَاء المُغتَالِين مِن الأَشْرَاف: ٤٤، وتَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢ / ٢٢٥، وٱبْن الأَثِير: ٢ / ١٩٧، وٱبن شُحنَة بِهَامش ٱبْن الأَثِير: ١١ / ١٣٢، تأرِيخ الدّول الإسْلاَمِيّة: ١ / ٥٣، تَذكِرة الخواصّ: ٦٢، تَأرِيخ أَبي الفِدَاء: ١ / ١٩٤، الاِسْتِيعَاب: ١ / ٣٨٩، تَأرِيخ الخُلَفَاء للسّيوطي: ٧٤، مُسْتَدرَك الْحَاكِم: ٣ / ١٧٦.

(٤) أُنظر، مُروج الذّهب: ٢ / ١٣٩ طَبعَة بَيرُوت، المُغتَالين مِن الأَشْرَاف: ٣٩، وتَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢ / ١٣٩ طَبعَة بَيرُوت، شَرح النّهج لِابْن أَبي ٱلْحَدِيد: ٢ / ٢٩، والطَّبَرِيّ فِي تَأرِيخه: حوَادث سَنَة (٣٨ ـ ٣٩هـ)، تَهْذِيب الكَمَال: ٢٧ / ١٢٦ رَقم ٥٧٣١.

(٥) هُو حِجر بن عديّ الأَبْرَد الكِندي المُلقّب بحِجر الْخَيْر، وكَان مِن فُضلاء الصَّحَابَة، وَفَد إِلىٰ النَّبيّ وشَهد القَادِسِية، وقَد قَتَله مُعَاوِيَة صَبراً، ويُقَال: إِنّه أَوّل مَن قُتل صَبراً فِي الإِسْلاَم، قُتل مَعه سِتة من أَصْحَابه، وهُم: شُريك بن شدّاد الحَضرمي، وصَيفي بن فسِيل الشّيبانِي، وقَبِيصة بن ضبِيعة العَبسي، وَمِحرز بن شِهاب السَّعدي، وكدَام بن حيّان العَنزي، وعبدالرَّحمن بن حسّان العنزي. وكَان حِجر ثِقة عَيناً ولَم يَرو عَن غَير عَليّ شَيئَاً، وهُو الّذي ٱفتَتح مُرج عَذراء، وكَان شرِيفاً فِي قَوْمه مُطاعاً، آمِراً بِالْمَعْرُوفِ، صَالحاً عَابداً يُلازم الوضُوء، وبَاراً بأُمّه، كَثِير الصَّلاة والصِّيام.

أُنظر، تَرجَمته فِي شَرح نَهج ٱلْبَلاَغَة: ١٥ / ١٠٠، طَبقَات ٱبن سَعد: ٦ / ١٥١ و ١٥٤، المُسْتَدرَك: ٣ / ٤٦٨، الاِسْتِيعَاب: ١ / ١٣٤ الرَّقم ٥٤٨، طَبْعَة حَيْدَرآباد، أُسد الغَابَة: ١ / ٣٨٥، سِير أَعْلام النُّبلاء: ٣ / ٣٠٥ التَّرجمة رقم ٣١٤، تَأرِيخ الذَّهبي: ٣ / ٢٧٦، تَأرِيخ ٱبن كَثِير: ٨ / ٥٠، الإِصَابَة: ١ / ٣١٥، تَأرِيخ الطَّبَرِيّ: ٢ / ١١١ ـ ١٤٩ و ٥ / ٢٧٧، تَأرِيخ ٱبن الأَثِير: ٣ / ٤٠٣ و ٤٠٤، وَقْعَة صِفِّين: ١٠٣، مُروج الذّهب: ٣ / ٣ ـ ٤، تَهذيب الكَمَال: ٥ / ٤٨٥ الرّقم ١١٤١، المعَارف لِابْن قُتَيْبَة: ٣٣٤، الأَغَانِي: ١٦ / ١٠، تَأرِيخ دِمَشق: ٢ / ٣٧٩، مُسْنَد أَحْمد: ٤ / ٤٢١، والْمُعْجَم الْكَبِير للطَّبراني: ١ / ٤٢٧، والعِقد الفريد: ٤ / ٣٤٥، وتَهذِيب ٱبن عسَاكر: ٧ / ٢٠٦، وَصفوة الصَّفوة: ١ / ٢٣٨، وسِيرة ٱبن هِشَام: ٤ / ١٧٩.

(٦) أُنظر، تَذكِرَة خواصّ الأُمّة: ١١٤ طَبعَة النّجف، التَّمهِيد والْبَيَان: ٢٠٩، الأَغَاني: ٢١ / ٩، الإِشتقَاق: ٣٧١، الطَّبَرِيّ، وٱبن الأَثِير، وٱبن كَثِير فِي ذِكر حوَادث سَنَة (٣٦هـ)، الإِصَابَة حَرف المِيم: ↔

عَسكَر مُعَاويَة بقيَادة بُسر بن أَرطَأة القِثم وَعَبدالرَّحمن طِفلي عُبَيدالله بن العبَّاس في حِجر أمّهُما[1].

وَشَرب يَزِيد الخَمر، وَلَبس الحَرِير وَالدِّيبَاج، وَشَرب مُعَاويَة الخَمر أَيَّام حُكمَه فِي الشَّام[2]، وَلَبس الحَرِير وَالدِّيبَاج، وَشَرب بآنِيَة الذَّهب وَالفضَّة، وَرَكب السُّرُوج المُحَلاة بهمَا، وَأَبَاح يَزِيد مَدِينَة الرَّسُول، وَأَرسَل مُعَاويَة بُسراً إِلَىٰ المَدِينَة فَأَخَافها، وَقتل مِنْهَا خَلقاً كَثِيراً[3]، وَحِين رَأىٰ يَزِيد رَأس الحُسَين

---

٣ ق ٢ / ٤٥١، الإِسْتِيعَاب: ٣٢٨/٣، الْفُتُوح لِابْن أَعْثَمْ: ١ /٤٧٢، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة: ١ / ٥٥ ومَا بَعدَها، تَهْذِيب الكَمَال: ٢٤ /٥٤١ رَقم ٥٠٩٧، شَرح النَّهج لِابْن أَبي ٱلْحَدِيد: ٣ / ١٩٠.

(١) هُو بُسر بن أَرْطَاة، كَانَ مِن شِيعَة مُعَاوِيَة، أَحد فرَاعنة الشَّام، وَكَانَ مِن أَهْل الرِّدَّة وَقَد دَعَا عَلَيْهِ عَليٌّ عليه السلام عِندَما بَلَغه أَنَّه يَقتل الصِّبيَان فَقَالَ عليه السلام: «أَللَّهُمَّ أَسلب دِينه، وَلاَ تَخرجَه مِن الدُّنْيَا حَتَّىٰ تُسْلِبهُ عَقْله، فأَصَابَه ذَلِكَ وَفَقدَ عَقْله. وقَالُوا: دَخل المَدِينَة فَخطب النَّاس، وَشَتمَهُم يَوْمَئِذٍ وَتوعّدهُم وَقَالَ: شَاهت الوجُوه. وَلمَّا دَخل ثَقَل عُبَيْدالله بن الْعَبَّاس، وفِيهِ ٱبنَان لهُ صَغيرَان، فَذَبحهُما بِيَده بِمُديَة كَانَتْ مَعَه، ثُمَّ ٱنكفأ رَاجعاً إِلىٰ مُعَاوِيَة. فَقَالت لهُ إِمرَأَة لهُ: يَا هَذَا قَتلت ٱلرِّجَال، فَعَلاَم تَقْتُل هَذَين؟ والله مَا كَانُوا يُقتلون فِي الجَاهِلِيَّة وَٱلإِسْلاَم، والله يَا ٱبن أَرْطَاة إِنَّ سُلطَاناً لاَ يَقوم إِلّا بِقَتل الصَّبي الصَّغير، والشَّيخ الْكَبِير، وَنَزع الرَّحْمَة، وعقُوق ٱلأَرْحَام لسُلطان سَوء.

أُنظر، كتَاب الغَارات بروَاية ٱبن أَبي ٱلحَدِيد: ٢ /٣ ـ ١٤، تَأرِيخ اليَعقوبي: ٢ / ١٤١، تَهذِيب التَّهذِيب: ١ /٤٣٦، تَأرِيخ دِمَشْق: ٣ / ٢٢٢، نهَايَة الأَرَب للقَلقَشندي: ٣٧١، الْفُتُوح لِابن أَعْثَمْ: ٢ / ٣٩ و ٩٢، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة: ١ / ١٢٣ و ١٤٨ و ١٥٠، الإِسْتِيعَاب: ٦٤ ـ ٦٧، وَقْعَة صِفِّين: ٤٦٢ ط ٢ سَنَة ١٣٨٢ هـ وَطَبعَة ٢ تَحقِّيق عَبدالسَّلاَم هَارون المُؤسَّسة العَربِيَّة الحَدِيثة، تَهْذِيب ٱبْن عسَاكر: ٣ / ٢٢٠، تَأرِيخ الطَّبرِيّ: ٦ / ٨٠، و: ٤ / ٢٠ وَمَا بَعدها طَبعَة أُخرىٰ.

(٢) أُنظر، فَقَد جَاء فِي مُسْنَد أَحْمَد: ٥ / ٣٤٧، «عَن عَبدالله بن بُرِيدة الأَسلَمي قَالَ: دَخلتُ أَنا وَأَبِي عَلىٰ مُعَاوِيَة بن أَبِي سُفيَان فَأَجلَسنا عَلىٰ الفُرش، ثُمَ أُتِينا بِالطَّعَام فَأَكلنَا، ثُمَ أُتِينا بِالشَّراب فَشرب مُعَاوِيَة، ثُمّ نَاول أَبِي، قَالَ: مَا شَرِبتَه مُنذ حَرَمه رَسُول الله صلى الله عليه وآله...

(٣) أُنظر، مُرُوج الذَّهب، المَسعُودي. (مِنْهُ رحمه الله).

فَرِح وَٱسْتَبشَر، وَأَنشَد «لَيْتَ أَشيَاخي بِبَدر شَهدُوا»، وَحِين جَاء نَعي الحَسَن لمُعَاوِيَة أَظْهَر الفَرح وَالسُّرور، وَرَفع صُوته بالتَّكبِير.

وَتَشَاء الصِّدف أَنْ يَتم شَبَه الاِبْن بِالأَب مِن جَمِيع الوجُوه، ذَلِكَ أَنَّه عِندَمَا كَبَّر مُعَاوِيَة مُعلناً الإِبْتهَاج بمَوت الحَسَن سمَعتهُ فَاختَه بِنْت فَرضَة ٱبْن عَمْرُو بن نُوفل، فَدَخلت عَلَيهِ، وقَالَت: مَا الَّذي بَلَغك فَسُررت؟

قَالَ: مَوت الحَسَن. فَصَاحَت، وَبَكت، وَقَالَت: يَمُوت الحَسَن سَيِّد المُسْلِمين وٱبْن رَسُول الله، فَتُظهر الشَّماتة[1]؟!... وَهَكذَا فَعَلت هِند بِنْت عَبدالله بن عَامر مَع يَزِيد حِين أَدخلُوا الرَّأس، وَالسَّبَايَا؛ وَسَبّ مُعَاوِيَة عَلِيّاً، لأَنّهُ يَحْمل عِلم الله وَالرَّسُول، وَدَاس يَزِيد ظَهر الحُسَين وَصَدرَه بسَنَابك الخَيل، لأَنَّ فِيهِ عِلم الله وَالرَّسُول[2].

وَتَفرّد مُعَاوِيَة بِبدَع وَأَحدَاث لَمْ يُشَاركهُ فِيهَا أَحد، حَتَّىٰ وَلَدهُ يَزِيد، فَلَقد حَوّل الخِلاَفَة الإِسلاَمِيَّة إِلَىٰ مِلك يتوَارثه السُّفهَاء وَالغلمَان[3]، وَأَلحَق ٱبْن

(١) أُنظر، مُرُوج الذَّهب: ٢/٣٠٥، الإِستِيعَاب: ١/٣٧٤، كفَايَة الطَّالب: ٢٦٨، مَقْتَل الحُسَين للخوَارزمي: ١/١٤١ الفُتُوح لِابْن أَعْثَم: ٢/٣٢٣ هَامش رَقم «٣».

(٢) أُنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٤/٣١٤، وَالكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٣/٢٨٤.

(٣) ذَكر ذَلِكَ صَاحب مُروج الذَّهب بِهَامش ٱبن الأَثِير: ٥/١٦٥ ـ ١٦٦. وَأَضَاف صَاحب كتَاب الأَغَاني: ٦/٣٥٥ وَالإِسْتيعَاب: ٦٩٠، وَالنِّزاع وَالتَّخاصم للمَقرِيزي: ٢٠ طَبْعَة النَّجف.

« وروىٰ العَقاد فِي آخر كتَاب عُثْمَان: «أَنَّ أَبَا سُفيَانَ دَخل عَلىٰ عُثْمَانَ حِين صَارت إِلَيْهِ الْخِلاَفَة، وَقَالَ لَهُ: «قَد صَارت إِلَيْك بَعْد تَيْم وعَديّ ـ أي أَبِي بَكر وعُمَرَ ـ فأَدرْهَا كَالكرَة، وأَجعل أَوتَاها بَنِي أُمَيَّة، فإِنَّما هُو المُلك، ولاَ أدرِي مَا جَنَّة ولاَ نَار». أُنظر، الاِسْتِيعَاب: ٤/١٦٧٩، والمَطبُوع بهَامش الإِصَابَة: ٤/٨٧، شَرح الأَخْبَار: ٢/٥٢٨، مَنَاقب أَهْل الْبَيْت لحَيْدَر الشِّيروَاني: ٤٠٧، النِّزاع

السّفاح بغير أَبِيه الشَّرعي، كمَا فَعَل مَع زِيَاد ٱبن أَبِيه[١]، وَخَذل عُثْمَان، ثُمَّ نَشَر قَمِيصه مُطَالبَاً بدَمه، وَأَعطىٰ عهُوداً للحَسن، ثُمَّ نَكَث وَأَخْلَف. وَدفـن الأَحـيَاء تَحت التُّرَاب، فَقْد دَفن زيَاد ٱبْن أَبِيه عَبدالرَّحمن بن حَسَّان العَنْزي حَـيّاً بأَمـر مُعَاويَة[٢]، وَدبّر المَكَايد للتَّفرقَة بَيْنَ المَرء وَزَوّجه، كمَا فَعَل مَع عَبدالله بن سلاَّم وَزَوّجته زَيْنَب بِنْت إِسحَاق[٣]، وَسَنَّ سَبّ الصُّلحَاء وَالأَوليَاء عَـلىٰ المَـنَابر[٤]، وَوَهب مَصْر لِابْن العَاص ثَمنَاً لغَدرهِ وَخيَانَته، وَكَذب عَلىٰ الله وَرَسُوله، وَشَجع

والتَّخاصم: ٦٠، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبِـي ٱلـحَدِيد: ٢/ ٤٥ و: ٩/ ٥٣ و: ١٥/ ١٧٥، التَّـذكرة الحَمدُونية: ٩/ ١٧١ ح ٣٨٠، تَأرِيخ الطَّبَرِي: ١١/ ٣٥٧ ولكنْ بلفظ: «تَلقفوها تَلقف الكُرة». مُروج الذَّهب: ٦/ ٤٠٧، تقوية الإِيمَان: ١٩٧، تَأرِيخ ٱبن عسَاكر: ٦/ ٤٠٧.

(١) أنظر، تَأرِيخ الطَّـبَرِيّ: ٤/ ٢٠٢ و: ١١/ ٣٥٧، سِير أَعـلاَم النُّـبلاء: ١/ ٢٣٧، ومُسْنَد أحـمَد: ٤/ ٤٢١، وَقْعَة صِفِّين: ٢٤٦، والْمُعْجَم الْكَبِير: ١/ ٤٢٧، العِقد الفَرِيد: ٤/ ٣٤٥، الإِسْتِيعَاب: ٤١٢، وأُسد الغَابَة: ٣/ ١٠٦، تَهْذِيب ٱبْـن عسَـاكـر: ٧/ ٢٠٦، الإِصَـابَة: ٢/ ٢٦٠، الطَّـبَقَات الْكُـبْرَىٰ: ٤/ ٢٢٢، صَفوة الصَّفوة: ١/ ٢٣٨، سِيرَة ٱبن هِشَام: ٤/ ١٧٩.

(٢) تَقدَّمَت تَخرِيجَاته.

(٣) أُنظر، القصَّة كَامِلَة فِي الإِتحَاف بِحُبِّ الأَشرَاف، الشَيخ عَبدُ الله بـنَ مُـحَمَّد بـنَ عـامِر الشَّـبَراوي، بِتَحقِيقنا: ٤٤٦، ومُعَاوِيَة بن أَبي سُفْيَان فِي المِيزَان، عبَّاس مَحمُود الْعقاد: ١٥٩، شَيخ المُضيرَة أبُو هُرِيرَة، الشَّيخ مَحمُود أَبُو رِيَّه: ٢٣٥، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة: ١/ ٢١٧، دِرَاسة عَن أُرَينب بِنْت إِسحَاق، عَبدالله بن حسُون العَلي، مَطبعَة الزّهراء سَنَة ١٩٥٠ هـ، وَكمَامَة الزُّهر وَفَرِيدَة الدَّهر، لِابْن بَدرُون فِي شَرح قَصِيدَة ٱبن عَبدُون طُبعَت بِمَصر سَنَة ١٣٤٠ هـ.

(٤) قَالَ جَاهل مُتعَصب: أَنَّ الشِّيعَة كُفّار، لأَنَّهم يَسبُّون بَعض الصَّحَابَة. وَنَقُول فِي جوَابه: أَنَّ هَذِهِ النِّسبَة روَاية لَم تَثْبت، وَلَكن سَبّ مُعَاوِيَة عَلِيّاً عَلىٰ المنَابر ثَابت بشهَادَة التَّأرِيخ، وَمَع ذَلِكَ لاَ تَقُول بكُفرِهِ، فَإِنْ كَان السَّب يُوجب الكُفر فمُعَاوِيَة كَافر، وَإِنْ كَان لاَ يُوجب الكُفر فَالشِّيعَة مُسلمُون، وَإِنْ صَحَّ أَنَّهم يَسبُّون، فَإِمَّا أَنْ تَقول بإِسلاَمهما مَعَاً وَإِمّا بكُفرهُما مَعَاً، وَالتَّفكِيك جزهْل وَتَعصب. (مِنْهُ ﷺ).

عَلىٰ وَضع الْأَحَادِيث عَن الرَّسُول الْأَعْظَم [(١)].

فِي ذَات يَوْم صَعَد المِنْبَر، وَقَالَ:

«أَيُّها النَّاس أَنَّ رَسُول الله قَالَ: أَنَّك سَتلي الخِلاَفَة مِن بَعدي، فَٱخْتَر الْأَرْض المُقدّسَة، فَإِنَّ فِيهَا الْأَبدَال، وَقَد ٱخْتَرتكُم، فَالعنُوا أَبَا تُرَاب [(٢)] ثُمَّ كَتَب كِتَاباً،

---

(١) أُنظر، الطَّبري فِي تأرِيخه: ٧/ ١٣، الفُتُوح لِابْن أَعثَم: ٥/ ٣٠٠، التَّنبِيه وَالْأَشْرَاف: ٦٤، مرُوج الذَّهب: ٣/ ٧١، طَبقَات اَبن سَعد: ٥/ ٢١٥، فَتح البَاري: ١٣/ ٧٠، كتَاب المِحَن: ١/ ١٥٥، وَفَاء الوَفَاء: ١/ ١٣١، يَنَابِيع المَودّة: ٣/ ٣٥، تَأرِيخ الطَّبري: ٣/ ٣٥٨، الْأَخبَار الطِّوَال: ٢٦٥، فَتح البَاري: ١٣/ ٧٠، تَأرِيخ خَليفَة بن خَيَّاط: ١٨٣، تَأرِيخ مَدِينَة دِمَشق: ٥٨/ ١٠٥.

(٢) قَالَ الشَّيخ أَبُو زُهرَة فِي كِتَاب المَذَاهب الإِسلاَميَّة: ٥١: «كَتَبَت أُمّ سَلمَة زَوج الرَّسُول إِلىٰ مُعَاوِيَة كِتَاباً تَقُول لهُ فِيه: أَنَّكُم تَلعنُون الله وَرَسُوله عَلىٰ مَنَابركُم، وذَلِكَ أَنَّكُم تلعنُون عَليّ بن أَبي طَالِب وَمَن أَحبّه وَأَشهَد أَنَّ رَسُول الله ﷺ أَحبّه».

وَفِي مُسنَد أَحمَد، وَصَحِيح البُخَاري، ومُسْلِم أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ يُوم خَيبر: أَنّي دَافع الرَّاية غَداً إِلىٰ رَجُلٍ يُحبّ الله وَرَسُوله، وَيُحبّه الله وَرَسُوله، كَرّار غَير فَرّار، لاَ يَرجَع حَتَّىٰ يَفْتح الله لهُ، ثُمَّ دَفعهَا إِلىٰ عَليّ. بَعد أَنْ كَان قَد أَخذهَا كُل مِن أَبي بَكْر، وَعُمر وَرَجع، وَلَم يَفْتح لهُ. (مِنْهُ ﷺ).

أُنظر، شوَاهد التّنزيل: ٢/ ٤٥٩، فرَائد السِّمطَين: ١ ب ٣١ ح ١١٧/ ١٥٥ طَبْعَة بَيرُوت، تَأرِيخ دِمَشق: ٢/ ٣٤٨ و٤٤٢ و٤٤٣ ح ٨٥١ الطّبعة الثَّانِيَة ح ٩٥٩، لِسَان المِيزان: ١/ ١٧٥، أَنسَاب الْأَشْرَاف: ٢/ ١٠٣ و١١٣، أَحْمد بن حَنبل: ح ٧٢/ ٤٦ طَبْعَة قُم، كِفَايَة الطَّالب: ب ٦٢/ ٢٤٤ و٢٤٦، كنُوز الْحَقَائِق: ٨٢ و٩٢ و ١٣١، المنَاقب للخوَارزمي: ٦٢ و١٨٧ فصل ١٧ ح ١١ فصل ٩، نُور الْأَبْصَار: ٧٠ و ١٠١، الصَّوَاعِق المُحرِقَة: ٩٦ و١٦١.

أُنظر، مَجْمَع الزّوائد: ٩/ ١٣١، و: ٧/ ١٧، بشَارة الْمُصْطَفَىٰ: ١٦٣، تَفسِير الطَّبَرِيّ: ٦/ ١٨٦، و: ١٢/ ٦٥٧، وذَخَائِر الْعُقْبَىٰ: ٨٨ و ١٠٢، ورُوح الْمَعَانِي: ٣٠/ ٢٠٧ طَبعَة مِصْر، وتَأرِيخ بَغدَاد: ٧/ ٤٢١، المُستَرشد فِي إِمَامَة أَمِير ٱلْمُؤْمِنِين: ٣٥٤، يَنَابِيع المَودَّة: ٦٢ و ٧٤ و ٢٧٠ طَبْعَة اسلامبول و: ٧١ و٨٤ و٣٦١ و٣٦٢ طَبعَة الحَيدرِيّة، و: ١/ ١٩٦ و٢٢٣ طَبعَة أُسوة، و: ٢/ ٣٥٧ و ٤٥٢ طَبعَة أُسوة، تَذكرَة الخواصّ: ١٨، فَتح القَدِير للشَّوكَاني: ٥/ ٤٧٧، إِسعَاف الرَّاغبين بهَامِش نُور الْأَبْصَار: ١٧٢، جوَاهر العِقدَين: ٢/ ٢١٩، الصَّوَاعِق الُمحرِقَة: ١٦١ ب ١١ فصل ١....

وَقرأ النَّاس، وَفِيهِ هَذَا كتَاب أَمِير المُؤمِنِين مُعَاويَة صَاحب وَحي الله الَّذي بَعَث مُحَمَّداً نَبِيّاً، وَكَان أُميّاً لاَ يَقرَأ وَلاَ يَكتذب فَاْصطَفىٰ لهُ مِن أَهلهِ وَزِيراً كَاتباً أَمِيناً، فكَان الوَحي يَنْزل عَلىٰ مُحَمَّد وَأَنَا أَكتبهُ، وَهُو لاَ يَعْلم مَا أَكتُب، فَلَم يَكُن بَيني وبَيْنَ الله أَحد مِن خَلقهِ»[1].

وَوَلّىٰ مُعَاويَة أَبَا هُرَيرَة عَلىٰ مَدِينَة الرَّسُول، لأَنَّهُ وَضَع حَدِيثاً كَاذباً، وَهُو: «أَنَّ لِكُلِّ نَبي حَرَماً، وأَنَّ حَرَمي بالمَدِينَة مَا بَيْن عِير وَثَور، فَمَن أَحْدث فِيهَا حَدَثاً فَعَليهِ لعَنْة الله وَالمَلاَئِكَة وَالنَّاس أَجْمَعِين، وأَشْهَد بالله أَنَّ عَلِيّاً أَحْدث فِيهَا»[2].

---

(١) أنر، شَرْح نَهج البَلاَغَة لِابْن أَبي الحَدِيد: ٢ / ٧٢.

(٢) لاَ نُريد التَّعلِيق عَلىٰ هَذِه الرِّوَاية الَّتي يَروِيها الدُّوسي الَّذي كَان يُدَلس فِي الأَحَادِيث، بَل نُرجع القَارىء الكَرِيم أَنْ يَدرُس حَيَاة الدُّوسي فِي كتَاب شَيخ المُضِيرة أَبُو هُرِيرة لمَحمُود أَبُو رِيَّة، وَاالبدَاية وَالنّهاية، وأُنظر، شَرْح النَّهج لِابن أَبي الحَدِيد: ٤ / ٦٧، مُسنَد عَليّ للسُّيوطي: ١ / ١٨٠ ح ٥٦٥، كَنز العُمَّال: ١٧ / ١٠٦ و: ١٢ / ٢٤٢ ح ٣٤٨٦٤، تَأرِيخ دِمَشق: ٢٣ / ٢١٨، سِير أَعلاَم النُّبلاَء: ٤ / ٣٧٧، فُتوح البُلدَان: ١ / ٦ ح ٢٠. تَأرِيخ رِوَاية هَذَا الإِفْترَاء مُتَأخر عَن غَزوَة بُسْر للمَدِينَة وَأستخلاَفه أَبَا هُرِيرَة بَعْده! عَليّ الَّذي قَالَ عَنْهُ الرَّسُول: «يَا عَلِيّ، لاَ يُبغِضُكَ مُؤمِنٌ، وَلاَ يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ». عَليّ فِي مَنْطق أَبي هُرَيرَة قَدْ أَحدث فِي المَدِينَة، أَمَّا مُعَاوِيَة الَّذي مَات عَلىٰ غَير سُنَّة مُحَمَّد - بِشهَادة عَبدالله بن عُمَر مُعَاوِيَة هَذَا صَان مَدِينَة الرَّسُول، وَمَنع عَنها البِدَع، وَالأَحدَاث بِشهَادة بُسْر وَخَلِيفَته أَبي هُرَيرَة. أُنظر، كَنز العُمَّال: ١١ / ٥٩٨ ح ٣٢٨٧٨ و ٣٣٠٢٨، و: ١٣ / ١٧٨ ح ٣٦٢٩، الصَّوَاعِق المحرِقَة: ١٢٢، كفَاية الطَّالب: ٦٨، شَرح الأَخبَار: ١ / ١٥٢ ح ٨٩، سُنن ابن مَاجه: ١ / ٤٢ ح ١١٤، أُسد الغَابَة: ٣ / ٦٠٢ طَبْعَة بَيرُوت، المُصَنَّف لِابن أَبي شَيبة: ١٢ / ٥٧، سُنن التِّرمذي: ٥ / ٣٠٦ ح ٣٨١٩، مَجمَع الزَّوائد: ٩ / ١٣٣، فَتح البَاري: ١ / ٦٠، تُحفَة الأَحوذي: ١٠ / ١٦٤، السُّنَن الكُبْرَىٰ: ٥ / ١٣٧ ح ٨٤٨٧ و: ٦ / ٥٣٤ ح ١١٧٤٩، الرِّيَاض النَّضرَة: ٢ / ٢١٤، خَصَائِص النّسَائِي: ١٠٥، مُسْنَد أَبي يَعلىٰ: ١ / ٢١٥، المُعجَم الأَوسط: ٢ / ٣٣٧، و: ٥ / ٨٧، مُسْنَد
↔

فَجَاء شَاب مِن أَهْل الكُوفَة، فَجَلس إِلَىٰ أَبي هُرَيرَة وَقَالَ لهُ: يَا أَبَـا هُـرَيرَة، أَنشدُك الله، أَسَمعتَ رَسُول الله يَقُول لعَليٍّ بن أَبي طَالِب: «أَللَّهُمَّ وَالِ مَن وَالاَه، وَعَادِ مَن عَادَاه؟ فقَال: أَللَّهُمَّ نعم. فقَال الشَّاب: أَشهَد بالله لقَـد وَالَـيت عَـدوّه، وَعَاديتَ وَلّيه»[1].

وَبَذل مُعَاويَة لسّمرَة بن جُنْدُب[2] مِئَة أَلف درهَم ليَروي عَن النَّـبيّ أَنَّ هَـذِه

أحمَد: ٦/٢٩٢ح ٢٦٥٥٠، سُنن النّسَائي: ٨/١١٦، تَأريخ دِمَشْق: ٢/١٩٠، الغَارَات: ٢/٥٢٠، مُسْنَد الحُميدي: ١/٣١ح ٥٨ طَبْعَة الْمَدِينَة الْمُنَوَّرَة، مناقب أَمِير الْـمُؤمِنِينَ للكُـوفِي: ٢/٤٦٩ح ٩٦٣، كَشف الْخَفَاء: ٢/٣٨٢ح ٣١٨١، شوَاهـد التَّـنزيل: ١/٤٧٧ح ٥٠٩، الفِـرْدَوْس بـمَأثور الخِطَاب: ٥/٣١٩ح ٨٣١٣، سِير أَعلاَم النُّبلاء: ١٢/٤٣٧، تَهْذِيب الكَـمَال: ١٥/٢٣٢، تَأرِيـخ بغدَاد: ٢/٢٩، تَهْذِيب الأَسمَاء: ١/٨٨، فَضَائِل الْصَّحَابَة لأَحْـمَد بـن حَـنبل: ٢/٦١٩ح ١٠٥٩ و ١١٦٩.

(١) كتَاب «أَضوَاء عَلَىٰ السُّنَّة المُحَمّديَّة» للأُستَاذ مَـحمُود أَبُـو رِيّـة: ١٩١ طَـبعَة (١٩٥٨م)، وَهَـذَا الكِتَاب جَدِيد وَفَرِيد فِي بَابه، لاَ غِنَىٰ عَنْهُ للفَقِيه وَالمُحدّث، وَلاَ لأَي كَان يُرِيد أَنْ يَأخد الدِّين مِـن مَعْدنه، فَقَدْ أَثبَت المُؤلّف بالأَرقَام وَالبُرهَان أَنَّ الصِّحاح السّتَة الَّتي تَعْتَمد السُّنَّة عَلَىٰ أَحَاديثهَا لَم تَتَخذ المَقَايِّيس العِلميَّة لتَميِّيز الأَحَاديث الكَاذبَة مِن الصَّحيحَة، وَأَنَّ الكَثِير مِن رجَال الصِّـحاح لاَ يَـجُوز الأَخذ بحَدِيثهِم بخَاصَّة أَبَا هُرَيرَة الَّذي كَذَّبه عَليّ، وَعُمر، وعُثْمَان، وَعَائِشَة، وَأَنّي أَشـعر بـالرَّغبَة المُلحَة فِي تَلخِيصه بفَصل مُستقل فِي بَعض مُؤلّفَاتي، وَعَسَىٰ أَنْ تَسنَح الفُرصَة. (مِنهُ ﷺ).

(٢) هُو سَمُرَة بن جُنْدُب بن هِلال بن جَرِيح الفزَاري، اسْتَعمله ابـن زِيـاد عَـلَىٰ شَـرطَته فِـي البَـصْرَة والكُوفَة، واسْتَعمَله مُعَاوِيَة عَلَىٰ وِلاَيَة البَصْرَة ثُمَّ عَزله. فقَال: لَعَن الله مُعَاوِيَة والله لَوْ أَطْعَت الله كمَا أَطْعتَه مَا عَذبني أَبداً. مَات سَنَة (٥٨ أو ٥٩ هـ).

أُنظر، الإِصَابَة: ٢/٧٨، أُسد الغَابَة: ٢/٣٥٤، الجَرح والتَّعدِيل: ٤/١٥٤، شَذرات الذَّهب: ١/٦٥، تَهذِيب التَّهذيب: ٤/٢٣٦.

وروي عَن حمَاد بن سَلمَة عَن عَليّ بن زيد بن خَالد، قَالَ: كُنت إِذَا أَتِيت أَبَا هُرِيرة سَأَلني عَن سَمرة بن جُنْدُب، وإِذَا أَتِيت سَمُرَة بن جُنْدُب سَأَلني عَن أَبِي هُرِيرة. فَقلت: يَا أَبَا هُرِيرة مَا أرَاك تَسأَلني إلاَّ عَن

الآيَة: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾[1] نَزَلت فِي عَليّ بن أَبي طَالِب، وَأَنَّ آيَة: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾[2] نَزَلت فِي قَاتلهِ آبْن مُلْجَم، فَلَم يَـقْبَل

↔ سَمُرَة، وأرىٰ سَمُرَة يَسألني عَنْك؟ فقَال: إذاً والله أُخبرك ولاَ أكتمك، سَمعت رَسُول الله صلى الله عليه وآله يَـقول: آخركُم مَوتاً فِي النَّار». أنظر، مناقب آل أبي طَالب: ١ / ٩٦.

وعَن مُحَمَّد بن قَيس الأسدِي، قَالَ: سَمعت الشَّعبي يَقول: سَمعت أبَا عمر يَقول: قَالَ، قَالَ عُمر بـن الخَطَّاب، وهُو يَخْطُب عَلىٰ المِنبر: «لَعَن الله سَمُرَة بن جُنْدُب كَان أَوَّل مَن أتجَر فِي الخَمر فِي الإِسْلام ولاَ يَحلّ مِن البَيع إلاَّ مَا يَحل أكله».

أُنظر، الغَارات: ٢ / ٩٤١، تَأرِيخ الطَّبَري: حوَادث سَنَة ٥٣، طَبعة مِصر سَنَة ١٣٢٦ هـ، أو ص: ١٦٢، وآبن الأثِير حـوَادث سَـنَة ٥٣ أو ص: ١٨٣ وحـوَادث سَـنَة ٥٤ ص: ١٩٦ و: ٣ / ١٩٥، الإِصَـابَة: ٣ / ١٥٠، مَجمَع الزَّوائد: ٨ / ٢٩٠، جُزء أَشيب لأبِي عَليّ الحَسن بن مُوسىٰ الأشْيب (شَيخ الإِمَام أَحمد آبن حَنبل): ٥٨، طَبعة دَار عُلُوم الحَدِيث، الإِمَارات العَربِية المُتحدة، الطَّبعة الأُولىٰ سَنَة ١٤١٠ هـ.

وعَن آبن عَدي، قَالَ قَدِمت المَدِينة، فَجَلست إلىٰ أَبِي هُرِيرة، فقَال: مِمَّن أَنْت؟ قُلت: مِن أهْل البَصْرَة، قَالَ: مَا فَعل سَمُرَة بن جُنْدُب؟ قُلت: هُو حَيّ، قَالَ: مَا أَحد أحبَّ إليَّ طُول حيَاة مِنْه، قُلت: وَلِمَ ذَاكَ؟ قَالَ: إنَّ رَسُول الله صلى الله عليه وآله قَالَ لِيّ، ولَهُ، ولِحُذِيفة بن اليَمَان: آخركُم مَوتاً فِي النَّار».

أُنظر، المَعْرِفَة والتَّأرِيخ: ٣ / ٣٥٦.

وعَن أبِي النَّضرة عَن أَبِي هُرِيرة: أنَّ رَسُول الله صلى الله عليه وآله قَالَ لِعَشرة مِن أصْحَابه: آخركُم مَوتاً فِي النَّار، فِيهِمْ سَمُرَة بن جُنْدُب، قَالَ أَبُو النَّضرة، فكَان سَمُرَة بن جُنْدُب آخرهُم مَوتاً. والخُلاَصة سَمُرَة بن جُنْدُب بَاع دِينَه بِدُنْيَاه وآثَر العَاجِلة عَلىٰ الآخرِة إذْ آرْتَكب الْكَذِب والبُهتان.

أُنظر، المُعْجَم الأوسَط: ٦ / ٢٠٨ و: ٧ / ١٧٧، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلْحَدِيد: ٤ / ٧٨، التَّأرِيخ الصَّغير: ١ / ١٣٣، تَهذِيب الكَمَال: ١٢ / ١٣٣ و: ٣٤ / ٢٥٧، سِير أعْلاَم النُّبلاء: ٣ / ١٨٤، تَـهذِيب التَّهذِيب: ٤ / ٢٠٧ و: ١٢ / ٢٠٠، البدَاية والنّهاية: ٦ / ٢٥٣، البَيْهَقِيّ فِي الدَّلائل: ٦ / ٤٥٩، الشَّـفا بِتعرِيف حُقُوق المُصْطَفىٰ: ١ / ٣٣٩.

(١) ٱلبَقَرَة: ٢٠٤.

(٢) ٱلبَقَرَة: ٢٠٧.

سُمرَة بالمِئَة أَلف، فبَذل لهُ مِئَتي أَلف، فَلَم يَقبَل، فبَذل ثَلاَثمِئَة أَلف فَلَم يزقْبَل، فبَذل لهُ أَرْبعمِئَة أَلف فقَبل، ورَوىٰ كَذباً وأفترَاءً[1]!...

عَليّ الَّذي قَالَ لهُ الرَّسُول: «يَا عَلِيُّ، لاَ يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ»[2].

---

(١) لا نُرِيد التَّعليق عَلىٰ هَذَا الكَلاَم مَرَّة ثَانِيَة، وَالّتي أطبَق المُؤرّخُون عَلىٰ أَنَّهَا نَـزَلت فِـي عَـليّ عليه السلام، وسَبق وأنْ دَللنا عَلىٰ ذَلِكَ بِالمصادر الّتي ذكرنَاها سَابقاً، كالطَّبري: ‎/١٢٢ و ٦١٦٤، شوَاهد التّنزيل لِلحَاكِم الحَسكَاني: ١ /١٢٣ ح ١٣٣ ومَا بَعْده، والثّعلبي فِي الكَشف والْبَيَان: ١ /١١٧، والرّازي في تَفْسِيره: ٢ /١٥٢، وغَيْرهم كَثِير.
فلاَحظ بَعْض مخَازي سَمُرَة فِي أبن أبي الْحَدِيد فِي شَرحه عَلىٰ نَهج ٱلبَلاَغَة: ١ /٧٨٩ طَبعة الحَدِيثه ببيروت، والشّرح الْمُخْتَار المَذكور: ٧٩٢، فإذاً كَانَتْ المُقَارنة مِن هَذَا البَاب فَلا عَتَب، ولاَ أَسْتدلاَل.
أُنظر، المناقب لِاَبْن شهرآشوب: ٢ /٥٨، المُستَرشد فِي إِمَامَة أَمِير الْمُؤْمِنِينَ: ٤٣٣، الخصَائص لِاَبْن البطرِيق: ٩٨، كَشف الْيَقِين: ٩٠، بحَار الأَنْوَار: ٣٨ /٢٨٩، و: ٣٦ /٤٨ و ٤٩، إِعْلاَم الوَرىٰ: ١٩١، الطَّرَائِف: ٣٣، العُمدة: ٣٤٠، دَلاَئل الصِّدْق: ٢ /٥٣٨، الشّافي للسَّيِّد المُـرتضىٰ: ٤ /٢٥، الغَـدِير: ٢ /٤٨، تَذكرة الخواصّ لسِبط أبن الجوزي: ٤٠، تَأرِيخ اليَعقوبي: ٢ /٣٣، الطّرَائِف لِاَبْن طَاووس: ٤٠٧، أختيَار مَعْرِفَة الرّجال: ١ /١٣٠، كفَاية الطَّالب: ١١٥ ينَابِيع المَوَدَّة: ١٠٥.

(٢) أُنظر، كَنز الْعُمَّال: ١١ /٥٩٨ ح ٣٢٨٧٨ و ٣٣٠٢٨، و: ١٣ /١٧٨ ح ٣٦٢٩، الصَّوَاعِق الْمحرِقَة: ١٢٢، كفَايَة الطَّالب: ٦٨، شَرح الأَخْبَار: ١ /١٥٢ ح ٨٩، سُنن أبن مَـاجه: ١ /٤٢ ح ١١٤، أُسـد الغَابَة: ٣ /٦٠٢ طَبْعَة بَيْرُوت، المُصَنَّف لِاَبْن أبي شَيبة: ١٢ /٥٧، سُنن التِّرمذي: ٥ /٣٠٦ ح ٣٨١٩، مَجْمَع الزَّوَائد: ٩ /١٣٣، فَتح البَاري: ١ /٦٠، تُحفَة الأَحْوَذي: ١٠ /١٦٤، السُّنَن الْكُبْرَىٰ: ٥ /١٣٧ ح ٨٤٨٧ و: ٦ /٥٣٤ ح ١١٧٤٩، الرِّيَاض النَّضرَة: ٢ /٢١٤، خَصَائِص النّسَائِي: ١٠٥، مُسْنَد أبي يَعلىٰ: ١ /٢١٥، الْمُعْجَم الأوسط: ٢ /٣٣٧، و: ٥ /٨٧، مُسْنَد أحمَد: ٦ /٢٩٢ ح ٢٦٥٥٠، سُـنن النّسَائِي: ٨ /١١٦، تَأرِيخ دِمَشْق: ٢ /١٩٠، الغَارَات: ٢ /٥٢٠، مُسْـنَد الحُـمِيدي: ١ /٣١ ح ٥٨ طَبْعَة الْمَدِينَة الْمُنَوَّرَة، مناقب أَمِير الْمُؤْمِنِينَ للكُوفِي: ٢ /٤٦٩ ح ٩٦٣، كَشف الْخَفَاء: ٢ /٣٨٢ ح ٣١٨١، شوَاهد التَّنزيل: ١ /٤٧٧ ح ٥٠٩، الفِرْدَوْس بـمَأثُور الخِـطَاب: ٥ /٣١٩ ح ٨٣١٣، سِـير أعلاَم النُّبلاء: ١٢ /٤٣٧، تَهْذِيب الكَمَال: ١٥ /٢٣٢، تَأرِيـخ بـغدَاد: ٢ /٢٩، تـهْذِيب الأَسـمَاء: ١ /٨٨، فَضَائِل الْصَّحَابَة لأَحْمَد بن حَنبل: ٢ /٦١٩ ح ١٠٥٩ و ١١٦٩.

وَقَالَ: «عَليّ مَع الحَقّ والحَقّ مَع عَليّ»[١]، وَقَالَ يَوْم خَيبَر: «سَأعْطِي الرَّايَة إلَىٰ رَجُل يُحبّ الله وَرَسُوله، وَيُحبّه الله وَرَسُوله، كَرّار غَير فَرّار، ثُمَّ أعطَاهَا لعَليٍّ»[٢]. عَليّ هَذَا خَصم لله، وَٱبْن مُلجَم مِن الَّذِين ٱشتَروا أنْفسهم ٱبتغَاء مَرضَاة الله!...

وَلَيْسَ بعَجَب وَلاَ غَرِيب أَنْ يَفْتري مُعَاويَة وَسُمرَة الكَذب عَلىٰ الله، فَالأَوّل عَدوّ الدِّين، وَالثَّاني بَاع دِينَه للشَّيطَان، وَلَكن العَجَب مِن الَّذِين يُقدّسُون مُعَاويَة وَسُمرَة، وَيُؤمنُون بعدَالتهُما لاَ لشَيء إلاَّ لصُحبَتهما. فَقْد قَرّر الكَثِير مِن شُيُوخ السُّنَّة فِي كُتب الحَدِيث وَالأُصُول أَنَّ جَمِيع الصَّحَابَة عُدُول لاَ يَجُوز نَقدهُم وَلاَ تَجرِيحُهم «وَٱعْتَبروهُم جَمِيعاً مَعصُومِين مِن الخَطأ وَالسَّهو وَالنّسيَان»[٣].

مُعَاويَة مَعْصُوم عَن الخَطَأ حَتَّىٰ وَلَو تَعمد الكَذب عَلىٰ الله وَالرَّسُول، وَسُمرَة عَادل، وَإنْ بَاع دِينَه للشَّيطَان، أَمَّا عَليّ، وَالحَسَن، والحُسَين فَغير مَعصُومِين،

---

(١) هَكَذا رُوي الْحَدِيث: «الْحَقّ مَع عَليّ، وَعَليٌّ مَع الْحَقّ لَنْ يَفْتَرقا حَتَّىٰ يَردا عَليَّ الحَوض».
أُنظر، صَحِيح التِّرمِذي: ٥/ ٢٩٧ ح ٣٧٩٨ و: ١٢/ ١٢٦، وجَامع التِّرمِذي: ٢/ ٢١٣، التَّفسِير الْكَبِير للفَخر الرَّازي: ١/ ٢٠٥، فَيض القَدِير: ٦/ ٣٥٦، مَجمَع الزّوائد: ٧/ ٢٣٥ و: ٩/ ١٣٤، تَأرِيخ بَغدَاد: ١٤/ ٣٢١، الإمَامَة وَالسِّيَاسَة: ١/ ٧٨، شَرح الأَخْبَار للقَاضي النّعمان المغربي: ٢/ ٦٠، رَبِيع الأَبرَار للزّمخشري: ١/ ٨٢٨، فرَائد السّمْطَين: ١/ ١٧٧ ح ١٣٨، المنَاقب لِابن المغَازلي: ١١٧ و ٢٤٤، والمُسْتَدرَك: ٣/ ١٩ و ١٢٤، العِقد الفَرِيد: ٣/ ١٠٨ الطَّبعة الثَّالثة، تَأرِيخ ابن عسَاكر تَرجمَة الإمَام عَليّ: ٣/ ١١٩ ح ١١٦٢ و: ٤٢/ ٤٤٩، كَنز العُمَّال: ١١/ ٦٠٣ ح ٣٢٩١٢، أَنسَاب الأَشْرَاف: ٢/ ٢٨١ الطَّبعة الأُولَىٰ، فَضل آل ٱلبَيْت للمَقْرِيزي: ٦٠، جواهر المطَالِب فِي مَناقب الإمَام عَليّ لِابن دِمَشق: ١/ ٣٤٣، المِلَل وَالنّحل: ١/ ١٠٣.

(٢) تَقَدَّمت تَخرِيجَاته.

(٣) أُنظر، كتَاب «الأَضوَاء عَلىٰ السُّنَّة المُحمّديَّة»: ٣٢٢. (مِنهُ).

وَإِنْ كَانُوا أَهْل بَيْت الرَّسُول، بَل وَلَو ضَحّوا فِي سَبِيل الْإِسلاَم بالْأَروَاح، وَالعِيَال، والْأَطْفَال!... لَقَد أَنْكَر بَعض الكُتَّاب عَلىٰ الشِّيعَة قَولِهم بعِصمَة مَن زَكّاهُم القُرآن، وَطَهّرهُم مِن الرِّجس، وَلَم يُنْكر عَلىٰ بَعْض السُّنَّة القَوْل بعَدَالَة الصَّحَابَة الَّذِين هُم عَلىٰ شَاكلَة مُعَاوِيَة وَسُمرَة!..

مُعَاوِيَة عَادل، لْأَنّهُ بَذَل الْأَموَال، وَالمنَاصب لوَضع الْأَحَادِيث فِي القَدح بأَخي الرَّسُول فِي الدُّنْيَا وَالْآخرَة! ومُعَاوِيَة مُؤمِن، لْأَنّهُ شَجَّع الْإِفْترَاء عَلىٰ الله، وَأَمر بوَضع أَحَادِيث فِي فَضَائِلِهِ مِثْل «كَتَب مُعَاوِيَة آيَة الكُرسي بقَلم مِن ذَهَب جَاء بِهِ جبرَائِيل هَدِيَّة لهُ مِن فَوق العَرش»[1]. وهَذَا الحَدِيث المُفترىٰ هُو المَصدَر الوَحِيد لكتَابَة مُعَاوِيَة للوَحي[2].

سُئل النَّسائِي وَهُو فِي دِمَشق عَن فَضَائل مُعَاوِيَة. فَقَال: أَلاَ يَرضىٰ مُعَاوِيَة رَأسَاً برَأس، حَتَّىٰ يُفَضّل[3]؟!».

وَإِذَا وَجَد فِي الصَّحَابَة مِثْل سُمرَة بن جُنْدب، وأَبي هُرَيرَة، وابْن العَاصّ يَقبضُون، وَيَكذبُون فَإِنَّ فِيهِم مَن يُنَاصر الحَقّ، وَلاَ تَستَهويه الْأَموَال، وَالمَنَاصب فلَقد وَقَف جمَاعَة لمُعَاوِيَة وَجَابهُوه بالحَقِيقَة، وَصَارحُوه بمثَالبِهِ وَمرُوقه مِن

---

(١) أُنظر، سِير أَعلاَم النُّبلاء: ٣/ ١٢٩، شَرْح الأَخْبَار: ٢/ ١١١ هَامش رَقم «٤».

(٢) أُنظر، كتَاب الأَضوَاء عَلىٰ السُّنَّة المُحَمّدِيَّة: ٨١١، وَالنَّصائح الكَافِية لمَن يَتولّىٰ مُعَاوِيَة: ١٧٢ طَبعَة (١٩٤٨م). (مِنْهُ ﷺ). أُنظر، تلخِيص الحَبِير: ٤/ ١٨٨، الإِكمَال لِابْن مَاكُولا: ١/ ٥٢٦.

(٣) ذَهَب النَّسائي إِلَىٰ دِمَشق، وَهُو أَحد أَصْحَاب الصِّحَاح السّتة عِند السُّنَّة، فَقِيل لهُ: حَدثنَا عَن فَضَائِل مُعَاوية، فَقَال: أَمَا يَرضىٰ مُعَاوِيَة رَأسَاً برَأس، حَتَّىٰ يُفَضل؟! وقَالَ: لاَ أَعرف لهُ فَضِيلة إِلاَّ لاَ أَشبع الله بَطْنَه، فدَاسُوه بِالأَرجُل، وَمَات بِسَبب ذَلِكَ. أُنظر، العِبر: ٣/ ٢٨، البدَاية وَالنّهاية: ١١/ ٣١٧، وَفيَّات الأَعيَان: ١/ ٥٩، أَنسَاب الأَشرَاف: ١/ ٥٣٢، صَحِيح مُسْلم: ٨/ ٢٧، شَرح النَّهج لِابْن أَبي الحَدِيد: ١/ ٣٦٥، مُسْند الطَّيَالسي: ح ٢٧٤٦، شَيخ المُضِيرة أَبُو هُرِيرة لمَحمُود أَبُو ريَّة: ٢٠٤.

الدِّين؛ وَأَقوَالهم مُثبتَة فِي كُتب السِّير وَالتَّأرِيخ، لَو جُمعَت لجَاءت فِي مُجلّد ضَخم، وإلَيكَ بَعْضهَا:

كَتَب مُعَاوِيَة إلَىٰ سَعد بن وَقَّاص يَسْتَحثهُ عَلَىٰ الطَّلب بدَم عُثْمَان فَردَّ عَلَيهِ سَعَد: «أنَّ عَليّاً أَحقّ بالخِلاَفَة مِن غَيرِه، لأَنّهُ شَارَك غَيره فِي مَحَاسنه، وَلَم يُشَارِكهُ أَحد فِي مَحَاسنِهِ»[1]. وَكَتَب قَيْس بن سَعد بن عَبَادة الأَنْصَاري إلَىٰ مُعَاوِيَة جوَاباً لهُ عَن كتَابه: «أَمَّا بَعد فَأَنْتَ وَثَن ٱبن وَثَن دَخَلت فِي الإِسلاَم كُرهَا، وَخَرجتَ مِنهُ طَوعاً»[2].

وَقَالَت لهُ أَروىٰ بِنْت الحَارث بن عَبدالمُطّلب: «لَقَد كَفَرت النِّعمَة، وَتَسميّتَ بغَير ٱسمك، وَأَخذتَ غَير حَقّك بِلاَ بَلاَء كَان مِنْكَ وَلاَ مِن أَبيك بَعد أَنْ كفَرتُم بمَا جَاء بهِ مُحَمَّد، فَأَتْعَس الله مِنْكُم الجدُود، وَأَضرع مِنكُم الخُدُود حَتَّىٰ رَدّ الله الحَقّ إلَىٰ أَهلهِ، وكَانَت كَلمَة الله هِي العُليَا، وَنَبِّينَا هُو المَنصُور عَلىٰ كُلّ مَن نَاوَاه، وَلَو كَرهَ المُشركُون، فُكنَّا أَهْل البَيْت أَعظَم النَّاس فِي هَذَا الدِّين بَلاَء، وَعَن أَهلهِ غنَاء وَقَدرَاً حَتَّىٰ قَبض الله نَبّيه مَغفُوراً ذَنْبه مَرفُوعَة منْزلتهِ، شَريفَاً عِندَ الله مَرضيَّاً، فَوَثب عَلَينا بَعده تِيم وَعَدي، وَبنُو أُمَيَّة، فَأَنْت مِنْهُم تَهدي بهدَاهم، وَتَقصد بقَصدهم، فَصرنَا فِيكُم بحَمد الله أَهْل البَيْت بمَنزلَة قَوم مُوسىٰ وآل فِرعَون يُذَبِّحُون أَبْنَآءَهُمْ وَ يَسْتَحْيُون نِسَآءَهُمْ، وَصَار سَيِّدنا فِيكُم بَعد نَبِّينَا بمَنزلَة هَرون

---

(١) أنظر، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة: ١ / ١٤٤، فَتْح البَاري: ١٣ / ٥٧، قَرِيب مِنْهُ.

(٢) أُنظر، مقَاتل الطَّالبيِّين: ٤٣، الكَامل للمُبرد: ١ / ٣٠٩، البَيَان وَالتَّبيِّين: ٢ / ٦٨، تَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢ / ١٦٣، عُيُون الأَخبَار لِابْن قُتَيبَة: ٢ / ٢١٣، مُرُوج الذَّهب: ٢ / ٦٢، شَيخ المُضِيرة أَبُو هُرَيرة لمَحمُود أَبُو رِيَّة: ٩٤، مَقتَل الخوَارزمي: ٢٥٨، جوَاهر المطَالب فِي مَنَاقب عَليّ بن أَبي طَالب لِابْن الدِّمَشْقِي: ٢ / ٣٦، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبي ٱلحَدِيد: ١٦ / ٤٣.

مِن مُوسىٰ ، حَيث يَقُول : ﴿ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى فَلَاتُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَاتَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[1] ، فَلْم يَجْتَمع بَعد رَسُول الله شَمل ، وَلَم يَسْهل وَعْث ، وَغَايتنَا الجنَّة ، وَغَايَتكُم النَّار »[2] .

---

(١) ٱلْأَعْرَاف : ١٥٠ .

(٢) أُنظر ، العِقد الفَرِيد : ١ / ٤٥٧ ، بَلاَغَات النِّسَاء : ٢٧ ، مُحَادثَات النِّسَاء : ٨٣ ، جوَاهر المطَالب فِي مناقِب عَليّ بن أَبي طَالب لِابن الدِّمَشْقِي : ٢ / ٢٤٩ ، النَّصَائِح الكَافيَة لِمَن يَتولى مُعَاوِيَة : ٣٦ ، مناقب آل أبي طالب : ٢ / ٣٥٠ .

عَقِيل وَمُعَاوِيَة

كَان لأَبي طَالِب ـ وَٱسمَه عَبد مُنَاف[1] ـ سِتَة أَوْلاَد: أَرْبَعة ذُكُور وَٱبْنتَان، طَالِب، وَعَقيل، وَجَعْفَر، وعَليّ، وَأُمّ هَاني، وَجُمَانَة وَأُمّهُم جَمِيعَاً فَاطِمَة بِنْت أَسد، وَطَالِب أَسَنّ مِن عَقِيل بعَشر سنِين، وَعَقِيل أَسَنّ مِن جَعْفَر بعَشر سنِين، وَجَعْفر أَسَنّ مِن عَليّ بعَشر سنِين[2].

وَلَيْسَ فِيمَا لَدي مِن المَصَادر ذِكْر لجُمَانَة سِوىٰ أَنَّها أُختّ الإِمَام عَليّ، وَأَمَّا أُمّ هَاني، وَٱسمهَا فَاختَه فَقَدْ أَسلَمت، وَتَزوّجها هُبَيرَة بن أَبي لَهب بن عَمْرُو،

---

(١) وَيُلَقّب بَأَبي البَطحَاء لأَنَّهُم ٱستَقوا بِهِ سَقياً فَكنُّوه بِذَلِكَ، وَهُو شَيبَة بن هَاشِم، وهُو عَمْرُو بن عَبد مُنَاف. أُنظر، ذَخَائر العُقبىٰ، الطَّبري: ١٧١، المعَارف لِابْن قُتيبَة تَحقِّيق ثَروَة عُكَاشَة: ١ / ١١٧، البدَاية والنّهاية: ٤ / ٢٥٥، تَهذِيب التَّهذِيب: ٢ / ٩٨، أُسد الغَابة: ١ / ٢٨٦، الإِصَابة: ١ / ٢٤٨، طَبقَات ٱبن سَعد: ٤ / ٢٨، شَرح النَّهج لِابْن أَبي الحَدِيد: ٣ / ٤٠٧، صَفوَة الصَّفوة: ١ / ٢٠٨، الإِستيعَاب: ١ / ٨١، حليَة الأَوليَاء: ١ / ١١٤، مُعْجَم مَا ٱستُعجم للبَكري: ١ / ٧٧، صُبح الأَعشىٰ للقَلقَشندي: ١ / ٣٥٥.

(٢) أُنظر، سِيرَة النَّبيّ لِابْن هِشَام: ٤ / ١٠٧٦، سُنن ٱبن مَاجه: ١ / ٥٢١، عَون المَعبُود: ٦ / ٢٢، مُسْنَد ٱبن رَاهُويه: ٣ / ٧٣٩، شَرح نَهج ٱلْبَلاغَة لِابْن أَبي ٱلْحَدِيد: ١٣ / ٣٩، الجَامِع الصَّغِير: ٢ / ٥٠٥ ح ٧٩٧٧، كَنز الْعُمَّال: ٧ / ٢٢٩ ح ١٨٧٤٥، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغِير: ٥ / ٥٩٣، المعَارف: ٢٠٣، يَنَابِيع المَودّة: ١ / ٤٦٧ هَامش ٨، الفُصُول المُهمَّة فِي مَعرفَة الأَئِمَة لِابْن الصَّباغ المَالكي: ١ / ١٧٣، بِتَحقِّيقنا، أُسد الغَابة لِابْن الأَثِير: ١ / ٣٤١ طَبعَة مَصر، السِّيرَة لِابن إِسحَاق: ٢٢٦، صَحِيح البُخَاري: ٥ / ٢٤.

وَوَلدَت لهُ أَوْلاَدَاً[١]، وَمَات وَهُو مُشْرك، وَعَن ٱبْن عبَّاس أَنَّ النَّبيّ دَخَل يَوْم الفَتْح عَلىٰ أُمّ هَاني، وكَان جَائعَاً، فقَالت: يَا رَسُول الله أَنَّ أصهارَاً لِي قَد لَجؤا إِليّ، وَأَنَّ أَخي عَلِيّاً لاَ تَأخذهُ فِي الله لَومَة لاَئِم، وَأَخَاف أَنْ يَعْلم بِهِم، فَيَقتلهُم، فَجْعَل مَن دَخَل دَار أُمّ هَاني آمناً.

فَقَال رَسُول الله: «أَجرنَا مَن أَجَارت أُمّ هَاني»[٢].

ثُمَّ قَالَ لهَا: هَل عِندَك مِن شَيء نَأكلهُ؟.

فَقَالت: لَيْسَ عِندِي إِلاَّ كِسر يَابسَة، وَٱستَحي أُقدّمها لَك.

قَالَ: هَلُمي بهنَّ؛ وَلمَّا أَتَته بكِسر الخُبز، وَضَعهنَّ بالمَاء وَالمِلح

وَقَالَ لهَا: هَل مِن إِدَام؟

قَالَت: مَا عِندي إلاَّ شيء مِن خَلّ، فَصَبّه النَّبيّ عَلىٰ طعَامه. وَأَكل مِنْهُ، ثُمَّ حَمَد الله، وَقَالَ: نِعمَ الإِدَام الخَلّ، يَا أُمّ هَاني، لاَ يَفْتَقر بَيْت فِيهِ خَلّ[٣].

وَٱسلَم جَعْفَر قَبل هِجرَة الرَّسُول إِلَىٰ المَدِينَة، وَهَاجر مَع جمَاعَة مِن المُسْلِمين إِلَىٰ الحَبشَة، وَكَان النَّبيّ ﷺ شَدِيد الحُبّ لهُ، فَقْد قَالَ لهُ يَوْماً:

---

(١) أُنظر، كتَاب العِقد الفَرِيد: ٥ / ٣١٣ طَبعَة ١٩٥٣م، و: ٥ / ٨٧.

(٢) أُنظر، المُسْتَدرك عَلىٰ الصَّحِيحَين: ٤ / ٥٩ ح ٦٨٧٥، مَجْمَع الزَّوَائِد: ٦ / ١٧٦، سُنن ٱبن مَاجَه: ٢ / ١١٠٢ ح ٣٣١٨، المُعْجَم الأَوسَط: ٧ / ٨٧ ح ٦٩٣٤، المُعْجَم الكَبِير: ٢٤ / ٤١٨ ح ١٠١٨ و ١٠٥٥، شُعب الإِيمَان: ٥ / ١٠١ ح ٥٩٤٤، فَيض القَدِير: ٥ / ٤٢٤، حلية الأَولِيَاء لأَبِي نَعِيم: ٨ / ٣١٣، نَصْب الرَّايَة: ٤ / ٣١، الطَّبقَات الكُبْرىٰ لِابْن سَعد: ٨ / ٣٣.

(٣) أَرَاد النَّبيّ أَنْ يُهوّن عَلىٰ ٱبنَة عَمّه، كَي لاَ يَدخل فِي رَوعهَا أَنَّها قَصّرت بحَقّه، وَأَنْ يُعطي دَرسَاً عَامّاً لجَمِيع النَّاس بأَنَّ كُلّ مَا تيسّر مِن الطَّعَام فَهُو خَير خَلّاً كَان أَو غَيره، وَإِنَّما ذَكر الخَلّ بالخُصُوص؛ لأَنّهُ المَيسُور فِي سَاعته تِلْكَ، وَغَير بَعِيد أَنّه لَو لَم يُوجَد عِندَ أُمّ هَاني إِلاَّ المِلح لقَالَ ﷺ: «نِعمَ الأَدَام المِلح». (مِنْهُ ﷺ). أُنظر، المَصَادر السَّابقَة.

« أَشْبهتَ خَلقي وخُلقي » [١] ، وَصَادف قُدُوم جَعْفر مِن الحَبشَة يَوْم فز تْح خَيبَر ، فَتلقَاه النَّبيّ ، وَقبّله بيْنَ عَينَيه ، وَقَالَ : « مَا أَدري بأَيِّهُما أَنَا أَشدّ فَرحاً بقدُوم جَعْفر أَو بفَتح خَيبَر » [٢] . وَقَالَ لهُ : حَدّثني ببَعض عَجَائب الحَبشَة .

فَقَال : نَعم ، بأَبي أَنْتَ وَأُمّي يَا رَسُول الله ، بَينَا أَنَا سَائِر فِي بَعْض طُرقَات الحَبشَة إِذَا بعَجُوز عَلىٰ رَأسهَا مَكْتَل ، فَأَقْبَل شَاب يَركض عَلىٰ فَرس لهُ ، فَأَلقَاه عَلىٰ وَجْههَا ، وَأَلقىٰ المَكْتَل عَن رَأسهَا ، فَٱسْتَرجَعت قَائِمَة ، وَٱتبَعتهُ النَّظر ، وَهي تَقُول : الوَيل لَكَ غَداً إِذَا جَلَس المَلك عَلىٰ كُرسيهِ ، فَٱقْتَص للمَظلُوم مِن الظَّالم . ، فَجَرت دمُوع رَسُول الله عَلىٰ لِحيَته مِثْل الجُمَان ، ثُمَّ قَالَ : لاَ قَدّس الله أُمّة لاَ تَأْخذ للمَظلُوم حَقّه مِن الظَّالم [٣] .

وَكَان جَعْفر خَير النَّاس للمَسَاكِين ، يُطعمهُم وَيَكسوهُم ، وَيَجلس إِلَيهم يُحدّثهُم وَيُحدثُونه ، حَتَّىٰ كنَّاه رَسُول الله أَبَا المَسَاكِين ، وَكَان النَّاس يَعرفُونَه

---

(١) أُنظر ، صَحِيح البُخَاري : ٢ / ٩٦٠ ح ٢٥٥٢ و : ٣ / ١٣٥٩ ح ٣٥٠٤ و : ٤ / ١٥٥١ ح ٤٠٠٥ . صَحِيح ٱبن حبَّان : ١١ / ٢٢٩ ح ٤٨٧٣ و : ١٥ / ٥٢٠ ح ٧٠٤٦ . المُسْتَدرك عَلىٰ الصَّحِيَحين : ٣ / ١٣٠ ح ٤٦١٤ ، سُنن التِّرمذي : ٥ / ٦٥٤ ح ٣٧٦٥ . مَجْمَع الزَّوَائد : ٤ / ٣٢٤ و : ٩ / ٢٧٢ . سُنن البَيهقي الكُبرىٰ : ٨ / ٥ ح ١٥٥٤٦ . مُسْنَد أَحْمَد : ١ / ٩٨ ح ٧٧٠ .

(٢) أُنظر ، المُصنَّف لِابْن أَبي شَيبَة : ٦ / ٢٨١ ح ٣٢٢٦ . الآحَاد وَالمثَاني : ١ / ٢٧٦ ح ٣٦٣ . المُعْجَم الكَبِير : ٢ / ١٠٨ ح ١٤٦٩ . شُعَب الإِيمَان : ٦ / ٤٧٧ ح ٦٩٦٨ . فَتْح البَاري : ١١ / ٥٢ . تَفسِير القُرطُبي : ١٥ / ٢١٥ . تَفسِير ٱبن كَثِير : ٣ / ٤٦٨ . الطَّبقَات الكُبرىٰ : ٣ / ١٠٨ و : ٤ / ٣٥ .

(٣) أُنظر ، الطَّبقَات الكُبرىٰ : ٣ / ١٠٨ و : ٤ / ٣٥ . المُعْجَم الأَوسَط : ٦ / ٣٣٥ ح ٦٠٠٩ و : ٥ / ٢٥٣ ح ٥٢٣٤ . مُعْجَم الشُّيُوخ : ١ / ١٧١ و : ٦ / ٨١ ح ٧٥٤٩ . السُّنَّة لِابْن عَاصم : ١ / ٢٥٧ ح ٥٨٢ . البَيَان وَالتَّعرِيف : ٢ / ١٥٠ . فَيض القَدِير : ٥ / ٥٩ .

وَيُنَادُونه بهَذره الكُنيَة[١]، وَقُتل جَعْفَر فِي غُزَاة مُـؤْتَه بِـالبَلقَاء سَـنَة ثَـمَان مِـن الهِجرَة، وَثبَت عَن النَّبيّ بطَرِيق السُّنَّة والشِّيعَة أَنَّـه قَـالَ: «رَأَيتُ جَـعْفَراً يَـطِير بجنَاحَين فِي الجَنَّة مَع المَلائِكَة»[٢].

وَتَزوّج جَعْفَر أَسمَاء بِنْت عُمَيس، وَكَانَت مَعَهُ فِي الحَبشَة، وَوَلدت لهُ هُنَاك

(١) أنظر، سُنن التّرمذي: ٥/٦٥٥ ح ٣٧٦٧، سُننَ آبن مَاجَه: ٢/١٣٨١ ح ٤١٢٥، الآحَاد وَالمثَاني: ١/٢٧٧ ح ٣٦٥، شُعب الإِيمَان: ٧/٤٣٧ ح ١٠٨٨٢، فَـتح البَـاري: ٩/٥٥٨، حـليَة الأَوليَـاء: ١/١١٧، سِير أَعلاَم النُّبلاء: ١/٢١٧، تَهذِيب الكَمَال: ٥/٥٧، صَفوَة الصَّفوَة: ١/٥١٨، الإِصَابَة: ١/٤٨٦.

(٢) جَعْفَر بن أَبِي طالب (عَبد مُناف) بن عَبدالمُطّلب بن هَاشم (ت ٨ هـ) صحَابِي هَاشمي مِن شجعَانهم، يُقَال لهُ جَعْفَر الطَّيَّار، وهُو أخُو أَمِير الْمُؤْمِنِين عَليّ بن أَبِي طَالب عليه السلام وكَان أَسنّ مِن الإِمَام عَليّ عليه السلام بِعشر سنِين، وهُو من السَّابقِين إِلىٰ الإِسْلام. هَاجر إِلىٰ الحَبَشة فِي الْهِجْرَة الثَّانِيَة، فلَم يَزل هُناك إِلىٰ أَنْ هَاجر النَّبيّ صلى الله عليه وآله إِلىٰ الْمَدِينَة. فقَدِم عَلَيْهِ جَعْفَر وهُو بِخَيبر سَنَة (٧ هـ).
أُنظر، تَهذِيب الكَـمَال: ١٤/٣٦٩، الاِسْـتِيعَاب: ١/٢٤٢، الطَّـبَقَات الْكُـبْرَىٰ: ٤/٣٩، الإِصَـابَة: ١/٤٨٧، تَهذِيب الأسمَاء: ١/١٥٥، تَلخِيص الحَبير: ٣/٢١٤ ح ١٦٠٧، خُلاصة البـدر المـنِير: ٢/٢٢٣ ح ٢٠٦٩، التَّرغِيب والتَّـرهِيب: ٢/٢٠٦ ح ٢١١٧، مَـجْمَع الزّوائـد: ٩/٢٧٣، الْـمُعْجَم الْكَبِير: ٢/١٠٧ ح ١٤٦٧ و: ١١/٣٦٢ ح ١٢٠٢٠.
وفي صحِيح البُخَاريّ: ٣/١٣٦٠ ح ٣٥٠٦ و: ٤/١٥٥٥ ح ٤٠١٦، أَنّ آبن عُمَر كَانَ إِذَا سلَّم عَلَىٰ آبن جَعْفَر قَالَ: السَّلام عَليك ياآبن ذي الجنَاحِين)، المُسْتَدرَك عَلَىٰ الصَّحِيحَين: ٣/٤٤ ح ٤٣٥٢، السُّنن الْكُـبْرَىٰ: ٥/٤٧ ح ٨١٥٧، الْـمُعْجَم الْكَـبِير: ٢/١٠٩ ح ١٤٧٤ و: ١٢/٢٦٣ ح ١٣٠٥٥، فَـتح البَاري: ٧/٧٦ ح ٣٥٠٦ و: ١٠/١٨٣، سير أَعلاَم النُّبلاء: ١/٢١٥، تَـهذِيب الكَـمَال: ٢/٨٣ ح ١٤٦ و: ٥/٥٥، الإِصَابَة: ١/٤٨٧، خُلاصة البَدر المُـنير: ٢/٢٢٣ ح ٢٠٦٩، فَـضَائِل الْـصَّحَابَة لأَحْمَد بن حَنبل: ٢/٨٨٨ ح ١٦٨٤، فَضَائِل الْصَّحَابَة للنَّسائي: ١/١٨ ح ٥٥.
وَفِي الحَدِيث المَرفُوع أَنَّ النَّبيّ صلى الله عليه وآله، بَكىٰ لمَّا قُتل جَعْفر بن أَبِي طَالب عليه السلام فِي مُؤتَه، قَالَ: «الْمَرْء كَثِير بِأَخِيه». أُنظر، مُسْنَد الشِّهاب: ١/١٤١ ح ١٨٦، الفِرْدَوْس بـمَأثُور الخِـطَاب: ٤/٢٠٥ ح ٦٦٢٥، فَيض القَدِير: ٢/٣٩٩، تَهذِيب الكَمَال: ١٤/٣٦٩، كَشف الخَفَاء: ٢/٢٦٤ ح ٢٢٨٢ و ٢٧٩١.

عَبدالله، وَمُحَمَّداً، وَعَوناً[١]، وَلمَّا قُتل عَنْهَا تَزوّجها أَبُو بَكْر، فَوَلَدت لهُ مُحَمَّداً[٢]، وَلمَّا تُوفّي أَبُو بَكْر تَزوّجها أَمِير المُؤمِنِين عَليّ، فَوَلَدت لهُ يَحيىٰ، وَتُوفّي فِي حَيَاة أَبِيه، وَلاَ عَقب لهُ[٣].

وَأُمّ أَسمَاء بِنْت عُمَيس هِي هِنْد بِنْت عَوف بن الحَارث الجُرَشي مِن جُرَش اليَمن، وكَان لِهند هَذِه أَرْبَع بنَات:

١ـ أَسمَاء تَزوّجهَا جَعْفَر، وَأَبُو بَكْر، وَعَليّ.

٢ـ مَيمُونَة تَزوّجهَا رَسُول الله، وَهي آخر ٱمرَأَة تَزَوّجهَا.

٣ـ أُمّ الفَضل لُبَانة تَزوّجهَا العَبّاس بن عَبدالمُطّلب، وَهي أُمّ وَلَدهُ عَبدالله، وَعُبَيدالله، وَالفَضل، وَمَعْبد، وَقثم.

٤ـ سَلمىٰ تَزَوّجهَا الحَمْزَة بن عَبدالمُطّلب[٤].

---

(١) أُنظر، تَرجَمة هَؤلاَء فِي جوَامع السِّيرَة: ٢٨٢، وَالمعَارف: ٢٠٥، أُسد الغَابَة لِابْن الأَثِير: ١/ ٣٤١ طَبْعَة مِصْر، السِّيرَة لِابْن إِسْحَاق: ٢٢٦، صَحِيح البُخَاريّ: ٥/ ٢٤.

(٢) أُنظر، تَذكرَة خواصّ الأُمّة: ١١٤ طَبعَة النّجف، التّمهِيد والبَيَان: ٢٠٩، الأَغَاني: ٢١/ ٩، الإِشتقَاق: ٣٧١، الطَّبَرِيّ، وٱبن الأَثِير، وٱبن كَثِير فِي ذكر حوادث سَنَة (٣٦ هـ)، الإِصَابَة حرف الميم: ٣ ق ٢/ ٤٥١، الإِستِيعَاب: ٣/ ٣٢٨، الفُتُوح لِابْن أَعْثَم: ١/ ٤٧٢، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة: ١/ ٥٥ وما بعدها، تَهْذِيب الكَمَال: ٢٤/ ٥٤١ رَقم ٥٠٩٧، شرح النَّهج لِابْن أبي ٱلحَدِيد: ١/ ٢٦٤ و: ٣/ ١٩٠، شرح النَّهج لمحَمَّد عَبْدَه: ١/ ١١٧.

(٣) أُنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغة لِابْن أَبِي ٱلحَدِيد: ١٦/ ١٤٢، مقَاتل الطَّالبِيين: ١١، شَرح مَعَانِي الآثَار: ١/ ٤٨، لِسَان المِيزان: ٧/ ٥٢٢، تَقرِيب التَّهذِيب: ٢/ ٦٢٩، أَنْسَاب الأَشْرَاف: ٣٩٢، سُبل الهُدَىٰ والرَّشاد: ٢/ ٥٢، تُحفَة الأَحْوَذي: ٧/ ١٢٠ و: ٨/ ٥٢.

(٤) أُنظر، أُسد الغَابة: ٧/ ١٥٧ وَ ٢٠٢، المعَارف: ١٢٣ و ١٣٧، السِّيرَة لِابْن هِشَام: ٤/ ٢٨٣، الإِصَابَة: ٧/ ٢٠٩ و: ٨/ ١٥٧، الإِستِيعَاب: ٤/ ١٨١٣، الطَّبقَات الكُبرىٰ: ٨/ ٨٣ و ١١٢ و ٢٣٣، صَحِيح ↔

فَأَحْمَاء هَذِه الجُرشيَة رَسُول الله، وَأَمِير المُؤمِنين، وَالحَمْزَة، وَجَعفَر، وَالعَبَّاس، وَأَبُو بَكْر، وَقِيل: مِن أَحْمَائهَا الوَلِيد بن المُغِيرة، وَأَنَّ أُمّ خَالد بن الوَلِيد اَبْنَة هَذِه الجُرَشيَة، وَلذَا اَشْتَهر أَنَّ الجُرَشيَة أَكرم النَّاس أَحْمَاء[1].

أَمَّا عَقِيل، وَيُكنىٰ أَبَا يَزِيد فَقَد أَخرَجهُ المُشركُون يَوْم بَدْر لحَرْب الرَّسُول مُكرهاً، فَأَسرَهُ مَع عَمّه العَبَّاس رَجُل مِن الأَنْصَار يُدعىٰ أَبَا بِشر[2]، وَرَآه أَخُوه

↔ مُسْلم: كتَاب الرّضاع: ١٠٦٥ ح ٤٩، صَحِيح البُخَاري: تَفْسِير سُورَة الأَحْزاب: ٣/ ١١٨ وَكتَاب النّكاح: ٣/ ١٦٤ و ١٦٥، البدَاية وَالنّهاية: ٦/ ٣٩٠، جوَاهر المطَالب فِي مَناقب الإِمَام عَليّ: ٢/ ١٢٢، تَأريخ الطَّبري: ٦/ ٢١، نَسب قُرَيْش: ٤٠، جَمْهرة أَنْسَاب العَرَب: ٣٣، مَجْمَع الزَّوَائد: ٩/ ١٨٠، كَنز العُمّال: ٧/ ١٠٥، مِيزَان الإِعتدَال: ١/ ٩٧، سُنن اَبن مَاجه: ٢٨٩، مُسْتَدرك الصَّحِيحَين: ٣/ ١٧٦.

(١) أنظر، مقَاتل الطَّالبيّين: ١١، تَهْذِيب الكمَال: ٣٥/ ١٢٧.

(٢) أنظر، صَحِيح مُسلم: ٣/ ١٤٠٨ ح ٨٦، سُنن أَبِي دَاود: ٣/ ١٦٣ ح ٣٠١٢.

أمّا تشكِيك الطَّبَري فِي: ٤/ ٢٢٦ مِن حضُور العَبَّاس غَزْوَة بَدْر فهُو تَشكِيك فِي غَيْر مَحله ولَسْنَا بِصَدد مُناقشة الطَّبَري وَأَمثَاله حَتَّى أَنّ اَبن قُتَيْبَة فِي مَعَارفه: ١٥٤ أَوّل مَا ذكر العَبَّاس بن عبدالمُطّلب، وكَذلِكَ فِي سِيرة اَبن هِشام: ٢٢/ ٣٢١ بل نُورد الأَحَادِيث الّتي ورَدت من قِبله صلى الله عليه وآله بالنّهي عَن قَتل العَبَّاس خَاصَّة، وقَتل بَنِي هَاشم عامّة. وكَذلِكَ نَهىٰ عن قَتل أَبي البُختري بن هُشام بن الحَارث بن أسد، مع مُلاحظة أنّ نَهيه صلى الله عليه وآله عَن قَتل بَنِي هَاشم عَامّة ونَهيَه عن قَتل عمّه خَاصَّة تأكِيد وتَشدِيد ومُبَالغة لمَا عِنده مِن العِلم بأنَهم أخرجُوا كَرْهاً ولَم يؤذُوا رَسُول الله صلى الله عليه وآله وكَان يَأمل تُوفِيقهم وهدَايتهم إلىٰ الله تَعَالىٰ وَرَسُوله ومَع ذَلِكَ فقَد أَبىٰ اَبن البُختري عِندمَا قَال لهُ المجذر بن زِياد البلوي حَليف الأَنْصَار أنّ رَسُول الله صلى الله عليه وآله نَهانا عَن قَتلك، فقَال اَبن البُختري: أنَا وصَاحِبي - جُنادة بن مَليحة من بَني لَيث؟ قَال لهُ: لاَ والله مَا نَحنُ بتَاركِي صَاحبك ومَا أُمرنا رَسُول الله إلاّ بكَ وحدَك... فاَختَار القِتَال وقَتله المُجذر.

ومن أرَاد الإطّلاع عَلىٰ ذَلِكَ فليرَاجع المصَادر مِثل الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٢/ ٨٩، والطَّبَري فِي تَأرِيخه: ٢/ ٢٨٢، والصَّحِيح من سِيرة النَّبيّ الأَعْظَم: ٣/ ١٧٢، والسِّيرة النَّبوِيَّة لِابن هِشَام: ↔

٢/٢٨١، والسِّيرة الحَلبِية: ٢/١٦٨، وشَرح النَّهج لِابن أَبِي الحَدِيد: ١٤/١٣٣ و١٨٣، والبدَاية والنّهاية: ٣/٢٨٤، ومَجْمَع الْبَيَان: ٤/٥٥٩، وغَيْرها.

أمّا أنّ الْعَبَّاس قَد أُسر فَلا شكّ ولا رَيب فِي ذَلِكَ، وقَد نصّ عَلَيْهِ كلّ من أرّخ وَقْعَة بَدْر من أَهْل السّير والأَخْبَار، وهو ﷺ الَّذي قَال: سَمعت تضوّر عمّي العَبَّاس فِي وثَاقه فَمنعنِي النَّوْم، فقَاموا إِلَيْهِ فأطلقُوه فنام رَسُول الله ﷺ.

أُنظر، اَبن الأَثير فِي الكَامِل: ٢/٨٩، وشَرح النَّهج لِابن أبي الْحَدِيد: ١٤/١٨٢، وَكَنز الْعُمَّال: ٥/٢٧٢ ح ٥٣٩١، والصَّحِيح من سِيرة النَّبيّ الأَعْظَم: ٣/٥٢٠، والبَداية والنّهاية: ٣/٢٨٥، وصَحِيح مُسْلِم: ٦/١٥٧، شوَاهد التَّنزِيل: ١/٥١١ ح ٥٤١، المَاوردِي: ٢/٤٦.

وذَكره أيضاً اَبن قُتَيْبَة فِي المعَارف: ١٥٥، قَالَ الْعَبَّاس: يَا رَسُول الله إنّ هَذَا والله أَسرنِي بَعدما أَسرني رَجُل أجلَح من أحَسن النَّاس وَجهاً، عَلىٰ فَرس أبْلَق ما أرَاه فى الْقَوْم. فقَال الأَنْصَاري أنَا أسرته يَا رَسُول الله. فقَال: أُسكت لقَد أيّدك الله عزّ وجلّ بمَلك كَرِيم، فقَال النَّبيّ ﷺ: كَيف أَسرت الْعَبَّاس يَا أبَا اليُسر، قَال: يَا رَسُول الله لقَد أعَانني عَلَيْهِ رَجُل مَا رَأيته قطّ هيئته كَذَا وكَذَا، فقَال رَسُول الله ﷺ: لقَد أعَانك عَلَيْهِ مَلك كَرِيم. وَقَالَ للعبّاس: اَفْدِ نَفْسَك، واَبنِي أخِيك عَقِيل بن أَبِي طَالب، ونُوفل بن الحَارث، وحَليفك عُتْبَة بن عُمَرَ، فقَال: يَا رَسُول الله إنّي كُنت مُسلماً ولكن الْقَوْم اَستكرهُوني، فقَال رَسُول الله ﷺ: أعلمْ بإسْلاَمك. فإنْ كَانَ مَا قُلت فإنّ الله يُجزِيك.

ولذَا نَجد مُفتي الشَّافِعية أحمد دَحلان صَاحب السِّيرة النَّبَوِيَّة: ١/٥٠٤ مِن هَامش السِّيرة الحَلبية يُدافع عن الْعَبَّاس ويقُول: كَان الْعَبَّاس يَكتُم إسْلاَمه وكَانَ ﷺ يَطلعه عَلىٰ أسرَاره حِين كَان بِمَكَّة، وكَان ﷺ قد أمرَه بالمكُوث فِي مَكَّة ليكتب لهُ أسرَار قُرَيْش.

أُنظر، صَحِيح البُخَاريّ: ٥/١٤٢ طَبعَة دار الْفِكْر، و: ٦/١٢٤ طَبعَة مطَابع دَار الشّعب، و: ٣/١١٦ طَبعَة الخَيْرِية بمِصْر، و: ٥/٧٩ طَبعَة بمبي، أَسباب النّزول للسّيوطي بهَامش تَفْسِير الجَلالين: ٤٤٢ طَبعَة بيرُوت، تَفْسِير القُرطُبي: ١٢/٢٥، وتَفْسِير اَبن كَثِير: ٣/٢١٢.

أمّا العَاص بن سَعيد بن العَاص بن أُمَيَّة، وعَامر بن عَبدالله، ونُوفل بن خُوَيْلد بن أَسد، ومسعود بن أُمَيَّة بن الْمُغِيرَة، وقَيْس بن الفَاكه، وعَبدالله بن الْمُنْذِر بن أَبي رفَاعة، والعَاص بن مُنبه بن الحجّاج، وحَاجب بن السّائب ذكرهُم الوَاقدي فِي المغَازي: ١/٤٨ طَبعَة أُكسفورد، والبُخَاريّ فِي صَحِيحه: ٦/٩٨، وصَحِيح مُسْلِم: ٨/٢٤٥، والطَّبَري فِي تَأرِيخه: ٢/١٩٧ و ٢٦٩، وكنز الْعُمَّال: ٥/٢٧٣،

عَليّ مَع الأَسرىٰ فتجَاهَلهُ وَحَاد عَنْهُ، فَقَال لهُ عَقِيل: يَا ٱبْـن أُمّ والله لقَـد رَأيت مكَاني، فَترَكَهُ وَلَم يَلتفت إِلَيه، وَهُو أَخُوه لأُمّه وَأَبِيه»[١]. وكَان عَـقِيل حَـاضر الذِّهن سَرِيع الجوَاب، رَآه النَّبيّ ﷺ مَع الأَسرىٰ يَوْم بَدْر، فَقَال لهُ: يَا أَبَا يَزِيد قُتل أَبُو جَهْل. فقَال لهُ عَقِيل: إِذَن لاَ تُنَازعُوني فِي تُهَامَة[٢]. وَأَمر النَّبيّ عَمّه العبَّاس أَنْ يَفْدِي نَفْسه، وٱبْن أَخِيه عَقِيلاً، فَقَال العَبَّاس: لاَ مَال عِنْدي. قَالَ لهُ النَّبيّ: لقَد تَرِكتَ مَالاً عِندَ أُمّ الفَضل، وَأَوصَيتهَا بِهِ. فَقَال: مَن أَخْبَرك بهَذا؟ قَالَ جبرَائِـيل عَن الله. فَقَال العَبَّاس: مَا عَلِمَ بهَذَا أَحَد، أَشْـهَد أَنْ لاَ إِلـه إِلاَّ الله، وَأَنّك رَسُـول الله[٣]. فَرَجع الأَسرىٰ، كُلّهُم مُشركُون إِلاّ العَبَّاس، وَعَقِيل، وَنَوفل بن الحَارث بن عَبد المُطّلب.

وَكَان النَّبيّ يُحبّ عَقِيلاً. وَقَد صَارحَهُ بهَذَا الحُبّ، إِذَا قَالَ لهُ يَوْمَاً، «يَا أَبَا يَزِيد إِنّي أُحبّك حُبّين: حُبّاً لقَرَابتك مِنّي، وَحُبّاً لحُبّ عَمّي إِيَّاك»[٤]، وَكَان عَقِيل فَقِيرَاً كَثِير العِيَال وَالأَطْفَال لاَ يَجد مَا يَسُدّ حَاجتهُم الضَّروريَّة مِن المَأكل وَالمَلبَس،

↔ والفَلكي فِي الإِبَانة، وشَرح النّهج لِٱبْن أَبي ٱلْحَدِيد: ١٤ / ٢٠٨، والمغَازي للوَاقدي: ١٤٣ ـ ١٥٣ طَبعَة آخر، والسِّيرة النَّبويَّة لِابْن هِشام: ٢ / ٤٣٦، المعَارف لِابْن قُتَيْبَة: ١٥٦.

(١) أنظر، مُسْتَدرك الحَاكم: ٣ / ٢٤٦، السُّنن الكُبرىٰ: ٦ / ٣٢٢، فَتح البَاري: ٦ / ١١٦.

(٢) أُنظر، الطَّبقَات الكُبرىٰ: ٤ / ٤٣، المُنْتَخب مِن ذَيل المُذَيل للطَّبري: ٣٠.

(٣) أُنظر، مُسْنَد أَحْمَد: ١ / ٣٥٣ ح ٣٣١٠، مُخْتَصر المُخْتَصر: ١ / ٣٤٣، دَلاَئِـل النُّـبوّة للإِصـبهَاني: ١ / ١٣٧ ح ١٥٠، الطَّبقَات الكُبرىٰ: ٤ / ١٤، سِير أَعلاَم النُّبلاَء: ٢ / ٨٢. وَفدىٰ العَبَّاس نَفْسه بـمِئَة أُوقيَة، وَفَدىٰ كلّ وَاحد مِن بَنِي أَخِيه وحَلِيفه بأَرْبَعِين أُوقِيَة. أُنظر، الأَحْكَام السُّلْطَانِية للمَاوردي: ٤٦.

(٤) أُنظر، المُسْتَدرك عَلىٰ الصَّحِيحين: ٣ / ٦٦٧ ح ٦٤٦٤، الإِستِيعَاب: ٣ / ١٠٧٨ ح ١٨٣٤، الطَّبقَات الكُبرىٰ: ٤ / ٤٣، مَجْمَع الزَّوَائِد: ٩ / ٢٧٣، المُعْجَم الكَبِير: ١٧ / ١٩١ ح ٥١٠، سِير أَعْلاَم النُّـبلاء: ١ / ٢١٩، الذُّرِّيَّة الطَّاهِرَة: ١ / ٢٧، فَضَائِل الصَّحَابة لأَحمَد: ٢ / ٦٦٣ ح ١١٣١.

وَلمَّا تولّىٰ الإمَام الخِلاَفَة قَدِم عَلَيهِ يَسْتَرفدَه، فَعَرض عَلَيهِ الإمَام عَطَاءه، فقَال: «إنَّما أُرِيد مِن بَيْت المَال. فقَال لهُ الإمَام: تُقِيم إِلَىٰ يَـوْم الْـجُمُعَة، فَـلَمَّا صَـلّىٰ الْجُمُعَة قَالَ لهُ: مَا تَقُول بمَن خَان هَؤلاَء؟ قَالَ: بِئس الرِّجُل. قَالَ: إنّك أمَرتَني أَنْ أَخونهُم وَأُعطِيك»[1]. فَخَرج مِن عِندَه إلَىٰ الشَّام[2].

وَرَحّب بهِ مُعَاوِيَة، وَأَعطَاه مِئَة أَلف درهَم مِن مَال المُسْلِمِين، وَقَالَ للـنَّاس وَعَقِيل حَاضر: هَذَا أَبُو يَزِيد لَولاَ عِلْمهِ بأنّي خَير مِن أَخيهِ مَا تَركَهُ، وَأَقَام عِندنَا، فَقَال عَقِيل: أَخي خَيرٌ لِي فِي دِينِي، وَأَنظَر لنَفسهِ مِنْك، وَأَنْتَ خَير لِي فِي دُنيَاي، وَأَنظَر لِي مِن نَفْسَك، وَقد آثَرت دُنيَاي، وَأَسْأَل الله العَفو»[3].

وَقَالَ لهُ يَوْماً: «غَلَبك أَخُوك عَلىٰ الثّروَة.

قَالَ: نَعَم، وَسَبَقني وَإِيَّاك إِلَىٰ الجَنّة»[4].

وَقَالَ لهُ: «أَنَّ فِيكُم للِينَاً يَا بَني هَاشِم!

قَالَ: أَجل، فِينَا لِينَاً مِن غَير ضَعف، وَعزّاً مِن غَير عُنف، وَأَنَّ لِينَكُم يَا مُعَاوِيَة غَدْر، وَسِلمكُم كُفر.

---

(١) أُنظر، شَرْح نَهج البَلاَغَة لابْن أَبي الحَدِيد: ٤ / ٩٢، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة لابْن قُتَيْبَة: ١ / ١٠١، نَظرَات فِي الكُتب الخَالدة للدّكتور حَامد حَنفي: ١٤٧، مَجلّة رِسَالَة الإِسْلاَم العَدد (١٤) تَنظِيم الصَّدَقَة فِي الإِسْلاَم لحَامد حَنفي دَاود.

(٢) لَمْ يُحَقق فِي سَند هَذَا القَوْل، وَإلاّ مِن خلاَل التَّتبُّع التَّأرِيخي، لَمْ نَعْثر عَلىٰ نصّ يُؤكّد ذهَاب عَقِيل إِلَىٰ مُعَاوِيَة قَبل اَستِشْهَاد الإِمَام عَليّ عليه السلام. أُنظر، سُبل الهُدَىٰ والرّشاد: ١١ / ١١٥، الغَـارَات: ١ / ٥٥٢، جوَاهر المطَاب فِي منَاقب الإِمَام عَليّ لابْن الدّمَشْقي: ٢ / ٢٢٩، العِقد الفَرِيد: ٤ / ٩٠ طَبْعَة بيروت.

(٣) أُنظر، شَرْح نَهج البَلاَغَة لابْن أَبي الحَـدِيد: ٤ / ٩٣، الغَـارَات: ١ / ٥٥٢، سُـبل الهُـدىٰ وَالرَّشَـاد: ١١ / ١١٥.

(٤) أُنظر، شَرْح نَهج البَلاَغَة لابْن أَبي الحَدِيد: ٤ / ٩٣، الغَارَات: ٢ / ٥٥٢.

فَقَال مُعَاوِيَة : وَلاَ كُلّ هَذَا يَا أَبَا يَزِيد ! »[١] .

وَفِي ذَات يَوْم أَقبَل عَقِيل عَلىٰ مُعَاوِيَة ، وَعِندَهُ عَمْرُو ٱبْن العَاص فَالتَفت مُعَاوِيَة إِلَىٰ ٱبْن العَاص ، وَقَالَ لهُ : لأَضْحكنَّك مِن عَقِيل ؛ وَلمَّا سَلّم ، قَالَ لهُ مُعَاوِيَة : مَرحباً بمَن عَمّه أَبُو لَهَب ـ مَع العِلم بِأَنَّ أَبَا لَهَب عَمّ النَّبيّ كمَا هُو عَمّ عَقِيل وَعَليّ ـ فَقَال عَقِيل : وَأَهلاً بمَن عَمّته حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدِ ـ يُشِير إِلَىٰ أُمّ جَمِيل العَورَاء زَوّجَة أَبي لَهَب[٢] ، وَهِي أُخت أَبي سُفيَان وَعمَّة مُعَاوِيَة ـ فَقَال مُعَاوِيَة مَا ظَنّك بعَمّك أَبي لَهَب . فَقَال : إِذَا دَخَلت النَّار ، فَخُذ عَلىٰ يَسَارك تَجدهُ مُفْتَرِشاً عَمّتك حَمَّالَة الحَطَب »[٣] .

وَغَدا يَوْمَاً عَلىٰ مُعَاوِيَة ، وَجُلسَاؤه حَولَه ، فَقَال لهُ مُعَاوِيَة : « يَا أَبَا يَزِيد خَبّرني عَن عَسْكري وَعَسْكَر أَخِيك ، فَقْد وَرَدتَ عَلَيهما .

فَقَال عَقِيل : مَرَرتُ بعَسكَر أَخي فَإِذا لَيل كَلَيل رَسُول الله ، وَنهَار كنَهارَه ، لَيْسَ فِي القَوم إلاَّ مُصلّي لله أَو قَارِيء للقُرآن ، وَمَررتُ بعَسكَرك فَٱسْتَقبلني قَوْم مِن المُنَافقِين الَّذِين نَفرُوا برسُول الله لَيلَة العَقبَة .

ثُمَّ قَالَ : مَن هَذَا عَن يَمينُك يَا مُعَاوِيَة ؟ .

قَالَ : هَذَا عَمْرُو ٱبْن العَاص .

قَالَ : هَذَا الَّذي ٱخْتَصم فِيهِ ستَة نَفر ، فَغَلب عَلَيهِ جَزّار ، فَمن الآخر ؟

قَالَ : الضَّحاك بن قَيس .

---

(١) أُنظر ، المَصَادر السَّابقَة .

(٢) أُنظر ، تَرجَمتها فِي غوَامض الأَسمَاء المُبْهَمَة : ١ / ١٩٠ ، فَتْح البَاري : ٣ / ٩ .

(٣) أُنظر ، شَرْح نَهج البَلاَغَة لاِبْن أَبي الحَدِيد : ٤ / ٩٣ ، الغَارَات : ٢ / ٥٥٣ ، أَمَالي السَّيّد المُرتَضىٰ : ٢٠٠ .

فَقَال: وَالله لقَد كَان أَبُوه يُجِيد خَصي التُّيُوس، فَمن الآخر؟

قَالَ: أَبُو مُوسىٰ الأَشْعَري.

قَالَ: هَذَا ٱبْن السّراقَة.

فلَمَّا رَأىٰ مُعَاوِيَة أنَّه قَد أَغْضَب جُلسَاءه سَأَلهُ مُعَاوِيَة عَن نزفْسه ليَقُول فيهِ مَا قَالَ فِيهِم، وَيُخَفف عَنْهُم، فقَال لهُ: مَا تَقُول فِيّ؟

قَالَ: دَعْني مِنْك.

قَالَ: لتَقُولنَّ.

قَالَ: أتعرف حمَامَة؟.

قَالَ: وَمَن حمَامة؟.

قَالَ: سَلّ عَنْهَا؟.

فَسأل عَنْهَا مُعَاوِيَة، فَقِيل لهُ: هِي جَدّته أُمّ أَبي سُفْيَان كَانت بَغيّاً فِي الجَاهليَّة، وَصَاحبَة رَايَة تَدل عَلىٰ مِهْنتهَا، فقَال مُعَاوِيَة لجُلسَائه قَد سَاوَيتكُم وَزُدتُ، فلاَ تَغضبُوا»[١].

لَقَد ٱضطر عَقِيل للشُّخُوص إِلىٰ مُعَاوِيَة، وَأَعطَاه هَذَا كُلّ مَا يُرِيد وَفَوق مَا يُرِيد، وَحَاول بجَمِيع خُدعهِ وَحِيلهِ أَنْ يَجد لنَفسه مَدخلاً فِي قَلْب عَقِيل، أَو يَنْتَزع مِنْهُ كَلِمَة بَاطِل تُرضِيه وَتُغضب الله فَلَم يُفلح، بَل عَلىٰ العَكس، فكَان كُلّمَا أَرَاد شَيئاً مِن هَذَا أَجَابه عَقِيل بمَا يَفْضَحه وَيُخزِيه، كمَا رَأَينَا.

وَلمَّا بَلَغ عَقِيلاً خُذلاَن أَهْل الكُوفَة لأَخِيه كَتَب إِلَيهِ يَعرض نَفسه وَأَولاَده عَلَيهِ، وَقَال لهُ فِيمَا قَالَ: «وَالله لاَ أُحبّ أَنْ أَبقىٰ فِي الدُّنْيا بَعدَك، إِنَّ عَيشاً نَعِيشَه

(١) أُنظر، شَرح نَهج البَلاَغَة لاِبْن أَبي الحَدِيد: ٢ / ١٢٥، الغَارَات: ١ / ٦٥.

بَعدَك لغير هَنيء وَلاَ مَريء وَلاَ نَجِيع »[١]. فَأَعفَاه الإِمَـام، وَلَـم يُكَـلفهُ وأَولاَده حضُور الحَرب، وَكَأَنَّ الإِمَامَ عليه السلام نَظَر بعَين الغَيب، فَاَدّخر أَولاَد أَخِيه إِلَىٰ يَوْم وَلدَهُ الحُسَين، فَقْد قُتل مِن وُلد عَقِيل مَع الحُسَين (١٣) شَهيدَاً (٨) مِن أَولاَده و (٥) مِن أَحفَاده[٢]. تُوفّي عَقِيل سَنَة (٥٠) مِن الهِجرَة عَن ستٍ وَتِسعِين سَنَة[٣].

وَصَلّىٰ الله عَلىٰ مُحَمَّد وَآله، وَعَلىٰ عَقِيل وَأَولاَده وَأَحفَاده.

---

(١) أُنظر، شَرْح نَهج البَلاَغَة لِابْن أَبي الحَدِيد: ٢ / ١١٩، الغَارَات: ٢ / ٤٣٠، المعيَار وَالموَازنَة: ١٧٩، الإِمَامَة وَالسِّياسَة: ١ / ٧٤.

(٢) تَقَدَّمت تَخْرِيجَاته. أُنظر، الفُصُول المُهمَّة لِابْن الصَّبَاغ المَالكي: ٢ / ١٧٠، بِتَحقِّيقنَا.

(٣) أُنظر، الطَّبقَات الكُبرىٰ: ٤ / ٢٨، الإِصَابة لِابْن حَجر تَحت الرَّقـم « ٢٥٦٣٠ »، البَيَان وَالتَّبيِّين: ١ / ١٧٤، أُسد الغَابَة: ٢ / ٥٦٠ تَحت الرَّقم « ٣٧٢٦ ». وَقِيل: تُوفّي سَنَة « ٦٠ هـ ».

مَع بَطَلَة كَربَلاء

المُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالحَمْد لله رَبّ العَالَمِين، وَصَلّىٰ الله عَلىٰ مُحَمَّد وَآله الطَّاهِرِين.

وَبَعْد:

فَقَد رَغبَت إلَيّ إحدىٰ دُور النَّشر وَالتَّوزِيع أَنْ أَضع لهَا كتَاباً فِي «السَّيِّدَة زَيْنَب بِنْت أَمِير المُؤمِنِين» عَلَيهَا وَعَلىٰ آبَائهَا أَفْضَل الصَّلاَة وَالسَّلاَم.

فَقُلتُ لصَاحب الدَّار: إنَّ الَّذِين أَلَّفُوا فِي هَـذَا المَـوضُوع لَـمْ يُـقصّرُوا، وَلَـم يَتجَافُوا عَن الغَاية المَنْشُودَة مِن التَّألِيف... بَل بَعْض هَـؤلاَء قَـد اَجْـتَذب إلَـيهِ القُرّاء، وَاْسْتَقبلُوا كتَابه أَحسَن إسْتقبَال.

فَقَال: أَنَّك كَتَبتَ فِي فَضَائِل أَبِيها أَمِير المُؤمِنِين، مَع أَنَّ غَيرك كَتَب، وَاْجْتَذب إلَيهِ القُرّاء.

فَتوكلتُ عَلىٰ الله عزّوجلَّ، وَكَتَبتُ هَذِه الصَّفحَات، وَحَاولتُ مَا اَسـتَطِيع أَنْ أُضِيف إلَىٰ مَا كَتبُوا أَشيَاء، لهَا أَهمِيتهَا، عَلىٰ أَنْ لاَ أُضَايق القَارِيء بذِكر مُطولاَت منقُولَة مِن هُنَا وهُنَاك.. وإِذَا كَتَب البَعْض تَملقاً للجمهُور، أَو رَغـبَة فِـي شَـيء يَطْلبهُ، فَإنَّ هَدَفي الأَوّل وَالأَخِير أَنْ أُوحي إلَىٰ القَارِيء الشُّعُور بعَظمَة السَّيِّدَة، وَآل بَيْت الرَّسُول ﷺ.

وَمَعلُوم أَنَّ دُور النَّشر لاَ تَسْتَجِيب لشَيء إلاَّ للجمهُور القَارِيء... لذَا تَملكَتني الغِبْطَة بهَذَا الطَّلب، وَقُلتُ فِي نَفْسي: لَم يَبق أَي مجَال للسُّكُوت مَا دَام الطَّلب قَائِماً، وَحَمدتُ الله سُبْحَانَهُ عَلىٰ أَنْ يَكُون هَذَا المَوضُوع، وَمَا إلَيهِ مَرغُوباً وَمُفضلاً عِندَ القُرّاء، مَع أَنَّ هَذَا اللَّون مِن الكُتب لاَ يُعْتَمد عَلىٰ وَسَائِل التَّشوِيق وَالإغرَاء، كمَا هِي الحَال فِي كُتب الجِنْس وَالخَلاَعَة، وَالغَرَام وَالإجرَام - إذَن - فَالدَّافع الوَحِيد لإقبَال القُرّاء أَنَّ فِي أَهْل البَيْت سرّاً يَنْبض بالحَيَاة وَيُفِيض بالخَيرَات، وَقوّة ذَاتِيَة تَجْذب إلَيهَا كُلّ إنْسَان، مِن حَيث لاَ يَدْري.

هَذَا، مَع العِلم بِأَنَّ كُلّ مَن كَتَب فِي فَضَائِل أَهْل البَيْت وَمنَاقبهم، مُنذ البدَايَة حَتّىٰ اليَوْم لَم يَتجَاوز المَرْحَلَة الأُولَىٰ، وَلَن يَتجَاوزهَا، مَهمَا أَطْنَب وَأَطَال... وَلاَ أَعْرف أَحداً عَرَض هَذَا المَوضُوع عَرضاً وَافياً، حَتّىٰ العَلاَّمَة المَجلسي فِي بحَارهِ وَأَنوَاره... وَالسّر هُو طَبِيعَة المَوضُوع، فَإِنّه أَسمىٰ وَأَعظَم مِن أَنْ تَصل العقُول إلَىٰ كُنهِهِ وَحَقِيقَتهِ.

وَقَد سَبقَ أَنْ كَتبَ خَمسَة كُتب فِي أَهْل البَيْت وَفَضَائِلهم - مَا عَدَا هَذَا الكِتَاب[1] وَهِي فِي مَجمُوعهَا تُعبّر عَن عَظَمتهِم تَعبِيراً جُزئيّاً، أَو قُل: أَنّها لَيْسَت تَصوِيراً لتِلك العَظمَة، وَإنّما هِي مُجَرد إقرَار وَاعْترَاف بمَنزلتهِم وَمكَانتهِم... وكَذَلِكَ هَذِه الصَّفحَات إنْ هِي إلاَّ إقرَار وَاعْترَاف بعَظمَة بِنْت الوَحي وَالنُّبوّة.

وَالله سُبْحَانَهُ المَسئُول أَنْ يَجْعَل الوَقت الَّذي أَمْضيتَهُ فِي كتَابتهَا أَفضَل أَوقَاتي كُلّها، أَنّه خَير مَسئُول، وَصَلّىٰ الله عَلىٰ مُحمَّد وَآله الطَّيبين.

---

(١) هَذَا الكتَاب هُو الوَاحد بَعد العِشرِين، وَالسَادس فِي الفَضَائِل، الخَمسَة تِلكَ هِي: «أَهْل البَيْت»، «عَليّ عليه السلام وَالقُرآن»، «الشِّيعَة وَالحَاكمُون»، «المَجَالس الحُسَينيَّة»، «فَضَائِل الإمَام عَليّ عليه السلام»: (مِنهُ رحمه الله).

نَسَبُ السَّيِّدَة زَيْنَب[1]

- أَبُوهَا عَليّ بن أَبي طَالِب.
- جَدّها لأَبِيهَا أَبُو طَالِب.
- جَدّتهَا فَاطِمَة بِنْت أَسَد.
- أُمّها فَاطِمَة بِنْت مُحَمَّد ﷺ.
- جَدّهَا لأُمّهَا رَسُول الله ﷺ.
- جَدّتهَا خَدِيجَة بِنْت خُوَيلْد.
- أُخوتهَا الإِمَامَان الحَسَن والحُسَين، ومُحَمَّد بن الحَنفيَّة، وَقَمر بَني هَاشِم أَبُو الفَضل العَبَّاس.
- عُمومَتهَا جَعْفَر الطَّيَّار فِي الجَنَّة، وَطَالِب، وَعَقِيل أَبُو مُسْلِم.
- وَبالتَالي، فَهيَ عَمَّة الأَئِمَّة التِّسعَة المَعصُومِين.

عَليّ:

لقَد أَثْنىٰ الله عَلىٰ عَليّ فِي كتَابهِ، ومُحَمَّد فِي سُنّتهِ، وَدَانَت المَلاَيين بـالوَلاَء

---

(١) الزَّيْنَب شَجر حَسنُ المَنْظَر طَيِّب الرَّائِحَة، وَبهِ سُميَّت المَرأَة، وَوَاحد الزَّيْنَب لِلشَّجر زَيْنَبَة. أُنـظر، لسَان العَرَب: ١/٤٥٣.

لهُ، وَأَلّف فِي فَضَائلِهِ العُلْمَاء القُدَامىٰ وَالمُحدثُون مِن السُّنَّة وَالشِّيعَة وَغَير المُسْلِمِين مِن الشَّرقيِّين، وَالغَربيِّين مِئَات المُجلّدَات، وَسَيَبقىٰ الحَدِيث عَن عَليّ إِلَىٰ آخر يَوْم... وَأَكْتَفي ـ هُنا ـ وَأَنَا أَتكلّم عَن نَسَب ٱبْنَته بقوله عليه السلام: «نَحْنُ أَهْل بَيْتٍ لاَ يُقَاس بنَا أَحد، فِينَا نَزل القُرآن، وَفِينَا مَعْدن الرِّسَالَة»[1]. وَبكَلمَة الجَاحظ الَّتي عَلَّق بهَا عَلىٰ هَذِه الجُملَة، قَالَ[2]:

«صَدَق عَليّ فِي قَولِهِ: نَحنُ أَهْل بَيْتٍ لاَ يُقَاس بنَا أَحد»، وَكَيف يُقَاس بقَوم، مِنْهُم رَسُول الله، وَالأَطيبَان عَليّ وفَاطِمَة، وَالسِّبطَان الحَسَن وَالحُسَين، والشَّهِيدَان حَمْزَة وَذُو الجنَاحَين جَعْفَر، وَسيِّد الوَادي عَبدالمُطّلب، وَسَاقي الحَجِيج العَبَّاس، وَحَلِيم البَطحَاء وَالنَّجدَة، وَالخِيرَة فِيهِم، وَالأَنْصَار مَن نَصرهُم، وَالمُهَاجرُون مَن هَاجر إِلَيهم وَمَعهُم، وَالصِّدِّيق مَن صَدَّقهُم، وَالفَارُوق مَن فَرّق بَيْنَ الحَقّ وَالبَاطل فِيهِم، وَالحوَاري حوَارِيهم، وَذُو الشَّهادَتَين، لأَنَّهُ شَهدَ لَهُم[3]

---

(١) أُنظر، المُستَدرك عَلىٰ الصَّحِيحَين: ٢ / ٤٨٦ ح ٣٦٧٦، يَنَابِيع المَودَّة: ١ / ٧١ ح ٢، مَنَاقب أَمِير المُؤمِنِين للكُوفي: ٢ / ١٤٢ ح ٦٢٣، فرَائِد السِّمطَين: ٢ / ٢٣ ح ٤٢٣، ح ٥١٧، بشَارة المُصْطَفىٰ: ٣٢، مِئة مَنْقَبة: ٦٥، تَذكرَة الخوَاصّ: ١٨٢، فَضَائل الصَّحابَة لأَحمد بن حَنْبل: ٢ / ٦٧١ ح ١١٤٥، الفِرْدَوْس بمَأثُور الخِطَاب: ٤ / ٣١١ ح ٦٩١٣، ذَخَائِر العُقبىٰ: ١٧، مَقْتَل الحُسَين للخوَارزمي: ١٨، الصَّوَاعق المُحرقَة: ٢٣٣، الشَّرف المُؤيّد: ٢٩، كَنْز العُمَّال: ١٢ / ١٠٤ ح ٣٤٢٠١، تَأرِيخ دِمَشق: ٣٠ / ٣٦١، تَهْذِيب الكَمَال: ١٤ / ١٩٥، المُعجم الكَبِير: ٧ / ٢٥، طَبعَة بَغدَاد، تَسدِيد القَوس فِي تَرتِيب مُسْنَد الفِرْدَوْس مَخطُوط وَرَقة (٢٦٦).

(٢) أُنظر، البَيَان وَالتَّبيين للجَاحظ: ٣ / ٢٨٠، المُوفقيَات: ٣٩٩.

(٣) يُقَال: أَنّ أَعرَابِياً بَاع فَرساً لرَسُول الله صلى الله عليه وآله ثُمّ نَدم، وأَنْكر البَيع، وَقَالَ للرَّسُول: أَين شَاهدك عَلىٰ البَيع؟ فَشَهد خُزَيْمَة بأَنّ الأَعْرَابِي بَاع فَرسَه للنَّبِي.
فَقَالَ لهُ النَّبي أَكُنتَ حَاضراً عِندَ البَيع يَا خُزَيْمَة؟.

فقَال: لاَ يَا رَسُول الله! وَلَكن هَل أُصدقك بمَا جِئت بهِ عَن الله، وَلاَ أُصدقك عَلىٰ هَذَا الأَعْرَابِـي الْخَبِيث؟.

فقَال لهُ النَّبي ﷺ: شَهَادتك شهَادة رَجُلَين.

أُنظر، صَحِيح البُخَاريّ: ٣/١٠٣٣ح ٢٩٥٢ و: ٤/١٧٩٥ح ٤٥٠٦، المُسْتَدرَك عَلىٰ الصَّحِيحَين: ٢/٢١ ح ٢١٨٧، مَجْمَع الزّوائد: ٧/١٨٢ و: ٩/٣٢٠، سُنن البَـيْهَقِيّ الْكُـبْرَىٰ: ٢/٤١ ح ٢٢٠٣ و: ٧/٦٦ح ١٣١٨٢ و: ١٠/١٤٥، سُنن النّسائي: ٧/٣٠١ح ٤٦٤٧، المُصَنَّف لِابْن أَبي شَيبَة: ٤/٥٣٨ ح ٢٢٩٣٣، شَرْح مَعَانِي الآثَار: ٣/٤٣، مُعْتَصر المُخْتَصر: ٢/٢٦، مُسْنَد أَحمَد: ٥/١٨٨ح ٢١٦٨٣ و ٢١٩٣٣ و ٢١٩٣٥، الفِرْدَوْس بمَأثُور الخِطَاب: ٢/٣٥٩ح ٣٦٠٤، فَتح البَاري: ٦/٢٤ح ٢٦٥٢، صَفوَة الصّفوة: ١/٧٠٣، الطَّبَقَات الْكُبْرَىٰ: ٤/٣٧٩، الإِصَابَة: ٢/٢٧٨ ح ٢٢٥٣، تهذيب الأَسمَاء: ١/١٧٧ ح ١٤٧، تُحْفَة الطّالب: ١/٢٩٠، المحلىٰ لِابْـن حَـزم الظَّـاهِري: ٨/٣٤٨، نَـيل الأَوطَـار للشّوكَاني: ٥/٢٧١.

ولَسْنَا بصَدد بَيَان ردّ المُؤرّخ الْكَبِير أَبي جَعْفر مُحَمّد بن جَرِير الطَّبَرِيّ فِي تَأرِيخه: ٣ حوَادث سَـنَة (٣٧هـ) ومَا بَعدهَا، ومَا تبَعه المُؤرّخون مِن بَعده بأَنّه بَدّل وغيّر اَسم الْصَّحَابِي الجَليل الّذي شَهد بَدْراً ومَا بَعدهَا، إِلىٰ رَجُل آخر اَسمه خُزَيْمَة بن ثَابت الأَوسي شَهد بَدْراً، أَو أُحداً وهُو غَيْر خُزَيْمَة الّذي قُتل فِي صِفّين مَع الإِمَام عَليّ عليه السلام بَل قَالَ: أَنّه مَات زَمن عُثْمانَ، وهَذِه مِـن مُـختلقَات سَـيْف وهُـو يُحرِّف، ويُصحّف، وَيُقلّب، وَيَختلق أُمّةً مِن الْصَّحَابَة، والتّابعِين، ورُوَاة الحَدِيث، وقَـادة الْـفُتُوح، وَالْشُّعَرَاءِ، وعَدداً كَبِيراً مِن أَمَاكن، وَكتباً سيَاسيَّة، وَأَرَاجيز كمَا فَعل فِي أُسطورة القَعْقَاع، وَعَبدالله بن سَبأ، وَسمّاك بن خَرشَة الّذي زَعَمه غَيْر أَبي دُجَانة، وَبرّة بن يَحنس الخُزاعي مُرادفاً لِاسم الْصَّحَابِي وَبَر بن يَحنس الكَلبي وغَيْرهم، وَمَن أَرَاد المَزِيد فليُرَاجع كتَاب العَلّامة السَّيِّد مُرتَضىٰ العَسكري فِي كتَابَيه: عَبدالله بن سبَأ وَأَسَاطِير أُخرىٰ: ١ و ٢، وَخَمسُون وَمِئَة صحَابي مُخْتَلق: ١ و ٢.

وخُزَيْمَة هَذَا هو الّذي قَاتل مَع عَليّ عليه السلام يوم الجَمَل، وَقَاتل مَع عَليّ عليه السلام يوم صِفّين.

أُنظر الطَّبَقَات لِابْن سَعد: ٣/٣٥٩، أَنْسَاب الأَشْرَاف: ١/١٧٠، الإِسْتِيعَاب: ١/١٥٧، مُسْنَد أَحمَد: ٥/٢١٤، الْفُتُوح لِابْن أَعْثَم: ٢/٢٨٩، تَأرِيخ الإِسْلاَم للذَّهبي: ٢/١٧١، قَارن بَين خُزَيْمَة الْحَقِيقِي وخُزَيْمَة الْمُختَلق فِي الإِصَابَة: ١/٤٢٥ رَقم التّرجمَة: ٢٢٥١ و ٢٢٥٢، شَرح النّهج لِابْن أَبي اَلْحَدِيد تَحقّيق أَبُو الْفَضْل: ١/١٠٩، الكَامِل: ٣/٨٤، تَأرِيخ اَبن خُلدُون: ٢/٤٠٧. وأُنظر كَذَلِكَ أَصْحَاب

وَلاَ خَير إلاَّ فِيهِم وَلَهُم ومِنْهُم، وَأَبَان رَسُول الله أَهْل بَيْته بقَوله: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقلَين مَا إِنْ تَمسَّكْتُم بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي، أَحَدُهُما أُعظَمُ منَ الآخر، كِتَابُ اللهِ عزّوجلّ حَبلٌ مَمدُودٌ مِنْ السَّمَاء إِلَىٰ الأَرْض، وَعِتْرَتي أَهْل بَيْتي، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّىٰ يَرِدَا عَليَّ الحَوْض؛ فَأنْظرُوا كَيف تَلحقُوا بي فِيهِمَا»[1]. وَلَو كَانُوا كغَيرهِم لمَا قَالَ عُمَر لمَّا طَلب مُصَاهرَة عَليّ: «إِنّي سَمعتُ رَسُول الله يَقُول: «كُلّ سَبَب

↔ العُيُون وَالأَقلاَم المَأجُورَة مَجلّة الأَزْهَر: ٣٢/العَدد ١٠/١١٥٠، و: ٣٣/العَدد ٦/٧٦٠، وَمَجلّة «رَاهنمائي كتَاب» الفَارِسيَّة طَبع طَهران السَّنَة الرَّابعَة العَدد: ٦٩٦/٧، وَالعَدد: ٨٠٠/٨، وَالعَدد: ٨٩٤/٩.
وقد رَثته ٱبْنَته ضَبِيعة بنْت خُزَيْمَة بن ثَابت ذِي الشَّهادتَين:

عَيْن جوُدِي عَلىٰ خُزَيْمَة بالدمْـ	ـع قَتيلِ ٱلأَحْزاب يَومَ الفُراتِ
قَتلوا ذَا الشَّهادتَين عُتوّاً	أَدْرَك الله منهمُ بالتُّرَاتِ
قَتلوهُ فِي فتيةٍ غَير عُزْلٍ	يُسْرعُون الرُّكوبَ للدعَوَاتِ

إلىٰ آخر الأبيات، أُنظرهَا فِي وَقْعَة صِفِّين: ٣٦٥ و٣٦٦، شَرح النَّهج لِابْن أَبي ٱلحَدِيد: ٢/٢٨٠، أُسد الغَابَة: ٣/١٢٤ و ٢٨٢، الإِصَابَة: ٢/٢٨٠، و: ٤/٢١٣، مُرُوج الذَّهب: ٢٨٤/٢ طَبعَة الأُندلس، الاِسْتِيعَاب بهَامش الإِصَابَة: ٢٦٨/٢ و ٣٩٥، و: ٤/٢٠١، تَأريخ الطَّبَرِيّ: ٢٧/٥، أُسد الغَابَة: ١/٣٠٣.

(١) أُنظر، سُنن التِّرمِذي: ٥/بَاب ٣٢، و: ١٣/١٧١، صَحِيح مُسْلِم: ٤/فَضَائِل عَليّ ح ٣٦ و ٣٧ و: ٧/١٢٠، سُنن الدَّارمِي: ٢/فَضَائِل ٱلقُرآن، وخصَائص النَّسَائي: ٥٠، تَذكرَة الخوَاصّ: البَاب ١٢، وأُسد الغَابَة: ٢/١٢، وتَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢/١٠٢، والمُسْتَدرَك عَلَىٰ الصَّحِيحَين: ٣/١٠٩، ومُسْنَد أحمَد: ١/١٧٠ و ١٧٣ و ١٧٥ و ١٧٧ و ١٧٩ و ١٨٢ و ١٨٤ و ١٨٥ و ٣٣٠، و: ٣/٣٢ و ٣٣٨، و: ٦/٣٦٩ و ٤٣٨، والصَّوَاعِق المُحرِقَة: ٢٥ المَطْبَعة المِيمَنِية بمِصْر، وص: ٤١ المَطْبَعة المُحمَّدية بمِصْر، ومَجْمَع الزَّوائد: ٩/١٦٤، وتَأرِيخ دِمَشْق لِابْن عسَاكر: ٢/٤٥ ح ٥٤٥، وكَنز العُمَّال: ١/١٦٨ ح ٩٥٩ الطَّبعة الأُولَىٰ، ويَنَابِيع المَودَّة: ٣٧ طَبع إسلاَمبُول... إلخ).

أُنظر، البُخَاريّ فِي صَحِيحه: ٢/٢٠٠، والطَّيَالِسِي: ١/٢٨/٢٠٥ و ٢٠٩ و ٢١٣، وٱبْن مَاجه: ح ١١٥، الأُصُول الثَّمانِيَّة: ٦٧، مَجمَع الزَّوَائد: ٩/١٦٢، مُسْتَدرك الحَاكِم: ٣/١٠٩، ٱبن كَثِير: ٥/٢٠٩، مَن هُم الزَّيدِيَّة، السَّيِّد يَحيىٰ ٱبن عَبدالكَرِيم الفَضِيل: ٥٩، الأَمالي الخَمِيسِيَّة: ١/١٥٦.
هَذَا الحَدِيث الأَخذ وَالعَمَل بِهِ ثَقِيل وَخَطِير؛ وَلِذا سُمّي «بِحَدِيث الثَّقلِين» ـ كتَاب الله وَالعِتْرَة.

وَنسبب مُنْقَطع يَوْم القِيَامَة إلاَّ سَببي وَنَسبي »(١). أَمَّا عَليّ فَلو أردنَا أَنْ نُدَوِّن

(١) أُمّ كُلْثُوم الْكُبْرىٰ تزوّجها عُمَرَ ٱبن الخطَّاب، وأَصدَقهَا أَرْبَعِين أَلفاً، وقِيل مِئة أَلف...
أُنظر، تَعلِيق الشَّيخ المُفِيد فِي رِسَالَتِهِ الخَاصَّة بِهَذَا المَوضُوع، وَفي الإِرْشَاد: ١ / ٣٥٤ وَلَكن بِلَفظ: زِيْنَب الصّغرىٰ المُكناة أُمّ كُلثُوم، وفي أَنسَاب الأَشْرَاف: ٢ / ١٨٩ أَضاف: تزوّجها عُمَرَ بن الخَطَّاب... وتَحت رَقم (٢٣٥) يُورد عِن هِشَام الكَلبي عَن أَبِيه عَن جَدّه قَالَ: خَطب عُمَرَ بن الخَطَّاب مِن عَليّ أُمّ كُلثُوم فَقَالَ: إِنها صَغِيرَة... وسَاق الحَدِيث، وكَذَلِك تَحت رَقم (٢٣٦) عَن عُثْمَانَ بن مُحَمَّد بن عَليّ قَالَ: خَرَج عُمَرَ إِلىٰ النّاس فَقَال زُفّوني... وسَاق الحَدِيث، وكَذَلك تَحت رَقم (٢٣٧) عَن عِكْرِمَة عَن ٱبن عَبَّاس... وَقَالَ ٱبن الكَلبي: وَلَدت أُمّ كُلثُوم بِنت عَليّ لِعُمَرَ، زِيد، ورُقِية فمَات زِيد وأُمّه فِي يَوْم وَاحد.
ونَحْنُ لسنَا بِصَدد تَحقِّيق حقِّيقَة الزّواج، وعَدمه؛ وَلَكن نُشير إِلىٰ أَنّ الحَدِيث مُنقَطع السّند، وغَير نَاهض للحُجّية. والطَّبَريّ فِي تَأريخه: ٤/ ١١٨ لَم يَذكر ذَلِكَ، ونَكتفي بِنَقل كلاَم الشّيخ المُفيد فِي جوَاب المسَائِل السّروِيّة: ٦١ ـ ٦٣ حَيْث قَالَ: «إِنّ الْخَبَر الوَارد بِتزوّيج أَمِير الْمُؤْمِنِين عليه السلام ٱبْنَته مِن عُمَرَ غَيْر ثَابت، وطَرِيقَه مِن الزُّبَيْر بن بكّار، ولَم يَكُن مَوثُوقاً بِهِ فِي النّقل، وكَان مُتّهماً فِيما يَذكرَه، وكَان يَبغض أَمِير الْمُؤْمِنِين عليه السلام، وغَيْر مَأمُون فِيما يَدّعِيه عَلىٰ بَني هَاشم... والحَدِيث بِنَفسه مُختلف، فتَارةً يُروىٰ أَنّ أَمِير الْمُؤْمِنِين عليه السلام تَوَلّىٰ العَقد لهُ عَلىٰ ٱبْنَته، وتَارةً يُروىٰ أَنّ الْعَبَّاس تَوَلّىٰ ذَلِكَ عَنْه، وتَارةً يُروىٰ أَنّه لَم يَقع العَقد إِلاّ بَعد وعِيد مِن عُمَر، وتَهدِيد لِبَني هَاشم، وتَارةً يُروىٰ أَنّه كَانَ عَن إِخْتِيار، وإِيثَار، ثُمّ إِنّ بَعْض الرّواة يَذكر أَنّ عُمَرَ أَولدهَا وَلداً سمّاه زِيداً، وبَعضهُم يَقُول: إِنّه قُتل قَبل دخُوله بِها، وبَعضهُم يَقُول: إِنّ لزَيد بن عُمَرَ عَقباً، ومِنْهُم مَن يَقُول: إِنّه قُتل وَلاَ عَقب لهُ، ومِنْهُم مَن يَقُول: إِنّه وأُمّه قُتلا، ومِنْهُم مَن يَقُول: إِنّ أُمّه بَقيت بَعده، وَيُقَال إِنّه رُمي بِحَجر بَيْن حَيين فِي حَربٍ فمَات وَلاَ عَقب لهُ، وَيُقَال إِنّه مَات هُوَ وَأُمّه فِي سَاعة وَاحدَة فَلم يَرث أَحدهُما مِن الآخر، وَصَلّىٰ عَلَيهما عَبدالله بن عُمَر، وَقَدم زَيداً عَلىٰ أُمّه فَصَار سُنّة، ومِنْهُم مَن يَقُول: إِنّ عُمَرَ أَمهر أُمّ كُلثُوم أَرْبَعِين أَلف دِرهم، ومِنْهُم مَن يَقُول: أَمهرَها أَرْبَعَة آلاَف دِرهم، ومِنْهُم مَن يَقول: كَان مَهرهَا خَمسِمئة دِرهَم، ويَبدوّ هَذَا الإِخْتِلاَف فيهِ يُبطل الحَدِيث، فَلا يكُون لهُ تَأثِيرٌ عَلىٰ حَال. ٱنْتهىٰ.
وسَبق وَأَنْ أَوضَحنا بِأَنّ أُمّ كُلثُوم هِي بِنت الخَلِيفَة الأَوّل أَبِي بَكْر وَهِي الّتي تَزوّجها عُمَرَ بن الخَطَّاب، وَلَكنْ الأَقْلاَم المَأجُورة، والضّغائِن وَالأَحقَاد هِي الّتي أَثبَتت أَنّها بِنْت الإِمَام عَليّ عليه السلام لاَ حَولَ وَلاَ قُوّةَ إِلاّ بِاللهِ العَليّ العَظِيم.

لأَيّامه الشَّرِيفَة، وَمقامَاته الكَرِيمَة، وَمنَاقبه السَّنِيَة، لأَفنينا فِي ذَلِكَ الطَّوامِير، العِرق صَحِيح، وَالمَنشأ كَرِيم، وَالشَّأن عَظِيم، وَالعَمل جَسِيم، وَالعِلم كَثِير، وَالبَيَان عَجِيب، وَاللِّسَان خَطِيب، وَالصَّدر رَحب، وَأَخلاَقه وِفق أعرَاقه، وَحَدِيثه يَشْهَد لقَدِيمه»[1].

إسلاَم أَبي طَالِب:

وَلاَ بُدّ مِن كَلِمَة فِي اسلاَم أَبى طَالِب، ونَحْنُ نَتَحدث عَن نَسَب حَفِيدَته السَّيِّدَة زَيْنَب. وَقَد اشتَهر بَيْنَ السُّنَّة أَنّه مَات عَلىٰ غَير الإِسلاَم، وَأَجْمَعت كَلمَة الشِّيعَة عَلىٰ أَنَّه مَات مُسلماً، وَلكنّىٰ نَعْرف الحَقّ مَع أَي جَانب مِن الطَّائفتَين يَنْبَغي التَّمهِيد بمَا يَلي:

١ ـ إِذَا اتّفقَت كَلمَة المُسلِمين جَمِيعاً السُّنَّة وَالشِّعيَة عَلىٰ شَيء، كَان اتّفَاقهم دَلِيلاً بنَفْسه لاَ يَحتَاج مَعَهُ إِلىٰ البَحْث وَالنَّظر، وكَان لكُلّ مُسْلِم أَنْ يَجزم وَيَعْتَقد بمَا اتَّفقُوا عَلَيهِ دُون قَيد أَو شَرط، وَبدُون تَروِ وَتَرَيُث، فَلو قَالَ قَائِل: أَنَّ أَبا جَهْل مَات عَلىٰ غَير السَّلاَم، فَلاَ يَحقّ لأَحد أَنْ يَعْتَرض عَلَيهِ، وَيَطلب مِنْهُ التَّثبت قَبْلَ الحُكم بكُفرِهِ، لأَنَّ المَفرُوض اتّفَاق الجَمِيع عَلىٰ ذَلِكَ، وَعَدم وجُود قَولَين، ليَجب النَّظر، وَالتَّدقِيق فِي أَي القَولَين أَصح،.. وَأَي الدَلِيلَين أَقوىٰ؟.

أَمَّا إِذَا اخْتَلف المُسْلمُون فِيمَا بَيْنَهُم، وَذَهبَت كُلّ طَائِفَة إِلىٰ رَأي فَيَجب حِينَئذٍ البَحْث وَالنَّظر، وَمَن جَزَم وَحَكم بدُون تَثبت، وَلمُجَرد الإِعْتمَاد عَلىٰ الشُّهرَة عِندَ أَحد الفَرِيقَين فهُو مُقلّد جَاهل، إِذْ لَيْسَ كُلّ مَا هُو مَوجُود وَاقعاً يَجب أَنْ يَشْتَهر،

(١) أنظر، مِئة مَنْقَبة للجَاحظ: ٦٥، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابن أَبي الحَدِيد: ١ / ٤٥.

وَلاَ كُلّ مَشهُور يَجْب أَنْ يَكُون مَوجُوداً فِي الوَاقع، وَلذَا قِيل: «رُبّ مَشهُور لاَ أَصلَ لهُ، وَرُبّ مُتَأصّل غير مَشهُور». وَلو سَلّمنَا جَدَلاً، لاَ اْعْتقَاداً أَنَّ الشُّهرَة حَقّ وَصِدق فَإِنّمَا تَكُون حَقّاً إِذَا لَمْ يَقم الدَّلِيل المَحسُوس المَلمُوس عَلىٰ ضِدّهَا وَكِذبهَا... وَقَد جَاء فِي الحَدِيث: «لَيْسَ المُخبر كَالمُعَاين»[1]، عَلىٰ أَنَّ الأَخذ بمَا اْشْتَهر عِندَ السُّنَّة دُون الأَخذ بمَا اْشْتَهر عِندَ الشِّيعَة تَحَكّم، وَتَرجِيح بلاَ مُرجّح. وَعَلَيهِ يَتَحتّم طَرح القَولَين مَعاً، وَتَرك التَّعصب لأَحدهما، وَالتَّجرد للبَحْث النَّزيه... فَلَقد دَلّت التَّجارب مُنذ القَدِيم عَلىٰ أَنَّ الَّذِين يَلجَأون إِلَىٰ نَزوَات العَاطفَة لاَ يَهتدُون إِلَىٰ خَير، وَمُحَال أَنْ يَهتدُوا مَا دَامت المَيُول هِي المُسَيطرَة، وَالتَّقالِيد هِي المُتحكّمَة.

٢ ـ أَنَّ عَقِيدَة الإِنْسَان، أَي إِنْسَان لاَ تُعرف عَلىٰ حَقِيقتهَا إِلاَّ فِي ضَوء وَاقِعَة وَحيَاته الخَاصّة، وَمَا يُحِيط بهَا مِن الظُّرُوف وَالمُلاَبسَات، فَهي الَّتي تُوجّهه فِي سُلُوكه، وَآرَائه، وَمُعتقدَاته، وَمحَال أَنْ نَعرف شَيئاً مِن مِيُوله وَرغبَاته بمَعزَل عَن وَاقعَهِ وَعَالمهِ الخَاصّ.

٣ ـ أَنَّه كمَا اْشتَهر بَيْنَ السُّنَّة أَنَّ أَبَا طَالِب مَات عَلىٰ غَير الإِسلاَم، فَقَد أَجْمَعَت الشِّيعَة أَنَّ أَبَا سُفْيَان مَات عَلىٰ النِّفَاق، وَاْخْتلفَت السُّنَّة فِي حُسن إِسلاَمه، أَي فِي نفَاقِهِ وَعَدمه، قَالَ صَاحِب «الإِستِيعَاب»: «اْخْتَلف فِي حُسن إِسلاَم أَبي سُفْيَان، فَطَائفَة تَروي أَنَّه لمَّا أَسلَم حَسُن إِسلاَمه... وَطَائِفَة تَروي أَنَّه كَان كَهفاً

(١) أُنظر، مُعْجَم شيُوخ أَبي بَكْر الإِسمَاعِيلي: ٢ / ٦٨٩، تَأوِيل مُخْتَلف الحَدِيث: ١ / ٩٧، الكَامِل فِي ضُعفَاء الرِّجَال: ٦ / ٢٩١ ح ١٧٧٨، تَأرِيخ بَغدَاد ٣ / ٢٠٠، غَرِيب الحَدِيث لاِبْن قُتَيبَة: ١ / ٢٦٠.

للمُنَافقِين مُنذ أَسلَم... وَكَان فِي الجَاهليَّة يُنْسَب إِلَىٰ الزَّندَقة »[١].

وَيُحتم عَلَينَا المَنطق فِي مِثل هَذِه الحَال أَنْ لاَ نَجزم بإِسلاَم أَبي طَالِب، وَلاَ بحُسن إِسلاَم أَبي سُفيَان إِلاَّ بَعد البَحث وَالنَّظر، وَأَنْ لاَ نَعْتَمد عَلىٰ قَول أَيَّة فِئَة مِن الفِئَات... بَل عَلينَا أَنْ نَنظر ـ أَوَّلاً وقَبْلَ كُلّ شَيء ـ إِلَىٰ حَيَاة كُلّ مِن أَبي طَالِب وأَبي سُفْيَان وَظُرُوفة الخَاصّة: هَل تَتَّجه بِهِ إِلَىٰ الإِسلاَم، والإِيمَان برسَالَة مُحمَّد، أَو إِلَىٰ الشِّرك، وَمُحَاربَة مُحمَّد وَرسَالته؟...

وَإِنَّ وَاقع أَبي سُفْيَان، وَكُلّ مَا يَتّصل بتَأرِيخه وَحَيَاته مِن قَرِيب أَو بَعِيد يَتّجه إِلَىٰ التَّعلق بالأَوثَان، وَالدّفَاع عَنْهَا، وَالتَّضحيَة مِن أَجْلهَا بكُلّ غَال وَعَزِيز، حَتَّىٰ وَلَو كَان فِي وَاقعَة، وبَيْنَهُ وبَيْنَ نَفْسه لاَ يَعْتَقد بهَا وَلاَ بشَيء أَبداً... لأَنَّ الأَوثَان تمَنَحهُ الإِمتيَاز وَالسِّيادَة عَلىٰ الضُّعفَاء وَالمَسَاكِين، ومُحَمَّد يُجَردهُ مِن كُلّ ذَلِكَ، وَيَدعُو إِلَىٰ الإِخَاء وَالمُسَاوَاة، وَالأَوثَان تُبِيح لهُ السَّلب، وَالنَّهب، وَالفُسق، وَالفجُور، وَمَا إِلَيهِ مِن الرَّذَائِل، ومُحَمَّد يَأمر بالفَضَائل، وَمَكَارم الأَخْلاَق، فَمُحمَّد ـ إِذَن ـ خَطَر عَلىٰ الإِستقرَاطيِّين بعَامّة، وعَلىٰ أَبي سُفْيَان بخَاصّة.

هَذَا، إِلَىٰ العدَاء المَورُوث المُتأَصّل بَيْنَ هَاشِم وَأُمَيَّة، فَكَيف يَسْتَسلم أَبُو سُفْيَان وَيَنقَاد إِلَىٰ أَلَد أَعدَائه، وَقَد ظَهر ذَلِكَ فِي الحرُوب وَالمَكَائد الَّتي نَصَبها للرَّسُول الأَعْظَم صلى الله عليه وآله... وَهَل بَعد هَذِه الأَرْقَام المَحسُوسَة المُستَمدّة مِن وَاقع أَبي سُفْيَان مِن شَكٍّ، وَرَيب فِي أَنَّه أَظهَر الإِسلاَم عَن خَوف لاَ عَن إِيمَان، وَحَقناً لدَمه لاَ بدَافع مِن ضَمِيره وَوجدَانه؟... وَهَل نَأخذ بالشُّهرَة وَغَير الشُّهرَة بَعد أَنْ أنْكَشف الوَاقع كَشفاً حِسيَّاً تَبَددت مَعَهُ الشُّكُوك وَالأَوهَام؟.. أَنَّ أَبَا سُفْيَان لاَ

(١) أُنظر، الإِستِيعَاب فِي أَسمَاء الأَصْحَاب: ٤ / ٨٦ المَطبُوع مَع الإِصَابَة سَنَة (١٩٣٩ م). (مِنْهُ رحمه الله).

يَرجع فِي سُلُوكِهِ إِلَىٰ عَقلٍ، وَلاَ دِينٍ، وَلاَ ضَمِير، وَإِنّما المعيَار، وَالدَّافع، وَالمَثل الأَعْلىٰ عِندَه هِي المَنْفعَة الخَاصّة لاَ غَيرهَا... شَأن جَمِيع الأَقوِيَاء الَّذِين لاَ يَربطهُم أَي شَيء بهَذَا العَالم غَير المَصَالح الشَّخصيَّة[١].

أَمَّا وَاقع أَبي طَالِب فَعَلىٰ الضِّد تَمَامَاً مِن وَاقع أَبُو سُفْيَان، فَلاَ يَلتَقيَان فِي جهَة، وَلاَ يَتشَابهان فِي شَيء، فَأَبُو سُفيَان تَأكل الضَّغَائن قَلْبَه عَلىٰ مُحَمَّد، وَأَبُو طَالِب يَحنُو عَلَيهِ حنُو المُرضع عَلىٰ فَطِيمهَا، فَعَن طَبقَات ٱبْن سَعد أَنّه كَان يُحبّه حُبّاً شَدِيداً لاَ يُحبّه وَلده، وكَان لاَ يَنَام إِلاَّ وَهُو إِلَىٰ جَنْبه[٢]، وإِذَا خَرَج أَخرَجهُ مَعَهُ[٣]،

---

(١) قَالَ صَاحِب الإِستِيعَاب: ٤ / ٨٨: «لأَبي سُفيَان أَخبَار رَدِيئَة ذَكرهَا أَهْل الأَخبَار» ونَحنُ نُشِير هُنا إِلَىٰ بَعْضهَا، مِنْهَا: ذَكَره صَاحِب الإِستِيعَاب: ٨٧ «أَنَّ أَبَا سُفيَان دَخَل عَلىٰ عُثْمَان حِينَ صَارَت إِلَيهِ الخِلاَفَة، وَقَالَ لهُ: دَرها كَالكُرة... إِنّما هُو المُلك، وَلاَ أَدري مَا جَنَّة وَمَا نَار.

وَمِنْهَا: مَا ذَكَره صَاحِب الإِصَابَة: ٢ / ١٧٢ طَبعَة (١٩٣٩م) (أَنَّ أَبَا سُفيَان قَالَ فِي نَفْسه: مَا أَدري بِمَ غَلبنَا مُحَمَّد؟ فَضَرب النَّبيّ عَلىٰ ظَهْره، وَقَالَ: بِالله غَلَبك.

وَمِنْهَا: مَا جَاء فِي العِقد الفَرِيد: ٥ / ١٠ طَبعَة (١٩٥٣م) (أَنَّه حِين بُويع أَبُو بَكْر، قَالَ أَبُو سُفْيَان: أَنّي أَرىٰ غَبرَة لاَ يُطفئهَا إِلاَّ الدَّم، وَجَعل يَطُوف فِي أَزقّة المَدِينَة وَيَقُول: أُنظر، تَأْرِيخ اليَعقُوبي: ١ / ١٠٥، و: ٢ / ١٢٦، تَأْرِيخ المَدِينَة: ٣ / ١٠٩٠، النِّزَاع وَالتَّخَاصم فِيمَا بَيْن بَني أُميَّة وبَني هَاشم: ١٠٥.

بَنِي هَاشِم لاَ تطمَعُوا ٱلنَّاس فِيكُم ... وَلاَ سِيَما تِيم بن مُرّة أَو عَدي
فَمَا الأَمر إِلاَّ فِيكُم وَإِليكُم ... وَلَيس لَهَا إِلاَّ أَبُو حَسَن عَليّ

فَقَال عُمَر لأَبي بَكْر: أَنَّ هَذَا فَاعل شرّاً، وَكَان يَتَأَلّفه عَلىٰ الإِسلاَم، فَدَع مَا بِيَده مِن الصَّدقَة، فَفَعل، فَرضي أَبُو سُفْيَان وَبَايعهُ. أُنظر، تَأْرِيخ الطَّبريّ: ٥ / ٤٤٩، أَبن عَبد رَبّه: ٣ / ٦٢.

(٢) أُنظر، الطَّبقَات الكُبرىٰ لِابن سَعد: ١ / ١١٩، صَفوَة الصَّفوَة: ١ / ٦٦، بُلُوغ المَآرب فِي نَجَاة آبَائه ﷺ، وَعَمّه أَبي طَالب تَألِيف العَلاّمة السَّيِّد سُليمَان الأَزهريّ اللاّذقيّ، بتَحقِيقنا.

(٣) أُنظر، البِدَاية وَالنّهَاية: ٢ / ٣٤٥، الكَاشف: ٣ / ٢٦٤، تَقرِيب التَّهذِيب: ٢ / ٣٨٤، وَأَخرَجَهُ أَبُو نَعِيم عَن الوَاقديّ عَن شيُوخه، وَذَكَره أَبن حَجر فِي الإِصَابة: ١ / ١٧٩، وَأَبن سَعد فِي الطَّبقَات: ١ / ١٢١،

وَأَبُو سُفْيَان يَخْشَىٰ مِن ٱنْتصَار مُحَمَّد عَلَىٰ مَجد «أُمَيَّة»، وَيَعْتَقد أَبُو طَالِب أَنَّ فِي ٱنْتصَار أَخِيه المَجد الدَّائم وَالشَّرف الخَالد، وَأَي شَرف أَعظَم مِن أَنْ يَعهد الله سُبْحَانَهُ إِلَىٰ رَبِيب أَبي طَالِب بأَمَانتهِ، وَيَختَاره عَلَىٰ جَمِيع خَلقه ؟.

هَذَا إِذَا قسنَا أَبَا طَالِب بمقيَاس النَّفعيِّين وَالإِنْتهَازيِّين تَمَامًا كَمَا نَقِيس أَبَا سُفْيَان، وَقُلنَا: أَنَّ كُلًّا مِنْهُما يَعْمل بدَافع مِن منَافعهِ الخَاصّة، لاَ بوَحي مِن عَقْلهِ وَضَمِيرة... فَإِنَّ النَّتيجَة الحَتيمَة المَنطقيَة هِي إِيمَان أَبي طَالِب بمُحَمَّد وَرسَالَته، وَجحُود أَبي سُفْيَان بكُلِّ مَا يَمت إِلَىٰ النَّبيّ بسَبَب.

وَلَو نَزّهنَا أَبَا طَالِب عَن الغَايَات وَالأَهوَاء، وَنَظرنَا إِلَيهِ كطَالب للحَقِّ مِن مَصْدَره وَأَدلّته لجَاءت النَّتيجَة أَيضاً إِيمَانه بِالله وَالرَّسُول، فَلَقد شَاهَد مِن آيَات ٱبْن أَخِيه مُنذ طفُولَته إِلَىٰ مَا بَعْد النُّبُوّة مَا لَم يَتَسن لأَحد سوَاه... مَات أَبُو النَّبيّ قَبْلَ أَنْ يرىٰ وَلَده العَظِيم، فَكَفلهُ جَدّه عَبدالمُطّلب[1]، ثُمَّ تُوفِّي الجَدّ، وَللنَّبيّ مِن العُمر ثَمَاني سَنوَات، وكَان قَد عَهد بهِ إِلَىٰ أَبي طَالِب، وَقَالَ لهُ فِيمَا قَالَ: «ٱسْتَمسك بهِ وَٱنْصرهُ بلسَانك، وَيَدك، وَمَالك... فَإِنَّ لهُ شَأنَاً... وَأَرجُو أَنْ يَبلغ

↔ وَالسّيوطيّ فِي الخَصَائص: ١/ ٢٠٨، وَدلاَئل النُّبوَّة: ١/ ٢١٥، و: ٢/ ٢٤، ٱبن هِشَام فِي السِّيرَة: ١/ ١٨٠، وَالتّرمذيّ بِرَقم «٣٦٢٤»، وَالفَتح: ١٠/ ٣٤٥.

(١) أُنظر، شَرْح صَحِيح مُسْلم: ٩/ ١٤٠، و: ١٧/ ١٣٣، الدِّيبَاج عَلَىٰ مُسْلم: ٣/ ٤٠٨ و: ٦/ ١٤٨، تَلخِيص الحَبِير لِابْن حَجر: ٤/ ٥٩٥، مُسْنَد أَحمَد: ١/ ٣٦٣ و: ٥/ ٨٩، السُّنن الكُبرىٰ: ٣/ ١٩٦، دَلاَئل النُّبوَّة للبَيهقي: ٢/ ١٥٣، سُنن الدَّارمي: ١/ ١٥ و ١٨ و ٣٦٧، مَجْمع الزَّوَائد: ٢/ ١٨٢ و: ٨/ ٢٩٨، البِدَاية وَالنِّهاية: ٦/ ١٤١ و: ٣٠٨، المُصنَّف لِابْن أَبي شَيبَة الكُوفِي: ٧/ ٤٣٣، صَحِيح ٱبن خُزَيمة: ٣/ ١٤٠، المُعجَم الكَبِير: ١٢/ ١٤٥ و: ٢٣/ ٢٥٥، الطَّبقَات الكُبرىٰ: ١/ ٢٥٢، تَأرِيخ دِمَشق: ٤/ ٣٩٠ و: ٧/ ٢٠٢، أُسد الغَابة: ١/ ٢٩، الكَامل فِي التَّأرِيخ: ٣/ ٢٨٨، تَهذِيب الكمَال: ١/ ٢٣٥.

مِن الشَّرف مَا لَمْ يَبلغهُ عَربي قَبْله وَلاَ بَعدَه »[١].

وكَان أَبُو طَالِب يُحدّث عَن النَّبيّ بَعد أَنْ ضَمّه إِلَيه ، وَيَقُول :

«كُنتُ كَثِيراً مَا أَسمَع مِنْهُ إِذَا ذَهَب اللَّيل كَلاَمَاً يُعْجبني ، وَكنَّا لاَ نُسمي عَلىٰ الطَّعَام ، وَلاَ الشَّرَاب ، حَتَّىٰ سَمِعتهُ يَقُول : بِسم الله الأَحد ، ثُمَّ يَأكُل ، فَإِذَا فَرغ قَالَ : الحَمْد لله كَثِيرَاً[٢] ، وَكُنْت آتِيه عَلَىٰ غَفلَة فَأرىٰ مِن لَدن رَأسه نُورَاً مَمدُوداً قَد بَلَغ السَّماء . . . وَلَم أَر مِنْهُ كِذبَة قَطّ ، وَلاَ جَاهليَّة قَطّ ، وَلاَ رَأيتَه يَضْحَك فِي غَير مَوضع الضّحك ، وَلاَ وَقَف مَع الصِّبيَان فِي لَعبٍ ، وَلاَ اَلتفَقت إِلَيهِم ، وَكَانَت الوَحدَة ، وَالتَّوَاضع أَحبّ إِلَيه »[٣].

وَنَقل ٱبْن عَسَاكر أَنَّ قَحطَاً أَصَاب قُرَيْشَاً ، فَٱستَسقىٰ أَبُو طَالِب بمُحَمَّد ، وَمَا أَنْ مَدَّ باصْبعهِ ، حَتَّىٰ أَقبَلَ السّحَاب مِن هَا هُنَا وَهُنا ، وَأَغدَق الوَادي ، وَأَخْصَب النَّادي ، وَفِي ذَلِكَ يَقُول أَبُو طَالِب[٤] :

---

(١) أُنظر ، الخَصَائِص الكُبرىٰ للسُّيوطي : ١ / ٨١ ـ ٨٢ ، سُبل الهُدىٰ وَالرَّشَاد : ١ / ٧٠ ، الإِصَابَة : ٧ / ٢٠٢ دَار الكُتب العِلميَّة بَيُروت .

(٢) أُنظر ، صَحِيح البُخَاري : ٥ / ٢٠٧٨ ح ٥١٤٢ ، المُسْتَدرَك عَلىٰ الصَّحِيحَين : ١ / ٧١٠ ح ١٩٣٥ ، مَجْمَع الزَّوَائِد : ١٠ / ٩٦ ، سُنن البَيهقي الكُبرىٰ : ٧ / ٢٨٦ ح ١٤٤٤٨ ، مُسنَد أَحمَد : ٥ / ٣٥٦ ح ٢٢٢٥٤ .

(٣) أُنظر ، منَاقب آل أَبي طَالب : ١ / ٣٥ ، العِدد القَوَيّة لعَليّ بن يُوسف الحِلّي : ١٤٦ .

(٤) أُنظر ، التَّأريخ الكَبِير لِابْن عَسَاكر : ١ / ٣٣٣ طَبعَة الشَّام ، السِّيرَة الحَلبيَّة : ١ / ١٢٥ طَبعَة مَصْر ، الخَصَائِص الكُبرىٰ : ١ / ١٢٤ .

ذَكَر هَذِه القَصِيدَة أَكْثر أَهْل السِّير ، وَشَرحها أَيضَاً كَثِيرُون ، كَالعَلاَّمَة الدَّحلاَني فِي أَسنىٰ المطَالب فِي نَجَاة أَبي طَالب : ١١ ، وَقَال : قَالَ ٱبن كَثِير هَذِه القَصِيدَة بَلِيغَة جِدَّاً ، لاَ يَسْتَطِيع أَنْ يَقولهَا إِلاَّ مَن نُسْبَت إِلَيه ، وَهِي أَفحَل مَن المُعلقَات السَّبع وَأَبْلَغ فِي تَأدِيَة المَعْنىٰ .

وَأَمَّا سَبب إِنْشَائها فَقَد ٱختَلف المُؤرخُون فِي ذَلِكط . فَقِيل : إِنَّه قَالهَا حِين ٱنتَشر أَمر رَسُول الله ﷺ ↔

وَأَبْيَض يُسْتَسقىٰ الغَمَام بِـوَجْهه ثُمَال اليَـتَامىٰ عِـصمَة للأَرَامـلِ

وَكَانَت فَاطِمَة بِنْت أَسد زَوّجَة عَمّه أَبي طَالِب تُحدّث عَنْهُ، وَتَقُول: «كَان فِي صَحن دَاري شَجرَة قَد يَبُست، فَأَتىٰ مُـحَمَّد يَـوْماً إِلـىٰ الشَّـجرَة، فَمَسّهَا بِكفّه، فَصَارت مِن وَقتهَا وَسَاعتهَا خَضرَاء وَحَـملت الرُّطَب»[1]. وَفـي طَبقَات ٱبْن سَعد: «أَنَّ أَبنَاء أَبي طَالِب إِذَا أَكلُوا جَمِيعَاً أَو فُرَادىٰ لَمْ يَشبعُوا، وإِذَا كَان مَعْهُم النَّبيّ شَبعُوا»[2].

وَبَعد أَنْ رَأىٰ أَبُو طَالِب هَذِه الآيَات بعَينيهِ، وَتَكرّرت عَلَيهِ مَـرّات وَمَـرّات، وَبَعد أَنْ سَمع مِن أَبِيه وَغَير أَبِيه التَّنبُؤات، يُقَال لهُ: أَنَّه مَات عَلىٰ غَير الإِسلاَم، وَهُو ذُو العَقل الكَبِير، وَالنَّظر البَعِيد؟. وَهَل عَرب البَاديَة وَغَيرهم مِن المُهَاجرِين وَالأَنْصَار أَرجَح عَقلاً مِن أَبي طَالب.. أَو رَأوا وَشَاهدُوا مِن آيَات مُحمَّد أَكْثَر مِمَّا رَأىٰ وَشَاهد...أَو كَانُوا أَلصَق بِهِ وَأَقرَب إِلَيهِ مِن عَمّه؟ . وَبَعد، فبَأَي مَنْطق أَخَذ البَاحث، وَبأَي مقيَاس قَاس أَبا طَالِب، فَالنَّتيجَة أَنَّ عَدم إِسلاَمه مُستَحِيل أَو شُبه مُسْتَحِيل.

وَخَاف أَبُو طَالب أَنْ تُعَاضد العَرب قَومه عَلىٰ قَلعه صلى الله عليه وآله. فَلَمَّا أَنشَأها وَتلاَها عَلَيهم وَسَمعهَا الأَشرَاف تَعوذُوا بِهَا. وَقِيل: إِنّه قَالهَا فِي الشِّعب وَفي بَعْض أَبيَاتها مَا يُؤيد ذَلِكَ.

أُنظر، ٱبْن هِشَام فِي سِيرَته: ١ / ٢٨٦، أَبَا هفَان العَبدي فِي ديوَان أَبي طَالب: ٢ـ١٢، ٱبن أَبي الحَدِيد فِي شَرْح النَّهج: ٢ / ٣١٥، تأَرِيخ ٱبن كَثِير: ٣ / ٥٣، إِرشَاد السَّاري: ٢ / ٢٢٧، المـوَاهب اللّـدنِيَّة: ١ / ٤٨، عُمدَة القَاريّ: ٣ / ٤٣٤، خُزَانَة الأَدَب: ١ / ٢٥٢.

(١) أُنظر، مَنَاقب آل أَبي طالب: ١ / ٣٦، العِدد القَوِيَة لعَليّ بن يُوسف الحِلّي: ١٢٨.

(٢) أُنظر، الطَّبقَات الكُبرىٰ لِابْن سَعد: ١ / ١٢٠ طَبعَة دَار بَيرُوت سَنَة (١٩٥٧م). (مِنْهُ رحمه الله).

تَأَرِيخ دِمَشق: ٣ / ٨٦، البدَاية وَالنّهايَة: ٢ / ٣٤٤، السِّيرَة النَّبويَّة لِابن كَثِير: ١ / ٢٤٢، سُبل الهُدىٰ وَالرَّشَاد: ٢ / ١٣٥.

أَنَّ مَن شَكّ بإسلاَم أَبي طَالِب فَقْد شَكّ بنّبوّة مُحَمَّد، مِن حَيث لاَ يَدري وَلاَ يَشعر... إِذ لاَ يُمكن بحَال أَنْ نَجمع بَيْنَ القَوْل بأَنَّ النَّبيّ أَتىٰ بالبُرهَان القَاطع عَلىٰ نُبوّته، وبَيْنَ القَوْل بأَنَّ أَبا طَالِب غَير مُسْلِم، مَع العِلم وَالتَّسلِيم بصحَة إدراكـه، وَرُجحَان عَقْلَه، وَخِبرَته التَّامة بحَقِيقَة ٱبْن أَخِيه، وَشدّة حبّه وَإخلاَصه لهُ. فكُلّ مَن قَالَ بأَنَّ مُحمَّد أَتىٰ بالدَّلِيل الكَافي الوَافي يُلزمهُ القَوْل بإسلاَم أَبـي طَـالِب، وَكُلّ مَن قَالَ بعَدَم إسلاَمه يُلزمهُ القَوْل بأَنَّ النَّبيّ لَمْ يُقم الدَّلِيل المُقنع بذَاته عَلىٰ نُبوّته، وَالتَّفكِيك جَهْل وَتَحكُم... وَبكلمَة أَنَّ عَدم إسلاَم أَبي طَالِب ـ لَو فُرض ـ يَدل عَلىٰ أَنَّ فِي الوَاقع سرّاً يَسْتَدعي عَدَم الإِيمَان بمُحَمَّد... حَاشَا لله وَلرَسُوله، وَلكَافلهِ، وَحَاميه، وَالذَّاب عَنْهُ وَعَن رسَالتهِ.

وَرُبَّ مَن يَسْأَل وَيقُول: مَا هُو السَّبَب للتَّشكِيك بإسلاَم أَبي طَالِب مَا دَام بهَذهِ المَنْزلَة وَالوضُوح ؟.

الجَوَاب: أَنَّ القَوْل بنَفي الإسلاَم عَن أَبي طَالِب جَاءَ جوَاباً للقَول بنفَاق أَبـي سُفْيَان... أَلَـيْسَ أَبُـو طَـالِب وَالد عَـليّ أَمِير المُـؤمِنِين، وَأَبُـو سُـفْيَان وَالد مُعَاويَة ؟!... وَلاَ بُدّ مِن المُوَازنَة، وَتَرجِيح هَذَا عَلىٰ ذَلِكَ، أَو المُسَـاوَاة بَـيْنَهُما عَلىٰ الأَقَل...

سُؤال ثَانٍ: لمَاذَا لَمْ يُجَاهر أَبُو طَالِب بإسلاَمه مُنذ اليَوْم الأَوّل لدَعوَة الرَّسُول الأَعْظَم ﷺ كمَا فَعَل وَلَدهُ عَليّ ؟.

الجَوَاب:

أَوّلاً: أَنَّه جَاهَر بِذَلِكَ فِيمَا قَالهُ مِن الشِّعر الَّذي فِي كُتب السِّير وَالتَّأرِيخ، ومِنْهُ قَولَه:

وَلَقد عَلِمتُ بِأَنَّ دِين مُحَمَّد ... مِن خَيرِ أَديَان البَرِيَة دِينَا[1]
لَولاَ المَلاَمَة أَو حِذَار مَسَبَّة ... لوَجَدتنِي سَمحاً بِذَاك مُبينَا
وَدَعوتَني وَعَرفت أَنَّك نَاصحِي ... وَلَقد صَدَقت وَكُنت فِيهِ أَمِينَا[2]

ثَانِيَاً: أَنَّ الإِسلاَم كَان ضَعِيفاً فِي بِدء الأَمر، وَقَد تَأَلَّبَت عَلَيهِ قِوىٰ الشِّرك مِن كُلّ جَانب، فَكَان مِن صوَاب الرَّأي، وَالخَير لِلإِسلاَم وَنَبيّه أَنْ يَكْتُم أَبُو طَالِب إِيمَانه إِحكَاماً لخُطَة الدِّفَاع، وهَذَا كَثِيراً مَا يَحدث بَيْنَ أَصحَاب المَبَادِيء، فَلَقد كَتَم مُؤمن مِن آل فِرعَون إِيمَانه ليُمكّنهُ الدّفَاع عَن مُوسىٰ عليه السلام: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾[3]. وَأَمَر رَسُول الله نَعِيم من مَسعُود الأَشْجَعي أَنْ يَكتُم إِيمَانه فِي وَقْعَة الأَحزَاب، ليُخذّل بَيْنَ اليهُود وقُرَيْش، بَل أَذنَ لهُ أَنْ يَقُول فِيهِ مَا يَشتهُون[4].

وَقَالَ السَّيِّد مُحسن الأَمِين فِي الأَعْيَان:

---

(١) أُنظر، تَأرِيخ أَبي الفِدَاء: ١/ ١٢٠.

(٢) هَذَان البَيتَان هُما مِن قَصِيدَته النُّونِيَّة الَّتي قَالهَا «أَبُو طَالب» لرَسُول الله صلى الله عليه وآله لمَّا أَخَافَته قُرَيْش أَوَّلهَا:

وَالله لَنْ يَصلوا إِلَيك بِجَمعِهِم ... حَتَّىٰ أُوسَّد فِي التُّرَاب دَفِينَا

أُنظر، تَفْسِير الثَّعلبيّ، وَالَّذي قَالَ فِيهِ: «قَد اتَّفق عَلىٰ صحّة نَقْل هَذِه الأَبيَات عَن أَبي طَالب. دِيوَان أَبي طَالب: ١٢، السِّيرَة النَّبوِّية لزَيني دَحلاَن هَامش السِّيرَة الحَلبيَة: ١/ ٩١، و ٢١١، شَرْح اَبن أَبي الحَدِيد: ٣/ ٣٠٦، تَأرِيخ أَبي الفِدَاء: ١/ ١٢٠، فَتح البَاري: ٧/ ١٥٣، الإِصَابة: ٤/ ١١٦، المَوَاهب اللَّدُنِيَّة بِالمِنح المُحَمدِية للقَسْطلاَني: ١/ ٦١، تَأرِيخ اَبن كَثِير: ٣/ ٤٢، الوَاحديّ فِي أَسبَاب النُّزول: ١٦١، تَفْسِير القُرطُبي: ٦/ ٤٠٦، الإِصَابَة: ٧/ ٢٣٦، منَاقب آل أَبي طَالِب: ١/ ٥٣، شَرْح نَهج البَلاَغَة لِاَبْن أَبي الحَدِيد: ١٤/ ٥٥، الكَاشف: ١/ ٥٠٠، البدَاية وَالنِّهايَة: ٣/ ٥٦، السِّيرَة النَّبويَّة: ١/ ٤٦٤.

(٣) غَافِر: ٢٨.

(٤) أُنظر، فَتْح البَاري: ٧/ ٣٩٣، فَيض القَدِير: ٣/ ٤١١.

«لَو جَاهر أَبُو طَالِب بإِسلاَمه لَمْ يُمكنَهُ مَا أَمْكَنهُ مِن نُصرَة رَسُول الله»[١].

وَقَالَ صَاحِب السِّيرَة الحَلبيَّة: «وَكَان مِن حكْمَة أَحكَم الحَاكِمِين بقَاء أَبـي طَالِب عَلىٰ دِين قَومه، لمَا فِي ذَلِكَ مِن المَصَالح الَّتي تَبدُو لمَن تَأَملهَا»[٢].

وَيَأبىٰ الله سُبْحَانَهُ إِلاَّ أَنْ يُقِيم الشَّوَاهد عَلىٰ الحَقّ، وَلَو عَلىٰ لسَان الجَاحدِين وَالمُعَاندِين... أَنَّ هَذَا القَائِل يُنْكر إِيمَان أَبي طَالِب، وَيَعْتَرف فِي الوَقت نَفْسه أَنَّ مَصلحَة الْإِسلاَم تَسْتَدعي ذَلِكَ، وَذَهل عَن بدِيهَة لاَ تَقْبل الشَّك، وَهي أَنَّ الكُفْر بالله قَبِيح فِي ذَاته، وَأَنَّه لَم وَلَن تَكُون فِيهِ مَصْلحَة وَلاَ حِكْمَة مهمَا تَكُن الظُّروف وَالبوَاعث وَالْأَهدَاف... وَأَيضاً ذَهَـل أَنَّ الغَـرض المَـطلُوب يَـتحقّق فِـي كَـتم الْإِيمَان، كمَا فَعَل نَعِيم بن مَسعُود، ومُؤمن آل فِرعَون، وَلَو شَاء الله عَدَم إِسـلاَم أَبي طَالِب لمَصلَحَة النَّبيّ لكَان كُفرَه أَفضَل مِن إِيمَانه... بَـل وَجَب أَنْ يُـؤاخـذ وَيُعَاقب عَلىٰ الْإِسلاَم والْإِيمَان بالله وَرَسُوله... وَلاَ قَائِل بهَذَا الهَجر، وَالهَذايَان أَحد... فَتعيَّن - إِذَن - القَوْل بأَنَّ كَتم إِيمَانه، جَمعاً بَيْنَ مَصلحَة الْإِسلاَم، وَقُـبح الكُفْر.

وَقَد وضْعَت كُتُب خَاصّة فِي إِسلاَم أَبي طَالِب وَمنَاقبه، فَليَرجع إِلَيهَا مَن أَرَاد التَّفصِيل، تَسهِيلاً عَلىٰ القَاريء نُزودهُ بهَذَين الرَّقمَين:

الْأَوّل: جَاء فِي السِّيرَة النَّبوّة لِابْن هِشَام أَنَّ أَبَا طَالِب قَالَ لَولدَه عَـليّ: «أَنَّ مُحَمَّداً لَم يَدعك إِلاَّ إِلَىٰ خَير، فَالزَمه»[٣]. وَلاَ مَعنىٰ للْإِسلاَم إِلاَّ الْإِعـتِرَاف بأَنَّ

---

(١) أنظر، أَعْيَان الشِّيعَة: ٣ / ٥ طَبعَة (١٩٦٠م). (مِنْهُ).

(٢) أُنظر، السِّيرَة الحَلبيَّة: ١ / ٤٦٧، «بَاب وَفَاة أَبي طَالب وزَوّجته». (مِنْهُ).

(٣) أُنظر، السِّيرَة النَّبوّة لِابْن هِشَام: ١ / ٢٤٧ طَبعَة (١٩٥٥م). (مِنْهُ). وأُنظر، الْإِصَابَة لِابْن حَـجر: ↔

دَعوَة مُحمَّد خَير يَجْب اتّبَاعه وَالإلتزَام بِهِ.

الثَّاني: جَاء فِي الطَّبقَات الكُبرىٰ لِابْن سَعد، وَفي السِّيرَة الحَلبيَّة: «أَنَّ عَلِيَّاً حِين أَخبَر النَّبيّ بمَوت أَبِيه (أَبي طَالِب) بَكىٰ، وَقَالَ: إذْهَب، فَاغْسلهُ وَكَفّنه، وَوَاره، غَفَر الله لهُ وَرَحمه»[1].

↔ ١١٦/٤، رَقم «٦٨٤» الكُنىٰ تأَرِيخ الطَّبري: ٢ / ٢١٤، عُيُون الأَثر: ١ / ٩٤، شَرْح نَهج البَلاَغَة لِابن أَبي الحَدِيد: ٣ / ٣١٤، أَسنىٰ المَطَالب: ١٠.

(١) أُنظر، الطَّبقَات الكُبرىٰ لِابْن سَعد: ١ / ١٢٣ طَبعَة (١٩٥٧م)، السِّيرَة الحَلبيّة: ١ / ٤٦٧ (بَاب وَفَاة أَبي طَالِب) (مِنْهُ رحمه الله). أُنظر، السُّنن الكُبرىٰ: ١ / ٣٠٥ ح ١٣٥٤، الدرَايَة فِي تَخرِيج أَحَادِيث الهدَايَة: ١ / ٢٣٦ ح ٣٠٧، تَلخِيص الحَبِير: ٢ / ١١٥ ح ٧٥٤، نَصب الرَّايَة: ٢ / ٢٨١، تَذكرَة الخوَاصّ: ١٠، شَرْح نَهج البَلاَغَة لِابْن أَبي الحَدِيد: ٣ / ٣١٤، تأَرِيخ أَبن كَثِير: ٣ / ١٢٥، الإِصَابَة: ٤ / ١١٦، مُعْجَم القُبُور: ١ / ٢٠٤، العِقد الفَرِيد: ٢ / ٣١٥ طَبعَة الجَمَاليّة بمَصر.

أُنظر، بُلُوغ المَآرب فِي نَجَاة آبَائهِ عليهم السلام، وَعمّه أَبي طَالب، تَألِيف العَلاَّمَة السَّيِّد سُليمَان الأَزْهريّ اللاَّذقيّ، بِتَحقِيقنا، لتَجد مُنَاقَشة هَذَا الحَدِيث وَالآيَة. أُنظر، أَسنىٰ المَطَالب: ٢١، الطَّبقَات الكُبرَىٰ: ١ / ١٠٥، السِّيرَة الحَلبيَة: ١ / ٣٧٣، تَأرِيخ أَبن كَثِير: ٣ / ١٢٥، الإِصَابَة: ٤ / ١١٦، السِّيرَة الحَلبيَّة لدَحلاَن: ١ / ٩٠، السِّيرَة النَّبوِّيَة: ١ / ٨٤، أَسنىٰ المَطَالب: ٢١.

وَقَالَ: أَنَا أَمُوت عَلىٰ مِلَّة عَبدالمُطّلب، ثُمَّ مَات. أُنظر، بُلُوغ المَآرب فِي نَجَاة آبَائهِ عليهم السلام، وَعمّه أَبي طَالب، تَألِيف العَلاَّمَة السَّيِّد سُليمَان الأَزْهريّ اللاَّذقيّ، بِتَحقِيقنا، لتَجد مُنَاقَشة هَذَا الحَدِيث وَأَمثَاله. وأُنظر، المَوَاهب اللَّدُنيَّة بِالمِنَح المُحَمدِيَّة للقَسْطلاَني: ١ / ٦٢، الرَّوض الأُنف: ٤ / ٢٩، وَلَكنَّ المسعوديّ يَرَىٰ فِي عَبدالمُطلب، أَنَّه قَد قَالَ فِيهِ: أَنَّه مَات مُسْلماً لمَّا رَأىٰ مِن الدَّلاَئل عَلىٰ نبوّة مُحَمَّد ٩، وَعَلم أَنَّه لاَ يُبعَث إلاَّ بِالتَّوحِيد. وأُنظر، الحَاوي للفتَاوي: ٢ / ٢١٩، الإِصَابة: ٧ / ١٩٨، السُّنن الكُبرىٰ: ٤ / ٦٠، مِشكل الآثَار للطَّحاوي: ١ / ١٠٨، العِلل المُتنَاهية لِابْن الجَوزيّ: ٢ / ٤٢١، مُستَدرك الحَاكم: ١ / ٣٧٣، دَلاَئل النُّبوّة للبيهقي: ٢ / ٣٤٦، السِّيرَة النَّبوِّية لِابْن هِشَام: ٢ / ٥٩، دَار إِحيَاء التُّراث العَربي بَيرُوت، اَبن حَجر فِي فَتح البَارِي: ٧ / ١٩٣.

وَقَالَ عليه السلام بحَقّه: وَصَلت رَحمك وَجَزَاك الله خَيراً يَا عَمّ. أُنظر، بُلُوغ المَآرب فِي نَجَاة آبَائهِ عليهم السلام، وَعمّه ↔

وَمَا كَان النَّبيّ ليَأمر بتَجهيّز مَن أَشرَك وَأَلحَد، وَيَطلب لهُ مِن الله الرَّحمَة وَالرّضوَان... وَغَريب حَقّاً أَنْ يَحتَاج إِسلاَم أَبي طَالِب إِلَىٰ دَلِيل، وَأَنْ يَكُون مَحلاً للتَّساؤل، وَهُو الَّذي كَفَل رَسُول الله صَغِيرَاً، وَنَصرهُ كَبِيراً، وَلاَقىٰ مِن أَجلِهِ أَشدّ البَلاَء وَالعَنَاء، حَتَّىٰ أَنَّ أَحداً لَم يَطمَع برَسُول الله، وَأَنَّ الله لَم يَأمرهُ بالهِجرَة إلاَّ بَعد وَفَاة عَمّه أَبي طَالِب... غَريب أَنْ يَكُون إِسلاَم أَبي طَالِب مَحلاً للتَّساؤل، وَقَد اتَّفقت الكَلمَة عَلىٰ أَنّه لَولاَ أَبُو طَالِب لقُضي عَلىٰ دَعوَة مُحَمَّد، وَهي فِي المَهْد، وَلَم يَكُن للإِسلاَم عَينٌ وَلاَ أَثَر.

فَاطِمَة بِنت أَسَد

وَأَبُوهَا أَسد أَخُو عَبدالمُطّلب جَدّ النَّبيّ ﷺ فَهيَّ أَوَّل هَاشميَّة[1]. تَزوّجهَا هَاشمي، وَلَم يَتزوّج أَبُو طَالِب بغَيرهَا، وَوَلدت لَهُ طَالباً، وَلاَ عَقب لَهُ، وَعَقيلاً، وَجَعْفَراً، وعَلِيّاً، وَكُلّ وَاحد أَسنّ مِن الآخر بعَشر سنِين؛ وَأُمّ هَاني، وَاسمهَا

↔ أَبي طَالب، تَألِيف العَلاَّمَة السَّيِّد سُليمَان الأَزْهريّ اللاَّذقيّ، بِتَحقِيقنا، لتَجد مُنَاقَشة هَذَا الحَدِيث وَالآيَة. أُنظر، شَرح النَّهج لِابن أَبي الحَدِيد: ٤/ ٣١٤، مُعْجَم القبُور: ١/ ١٩١ و ٢٠٤، شَيخ الأَبطح: ٤٣، تَذكرَة الخوَاصّ: ١٠، إِيمَان أَبي طَالب: ١٠، الطَّبقَات الكُبرىٰ: ١/ ١٠٥، السِّيرَة الحَلبيَّة: ١/ ٣٧٣، أَسنَىٰ المَطَالب: ٣٥، تَأرِيخ ابن كَثِير: ٣/ ١٢٥، الإِصَابة: ٤/ ١١٦، الحُجَّة عَلىٰ الذَّاهب إلىٰ تَكفِير أَبي طَالب لِابن فَخَّار: ١٤٥.

(١) أُنظر، النَّعِيم المُقِيم لعِترَة النَّبأ العَظِيم، مُحمّد بِن عَبد الوَاحد المُوصليّ: ١٤٥، بِتَحقِيقنا، طُرُزُ الوَفَا فِي فَضَائل آل المُصْطَفىٰ: ٢٩٧، بِتَحقِيقنا، فرَائد السِّمطَين: ١/ ٣٢٨/ ٣٠٨، تَذكرَة الخوَاصّ: ٢٠، شَرح النَّهج لِابن أَبي الحَدِيد: ١/ ١٤، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة: ١/ ٧٥، المَنَاقب لِابن المغَازلي: ٦، المعَارف: ٢٠٣، يَنَابِيع المَودّة: ١/ ٤٦٧ هَامش ٨، الفُصُول المُهمَّة فِي مَعرفَة الأَئِمَة لِابن الصَّباغ المَالكي: ١/ ١٧٣، بِتَحقِيقنا.

فَاختَة[1].

وَلمَّا كَفَل أَبُو طَالِب مُحَمَّداً أَنْزَلتهُ مِن قَلبهَا مَنْزِلَة الأَحشَاء، وَجَعَلتهُ نَصب عَينيهَا، إِنْ غَاب عَنْهَا لَحظَة لَمْ يَغب مثَاله، وَلَم تَفْقد شَخصه، وَتَذهل عَن كُلّ شَيء، حَتَّىٰ يَحْضَر، فَتَشْتَغل بتَغذيَته، وَغَسْلَه، وَتَنظِيفه، وَتَلبِيسه، وَتَدهِينه، وَتَعطِيره، وَإِصلاَح شَأنه فَإِذَا كَان اللَّيل اشتَغلت بفَرشه، وَتَوسِيده، وَتَمهِيدَه، فكَانَت لاَ تَغْفَل عَنْهُ وَعَن خِدمَته لَحظَة فِي لَيلٍ وَلاَ نهَار، وكَان يُسميهَا أُمّي.

وَلمَّا تُوفِّيت كَفّنها رَسُول الله بقَمِيصه، وَأَمَر[2] مَن يَحفر قَبرهَا، فَلمَّا بَلَغوا اللِّحد حَفَره بِيَده، وَاضْطَجع فِيهِ، وَقَالَ، «أَللَّهُمَّ اغفر لأُمّي فَاطِمَة بِنْت أَسد، وَلقّنهَا حُجّتها، وَوَسّع عَلَيهَا مَدخلهَا، فَقِيل لهُ: يَا رَسُول الله! رَأينَاك صَنَعت شَيئاً لَمْ تَكُن تَصْنعَه بأَحد قَبلها، فَقَال أَلبَستُها قَميصي لتَلبس مِن ثيَاب الجَنّة، وَاضْطَجعتُ فِي قَبرهَا، ليُوسع الله عَلَيهَا، وَتَأمن ضَغط القَبر، أَنَّها كَانَت مِن أَحسَن خَلق الله صُنعاً إِليّ بَعد أَبي طَالِب»[3].

صَنَع النَّبيّ بهَا هَذَا وَفَاءً لإِحسَانهَا، وَاعترَافاً بجَمِيلهَا، وَمَع هَذَا فَقْد جَعَلهُ دُون إِحسَان عَمّه أَبي طَالِب، لأَنَّها أَحْسَنت إِلَيهِ بالذَات، وَعَمّه أَحسَن للإِسلاَم

---

(١) تَقدَّمت تَخرِيجَاته. أُنظر، كِتَاب «مَنَاقِب آل أَبي طَالِب»: ٢ / ١٩. لاَحظتُ، وَأَنَا أَتَتبع كُتبُ الفَضَائِل أَنَّ مَا مِنْ مَنْقَبة يَذكرهَا الشِّيعَة لأَهْل البَيْت إِلاَّ وفِي كُتب السُّنَّة مِثْلهَا.

(٢) أَمَر، أُسَامَة بن زَيد، وَأَبَا أَيُوب الأَنصَاري، وَعُمر بن الخَطَّاب، وَغُلاَماً أَسود. (مِنْهُ رحمه الله).

(٣) أُنظر، فَرَائد السّمطَين: ١ / ٣٢٨ / ٣٠٨، شَرْح النَّهج لاِبْن أَبي الحَدِيد: ١ / ١٤، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة: ١ / ٧٥ فِي الهَامش رَقم (٢)، المعَارف: ٢٠٣، يَنَابِيع المَودّة: ١ / ٤٦٧ هَامش ٨، الفُصُول المُهمَّة فِي مَعرفَة الأَئِمَة لاِبْن الصَّباغ المَالكي: ١ / ١٧٣، بِتَحقِيقنا، النَّعِيم المُقِيم لعِترَة النَّبأ العَظِيم، مُحمّد بِن عَبد الوَاحد المُوصليّ: ١٤٥، بِتَحقِّيقنا، طُرُزُ الوَفَا فِي فَضَائل آل المُصطَفىٰ: ٢٩٧، بِتَحقِّيقنا، تَذكرَة الخوَاصّ: ٢٠، المَنَاقب لاِبْن المغَازلي: ٦، وَكِتَاب «مَنَاقِب آل أَبي طَالِب»: ٢ / ١٩.

والمُسْلِمِين جَمِيعاً... وَلَولاَ دفَاع أَبي طَالِب وَسَيف وَلَده عَليّ لمَا قَام للْإِسـلاَم قَائِمَة، وَلمَا عَاش فِى ظلّه إِنْسَان... وَغَرِيبَة الغَرَائب أَنْ يَعْتَرف النَّبيّ بأَنَّ لعَـمّه حقُوقاً دُونهَا حقُوق الْأُمّهات عَلىٰ الْأَبْنَاء، ثُمَّ يَقُول مَن يَدّعي الْإِسلاَم: أَنَّه فِـي ضَحْضَاح مِن نَار[1]، لاَ لشَيء إِلاَّ لأَنَّ فِي هَذَا الْإِفترَاء مَسَّاً بعَليٍّ وخِلاَفَة عَليّ...

وَبالتَالي، فَإِنَّ عَلىٰ البَاحث المُنصف أَنْ يَضع هَذِه الحَقِيقَة فِي حسَابه، وَهُـو يَقرأ أَو يَسمع لمَن أَنْكَر إِسلاَم أَبي طَالِب... عَلَيهِ أَنْ يَقف مَوقف المُدَقق الَّـذي يَنْظر إِلَىٰ أَبعَد الْأَسبَاب وَالدَّوَافع، لاَ مَوقف الجَاهل المُـقلّد الَّـذي لاَ يَـعْرف إِلاَّ المَظَاهر، وَيُؤمن بِالكَلمَة المَطبُوعَة، لاَ لشَيء إِلاَّ لأَنّها مَطبُوعَة، وَكَفىٰ.

---

(١) بفَتْح الضَّاد المُعْجَمة بَعدهَا الحَاء المُهمَلَة السَّاكنَة: هُو فِي الْأَصل مَارقّ مِن المَاء عَلىٰ وَجْه الْأَرض مَا يَبلُغ الكَعبَين، فَأستعَاره للنَّار، ذكَره (اَبن الْأَثِير فِي حَرف الضَّاد) بَعد أَنْ ذَكَر الحَدِيث المَـذكُور.
وَحَدِيث الضَّحْضَاح، هَذَا الحَدِيث مِن الْأَحَادِيث المَوضُوعَة الَّتي وَضعهَا الوضَّاعُون لبَني أُميَّة خَاصَّة. فَقَد وَرَد فِي صَحِيح مُسْلم: ١ / ١٣٤ و ١٣٥ بَاب شَفَاعَة النَّبيّ ﷺ لأَبي طَالب. وَصَحِيح البُـخاريّ: ٢ / ٢٠١ بَاب قصّة أَبي طَالب.
أُنظر، تَرجَمَة روَاة الحَدِيث فِي تَهْذِيب التَّهذِيب: ٧ / ٤١، مِيزَان الْإِعتدَال للذَّهبي: ٣ / ٩٦ و ١٥١.
أُنظر، بُلُوغ المَآرب فِي نَجَاة آبَائه ﷺ، وَعَمّه أَبي طَالب تَأْلِـيف العَـلاَّمة السَّـيِّد سُـليمَان الْأَزْهـريّ اللَّاذقيّ، بتَحقِّيقنا. فَقَد عَالَج الحَدِيث المَوضُوع دَلاَلَة وَسنَداً.

الإِنْتسَاب إِلَىٰ النَّبيّ

لَيْسَ مِن شَكٍ أَنَّ القُرْبَىٰ مِن رَسُول الله ﷺ لَيْسَت بالشَّيء اليَسِير ، وَلَكن مَا هِي هَذِه القُرْبَىٰ ؟ . وَبَأي شَيء يَنَال الإِنْسَان شَرفهَا ؟ . هَل يَنَالهُ لمُجَرد الإِنْتسَاب بالولاَدَة إِلَىٰ مُحَمَّد ، أَو لاَبُدّ مِن شَيء آخر ؟ .

الجوَاب :

أَنَّ مَن آنْتَسب إِلَىٰ رَسُول الله بالوِلاَدَة أَشْبَه بمَن آنْتَسب إِلَىٰ الإِسلاَم ، لنُطقهِ بِالشَّهادتَين . . . فَمَن قَالَ : لاَ إِله إلاَّ الله ، مُحَمَّد رَسُول الله تَصحّ نِسْبَته شَرعَاً إِلَىٰ الإِسلاَم ، وَلَو فَعَل مَا فَعَل . . . وَكَذَا مَن وَلَدَته فَاطِمَة الزَّهرَاء عليها السلام تَصّح نِسبَتَه إِلَىٰ مُحَمَّد وَاقعَاً ، وَلُغَة ، وَعُرفَاً ، وَلَو كَان بَيْنَهُ وبَيْنَهُ أَلف وَاسطَة وَوَاسطَة[1] .

وَلَكن إِذَا اَعتُبر الإِسلاَم الشَّهادَتَين أَسَاسَاً وَرُكناً مِن أَركَانه ، فَلَيْسَ مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّ هَذِه هي حَقِيقَة الإِسلاَم ، وَكَفىٰ ، وَأَنَّه فِي وَاقعة لاَ يَعدُو الشَّكل وَالكَلاَم ، كَيف ؟ . وَلَو كَانَت هَذِه حَقِيقَته ، وَهَذَا وَاقعَه لإِستَوىٰ عِند الله سُبْحَانَهُ الأَئِمَّة وَالمُقلّدُون ، وَالمُجَاهدُون ، وَالمُتخلفُون مَا دَامُوا جَمِيعَاً يَشهدُون لله بِالوحدَانيَة ، وَلمُحَمَّد بالرّسَالَة .

---

(١) وَقِيل : مَع كَثرَة الوَاسطَات تَصّح النِّسبَة لُغَة ، لاَ عُرفَاً ، لأَنَّهُ مَع بُعد الزّمن وَطُول السّلسلَة تَكُون النِّسبَة إِلَىٰ الجَدّ الأَوّل تَمَامَاً كَنسبَة أَبنَاء هَذَا الجَيل وَمَن بَعدَه إِلَىٰ أَبي البَشَر آدَم .

أَنَّ المُسْلِم مِنْهُ العَالِم وَالجَاهل، ومِنْهُ العَادِل وَغَير العَادل، وَمِنْهُ المُجَاهد وَالقَاعد، وَلكُلّ دَرَجَته وَمَرتَبته عِند الله سُبْحَانَهُ، وَأَحْكَامه الخَاصّة فِي هَذِه الحَيَاة... فَالعَالِم يُرْجَع إِلَيهِ فِي مَعْرفَة الشَّريعَة وَفصل الخُصُومَات، وَالعَادل يؤتَّم بِهِ فِي الصَّلاَة، ويُؤخذ بحَدِيثه وَشهَادته، وَالمُجَاهد يُعطي الأَفْضليَّة فِي كَثِير مِن الحقُوق المَاديَّة وَالأَدَبيَّة.

أَجل، هُنَاك آثَار وَأَحْكَام تَعم الجَمِيع بالسَّوَاء، وَبدُون اَسْتثنَاء، فكُلّ مَن قَالَ: لاَ إِله إِلاّ الله مُحَمَّد رَسُول الله حَفَظ مَاله وَدَمه، وَجَرت عَلَيهِ أَحكَام الزَّوَاج وَالمَوَارِيث، وكَان لهُ مَا للمُسلِمين، وعَلَيهِ مَا عَلَيهم فِي الشُّؤون العَامّة... وَكَذَلِكَ مَن اَنْتَسب بالولاَدَة مِن طَرِيق الأَب إِلَىٰ هَاشِم مِنْهُ الصَّالح وَالطَّالح وَلُكلّ دَرَجَته وَأَحكَامه الخَاصّة، وَيَشتَرك الجَمِيع فِي بَعْض الأَحْكَام مِن أَخذ الأَخمَاس، وَالنُّذُورَات، وَالأَوقَاف الخَاصّة بالسَّادَات المُنْتَسبين، وَحرمَان المُنتَسب مِن الزَّكَاة إِلاَّ مِن مُنْتَسب مِثْلَه[1]. هَذَا مَا يَمتَاز بهِ المُنْتَسب عَلىٰ غَيره... يَأخُذ مِن أَموَال الأَغْنيَاء مَا يَسد بِهِ حَاجَته وَكَفىٰ... أَمَّا أَنْ يَفْخَر وَيَعتَز، أَمَّا أَنْ يَشمَخ وَيَعلُو لمُجَرد الإِنْتسَاب فَلاَ.

وَهُنا سُؤال يَفْرض نَفْسه، وَهُو إِذَا كَان الأَمر كَذَلِك، فَعَلاَم أَمر الله وَرَسُوله بمَودّة القُرْبىٰ وَطَاعتهُم وَالتَّمسك بحَبْلِهم؟.

وَنَجد الجَوَاب فِي خُطبَة خَطَبها الحُسَين عليه السلام فِي مَكّة وَهُو مُتوجّه إِلَىٰ العِرَاق،

(١) يَقُول الشِّيعَة: أَنَّ لله حقُوقاً فِي أَموَال الأَغْنيَاء تُنْفَق عَلىٰ المَعوزين، وَفِي وَجُوه البِر وَالصَّالح العَام، وَيُقسمُون هَذِه الحُقُوق عَلىٰ نَوعَين: نَوع يُسمّونَهُ الزَّكَاة، وَآخر يُسمّونَهُ الخُمس، وَللفَقِير المُنْتَسب إِلَىٰ هَاشِم مِن طَرِيق الأَب إِنْ يَأخذ مِن الخُمس، سوَاء أَكَان الغَني الَّذي يُعطي الخُمس مُنْتَسباً أَو غَير مُنْتَسب، أَمّا الزَّكَاة فَلَيس للمُنْتَسب أَنْ يَأخذ مِنْهَا إِلاَّ إِذَا كَان المُعطي لهَا مُنْتَسباً مِثْل الآخذ.

فَقَد جَاء فِيهَا: «الحَمد لله مَا شَاء الله، وَلاَ قُوّة إلاَّ بِالله، وَصلّىٰ الله عَلىٰ رَسُوله، خُطَّ المَوت عَلىٰ وِلد آدم مَخَطّ القِلاَدَة عَلىٰ جِيد الفَتَاة، وَمَا أَوْلَهني إِلىٰ أَسلاَفِي اَشتِيَاق يَعقُوب إِلىٰ يُوسُف وَخَير لِي مَصْرَع أَنَا لاَقِيه، كَأَنّي بِأَوصَالي تَقْطَعهَا عُسلاَن الفَلوَات بَيْن النَّواوِيس، وكَرْبُلاَء فَيَملأنَّ مِنّي أَكرَاشاً جُوفا، وَأَجربَة سَغْبا، لاَ مَحِيص عَن يَوْم خُطَّ بِالقَلم، رِضَا الله رِضَانَا أَهْل البَيْت نَصْبر عَلىٰ بَلاَئِهِ وَيُوفِينا أُجُور الصَّابرِين، لَنْ تَشُذَّ عَن رَسُول الله لُحْمَته بَل هِي مَجْمُوعَة لهُ فِي حَظِيرَة القُدس تقرّ بِهم عَيْنه، وَيُنْجز بِهم وَعْدَه، مَن كَانَ بَاذِلاً فِينَا مُهْجَتَه، وَمُوطِّناً عَلىٰ لقَاء الله نَفْسه فَلْيَرحَل مَعَنا فَإِنّني رَاحل، مُصْبِحاً إِنَّ شَاء الله تَعَالىٰ» [١].

فَالقُرْبَىٰ الَّذِين أَمر الله بمَودّتِهم وَطَاعتِهم هُم أَهْل بَيْت الرَّسُول خَاصّة، وَلَيْسَ كُلّ مَن اَنْتَسب إِلىٰ النَّبيّ أَو إِلَىٰ جَدّه هَاشِم بالوِلاَدَة.. وأَهْل بَيْته هُم الَّذِين لاَ يَشذُون عَنْهُ فِي قَولٍ أَو فِعلٍ، هُم المَثل الأَكمَل لشَخص الرَّسُول وَعُلُومه وَأَخلاَقه، وَجَمِيع مَبَادئه، فَإِذَا تَكلمُوا نَطقُوا بلسَانه، وإِذَا فَعَلوا عَبّرُوا عَن رِسَالَته، وَلاَ شَيء أَدَل عَلىٰ ذَلِكَ مِن حَدِيث الثَّقلَين الَّذِين أَوجَب التَّمسك بِهم، تَمَاماً كَمَا أَوجَب التَّمسك بكتَاب الله عزَّوجلّ.

وَهَل لمُنْتَسب ـ غَير الأَئِمَّة الأَطْهَار ـ أَنْ يَدّعي ويَقُول تَجب مَوَدّتي وَطَاعَتي عَلىٰ النَّاس مُحتجّاً بهَذَا الحَدِيث وَآيَة التَّطهِير وَمَا إِلَيهمَا؟..

أَنَّ الَّذِين تَجْب طَاعتهُم وَمَودّتهُم هُم آل البَيْت الَّذِين حَدّدهُم سَيِّد الشُّهدَاء بقَوله: «رِضَا الله رِضَانَا أَهْل البَيْت» ثُمَّ أَومَأَ إِلَىٰ سَبَب هَذَا الرِّضا بقَوله: «لَنْ تَشُذَّ عَن رَسُول الله لُحْمَته» فَهُم مِن الرَّسُول، وَالرَّسُول مِنْهُم، وَهُو لاَ يَغْضَب وَلاَ

---

(١) تَقَدّمت تَخرِيجَاته.

يَرضىٰ إلاَّ لله فهُم كَذَلِكَ، حَيث لاَ شذُوذ وَلاَ ٱنْفصَال.

وَبالتَّالي، فَإِنَّ الاْنْتسَاب إِلَىٰ النَّبيّ بِالاْسم وَاللَّفظ يَصحّ لمُـجَرد الوِلاَدَة، أَمَّـا الاْنْتسَاب إِلَيهِ بالرُّوح فيَبحث ـ أَوَّلاً وقَبْلَ كُلّ شَيء ـ عَن دَلاَئِـلهِ فِـي النَّـوَايَـا وَالأَعمَال الَّتي تُرضي الله سُبْحَانَهُ، لاَ فِي سِلسلَة الآبَاء والأَجْدَاد.

فِي بَيْتِ فَاطِمَة

وُلدَت زَيْنَب الحَورَاء فِي بَيْت لاَ شَيء فِيهِ مِن الدُّنْيَا وَزُخرفهَا، وَفِيهِ مِن التُّقىٰ وَالصَّلاَح كُلّ شَيء... رَأت النُّور فِي هَذَا البَيْت الطَّاهر الَّـذي ضَـمَّ أَبَـاهَا سَـيِّد الوَصيِّين، وَأُمّـها سَـيِّدَة نِسَـاء العَـالَمِين[1]، وَأَخـويهَا رَيـحَانَتي رَسُـول رَبّ العَالَمِين[2].. اَستَقبل بَيْت فَاطِمَة أَبْنَاءه الثَّلاَثَة فِي ثَلاَث سَنوَات: الحَسَن سَـنة (٣ هـ)، والحُسَين سَنَة (٤ هـ)، وزَيْنَب سَنَة (٥ هـ)[3].

---

(١) أُنظر، مُسْنَد أَحمَد: ٥ / ٣٩١، و: ٣ / ٣ و ٦٢ و ٨٢، صَحِيح التّرمذي: ٢ / ٣٠٦، و: ٥ / ٣٢٦ بَـاب ١١٠ ح ٣٨٧٠، كَنز العُمّال: ١٢ / ١١٢ و ٦ / ٢١٧ و ٢١٨، تَأرِيخ دِمَشق: ٧ / ١٠٢.

(٢) هَذِه الكَلمَة مَأخُوذَة مِن سُورَة ٱلْوَاقِعَةِ ٨٨ و ٨٩: ﴿فَأَمَّآ إِن كَـانَ مِـنَ ٱلْـمُقَرَّبِينَ فَـرَوْحٌ وَرَيْـحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾. وَيُشِير إِلَيها بِقَوله «مِن الدُّنيَا» فهُو رَيحَانة رَسُول الله فِي الدُّنيَا فِي قِبَال رَيحَان الجَنَّة فِي الجَنَّة للمُقَربِين. أُنظر، مَطَالب السّؤول فِي مَنَاقب آل الرَّسول: ٢٤٠، صَحِيح البُخاري: ٢ / ١٨٨، و: ٤ / ٢١٧، سُنن التّرمذي: ٥٣٩، خَصَائص النّسَائي: ٢٦، الإِسْتِيعَاب: ١ / ٣٨٥. صَحِيح التّرمذي: ٢ / ٣٠٦، ٥ / ٣٢٢ / ٣٨٥٩، البُخاري فِي الأَدَب المُفرد: ١٤، مُسْنَد أَحْمَد: ٢ / ٨٥ و ٩٣ و ١١٤ و ١٥٣، مُسْند الطَّيالسِي: ٨ / ٢٦٠، حِليَة الأَوليَاء: ٥ / ٧٠، و: ٣ / ٢٠١، خَصَائص النّسَائي: ٣٧، فَتح البَاري فِـي شَـرْح البُـخَاري: ٨ / ١٠٠، كَـنْز العُـمّال: ٦ / ٢٢٠ ـ و ٢٢٢، و: ٧ / ١٠٩ و ١١٠، و: ١٢ / ١١٣ / ٣٤٢٥١، مَجْمَع الزَّوَائِد: ٩ / ١٨١، ذَخَائر العُقبىٰ: ٤١، مُسْتَدرك الصَّحِيحَين: ٣ / ١٦٥، الرِّيَاض النَّضره: ٢ / ٢٣٢، الصَّوَاعق المُحرقَة: ١٩١ ب ١١ فصل ٣، مَودَّة القُربىٰ: ٣٤، يَنَابِيع المَودّة: ٢ / ٤٨ و ٣٧ و ٣٢٩، و: ٣ / ١٠ طَبعَة أُسوَة.

(٣) تَقَدَّمت تَخرِيجَاته. وَأُنظر، السِّيرَة لِابن إِسحَاق: ٢٢٦، صَحِيح البُخَاري: ٣ / ١٣٦٠ ح ٣٥٠٦ و:

وَكَان النَّبيّ صلى الله عليه وآله لاَ يَصْبر عَن بَيْته هَذَا، وَلاَ يَشْغله عَنْهُ شَاغل، بخَاصّة بَعد أَنْ نَبتت فِيهِ رَيَاحِينه.. فَإِذَا دَخَله قَبْلَ هَذَا، وَشمَّ ذَاك، وَٱبْتَسم لتِلك.. وَدَخلهُ ذَات يَوْم فَأَخذ الحَسَن وَحَمله، فَأَخذ عَليّ الحُسَين وَحَمله، فَأَخذت فَاطِمَة زَيْـنَب وَحَملتهَا[1]، فَٱهْتَزّت أَركَان البَيْت طَرباً لجَو الصَّفوَة المُختَارَة، وَٱبتهَاج الرَّسُول بآلِهِ، وَٱبْتهَاجهم بِهِ... وَتَدُلنا هَذِهِ الظَّاهِرَة وَكَثِير غَيرهَا أَنَّ مُحَمَّداً كَان أَكْثَر الأَنْبيَاء غبطَة وَسعَادة بأَهل بَيْته، كمَا أَنّه كَان أَشدّهُم بلاَء بقَومه مِن أَمثَال أَبي جَهْل، وَأَبي سُفْيَان.

وُلدت الحَورَاء فِي هَذَا البَيْت، حَيث كَان النَّبيّ يَبْتَهج، وَيَنْعَم فِيهِ بالسَّكينَة وَالإِطمِئنَان، وَرَضعَت مِن ثَدي الطُّهر، مِن بَضعَة الرَّسُول الأَعْظَم، وَدرجَت مَع أَخَويهَا سَيِّدي شبَاب أَهْل الجَنّة[2]، وَأَخذَت العِلم عَن أَبيهَا بَاب مَدِينَة العِلم[3]،

↔ ٤/١٥٥٥ ح ٤٠١٦ و: ٥/٢٤، تَهذيب الكَمَال: ١٤/٣٦٩، الإِسْتِيعَاب: ١/٢٤٢، الطَّبقَات الكُبْرىٰ: ٤/٣٩، الإِصَابَة: ١/٤٨٧، تَهذيب الأَسمَاء: ١/١٥٥، التَّرغِيب والتَّرهِيب: ٢/٢٠٦ ح ٢١١٧، مَجمَع الزّوائد: ٩/٢٧٣، المُعْجَم الكَبِير: ٢/١٠٧ ح ١٤٦٧ و: ١١/٣٦٢ ح ١٢٠٢٠، أَنسَاب الأَشرَاف: ٢/١٨٩، تَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢/٢١٣، تَأرِيخ الطَّبري: ٥/١٥٣.

(١) أُنظر، بحَار الأَنوَار: ١٠/٥٨. (مِنهُ رحمه الله).

(٢) تَقدَّمت تَخرِيجَاته.

(٣) لقَد وَصل إِلينَا حَدِيث «أَنَا مَدِينة العِلْم وَعَليّ بَابهَا» متوَاتراً عَن طَرِيق الشّيعَة، وَالسُّنّة كَمَا صَرح بذَلِكَ أَكثَر الفُقَهَاء، والعُلَمَاء، وأَصْحَاب الحَدِيث، والسُّنن مَع وجُود بَعض الإِختِلاَف فِي اللَّفظ. أُنظر، تَأرِيخ دِمَشق/تَرجمَة الإِمَام علي عليه السلام: ٣/٤٦٧، والمنَاقِب لاِبْن المغَازلي: ٨١، وصَحِيح التِّرمِذي: ٢/٢٩٩ ح ٣٨٠٧، سُنن التِّرمِذي: ٥/بَاب ٨٧/ ٣٠١، وَأَخرجَه الطّبراني فِي المُعْجَم الكَبِير: ٣/١٠٨، و: ١١/٥٥/١١٠٦١ عن ٱبن عبّاس، الحَاكِم فِي المنَاقِب: ٢٢٦، مُسْتَدرَك الصَّحِيحَين: ٣/١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٩، أَسنىٰ المطَالِب للجَزري: ٧٠ و ٧١، تَأرِيخ بَغدَاد: ١١/٢٠٤ و ٤٨ و ٤٩ و: ↔

ثُمَّ خَرَجت مِن هَذَا البَيْت لتَسْتَقبل مَا تُخبئَهُ لهَا الأَيَّام بصَدرٍ أَوسَع مِن الفَضَاء، وَقَلبٍ أَثبَت مِن الجِبَال الرَّاسيَات... وَلَيْسَ هَذَا بغَريب مِن السَّيِّدَة الحَورَاء مَا دَام البَيْت الَّذي نَشَأت فِيهِ يَتّجه بهَا إِلَىٰ سَبِيل خَاتم النَّبيِّين، وَسَيِّد المُرسَلِين.

وَقَد رَوىٰ الرُّوَاة أَنَّ آمرَأة أَصلهَا مِن الهِند تُسمّىٰ فضَّة كَانَت تَختَلف وَتَتَرَدَّد إِلَىٰ بَيْت فَاطِمَة تُعِينهَا عَلَىٰ بَعْض الأَعمَال البَيْتيَة، وَأَنَّها أَصبَحَت بَعد ذَلِكَ مِن القَانتَات الصَّالحَات، فَكَيف بمَن كَان مِن هَذَا البَيْت فِي الصَّمِيم؟... وَمَا يُحكىٰ عَن فضّة هَذِه أَنَّها بَقِيَت بَعد سَيِّدتها فَاطِمَة عِشرِين عَامَاً لاَ تَتَكلم إِلاَّ بالقُرآن...

↔ ٢/٣٧٧ و: ٤/٢٤٨، و: ٧/١٧٢، لِسَان المِيزَان لِابْن حَجَر: ١/١٩٧ تَحت رَقم ٦٢٠، الصَّوَاعِق الْمحرِقَة: ٧٣ و ١٢٠ و ١٢٢/٩ طَبعَة الْمحَمَّدية أَورَد الْحَدِيثَين «أَنَا مَدِينَة العِلْم...» و «أَنَا دَار آلحِكْمَة...».

وأُنظر تَهْذِيب التَّهذيب: ٦/ ٣٢٠، و: ٧/٤٢٧، تَذكِرة الحفَّاظ: ٤/٢٨ طَبعَة حَيْدَرآبَاد، الفِرْدَوْس لأَبي شجَاع الدَّيلمي: ١/٧٦/١٠٩، مَوَدَّة القُربىٰ: ٢٤، مصَابِيح السُّنَّة للبَغوي: ٢/٢٧٥، الجَامِع الْصَّغِير للسّيوطي: ١/ ٣٧٤ ح ٢٧٠٥ و ٢٧٠٤ طَبعَة مُصطفىٰ مُحَمَّد، مُنْتَخَب كَنز الْعُمَّال بهَامش مُسْنَد أَحْمَد: ٥/ ٣٠، وَكَنز الْعُمَّال: ٦/١٥٢ و ١٥٦، و ١١/ ٦١٤/ ٣٢٩٧٩، و ٦٠٠/ ٣٢٨٨٩، و: ١٣/١٤٧/ ٣٦٤٦٢ و ٣٦٤٦٣، و: ١٥/ ١٢٩/ ٣٧٨ الطَّبعة الثَّانِيَة، آلْفَتْح الْكَبِير للنَّبهاني: ١/ ٢٧٢ و ٢٧٦، البدَاية والنِّهَايَة لِابْن كَثِير: ٧/ ٣٥٨، مَجْمَع الزّوائد للهَيثمي: ٩/ ١١٤، حليَة الأَوْلِيَاء: ١/ ٦٤ و ٦٣، فرَائد السِّمطَين: ١/ ٩٨، شوَاهد التَّنزيل للحَافظ الحَسكَاني: ١/ ٣٣٤/ ٤٥٩ و ٨١/ ١١٨ و ٨٢/ ١١٩ و ١٢٠ و ١٢١ طَبعَة أُخرىٰ، الرِّيَاض النَّضرة: ٢/ ١٩٣ و ٢٥٥ الطَّبعة الثَّانِيَة.

وَرَاجع فَضَائِل الْخَمْسَة: ٢/ ٢٤٨ و ٢٥٠، جَامع الأُصُول: ٩/ ٤٧٣/ ٦٤٨٩، شَرح النَّهج لِابْن أَبي آلحَدِيد: ٢/ ٢٣٦ طَبعَة بَيْرُوت، و: ٧/ ٢١٩ طَبعَة مِصر بتَحقِّيق مُحَمَّد أَبو الْفَضْل، مِيزَان الإِعْتِدَال للذَّهبي: ١/ ٤١٥ و ٤٣٦ تَحت رَقم ٤٢٩، و: ٢/ ٢١٥، و: ٣/ ١٨٢، و: ٤/ ٩٩، أُسد الغَابَة: ٤/ ٢٢، تَأرِيخ دِمَشْق لِابْن عسَاكر الشَّافعي /تَرجمَة الإِمَام عَلي ﷺ: ٢/ ٤٥٩/ ٩٨٣ و ٤٦٤ و ٤٧٦ حَدِيث ٩٨٤ و ٩٨٦ و ٩٩٧.

قَالَ صَاحِب البِحَار:

أَنَّ فضّة حَجّت مَع أَرْبعَة مِن أَولاَدهَا، وَٱنْقَطعَت فِي الطَّرِيق عَن القَافلَة، فرَآها رَجُل مِن عَرب البَاديَة، وقَبْلَ أَنْ يُسَلّم قَالَ لهَا:

مَن أَنْتِ؟.

فَتلَتْ قَولَه تَعَالىٰ: ﴿وَقُلْ سَلَـٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[1].

فَسَلَّم الرَّجُل، وَقَالَ: مَا تَصْنَعِين هُنا؟.

فَتلَتْ: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[2].

فَقَال: أَمِنَ الجِنّ أَنْتِ أَم الإِنْس؟.

فَتلَتْ: ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ﴾[3].

قَالَ: أَينَ تَقْصدِين؟.

فَتلَتْ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾[4].

قَالَ: مَتىٰ ٱنْقَطَعتِ عَن القَافلَة؟.

فَتلت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[5].

قَالَ: أَتَشْتَهِين طعَامَاً؟.

فَتلَتْ: ﴿وَمَا جَعَلْنَـٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾[6].

---

(١) ٱلزُّخْرُف: ٨٩.

(٢) ٱلزُّمَر: ٣٦.

(٣) ٱلْأَعْرَاف: ٣١.

(٤) آل عِمْرَان: ٩٧.

(٥) سُورَة ق: ٣٨.

(٦) ٱلْأَنبيَاء: ٨.

فَأَطْعَمهَا، ثُمَّ قَالَ لهَا: عَجْلي بِالسَّير مَعي.

فَتَلَتْ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[١].

فَقَال: أَردُفكِ خَلْفي عَلىٰ النَّاقلَة؟

فَتَلَتْ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[٢].

فَنَزل وَأَرْكَبهَا.

فَتَلَتْ: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا﴾[٣].

وَحِين أَدرَك الرَّكب قَالَ لهَا: أَلَكِ أَحد فِيهِ؟.

فَتَلَتْ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾[٤]. ﴿يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ﴾[٥].

﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[٦]. ﴿يَـٰدَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٧].

فَصَاح الرَّجُل بهَذِه الأَسمَاء، فَأَتىٰ أَرْبَعَة شبَاب، فَقَال لهَا: مَن هَؤلَاء؟.

فَتَلَتْ: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[٨]، ثُمَّ التَفَتتَ إِلَىٰ أَبْنَائهَا الأَرْبَعَه، وَتَلَتْ ﴿يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾[٩]. فَأَعطَوه بَعْض

---

(١) ٱلبَقَرَة: ٢٨٦.

(٢) ٱلْأَنبِيَاء: ٢٢.

(٣) ٱلزُّخْرُف: ١٣.

(٤) آل عِمْرَان: ١٤٤.

(٥) مَرْيَم: ١٢.

(٦) ٱلْقَصَص: ٣٠.

(٧) سُورَة صَ: ٢٦.

(٨) ٱلْكَهْف: ٤٦.

(٩) ٱلْقَصَص: ٢٦.

الشَّيء، فَٱسْتَقَلته فضّة، وَتلت: ﴿وَٱللَّهُ يُضَـٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾[١] فزَادُوه.

وَسَأل الرَّجُل الشَّبَاب الأَرْبعَة عَن عَادَة أُمّهُم هَذِه؟

فَقَالُوا: هَذِه فضّة جَاريَة الزَّهرَاء، وَمَا تَكلمَت إلاَّ بالقُرآن مُنذ (٢٠) عَامَاً[٢].

بَقِيَت زَيْنَب مَع أُمّها سِت سنوَات، ويَقُول عُلمَاء النَّفس التَربَوي: أَنَّ الطِّفْل بَعد أَنْ يَتم الثَّالثَة تَبدَأ مَرحَلَة التَّوافق بَيْنَهُ وبَيْنَ بِيئَته، وَالتَّمييز بَيْنَ الأَلفَاظ وَالمَعَاني، وَأَنَّ نُمُوّه العَقلي فِي هَذِه السِّن يَتّجه بصَاحبِهِ إِلَىٰ كَشف مَا يُحِيط بِهِ مِمَّا يَرىٰ وَيَسمع، وَأَنَّ هَذِا الكَشف يَترك آثاراً تَعْمل عَمَلها فِي نَفْس الطِّفْل إِلَىٰ آخر يَوْم فِي حَيَاته.. وكَانَت زَيْنَب تَرىٰ ـ فِي هَذِه المَرْحَلَة ـ أُمّها فَاطِمَة تَقُوم للصَّلاَة، حَتَّىٰ تَتورَم قَدمَاها، وَتَبيتُ عَلىٰ الطّوىٰ هِي وَصِغَارها، وَتُطعم الطَّعَام ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[٣]، وَتَلبَس الثِّياب الخَلقه، وَتَكسُوا الفُقرَاء جَدِيد المَلاَبس[٤].

رَآهَا سَلمَان الفَارسي[٥] مَرّة، فَبَكىٰ، وَقَالَ: «أَنَّ قَيْصَر وَكِسرىٰ فِي السُّندس

---

(١) ٱلبَقَرَة: ٢٦١.

(٢) أُنظر، بحَار الأَنوَار: ١٠/٢٦. (مِنْهُ ﷺ). و: ٤٣/٨٦ ح ٨، مَناقب آل أَبي طَالب: ٣/١٢١.

(٣) ٱلإِنْسَانِ: ٨.

(٤) أُنظر، دُرَر السّمط فِي خَبر السِّبط: ٦١، شوَاهد التَّنزِيل: ٢/٣٣٢ و ٤٠٣، أَسبَاب نزُول الآيَات، الوَاحدي: ٢٩٦، زَاد المَسِير: ١/٣٢١، الدُّر المَنثُور: ٦/٣٩٩.

(٥) هُو مِن نَسْل المُلُوك، وجَدّ آبَائِه «منُوجهر» مُؤسّس الدَّوْلَة الثَّانِيَة مِن دوْل الفُرس القَدِيمَة، ولكنَّ سَلْمَان يَرفض الاِنْتسَاب لِغَير الإِسْلاَم، وكَان يَقول: أَنَا ٱبن الإِسْلاَم، أَعْتَقَني الله بِمُحَمَّد، ورَفَعنِي بِمُحَمَّد، وأَغْنَانِي بمُحَمَّد، وصلّىٰ الله عَلىٰ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، فهَذا حَسْبي ونَسَبي. هُو منُوجهر بن مُحَمَّد بن تركَانشاه، أَبُو الفَضْل بن أَبِي الوَفاء. أُنظر مُختصر ٱبن الدَّبيثي: ٣٥٠، العِبر: ٤/٢٢٦، بُغية ↔

الوعَاة: ٣٩٩، ويَظهر مِن بَعْض المُؤرخِين هُو زَرَادَاشت، كمَا يَظهر مِن سؤالآت حَمْزَة للدّار قُطني: ٥٠، فَهرست مُنْتَخب الدِّين: ١٥٢ و ٣٥١، ذِيل تَأريخ بَغدَاد: ٢ / ٥١، تَذكرة الحفَاظ: ٢ / ٧٦٥، سَير أعْلاَم النُّبلاء: ١ / ٥٥٥، ويَظهر مِن تَرجمته أنّه كَان أديباً فَاضلاً صَادقاً، حَسن الطَّرِيقة صَدوقاً. أُنظر المُستفاد مِن ذَيل تَأرِيخ بَغدَاد لِابْن الدّمياطي: ١ / ١٧٥، تَأرِيخ ابن خَلدون: ٤ / ٤٩٨، مُعجم الأُدباء: ١٩ / ١٩٦.

وأَقرّه مُحمَّد عَلىٰ هَذَا الحَسَب والنَّسب، وَقَالَ: «سَلْمَان مِنَّا أَهْل الْبَيْت». وكَان يُقَال لهُ: سُلِيْمان المُحمَّدي، وسَلْمَان الْخَيْر، وسَلْمَان ٱلْحِكْمَة والعِلم، وسَلْمَان بَاك أي النَّظِيف فِي لُغَة الفُرس، والطَّيِّب، والطَّاهِر، وصَاحِب الكِتَابِين: الْقُرآن، والْإِنْجِيل.

مَكَانَتهُ:

كَان مِن رُؤُوس الْصَّحَابَة، وأَقْطَابهُم عِلمَاً، وتُقىً، وجِهاداً، وكَان عِند رَسُول الله ﷺ الخَلِيل الأَثِير. قَالَ ٱبن عَبد البر فِي «الإِسْتِيعَاب»: ٢ / ٥٦ طَبعَة سَنَة ١٩٣٩م:

وروىٰ أَبُو بُردة عَن أَبِيه عَن النَّبيّ أنّه قَالَ: «أَمَرَني رَبّي بِحُبّ أَرْبَعَة، وأَخْبَرني أنّه يُحبّهم، وهُم عَليّ، وسَلْمَان، وأَبُو ذَرّ، وَالمُقداد». أُنظر، سُنن التِّرمِذي: ٥ / ٢٩٩ ح ٣٨٠٢، طَبعة دَار الْفِكْر، أُسد الغَابَة: ٥ / ٢٥١ ح ٥٠٦٩، مُسْنَد أحمد: ٥ / ٣٥١، تَأرِيخ الْإِسْلام للذَّهبي: ٢ / ٤٠٩، جَامع الأُصول لِابْن الأثِير: ٨ / ٥٧٩ ح ٦٣٩٣، الصَّوَاعِق الْمحرِقَة: ١٢٢، تَأرِيخ ٱبن عسَاكر: ٦ / ١٩٨ و: ٢١ / ٤٠٩ و: ٦٠ / ١٧٥ و: ٦٦ / ١٨٩، سُنن ٱبن مَاجه: ١ / ٥٣ ح ١٤٩، مَجْمَع الزَّوائِد: ٩ / ١٥٥، الْمُعْجَم الأوسَط: ٧ / ١٥٦، كَنز العُمَّال: ١١ / ٦٣٩ ح ٣٣١١١، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغير: ٢ / ٢٧١ ح ١٦٩٢، تَهذِيب التَّهذيب: ١ / ٢٨٦ طَبع حَيْدَر آبَاد الدِّكن، تَهذِيب الأَسماء واللُّغات: ٢ / ١١٢ طَبع المُنِيرية بِمصر، كُنىٰ البُخَاريّ: ٣١ الرَّقم «٢٧١»، تَهذِيب الكَمَال: ١١ / ٢٥١ و: ٢٨ / ٤٥٦ و: ٣٣ / ٣٠٦، سَير أَعْلام النُّبلاء: ٢ / ٦١، الْإِصَابَة: ٦ / ١٦٦، مَنَاقب الخَوَارزمي: ٧٥، مُستدَرك الْحَاكِم: ٣ / ١٣٠، حليَة الأَولياء: ١ / ١٩٠، فَضَائِل الْصَّحَابَة لأَحْمَد بن حَنبل: ٢ / ٦٨٩، سُبل السَّلام: ١١ / ٢٩١، ينَابيع المَوَدَّة: ١ / ٣٧٥ و: ٢ / ٨٩ و: ٣ / ١٤٢.

وعَن الْإِمَام أَمِير الْمُؤمِنِين أنه قَالَ: «أَنَا سَابق الْعَرَب، وسَلْمَان سَابق الفُرس، وَصُهيب سَابق ٱلرُّوم، وبِلاَل سَابق الحَبش، وخَبَّاب سَابق النَّبط». أُنظر، المُسْتَدرَك عَلىٰ الصَّحِيحَين: ٣ / ٢٨٥، مَجْمَع الزَّوائد: ٩ / ٣٠٥، المُصَنَّف لعَبدالرَّزاق الصَّنعاني: ١١ / ٢٤٢ ح ٢٠٤٣٢، الْمُعْجَم الصَّغير: ١ / ١٠٤،

↔ الْمُعْجَم الأَوسط: ٣ / ٢٤١، الْمُعْجَم الكَبِير: ٨ / ٢٩و: ٢٤ / ٤٣٥، تَأرِيخ المَدِينة: ٢ / ٤٧٩، سُبل السَّلام: ١ / ٤٦٨، تَقرِيب التَّهذيب: ٢ / ٥٨٧، الإِصَابَة: ٣ / ٣٦٥، أُسد الغَابَة: ٣ / ٣١، سير أَعْلام النُّبلاء: ١ / ٣٤٩و: ٨ / ٥٣٠، مِيزَان الإِعتدال: ١ / ٣٣٦، الكَامِل لِابْن عَدي: ٢ / ٧٥و: ٧ / ١٦٧، تَأرِيخ دِمشق: ١٠ / ٤٤٨و: ٢٤ / ٢٢٠، الدُّر المنثُور: ٦ / ١٥٤، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغير: ٣ / ٥٧ ح ٢٦٩٥ و: ٤ / ١٧٧ ح ٤٧٩٣، كَنز العُمَّال: ١١ / ٤٠٨ ح ٣١٩٠٩ و ٣٣١٣٣ و ٣٣٦٧٦، مُسْنَد الشَّامِيين: ٢ / ١١، الجَامِع الصَّغير: ١ / ٤١٣ ح ٢٦٩٥ و: ٢ / ٦٦ ح ٤٧٩٣.

زَوْجَتَهُ وَأَوْلاَدهُ:

تَزَوَّج عَرَبِية تُوفِيت فِي حَيَاته، فَتَزَوَّج عَجْمِية ومَات عَنْهَا. ذُكِر أَنَّه تَزَوَّج مَوْلاَة لهُ يُقَال لهَا بـقِيرة، كُوفِية ثِقَة. أُنظر، مُسْنَد أحمَد: ٥ / ٤٣٩، مَجْمَع الزَّوائِد: ٩ / ٣٤٤، سِير أَعْـلام النُّـبلاء: ١ / ٤٠٢، المُـصَنَّف لعـبدالرَّزاق الصَّـنعاني: ٨ / ١٨٢ ح ٢٥، الأَدَب المُـفرد: ٥٩ ح ٢٣٤، الْـمُعْجَم الكَـبِير: ٦ / ٢١٥، الطَّبقَات الكُبرىٰ: ٤ / ٩٢ و ٩٤، التَّأرِيخ الصَّغِير: ١ / ٩٧، مَعْرفَة الثّقات للعِجلي: ٢ / ٤٤٩ ح ٢٣٢٥، إكمَال الكَمَال: ٧ / ٣٦٢، تَأرِيخ دِمشق: ٢١ / ٤٥٧، سِير أَعْلاَم النُبلاء: ١ / ٥٥٣، حلية الأَولِيَاء: ١ / ٢٠٨.

لَهُ سِتَة أَوْلاَد: ثلاَثة ذكُور عَبد الله وَقَد أَعْقَب، ومُحَمَّداً أيضاً أَعْقَب، ومِن نَسْلَه عُلَمَاء وشُعرَاء، وكَثِير، ولاَ يُعْرَف لَهُ عَقب. وثَلاَث بَنَات: وَاحدة كَانَتْ بِأصفهَان، ولهَا عَقب، وأَثنتَان كَانتَا بمِصْر. روي أَنَّ سَلْمَان خَطب إِلىٰ عُمر بن الخَطَّاب، فَكَرِه عَبدالله بن عُمر ذَلِكَ، فقَال لهُ عَمْرُو بن العَاص: أَنَا أَكْفِيك، فَلقىٰ عَمْرُو بن العَاص سَلْمَان الفَارِسي، فقَال: لِيهننك يَاسَلْمَان، فقَال: ومَا هُو؟ فقَال: توَاضَع لَكَ أَمِير الْمُؤْمِنِين، فقَال سَلْمَان: لِمثلِي يُقَال هَذَا؟ والله لاَ نَكَحتها أبداً.

أُنظر، المَبسوط للسَّرخسي: ٥ / ٢٣، البَحر الزَّخَّار: ٤ / ٨٠، سَلْمَان الْمحَمَّدي للشَّيخ عَـبدالوَاحـد المُظفر الطَّبعة الحَيْدَرية سَنَة ١٣٧١ هـ، سُبل السَّلام: ٣ / ١٣٠، تَأرِيخ الخَـمِيس: ١ / ٣٥١، السُّـنن الكُبرىٰ: ٧ / ٢٧٣، التَّأرِيخ الصَّغِير للبُخاري: ١ / ٩٧.

وَفَاتَهُ:

أَنتَقَل إِلىٰ رَبِّه سَنَة (٣٥ هـ)، ودُفِن فِي ٱلْبَلْدِة الْمَعْرُوفَة بِسَلْمَان بَاك عَلىٰ ضِفَاف دِجلَة الشَّرقي، وتَبعُد ثَلاَثَة فرَاسخ مِن بَغْدَاد، ويَؤُم قَبْرَهُ الشَّرِيف أُلوف الزَّائرين مِن كُلّ فَجّ.

أُنظر، الاِسْتِيعَاب: ٢ / ٥٣ ـ ٥٩، الإِصَابَة: ٢ / ٦٠، الطَّبَرِيّ: ٢ / ٤٤٣، أَبن هُشام: ٤ / ٣٣٥، مُسْنَد ↔

وَالحَرِير ، وَٱبنَة مُحَمَّد فِي ثِيَاب بَالِيلَة »[١] .. وَرُوي أَنَّه كَان عِند عَلِيّ وفَـاطِمَة جِلْد كَبْش . وَلذَا قَالَ الْإِمَام عَلِيّ عليه السلام : « لَقَد تَزوّجت فَاطِمَة وَمَالي وَلهَا فِرَاش غَير جِلْد كَبْش نَنَام عَلَيْه بِاللَّيل ، وَنَعْلف عَلَيه النَّاضح[٢] بِالنّهَار ، وَمَالي وَلهَـا خَـادم غَيرهَا »[٣] .... أَمَّا صِدقهَا فَقَدْ نَقل صَاحِب الْإِستِيعَاب فِي تَرجَمتها عَن عَـائِشَة أَنَّـها قَـالَت : « مَـا رَأيتُ أَحـداً كَـان أَصـدَق لَـهجَة مِـنْ فَـاطِمَة إلاَّ أَنْ يَكُـون وَالدهَا صلى الله عليه وآله »[٤] . وَبكَلمَة أَنَّ زَيْنَب رَأت جدّها الرَّسُول مُمَثلاً فِـي أُمِّـها فَـاطِمَة

↔ أحمد : ١ / ٥٥ ، الرِّيَاض النَّضرة : ١ / ١٦٧ ، تَأرِيخ الخَمِيس : ١ / ١٨٨ ، اَبن الأَثِير : ٢ / ١٢٦ ، اَبن كَثِير : ٥ / ٢٤٥ ، تَأرِيخ اليَعقوبِي : ٢ / ١٠٣ ، أُسد الغَابَة : ٣ / ٢٢٢ .

(١) أُنظر ، غَايَة المَرَام فِي رجَال البُخَاري إلىٰ سَيّد الأَنَام : ٢٧٩ ، نَفس الرَّحمن فِي فَضَائِل سَلمَان : ٥١٩ .

(٢) النَّوَاضح : البَعِير ، أَو الثَّور ، أَو الحِمَار ، الَّتي يُسْتَقىٰ عَلَيهَا ، وَاحدهَا نَـاضح . أُنـظر ، لِسَـان العَـرب : ٢ / ٦١٩ ، الغَرِيب لاَبن سَلاّم : ٣ / ٢٥٧ ، مُختَار الصّحَاح : ١ / ٢٧٧ .

(٣) أُنظر ، صَفوَة الصَّفوَة : ٢ / ١٠ ، الزُّهد لهَنّاد : ٢ / ٣٨٧ ح ٧٥٣ ، الطَّـبقَات الكُـبرىٰ : ٨ / ٢٢ ، كِـتَاب السُّنن : ١ / ١٩٦ ح ٦٠١ .

(٤) مَع أَنَّ أَبَا بَكْر وَالد عَائِشَة طَلَب البَينَة مِن الصِّدِّيقَة الزَّهرَاء عَلىٰ أَنَّها تَملك فَدكاً « مِنْهُ صلى الله عليه وآله » .
أُنظر ، صَحِيح البُخَارِيّ : ١٢ / ٧ ، صَحِيح مُسْلِم كتَاب الْجِهَاد رقم « ٥١ و٥٣ و ٥٤ و٥٦ » ، مُسْنَد أَحمَد : ١ / ٤ و٦ ، عَن عَائِشَةَ إِشَارَة إِلىٰ الُمحَاورَة الَّتي دَارَت بَيْنَ فَاطِمَة الزَّهرَاء البَتُول عليها السلام وبَيْنَ أَبي بَكْر حَيْث قَالَ : إِنّي سَمعتُ رَسُول الله صلى الله عليه وآله يَقول : « إِنَّا مَعَاشِر ٱلْأَنْبِيَاء لاَ نُورّث ، مَا تَركنَاه فَهُوَ صَدَقَةٌ !!
وَقَد عَلَّق الْإِمَام يَحيىٰ بن الْحُسِين الهَادي فِي كتَابه « تَثبِيتُ الْإِمَامَة » ، تَحقِيق العَلاَّمة السَّيِّد مُحمَّد رِضا الحُسَيْني الجَلالي فِي : ٢٩ مَا نَصّه : « وَلَو سَأَلنا جَمِيع مَن نَقل مِن أَصْحَاب مُحمَّد صلى الله عليه وآله : هَل رَوىٰ أَحدٌ مِنْكُم عَن أَحدٍ مِن أَصْحَاب مُحَمَّد صلى الله عليه وآله أَنَّه سَمعَ مِن رَسُول الله صلى الله عليه وآله مِثل مَا قَالَ أَبُو بَكْر ؟
لقَالُوا : أَللَّهُمَّ ، لاَ .
ثُمَّ جَاءَت ـ مِن بَعد ذَلِكَ ـ أَسَانِيدُ كَثِيرَة قَد جَمعهَا الجُهّال لحُبّ التَكثُر بِمَا لاَ يَنْفَع : عَن عَائِشَةَ ، وَعَن اَبن عُمَرَ ، فَنَظرنا عِند ذَلِكَ إِلىٰ أَصْل هَذِه الأَحَادِيث الَّتي أَسندُوها إِلىٰ عَائِشَةَ عَن النَّبيّ صلى الله عليه وآله ، فَإِذَا عَائِشَة تَقول : سَمعتُ أَبَا بَكْر ، وأَبن عُمَر يَقول : سَمعتُ أَبَا بَكْر يَقول : سَمعتُ رَسُول الله صلى الله عليه وآله : إِنَّا مَعَاشِر ٱلْأَنْبِيَاء ↔

بجَمِيع صِفَاته وَمَزَايَاه، وَتجَلّت هَذِه الحَقِيقَة فِيمَا قَالَته، وَهي تُرثي وَالدتهَا. «يَا أَبتَاه يَا رَسُول الله! الآن حقّاً فَقدنَاك فَقْداً لاَ لقَاء بَعْدَه»[1].

وَقَد آنْعَكَست صِفَات الزَّهرَاء فِي نَفْس آبْنَتها زَيْنَب، وَظَهرَت جَليَة وَاضحَة

لاَ نورّث مَا تَركنَاه فَهُوَ صَدَقَة.

وَإذَا هَذِه الأَسَانِيد المُختَلفة تَرجَع إلىٰ أَصْل وَاحدٍ، وَلَم يُوجد أَحدٌ مِن أَصْحَاب مُحَمَّد صلى الله عليه وآله يَشْهَد بِمِثل شهَادَة أَبي بَكْر فِي المِيرَاث!.

فَدفع أَبُو بَكْر فَاطِمَة عليها السلام عَن مِيراثها بِهَذَا الخَبَر الَّذي أُسندَ إلىٰ رَسُول الله صلى الله عليه وآله. وَهَذَا الخَبَر يَنْقضُ كِتَاب الله، وَحُكْمَه فِي عِبَادِه!.

فَويلٌ لمَن يُهِمُ أَنّ رَسُول الله صلى الله عليه وآله يَنْقضُ مَا جَاء بِهِ مُحْكَماً عَن الله عزَّ وجلَّ.

وَقَد كَانَ فِي كَلاَم فَاطِمَة عليها السلام لأَبِي بَكْر بَيَانٌ لمَن خَاف الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ: أَفِي كِتَاب الله أَنْ تَرثَ أَبَاك وَلاَ أَرثَ أَبي، لقَد جِئتَ شَيْئاً فَرِيّاً!!؟ ثُمَّ آنْصَرفت عَنْه.

وَمِن أَعْجَب العَجَائب: أَنّ جَمِيع هَذِه الأُمّة أَجْمَعت: أَنّ مَن آدّعىٰ لنَفْسِه، أَو دَعوىٰ لهُ فِيْهَا حَقّ أَنَّه «خَصمٌ»، شهَادَته لاَ تُقبل، حَتَّىٰ يَشْهَد لهُ عَلَىٰ ذَلِكَ شَاهدَان عَدلاَن لاَ دَعوىٰ لهُما مَا شَهدا فِيهِ.

وَأجمعُوا أَيضاً: أَنّ الإمَام لاَ يَحكمُ لنَفْسِه بِحقّه دُون أَنْ يَشهدَ لهُ بِهِ غَيره.

ثُمَّ النَّاس عَلَىٰ ذَلِكَ إلىٰ يَومنا هَذَا، لاَ تُقبل شهَادة الرَّجُل لنَفْسِه، وَلاَ يُحكم لأَحدٍ عَلَىٰ أَحدٍ فِي دَعوىٰ يَدّعيها عَلَيْهِ إلاّ بشَاهدِين عَدلين غَيْر فَاطِمَة عليها السلام، فإنَّه حُكم عَلَيْهَا خِلاَف مَا حُكم بِهِ عَلَىٰ جَمِيع الخَلق، وَآنْتزع مِن يَدها مَا كَانَتْ تملكهُ، وَتحُوزه ـ مِن مِيرَاث أَبِيها صلى الله عليه وآله، وَمَالها مِن فَدَك آلْمَعْرُوف بها، وَلها بِلا شهُود! إلاَّ بِمَا آدّعىٰ أَبُو بَكْر لنَفْسِه، وَللمُسْلمِين مِن الصَّدقَة عَلَيْهِمْ بأَمْوَال رَسُول الله صلى الله عليه وآله.

فكَان أَبُو بَكْر المُدعي لنَفْسِه، وَلأَصحَابه أَمْوَال رَسُول الله صلى الله عليه وآله.

فَيَا للعَجَب مِن قَبضَه مَا لَيسَ بِيَده، وَلاَ شهُود لهُ، وَلاَ بَيّنَة!؟ وَطَلَبه الشّهُود، وَالْبَيّنَة مِن فَاطِمَة عليها السلام عَلَىٰ مَا هُو بِيدها، وَلَها!

وَقَد أَجْمَعت الأُمّة عَلَىٰ أَنّ مَنْ كَانَ فِي يَده شيءٌ، فَهُوَ أَحقّ بِهِ حَتَّىٰ يُستحقّ بِآلْبَيّنَة العَادِلَة. فَقَلب أَبُو بَكْر الحُجّة عَلَيْهَا فِي مَا كَانَ فِي يَدها! وَإنَّمَا تَجبُ عَلَيْهِ هُو وَلىٰ أَصْحَابِه فِي مَا آدّعاه لهُ، ولَهُمْ. فَحَكم عَلَىٰ فَاطِمَة عليها السلام بِمَا لَم يُحكمْ بِهِ عَلَىٰ أَحدٍ مِن آلْمُسْلِمِين، وَطَلب مِنْهَا الْبَيّنَة عَلَىٰ مَا فِي يَدهَا، ومُنِعَتْ مِيرَاث أَبِيها. وَشَهِدَ عَلَىٰ رَسُول الله صلى الله عليه وآله أَنّه لَم يُورّثها! والله تَعَالَىٰ قَد وَرَّثَ الوَلد مِن وَالِده، نَبِيّاً كَان أَو غَيْره.

(١) أنظر، رَوضَة الوَاعظِين: ١٥٢.

فِي زُهدهَا، وَعبَادتهَا، وَصَبرهَا، وَجُرأتهَا. قَـالَ الرُّوَاة: «أَنَّ زَيْـنَب بِـنْت أَمِـير المُؤمِنِين لَمْ تَدّخر شَيئاً مِن يَومهَا لغَدهَا، وَأَنَّها كَانَت تَقضي عَامّة ليَاليهَا بالتَّهجد وَتلاَوة القُرآن، حَتَّىٰ لَيْلَة العَاشر مِن المُحرّم، وَهي اللَّيلَة الَّتي قُتل الحُسَين فِـي صَبِيحتهَا، ولَيْلَة الحَادي عَشر، حَيث كَان أَخُـوها الحُسَـين وَأَولاَده وَأَصـحَابه صَرعىٰ مُجزَّرِين كَالأَضَاحي، حَتَّىٰ فِي هَذِه الحَال لَم تَدع صَلاَة اللَّـيل وَالتَّـعبد وَالتَّهجد... أَمَّا صَبرهَا وَشجَاعتهَا، فَسنَتكَلم عَنهُما مُفصلاً فِي الصَّفحَات الآتيَة.

جَعْفَر الطَّيَّار

بَيت أَبي طَالِب

أَنَّ مِن نِعَم الله وَفضله عَلىٰ الإِنْسَانِيَّة أَنْ أُرسِلَ مُحَمَّداً رَحمَة للعَالَمِين، وَأَنْ مِن بَالِغ حِكْمَته وَتَدبِيره تَبَارك وتَعَالىٰ أَنْ عَزَّز مُحَمَّداً وَرسَالَته بِبَيْت عَمّه أَبي طَالِب، وَلَو بَعَثَ الله مُحَمَّداً إِلىٰ صَنَادِيد قُرَيْش وَعُتَاتهم، وَلاَ ظَهِيرَ لهُ مِن قَومِهِ كَأَبي طَالِب، وزَوّجَته وَأَولاَده لكَانَت حَال الرَّسُول كحَال جَيْش يُقَاتل بدُون عِنَاد وَسِلاَح.. وَمِن قَبْلَ قَالَ الجَاحدُون لنَّبيهم شُعَيب: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾[1].

وَلولاَ بَيْت أَبي طَالِب لكَان مَصِير مُحَمَّد كمَصِير زَكريَا، وَيَحيىٰ وَغَيرهُما مِن الأَنْبيَاء الَّذِين قَتَلهُم الإِسرَائِيليُون قَبْلَ أَنْ تنمو رسَالتهُم، وَتَنْتَشر... وَقَف أَبُو طَالِب بجَانب ابْن أَخِيه مُحَمَّد، وَأَعلَن أَنَّه سَيَمنع عَنْهُ كُلّ مَن تُحدّثه نَفْسَه بِالإِسَاءَة إِلَيه، وَالنَّيل مِنْهُ، وأَوقَفت زَوّجَته فَاطِمَة بِنْت أَسد نَفْسهَا لخِدمَته مُنذ اليَوْم الأَوّل الَّذي مَات فِيهِ جَدّه عَبدالمُطّلب، وَسَارع عَليّ، وَجَعْفَر إِلىٰ تَصدِيقه وَنُصرَته، وَمَهمَا تَقَوّل المُتقوّلُون، وَتَأَوَّل المُتَأَوّلُون فَلاَ يَسمعهُم إِلاَّ الإِعتِرَاف بأَنَّ بَيْت أَبي طَالِب كَان أَوَّل نوَاة فِي حَقل الإِسلاَم، وأَوّل قُوّة دَعَمت الإِسْلاَم وَنَبيّ

---

(١) هُود: ٩١.

الإِسلاَم، لقَد تَحدّىٰ رَسُول الله صَنَادِيد قُرَيْش، فَسَبّ آلِهَتهم، وَسَفّه أَحـلاَمهُم، وَلَعَن الطُّغَاة وَالأَغنيَاء الَّذِين يَكْنزُون المَال، وَلاَ يُنْفقُون علَىٰ الفُقْرَاء... وَلاَ جَزَاء عِندَهُم لمَن فَعَل هَذَا أَو دُون هَذَا إِلاَّ القَتْل، وَلَكن مَن يَجرُؤ عَلىٰ رَسُول الله، وبَيْت أَبي طَالِب بالمرصَاد ؟.

وَسَبقَت منّا الإِشَارَة إِلَىٰ أَبي طَـالِب وزَوّجَـته، والآن تَـتَحدّث بشَـيء مِـن التَّفصِيل عَن جَعْفَر الطَّيَّار، لأَنّهُ أَبُو عَبدالله زَوّج السَّيِّدَة الحَورَاء.

إسلاَمَهُ:

لَمْ يَسْبق جَعْفَر بن أَبي طَالِب إِلَىٰ الإِسلاَم إِلاَّ خَدِيجَة زَوّجَة الرَّسُول، وَأَخُوه عَليّ، فكَان جَعْفَر ثَالِث المُسْلِمين وَالمُصَلِّين[1]...

وَمَضىٰ أَمَد غَير قَصِير، وَلاَ أَحد يَـعْبد الله سُـبْحَانَهُ سِـوىٰ مُـحَمَّد، وَعَـليّ،

---

(١) حَدِيث يَحيىٰ بن عَفِيف الكِندي رُوي بُطُرق مُتعدّدة، وَبصُور مُخْتَلفة، وَلَكنْ مِن خِلاَل تَتبّع المَصَادر التَّأرِيخِية وَالحَدِيثِية، وَالرِّوَائِية نَجدها تُؤدّي نَفس المَعْنىٰ، وَالمَضمُون بَل بَعْضها يَتَطابق تَمَاماً فِي اللَّفظ. أُنظر، مَجْمَع الزَّوائد: ٩ / ١٠٣ و ٢٢٢، لسَان المِيزَان: ١ / ٣٩٥، الكَامل لِابْن عُدي: ١ / ١٤٢ و ١٥٠، و: ٢ / ٥٧، تَأرِيخ دِمَشق لِابْن عسَاكر تَرجمَة الإِمَام عَليّ عليه السلام: ١ / ٥٧ / ٩٣ و ٩٥، الطَّبقَات الكُبرىٰ لِابْن سَعد: ٨ / ١٧ و ١٠ الطَّبعَة الأُولىٰ بَيْرُوت فِي تَرجمَة خَدِيجة، مُعجَم الصَّحَابة: ٥ / ١٣٥، تَأرِيخ الطَّبري: ٢ / ٣١٢، وَفِي طَبْعَة أُخرىٰ: ٥٦ و ٥٧، وَفِي الطَّبعَة الأُولى: ١١٦٢، مُستَدرك الصَّحِيحَين: ٣ / ١٨٣، الإِصَابة لِابْن حَجر: ٤ / ٢٤٨ القِسم الأَوّل، الإِستيعَاب لِابْن عبدالبرّ: ٢ / ٤٥٨ و ٥١١، كَنز العُمّال: ٦ / ٣٩١، و: ٧ / ٥٦، حليَة الأَوْليَاء: ٢ / ٢٤٥، مُسْنَد أَحْمَد بن حَنْبل: ١ / ٢٩٠ و ٢٠٩، وَفِي طَبْعَة أُخرىٰ، و: ٢٥ / ٢٦، و: ٤ / ٤٢٨ و ٤٢٩ و ٤٤٠، المنَاقب لأَحمَد بن حَنْبل: ٢٥ و ١٨، شوَاهد التَّنزِيل للحَاكم الحَسكَاني: ١ / ١١٣ / ١٢٥ تَحقِيق المَحمُودي، مَنَاقب الخوَارزمي: ١٩٨ الفَـصل ١٧، النَّسائي فِي الخَصَائص: ٤٤ ح ٥، و: ٣ وَفِي طَبْعَة أُخرىٰ، طُرُزُ الوَفَا فِي فَضَائل آل المُصْطَفىٰ: ٣١٦، بِتَحقِّيقنا.

وَخَدِيجَة، وَجَعْفَر، فكَان النَّبيّ يَتَقدّمهُم للصَّلاَة، وَيَقف عَليّ عَن يَمِينَه، وَجَعْفَر عَن يَسَارَه، وَخَدِيجَة خَلفَه... وَرُوي أَنَّ أَبَا طَالِب رَأىٰ النَّبيّ، وعَلِيّاً يُصَلّيَان، فَأَمَر وَلَده جَعْفَر أَنْ يَنْضَم إِلَيهِمَا[١]، وَوصفَ جَعْفَر بأَنّه صَلّىٰ إِلَىٰ القِبلَتَين، وَهَاجر الهِجرَتَين، وَصَاحِب الجنَاحَين[٢].

أَخْلاَقَهُ:

قَالَ رَسُول الله لجَعْفَر: «أَشْبَهتَ خَلقِي وخُلقِي، وكَان يُكَنيه أَبَا المَسَاكِين، لأَنّهُ خَير النَّاس لَهُم[٣]. وَعن أَبِي هُرَيرَة أَنّه قَالَ: «كُنتُ أَسَأل الرَّجُل مِن أَصحَاب رَسُول الله عَن الآيَة مِن القُرآن، أَنَا أَعلَم بها مِنْهُ، مَا أَسأَله إِلاَّ لِيُطْعمني شَيئاً وَكُنتُ إِذَا سَأَلتُ جَعْفَر بن أَبي طَالِب لَمْ يُجْبني، حَتَّىٰ يَذهَب بِي إِلَىٰ مَنْزِله، فَيُطعمني، ثُمَّ يُجِيبُني»[٤].

وَرُوي عَن جَعْفَر أَنّه كَان يَقُول: «مَا شَربتُ خَمرَاً قَطّ، لأَنّي عَلمتُ إِنْ شَربتهَا زَال عَقلي، وَمَا كَذبتُ قَطّ؛ لأَنَّ الكَذب يُنْقص المُروءَة، وَمَا زَنَيتُ قَطّ، لأَنّي خِفت إِنّي إِذَا عَمِلتُ عُمل بي، وَمَا عَبَدتُ صَنماً قَطّ، لأَنّي عَلمتُ أَنّه لاَ يَضرّ وَلاَ

---

(١) تَقَدَّمت تَخرِيجَاته.

(٢) القِبْلتَان هُما بَيْت المُقدّس، وَالكَعبَة، وَالهِجرتَان، إِلَىٰ الحَبَشة، وَالمَدِينَة، وَالجَنَاحَان إِشَارَة إِلَىٰ حَدِيث: «أَنَّ الله أَبْدَل جَعْفَراً عَن يَدَيه بجنَاحَين يَطِير بهمَا بالجَنّة». وَفِي بَعْض المُؤلّفَات وَبَايَع البيعَتَين، وَهُو اشتبَاه، لأَنَّ بَيعَة الرّضوَان وَالشَّجرة كَانَت فِي الحُدَيبيَّة، وَكَان جَعْفَر غَائباً عَنْهَا. (مِنْهُ ﷺ).

(٣) تَقَدَّمت تَخرِيجَاته.

(٤) أُنظر، سُنن التّرمذي: ٥ / ٦٥٥ ح ٣٧٦٦، فَتح البَاري: ٧ / ٧٦ و: ١١ / / ٢٨٤، التَّرغِيب وَالتَّرهِيب: ٤ / ١٠٧ ح ٥٠٠١.

يَنْفَع »[(١)].

مَنْزِلَتهُ عِندَ اللهِ وَرَسُولَه :

فِي نَهج البَلاَغَه أَنَّ الإِمَام أَرسَل كتَاباً لمُعَاويَة جَاء فِيهِ :

« أَلاَ تَرَىٰ ـ الخِطَاب لمُعَاويَة ـ غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ ، وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللهِ أُحَدِّثُ أَنَّ قَوْماً ٱسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَىٰ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ ، وَلِكُلٍّ فَضْلٌ ، حَتَّىٰ إِذَا ٱسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا ـ الحَمْزَة ـ قِيلَ : سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ ، وَخَصَّهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلاَتِهِ عَلَيْهِ ! أَوَلاَ تَرَىٰ أَنَّ قَوْماً قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ـ وَلِكُلٍّ فَضْلٌ ـ حَتَّىٰ إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا ـ جَعْفَر ـ مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ ، قِيلَ : « الطَّيَّار فِي الْجَنَّةِ وَ ذُو الْجَنَاحَيْنِ » ! وَلَوْلاَ مَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ مِنْ تَزْكِيَةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ ، لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةً . تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلاَ تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ »[(٢)].

أَجل ، لاَ يَنْفر مِن أَرِيج المِسْك إِلاَّ الجَعل ، وَلاَ يُعمي نُور الشَّمس إِلاَّ عُيُون الخَفَافِيش ، وَلاَ يَجد طَعَم العَسَل مُرّاً إِلاَّ ذَوو الأَسقَام وَالأَمرَاض .

وَفِي الحَدِيث أَنَّ رَسُول الله صلى الله عليه وآله قَالَ : « إِنَّ الله ٱختَارني فِي ثَلاَثَة مِن أَهْل بَيْتي ، أَنَا سَيِّد الثَلاَثَة ، ٱختَارني ، وَعَلِيّاً ، وجَعْفَراً ، وَحَمْزَة »[(٣)]. وَفي الجُزء الثَّاني مِن « الإِستِيعَاب » تَرجَمة جَعْفَر بن أَبي طَالِب أَنَّ النَّبيّ قَالَ : « دَخلتُ البَارحَة الجَنَّة

---

(١) أُنظر ، مَن لاَ يَحْضَره الفَقِيه : ٤ / ٣٩٧ ح ٥٨٤٧ ، أَمَالي الصَّدوق : ١٣٣ ، رَوضَة الوَاعظِين : ٢٥٩ ، الإِصَابَة : ١ / ٢٣٧ رَقم « ١١٦٦ » ، الإِستِيعَاب : ١ / ٢١٠ ، أُسد الغَابَة : ١ / ٣٤١ رَقم « ٧٥٩ » .

(٢) أُنظر ، نَهج البَلاَغَة : ٱلرِّسَالَة « ٢٨ » .

(٣) أُنظر ، كَنْز العُمَّال : ١٣ / ٦٤٢ ح ٣٧٦٢٦ ، مَنَاقب أَمِير المُؤمِنِين لمُحَمَّد بن سُليمَان الكُوفي : ١ / ١٢٩ ، البَيَان وَالتَّعرِيف : ١ / ٦ ، شوَاهد التَّنزِيل : ٢ / ٤٨ .

فَإِذَا جَعْفَر يَطِير مَع المَلائِكَة، وَإِذَا حَمْزَة مَع أَصحَابه »[١]. وَحِين قَدِم جَعْفَر مِن الحَبَشة قَالَ النَّبيّ: « مَا أدري بِأَيِّهِما أَنَا أَشدّ فَرحَاً بقدُوم جَعْفر أَو بـفَتح خَـيبَر، وَقَبَّل مَا بَيْنَ عَينَيه »[٢].

الهِجْرَة إِلَىٰ الحَبَشَة:

قَالَ صَاحِب السِّيرَة النَّبويَّة:

« قَالَ لمَّا رَأىٰ رَسُول الله ﷺ مَا يُصِيب أَصْحَابه مِن البَلاَء وَمَا هُـو فِـيهِ مِـن العَافيَة بمَكَانه مِن الله، وَمِن عَمّه أَبي طَالِب، وَأَنَّهُ لاَ يَقْدر عَلىٰ أَنْ يَمنعهُم مِمَّا هُم فِيهِ مِن البَلاَء، قَالَ لَهُم: لَو خَرَجتُم إِلىٰ أَرْض الحَبَشَة فَإِنَّ بهَا مَلكَاً لاَ يَظلم أَحد عِندَه وَهي أَرْض صِدق حَتَّىٰ يَجْعَل الله لكُم فَرجَاً مِمَّا أَنْتُم فِيهِ، فَخَرج عِندَ ذَلِكَ المُسْلِمُون مِن أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ إِلىٰ أَرْض الحَبَشَة مَخَافة الفِتْنَة، وَفرَاراً إِلىٰ الله عزَّ وَجلّ بدِينِهم فَكَانت أَوّل هِجرَة فِي الإِسْلاَم »[٣].

اَمْتَثلُوا أَمر الرَّسُول، وَذَهبُوا إِلىٰ الحَبَشَة، وَكَان فِيمن هَاجر إِلَيهَا جَعْفَر الطَّيَّار،

---

(١) أُنظر، ذَخَائر العُقْبىٰ: ٢١٦، الإِسْتِيعَاب: ١ / ٢١١ ـ ٢١٣، رَبِيع الأَبرَار: ٣ / ٣٦٤، فَتْح البَاري: ٧ / ٦٢، تُحفَة الأَحوذي: ١٠ / ١٨٣، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٣ / ٢٣٠.

(٢) أُنظر، المُصنَّف لِابْن أَبي شَيبَة: ٦ / ٢٨١ ح ٣٢٢٦، الآحَاد وَالمـثَاني: ١ / ٢٧٦ ح ٣٦٣، المُـعْجَم الكَبِير: ٢ / ١٠٨ ح ١٤٦٩، شُـعَب الإِيـمَان: ٦ / ٤٧٧ ح ٦٩٦٨، فَـتْح البَـاري: ١١ / ٥٢، تَـفْسِير القُرطُبي: ١٥ / ٢١٥، تَفْسِير آبن كَثِير: ٣ / ٤٦٨، الطَّبقَات الكُبرىٰ: ٣ / ١٠٨ و: ٤ / ٣٥.

(٣) أُنظر، السِّيرَة النَّبويَّة: ١ / ٣٢١ طَبعَة (١٩٥٥م). (مِنْهُ ﷺ)، و: ٢ / ١٦٤، تَأرِيخ الطَّبري: ٢ / ٧٠، البدَايَة وَالنّهايَة: ٣ / ٨٥، الثِّقَات: ١ / ٥٧، الطَّبقَات الكُبرىٰ: ٤ / ٣٤، الإِسْـتِيعَاب: ١ / ٢٤٢، أُسـد الغَابَة ١: ٣٤١، مُخْتَصر تَأرِيخ دِمَشق: ٦ / ٢٢.

وَزَوّجَته أَسمَاء بِنْت عُمَيس، وَوَلدت لهُ هُنَاك عَبدالله، وَعَوناً، ومُحَمَّداً[١]. وَلَقي المُسْلِمُون مِن النَّجَاشي مَلك الحَبَشَة حُسن الجوَار وَالضِّيافَة[٢].

وَلمَّا رَأت قُرَيْش أَنَّهُم قَد آمنُوا بأَرْض الحَبشَة، وَأَصَابوا أَمَاناً وَاطْمِئنَاناً، جَمعُوا للنَّجاشي وَبطَارقَته هَدَايَا، وَبَعثُوا بهَا مَع عَمْرُو بن العَاص[٣]، وَعُمَارَة بن الوَلِيد أَخ خَالد بن الوَلِيد، ليَردّ النَّجَاشي المُسْلِمين إِلىٰ المُشْرِكين.

«وَصَحب عَمْرُو بن العَاص فِي رحلَتِهِ زَوّجَة دَخل عَلَيهَا مُذ قَلِيل... وَهِي امرَأة جَمِيلَة فَاتنَة للأَلبَاب لَعُوب، لَم يَكُن عَمْرُو يُطِيق أَنْ يَبْتَعد عَنْهَا... وَفي

(١) تَقدَّمت تَخْرِيجَاته.

(٢) أُنظر، المُستَدرك عَلىٰ الصَّحِيحَين: ٢ / ٦٢٣، سِيرَة ابن إِسْحٰق: ٦٩، دَلاَئِل النُّبوَّة: ٢ / ٢٢، تَأْرِيخ اليَعقُوبيّ: ٢ / ١٣، أَنْسَاب العَرب لِابْن حَزم: ١٥٤، طَبقَات ابن سَعد: ٧ / ق ٢ / ١٨٨، المعَارف لِابْن قُتَيبَة: ٢٨٥، أُسد الغَابَة: ٤ / ٤٢٠، الكَامل فِي التَّأْرِيخ: ٢ / ٢٣٢، البدَاية وَالنّهاية: ٤ / ٢٧٥، شَرْح النَّج لِابْن أَبي الحَدِيد: ١ / ٢٠ و ٨ / ٥٣، مقَاتل الطَّالبيين: ٤٤.

(٣) أَبُو عَبدالله أَو أَبرو مُحَمَّد عَمْرُو بن العَاص بن وَائل بن هَاشِم القُرَشيّ السَّهمي وأُمّه النَّابِغَة بِنْت حَرملَة، سُبيت مِن بَني جِيلان بن عَنِيك، وَبيعَت بعُكاظ واشترَاها الفَاكه بن المُغِيرَة، ثُمّ انْتَقلت إِلى عَبدالله بن جَدعَان ومِنْهُ إِلىٰ العَاص بن وَائل، فَوَلدَت لهُ عُمراً. أَرسَلته قُرَيْش إِلىٰ النّجاشي ليغيّر رَأيه عَلَىٰ جَعْفَر بن أَبي طَالب، ومَن مَعهُ مِن المُهَاجِرين إِلىٰ الحَبشَة، وَيَسترجعهُم إِلىٰ مَكَّة فردّه النّجاشي. أَسلَم سَنَة ثَمَان، وَقَبل الفَتْح بستّة أَشهُر. وافْتَتح مِصْر لعُمر، وَوليهَا إِلىٰ السّنة الرّابعَة مِن خِلاَفَة عُثْمان، فعَزله عَنْهَا، فَأَخذ يُؤلّب عَلَيْهِ حَتَّىٰ قُتل. ثمّ اشتَرك مَع مُعَاوِيَة بصِفّين مُطَالباً بثَأر عُثْمان، وأشَار برَفع المَصَاحِف للصُّلح فانْخدع جَيش عَليّ وَقبلوا الصّلح، وَعَيّنوا أَبَا مُوسَىٰ مِن قِبلهم، وَعيّن مُعَاوِيَة عُمراً فغَدر بأَبي مُوسَىٰ وَخلَعَا عَلِيّاً وَنَصب عَمْرُو مُعَاوِيَة وَأَخذ مِصْر طُعمَة مِن مُعَاوِيَة وَوليهَا بَعد قَتل مُحَمَّد بن أَبي بَكْر حَتَّىٰ تُوفّي سَنَة (٤٣ هـ) أَو بَعدهَا، ودُفن هُنَاك.

أُنظر، جمهرة أَنْسَاب الْعَرَب لِابْن حَزم: ١٥٤، وطَبقَات ابْن سَعد: ٧ / ق ٢ / ١٨٨، المعَارف لِابْن قُتَيْبَة: ٢٨٥، أُسد الغَابَة: ٤ / ٤٢٠، الكَامِل فِي التَّأْرِيخ: ٢ / ٢٣٢، البدَاية والنّهَايَة: ٤ / ٢٧٥، شَرْح النَّهج لِابْن أَبي الحَدِيد: ١ / ٢٠ و ٨ / ٥٣، مقَاتل الطَّالبيِّين: ٤٤.

الطَّرِيق إِلَىٰ النَّجاشي رَأت ٱمرَأة عَمْرُو عُمَارة، وَتَحدَّثت إِلَيه... فَشَغفهَا حُبّاً... وَذَات لَيْلَة هَجَرت زَوْجهَا عَمْرُو بن العَاص، وَٱرْتَمت فِي فرَاش ٱبْن الوَلِيد... وَلَم تَعد إِلَىٰ عَمْرُو إِلاَّ بشَرط أَنْ تَتَرَدّد بَيْنَهُ وبَيْنَ ٱبْن الوَلِيد[1].

وَسَبقَت أَنْبَاء هَذِه الفَضِيحَة إِلَىٰ النَّجاشي، وإِلَىٰ المُهَاجرِين، فَلَم تَنْفَع حِيلَة لعَمْرُو بن العَاص، وَرَدّ النَّجاشي الرُّسل إِلَىٰ قُرَيْش خَائِبين، وَظل عَلَىٰ كَرمِهِ مَع المُهَاجرِين إِلَيه... أَمَّا المُسْلِمُون فِي قُرَيْش فَقَد تلقُوا عَمْرُو بالسُّخرِيَة، وَعَلمُوه أَنَّ الْإِسلاَم وَحدَه هُو الَّذي كَان يُمكن أَنْ يَعْصم ٱمرَأته وَيَعْصمهُ مِن مِثْل هَـذَا الهَوَان»[2].

وَرَجع جَعْفَر الطَّيَّار وَمَن مَعَهُ مِن المُسْلِمين إِلَىٰ المَدِينَة سَنَة (٧ هـ) فَصَادَف رجُوع النَّبيّ ﷺ مِن خَيْبَر، فَقَال: «مَا أَدري بأَيِّهما أَنَا أَشدّ فَرحَاً بقدُوم جَعْفر أَو بفَتح خَيبَر»[3]. وقَبَّلَ ما بَيْنَ عَينَيه... وَقَالَ لهُ: أَنْتَ أَشبَه النَّاس بخَلقي،

---

(١) أُنظر، السِّيرَة النَّبويَّة لِابْن كَثِير: ٢ / ٢٦.

(٢) ذَكَر أَصحَاب السِّير، وَالتَّوَارِيخ قصَّة عُمَارة وزَوّجَة عَمْرُو، وَأَنَّ النَّجاشي جَمع بَيْنَ الرَّسُولَين، وبَيْنَ المُسْلِمِين، وَتَكلّم جَعْفَر عَن دَعوَة الرَّسُول، وَمَحَاسن الْإِسلاَم، وكَانَت النَّتيجَة أَنْ طَرَد النَّجاشي الرَّسُول، وَزَاد فِي إِكرَام المُسْلِمِين، وَقَد آثرتُ نَقل هَذِه العِبَارَة مِن كتَاب «مُحَمَّد رَسُول الحرّيَّة» لعَبد الرَّحمن الشَّرقَاوي، لجَمعهَا وَٱختصَارهَا. (مِنْهُ ﵀).

(٣) تَقَدَّمت تَخرَيجَاته. وَأُنظر، المُسْتَدرك عَلىٰ الصَّحِيحَين: ٢ / ٦٨١ ح ٤٢٤٩، و: ٣ / ٢٣٠ ح ٤٩٣١ وص: ٢٣٣ ح ٤٩٤١، مَجْمَع الزَّوَائِد: ٦ / ٣٠ و: ٩ / ٢٧١ ـ ٢٧٢ و ٤١٩، مُسنَد البَزار: ٦ / ٢٠٩ ح ٢٢٤٩، المُعْجَم الكَبِير: ٢ / ٢٠٨ ح ١٤٦٩ و ١٤٧٠ و: ٢ / ١١٠ ح ١٤٧٨ و: ٢٢ / ١٠٠ ح ٢٤٤، فَتح البَاري: ١١ / ٥٢، تَهْذِيب التَّهذِيب: ٢ / ٨٣ ح ١٤٦، تهذِيب الكَمَال: ٥ / ٥٣، الطَّبقَات الكُبرىٰ: ٢ / ١٠٨ و: ٤ / ٣٥، السِّيرَة النَّبويَّة: ٥ / ٥.

وَخُلقي، وَخُلقتَ مِن الطِّينَة الَّتي خُلقتُ مِنْهَا»[١].

أستشهادهُ:

فَي سَنَة (٨ هـ)، بَعَث رَسُول الله أحد أَصْحَابه، وَهُو الحَارث بن عُمَير[٢] بكتَاب إِلَىٰ مَلك بُصرىٰ بِأَرض الشَّام، فَلَمَّا نَزل مُؤْتَة عَرض لهُ شَرحَبِيل الغَسَّاني أَحد ولاَة الرُّوم، فَأَوثَقهُ ثُمَّ ضَرب عُنقَه، وَلَم يُقتَل غَيره مِن بُعوث رَسُول الله، فَاشتَدّ ذَلِكَ عَلىٰ رَسُول الله، وَجهّز جَيشاً مِن ثَلاَثَة آلآف، وَأَمَّر عَلَيهم جَعْفَر الطَّيَّار، فَإِنْ قُتل فَزَيد بن حَارثَة، فَإِنْ قُتل فَعبد الله بن روَاحَة، وَانْطَلق الجَيش إِلَىٰ مشَارف الشَّام، فَجَمع لهُ الرُّوم مِئَة أَلف مقَاتل، وَقِيل: مِئتَا أَلف، وَأَخذ الرَّايَة جَعْفَر، وَأَقبَلَ عَلىٰ الرُّوم يُجَالدهُم بعُنف، فَقُطعت يَمينه، فَأَخذ اللّوَاء بشِمَاله فقُطعت، فَاْحتَضن الرَّاية بعَضُدَية، حَتَّىٰ قُتل[٣].

---

(١) أنظر، ذَخَائِر العُقبىٰ للمُحبّ الطَّبري: ٢١٤ و ٢١٥ طَبعَة سَنَة (١٩٥٦م) (مِنهُ رحمه الله). وَمَجْمَع الزَّوَائد: ٥ / ٢٠٨ و: ٩ / ٢٧٢، المُعْجَم الأَوسَط: ٦ / ٣٣٥، كَنْز العُمَّال: ١٣ / ٣٢٢.

(٢) صَحَابي، بَعَثَهُ رَسُول الله صلى الله عليه وآله إِلَىٰ مَلك بُصرىٰ بكتَابه. فَلَمَّا نَزل مُؤْتَة (قُرب الكَرك ـ بشَرقي الأُردُن) عَرَض لهُ شَرْحَبِيل بن عَمْرُو الغَسّاني فَأَوثَقه ربَاطاً، وَضَرب عُنقه صَبراً. وَلَم يُقتَل لرَسُول الله صلى الله عليه وآله رَسُول غيره. وَعَلىٰ أَثَر مَقْتله كَانَت غَزوَة مُؤْتَة.

أُنظر، الإِصَابَة: ١/٦٨١ رَقم «١٤٦١»، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابن أَبي الحَدِيد: ١٥/٦١، الطَّبقَات الكُبرىٰ: ٢/١٢٨ و: ٤/٣٤٣، أُسد الغَابَة: ٢/٦٩، المِصبَاح المُضيء: ١/٣٥٩، الإِستيعَاب: ١/٣٠٤، تَأريخ دِمَشق: ٢/٧ و: ١١/٤٦٤.

(٣) أُنظر، تَهْذِيب التَّهذِيب: ٥ / ٢١٢، إِمتَاع الأَسمَاع: ١ / ٢٧، الإِصَابَة رَقم «٤٦٦٧»، صَفوَة الصَّفوَة: ١/١٩١، حليَة الأَوليَاء: ١ / ١١٨، تَأرِيخ ابن عَسَاكر: ٧ / ٣٨٧، الطَّبقَات لِابن سَعد: ٣ / ٧٩، الكَامِل لِابن الأَثِير ٢ / ٨٦، المُحبّر: ١١٩ و ١٢١ و ١٢٣.

وَرُوي أَنَّه حِين ٱشتَدّ القَتْل، نَزَل عَن فَرَسه، وَعَقَرها فكَان أَوَّل رَجُل عَقَر فَرَسه فِي الْإِسلاَم، وَقَاتل وَهُو يَقُول[1]:

يَا حَبّذَا الجَنَّة وَٱقْترَابهَا طَيبَةٌ وَبَاردُ شرَابهَا

وَالرُّوم رُوم قَد دَنَا عذَابهَا كَافرَة بَعِيدَة أَنْسَابهَا

عَليَّ إِذْ لاَقَيتهَا ضرَابهَا

وَبَعْد أَنْ ٱسْتُشهد وَجَدوا فِي مُقدّم جَسَده الشَّرِيف أَكْثَر مِن تِسعِين ضَربَة وَطَعنَة[2].

هَذَا هُو بَيْت أَبي طَالِب، وهَذِه أَبنَاؤه، فَمُنذ اليَوْم الَّذي نَبَتَت فِيهِ بَذرَة الْإِسلاَم إِلَىٰ آخر يَوْم مِن أَيَّام العَبَّاسيِّين عَانىٰ التَّجوِيع، وَالسِّجن، وَالحَصر فِي شِعب مَكّة المُكَرّمَة، وَالتَّشرِيد فِي أَرْض الحَبَشَة، وَمُجَابهَة المَوت بالمَبيت إِلَىٰ فرَاش الرَّسُول، وَالجِهَاد فِي بَدْر، وَأُحد، وَالْأَحزَاب، وَفي جَميع غَزوَات الرَّسُول وَحُرُوبه، والقَتْل فِي أَرْض الشَّام وَالعِرَاق، وَفِي كُلّ مكَان... كُلّ ذَلِكَ مِن أَجْل الْإِسلاَم، وكَلِمَة «لاَ إِله إِلاَّ الله مُحمَّد رَسُول الله» وَرَغم ذَلِكَ فَأَبُو طَالِب غَير مُسْلِم. وَلمَاذَا؟.. لأَنَّهُ أَبُو عَليّ....

(١) أُنظر، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٢ / ٢٣٤ و ٢٣٦، تَأرِيخ الطَّبري: ٣/ ٣٧، تَأرِيخ الخَمِيس: ٢ / ٧١، السِّيرَة لِابن هِشَام: ٢ / ٣٧٢ و ٣٧٨، السِّيرَة الحَلبيَة: ٣ / ٧٧، السُّنن الكُبرىٰ: ٩ / ١٥٤، تَأرِيخ دِمَشق: ٢٨ / ١٢٣، حليَة الأَوليَاء: ١ / ١١٨، تَهذِيب الكَمَال: ٥ / ٥٨، فَتح البَاري: ٧ / ٥١١، البدَايَة وَالنّهايَة: ٣ / ٤٦٦ و: ٤ / ٢٧٨، سِير أَعلاَم النُّبلاَء: ١ / ٢١٠.

(٢) أُنظر، جوَامع السِّيرَة: ٢٨٢، المَعَارف: ٢٠٥، أُسد الغَابَة: ١ / ٣٤١ طَبعَة مَصر، السِّيرة لِابن إِسحَاق: ٢٢٦، صَحِيح البُخَاري: ٥ / ٢٤. بِالْإِضَافَة إِلىٰ المَصَادر السَّابقَة.

وتحدّث الرّسول عن شهداء مؤتة[1]، وبخاصّة جعفر الطّيّار، وقال: أنّ الجوار الّذي صاروا إليه أحبّ إلىٰ نفوسهم، وأقرّ لعيونهم من الدّنيا وما فيها، ومن فيها، أمّا أبناؤهم وعيالهم ففي كفالة الله، وهو نعم المولىٰ، ونعم المصير.

قال عبدالله بن جعفر: «جاءنا النّبيّ بعد موت أبي، وقال: لا تبكوا علىٰ أخي بعد اليوم، ودعا بالحلاّق فحلّق رؤوسنا، وقال: أمّا محمّد فشبيه عمّنا أبي طالب، وأمّا عبدالله فشبيه خلقي وخلقي، ثمّ أخذ بيدي، وقال: أللّهمّ أخلف جعفراً في أهله، وبارك لعبدالله في صفقة يمينه؛ ولمّا ذكرت أمّي يتمنا قال لها: لا تخافي عليهم أنا وليّهم في الدّنيا والآخرة»[2].

وكفىٰ بالرّسول الأعظم وليّاً، وهل يبغي أبو طالب وآل أبي طالب سوىٰ ولاية الله ورسوله؟.

واختلف المؤرّخون في عمر جعفر الطّيّار، فمن قائل: أنّه استشهد ابن (٣٨)، وقائل (٤١)[3].

---

(١) مؤتة قرية (موضع من بلد الشّزام) والآن في الأردن، وفيها مقام لجعفر الطّيّار مزار ومشهور. أنظر، النّهاية في غريب الحديث: ٣ / ٣٧١.

(٢) أنظر، فقه السّيرة للشّيخ محمّد الغزّالي: ٢٨١ بعنوان غزوة مؤته. (منه رحمه الله).

مسند أحمد: ١ / ٢٠٤ ح ١٧٥٠، الأحاديث المختارة: ٩ / ١٦٢ و ١٦٤ ح ١٣٩ و ١٤٤، المصنّف لابن أبي شيبة: ٦ / ٣٨١ح ٣٢٢٠٥، سنن البيهقي الكبرىٰ: ٤ / ٦٠ ح ٦٨٨٥، السّنن الكبرىٰ: ٥ / ٤٨ ح ٨١٦٠ و ٨٦٠٤، مجمع الزّوائد: ٦ / ١٥٧ و: ٩ / ٢٧٣ و ٢٨٦، الإصابة: ٤ / ٧٤٤ رقم «٢٦١١١»، فضائل الصّحابة للنّسائي: ١ / ١٨ ح ٥٧، معتصر المختصر: ١ / ٢١٠، المعجم الكبير: ٢ / ١٠٥ ح ١٤٦٠، المستدرك علىٰ الصّحيحين: ١ / ٥٢٨ ح ١٣٧٨.

(٣) أنظر، الإستيعاب لابن عبدالبرّ: ٢ / ٤٥٨ و ٥١١، الإصابة: ٤ / ٧٤٤ رقم «٢٦١١١»، حلية ↔

عَبْدالله بن جَعْفَر :

كَان لجَعْفر الطَّيَّار ثَلاَثَة ذُكُور : عَبدالله ، وَبِهِ يُكنىٰ ، ومُحَمَّد ، وَعَـون ، وُلِدُوا كُلّهُم فِي أَرْض الحَبَشَة ، وَأُمّهُم أَسمَاء بِنْت عُمَيس ، ومُحَمَّد بن أَبي بَكْر أَخُوهُم لأُمّهم[1] .

وَصَحب عَبدالله النَّبيّ ، وَحَفظ الحَـدِيث عَـنْهُ ، وَلاَزَم عَـمّه أَمِـير المُـؤمِنِين وَالحَسَنَين ، وَأَخذ عَنْهُم العِلم .

وَكَان أَغْنىٰ بَني هَاشِم وَأَيسَرهُم ، وكَانَت لهُ ضيَاع كَثِيرَة ، وَمَتَاجر وَاسعَة .

وَكَان أَسخىٰ رَجل فِي الْإِسلاَم ، وَلهُ حكَايَات فِي الجُود كَثِيرَة وَعَجِيبَة ، مِنْهَا أَنَّ أَحد الخُلفَاء أَرسَل لهُ ثَلاَثَه مَلاَيِّين درهَماً ، فَفَرقهَا جَميعاً عَلىٰ الفُقْرَاء ، وَزَاد عَلَيهَا مِن مَالِهِ[2] . وَلَهُ مواقف مَع مُعَاويَة عَرّفَه فِيهَا مكَانَه وَحَقِيقَته ، نَقلنَا بَعْضهَا

↩ الأَوليَاء : ١ / ١١٨ ، تَأرِيخ اَبن عَسَاكر : ٧ / ٣٨٧ ، الطَّبقَات لِابن سَعد : ٣ / ٧٩ ، الكَامِل لِابْن الأَثِير ٢ / ٨٦ ، المُحبّر : ١١٩ و ١٢١ و ١٢٣ ، تَأرِيـخ الخَـمِيس : ٢ / ٧١ ، السِّـيرَة لِابـن هِشَـام : ٢ / ٣٧٢ و ٣٧٨ ، السِّيرَة الحَلبيَة : ٣ / ٧٧ ، السُّنن الكُبرىٰ : ٩ / ١٥٤ .

(١) أُنظر ، تَأرِيخ الطَّبري : ٤ / ٣٤١ و : ٦ / ٢٥٦ ، مقَاتِل الطَّالبِيِّين : ٦٠ ، مُرُوج الذَّهب : ٣ / ٩٢ و ٣٣٣ ، مَقْتل الحُسَين للخوَارزمي : ٢ / ٢٧ ، المَعَارف لِابْن قُتَيبَة : ٢٠٦ ، مَقْتَل الحُسَين لأَبـى مَـخْنَف : ٧٣ ، الفُصُول المُهمَّة لِابْن الصَّبَاغ المَالكي : ٢ / ١٧٠ ، بِتَحقِّيقنَا ، الفُـتُوح لِابْـن أَعْـثَم : ٣ / ١٢٧ ، جَـمْهَرة أَنْسَاب العَرب : ٦١ ، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة لِابْن قُتَيبَة : ٢ / ١٢ ، مَقْتل الحُسَين للخوَارزمي : ٢ / ٢٧ ، يَنَابِيع المَودّة : ٣ / ٧٣ طَبعَة أُسوة .

(٢) أُنظر ، المَدَائِني (حَيَاة الإِمَام الحَسَن عليه السلام) ، كَشف الغُـمّة : ١ / ٥٥٨ ، المَـنَاقب لِابـن شَـهرآشُـوب : ٣ / ١٨٢ ، الفُصُول المُهمَّة فِي مَعرفَة الأَئِمَّة لِابْن الصَّباغ المَالكي : ٢ / ٣٢ ، بِتَحقِيقنا ، تَأرِيخ الطَّبري : ٥ / ١٥٣ ، و : ٤ / ١١٨ طَبعَة أُخرىٰ ، الكَامل فِي التَّأريخ : ٣ / ٣٩٧ ، و : ٤ / ٢٧٢ ، الإِصَابَة : ٣ / ٤٧١ ، لسَان المِيزَان : ١ / ٢٦٨ ، مِيزَان الإِعتدَال : ١ / ١٣٩ ، مقَاتل الطَّالبيِّين : ٨٦ و ٢٥ .

فِي كتَاب «الشِّيعَة وَالحَاكمُون»[(١)].

وَعَن الشِّعبي أَنَّ عبدالله دَخل عَلىٰ مُعَاويَة، وَعِندَه يَزِيد، فَجَعل يَزِيد يُعرّض بعَبدالله فِي كَلاَمه، وَيَنْسبهُ إِلَىٰ الإِسرَاف

فَقَال عَبدالله ليَزِيد: إِنّي لأَرفَع نَفْسي عَن جوَابك، وَلَو قَالهَا صَاحِب السَّـرير لأَجْبتَه

فَقَال مُعَاويَة: كَأَنَّك تَظن أَنَّك أَشرَف مِنْهُ؟.

قَالَ عَبدالله: أي وَالله، وَمِنْكَ وَمِن أَبِيك، وَجدِّك.

فَقَال مُعَاويَة: مَاكُنتُ أَحسب أَنَّ أَحداً فِي عَصر حَرب بن أُمَيَّة أَشرَف مِنْهُ.

فَقَال عَبدالله: بَلىٰ وَالله. إِنَّ أَشرَف مِنْهُ مَن أَكفَأ عَلَيهِ إِنَاءَه، وَأَجَارَه بردَائِه.

قَالَ صَدَقتَ، يَا أَبَا جَعْفر[(٢)].

---

(١) أُنظر، الشِّيعَة وَالحَاكمُون: ١٢٨، بتَحقِّيقنَا، شَرْح نَهج البَلاَغة لِابْن أَبي الحَدِيد: ٦/٢٩٦.

(٢) أُنظر، زَيْنَب الكُبرىٰ لجَعْفر النَّقدي: ٨٩ طَبْع النَّجف. (مِنْهُ رحمه الله). أُنظر، تَأرِيـخ دِمَشـق: ٢٧/٢٦٥، شرح نَهج البَلاَغَة لِابْن أَبي الحَدِيد: ١٥/٢٢٩.

الزَّوَاج

قَالُوا: «أَنَّ الفَرَس العَتِيق هُو الَّذي يَنْحَدر مِن آبَاء لاَ هجْنَة فِيهَا» [1]. وَكَذَلِكَ الْأُسَر الطَّيِبَة الطَّاهِرَة العَرِيقَة فِي التُّقَىٰ وَالقَدَاسَة تَخْشَىٰ الهُجْنَة إِذَا زوّجت أَبنَاءهَا وَبنَاتهَا بمَن دُونهَا فَضلاً وَصَلاَحاً.

حِين بَلَغت الزَّهرَاء مَبلغ الزَّوَاج كَثُر طُلابهَا، فَرَفضهُم النَّبيّ جَمِيعَاً، لعَدَم الكَفَاءَة، وزَوّجهَا عَلِيّاً، لأَنَّها مِنْهُ، وَهُو مِنْهَا، وَهُما مِن النَّبيّ في الصَّمِيم. وَنَفْس الشَّيء حَصَل لِابْنَتها الحَورَاء، طَلَبها كَثيرُون، فَردّهم الْإِمَام، وزَوّجهَا ٱبْن أَخِيه عَبدالله، وَمَن أَولىٰ بهَا مِنْهُ، وَهُو ٱبْن عَمّها للأَب والأُمّ، وَسَبق أَبُوه جَعْفَر الطَّيَّار إِلَىٰ الْإِسلاَم، وَهَاجر وَجَاهد وَٱستُشهد فِي سَبِيله.

شَرَف المُصَاهرَة:

وَإِذَا كَان الْإِقترَان بنَسل الرَّسُول شَرفَاً وَكَرَامَة، فَآله أَولىٰ النَّاس بهَذَا الحَقّ، لأَنَّهُ لَهُم ومِنْهُم وَفِيهم، وَقَد رُوي أَنَّ النَّبيّ ﷺ نَظَر إِلَىٰ أَوْلَاد عَليّ، وجَعْفَر، وَقَالَ: «بنَاتنَا لبَنِينَا، وَبَنُونا لبنَاتنَا» [2]. وإِذَا لَم يَكُن النَّبيّ جَدّاً لأَوْلاَد جَعْفَر فَإِنّه لهُم

---

(١) أُنظر، لسَان العَرَب: ١ / ٥٩٠.

(٢) أُنظر، مَن لاَ يَحضرَة الفَقِيه: ٣ / ٣٩٣ ح ٤٣٨٤، وَسَائِل الشِّيعَة: ٢٠ / ٧٤ ح ٢٥٠٦٨، مَنَاقب آل أَبي

بمَنزلَة الأَب وَالجَدّ، وَهُو وَلّيهُم فِي الدُّنْيَا وَالآخرَة، وَلاَ شَيء أَحبّ إِلَىٰ الجَدّ مِن اقترَان أَحفَاده بَعْضهُم بِبَعض، لأَنَّ فِي ذَلِكَ تَأْكِيداً لنَسلهِ وَامتدَاداً لنَوع مِن وجُودَه.

حَيَاتهَا الزَّوجِيَّة:

لَمْ يَتَحدّث المُؤرّخُون وَأَصحَاب السِّيَر عَن حَيَاة السَّيِّدَة زَيْنَب مَع زَوّجهَا عَبدالله، وَكُل مَا ذَكرُوه أَنّه رُزق مِنْهَا أَرْبعَة ذُكُور وَأُنْثىٰ...

وَعَن أَي شَيء يَتَحدّث المُؤرّخُون فِي هَذَا البَاب؟.. هَل يَتحدّثُون عَن نزَاعهَا وَشقَاقهَا مَع زَوّجهَا، أَو مَع الجِيرَان، أَو عَن وَضعهَا الأَحَادِيث عَلىٰ لسَان جدّها فِي فَضلهَا وَفَضل أَبِيهَا، أَو عَن تَحزّبها الأَحزَاب، وَركُوب الجِمَال، وَالبغَال، أَو يَتَحدّثُون عَن مَظَاهر الأُبّهَة، وَعَدد الجَوَاري وَالعَبِيد، أَو عَن رحلاَت النُّزهَة وَشَم النَّسِيم، أَو مَجَالس الأُنْس وَالطَّرب؟.

لَقَد اكتَفت الحَورَاء بذِكر الله عَن ذِكْر النَّاس، وَالقِيل وَالقَال، وَصَرفهَا القِيَام بَيْنَ يَدي الله، وَالإِنْقطَاع إِلَيهِ عَن كُل شَيء... فكَان بَيْتهَا بَيْت العِبَادَة، وَالتَّهجد، وَتلاَوة القُرآن[1]:

مَنَازل كَانَت للرَّشَاد وَللتُّقىٰ وَللصَّوم وَالتَّطهِير وَالحَسَنَاتِ

قَالَت بِنْت الشَّاطيء:

«لَمْ يُفرق الزَّوَاج بَيْنَ زَيْنَب وَأَبِيهَا وَأُخوتهَا، فَقَد بَلَغ مِن تَعلُق الإِمَام عَلِيّ

↔ طَالِب: ٣/ ٩٠، مَكَارم الأَخلاَق للطَّبرسي: ٢٠٤.

(١) أُنظر، دِيوَان دِعْبل: ١٢٤، الفُصُول المُهمَّة فِي مَعْرِفَة الأَئِمَّة لاِبْن الصَّبَّاغ المَالكِي: ٢/ ٣١٠، بِتَحقيقنَا، سِير أَعلاَم النُّبلاَء: ٩/ ٣٩١، فرَائِد السّمطَين: ٢/ ٣٣٧ ح ٥٩١، تَذكرة الخوَاصّ: ٢٣٨، مقَاتل الطَّالبيّين: ٥٦٥.

بأبْنَته، وأبْن أَخِيه أَنْ أبقَاهُما مَعَهُ، حَتَّىٰ إذَا ولّي أَمر المُسْلمِين، وَأنْتَقل إِلَىٰ الكُوفَة أنْتقلاَ مَعَهُ، فعَاشَا فِي مَقرّ الخِلاَفَة مَوضع رعَايَة أَمِير المُؤمِنِين وَأعْزَازه، وَوَقف عَبدالله بجَانب عَمّه فِي نضَالِه الحَربي، فكَان أَمِيراً بَيْنَ أُمرَاء جَيْشه فِي صِفّين»[1].

وَكَيف يَصْبر الإِمَام عَن جَوهَرتِهِ الكَرِيمَة، وَقد رَأىٰ فِيهَا مثَاله، وَطَبَائِعه، وَجَمِيع شَمَائله؟... فلَقد رَوىٰ الرُّوَاة أَنّها كَانَت تَنطق بلسَان أَبِيهَا إِذَا تَكَلّمَت. وَنَقل الشَّيخ النَّقدي عَن النَّيسابُوري: «أَنَّها كَانَت فِي فَصَاحتهَا، وَبَلاَغتهَا، وَزُهدهَا، وَعِبَادتهَا كَأَبِيهَا المُرتَضىٰ، وَأُمّها الزَّهرَاء»[2].

ولَيْسَت الفَصَاحَة، والبَلاَغَة، وَالزُّهد، وَالعِبَادَة كُلّ مَا لعَليٍّ مِن أَوصَاف... كَلَّا ثُمَّ كَلَّا، إِنَّ صفَات أَبِيهَا عَليّ لاَ تُدركهَا عقُولنَا نَحْنُ، وَمَا كَان لأَحد أَنْ يُدركهَا أَو يُحِيط بهَا إِلاَّ الأَنْبيَاء، والأَوْصِيَاء، وَلَستُ أَدري: هَل يَتَطور العَقل البَشري فِي المستَقبل، وَيَبلغ مَرتبَة تُؤهله لتَفهَم هَذِهِ الشَّخصية عَلىٰ حَقِيقتهَا وَمِن جَمِيع جِهَاتهَا؟...

أوْلاَدها:

وُلد لعَبدالله بن جَعْفَر مِن السَّيِّدَة زَيْنَب أَرْبَعَة ذُكُور، وَأُنْثىٰ، وهُم عَليّ المَعرُوف بالزَّينبي، وَمُحَمَّد، وَعبَّاس، وَعَون، وَأُمّ كُلثُوم، وَهي الَّتي خَطبهَا مُعَاوِيَة لوَلده يَزِيد، فَزوّجها خَالها الحُسَين عليه السلام مِن أبْن عَمّها القَاسم أبْن مُحَمَّد بن

---

(١) أُنظر، بَطَلة كَرْبُلاَء، الدّكتُورة عَائِشَة عَبدالرَّحمن بِنْت الشَّاطيء. مَوسُوعَة آل النّبي صلى الله عليه وآله. النَّاشر دَار الكتَاب العَربي. بَيْرُوت لُبنَان. الطَّبعَة الأُولىٰ ١٩٦٧م.

(٢) أُنظر، زَيْنب الكُبرىٰ، جعْفَر النَّقدي، مَنْشُورَات الرَّضي. قُم المُقَدسة. الطَّبعَة الثَّانِيَة. وَالطَّبعَة الثَّالثَة. مَنْشُورَات الطَّبعَة الحَيْدَرية. النَّجف الأَشرَف.

جَعْفَر بن أَبي طَالِب[١].

ومُحَمَّد وَعَون قُتلاَ مَع خَالهُما الحُسَين بكَـرْبُلاَء، بَـرَز عَـون للـقِتَال، وَهُـو يَقُول[٢]:

إنْ تَنْكرُوني فَأنَا ٱبْن جَـعْفَر شَهِيد صِدق فِي الجنَان أَزْهر

يَـطِير فِـيهَا بـجنَاح أَخْـضَر كَفىٰ بهَذَا شَرفَاً فِي المَـحْشَر

هَؤلاَء آل أَبي طَالِب كبَاراً، وَصغَاراً، إذَا عَملُوا عَملُوا ليَوم المَحْشَر وَالخُلُود، وَإذَا ٱفْتَخرُوا ٱفْتَخرُوا بالشُّهدَاء وَالصِّدِّيقِين، وإذَا ٱنْتَقمُوا ٱنتقمُوا لله لاَ لأَنْفسهِم، وَلذَا كَان لَهُم عِندَ المُسْلمِين حَقّ المَودّة وَالوَلاَء، وَعِـندَ الله سُـبْحَانَهُ الكَـرَامَـة وَالرّضوَان...

وَقَتَل عَون مِن الأَعدَاء ثَلاَثَة فوَارس، وَثمَانيَة عَشر رَجُلاً، ثُمَّ ضَرَبهُ عَبدالله ٱبن قُطنَة الطَّائي فَقَتلهُ، وَلمَّا خَرَج المُختَار قَبض عَلىٰ ٱبْن قُطنَة، وَقتَله[٣].

(١) أنظر، أعيَان الشِّيعَة: ٣٣ / ١٩١ طَبعَة (١٩٥٠م). (مِنهُ رحمه الله). أنـظر، السِّـيرَة لِابـن إسـحَاق: ٢٢٦، صَـحِيح البُـخَاري: ٣ / ١٣٦٠ ح ٣٥٠٦ و: ٤ / ١٥٥٥ ح ٤٠١٦ و: ٥ / ٢٤، تـهذيب الكـمَال: ١٤ / ٣٦٩، الإسْتِيعَاب: ١ / ٢٤٢، الطَّبَقَات الْكُبْرىٰ: ٤ / ٣٩، الإصَابَة: ١ / ٤٨٧، تهذيب الأَسمَاء: ١ / ١٥٥، التَّـرغِيب والتَّـرهِيب: ٢ / ٢٠٦ ح ٢١١٧، مَـجْمَع الزَّوائـد: ٩ / ٢٧٣، الْـمُعْجَم الْكَـبِير: ٢ / ١٠٧ ح ١٤٦٧ و: ١١ / ٣٦٢ ح ١٢٠٢٠، أَنْسَـاب الأَشـرَاف: ٢ / ١٨٩، تَأرِيـخ اليَـعقُوبي: ٢ / ٢١٣، تَأرِيخ الطَّبري: ٥ / ١٥٣.

(٢) أنظر، نَاسخ التَّوَارِيخ: ٢ / ٣٢١، شَرح الأَخْبَار: ٣ / ٢٠٢، مناقب آل أَبي طَالب: ٣ / ٢٥٤.

(٣) أنظر، المَعَارف لِابْن قُتَيبَة: ٢٠٦، مَقْتَل الحُسَين لأَبـى مَـخْنَف: ٧٣، تَأرِيـخ الطَّـبري: ٦ / ٢٥٦، الفُصُول المُهِمَّة لِابْن الصَّبَاغ المَالكي: ٢ / ١٧٠، بِتَحقِّيقنَا، مَقْتَل الحُسَين لأَبي مَخْنَف: ١٦٥ ـ ١٦٦ و ٢٣٨، الفُتُوح لِابْن أَعْثَم: ٣ / ١٢٧، جَمْهَرة أَنْسَاب العَرب: ٦١، الإمَامَة وَالسِّـيَاسَة لِابـن قُـتَيبَة: ٢ / ١٢، تأرِيخ الطَّبري: ٦ / ٢٥٦، و: ٤ / ٣٤١ طَبعَة آخر، المَنَاقب لِابْن شَهرآشُوب: ٤ / ١٠٦، و:

↔

وَبَرَز مُحَمَّد وَهُو يَقُول[1]:

أَشكُو إِلَىٰ الله مِن العُدوَان فِعَال قَوم فِي الرَّدىٰ عميَان

قَد بَدّلُوا مَعَالم القُرآن وَمُحكَم التَّنزِيل وَالتِّبيَان

وَقتَل مِن الأَعدَاء عَشرَة أَنفُس، وَحَمل عَلَيهِ ٱبن نَهشَل التَّمِيمي فقتَله[2].

وَلمَّا وَرَد نَعي الحُسَين وَنَعي مُحَمَّد وَعَون إِلَىٰ المَدِينَة كَان عَبدالله بن جَعْفَر جَالسَاً فِي بَيْته، فَدَخل عَلَيهِ النَّاس يُعَزونَه، وكَان لهُ غُلاَم ٱسمهُ أَبُو السَّلاس، فَقَال مَاذَا لَقينَا مِن الحُسَين؟.. فَحَذفهُ عبدالله بنَعلِهِ، وَقَالَ لهُ: يَا ٱبْن اللَّخنَاء... أَللحُسَين تَقُول هَذَا... وَالله لَو شَهدته لمَا فَارقتَه، حَتَّىٰ أُقتَل مَعَهُ، وَقَد هَوَّن عَليَّ مصَابهُما أَنَّهم قُتلاَ مَع أَخي وٱبْن عَمّي مواسيين لهُ صَابرِين مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: الحَمْد لله، لقَد عزَّ عَليّ مَصْرع الحُسَين، وإِذَا لَم أَكُن قَد وَاسَيتهُ بِيَدي، فَقْد وَاسَيته بوَلدي..[3].

٢/ ٢٢٠ طَبعَة آخر، مقَاتِل الطَّالبِيِّين: ٦٠، و: ١٢٢ طَبعَة آخر، و: ٩٥ طَبعَة آخر، مَقْتل الحُسَين للخوَارزمي: ٢/ ٢٧، يَنَابِيع المَودّة: ٣/ ٧٣ طَبعَة أُسوة، مُرُوج الذَّهب: ٣/ ٩٢ و ٣٣٣، مقَاتِل الطَّالِبيِّين، الإِصبهَاني: ٦٠، و: ١٢٢ طَبعَة آخر، إِبْصَار العَين فِي أَنْصَار الحُسَين: ٣٩ طَبعَة النَّجف.

(١) أنظر، نَاسخ التَّوَارِيخ: ٢/ ٣٢٢، شَرْح الأَخبَار: ٣/ ٢٠٣، مناقب آل أَبي طَالب: ٣/ ٢٥٤.

(٢) أنظر، مَقْتَل الحُسَين لأَبي مَخْنف: ١٦٧ و ٢٣٩، إِبْصَار العَين فِي أَنْصَار الحُسَين: ٤٠ طَبعَة النَّجف، المَنَاقب لِابْن شَهرآشُوب: ٢/ ٢٢٠، مَقْتَل الحُسَين للخوَارزمي: ٢/ ٢٧، تأرِيخ الطَّبري: ٦/ ٢٥٦ و ٢٦٩، و: ٤/ ٣٤١ طَبْعَة آخر، مَقَاتل الطَّالبِيِّين: ٦١، الإِرشَاد للشَّيخ المُفِيد: ٢/ ٦٨ و ١٠٧ و ١٢٥، المَعَارف لِابن قُتَيبَة: ٢٠٧ الفُصُول المُهمَّة لِابْن الصَّبَاغ المَالكي: ٢/ ١٧٠، بتحقِّيقنَا.

(٣) أُنظر، الغَارَات: ٢/ ٦٩٥، الكَامِل فِي التَّأْرِيخ: ٤/ ٨٩، مَقْتل الحُسَين لأَبي مَخْنَف: ١٦٦ و ٢٢٦، جوَاهر المطَالب فِي مناقب عَليّ بن أَبي طَالب لِابْن الدِّمَشقِي: ٢/ ٢٩٦، تَأرِيخ الطَّبري: ٤/ ٣٥٧، كَشف الغُمَّة: ٢/ ٢٨٠، شَرْح الأَخبَار: ٢/ ٢٠٢.

وَقَد تَسَاءَل البَعْض عَن عَدَم خُرُوج عَبدالله بن جَعْفَر مَع الحُسَين ؟ .

وَٱعْتَذر عَنْهُ جمَاعَة بأَعذَار لاَ تَعدُو الحَدَس ، وَالتَّخمِين . وَقَـالَ بَـعضهُم : أَنَّ بَصَرهُ كَان مَكفُوفاً يَومَئذٍ .

وَالَّذي نَعْتَقدهُ أَنَّ عَبدالله بن جَعْفَر كَان مُطيعاً للإِمَامَين الحَسَن وَالحُسَين بَـعد عَمّه ، وَأَنّه لَم يُخَالف لهُما أَمراً ، لاَ فِي السِّر وَلاَ فِي العَلاَنيَة ، وَقَد رَأينَاه يَترك أَمر زَوّاج ٱبْنَته أُمّ كُلثُوم لخَالهَا الحُسَين ، حِين طَلَبهَا مُعَاويَة لوَلدَه يَزِيد ، كمَا تَرَك أَمر خُرُوج زَوّجَته زَيْنَب إِلَيهِ وإِلَيهَا ، وَهُو الَّذي أَمر وَلدَيه عَوناً وَمُحَمَّداً بالخُرُوج مَع خَالهُما ، وَلَكنَّ الحُسَين عليه السلام لَم يُلزمهُ بالخُرُوج وَلَم يُوجب عَلَيهِ ذَلِكَ ، بَل تَرَك لهُ الخَيَار ، وَقَد رَأىٰ أَنَّ بقَاءَه فِي المَدِينَة أَصْلَح ، لإِعتبَارَات نَجهلهَا نَحْنُ ، وَيُعْذَر هُو فِيهَا ، وَلَو أَنَّ الحُسَين أَوجَب عَلَيهِ الخُرُوج لأَسرَع إِلَىٰ الإِجَابَة ، وَلَيْسَ مِن شَكٍّ أَنّه مَأجُور وَمَشكُور عِند الله والنَّاس عَلىٰ رضَاه وَٱغْتبَاطه بِٱسْتشهَاد وَلَدَيه بَيْنَ يَدي الإِمَام .

وَأَنَّ سِيرَته وَموَاقفَه بَعد الحُسَين لأَصدَق دَلِيل عَلىٰ إِيمَانه وَإِخلاَصه وَصدقَه فِي المُتَابعَة وَالولاَء لعَمّه وَأَبنَائه ، وَعَن كتَاب المَحَاسن والمَسَاويء للـبَيْهقي أَنَّ عَبدالله بن عَبَّاس ، وعَمْرُو بن العَاص كَانَا فِي مَجْلس مُـعَاويَة ، فَـعَرّض عَـمْرُو بعَبدالله بن جَعْفَر ، وَنَال مِنْهُ ، فَقَال ٱبْن عَبَّاس :

« وَلَيْسَ كمِا ذَكَرت ، ولَكنَّه لله ذَكُور وَلنُعمَائه شَكُور ، وَعَن الخنَا زَجُور ، جَوَاد كَرِيم ، سَيِّد حَلِيم ... لاَ يَدّعي لدَعي ـ يَعرض بِٱبن العَاص ـ وَلاَ يَدنُو لدَني ، كَمَن ٱخْتَصم فِيهِ مِن قُرَيْش شرّارهَا فَغَلب عَلَيهِ جزّارهَا ـ كمَا حَدَث لِابْن العَـاص ـ فَأَصبَح أَلأَمُـها حَسَـباً ، وَأَدنَـاهَا مَـنْصباً ... وَلَـيت شِـعرِي بأَي قَـدم تَـتعرض

للرِّجَال ؟. وَبأَي حَسَب تُبَارز عِند النِّضال ؟!.. أَبِنَفسكَ وَأَنتَ الوَغد الزَّنيم ؟!... أَمْ بمَن تَنْتمي إِلَيه، فَأَهل السَّفه، وَالطَّيش، وَالدَّنَاءَة فِي قُرَيْش، لاَ بشَرف فِي الجَاهليَّة ٱشْتَهرُوا، وَلاَ بقَدِيم فِي الإِسلاَم ذُكرُوا...»[1].

وَضع الأَحَادِيث وَالأَخْبَار :

أَمَّا مَا جَاء فِي بَعْض الكُتب مِن وَلَع عبدالله بن جَعْفَر بالقِيَان وَالغِنَاء فهُو، إِمَّا ٱفترَاء لاَ أَصلَ لَهُ وَلاَ أَسَاس، وَإِمَّا مُبَالغ فِيهِ بقَصد النَّيل مِن مقَام أَمِير المُؤمِنِين، لأَنَّهُ ٱبْن أَخِيه، وَزوّج ٱبْنَته... عَلىٰ طَرِيقَة السَّلف الطَّالح مِن أَمثَال الأُمويِّين وَأَذنَابهم الَّذِين يَضعُون لَهُم الأَحَادِيث وَالأَخبَار فِي عَليّ وأَولاَده وَأَحفَاده بَعد أَنْ يَقبضُوا الثَّمن.

مِن ذَلِكَ، وَعَلىٰ سَبِيل المثَال، حَدِيث: «إِنَّ ٱبْني هَذَا سَيِّد، وَلعَل الله يَصلح بِهِ بَيْن فِئَتِين عَظِيمتِين مِنْ المُسْلِمين...»[2]. وَضَعهُ مُعَاوِيَة ليُثبت بِهِ إِسلاَمه،

---

(١) أُنظر، المَحَاسن وَالمَسَاوِيء للبَيهقي: ١ / ١٤٣، الإِصَابَة: ٢ / ٣٢٠، تَأرِيخ دِمَشق: ٢٩ / ٧٤.

(٢) لاَ نُرِيد التَّعلِيق عَلىٰ هَذَا الحَدِيث مِن بَاب وَضْعه سَنداً وَمَتناً، بَل نَقول: هَذَا الحَدِيث مِنْ وَضع الأُمَويين وَأَنْصَارهُم، الَّذِين ٱستَأجرهُم مُعَاوِيَة للكِذب والإِفْترَاء عَلىٰ الرَّسُول ﷺ هَذَا أَوَّلاً.

أُنظر، الإِصَابَة: ١ / ٦٤، فَقَال فِيهَا ٱبن حَجر: «وَهَكذَا أَصْبَحت الخِلاَفَة ملكاً عَضُوضاً عَلىٰ يَد مُعَاوِيَة الَّذي وَرَّثها لاِبْنه يَزِيد، وَأَجبَر النَّاس عَلىٰ بَيعَته فِي حيَاته، لاَ يُنَازعه فِي مُلكه مُنَازع مِن بَعده. بل قَالَ فِي جوَاهر المَطالب فِي منَاقب عَليّ بن أَبي طَالب لِابن الدِّمَشقي: ٢ / ٢٠١، الرُّوَاة مِن حُفَّاظ بَني أُمَيَّة.

أُنظر، الإِصَابَة: ١ / ٣٣٠، مُسْند أَحمَد: ٥ / ٥١، العِقد الفَرِيد: ١ / ١٦٤، تَهذِيب تَأرِيخ دِمَشق لِابن عَسَاكر: ٤ / ٢٠٢، صَحِيح البُخَاري: ٢ / ١١٨، و: ٤ / ١٤١، سُنن النَّسائي: ٣ / ١٠٧ سُنن أَبي دَاود: ٢ / ٢٨٥، و: ٣ / ١١٨، محَاسن البيهقي: ٥٥، مُستَدرك الحَاكم: ٣ / ١٦٩، الإِستِيعَاب: ١ / ٣٨٤،

وَإِسلاَم مَن كَان مَعَهُ فِي صِفِّين، وَيَنفي عَنْهُ وَعَنهُم البَغي الَّذي دَمَغهُم بِهِ حَـدِيث «وَيح عمَّار تَقْتله الفِئَة البَاغِية يَدعُوهُم إِلَىٰ الجَنَّة، وَيَدعُونه إِلَىٰ النّار»[1].

وَثَانِياً: إِنَّ هَذَا اللَّفظ «بَيْن فِئَتَين مِن المُسْلِمِين عَظِيمَتين» كَيف يُوجّهها أَصحَاب الرَّأي وَالسَّداد فِي حَالة المُقَارنة بَيْن قَوله صلى الله عليه وآله حَول رَيحَانة الإِمَام الحَسن عليه السلام: إِنّ ٱبني هَذَا سيّد، وَقَـوله صلى الله عليه وآله: وإِنّ الحَسنَين خَير النَّاس جَدّاً وَجدّة وأَباً وأُمّاً، وقَـوله صلى الله عليه وآله: إِنّ الحَسَـن وَالحُسَـيْن سِـبطا هَـذِه الأُمّـة، وَقَوله صلى الله عليه وآله: إِن الله زَيّن الجنّة بِالحَسَن والحُسَيْن، وقَوله صلى الله عليه وآله: إِنّ الحَسن وَالحُسَيْن سَيّدا شَبَاب أَهْـل الجَنّة، وَقَوله صلى الله عليه وآله: إِنّ الحَسنَين عُضوَان مِن أَعضَائه، وَغَير ذَلِك كَثير وَبين قَوله صلى الله عليه وآله: إِذَا رَأيتُم مُعَاوِيَة عَلىٰ مِنْبَري فَٱقتلُوه... كمَا ذَكر ذَلك صَاحب مِيزَان الإِعْتِدَال: ٢ / ٧ و: ١٢٩، طَبعة مِصْر سَنَة ١٣٢٥ هـ، وٱبن حَجر فِي تَهْذِيب التَّهذِيب: ٥ / ١١٠، و: ٧ / ٣٢٤، و: ٨ / ٧٤، طَبْعَة حَيْدَر آباد سَنَة ١٣٢٥هـ. وفِي لفَظ ٱبن عُيَيْنَة «فَٱرْجمُوه»، وكنُوز الحَقَائِق: ٩، طَبْعَة استانبول سَنَة ١٢٨٥هـ، وٱبن سَعد فِـي الطَّبقَات: ٤ / ١٣٦ ق ١. وَقَوله صلى الله عليه وآله: وَيحٌ عمّار... وَكَذلك تأسّف عبد الله بـن عُـمر بـن الخـطّاب، وَتأسّف عَبد الله بن عُمرو بن العَاص عَلىٰ أَنّـه كَـان مَـع الفِـئَة البَـاغيَة؟؟! وَمَـع هَـذا كُـلّه يَـطلقُون لفَظة «المُسْلِمِين» عَلىٰ مُعَاوِيَة وَأَصحَابه، وَبالتَالي فإِنّ لفَظ «المُسلم» كـمَا يُـطلق عَـلىٰ المُـؤمِن فَكَذلك يُطلَق عَلىٰ المُنَافق وَالبَاغي وَغير ذَلِك مِن الفِرق المُنْتَحلة للإِسلاَم.

(١) ذَكَرتُ ذَلِك فِي بَعْض مُؤلّفَاتي السَّابقَة، وَأَعدتهُ هُنا، لتَّعم الفَائِدَة. (مِنْهُ رحمه الله).

وَعَمَّار: هُو أَبُو اليَقظَان عَمَّار بن يَاسر بن عَامر بن مَالِك بن كنَانة بن قَيْس بن الحُصين بن الوَذِيم مِن بَني ثَعلبَة، وَأُمّه سُميَّة. وكَانَ حَلِيفاً لِبَني مَخزُوم. وكَانَ هُو وَوَالده مِن السَّابقِين إِلىٰ الإِسْلاَم وهُو سَـابع سَبعَة أَجهرُوا بإِسلاَمهم، وَقد ٱستُشْهِدَ وَالدَاه أَثر تَعْذِيب قُرَيْش إِيَاهُما عَلَىٰ إِسلاَمهُما. وَقَد وَرَد عَن الرَّسُول صلى الله عليه وآله أَحَادِيث صَحِيحَة فِي مَدحه مِنهَا قَوْله صلى الله عليه وآله: «إِنّ عَمَّاراً مُلئ إِيمَاناً إِلىٰ مُشَاشِه».

أُنظر، صَحِيح البُخَاريّ: كتَاب الصَّلاة، بَاب التَّعَاون فِي بِنَاء المَسَاجد، و: ١ / ١٢٢، صَحِيح مُسْلِم: ٤ / ٢٢٣٥، صَحِيح التِّرمِذي: ٥ / ٦٦٩، مُسْنَد أحـمَد: ٢ / ١٦١ و ١٦٤، و: ٤ / ١٩٧، و: ٦ / ٢٨٩، مُسْنَد أَبي دَاود الطَّيَالسِي: ٣ / ٩٠، حليَة الأَوْلِيَاء: ٤ / ١١٢، تَأرِيخ بَغدَاد: ١٣ / ١٨٦، و: ٥ / ٣١٥، و: ٧ / ٤١٤، طَبقَات ٱبْن سَعد: ٣ / ١٧٧، الطَّبقَات لِابْن سَعد: ٣ / ٣٥٩، أَنْسَاب الأَشْرَاف: ١ / ١٧٠، الإِسْتِيعَاب: ١ / ١٥٧، مُسْنَد أحـمَد: ٥ / ٢١٤، تَأرِيـخ الطَّـبَرِيّ: ٣ / ٣١٦، المُـوضّح لـلخَطيب: ١ / ٢٧٧. وأُنظر أَيضاً الرِّوَايَات الَّتِي خَلقهَا الطَّبَرِيّ: ١ / ٣٠٩٥ ـ ٣٠٩٦، وَالخَطيب فِـي المُـوضّح:

↔ ١ / ٢٧٥، وٱبْن عسَاكر بِتَرجمة خُزَيْمَة بِسَنده عَن سَيْف مِن مَخطُوطات المَكْتَبة الظَّاهِرية بدِمَشْق: ٥ رقم ٣٣٧ ورقة ٣٠٢ و٣٠٣. وَقَارن أَيضاً مَع مَا رَواه اليَعقُوبي فِي تَأرِيخه: ٢ / ١٧٨، ومُروج الذّهب: ٢ / ٣٦٦، والْفُتُوح لِابْن أَعْثَمْ: ٢ / ٢٨٩. وفِي تَأرِيخ ٱلْإِسْلَام للذَّهبي: ٢ / ١٧١.

وَهُنَالك أَحَادِيث أُخرىٰ، وهُو الَّذي نَزلت فِيهِ آيَة ١٠٦ مِن سُورَة ٱلنَّحْلِ ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِالْإِيمَـٰنِ﴾ أُنظر، تَفْسِير الآيَة فِي تَفْسِير الطَّبَرِيّ، والقُرطُبي، وٱبْن كَثِير، والسّيوطي. وأُنظر طَبقَات ٱبن سَعد: ٣ / ١٧٨، والمُسْتَدرَك: ٣ / ١٧٨.

وأُنظر تَرجمَة عَمَّار بن يَاسر فِي مُروج الذّهب: ٢ / ٢١ و٢٢، أَنْسَاب الأَشْرَاف: ٥ / ٤٨ ـ ٨٨، و: ٢ / ٣١٤ وَمَا بَعدها تَحقِيق المَحمُودي طَبعَة الأَعلمي بَيرُوت، مُسْنَد أَحمَد: ١ / ٩٩ و١٢٣ و١٢٥ و١٣٠ و١٣٧ و٤٠٤، و: ٢ / ١٦١ و١٦٤ و٢٠٦، و: ٣ / ٥، و: ٢٢ و٢٨ و٩٠، و: ٤ / ٧٦ و٨٩ و٩٠ و١٩٧ و١٩٨ و٣١٩، و: ٥ / ٢١٤، و٣٠٦، و: ٦ / ٢٨٩، و ٣٠٠، و ٣١١ و٣١٥ و ٤٥٠، وصَحِيح البُخَاريّ: الْجِهَاد ب ١٧، سُنن ٱبْن مَاجه ب ١١ مِن المقدّمة، وسُنن التِّرمِذي: ب ٣٣ مِن كتَاب المَنَاقب، ومُسْنَد الطَّيَالسِي: ١١٧ و٦٠٣ و٦٤٣ و٦٤٩ و١١٥٦ و١٥٩٨ و ٢١٦٨ و ٢٢٠٢، والْإِسْتِيعَاب: ٢ / ٤٦٩ حرف الْعَيْن، الْإِصَابَة: ٢ / ٥، خَصَائص أَمِير ٱلْمُؤْمِنين للنّسائي: ١٣٢ ط الحَيْدَرية، حليَة الأَوْلِيَاء: ٤ / ١٧٢ و ٣٦١، و: ٧ / ١٩٧ و ١٩٨، ومَجْمَع الزّوائد: ٧ / ٢٤٠ و ٢٤٢، و ٢٤٤ و: ٩ / ٢٩٥، تَأرِيخ الطَّبَرِيّ: ٥ / ٣٩ و ٤١، و: ١٠ / ٥٩.

وأُنظر تَرجَمته أَيضاً فِي أُسد الغَابَة: ٢ / ١١٤ و ١٤٣ و ٢١٧، و: ٤ / ٤٦، الْإِمَامَة وَالسِّيَاسَة لِابْن قُتَيْبَة: ١ / ١١٧، تَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢ / ١٦٤ طَبعَة الغَري، وَقْعَة صِفِّين: ٣٤١ و ٣٤٣، العِقد الفَرِيد: ٤ / ٣٤١ و ٣٤٣، المنَاقب للخوَارزمي: ٥٧ و ١٢٣ و ١٢٤ و ١٥٩ و ١٦٠، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٣ / ٣١٠ و ٣١١، الْإِسْتِيعَاب بهَامِش الْإِصَابَة: ٢ / ٤٣٦ طَبْعَة السّعادة، فرَائد السِّمْطَين: ١ / ١١٤ و ١٢٠ و ٢٨٧، الْمُعْجَم الصَّغِير للطبراني: ١ / ١٨٧.

وَرَاجع أَيضاً شَرْح النَّهج لِابْن أَبي ٱلْحَدِيد: ٨ / ١٠ و ١٧ و ١٩ و ٢٤، و: ١٥ / ١٧٧ طَبْعَة مَصْر تَحقِيق مُحَمَّد أَبُو الْفَضْل، و: ٢ / ٢٧٤ الطَّبعَة الأُولَىٰ مِصْر، سِيرة ٱبْن هِشام: ٢ / ١٠٢، نُور الأَبْصَار: ١٧ و ٨٩ طَبْعَة السّعيدية بمَصْر، كفَايَة الطَّالب: ١٧٢ ـ ١٧٥ طَبْعَة الحَيْدَرية، و ٧١ و ٧٣ طَبْعَة الغَري، تَذكرة الخوَاصّ: ٩٣ و ٩٤، يَنَابِيع المَودَّة: ١٢٨ و ١٢٩ طَبْعَة إسلامبول، و: ١٥١ و ١٥٢ طَبْعَة الحَيْدَرية، و: ١ / ١٢٨ و ١٢٩ طَبْعَة العِرفَان، وأَحْكَام ٱلْقُرآن لِابْن عَربي: ٤ / ١٧٠٥ الطَّبعة الثَّانِيَة تَحقِيق ↔

ومِنْهُ الخَبَر المُفترىٰ عَلىٰ الإِمَام الحَسَن عليه السلام أَنَّهُ كَان إِذَا رَأىٰ جَمعاً مِنْ النُّسوَة يَقُوْل لَهُنَّ: «مَنْ مِنكُنَّ تَأخذ ٱبن بِنْت رَسُول الله؟ فَيُجبنَّه بصَوت وَاحد: كُلّنَا مُطلقَات ٱبن بِنْت رَسُول الله»[(١)].

وَأَي عَاقِل يُصَدق مِثْل هَذَا عَلَىٰ الإِمَام الزّكي الَّذي لهُ عَقل جَدّه مُحَمَّد المُصْطَفىٰ، وَأَبِيه عَليّ المُرتَضىٰ؟! أَي عَاقِل يُصدق أَنَّ الإِمَام الحَسَن كَان يَقف عَلَىٰ قَارعَة الطَّرِيق، وَيُنَادي مُعلناً عَنْ نَفْسه وَرَغبَته فِي الزَّوَاج، وَالنِّكَاح؟ وَأَغرَب مِنْ كُلّ ذَلِكَ جوَاب النُّسوَة كُلّنا مُطلقَات ٱبن بِنْت رَسُول الله. مَتىٰ تَزوّج بِهَذِه الكَثرَة الكَثِيرة؟! وَمَتىٰ طَلقَهُنَّ؟! وَكَيف إِجْتمع مُطلقَاته كُلهُنَّ فِي مَجْلس وَاحد؟! وَكَيف خَفينَّ عَلَيه، وَلَم يَعْرف حَتَّىٰ وَلاَ وَاحدَة مُنهُنَّ، وَبَالأَمس كُنَّ فِي بَيْته وعَلَىٰ فِرَاشه؟!

وَمِن ذَلِكَ أَخبَار السَّيِّدَة سُكَينَة مَع أَشْعب الطَّمّاع وَغَيره مِن المُغنّين وَالمُخنثِين[(٢)]... إِلَىٰ كَثِير مِن الأَكَاذِيب وَالإِفترَاءَات الَّتي حَاكتهَا الفِئَة البَاغيَة

البجَاوي. وكَانَ عَمَّار مَع عليّ فِي حَرْب الْجَمَل وصِفِّين، وَقُتل بصِفِّين مَسَاء الخَمِيس ٩ صَفر سَنَة (٣٧هـ) وَلَه مِن الْعُمُر ٩٣ سَنَة.

أُنظر، صَحِيح البُخَاريّ: ١ / ١٢٢ و ٢ / ٣٠٥، صَحِيح مُسْلِم: ٤ / ٢٢٣٥، صَحِيح التِّرمِذي: ٥ / ٦٦٩، مُسْنَد أحمَد: ٢ / ١٦١ و ١٦٤، و: ٤ / ١٩٧، و: ٦ / ٢٨٩، حليَة الأَوْليَاء: ٤ / ١١٢.

(١) إِنَّ هَذِه الأَبَاطِيل قَد ٱفْتَعلهَا المَنصُور الدَّوَانِيقي وَأَخَذهَا عَنْهُ المُؤرّخُون كمَا ذَكر صَاحب المُرُوج: ٣ / ٢٢٦، وَصُبح الأَعشىٰ: ١ / ٢٣٣، وَجَمْهرَة رِسَائِل العَرب: ٣ / ٩٢. ثُمّ جَاءَت لُجَان التَّبشِير كَلاَمنس وَغَيره فِي دَائِرَة مَعَارفه: ٧ / ٤٠٠ مِن تَروِيج الأَكَاذِيب عَلَيه عليه السلام، وَالمُسَلّم، وَالمَقطُوع بِهِ هُو تَزوّجه عليه السلام بِبَاكرَةٍ وَاحدَة وَتِسع زَوْجَات ثَيِّبَات.

(٢) لسَنَّا بصَدد رَدّ أَكَاذِيب ٱبن خِلّكَان وَالإِصبهَاني بِصَدد سُكَيْنَة وَزوَاجهَا مِن فُلاَن وَفُلان. وَلاَ نُرِيد أَنْ

بشهَادة رَسُول الله[١]، وَالشَّجرَة المَلعُونة فِي كتَاب الله[٢].

⟷ تَقف مَع هَذِهِ الأَساطِير، وَالأَكَاذِيب الإِصبهَانيَّة، وَالدِّمشقيَّة، وَالكُثيريَّة، وَالأَثِيريَّة عَلىٰ بِنْت الطَّهارَة، وَمَعدن الوَحي وَالرِّسَالة، بَل نَقول: أَلاَ لعْنَة الله عَلىٰ الكَاذِبين، أَلاَ لعْنَة الله عَلىٰ الظَّالِمين.

أُنظر، مصَادر هَذِهِ الأُسطُورة، وَالأَبيَات الشِّعرية فِي تَأرِيخ دِمَشق: ١١/ ٢٦١ و: ٦٩/ ٢٠٩، الأَغَاني: ١٦/ ١٦١، البدَاية وَالنّهايَة: ٩/ ٢٩١، دِيوَان جَمِيل: ٢٩ و ٤٠ طَبعَة بَيرُوت، دِيوَان الفَرزدَق: ١/ ٢٥٩ و: ٢/ ١٥٥ طَبعَة بيرُوت صَادر، مصَارع العشَاق: ٢/ ٨٠ ـ ٨٢، دِيوَان جَرير: ٣٥٥ و ٤١٦ طَبعَة بيرُوت، دِيوَان كُثيِّر: ٥٥ و ١١٦ طَبعَة بَيرُوت.

أُنظر، سِير أَعلاَم النُّبلاَء: ٥/ ٢٦٣، الطَّبقات الكُبرىٰ: ٨/ ٤٧٥، تَأرِيخ دِمَشق: ٦٩/ ٢٠٥، دُرَر الأَصْدَاف فِي فَضل السَّادَة الأَشرَاف، لعَبد الجوَاد بن خُضر الشَّربِيني.

(١) أُنظر، صَحِيح البُخاري: ١/ ١٢٢، صَحِيح مُسْلِم: ٤/ ٢٢٣٥، صَحِيح التِّرمِذي: ٥/ ٦٦٩، مُسْنَد أحمَد: ٢/ ١٦١ و ١٦٤، و: ٤/ ١٩٧، و: ٦/ ٢٨٩، مُسْنَد أَبي دَاود الطَّيَّالِسِي: ٣/ ٩٠، حليَة الأَوْلِيَاء: ٤/ ١١٢، تَأرِيخ بَغدَاد: ١٣/ ١٨٦، و: ٥/ ٣١٥، و: ٧/ ٤١٤، طَبقَات ابْن سَعد: ٣/ ١٧٧، الطَّبقَات لِابْن سَعد: ٣/ ٣٥٩، أَنسَاب الأَشرَاف: ١/ ١٧٠، الإِسْتِيعَاب: ١/ ١٥٧، مُسْنَد أحمَد: ٥/ ٢١٤، تَأرِيخ الطَّبَرِيّ: ٣/ ٣١٦، المُوضّح للخَطيب: ١/ ٢٧٧، مُروج الذّهب: ٢/ ٢١ و ٢٢، أَنسَاب الأَشرَاف: ٥/ ٤٨ ـ ٨٨، و: ٢/ ٣١٤ وَمَا بَعدها تَحقِيق المَحمُودي طَبعَة الأَعلمي بَيرُوت، مُسْنَد أحمَد: ١/ ٩٩ و ١٢٣ و ١٢٥ و ١٣٠ و ١٣٧ و ٤٠٤، و: ٢/ ١٦١ و ١٦٤ و ٢٠٦، و: ٣/ ٥، و: ٢٢ و ٢٨ و ٩٠، و: ٤/ ٧٦ و ٨٩ و ٩٠ و ١٩٧ و ١٩٨ و ٣١٩، و: ٥/ ٢١٤، و ٣٠٦، و: ٦/ ٢٨٩، و ٣٠٠، و ٣١١ و ٣١٥ و ٤٥٠، وصَحِيح البُخَاريّ: الْجِهَاد ب ١٧، سُنن ابْن مَاجه ب ١١ مِن المقدِّمة، وسُنن التِّرمِذي: ب ٣٣ مِن كتَاب المنَاقب، ومُسْنَد الطَّيَّالِسِي: ١١٧ و ٦٠٣ و ٦٤٣ و ٦٤٩ و ١١٥٦ و ١٥٩٨ و ٢١٦٨ و ٢٢٠٢، والإِسْتِيعَاب: ٢/ ٤٦٩ حرف الْعَيْن، الإِصَابَة: ٢/ ٥، خَصَائص أَمِير ٱلْمُؤْمِنِين للنَّسائي: ١٣٢ ط الحَيْدَرية، حليَة الأَوْلِيَاء: ٤/ ١٧٢ و ٣٦١، و: ٧/ ١٩٧ و ١٩٨، ومَجْمَع الزَّوائد: ٧/ ٢٤٠ و ٢٤٢، و ٢٤٤ و: ٩/ ٢٩٥، تَأرِيخ الطَّبَرِيّ: ٥/ ٣٩ و ٤١، و: ١٠/ ٥٩.

(٢) أُنظر، دَلاَئل النُّبوّة للبَيهقي: ٦/ ٥١١، تَفسِير الطَّبري: ١٥/ ٧٧، الدُّر المَنثُور: ٤/ ١٩١، فَتح القَدِير: ٣/ ٢٣٩، تَأرِيخ دِمشق: ٥٧/ ٢٧٣، النّزاع وَالتَّخاصم: ٢٣، الهِدَاية الكُبرىٰ: ٧٦ ح ٢٥، فَتح البَاري: ٨/ ٣٠٢، شَرْح نَهج البَلاَغة لِابْن أَبي الحَدِيد: ٩/ ٢٢٠.

المَصَائِب وَالْأَحْزَان

شَاءَت الْأَقدَار أَنْ تُلقي بِالسَّيِّدة الحَورَاء فِي أَحضَان المَصَائِب وَالْأَحْزَان مُنذ الطُّفولة إِلَىٰ آخر يَوْم فِي حَيَاتها... فَمَن يَقف عَلَىٰ سِيرتهَا يَجد سِلسلَة مِن حَلقَات مُتّصلَة مِن الْآلآم مُنذ البدَايَة، حَتَّىٰ النّهايَة.

وَأي إِنْسَان خَلَت أَو تَخلُو حَيَاته مِن الهمُوم وَالْأَكدَار، حَتَّىٰ أَصحَاب السُّلطَان، وَالجَاه، وَالثَّراء لاَ مَنجَاة لَهُم مِن ضَربَات الزَّمَان، وَطوَاريء الحَدثَان... وَقَدِيماً قِيل عَلَىٰ لسَان الْإِمَام عَليّ: «الدَّهْرُ يَوْمَانِ: يَوْمٌ لَكَ، وَيَوْمٌ عَلَيْكَ؛ فَإِذَا كَانَ لَكَ فَلَا تَبْطَرْ، وَإِذَا كَانَ عَلَيْكَ فَاْصْبِرْ!»[1]. وَمَن الَّذي حَقّق جَمِيع رَغبَاته، وَلَم يَفْقد قَرِيباً مِن أَقربَائه، وَعَزِيزاً مِن أَعزَائِه.

وَلَكن مِن غَير المَألُوف وَالمَعرُوف أَنْ يَعِيش «إِنْسَان» فِي خِضَم مِن المِحَن وَالْأَرزَاء، كمَا عَاشَت السَّيِّدَة زَيْنَب الَّتي إِنْهَالت عَلَيهَا الشَّدَائِد مِن كُلّ جَانب الوَاحدَة تُلو الْأُخرىٰ، حَتَّىٰ سُميَّت أُمّ المَصَائِب، وَأَصْبَحَت هَذِه الكُنيَة عَلماً خَاصَّاً بهَا.

فَقْد شَاهدَت وَفَاة جَدّها رَسُول الله، وَتَأْثِيرهَا عَلَىٰ المُسْلِمين بعَامّة، وَعَلىٰ أُمّها وَأَبِيها، وأَهْل بَيْتهَا بخَاصّة، قَالَ أَمِير المُؤمِنِين: «نَزَل بِي مِن وَفَاة رَسُول الله ﷺ مَا

---

(١) أُنظر، نَهج البَلاَغَة: الحِكْمَة «٣٩٤».

لَمْ أَكُن أَظن الجِبَال لَو حَمَلتهُ عنوَة كَانَت تَنْهض بهِ... وَرَأيت النَّاس مِن أَهْل بَيْتي مَا بَيْنَ جَازع لاَ يَملك جَزْعَه، وَلاَ يَضْبط نَفْسَه، وَلاَ يَقوىٰ عَلىٰ حَمْل فَادح نَزَل بِهِ، قَد أَذْهَب الجَزَع صَبْرَه، وَأَذهَل عَقْلَه، وَحَال بَيْنَهُ وبَيْنَ الفَهم وَالْإِفهَام، وَالقَوْل، وَالْأَسمَاع»[1].

وَطَبيعي أَنْ يَصِيب أَهْل البَيْت هَذَا، وأَكْثَر مِنْهُ، فَأَنَّ تَأثِير المُصَاب بِالفَقِيد، أَي فَقِيد يُقاس بقَدرِهِ وَقِيمَته...

وَكَفىٰ الرَّسُول عَظمَة أَنْ يَقْتَرن آسمه بآسم الله، وَلاَ يُقْبل الْإِيمَان وَالْإِعتراف بالله الوَاحد الْأَحد إِلاَّ مَع الْإِعْتِرَاف وَالْإِيمَان برسُول الله مُحَمَّد...

هَذَا، إِلىٰ أَنَّ النَّبيّ صلى الله عليه وآله كَان قَد حَدَث أَهْل بَيْته بكُلّ مَا يَجري عَلَيهِم مِن بَعْدَه، وَكَرَّره أَكْثَر مِن مَرّة عَلىٰ مَسَامعهِم تَصرِيحاً وَتَلويحاً، حَتَّىٰ سَاعَة الوَفَاة كَان يَنْظر إِلىٰ وجُوههِم وَيَبكي، وَلمَّا سُئل قَالَ: «أَبْكي لذُرِّيتي، وَمَا تَصْنع بهِم شِرَار أُمّتي مِن بَعْدي»[2].

شَاهَدت زَيْنَب وَفَاة جَدّها الرَّسُول، وَمَا تَركه مِن آثَار، وَشَاهَدت مِحْنَة أُمّها الزَّهرَاء، وَندبهَا لأَبِيهَا فِي بَيْت الأَحزَان، وَدخُول مَن دَخَل إِلىٰ خِدْرهَا، وَآنْتهَاك حُرمتهَا، وَآغْتصَاب حقّهَا، وَمَنع إِرثهَا، وَكَسر جَنبهَا، وَإِسقَاط جَنِينهَا، وَسَمعتهَا، وَهي تُنَادي فَلاَ تُجَاب، وَتَسْتَغِيث فَلاَ تُغَاث... وَكلّنا يَعْلم عِلاَقَة البِنْت بـالْأُمّ، وَتَطلعهَا إِلَيهَا، وَتَأثرهَا بهَا تلقَائِيّاً وَبدُون شُعُور.

(١) أُنظر، مَنَاقب آل أَبي طَالب: ١ / ٢٣٣، الخِصَال للشَّيخ الصَّدُوق: ٣٧١، شَرح الأَخْبَار: ١ / ٣٤٦، الْإِخْتِصَاص للشَّيخ المُفِيد: ١٧٠.

(٢) أُنظر، أَمَالي الشَّيخ الطُّوسي: ١٨٨ ح ١٨.

وَشَاهَدت قَتْل أَبيها أَمِير المُؤمِنِين، وَأَثَر الضَّربَة فِي رَأسه، وَسريَان السّم فِي جَسَده الشَّرِيف، وَدمُوعَه الطَّاهرة الزَّكيَة تُفِيض عَلىٰ خَدّيه، وَهُو يُقلب طَرفه بالنَّظر إِلَيهَا، وإِلَىٰ أَخوَيهَا الحَسَنين.

وَشَاهَدت أَخَاهَا الحَسَن أَصْفَر اللَّون يَجُود بنَفْسه، وَيَلفظ كَبده قِطعَاً مِن أَثَر السُّم[1]، وَرَأت عَائِشَة تَمنَع مِن دَفْنَه مَع جَدّه، وَتَركَب بغلَة، وَتَصِيح، وَاللهِ لاَ يُدفَن الحَسَن هُنا أَبدَاً[2].

---

(١) رُوي أَنّه لمَّا وضَع الطَّشت بَيْنَ يَدي الحَسَن، وَهُو يَقْذف كَبَده سَمع أَنَّ أُختَه زَيْنَب تُريد الدُّخُول عَلَيهِ أَمَر برَفع الطَّشت إِشفَاقاً عَلَيهَا. (مِنْهُ ﷺ). الرّوَايَة عَلىٰ تَقدِير صِحّتها نَصَّت عَلىٰ أَنّ السُّمّ أَثّر فِي كَبدهِ حَتّىٰ قَاء بَعضَاً مِنْهِ، وَهَذا مِمَا يَرفضهُ الطِّبّ الحَدِيث بَل يَقول: إِنَّ السُّمّ يُحدث إِلتهَاباً فِي المَعدة وَبالتَالي يُؤدّي إِلىٰ هبُوط فِي ضَغط الدَّم وَيُؤدّي إِلىٰ إِلتهَاب الكَبد. وَالكَبد هُو الجِهَاز الخَاصّ فِي الجَانب الأَيمن الَّذي يَقوم بإِفرَاز الصَّفرَاء كمَا جَاء فِي القَامُوس: ١ / ٣٣٢، تَاج العَروس: ٢ / ٤٨١، وَيُسمّىٰ الجَوف بكَامله كَبداً. وَهُنا تَكُون الرّوايَة غَير مُنَافية للطّبّ حَيث إِنّه أَلقىٰ مِن جَوفه قطعَاً مِن الدَّم المُتخثّر، وَالَّتي تَشبه الكَبد.

(٢) أُنظر، الإِصَابَة: ١ / ٣٣٠، تَأرِيخ دمَشق: ٨ / ٢٢٨، البدَايَة وَالنّهاية: ٨ / ٤٤، الإِستِيعَاب: ١ / ٣٨٩، العِقد الفَرِيد: ٣ / ١٢٨، مُرُوج الذَّهب: ٢ / ٥١، رحلَة أَبن بَطّوطة: ٧٦، عُيون الأَخْبَار: ٢ / ٣١٤، الإِمَام الحَسَن بن عَليّ للمَلطاوي: ٧٢، دَلاَئِل الإِمَامَة: ٦١، المقَاتل: ٧٤، شَرْح النَّهج لِابن أَبي الحَدِيد: ١٦ / ٤٩ ـ ٥١، كفَايَة الطَّالب: ٢٦٨، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٣ / ١٩٧.

الفِتْنَة الكُبْرىٰ:

أَتَّجهَت موَاكِب التَّشييع نَحو المَرقَد النَّبوي لتُجدّد العَهْد بجَدّه ﷺ لَكن لمَا عَلم الأُمويُون ذَلِكَ تَجمّعُوا وَأَنضمّ بَعْضهُم إِلىٰ بَعْض بدَافع الأَنَانيّة وَالحِقْد وَالعَدَاء للهَاشميِّين إِلىٰ إِحدَاث شَغَب وَمُعَارضَة لدَفن الإِمَام بجوَار جَدّه لأَنّهم رَأوا أَنَّ عَميدهُم عُثمَان دُفن فِي حَش كَوكب ـ مَقْبَرَة اليَهُود ـ فَكَيف يُدفن الحَسَن عليه السلام مَع جَدّه فَيكُون ذَلِكَ عَاراً عَلَيهِم وَخِزيَاً فَأَخذُوا يَهتفُون بلسَان الجَاهليّة الحَمقَاء: يَا رُبّ هَيجَاء، هِي خَير مِن دَعة، أَيُدفَن عُثمَان بأَقصىٰ المَدِينَة وَيُدفن الحَسَن عِندَ جَدّه؟

وَأَنعَطف مَروَان بن الحَكَم وَسَعِيد بن العَاص نَحو عَائِشَة وَهُما يَستَفزّانهَا وَيَستَنجدَان بهَا لمُنَاصرتهُم

أَمَّا مَا شَاهَدته فِي كَرْبُلاَء، وَحِين مَسْرَاهَا إِلَىٰ الكُوفَة، وَالشَّام مَع العَلِيل، وَالنِّسَاء، والأَطْفَال فيفُوق الوَصف، وَقَد وضْعَت فِيهِ كُتب مُسْتقلّة.

هكذا كَانَت حَيَاة السَّيِّدَة، وَبِيئتهَا مِن يَومهَا الأَوّل إِلَىٰ آخر يَوْم، حَيَاة مُشبّعَة بالأَحزَان، مُتْخَمة بالآلاَم لاَ تَجد مِنْهَا مَفرّاً، وَلاَ لهَا مَخرجاً.

وَبَعد هَذِه الإِشَارَة نَقف قَلِيلاً لنَرىٰ كَيف قَابلَت السَّيِّدَة هَذِه الصَّدمَة وَالأَحدَاث الجِسَام: هَل أَصَابها مَا يُصِيب النِّسَاء فِي مِثْل هَذِه الحَال مِن الإِضْطرَاب

↔ بذَلِك وَهُما يَعرفَان دَخِيلَة عَائِشَة وَمَا تَنْطوي عَلَيهَا نَفسهَا بمَا تَكنّه مِن الغِيرَة وَالحَسَد لولد فَاطمَة عليها السلام قَائِلين لهَا: يَا أُمّ المُؤمِنِين، إِنّ الحُسَين يُريد أَنْ يَدفن أَخَاه الحَسَن مَع رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم وَالله لَئن دُفن الحَسَن بجوَار جَدّه ليَذهبنّ فَخر أَبِيك، وَصَاحِبه عُمر إِلىٰ يَوم القِيَامَة. فَأَلهبت هَذِه الكَلمَات نَار الثَّورَة فِي نَفْسهَا فَانْدفعت بغَير اخْتيَار لمُنَاصرتهمَا رَاكبَةً عَلىٰ بَغلٍ وَهي تَقُول: مَالي وَلكُم تُريدُون أَنْ تُدخِلوا بَيْتي مَن لاَ أُحبُّ؟! وَكَادَت أَنْ تَقع الفِتْنَة بَيْن بَني هَاشم وَبَني أُميّة. فَبَادر ابن عَبّاس إِلىٰ مَروَان فَقَال لهُ: ارجَع يَا مَروَان مِن حَيْث جِئْت، فإِنّا مَا نُريد أَنْ نَدفن صَاحبنَا عِند رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم بَل نُريد أَنْ نُجدّد العَهْد بِهِ، ثُمّ نَردّه إِلىٰ جَدّته فَاطمَة بِنْت أَسد فَندفنهُ عِندهَا لوصِيّته بذَلكَ، وَلَو كَان وَصّىٰ بدَفنهِ مَع النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لعَلمتَ أَنّك أَقْصَر بَاعاً مِن ردّنَا عَن ذَلكَ. لكنّه عليه السلام كَان أَعْلَم بالله وَرَسُوله وَبحُرمَة قَبرِه مِن أَنْ يُطرق عَلَيه هَدماً كمَا طُرق ذَلكَ غَيره، وَدَخلَ بَيْته بغَير إِذْنه.

ثُمّ أَقبَل عَلىٰ عَائِشَة فَقَال لهَا: وَا سُوأتَاه! يَوماً عَلىٰ بَغلٍ وَيَوماً عَلىٰ جَمل... وَفِي رُوَايَة قَال ابن عَبّاس: يَوماً تَجمّلتِ وَيَوماً تبغّلتِ، وَإِنْ عِشتِ تَفيّلتِ... فَأَخذه ابن الحَجّاج الشَّاعر البَغدَادي فَقَال:

يَا بِنْت أَبِي بَكْر ... لاَ كَان وَلاَ كُنتِ
لَكِ التُّسع مِن الثُّمن ... وَبالكُلّ تَملّكتِ
تَجمّلتِ تَبغّلتِ ... وَإِنْ عِشتِ تَفيّلتِ

هَذَا الخَبر رَوَاه الفَرِيقَان مِن أَهْل السُّنّة وَالشِّيعَة بتَغيّر ببَعض عبَارَاته كلّ بحَسب مَذْهَبه.

أُنظر، مقَاتل الطَّالبيِّين: ٨٢، شَرح النَّهج لابن أَبي الحَدِيد: ٤ / ١٨، و: ١٦ / ٤٩ ـ ٥١، تَذكرَة الخوَاصّ: ٢٢٣، تَأرِيخ اليَعقُوبي: ١ / ٢٠٠، تَأرِيخ أَبِي الفدَاء: ١ / ١٩٢، العِقد الفَرِيد: ٣ / ١٢٨، أَنسَاب الأَشرَاف: ١ / ٤٠٤، الطَّبقَات الكُبرىٰ: ٨ / ٥٠، كتَاب عَائِشَة وَالسِّيَاسَة: ٢١٨، الإِستِيعَاب: ١ / ٣٧٤، كفَايَة الطَّالب: ٢٦٨، الفُتُوح لابن أَعثَم: ٢ / ٣٢٣ هَامش رَقم «٣».

وَٱخْتلاَل الأَعصَاب ؟ . . . هَل هيمَنت عَلَيهَا العَاطفَة العَميَاء الَّتي لاَ يَبقىٰ مَعهَا أَثَر لعَقل وَلاَ دِين ؟ . . وبالتَالي ، هَل خَرَجت عَن حدُود الإِتزَان وَالإِحتشَام ؟ . . . حَاشَا بِنْت النَّبيّ ، وفَاطِمَة ، وَعَليّ ، وَأُخت الحَسنَين ، وَحَفِيدَة أَبِي طَالِب أَنْ تَنْهَزم أَمَام النَّكبَات ، وَتَستَسلم للضَّربَات . . . حَاشَا النَّفس الكَبِيرَة أَنْ تَتمكن مِنْهَا العوَاطف ، أَو تُزعزعهَا العوَاصف . . . فَلَقد تَحولت تِلْكَ المِحن ، وَالمصَائب بكَاملهَا إِلَىٰ عَقلٍ ، وَصَبرٍ ، وَثقَة بالله ، وَكَشفت كُلّ نَازلَة نَزلَت بهَا عَن مَعْنىٰ مِن أَسمىٰ معَاني الكَمَال ، وَالجَلاَل ، وَعَن سرّ مِن أَسرَار الإِيمَان النَّبويّ المُحَمّديّ ، أَنَّ ٱعْتصَامها بالله ، وَإِيمَانها بِهِ تَماماً كَإِيمَان جَدّها رَسُول الله .

وَلَيْسَ فِي قَولي هَذَا أَيّة شَائبَة مِن المُغَالاَة مَا دُمت أَقْصد الإِيمَان الصَّحِيح الكَامِل الَّذي لاَ يَنْحرف بصَاحبِهِ عَن طَاعَة الله وَمَرضَاته مَهمَا تكُن الدَّوَافع وَالمُلاَبسَات . . . وَأي شَيء أَدل عَلىٰ هَذِه الحَقِيقَة مِن قيَامهَا بَيْنَ يَدي الله للصَّلاَة لَيْلَة الحَادي عَشَر مِن المُحرّم ، ورجَالهَا بلاَ رُءوس عَلىٰ وَجْه الأَرْض تُسفي عَلَيهم الرِّياح ، وَمِن حَولها النِّسَاء ، والأَطْفَال فِي صيَاح وَبُكَاء ، وَدَهشَة وذهُول ، وَجَيْش العَدو يُحِيط بهَا مِن كُلّ جَانب . . . أَنَّ صَلاَتها فِي مِثْل هَذِه السَّاعَة تَمَاماً كصَلاَة جدّها رَسُول الله فِي المَسْجِد الحَرَام ، وَالمُشركُون مِن حَوله يَرشقُونَه بالحِجَارَة ، وَيَطرحُون عَلَيهِ رَحم شَاة ، وَهُو سَاجد لله عزّ وَعلا ، وَكصَلاَة أَبِيها أَمِير المُؤمِنِين فِي قَلب المَعْرَكَة بصفّين ، وَصلاَة أَخِيهَا سَيِّد الشُّهدَاء يَوْم العَاشر ، وَالسّهام تَنهَال عَلَيهِ كَالسَّيل .

وَلاَ تَأْخذك الدَّهشَة ـ أَيّها القَاريء ـ إِذَا قُلتُ : أَنَّ صَلاَة السَّيِّدَة زَيْنَب لَيْلَة الحَادي عَشر مِن المُحرّم كَانَت شُكراً لله عَلىٰ مَا أَنْعَم ، ، وَأَنّها كَانَت تَنظر إِلَىٰ تِلْكَ

الأَحدَاث عَلىٰ أَنّها نِعمَة خَصّ الله بهَا أَهْل بَيْت النّبُوّة مِن دُون النّاس أجـمَعِين، وَأَنّه لولاَها لمَا كَانَت لَهُم هَذِه المَنَازل وَالمرَاتب عِـند الله وَالنّـاس... وَلاَ يَشك مُؤمن عَارف بِأَنَّ أَهْل البَيْت لَو سَألوا الله سُبْحَانَهُ دَفع الظُّلم عَنْهُم، وَأَلحُوا عَلَيهِ فِي هَلاَك الظَّالمِين لأَجَابهُم إِلَىٰ مَا سَأَلوا، كمَا لاَ يَشك مُسْلِم بأَنَّ رَسُول الله لَو دَعَا عَلىٰ مُشركي قُرَيْش لإستجَاب دُعَاءه[1]... وَلكنّهُم لَو دَعوا وَاستجَاب لَم تَكُن لَهُم هَذِه الكَرَامَة الَّتي نَالُوهَا بِالرِّضا وَالجِهَاد، والقَتْل وَالإستشهَاد، وَفِي هَذَا نَجد تَفْسِير قَول الحُسَين: «رِضَا الله رِضَانَا أَهْل البَيْت نَصْبر عَلَىٰ بَلاَئهِ وَيُوفِينا أُجُور الصَّابِرين، لَنْ تَشُذَّ عَن رَسُول الله لُحْمَته بَل هِي مَجْمُوعَة لهُ فِي حَظِيرَة القُـدس تُقرُّ بِهم عَيْنه، وَيُنْجَز بِهم وَعْدَه، مَن كَانَ بَاذِلاً فِينَا مُهْجَتْه، وَمُوطِّناً عَلَىٰ لقَاء الله نَفْسه فَلْيَرحَل مَعَنا فَإِنّني رَاحل، مُصْبِحاً إِنَّ شَاء الله تَعَالىٰ»[2]. وَقَول أَبيه أَمِـير المُؤمِنين، وَهُو يُجِيب عَن هَذَا السُّؤال: فَقَالَ لِي: «فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذاً»! فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ، وَلَكِنْ مِنْ مَوَاطِـنِ الْـبُشْرَىٰ وَالشُّكْـرِ.

---

(١) حِين لَقي المُسْلِمُون مِن المُشْرِكِين شِدّة شَدّيدَة قَالُوا لرَسُول الله: أَلاَ تَدعُو الله: أَلاَ تَدعو الله لنَـا؟. قَالَ: أَنَّ مَن كَان قَبلكُم ليُمَشط أَحدهُم بأَمشَاط الحَدِيد مَا دُون عَظمِهِ مُن لحَم أَو عَصب مَا يَصرفهُ ذَلِكَ عَن دِينه، وَيُوضع المنشَار عَلىٰ مَفرق رَأسَه فَيُشق بإثنَين مَا يَصرفهُ ذَلِكَ عَن دِينهِ، وَليُتمنَّ الله هَـذَا الأَمر، حَتَّىٰ ليَسِير الرَّاكب مِن صَنعَاء إِلَىٰ حَضرَمَوْت لاَ يَخَاف إِلاَّ الله». وَهَكذَا تَمّ أَمر أَهْل البَيْت لاَ يَخَاف موَالِيهم إِلاَّ الله، وَالحَمد لله. (مِنْهُ رحمه الله).

أُنظر، صَحِيح البُخَاري: ٣ / ١٣٢٢ ح ٣٤١٦ و: ٦ / ٢٥٤٦ ح ٦٥٤٤، صَحِيح اَبن حبَّان: ٧ / ١٥٦ ح ٢٦٩٧، سُنن البَيهقي الكُبرىٰ: ٩ / ٥ ح ٢٧٤٩٨، السُّنن الكُبرىٰ: ٣ / ٤٥٠ ح ٥٨٩٣، مُسْنَد البَزّار: ٦ / ٦٧ ح ٢١٢٧، مُسْـنَد أَحـمَد: ٥ / ١٠٨ ح ٢١٠٩٥ و ٢١١٠٧ و ٢٧٢٦٠، مُسْـنَد أَبـي يَـعلى: ١٣ / ١٧٤ ح ٧٢١٣، المُعْجَم الكَبِير: ٤ / ٦٢ ح ٣٦٣٨.

(٢) تَقَدَّمت تَخْرِيجَاته.

وَقَالَ: «يَا عَلِيُّ، إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ، وَيَمُنُّونَ بِدِينِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ، وَيَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ، وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ، وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ، وَالْأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ، فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ، وَالسُّحْتَ بِالْهَدِيَّةِ، وَالرِّبَا بِالْبَيْعِ».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَبِأَيِّ الْمَنَازِلِ أُنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ أَبِمَنْزِلَةِ رِدَّةٍ، أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ؟ فَقَالَ: «بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ»[1].

وَزَيْنَب هِي بِنْت أَمِير المُؤمِنِين لاَ تَعدُوه فِي إِيمَانها، وَلاَ فِي نَظرها إِلَىٰ طَرِيق الخُلُود وَالكَرَامة... وَلذَا لَم تَترك الصَّلاَة شُكراً لله، حَتَّىٰ لَيْلَة الحَادي عَشر مِن المُحرّم، وَحِين مَسيرهَا مَسبِيَّة إِلَىٰ الكُوفَة والشَّام، وَحَمدَت الله، وَهي أَسِيرَة فِي مَجْلس يَزِيد عَلىٰ أَنْ خَتَم الله للأَوّل مِن أَهْل البَيْت بِالسَّعَادَة، وَللآخر بالشَّهَادَة وَالرَّحمَة.

وَمِن الخَير أَنْ نَنقُل كَلمَة لأَبِيها أَمِير المُؤمِنِين تَتّصل بالمَوضُوع وَتُلقي عَلَيهِ ضَوءاً مِن أَنوَار الحِكمَة كَالهدَايَة، قَالَ:

«أَنَّ أَشدّ النَّاس بَلاَء النَّبيُّون، ثُمَّ الوَصيُّون، ثُمَّ الأَمثَل فَالأَمْثَل، وَإِنّما يُبْتلىٰ المُؤْمِن عَلىٰ قَدَر أَعمَاله الحَسَنة، فَمَن صَحّ دِينَه، وَحَسُن عَمَله اشْتدّ بَلاَؤه، ذَلِكَ أَنَّ الله لَم يَجْعل الدُّنْيا ثوَاباً لمُؤمِن، وَلاَ عُقُوبة لكَافر، وَمَن سَخف دِينَه ضَعف عَمَله، وَقَلّ بَلاَؤه، وَأَنَّ البَلاَء أَسرَع إِلَىٰ المُؤْمِن التَّقي مِن المَطر إِلَىٰ قرَار الأَرْض»[2].

(١) أُنظر، نَهج البَلاَغَة: الخُطْبَة «١٥٦».

(٢) أُنظر، الكَافي: ٢/ ٢٥٩ ح ٢٩، عِلل الشَّرَائِع: ١/ ٤٤ ح ١، السَّرَائِر لِابن إدرِيس: ٣/ ١٤٣، وَسَائِل الشِّيعَة: ٣/ ٢٦٢ ح ٨.

وَبعد، فَإِنَّ الأَحدَاث الَّتي مَرّت بالسَّيِّدة زَيْنَب لفتَت إِلَيهَا الأَنظَار، فَتحدّث عَنْهَا المُؤرّخُون وَأَصحَاب السِّير فِي مَوسُوعَاتهِم، ومِنْهُم مَن وَضَع فِي سِيرتهَا كُتباً مُسْتَقلة، وَأَشَاد الخُطبَاء بفَضلهَا وَعَظمتهَا مِن عَلىٰ المَنَابر، وَنَظم الشُّعرَاء القَصَائِد فِي أَحزَانهَا وَأَشجَانهَا، وَصَبرهَا وَثبَاتهَا، وَنَذكر هُنا ـ عَلىٰ سَبيل المثَال ـ هَذِه القِطعَة الدَّاميَة لهَاشِم الكَعْبي:

وَثوَاكل فِي النَّوح تَسعَد مِثلهَا ... أَرَأيت ذَا ثَكل يَكُون سَعِيدَا
نَاحَت فَلَم تَر مِثلهُنَّ نَوَائحَاً ... إِذْ لَيْسَ مِثْل فَقِيدهُنَّ فَقِيدَا
لاَ العِيس تَحكِيهَا إِذَا حَنّت وَلاَ ... الوَرقَاء تُحسن عِندهَا تَردِيدَا
أَنْ تَنْع أَعطَت كُلّ قَلب حَسرَة ... أَو تَدع صَدّعت الجبَال المِيدَا
عَبرَاتهَا تُحيي الثَّرىٰ لَو لَم تكُن ... زَفرَاتهَا تَدع الرِّيَاض هَمُودَا
وَغَدت أَسِيرَة خدرهَا ٱبنَة فَاطم ... لَم تَلق غَير أَسِيرهَا مَصفُودَا
تَدعو بِلَهفَة ثَاكل لَعب الأَسىٰ ... بِفُؤَادِهِ حَتَّىٰ إِنْطوىٰ مَفؤودَا
تُخفي الشَّجا جَلداً فَإِنْ غَلَب الأَسىٰ ... ضَعَف فَأَبدَت شَجوهَا المَكمُودَا
نَادَت فَقطّعَت القُلوب بشَجوهَا ... لَكنَّما إِنْتَظم البَيَان فَرِيدَا

مَاذَا نُسمّي هَذِه النَّغمَات الحَزِينَة؟... أَنُسَميهَا شِعرَاً، وَالشِّعر يَحتَاج إِلَىٰ أَعمَال الفِكر، وَتَخير المَعَاني وَالأَلفَاظ، وَالكَعْبي لَمْ يَفْعَل شَيئَاً مِن ذَلِك، وَإِنَّما ٱنْعَكسَت فِي نَفْسهِ آلآم آل الرَّسُول، ثُمَّ فَاضَت بهَا مِن حَيث لاَ يَشْعر، تَمَامَاً كمَا فَاضَت عُيُون الثَّاكلاَت بالعَبرَات... وَكُل شِيعي صَادق الوَلاَء لآل نَبيّه يُعَبر عَن وَلاَئهِ بالبُكَاء، وَإِقَامة العَزَاء لمَّا أَصابهُم وَحلَّ بِهم، أَو بشَد الرِّجَال لزِيَارَة قبُورهم وَمشَاهِدهم المُقدّسَة، أَو بالإِحتجَاج لحَقّهم، وَمُنَافحَة خصُومهم، أَو بثَورَة

شِعريَّة، كمَا فَعَل السَّيِّد حَيْدَر الحِلّي[١]..

أَمَّا أَنْ تَكُون نَفْس المُحبّ بالذَات هِي الأَدَاة المُعَبّرَة عَن حُبّه وَولاَئه، فهَذَا مَا لاَ نَعْرفهُ إلاَّ مِن أَفرَاد قَلاَئِل جداً، مِنْهُم هَاشِم الكَعْبي، وَالشَّرِيف الرَّضي... أَنَّ هَذِه القِطعَة لَيْسَت وَصفاً لنَدب الثَّواكل وَحَنِينهَا إِلَىٰ سَيِّدها وَكَفيلهَا، وَلاَ تَصوِيرَاً لأَحزَانها وَآشجَانها، وَكَفىٰ، وَلاَ أَخبَار بالَّذي أَصَاب آل مُحمَّد، كمَا قَالَ بَعْض الشُّعرَاء:

سُبِيَت نِسَاء مُحَمَّد وَبنَاته مِن بَعد مَا قُتلَت هُنَاك رجَاله

وَإِنَّما هِي قَلْب مُضْطَرم قَد آستحَال إِلَىٰ كَلمَات تُلْهب القُلُوب وَالمشَاعر... فَلقَد هيمَن الوَلاَء عَلىٰ الكَعْبي، وَآنْتَقل بهِ مِن عَالمهِ وَدُنيَاه إِلَىٰ عَالم الثَّواكل فِي كَرْبُلاَء، فَشَعر بشعُورهُنَّ، وَأَحَس بإِحسَاسهنَّ، حَتَّىٰ أَصبَح مِثلهُنَّ ثَاكلاً يَنْدُب وَيَنُوح بعَبرَات تُحيي الثَّرىٰ، وَزَفرَات تَدع الرِّيَاض هُوداً.

---

(١) شَاعر مُكْثر وَمُجِيد فِي رثَاء الحُسَين، وَشِعرَه كُلّه أَو جُلّه ثَورَة، وَحمَاسَة، وَآستنهَاض. (مِنْهُ رحمه الله).

نَوَايَا يَزِيد

مَات مُعَاويَة، وَتَولىٰ يَزِيد الْأَمر مِن بَعدهِ، وأَبىٰ إلاَّ أَنْ يَأخد لنفسهِ بَيعَة الحُسَين... وَقَالَ الحُسَين كَلمَته الَّتي لاَ يَحول عَنْهَا، وَلاَ يَزُول، مَهمَا تكُن العوَاقب: «وَمِثْلِي لاَ يُبَايع مِثْله»[1]... وكَانَت المَأسَاة الَّتي لاَ يَزَال وَلَن يَزَال يَجري دَمهَا طَرِيّاً عَلىٰ وَجْه الْأَرْض، كمَا قَالَ السَّيِّد العُبَيدي.... أَنَّ مُعَاويَة لَيْسَ بشَيء مِن الْإِسلاَم، وَلاَ مِن الْإِنْسَانِيَّة فِي حسَاب الحُسَين، فَكَيف بوَلَده يَزِيد؟!... وَإِقرَأ مَعي هَذَا التَّأنِيب وَالتَّوبِيخ الَّذي وَجّهه الحُسَين لمُعَاويَة بصَوت عَالٍ جَرِيء.

الحُسَين ومُعَاويَة:

كَتَب مَرْوَان بن الحَكَم، وَهُو عَامِلَه عَلىٰ المَدِينَة:

أَمَّا بَعْد، فَإِنَّ عَمْرُو بن عُثْمَان ذَكَر أَنَّ رِجَالاً مِن أَهْل العِرَاق، وَوجُوه أَهْل الحِجَاز يَخْتَلفُون إِلَىٰ الحُسَين بن عَليّ، وَأَنّه لاَ يُؤمن وثُوبَه، وَقَد بحَثت عَن ذَلِكَ، فبَلَغني أَنّه يُرِيد الخِلاَف يَوْمه هَذَا، فَاكتُب إِليّ برَأيَك.

---

(١) تَقدَّمَت تَخرِيجَاته.

فكَتَب مُعَاوِيَة إِلَىٰ الحُسَين :

أَمَّا بَعْد : فَقَدْ ٱنْتَهت إِلَيَّ أُمُور عَنْكَ إِنْ كَانَت حَـقّاً فَـقَدْ أَظـنّك تَـركتهَا رَغـبَة فَدعهَا، وَلعَمر الله أَنَّ مَن أَعطىٰ الله عَهْده وَمِيثَاقه لجَدِير بالوَفَاء، فَإِنْ كَان الَّـذي بَلغني بَاطلاً فَإِنّك أَنْتَ أَعزَل النَّاس لذَلِكَ، وَعظ نَفْسك، فَاذكُر، وَبعَهد الله أَوف فَإِنّك مَتىٰ مَا تَنْكرني أَنْكرك، وَمَتىٰ مَا تَكدني أَكدك، فَٱتّق شَقّ عَصَا هَذِه الأُمّة وَإِنْ يَردهُم الله عَلىٰ يَدَيك فِي فِتْنَة، فَقَدْ عَرَفت النَّاس وَبَلوتهُم، فَٱنْـظر لنَـفسك وَلدِينَك وَلأُمّة مُحَمَّد، وَلاَ يَسْتَخفنك السُّفهَاء والَّذِين لاَ يَعلمُون.

يَا لسُخريَة الأَقدَار... الشَّجرَة المَـلعُونَة فِـي القُـرآن تَـقُول لمَـن طَـهّرَه الله تَطْهيراً... أُنظر لدِينَك وَلأُمّة مُحَمَّد... عَدوّ الله وَالرَّسُول الَّذي قَالَ لأَهْل الكُوفَة : «يَا أَهْل الكُوفَة! أَتَرُونِ أَنّي قَاتَلتكُم عَلىٰ الصَّلاة، وَالزَّكَاة، وَالحَجّ، وَقَد عَلِمتُ أَنّكُم تُصلُّون، وَتُزَكُون، وَتحجُون، ولكنّي قَاتلتكُم لأَئتمر عَلَيْكُم، وَأَلي رِقَابكُم، وَقَد أَتَانِي الله ذَلِكَ وَأَنْتُم كَارهُون. أَلاَ إِنَّ كلّ دَم أُصِيب فِي هَذِه مَـطلُول، وَكـلّ شَرْط شَرَطتَه فتَحت قَدَمي هَاتِين»[1]. يَقُول لرَبِيب الوَحي : أُنظر لدِينَك وَلأُمّة مُحَمَّد؟.. وَلَكنَّ الحُسَين قَد أَبطَل كَيدَه، وَهَدم كَهْفَه، وَأَرغَم أَنْفَه، حَيث أَجَابه :

أَمَّا بَعْد : فَقَدْ بَلَغني كتَابك تَذكر فِيهِ أَنَّهُ ٱنْتَهت إِلَيكَ عَنّي أُمُور أَنْتَ عَنْهَا رَاغب وَأَنَا بغَيرهَا عِندَك جَدِير، فَإِنَّ الحَسنَات لاَ يُهدىٰ لهَا وَلاَ يُسَدّد إِلَيها إِلاَّ الله تَعَالىٰ. وَأَمّا مَا ذَكَرت أَنَّهُ رُقيَّ إِلَيكَ عَنّي، فَإِنّه إِنَّما رَقَاه إِلَيكَ المُـلاَقُون المَشّـاؤون

---

(١) أُنظر، البِدَاية وَالنّهاية : ٦/ ٢٤٦، تَأرِيخ دِمَشق : ٥٢ / ٣٨٠، تَأرِيخ اَبن كَثِير : ٨ / ١٢١، الكَامِل فِي التَّأرِيخ : ٦ / ٢٢٠، مقَاتل الطَّالبِيين : ٧٠، شَرْح النَّهج لِابْن أَبي الحَدِيد : ٤ / ١٦ و : ١٦ / ١٥، المَعْرِفَة والرِّجَال للبسوي : ٣ / ٣١٨، شَرح الأَخبَار : ٢ / ١٥٧، مَنَاقب آل أَبي طَالب : ٣ / ١٩٦، المُصَنّف لِابْن أَبِي شَيبة الكُوفي : ٧ / ٣٥١ ح ٢٣، تَأرِيخ دِمشق : ٥٢ / ٣٨٠ و : ٥٩ / ١٥٠، البدَاية والنّهاية : ٨ / ١٤٠.

بِالنَّمِيمَة، المُفرّقُون بَيْنَ الجَمع، وَكَذب الغَاوُون.

وَمَا أَردت إِلَيكَ حَرباً، وَلاَ عَلَيك خِلاَفاً، وَإِنّي لأَخْشىٰ الله فِي تَرك ذٰلِكَ مِنْكَ، وَمِن الأَعذَار فِيهِ إِلَيك وإِلىٰ أَوليَائك القَاسطِين حِزْب الظَّلمَة وَأَوْليَاء الشَّياطِين.

أَلَستَ القَاتل حِجْر بن عَدي أَخَا كِندَة وَأَصحَابه المُصلّين العَابدِين الَّذِين كَانُوا يُنكرُون الظُّلم، وَيَستعظمُون البِدَع، وَيَأمرُون بِالمَعرُوف، وَيَنهُون عَن المُـنْكَر، وَلاَ يَخَافُون فِي الله لَومَة لاَئِم، ثُمَّ قَتَلتهُم ظُلماً وَعُدوَاناً، مِن بَـعد مَـا أَعـطَيتهُم الأَيمَان المُغَلظَة وَالموَاثِيق المُؤكّدَة، لاَ تَأخذهُم بحَدث كَان بَيْنَك وَبَيْنَهُم، جُرَأة مِنْك عَلىٰ الله وَٱسْتخفَافاً بعَهدِهِ؟..

أَولَست قَاتل عَمْرُو بن الحَمق الخُزَاعي صَاحِب رَسُول الله ﷺ العَبد الصَّالح الَّذي أَبْلَته العِبَادَة، فَنَحل جِسمَه، وَٱصفَرّ لَونه، فَقَتَلتهُ بَعدمَا أَمّنْتَهُ، وَأَعطَيتهُ مَا لَو فَهمتَهُ العِصم لنَزَلت مِن رُؤوس الجبَال؟..

أَولَست بمُدّعي زِيَاد بن سُمَيّة المَولُود عَلىٰ فرَاش عُبَيد ثَقِيف، فَزَعَمت أَنَّـهُ ٱبْن أَبِيك، وَقَد قَالَ رَسُول الله ﷺ: «الوَلَد للفِرَاش، وَللعَاهر الحَجَر»[1]، فَتَركتَ سُنّة رَسُول الله ﷺ تَعمداً، وَتَبعتَ هَوَاك بغَير هُدىً مِن الله، ثُمَّ سَلّطتَه عَلىٰ أَهْـل الإِسلاَم يَقتلهُم، وَيَقطع أَيديهِم وَأَرجلهُم، وَيُسمّل أَعينهُم، وَيَصلبهُم عَلىٰ جذُوع النَّخل، كَأَنَّك لَستَ مِن هٰذِه الأُمّة وَلَيسُوا مِنْكَ؟..

أَولَست قَاتِل الحَضرَمي الَّذي كَتَب فِيهِ إِلَيكَ زِيَاد أَنَّهُ عَلىٰ دِين عَليّ كَـرّم الله

---

(١) أُنظر، مُسْنَد الإِمَام الشَّافعي: ١٨٨، مُسـنَد أَحـمَد: ٢ / ٣٨٦، سُـنن الدَّارمـي: ٢ / ١٥٢، صَـحِيح البُخَاريّ: ٣ / ٣٩، صَحِيح مُسْلِم: ٤ / ١٧١، سُنن ٱبن مَاجه: ١ / ٦٤٦، سُنن التِّـرمذي: ٣ / ٢٩٣، مِصبَاح الزّجاجَة: ٢ / ١٢٢، مُسْنَد الشّهاب: ١ / ١٩٠، الْبَيَان والتّعريف: ٢ / ١٣٠ و ٢٦٧، الـتمهِيد لِٱبن عَبد البر: ٨ / ١٩١، كَشف الخفَاء: ٢ / ٤٥١، شَرح النّوَوي عَلىٰ صَحِيح مُسْلِم: ١٠ / ٣٧.

وَجْهَه ، فَكَتَب إِلَيه أَنْ أُقتل كُلّ مَن كَان عَلىٰ دِين عَليّ ، فَقَتلهُم ، وَمَثّل بِهم بأَمرك ، وَدِين عَليّ هُو دِين ٱبْن عَمّه صلى الله عليه وآله الَّذي أَجْلَسك مَجْلسك الَّذي أَنْتَ فِيهِ ، وَلَولاَ ذَلِكَ لكَان شَرفَك وَشَرف آبَائك تَجشُم الرّحلتَين رحلَة الشّتَاء وَالصَّيف ؟ . .

وَقُلتَ فِيمَا قُلت : أُنظر لنَفسك وَلدِينك وَلأُمّة مُحَمَّد ، وَٱتّق شَقّ عَصَا هَذِه الأُمّة وَأَنْ تَردهُم إِلىٰ فِتْنَة . وَإِنّي لاَ أَعْلم فِتْنَة أَعْظَم عَلىٰ هَذِه الأُمّة مِن ولاَيَتك عَلَيهَا ، وَلاَ أَعْلَم نَظرَاً لنَفسي وَلدِيني وَلأُمّة مُحَمَّد صلى الله عليه وآله عَلَينَا أَفضل مِن أَنْ جَاهدَك ، فَإِنْ أَفْعَل فَإِنّه قُربَة إِلىٰ الله ، وَإِنْ تَركته فَإِنّي ٱسْتَغفر الله لدِيني ، وَأَسأَلهُ تَوفِيقه لإِرْشَاد أَمري . .

وَقُلتَ فِيمَا قُلت : إِنّي إِنْ أَنْكَرتُك تَنْكرني وَإِنْ أَكدك تَكدني ، فَكدني مَا بَدَا لَكَ ، فَإِنّي أَرجُو الله أَنْ لاَ يَضرني كَيدك ، وَأَنْ لاَ يَكُون عَلىٰ أَحد أَضرّ مِنْهُ عَلىٰ نَفْسك ، لأَنّك قَد رَكبت جَهْلَك ، وَتَحرصّت عَلىٰ نَقض عَهْدك . وَلعَمري مَا وَفيّت بشَرط ، وَلَقد نَقَضت عَهْدك بقَتلك هَؤلاَء النَّفر الَّذِين قَتلتهُم بَعد الصُّلح وَالأَيمَان وَالعهُود وَالموَاثِيق ، فَقَتلتهُم مِن غَير أَنْ يَكُونُوا قَاتَلُوا وَقُتلوا . وَلَم تَفْعَل ذَلِكَ بِهم إِلاَّ لذكرهِم فَضلنَا ، وَتَعظِيمهِم حَقّنا ، فَقَتلتهُم مخَافَة أَمر لَعلّك لَو لَم تَقْتلهُم مُتّ قَبْلَ أَنْ يَفعلُوا أَو مَاتُوا قَبْلَ أَنْ يُدركُوا . فَأَبْشر يَا مُعَاويَة بالقصَاص ، وَٱسْتَيقن بالحسَاب ، وَٱعلَم أَنَّ لله تَعَالىٰ كتَاباً لاَ يُغَادر صَغِيرَة وَلاَ كَبِيرَة إِلاَّ أَحصَاهَا ، وَلَيْسَ الله بنَاس لأَخذك بالظَّنة وَقَتلك أَوْليَاءه عَلىٰ التُّهم ، وَنَفيك أَوْليَاءه مِن دُورهِم إِلىٰ دَار الغُربَة . وَأَخذُك للنَّاس بَيعَة ٱبْنَك ، غُلاَم حَدَث ، يَشرَب الشَّراب ، وَيَلعَب بالكلاَب ، وَمَا أَرَاك إِلاَّ قَد خَسرتَ نَفْسك ، وَبَترتَ دِينك ، وَغَشَشت رَعيتك وَأَخربْتَ

أَمَانَتك، وَسَمعت مقَالَة السَّفِيه الجَاهل، وأَخَفتَ الوَرع التَّقي، وَالسَّلاَم[1].

وَلمَّا قَرَأ مُعَاويَة الكِتَاب أَطلَع عَلَيهِ وَلَده يَزِيد، فَقَال لهُ: أَجْبهُ جوَابَاً يَصْغر إِلَيهِ نَفْسه، وَاَذْكر أَبَاه عَلِيَّاً بشَر.

فَقَال مُعَاويَة: وَمَا أَقُول فِي عَليّ، وَمِثلي لاَ يُحسن أَنْ يَعِيب بالبَاطل؟ وَمَتىٰ مَا عِبتَ رَجُلاً بمَا لاَ يَعرفَه النَّاس كَذّبوه، وَمَا عَسَيت أَنْ أَعِيب حُسَيناً؟ وَوَالله مَا أَرىٰ للعَيب فِيهِ مَوضعَاً وَقَد رَأيت أَنْ أَكتُب إِلَيه أَتوَعدهُ أَتهدَده، ثُمَّ رَأيت أَنْ لاَ أَفْعَل وَلاَ أَمْحَكَه[2]...

الحُسَين يُبَايع يَزِيد وَهُو يَقف مِن أَبِيه مُعَاوِيَة هَـذَا المَـوقف، وَيُـخَاطبهُ بـهَذَا الإِحْـتقَار وَالإِزْدرَاء: رَكِبت جَهلَك، وَنَقضت عَهْدك، وَخَسَـرت دِيـنَك، وَغَشَشت الرَّعيَة، وَقَتلت أَوليَاء الله، وَأَخَذت البَيْعَة لغُلاَم يَشرب الشَّراب، وَيَلعب بِالكلاَب؟!.

قَرأ يَزِيد هَذَا السِّجل الخَالد فِي مثَالبه، وَمثَالب مِن مَهَّد لهُ، وَبَايَعه بالخِلاَفَة، فَحرّض أَبَاه عَلىٰ أَنْ يَنَال بالبَاطل مَن عَليّ والحُسَين، وَلَم يَجد مُعَاوِيَة مَا يَقُولَه أَللَّهُمَّ هَؤلاَء أَهْل بَيْتي فَأَذْهِبْ عَـنْهُم الرِّجْس وَطَـهّرْهُم تَـطْهِيراً، فَـاجْتَر يَـزِيد ضَغِينَته وَأَحقَادَه، وَأنْطوىٰ عَلىٰ غَيظِهِ وَغضبه يَنْتَظر الفُرصَة المُؤاتِيَة.

فَوْرَان الحِقْد:

وَبَعد أَنْ هَلَك مُعَاويَة، وَتَولّىٰ يَزِيد الأَمر مِن بَعْده صَمَّم أَنْ يَقتُل الحُسَين عَلىٰ

---

(١) أُنظر، أَعيَان الشِّيعَة: ٤ / ١٤٢ طَبعَة سَنَة (١٩٤٨م) نَقلاً عَن كتَاب «الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة» لِابْن قُتَيبَة. وَذكر هَذَا الكِتَاب أَيضاً صَاحِب البحَار: ١٠ / ١٤٩. (مِنْهُ ﷺ).

(٢) أُنظر، مَعْدن الحِكمَة: ١ / ٥٨٢، الإِحتجَاج للطُّوسي: ٢٧٩، مُعْجَم رِجَـال الحَـدِيث: ١٩ / ٢١٥، العوَالم: ١٧ / ٩٣ ح ٦، إِختيَار مَعْرفَة الرِّجَال: ١ / ٢٥٩.

كُلّ حَال، وَبأي ثَمَن، وَمهمَا تكُن النَّتَائج...وَسوَاء أصحّ أَنَّ مُعَاوِيَة أوصَاه خَيرَاً بِالحُسَين، أَو لَم يَصحّ، فَإِنَّ فورَان الحِقد، وَاللُّؤم، وَالبُغض، وَالغَيظ مِن الحُسَين قَد بَلَغ الغَايَة مِن نَفْسَه، وَأدّىٰ بِهِ إِلَىٰ حمقٍ لاَ تُجدي مَعَهُ النَّصِيحَة، وَإِلىٰ دَاء لاَ يَشفِيه إِلاَّ الْإِنْتقَام، وَلَو كَان بِهِ ذهَابه وَذهَاب مُلكَه، وَمِن قَبْلَ قَالَ عَبدالله بن الزُّبَيْر: «اَقتلُوني وِمَالكاً»[1].

صَمَّم الحُسَين أَنْ لاَ يُبَايع يَزِيد، قُتلَ أَو لَم يُقْتَل، لسَبب وَاحد وَهُو «مِثْلَهُ لاَ يُبَايع مِثْل يَزِيد»[2]... وَصَمَّم يَزِيد عَلَىٰ قَتل الحُسَين بَايَع أَو لَمْ يُبَايع لأَسبَاب:

«مِنْهَا»: العدَاء المَبدَئي الَّذي أَشَار إِلَيهِ الإِمَام الصَّادِق بقَوله: «نَحْنُ وَآل أَبي سُفْيَان تَعَادينَا فِي الله، قُلنَا: صَدَق الله. وقَالُوا كَذَب الله»[3].

وَ«مِنْهَا»: العدَاء الشَّخصي، فَقَدْ كَان يَزِيد يَعْلَم عِلْم اليَقِين بأَنَّ الحُسَين يَزْدَرِيه وَيَحْتَقره وَأَبَاه مُعَاوِيَة، وَأَيضَاً يَعْلَم بأَنَّ الحُسَين يَنْظر إِلَيهِ وإِلَىٰ أَبيه كمَا يَنْظر إِلَىٰ المُنَافقِين وَالمُفتَرِين، وَلاَ شَيء أَشَدّ وَطأَة عَلىٰ النَّفس مِن الْإِحْتقَار وَالْإِستخفَاف.

وَ«مِنْهَا»: الأَخذ بثَارت بَدْر... وَلذَا هَتَف بأَشيَاخه حِين وَضَع رَأس الحُسَين بَيْنَ يَدَيه، وَقَالَ: «لَيْتَ أَشيَاخي بِبَدر شَهدُوا».

---

(١) أنظر، الفُتُوح لِابن أَعْثَم: ١ / ٤٨٥ وَمَا بَعْدهَا، وَقَارن بَيْن قَوله وَقَول المُؤرّخ فِي تَأرِيخ الطَّبري: ١ / ٣١٩٩ـ ٣٢٠٠، و: ٥ / ٢٠٤ و ٢١٠ و ٢١١، وَالوَاقدي برِوَايَة شَرْح النَّهج لِابن أَبي الحَدِيد: ١ / ٨٧ فِي شَرْح الخُطبَة «كُنْتُم جُند المَرأة»، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٣ / ٩٩، العِقد الفَرِيد: ٤ / ٣٢٦ طَبعَة لُجنَة التَّأليف، الإِمَامة وَالسِّيَاسَة: ١ / ٩٦، الهَامش رَقم (١ و ٢) فِي نَفْس الصَّفحَة.

(٢) تَقَدَّمَت تَخرِيجَاته.

(٣) تَقَدَّمت تَخرِيجَاته.

وَقَد تَجَاهل هَذِه الحَقِيقَة الذِّين اَضمَرُوا العدَاء لعَليٍّ وَبَنِيه، وقَالُوا: أَنَّ الحُسَين أَلقىٰ بِيَده إِلَىٰ التَّهلكَة، وَكَان عَلَيهِ أَنْ يُسَلّم ليَزِيد، مَا دَام عَاجزَاً عَن مُقَاومَته... قَالُوا هَذَا، وَهُم يَعلمُون أَنَّ الحَسَن صَالح مُعَاويَة، وَسَلّم لهُ الأَمر، ثُمَّ غَدَر بِهِ، وَأَنَّ مُعَاويَة أَعْطىٰ العهُود وَالموَاثِيق لأَوليَاء الله كَحِجر بن عَدي، وَعَمْرُو بن الحَمق وَغَيره، ثُمَّ نَقضهَا، وَقَتلهُم دُون أَنْ يُقَاتلُوه، وَأَنَّ مُسْلِم بن عَقِيل أَلقىٰ السِّلاَح بَعد أَنْ أَخَذ العَهد وَالأَمَان مِن أَذنَاب الأُمويِّين، ثُمَّ قَتلُوه وَمَثّلُوا بِهِ.

وَجَاء فِي البِحَار:

«أَنَّ يَزِيد أَنفَذ عَمْرُو بن سَعِيد إِلَىٰ مَكّة، وَولَّاه المَوسم وَأَمرَه بقَتل الحُسَين عَلىٰ أي حَال اَتّفق، وَأَنَّه دَسّ مَع الحَاج ثَلاَثِين رَجُلاً، ليَغتَالُوا الحُسَين، وَلمَّا عَلِم الحُسَين بِذَلِكَ خَرَج مِن مَكّة، وقَبْلَ خُرُوجه قَالَ لأَخِيه مُحَمَّد بن الحَنفيَّة: وَالله يَا أَخي لَو كُنتُ فِي حِجر هَامّة مِن هوَام الأَرْض لإِستَخرجُوني مِنْهُ، حَتَّىٰ يَقْتلُوني»[1]... وَفي هَذَا دَلاَلَة ظَاهرَة أَنّه مَقتُول، حَتَّىٰ وَلَو سَالَم وَبَايَع، وكَانُوا يَعرضُون عَلَيهِ البَيْعَة صُورَة، لعِلْمهم بأَنه لاَ يُبَايع، أَلاَ تَرىٰ كَيف أَشَار مَرْوَان بن الحَكم بقَتل الحُسَين عَلىٰ وَالي المَدِينَة؟... وَكَيف كَتَب اَبْن زِيَاد لِابْن سَعد:

---

(١) أُنظر، بِحَار الأَنوَار: ١٠ / ١١٦. وَمَا رَأيتُ أَجْهَل مِمَّن قَالَ: كَيف اَطمأَنَّ الحُسَين لأَهْل الكُوفَة، وَقَد غَدرُوا بأَخِيهِ، وَأَبِيه مِن قَبْلَ؟... فَهَل كَان الحُسَين يَجْهَل ذَلِكَ؟. أَلَم يُصَرح أَكْثَر مِن مَرّة بأَنّ الله شَاء أَنْ يَرَاني قَتِيلاً، وَيَرىٰ نُسوتي سَبَايا؟... (مِنهُ ﷺ).

أُنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٣ / ٢٩٥، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٢ / ٥٤٦، تَهْذِيب تَأرِيخ دمَشق لِابن عَسَاكر: (تَرجمَة الإِمَام الحُسَين ؑ): ٢١٢ ح ٦٦٤، وَقعَة الطَّف: ١٥٢، مَقتَل الحُسَين للخوَارزمي: ١ / ٢١٨ مَقتَل الحُسَين لأَبي مَخْنَف: ٦٧، مَقَايِيس اللُّغَة لِابن فَارس: ٤ / ٤٩٦، الفُتُوح لِابْن أَعْثَم: ٣ / ٧٤ البدَايَة وَالنّهايَة: ٦ / ١٦٣ ح ١٦٦٠٨، ينَابِيع المَودّة: ٣ / ٦٠، الطَّبقَات لِابن سَعد: ح ٢٧٨.

أَعرض عَلىٰ الحُسَين: أَنْ ينْزل عَلىٰ حُكم بَني عَمّك ـ يقول: «لاٰ وَاللهِ، لا أُعْطِيْهِمْ بِيَدِي إِعْطاءَ الذَّلِيلِ، وَلاَ أقرُّ إِقْرارَ العَبِيد. عِبادَ اللهِ: إِنّي عُذْتُ بِرَبِّيْ وَرَبُكُمْ أَنْ تُرْجَمُونَ. أَعُوذُ بِرَبِّيْ وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبّرٍ لا يُؤمِنُ بِيَوْمِ الحِسَابِ، أَلاَ وَإِنَّ الدَّعي ٱبن الدَّعي قَد رَكَز بَيْن ٱثْنَتين: بَيْن السِّلة وَالذِّلّة، وَهَيهَات مِنَّا الذِّلَّة، يَأبىٰ الله لنَا ذَلِكَ، وَرَسُولُه، وَالمُؤْمِنُون، وَجُدُود طَابَت، وَحُجُورٌ طَهُرَت، وَأُنُوفٌ حَمِيَّة، وَنُفُوس أَبِيَّة لاَ تُؤثَرُ طَاعَة اللِّئَامِ عَلىٰ مَصَارِعِ الكِرَام»[1].

وَمَن عَرَف حَقِيقَة يَزِيد، وَعوَامله النَّفْسيَّة، وَتَربيَته لاَ يَشك فِي شَيء مِن ذَلِكَ... أَنَّ يَزِيد يَنْزع للإِنْتقَام بطَبِيعَته وَفطرَته، وَبنَسَبه وَتَربيَته، وَلاَ يَشبع نَزْعَته هَذِه، البَيْعَة وَغير البَيْعَة، لاَ يَشبعهَا إِلاَّ الدَّم، حَتَّىٰ الدَّم لَم يَشف غَلِيل جَدّته هِنْد... فَلاَكت كَبَد الحَمْزَة، وَٱتّخذت مِن أَطرَافه قِلاَدة تَتزَين بهَا لجَدّه أَبي سُفْيَان[2]...

---

(١) أنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٥ / ٤٢٥ ـ ٤٢٦ طَبعَة سَنَة ١٩٦٤م، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٣/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

(٢) قَتل حَمْزَة والتَّمثِيل بِهِ:

حَمْزَة بن عبدالمُطّلب يُكنىٰ أبَا عُمارة، وأبَا يَعلى، وهو أسد الله وأَسد رَسُوله صلى الله عليه وآله عَمّ النَّبيّ قَتلهُ غُلاَم يُقَال لهُ وَحشي مَوْلَىٰ مَطعم بن جُبير، وقَد بَعثه مَوْلاَه مَع قُرَيْش وَقَالَ له: إِنْ قَتلت حَمْزَة بِعمّي طُعيمة بن عَدِيّ فأنتَ عَتيق، وجَعلت هِند بنت عُتْبَة لوَحشِي جُعلاً علىٰ أنْ يَقتل رَسُول الله صلى الله عليه وآله أو عَلِيّاً أو حَمْزَة. فقَال: أمّا مُحمّد فَلا حِيلَة فِيهِ، لأَنّ أَصْحَابه يَطُوفون به. وأمّا عَليّ فإِنّه إذَا قَاتل كَان أحذَر مِن الذّئب. وأمّا حَمْزَة فأطمَع فِيهِ، لأنّه إذَا غَضب لا يُبصر مَا بَيْنَ يَدِيه، فَقَتله وَحشي، وجَاءت هِند فأمرَت بِشقّ بَطنِه وقَطع كَبدَه والتَّمثِيل بِه، فجَدعُوا أنْفَه وأذنِيه. وَهِي الّتي ٱتخذَت من آذَان الرّجَال وآنَافهم وأصَابع أيْدِيهم وأرْجُلهم ومذَاكِيرهُم قَلاَئِد ومعَاضد، وأعطت وَحشي مَعَاضدها وقَلاَئدها جَزاء قَتله حَمْزَة فَلاكة كَبدَه فَلم تَسفه فلفَظته. (أنظر، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٢ / ١١١، الدَّرجَات الرَّفيعة: ٦٦ ـ ٦٩، السِّيرة النَّبويَّة لِابْن هُشام: ٣/ ٩٦، السِّيرة الحَلبِية: ٢ / ٢٤٦، كشف اليَقِين لِابْن
↔

المُطهَّر الحلّي: ١٢٨).

وذكر أَهْل السِّير والأَخْبَار كابْن جرير، وابن الأثير، وابن كثير، وصَاحب العِقد الفَرِيد وغَيْرهم مَا قَد أخرجه أحمد بن حنبل: ٢ / ٤٠ عن ابن عُمَرَ أنّ رَسُول الله ﷺ لمّا رَجع من أُحُد جَعلت نسَاء قُرَيْش يَبكِين عَلىٰ مَن قُتل من أزوَاجهن. قَال: فقَال رَسُول الله ﷺ: ولكنْ حَمْزَة لاَ بوَاكِي لهُ، قَال: ثُمّ نَام فأنتبه وهُنّ يَبكِين، قَال فهنّ اليوم إذَا يَبكِين يَندبن حَمْزَة.

وفِي ترجمة حَمْزَة من الاِسْتِيعَاب نَقلاً عن الوَاقدي بهامش الإِصَابَة: ١ / ٢٧٥ قَالَ: لَم تَبك امرأة من الأَنْصَار عَلىٰ مَيّت ـ بَعد قَوْل رَسُول الله ﷺ لكن حَمْزَة لاَ بوَاكي لهُ ـ إلىٰ اليَوم إلاّ بَدَأْنَ بِالبُكاء عَلىٰ حَمْزَة. (اُنظر للمزيد أُسد الغَابَة، والطَّبَقَات الكُبْرىٰ: ٢ / ٤٤، و: ٣ / ١١ و١٧ ـ ١٩، ذَخَائِر الـعُقْبىٰ: ١٨٣، والسِّيرة النَّبَوِيَّة لِابْن هُشَام: ٣ / ١٠٤، شَرح النَّهج لِابْن أبي الحَدِيد: ١٥ / ٤٢، الكَامِل فِـي التَّأرِيخ: ٢ / ١١٣، مَجْمَع الزّوائد: ٦ / ١٢٠.

كَان حَمْزَة؛ يَحمل عَلىٰ الْقَوْم، فإذَا رَأوه انهزمُوا ولَم يَثبت لهُ أحد، لكن غَدر وَحشي وحِقد هِند هُما اللّذَان مَكنَا حَربة وَحشي فأصَابته فِي أربيته، وانشغَال المسلمون بِهزِيمتهم هِي الّتي مَكّنت هِند من شَقّ بَطنَه وقَطع كَبده والتَّمثِيل به، ولذَا قَال الشَّاعر كمَا فِي كَشف الغُمّة: ١ / ٢٥٨.

ولاَ عَار لِـلأَشرَاف إنْ ظَـفرت بِـهَا كِلاَب الأَعَادِي مِن فَصِيح وأعْـجَم
فَحَرْبَة وَحشِي سَقت حَـمْزَة الرَّدَىٰ وحَتفُ عَليّ من حُسام ابـن مُـلْجَم

وحِين رَآه رَسُول الله ﷺ قَال: لوْلاَ أنْ تَحزن صَفِيَّة أو تَكُون سُنّة بَعدِي تَركتهُ حَتّىٰ يَكُون فِي أجوَاف السِّبَاع وحوَاصل الطَّير، ولِئن أظهَرنِي الله عَلىٰ قُرَيْش لأُمثّلَنّ بِثلاثِين رَجُلاً مِنهم. كمَا ذَكر ابن الأَثِير فِي الكَامِل: ٢ / ١٦١. وَقَالَ المُسلمُون: لَنمثّلنّ بِهِمْ مُثلةً لَم يُمثّلها أحَد مِن العَرَب، فأنزَل الله فِي ذَلِكَ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ النَّحل: ١٢٦.

ولذَا وَرد فِي السِّيرَة الحَلبية عن ابن مَسعود: ٢ / ٢٤٦ قَالَ: مَا رَأينا رَسُول الله ﷺ بَاكِياً أشدّ من بُكائه عَلىٰ حَمْزَة ﷺ ووَضعه فِي القِبلة، ثُمّ وَقف عَلىٰ جنَازته وانتَحب حَتّىٰ نَشق ـ أي شَهق ـ حَتّىٰ بَلغ بِهِ الغَش، يَقُول ﷺ: يَا عَمّ رَسُول الله، وأسد الله، وأسد رَسُول الله، يَا حَمْزَة فَاعِل الخَيْرَات، يَا حَمْزَة يَا كَاشف الكُربَات، يَا حَمْزَة يَا ذَابّ عن وَجه رَسُول الله. وَقَالَ ﷺ: جَاءنِي جِبْرِيل ﷺ وأخْـبَرَنِي بأنّ حَمْزَة مَكتُوب فِي أَهْل السَّمَاوَات السَّبع: حَـمْزَة بـن عـبدالمُـطّلب أسـد الله وأسـد رَسُـوله. وأمـرَ رَسُول الله ﷺ الزُّبَيْر أنْ يَرجع أُمّه صَفِيَّة أُخت حَمْزَة؛ عَن رُؤيته، فقَال لهَا: يَا أُمّه، إنّ رَسُول الله ﷺ

↔ يَأمرك أنْ تَرجعي ، فدَفَعْت فِي صَدره وقَالت : لِمَ وقَد بَلغنِي أنّه مُثّل بَأخي ، وذَلِكَ فِي الله قَلِيل فمَا أرضَانِي بمَا كَان فِي الله مِن ذَلِكَ ، لأحْتسبَنّ ولأصْبرَنّ إنْ شَاء الله تَعَالىٰ ، فـجَاء الزُّبَـير فأخْـبرَه صلى الله عليه وآله بذَلِكَ ؟ فَقَالَ صلى الله عليه وآله : خلّ سَبِيلها ، فجَاءت وٱستَرجَعت وٱسْتغفَرت لهُ .

وفِي روَاية : كفّن حَمْزَة بِنمرَة كَانوا إذَا مَدّوها عَلىٰ رَأسه ٱنْكَشفت رِجلاَه ، وإنْ مَدّوها عَـلىٰ رِجـلِيه ٱنْكشف رَأسه ، فَمدّوها عَلىٰ رَأسه وجَعلوا عَلىٰ رِجلِيه الأَذخُر ، وأمْرَ رَسُول الله صلى الله عليه وآله بِه فَدُفن . ذكـر ذَلِكَ صَاحب السِّيرة الحَلبِية : ٢ / ٢٤٧ ، وٱبن الأثِير فِي الكَامِل : ٢ / ١٦٢ .

وذكر الوَاقدي أنّ النَّبيّ صلى الله عليه وآله كَان يَوْمَئِذٍ إذَا بَكت صَفِيّة يَبكي وإذَا نَشجت يَنشج . قَال : وجَعَلت فَاطِمَة تَبكي فَلَمَّا بَكت بَكىٰ رَسُول الله صلى الله عليه وآله .

وروىٰ ٱبن مسعود قَال : مَا رَأينا رَسُول الله صلى الله عليه وآله بَاكِياً قَطّ أشدّ من بُكائِه عَلىٰ حَمْزَة بن أبي طالب لما قُتل ـ إلىٰ أنْ قَالَ : ـ ووَضعه فِي القَبر ثُمّ وَقَف صلى الله عليه وآله عَلىٰ جنَازته وٱنْتحب حَتّىٰ نَشغ من البُكاء . ذَكر ذَلِكَ صَاحب الاِسْتِيعَاب بهَامش الإِصَابَة : ١ / ٢٧٥ الطّبعة الأُولَىٰ ، والإِمْتَاع للمَقْريزي : ١٥٤ ، والكَامِل فِي التَّأرِيخ : ٢ / ١٧٠ ، ومَجْمَع الزّوائد : ٦ / ١٢٠ ، والصَّحِيح من سِيرة النَّبيّ الأعْـظم : ٤ / ٣٠٧ و ٣١٠ ، وذَخَـائِر الـعُقْبَىٰ : ١٨٠ ، وسِـيرة ٱبـن هِشـام : ٣ / ١٠٥ ، والسِّـيرة الحَـلبِية : ٢ / ٢٤٦ ، وشَـرح النَّهج : ١٥ / ٣٨٧ و ١٧ .

ولَسْنَا بِصدد بَيان جُواز أو حُرمة البُكاء عَلىٰ المَيت ولكن نَترك للقارئ الكَرِيم مَجال التَّـفكِير عِـند مُراجعة المصَادر التّالِية عَلىٰ سَبِيل المثَال لاَ الحَصر مُنذ بُكاء آدمَ عليه السلام عَلىٰ ٱبْنِهِ هَابِيل إلىٰ اليُـوم لأَنَّ البُكاء سُنّة طَبِيعِية .

أُنظر ، العَرائس للثّعالبي : ٦٤ طَبْعَة بمبي و ١٣٠ و ١٥٥ ، الطَّبَقَات الْكُبْرَىٰ لِابْـن سَـعد : ١ / ١٢٣ ، و : ٢ / ٦٠ الطّبعة الثّانِيَة طَبْعَة بَيْرُوت ، فرَائد السِّمْطَين : ١ / ١٥٢ ح ١١٤ ، و : ٢ / ٣٤ ح ٢٧١ ، والمُصَنَّف لِابْن أَبي شَيبة : ٦ و ١٢ ، كَنز الْعُمَّال : ١٣ / ١١٢ الطّـبعة الثَّـانِيَة ، و : ١٥ / ١٤٦ ، و : ٦ / ٢٢٣ الطَّـبعة الأُولَىٰ ، تَأريخ دِمشـق : ٢ / ٢٢٩ ح ٣٦٧ و ٣٢٧ ح ٨٣١ ، مَـجْمَع الزّوائـد : ٩ / ١١٨ و ١٧٩ و ١٨٩ الفَضَائل لأَحْمَد بن حَـنبل : ح ٢٣١ ، المُسْـتَدرَك لِـلْحَاكِـم : ٣ / ١٣٩ ،و : ٤ / ٤٦٤ ، تَأريـخ بَـغداد : ١٢ / ٣٩٨ ، و : ٧ / ٢٧٩ ، المنَاقب للخوَارزمي : ٢٦ ، يَنابِيع المَوَدَّة : ٥٣ و ١٣٥ .

سُنن البَيْهَقِيّ : ٤ / ٧٠ ، سُنن ٱبن مَاجه : ٢ / ٥١٨ ، ذَخَائِر الْعُقْبَىٰ : ١١٩ و ١٤٧ و ١٤٨ ، دَلاَئِل النُّـبُوّة للبيهقي فِي تَرجمة الإمَام الحُسَيْن عليه السلام من تَأرِيخ دِمشق : ح ٦٢٢ و ٦١٢ ـ ٦١٤ و ٦٢٦ ـ ٦٣٠ ، الْمُعْجَم ↔

الْكَبِير للطّبَراني حياة الإِمَام الحُسَيْن عليه السلام : ١٢٢ ح ٤٥ و٤٨ و٩٥، كفَاية الطّالب : ٢٧٩، أَعـلاَم النُّبُوَّة للمَاوردي : ٨٣ بَاب ١٢، نُظم دُرر السِّمْطَين : ٢١٥، البدَاية والنّـهاية لِابْـن كَـثير : ٦ / ٢٣٠، و: ٨ / ١٩٩، الرّوض النّضِير : ١ / ٨٩ و٩٢ و٩٣، و: ٣ / ٢٤، مُروج الذّهب : ٢ / ٢٩٨، أُسد الغَـابَة : ١ / ٢٠٨، حليَة الأَوْلِيَاء : ٣ / ١٣٥، الرّيَاض النّضرة : ٢ / ٥٤ الطّبعة الأُولَىٰ.

وٱسْتُشْهِدَ من الْمُهَاجِرِينَ يُوم أُحُد مع حَمْزَة أَسد الله وأَسد رَسُوله : عبدالله بن جَحش، ومُصْعَب بـن عُمير، وشمَاس بن عُثْمانَ بن الشّرِيد، وٱسْتُشْهِدَ من الأَنْصَار واحد وستُون رَجُلاً. (أُنـظر، المـعَارف لِابْن قُتَيْبَة : ١٦٠).

وروىٰ ٱبن مسعود : أَنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله صلّىٰ عَلىٰ حَمْزَة وبَكىٰ وَقَالَ كمَا أسلفنا سَابقاً : يَا حَمْزَة يَا عَمّي، ... يَا حَمْزَة يَا أَسد الله وأَسد رَسُوطه، يَا حَمْزَة يَا فَاعِل الخَيْرَات، يَا حَمْزَة يَا كَاشف الكُربات، يَا حمزه يَا ذابّ عن وَجه رَسُول الله ... قَال : وطَال بُكاؤه، قَال : ودَعا بِرَجُل رَجُل حَتّىٰ صلّىٰ عَلىٰ سَبعين رَجُلاً سَبعِين صَلاة وحَمْزَة مَوْضُوع بَيْنَ يَدِيه. ذكر ذَلِكَ صَاحب ذَخَائِر الْعُقْبَىٰ : ١٨١.

أمّا الرّوَاية الّتي نَقلها صَاحب اليَنابِيع عن عبدالله بن مَسعود فقد جَاء فِيها : لمّا قُتل حَمْزَة وقُتل إِلىٰ جَنبه رَجُل من الأَنْصَار يُقَال له سُهيل، قَال : فَجيء بحَمْزَة وقَد مُثّل بِهِ. فجَاءت صَفِيّة بنت عـبدالمُطّلب بثوبِين لِكَفنه، فقَال رَسُول الله صلى الله عليه وآله : دُونك الْمَرْأَة فَردّها، فأتَاها الزُّبَيْر بن العوّام ـ كما ذكرنا سـابقاً ـ فدَفَعْت الثّوبين وأنصرفت. فأقرع رَسُول الله صلى الله عليه وآله بَينَه ـ حَمْزَة ـ وبَيْنَ سُهيل فأصَاب سُهيلاً أكبر الثّوبين ـ إِلىٰ أَنْ قَالَ : ـ فدعَا بِرَجُلٍ رَجُل حَتّىٰ صلّىٰ عَلَيْهِ سَبعِين صَلاة وحَمْزَة عَلىٰ حَالته. فـقد أخـرجـها أحمَد، والبَغوي، وصَاحب الصّفوة، والمحَاملي، وأبن شاذان.

أمّا مَقتل مُصْعَب بن عُمير : فإنّه لمّا عَلِم صلى الله عليه وآله أَنّ لوَاء ٱلْمُشْرِكِين مع طَلْحَة من بَني عَبد الدّار أخذَ اللّواء مِن عَليّ عليه السلام ودَفعه إِلىٰ مُصْعَب بن عُمير لأنّه أيضاً من بَني عَبد الدّار وَقَالَ : نَحْنُ أَحقّ بِالوَفاء مِنهم. ورَد ذَلِكَ فِي الكَامِل فِي التّأريخ : ٢ / ١٥٠. وَقَالَ الطّبَريّ : ٢ / ٢١٩٩، وأبن الأَثِير أيضاً : ٢ / ١٥٥، قَاتل مُصْعَب بن عُمير دُونَ رَسُول الله صلى الله عليه وآله ومعهُ لوَاؤه حَتّىٰ قُتل، وكَان الّذي أصَابه وقَتله ٱبن قـمِيئة اللّيثي وهُو يَظنّ أنّه رَسُول الله صلى الله عليه وآله فَرجع إِلىٰ قُرَيْش فَقَالَ : قَتلتُ مُحَمّداً، فجَعَل النّاس يَقُولُون قُتل مُحَمّد، قُتل مُحَمّد، فَلَمَّا قُتل مُصْعَب بن عُمير أعطىٰ رَسُول الله صلى الله عليه وآله اللّواء عَليّ بن أَبِي طالب.

وتَفرّق أَكْثَر أَصْحَاب رَسُول الله صلى الله عليه وآله وقَصَده المُشْرِكُون وجَعلوا يَحملُون عَلَيْهِ يُرِيدُون قَتله، وثَـبت رَسُول الله صلى الله عليه وآله يَرمي عَن قُوسه حَتّىٰ تَكسّرت وقَاتل قِتالاً شَـدِيداً ورَمـىٰ بِـالنّبل حَـتّىٰ فَـني نَـبله

↔ وانكسرت سية قوسه وانقطع وتره. (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٢ / ١٥٤).
وهُنا انخلعت القُلُوب وأوغلوا في الهرُوب كمَا قَال تعَالىٰ: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾ آل عِمرَانَ: ١٥٣ والرَّسُول صلى الله عليه وآله يدعوهُم فيقُول: إليّ عِباد الله، إليّ عِباد الله، أنَا رَسُول الله مَن كرّ فلهُ الجَنَّة. ولذَا قَالَ ابن جَرِير: ٢ / ٢٠٣ وابن الأثِير فِي الكَامِل: ٢ / ١١٠: وانتهت الهَزِيمة بجمَاعَة المُسْلِمِينَ وفِيهِمْ عُثْمانَ بن عفَّان وغيره إلىٰ الأعوص فأقامُوا بِها ثَلاثاً، ثُمّ أتو النَّبيّ صلى الله عليه وآله فقَال لهُم حِين رَآهُم: لقَد ذَهبتُم فِيها عَرِيضَة. ذكر هَذَا الحَدِيث تَأرِيخ الطَّبَرِيّ: ٢ / ٢٠٣، الكَامِل لِابْن الأثِير: ٢ / ١١٠، السِّيرَة الحَلبية: ٢ / ٢٢٧، البدَاية والنّهاية: ٤ / ٢٨، السِّيرة النَّبويّة لِابْن كثِير: ٣ / ٥٥، شَرح النّهج لِابْن أبي الحَدِيد: ١٥ / ٢١، الدُّر المَنثُور: ٢ / ٨٩، تفْسِير الفَخر الرّازي: ٩ / ٥٠ للآيَة المذكورة.
ولَسْنَا بصدد بَيان مَن فرّ ورَجع، ومَاذا قَال وقِيل لهُ، كأنَس بن النَّضر عَمّ أنَس بن مَالك حِين قَال لبعض المُهَاجِرينَ حِين ألقوا مَا بِأيْدِيهم: مَا يَحبسكُم قَالُوا: قُتل النَّبيّ، قَال: فمَا تَصنعُون بِالْحَيَاة بَعده؟ مُوتوا عَلىٰ مَا مَات عَلَيْهِ النَّبيّ. ثُمّ استقبَل القَوْم فقاتل حَتَّىٰ قُتل رحمه الله فوجد بِه سَبعُون ضَربة وطَعنَه ومَا عَرفته إلّا أُخته مِن حُسن بنَانه: وقِيل: لقَد سَمع أنَس بن النَّضر جَمَاعَة يَقُولُون لمّا سَمعوا أنّ النَّبيّ صلى الله عليه وآله قُتل: لِيت لنَا مَن يَأتي عبدالله بن أُبي بن سلول ليَأخذ لنَا أمَاناً من أبي سُفْيَانَ قَبل أنْ يَقتلُونَا، فقَال لهُم أنَس: يَا قَوْم إنْ كَان مُحمّد قَد قُتل فإنّ رَبّ مُحمّد لَم يُقتل، فقَاتِلُوا عَلىٰ مَا قَاتل عَلَيْهِ مُحمّد. اللّهُمّ إنّي أعتذرُ إلَيْك مِمَّا يَقول هَؤُلَاء وأبرأ إلَيْك مِمَّا جَاء بِهَؤُلَاء. ثمّ قَاتل حَتَّىٰ اسْتُشْهدَ رحمه الله. عِلماً بأنّ ابن جَرير الطَّبَرِيّ، وابن الأثير الجَزري، وابن هِشام فِي السِّيرة الحَلبية وغَيْرهم قَد ذَكروا أسْمَاء الَّذين فرّوا يوم أُحُد، ونَحْنُ نُحيل القَارئ الكَرِيم عَلىٰ المصَادر التَّالِية المُتيسره لدِينا عَلىٰ سَبِيل المِثال لا الحَصر:
الكَامِل فِي التَّأرِيخ لِابْن الأثِير: ٢ / ١٠٨ و١٤٨، السِّيرة الحَلبية: ٢ / ٢٢٧، تَأرِيخ الطَّبَرِيّ: ٢ / ٢٠٣، الدُّر المنثُور: ٢ / ٨٠ و٨٨ و٨٩، شَرح النّهج لِابْن أبي الحَدِيد: ١٥ / ٢٠ و٢٢ و٢٤ و٢٥، و: ١٣ / ٢٩٣، و: ١٤ / ٢٧٦، البدَاية والنّهاية لِابْن كثِير: ٤ / ٢٨ و٢٩، السِّيرة النَّبويّة لِابْن كثِير: ٣ / ٥٥ و٥٨، السِّيرة النَّبويّة لِابْن هِشام: ٤ / ٨٥، لُباب الآدَاب: ١٧٩، حيَاة مُحمّد صلى الله عليه وآله لهيكل: ٢٦٥. أنظر، تفْسِير الرّازي: ٩ / ٥٠ و٦٧، كنز العُمّال: ٢ / ٢٤٢، و: ١٠ / ٢٦٨ و٢٦٩، حيَاة الصَّحابَة: ١ / ٢٧٢، و: ٣ / ٤٩٧، المغَازي للوَاقدي: ٢ / ٦٠٩ و٩٩٠، منحَة المعبُود فِي تَهذيب مُسْنَد الطَّيَالِسِي: ٢ / ٩٩، طَبقَات ابن سَعد: ٣ / ١٥٥، و: ٢ / ٤٦ و٤٧ الطَّبعة الأُولىٰ، تَأرِيخ الخَمِيس: ١ / ٤١٣.

الخُرُوج بِالنِّسَاء:

قَد يَقُول قَائِل: مَا دَام الحُسَين يَعْلَم بأَنّه مَقْتُول لاَ محَالة، كَمَا صَرّح بِذَلِكَ لأَخِيه مُحَمَّد بن الحَنفِيَّة وَحِين عَلم بمَقتل ٱبْن عَمّه مُسْلِم، وَفي مُنَاسبَات شَتىٰ، فَلمَاذَا صَحِب مَعَهُ النِّسَاء والأَطْفَال، حَتَّىٰ جَرىٰ عَلَيهَا مَا جَرىٰ؟..

الجَوَاب:

أَجل: أَنَّ الحُسَين وَالأَصحَاب وَالتَّابِعِين كَانُوا يَعلمُون بمَقتل الحُسَين قَبْلَ وقُوعه، فَقَدْ ٱشْتَهر وَتوَاتر مِن طَرِيق السُّنَّة والشِّيعَة أَنَّ النَّبيّ ﷺ أَخبَر بِذَلِكَ أَكْثَر مِن مَرّة... قَالَ صَاحِب «العِقد الفَرِيد»:

«قَالَت أُمّ سَلمَة: «كَان جِبرائِيل عليه السلام عِند النَّبيّ وَالحُسَين مَعي فَغفلتُ عَنْهُ فَذَهَب إِلىٰ النَّبيّ ﷺ، فَأَخذهُ النَّبيّ ﷺ وَجَعلهُ عَلىٰ فَخذه

فَقَال لهُ جِبرائِيل أَتُحبّه يَا مُحَمّد؟

فَقَال ﷺ: نَعم

فَقَال: إِنّ أُمّتك سَتَقتلهُ، وَإِنْ شِئت أَرِيتكِ تُربة الأَرض الّتي يُقتل بهَا، ثُمَّ فَبَسط جنَاحه إِلىٰ الأَرض وَأَرَاه أَرضاً يُقال لهَا كَربلاَء. تُربَة حَمرَاء بِطفّ العرَاق، فَبَكىٰ النَّبيّ ﷺ»[1].

---

(١) أُنظر، العِقد الفَرِيد: ٥ / ١٢٤ طَبْعَة (١٩٥٣م). (مِنهُ رحمه الله).

أُنظر، مُسنَد أَحمَد: ٣ / ٢٤٢، و: ٦ / ٢٩٤، ذَخَائر العُقبىٰ: ١٤٦، كَنز العُمّال: ٧ / ١٠٦ و ١٠٥ و ١١٠، و: ٦ / ٢٢٢ و ٢٢٣، مَجمَع الزَّوَائد: ٩ / ١٨٧ ـ ١٨٩، الصَّواعق المُحرقَة: ١١٥ و ١٩٢ ح ٢٨. المُسْتَدرَك عَلىٰ الصَّحِيحَين: ٣ / ١٧٦ و ٢١٧٩، الطَّبقَات الكُبرىٰ: ٨ / ٢٠٤، الإِصَابَة: ١ / ٦٨ و: ٨ / ٢٦٧، و: ٥ / ٢٣١، أُسد الغَابَة: ٣ / ٣٤٢، و: ٢ / ١٠، مُسْنَد أَحمَد: ٦ / ٣٩٩، صَحِيح ٱبن مَاجَه ↔

وَقَالَ صَاحِب ذَخَائر العُقبىٰ :

« قَالَ رَسُول الله : « أَنَّ ٱبَنِي هَذَا يَعْني الحُسَيْن يُقْتَل بأَرْض مِنْ العِـرَاق فَـمَن أَدْرَكَه مِنْكُم فَليَنْصرهُ » [1].

ثُمَّ قَالَ صَاحِب الذَّخَائر : وهَذَا الحَدِيث خَرّجه البَغوي فِي مُعْجَمه ، وَأَبُو حَاتم فِي صَحِيحَه ، وَأَحمَد فِي مُسْنَده [2].

وَبهَذَا يَتبيَّن مَعْنَىٰ أَنَّ الَّـذِين نـهُوا الحُسَـين عَـن الخُـرُوج مِـن الأَصـحَاب وَالتَّابعِين ، وَأَعلمُوه بأَنَّه مَقتُول قَد ٱعْتمدُوا عَلىٰ أَحَادِيث النَّبيّ ، وَتَجاهلُوا قَولَه « فَمَن أَدْرَكَه مِنْكُم فَليَنْصرهُ » إِيثَاراً للعَاجلَة عَلىٰ الآجلَة ... حِين سَمع ٱبْن عُمر بخُرُوج الحُسَين أَسرَع خَلفَه حَتَّىٰ أَدركَهُ فِي بَعْض المنَازل ، فَقَال لهُ : « إِلىٰ أَين يَا رَسُول الله ؟ .

↔ ٢٨٩ ، تَأرِيخ دِمَشق : ١٣ / ٦٢ ح ٦٣١ ، مَجْمَع الزَّوَائد للهَيثمي : ٩ / ١٧٩ و ١٨٧ ، الصَّوَاعق المُحرقَة : ١٩٢ ح ٢٨ و ٢٩ ، المَنَاقب لأَحمد : ٢ / ٧٧٠ ح ١٣٥٧ ، يَنَابيع المَودّة للقُندوزي الحَنفي : ٣ / ٧ و ٨ طَبعَة أُسوة ، مَقتَل الحُسَين للخوَارزمي : ١ / ١٥٩ ، تَذكرَة خوَاصّ الأُمّة : ١٣٣ ، تَأرِيخ ٱبن كَـثِير : ٦ / ٢٣٠ ، ٨ / ١٩٩ ، أَمَـالي الشَّـجري : ١٨٨ ، الرَّوض النَّـضِير : ١ / ٨٩ ، كَـنْز العُـمّال : ٦ / ٢٢٣ ، الخَصَائِص الكُبرىٰ : ٢ / ١٢٥ .

(١) أُنظر ، ذَخَائر العُقبىٰ : ١٤٦ طَبعَة (١٣٥٦ هـ) . (مِنهُ ﷺ) . أُسد الغَابَة : ١ / ١٤٦ ، البدَايَة وَالنّهايَة : ٨ / ١٩٩ ، وَأَنَس ـ رَاوي الحَدِيث ـ هُو أَنَس بن الحَارث .

(٢) أُنظر ، المُسْتَدرك عَلىٰ الصَّحِيحَين : ٤ / ٤٤٠ ح ٨٢٠٢ ، مُسْنَد أَحمَد : ٦ / ٢٩٤ ، الإِصَابَة : ١ / ١٢١ رَقم « ٢٦٦ » ، الآحَاد وَالمثَاني : ١ / ٣١٠ ح ٤٢٩ ، المُعْجَم الكَبِير : ٣ / ١٠٩ ح ٢٨٢١ و : ٢٣ / ٣٠٨ ح ٦٩٧ ، سِير أَعلاَم النُّبلاَء : ٣ / ٢٨٩ ، الثِّقَات لِابْن حبَّان : ٤ / ٤٩ ، تَأرِيخ دِمَشق : ١٤ / ٢٢٤ ، مَـعرفَة الثِّقَات للعِجلي : ١ / ١٧ ، الرَّوض النَّضِير : ١ / ٩٣ ، تَهذِيب الكمَال : ٦ / ٤١٠ ، تَأرِيخ ٱبـن الوَردي : ١ / ١٧٣ ، سُبل الهُدىٰ وَالرَّشَاد : ١١ / ٧٥ ، يَنَابِيع المَودَّة : ٣ / ٨ ، تَهذِيب ٱبن عَسَاكر : ٤ / ٣٣٨ ، أُسد الغَابَة : ١ / ١٣٢ ، الجَرح وَالتَّعدِيل للرّازي : ١ / ٢٨٧ ، تَأرِيخ البُخَاري الكَبِير : ١ / ٣٠ رَقم « ١٥٨٣ » .

قَالَ: إِلَىٰ العِرَاق.

قَالَ: ٱكْشف لِي عَن المَوضُوع الَّذي كَان رَسُول الله يُقَبّله مِنْكَ. فَكَشف لهُ عَن سُرّته، فَقَبّلهَا ٱبْن عُمر ثَلاَثاً، وَبَكىٰ، وَقَالَ: ٱستَودعك الله يَا ٱبْن رَسُول الله، فَإِنَّك مَقتُول فِي وَجْهك هَذَا[1].

وإِذَا كَان الحُسَين مَقتُولاً لاَ محَالة فَليَكن ثَمَن قَتَله وَٱستشهَاده ذهَاب دَولَة البَاطل مِن الوجُود، وَخلاَص المُسْلمِين مِنْهَا وَمِن الجَور وَالبَغي... وَلاَ طَرِيق للخَلاَص إلاَّ بِإنْفجَار الثَّورَة عَلىٰ الأُمويِّين وَسُلطَانهم... وكَان ذَبح الأَطْفَال وَسَبي النِّسَاء، وَالتُّطوَاف بهُنّ مِن بَلدٍ إِلَىٰ بَلَد مِن أَجدىٰ الوَسَائِل لإِنْفجَار الثَّورَة الَّتي هَزّت دَولَة البَغي مِن الأَركَان.

لقَد صَحب الحُسَين النِّسَاء مَعَهُ عَن قَصد وَتَصمِيم ليَطوف بهنَّ الأَمُويُون فِي البُلدَان، وَيَراهُن كُلّ إِنْسَان، وَيَقُلن بلسَان الحَال وَالمقَال: «أَيُّها المُسْلِمُون، أُنظرُوا مَا فَعَلت أُمَيَّة الَّتي تَدّعي الإِسلاَم بآل نَبيّكُم... وَكَان النَّاس يَسْتَقبلُون جَيْش يَزِيد الَّذي يَطُوف بالسَّبايَا، يَسْتَقبلُونه بالمُظَاهرَات، وَالرَّشق بالأَحجَار، وَالهُتَافَات المُعَاديَة للأُمويِّين وَحزْبهم، وَيَصرخُون: فِي وجُوههم يَا فَجرَة... يَا قَتَلة أَولاَد الأَنْبيَاء...

لقَد رَأىٰ المُسْلِمُون فِي السَّبَايَا مِن الفَجِيعَة أَكْثَر مِمَّا رَأوا مِن قَتل الحُسَين، وَلَولاَهُنَّ لَمْ يَتَحقّق الهَدف مِن قَتْل الحُسَين، وَهُو إِنهيَار دَولَة الظُّلم وَالطُّغيَان...

وَلنَفترض أَنَّ السَّيِّدَة زَيْنَب بَقِيَت فِي المَدِينَة، وَقُتل أَخُوهَا الحُسَين فِي كَرْبلاَء، فمَاذَا تَصْنع؟... وَأي شَيء تَسْتَطِيع القِيَام بِهِ غَير البُكَاء وَإِقَامَة العزَاء؟...

---

(١) أنظر، أَمَالي الشَّيخ الصَّدوق: ٢١٧، العَوَالم: ١٧ / ١٦٣، لوَاعج الأَشجَان: ٧٤.

وَمِمَّا قُلْتَه فِي كتَاب المَجَالِس الحُسَينِيَّة :

«هَل تَرضىٰ لنفسهَا ، أَو يَرضىٰ لهَا مُسْلِم أَنْ تَركَب جَملاً مَكشُوفَة الوَجْه تَنْتَقل مِن بَلدٍ إِلَىٰ بَلَد تُؤلّب النَّاس عَلىٰ يَزِيد ، وآبْن زِيَاد ؟ ! وَهل كَان يَتسَنىٰ لهَا الدُّخُول عَلىٰ ٱبْن زِيَاد فِي قَصْر الإِمَارَة ، وَتَقول لهُ فِي حَشْدٍ مِن النَّاس : «الحَمْدلله الَّذِي أَكرمنَا بنَّبيه مُحَمَّد ، وَطَهرنَا مِن الرِّجس تَطْهِيراً ، إِنَّما يُفْتَضح الفَاسق ، وَيُكذَّب الفَاجر ، وَهُو غَيرنَا وَالحَمد لله »[1] ؟ ! وَهَل كَان بِإِمْكَانهَا أَنْ تَدخُل عَلىٰ يَزِيد فِي مَجْلسِهِ وَسُلطَانه ، وَتُلقي تِلْكَ الخُطَب الَّتي أَعْلَنَت بهَا فِسْقه ، وَفجُورَه ، وَلَعن آبَائه ، وَأَجدَاده عَلىٰ رُؤوس الأَشْهَاد ؟ !.

أَنَّ السَّيِّدَة زَيْنَب لاَ تَخرُج مِن بَيْتهَا مُختَارَة ، وَلاَ يَرضىٰ المُسْلِمُون لهَا بِالخُرُوج مَهمَا كَان السَّبَب ، حَتَّىٰ وَلَو قَطَّع النَّاس يَزِيد بأَسنَانهِم ، وَلَكن الأُمويِّين هُم الَّذِين أَخرجُوهَا ، وَهُم الَّذِين سَارُوا بهَا ، وَهُم الَّذِين أَدْخَلُوهَا فِي مَجَالسِهِم ، وَمَهدُوا لهَا طَرِيق سَبّهم وَلَعْنهم ، وَالدّعَايَة ضِدّهُم وَضِدّ سُلطَانهم .

وَمَرَّة ثَانِيَة نَقُول : هَذِه هِي المَصْلَحة فِي خُرُوج الحُسَين بنسَائِهِ وَأَطفَاله إِلَىٰ كَرْبُلاَء ، وَمَا كَان لأَحد أَنْ يُدركهَا فِي بِدء الأَمر إِلاَّ الحُسَين وَأُخْته زَيْنَب ، عَهْدٌ إِلَىٰ الحُسَين مِن أَبيهِ عَليّ عَن جَدّه مُحَمَّد عَن جِبرِيل عَن رَبّ العَالمِين . سرّ لاَ يَعْلَمهُ إِلاَّ الله ، وَمَن ٱرتضَاه لِعلمهِ ورسَالَته .

وَكُلّ مَا فَعَلهُ الأُمويُون فِي كَرْبُلاَء عَاد عَلَيهم بالوبَال وَالخُسرَان ... قَالَ الأَلمَاني مَاربين : « بَعَد وَقْعَة كَرْبُلاَء ٱنْكَشَفت سَرَائِر الأُمويِّين ، وَظَهرَت قَبَائح أَعمَالَهُم ، وَٱنْتَشر الخِلاَف عَلىٰ يَزِيد وَبَني أُمَيَّة . وَمَا كَان يَجرَؤ إِنْسَان قَبْل كَرْبُلاَء

---

(١) أنظر ، الإِرشَاد : ٢ / ١١٥ ، إِعلاَم الوَرىٰ بِأَعلاَم الهُدَىٰ : ١ / ٤٧١ ، يَنَابِيع المَودَّة لذَوي القُرْبَىٰ : ٣ / ٨٧ .

أَنْ يَجْهَر بتَقدّيس عَليّ والحُسَين، وَبَعدهَا لَم يَكُن للنَّاس مِن حَدِيثٍ إلاَّ فِي فَضل العَلويِّين وَمِحَنهم، حَتَّىٰ فِي مَجْلس يَزِيد كَان يُذكَر الحُسَين وَأَبَاه بالتَّقدِير وَالتَّعظِيم»[1].

(١) أُنظر، تَأرِيخ الدَّولَة العَرَبِيَّة وَسقُوطها لهَاوزن: ١٢٩ طَبعَة ١٩٥٨م. (مِنْهُ ﷺ).

فِي الكُوفَة وَالشَّام

قِيل للحُسَين: كَيف أَصْبَحت يَا ٱبْن رَسُول الله؟.

قَالَ: «أَصْبَحنَا فِي قَومنَا مِثْل بَني إِسرَائِيل فِي آل فِرعَون، يُذَبِّحُون أَبْنَآءَنا وَيَسْتَحْيُون نِسَآءَنا، وَأَصْبَح خَير البَريَة بَعد مُحَمَّد يُلْعَن عَلىٰ المَنَابر، وَأَصْبَح عَدوّنا يُعطي المَال وَالشَّرف، وَأَصْبَح مَن يُحبّنا مُحْتَقراً مُنْتَقصاً حقّه... وكَذَٰلِكَ لَم يَزل المُؤْمِنُون، وَأَصْبَحت العَجَم تَعرف للعَرب حقّها، لأَنَّ مُحَمَّداً مِنْهَا، وَأَصْبَحت العَرب تَعرف لقُرَيْش حقّها، لأَنَّ مُحَمَّداً مِنْهَا.. وَأَصبَحنَا أَهْل البَيْت لاَ يُعرف لنَا حَقّ، فَهَكذَا أَصْبَحنَا»[1].

وإِذَا كَان غَير العَرب لَم يُنَافسُوا العَرب فِي الحُكم وَالسُّطان، لأَنَّهام أَقرَب إِلَىٰ مُحَمَّد، وَالعَرب لَم يُنَافسُوا قُرَيْشاً للسَّبب ذَاته، فَالنَّتيجَة الحَتميَّة لهَذَا المَنْطق أَنْ تُنَافس قُرَيْش أَهْل البَيْت فِي حَقّهم بالخِلاَفَة، وَأَنْ تَسمَع لَهُم، وَتُطِيع... وَهَذي هِي عَقِيدة التَّشيُّع لأَهْل البَيْت، وَلاَ شَيء سوَاها، وَهي ـ كَمَا تَرىٰ ـ نَتِيجَة طَبِيعيَّة لمَنطق الَّذي أَنكَروا هَذَا الحَقّ، وَمَدلُول قَهري لدَلِيلهم الَّذي ٱعْتَمدُوا عَلَيهِ بالذَات، وَمِن هُنا فَرض نَفْسَه عَلىٰ جَاحِدِية، وَظَهر عَلىٰ فَلتَات أَلسنَتهم مِن

---

(١) أُنظر، تَأرِيخ دمَشق: ٤١/ ٣٦٩، الطَّبقَات الكُبرىٰ: ٥/ ٢٢٠، تَهذِيب الكَمَال: ٢٠/ ٤٠٠، المُنْتَخب مِن ذَيل المُذَيل للطَّبري: ١٢٠. وَنَسَب بَعْضهُم هَذَا القَول إِلَىٰ الإِمَام السَّجَّاد عليه السلام.

حَيث لاَ يَشعرُون.

قَالَ الرَّاغب الأصفهَاني:

«كَان عُمَر يَسِير مَع ابْن عَبَّاس، فَقرأ آيَة فِيهَا ذِكر عَليّ بن أَبي طَالِب فَقَال: أَمَا وَالله يَا بَني عَبدالمُطّلب لقَد كَان عَليّ فِيكُم أَوْلَىٰ بهَذَا الأَمـر مِـنّي، وَمِن أَبي بَكْر...

فَقَال ابْن عَبَّاس: أَنتَ تَقول ذَلِكَ يَا أَمِير المُؤمِنين، وَأَنْتَ وَصَاحبك وَثبتُما، وَافْتَرعتُما الأَمر مِنّا دُون النَّاس؟!..

فَقَال عُمَر: إِنَّا وَالله مَا فَعَلنَا الَّذي فَعَلنَا عَن عَدَاوة، وَلَكن اسْتَصغرنَاه، وَخَشينَا أَنْ لاَ تَجْتَمع عَلَيهِ العَرب وقُرَيْش لمَا قَد وَترَهَا...

قَالَ ابْن عَبَّاس: فَأَرَدتُ أَنْ أَقُول: كَان رَسُول الله يَبْعَثهُ، فَيَنطَح كَبشهَا، فَلَم يَسْتَصغرهُ، افَتَستَصغرهُ أَنْتَ وَصَاحبك؟..

فَقَال عُمَر: لاَ جَرم: فَكَيف تَرىٰ؟.. وَالله مَا نَقْطع أَمرَاً دُونه، وَلاَ نَعْمل شَـيئاً، حَتَّىٰ نَستَأذنهُ»[1].

وَطَبِيعي أَنْ يَعْتَذر عُمَر بجَمِيع الأَعذَار، وَأَنْ يَتَشبَث وَلَـو بِـالطَّحلَب بَـعد أَنْ اعْتَرف صَرَاحَة أَنَّ عَليّاً أَولىٰ مِنْهُ وَمِن صَاحبه بالخِلاَفَة... وَلَو وَقَف الأَمر عِندَ خِلاَفَة الشَّيخَين لهَان الخَطب... وَلَكن هَذِه الخِلاَفَة جَرّت الوَيلاَت عَلىٰ الإِسلاَم وَالمُسْلمِين إِلَىٰ يَوْم يُبعثُون، بخَاصّة مَا حَدَث عَلىٰ أَهْـل البَـيْت، فَـلَولاَهَا لَـم يَكُونُوا فِي قَومِهم كَبَني إِسرَائِيل فِي آل فِرعَون، وَلاَكَان يَوْم عُثْمَان، وَلاَ الجَمل، وَصفّين، وَالنَّهروَان، ووَقْعَة الحَرّه، وَمَا إِلَيهَا...

---

(١) اُنظر، مُحَاضرَات الأُدبَاء: ٤ / ٤٧٨ طَبعَة سَنَة (١٩٦١م). (مِنْهُ ﷺ). و: ٧ / ٢٦٣.

وَقَد لاَ تَكُون هَذِه الأَحدَاث فِي حسبَان الشَّيخَين، وَلاَ مِن مقَاصِدهما حِين دبّر الأَمر ضِدّ عَليّ، وَنحّيَّاه عَن الخِلاَفَة، وَلكنّها جَاءَت نَتِيجَة طَبِيعيَّة لخِلاَفَتهُما... وَقَد بَرّرا هَذَا التَّدبِير بخَوف الفِتْنَة، وَعَدم إجتمَاع كَلمَة العَرب وقُرَيْش عَلىٰ عَليّ، «لمَا قَد وَترهَا» ـ كَمَا قَالَ عُمَر ـ وَقَد أَبْطَلت سَيِّدَة النِّسَاء هَذَا الزَّعم بخُطبتهَا الشَّهِيرَة الَّتي أَلقتهَا عَلىٰ الخَلِيفَة الأَوّل وَالأَصحَاب فِي مَسْجِد أَبِيها، حَيث قَالَت: زَعَمتُم خَوف الفِتْنَة: ﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[1].

فَأَفْهَمتهُم أَنَّ الفِتْنَة وَالشّقَاق فِيمَا دبّرُوا وَتآمرُوا، كمَا ذَكّرَتهُم:

كَيف كَانُوا فِي جَاهِليتهُم؟ وَكَيف صَارُوا بفَضل أَبِيهَا، وَجهَاد ٱبْن عَمّها، ثُمَّ وَازَنَت بَيْنَهُم وبَيْنَ بَعْلهَا أَمِير المُؤمِنِين، بقَولهَا:

«كَان عَليّ عليه السلام مَكدُوداً فِي ذَات الله، مُجْتَهداً فِي أَمر الله، قَرِيباً مِن رَسُول الله سَيِّداً مِن أَوليَاء الله، مُشمّراً نَاصحاً، مُجدّاً كَادحاً، وَأَنْتُم فِي بَلهَنيَّة مِن العَيش، وَادعُون فَاكهُون آمنُون، تَتَربصُون بنَا الدَّوَائر، وَتتوكفُون الأَخبَار، وَتَنكصُون عِند النّزال، وَتفرّون عِند القِتَال. فَلَمَّا ٱختَار الله لنَبّيه دَار أَنْبيَائه، وَمَأوىٰ أَصْفيَائه ظَهرَت فِيكُم حَسِيكَة النّفاق... وَأَطلَع الشَّيطان رَأسَه مِن مَغرزَه هَاتفاً بكُم، فَالفَاكم لدَعوَته مُستَجِيبين، وَللغُرّة فِيهِ مُلاَحظِين، ثُمَّ ٱسْتَنهضكُم فَوَجدكُم خِفَافاً»[2].

---

(١) ٱلتَّوْبَة: ٤٩.

(٢) أنظر، بَلاَغَات النِّسَاء لِابن طَيفُور: ١٤، شَرْح نَهج البَلاَغَة لِابن أَبي الحَدِيد: ١٦ / ٢٥١، جَوَاهر المطَالب فِي مَنَاقب عَليّ بن أَبي طَالب لِابْن الدِّمَشقِي: ١ / ١٦٠، شَرْح الأَخْبَار: ٣ / ٣٦، السَّقِيفَة وَفَدك للجَوهري: ١٤٣، كَشف الغُمّة: ٢ / ١١١.

وَبهذَا يَتبيَّن أَنَّ الزَّهرَاء أَوَّل مَن وَضع أُسّس الموَازنَة، وَالمُفَاضلَة بَـيْنَ أَهْـل البَيْت وَغَيرهِم، وأَوَّل مَن دَعَا دَعوَة صَرِيحَة وَاضحَة لوَلاَئهم وَوجُوب طَاعتهُم وَمُتَابعتهُم، وأَوَّل مَن أَعلَن نفَاق مَن صَدّوا عَلِيّاً عَـن الخِـلاَفة بَـعد أَبِـيها[1]...

خَطَبَت الزَّهرَاء بَعد حَادثَة السَّقِيفَة خُطْبَتَين:

الأُولىٰ: فِي المَسْجِد الجَامع بحضُور المُهَاجِرين وَالأَنْصَار، وَفِيهم أَبُـو بَكْـر وَعُمر.

وَالثَّانِيَة: فِي بَيْتهَا حِين إِجْتَمعَت نِّسَاء الأَصْحَاب، ليَعُدنهَا فِي المَرض الَّـذي مَاتَت فِيهِ، وَتَرتكز أَقوَالها فِي كِلتَا الخُطبَتَين عَلىٰ أَنَّ اَبْن عَمّها عَلِيّاً هُو صَاحِب الحَقّ فِي الخِلاَفَة بَعد رَسُول الله، وَأَنَّ الَّذين حَالوا بَيْنَهُ وَبَيْنهَا قَـد خَـانُوا العَـهْد

---

(١) أَوَّل مَن أَثبَت الولاَية لعَليٍّ الله ورَسُوله، فَلَقد فَسّـر المُـفسرُون قَـوله تَـعَالىٰ: ﴿وَٱلَّـذِينَ ءَامَـنُواْ﴾ ٱلْمَـائِدَة: ٥٦ فَسّرُوهَا بِعَليٍّ وَهي: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾. (مِنهُ رحمه الله).

أُنظر، الكَشف وَالبَيَان فِي تَفْسِير القُرْآن: ٤ / ٢٣٤، جوَاهر العِقدِين فِي فَـضل الشَّـرفَين: ٣ / ٥٣٤، الصَّوَاعق المُحرقَة: ٢٩، صَحِيح البُـخَاري: ٢ / ٣٢٤، صَحِيح مُسْـلم فِـي فَـضَائل عَـليّ: ٣٢٤، المُسْتَدرك للحَاكم: ٣ / ١٠٩، مُسْنَد اَبن مَاجه: ١ / ٢٨، مُسْنَد أَحمَد: ١ / ١٧٥ و ١٧٧ و ١٧٩ و ١٨٢ و ٣٣١ و ٣٦٩، كَنز العُمّال: ٦ / ١٥٢ ح ٢٥٠٤، خَصَائص النَّسائي: ١٧، الإِصَابَة: ٤ / ٥٦٨، ذَخَائر العُقبىٰ: ٨٨، الجَامع لأَحكَام القُرْآن للـقُرطُبي: ١٨ / ٢٨٧، شـوَاهـد التَّـنزِيل: ١ / ١٦٢، الإِعـتقَاد للَبيهقي: ٢٠٤، أُسد الغَابة: ٢ / ١٢، تَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢ / ١٠٢، مَـجْمع الزَّوائِـد: ٩ / ١٦٤، تَأرِيـخ دِمَشق: ٢ / ٤٥ ح ٥٤٥، المُسَامَرَة فِي شَرح المُسَايرَة: ٢٨٢، الإِبَانة عَن أُصُول الدِّيَانة: ١٨٧ الطَّبعة الأُولىٰ دِمَشق ١٩٨١.

أَمّا أَحَادِيث الولاَيَة مِن السُّنَّة فَلاَ يَبلغهَا الإِحصَاء، مِنهَا الحَدِيث المُتوَاتر عِندَ جَمِيع المُسْلمِين، وَهُو «مَنْ كُنتُ مَولاَه فَعَليّ مَولاَة». تَقدَّمت تَخرِيجَاته.

وَالمِيثَاق؛ ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾[(١)].

أَمَّا مُطَالبتهَا بفَدَك فَقْد كَانَت وَسِيلَة لهَذه الغَاية، وَإِلاَّ فَمَا لفَاطمَة بِنْت مُحَمَّد وَفَدك، وَغَير فَدَك... إِنَّ الدُّنْيَا بكَاملهَا لَيْسَت مِن آل مُحَمَّد فِي شَيء، وَلاَ هُم مِنْهَا فِي شَيء... هَذَا، إِلَىٰ أَنَّها كَانَت عَلَىٰ عِلْم مِن مَوقف الخَلِيفَة قَبْلَ أَنْ تُخَاصمهُ، وَتَحتجّ عَلَيهِ، فَقْد أَخبَرهَا أَبُوهَا بكُلّ مَا يَجري عَلَيهَا وعَلَىٰ بَعلهَا، وأَولاَدها مِن بَعده، وَصَرّحت هِي بمَعرفتهَا هَذِه فِي آخر الخُطبَة بقَولهَا: «وَقَد قُلتُ مَا قُلتُ عَلَىٰ مَعْرفَة منّي بالخَذلَة الَّتي خَامَرتكُم وَالغَدرَة الَّتي ٱستَشْعرَتهَا قُلوبكُم»[(٢)].

أَنَّها لاَ تُرِيد فَدَكاً... وَإِنّما تُرِيد أَنْ تُرسي أَسَاس حَقّ عَليّ فِي الخِلاَفَة، وَتُعلن للأَجيَال أَنَّ هَذَا الحَقّ رُكن مِن أَركَان الإِسلاَم، وَدعَامَة مِن دَعَائِمه، وَلاَ يَهمُّهَا بَعْد هَذَا أَنْ يَصل بَعلهَا إِلَىٰ الخِلاَفَة أَو لاَ يَصل، وَإِنَّما المُهم أَنْ يَعرف هَذَا الحَقّ، وَيُؤمِن بِهِ كُلّ مَن آمَن بالله وَنُبوّة مُحَمَّد... وَقَد طَعَن مُعَاويَة عَلَىٰ الإِمَام بأَنَّه أُجبِرَ عَلَىٰ مُبَايعَة مَن سَبَقه، فَأَجَابهُ: «مَا عَلَىٰ الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُوماً مَا لَمْ يَكُنْ شَاكّاً فِي دِينِهِ»[(٣)].

أَنَّ الَّذي لاَ يَكتَرث بالأَقَاليم السَّبعَة، تَحت أَفلاَكهَا، وَيَستَهين بِالحَيَاة، وَيَرىٰ الشَّهادَة الفَوز الأَكبَر، لاَ يَهتَم بهَذِه الخِلاَفَة، وَمَن تَقمصّها... وَطَبِيعي أَنْ لاَ يَهتَم

---

(١) ٱلْبَقَرَة: ٢٧، ٱلرَّعْد: ٢٥.

(٢) أُنظر، بَلاَغَات النِّسَاء لِابن طَيفُور: ١٢ ـ ١٩، شَرْح نَهج البَلاَغَة لِابن أَبي الحَدِيد: ١٦ / ٢١٣، جوَاهر المطَالب فِي مَنَاقب عَليّ بن أَبي طَالب لِابْن الدِّمَشْقِي: ١ / ١٦٠، شَرح الأَخْبَار: ٣ / ٣٦، السَّقِيفَة وَفَدك للجَوهري: ١٠٢، كَشف الغُمّة: ٢ / ١١٤، أَعلاَم النِّسَاء: ٣ / ١٢٠٨، مَنَاقب آل أَبي طَالب: ٢ / ٥٠.

(٣) أُنظر، نَهج ٱلْبَلاَغَة: ٱلْرِّسَالة (٢٨).

عَليّ بالخِلاَفَة الَّتي يَتنَافس عَليهَا أبنَاء الدُّنْيَا مَا دَام الحَقّ يَدُور مَعَهُ كَيفمَا دَار . . . أَنَّ عَلِيّاً خَلِيفَة عَلىٰ كُلّ حَال ، لأَنَّ خِلاَفَته إلٰهيَة ، تَمَاماً كَنُبوّة مُحمَّد لاَ يُمكن أَنْ يَتولاَهَا غَيره ، أَو يَنْتزعهَا أَحَد مِنْهُ . وإِذَا جَهل ، أَو تَجَاهل هَذِه الحَقِيقَة ، الَّذي ٱنْقلَب عَلىٰ عَقبَيه بَعد نَبيّه ، فَقْد وَعَدهَا وَآمن بهَا الَّذِين ثَبّتهُم الله عَلىٰ الإِيمَان بإِتّبَاع الرَّسُول وأَهْل بَيْته .

خطَبَت الزَّهرَاء خُطْبَتَين : الأُولىٰ فِي المَسْجِد الجَامع ـ كمَا قَدّمنَا ـ والثَّانِيَة فِي نِسَاء الأَصْحَاب ، وَقَد جَاء فِي هَذِه الخُطْبَة :

« أَصْبَحتُ وَالله عَائِفَة لدُنيَاكُنَّ ، قَالِية لرِجَالكنَّ . . . ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ﴾[1] . . . فَجَدعاً ، وَعَقراً ، وَبُعداً للقَوم الظَّالِمين . . وَمَا الَّذي نَقمُوا مِن أَبي الحَسَن ؟ . نَقمُوا وَالله نَكِير سَيفه ، وَقلَة مُبَالاَته بِحتَفه ، وَشدّة وَطأَته ، وَتَنمرهُ فِي ذَات الله عزّوجلّ ، وَتَالله لَو مَالُوا عَن المَحجّة اللأَئحَة ، وَزَالُوا عَن قَبُول الحُجّة الوَاضحَة لرَدّهم إِلَيهَا »[2] .

وَتَكلّمَت ٱبْنتهَا زَيْنَب بَعد يَوْم كَرْبُلاَء فِي ثَلاَثَة موَاقف :

الأَوّل : حِين دَخَلت السَّبَايَا الكُوفَة ، وَٱسْتَقبلهَا الكُوفيُون وَالكُوفيَّات بالبُكَاء وَالعَوِيل ، فَٱرْتجَلَت خُطبَة ، جَاء فِيهَا :

---

(١) ٱلْمَـائِدَة : ٨٠.

(٢) أنظر ، بَلاَغَات النِّسَاء لِابن طَيفُور : ٢٠ ، شَرْح نَهْج البَلاَغَة لِابن أَبي الحَدِيد : ١٦ / ٢٣٣ ، جوَاهر المطَالب فِي منَاقب عَليّ بن أَبي طَالب لِابْن الدِّمَشْقِي : ١ / ١٦٦ ، شَرْح الأَخْبَار : ٣ / ٣٦ ، السَّقِيفَة وَفَدك للجَوهري : ١٢٠ ، كَشف الغُمّة : ٢ / ١١٥ ، أَعلاَم النِّسَاء : ٣ / ١٢٠٨ ، مَنَاقب آل أَبي طَالب : ٢ / ٥٠ ، معَاني الأَخبَار : ٣٥٥ ، أَمَالي الطُّوسي : ٣٧٥ ، الإِحْتجَاج للطَّبرسي : ١ / ١٤٧ ، النّزَاع وَالتَّخَاصم : ١٠٠ .

«أَمَّا بَعد: يَا أَهْل الكُوفَة، أَتبكُون؟ فَلاَ سَكَنت العَبرَة، وَلاَ هَدَأت الرَّنَّة، إِنَّما مَثَلكُم مَثل الَّتي نَقَضت غَزلهَا مِن بَعد قوّة أَنْكَاثاً، تَتخذُون أَيمَانكُم دخَلاً بَيْنكُم، أَلاَ سَاء مَا تَزرُون.

«أَي والله، فَأبكُوا كَثِيراً، وَأضحكُوا قَلِيلاً، فلَقَدْ ذَهبتُم بِعَارهَا وَشنَارهَا، فَلَن تَرحضُوهَا بِغَسل أَبدَاً وَكَيف تَرحضُون قَتل سِبط خَاتم النّبوَّة، وَمَعْدن الرِّسَالة وَمدَار حُجَتكُم، وَمَنَار مَحجَتكُم، وهُو سيِّد شَبَاب أَهْل الجَنَّة....؟.

لَقَدْ أَتيتُم بِهَا خَرقَاء شَوهَاء. أَتْعجبُون لَو أَمْطَرت دَماً.؟.

أَلاَ سَاء مَا سَوّلت لكُم أَنْفسكُم أَنْ سَخط الله عَليكُم، وَفِي العَذَاب أَنتُم خَالدُون.

أَتدرُون أَي كَبدٍ فَرَيتُم؟ وَأَي دَمٍ سَفَكتُم؟ وَأَي كَرِيمَة أَبرَزتُم؟ لَقَدْ جِئتُم شَيئاً إِدّاً، تَكَاد السَّموَات يَتفطرن مِنْهُ وَتَنْشق الأَرْض، وَتَخُر الجِبَال هَدّا»[1].

وَمَن تَأَمّل خُطبتهَا هَذِه، وَخُطبَة أُمّها تِلْكَ يَبدُو لهُ لأَوّل نَظرَة وَجْه الشَّبه بَيْنَ الخُطبتَين، وَأَنَّهما تَصدرَان مِن مَعْدن وَاحد، وَترميَان إِلَىٰ هَدَف وَاحد، وَهُو بَثّ الدَّعوَة لأَهْل البَيْت، وَنَشر فضَائلهُم وَمحَاسنهُم، وَمثَالب غَيرهم وَمَسَاوئهُم.. وَإِفهَام النَّاس جَمِيعاً أَنَّ الإِسلاَم فِي حَقِيقَته لاَ يَقُوم عَلىٰ التَّلَفظ بِالشّهادَة، وَتَأدية الفَرَائِض المَكتُوبَة، وَكَفىٰ، بَل لاَ بُدّ ـ أَوّلا وقَبْلَ كُلّ شَيء ـ مِن التَّصدِيق بكُلّ مَا جَاء بِهِ مُحَمَّد، وَمِمَّا جَاء بِهِ وجُوب التَّمسك بالكتَاب وَالعِترَة «بنَصّ حَدِيث الثَّقلَين الَّذي روَاه مُسْلِم وَأَحمَد»[2]، وَلَكن المُسْلمِين بَعد نَبيّهم نَبذُوا الكِتَاب،

(١) أُنظر، اللُّهوف فِي قَتلىٰ الطُّفُوف: ٨٧، مُثِير الأَحزَان: ٦٧، الإِحْتجَاج: ٢ / ٩٦.

(٢) أُنظر، صَحِيح مُسْلِم: ٤ /فَضَائِل عَليّ ح ٣٦ و ٣٧ و: ٧ / ١٢٠، مُسْنَد أَحمَد: ١ / ١٧٠ و ١٧٣

وَأَضَاعوا العِترَة... ويَقُول الشَّيخ المُظَفر: «وَلاَ أدري مَتىٰ تَمَسكَت الأُمّة بِالعِتْرَة؟.. أَفي زَمَن أَمِير المُؤمِنين، أَو فِي زَمَن أَبْنَائه الطَّاهِرين؟... بَل جَعَلوا عَداوَتهُم وَسَبّهُم دِيناً، وَحَارَبُوهُم بالبَصْرَة، وَالشَّام، وَالكُوفَة، وَسَبوا نِسَاءهُم سَبي التُّرك وَالدَّيلَم»[1].

وَلاَ أحْسَبني بحَاجَة إِلَىٰ التَّنبيه أَنَّ زَيْنَب حِين تُخَاطب أَهْل الكُوفَة، وَتَقُول: «أَتَدرُون أَي كَبدٍ فَرَيتُم؟ وَأَي دَمٍ سَفَكتُم؟ وَأَي كَرِيمَة أبرَزتُم؟ إِنَّما تَعْني مَن ظَلَم أَهْل البَيْت، وَرَضي بظُلمِهِم، وَشَايع وَتَابع عَلَيهِ.

المَوقف الثَّاني للسَّيِّدَة زَيْنَب: حِين دَخَلت مَجْلس ٱبْن زيَاد، وَقَالَ لهَا: الحمد لله الَّذي فضحكم...

فَقَال: «الحَمْد لله الَّذي أَكرمنَا بنَّبيه مُحَمَّد، وَطَهرنَا مِن الرِّجس تَطْهِيراً، إِنَّما يُفْتَضح الفَاسق، وَيُكذِّب الفَاجر، وَهُو غيرنَا وَالحَمد لله»[2]؟!.

أَجل، يَا ٱبنَة أَمِير المُؤمِنِين، وَسيِّد الوَصيِّين أَنّكُم النُّور الَّذي ٱنْبَثَق مِن ذَات. الله، وَمُستَودع سرّه وَإِمَانته، وَالطُّهر الَّذي ٱنْبَعث مِن رَسُول الله، ووَارثُو عِلمَه وَخَلقه، وَمَجدَه وَشَرفه، وَحُكمه وَسُلطَانه.

ثُمَّ قَالَ ٱبْن زيَاد: كَيفَ رَأيتِ فِعْل الله بأَهل بَيْتك؟.

قَالَت: مَا رَأيتُ إِلاَّ جَمِيلا، هَؤلاَء قَوم كَتَب الله عَلَيهم القَتْل، فَبرَزُوا إِلَىٰ مَضَاجعهُم، وَسَيَجمع الله بَيْنَك وبَيْنَهُم، فَتُحَاج وَتُخَاصَم، فَٱنظُر لمَن الفَلَج يَومَئذٍ،

⇔ و ١٧٥ و ١٧٧ و ١٧٩ و ١٨٢ و ١٨٤و ١٨٥ و ٣٣٠، و: ٣/ ٣٢و ٣٣٨، و: ٦/ ٣٦٩ و ٤٣٨.

(١) أنظر، دَلاَئِل الصّدق، الشَّيخ المُظَفر: ج ٣. (مِنهُ رحمه الله).

(٢) أُنظر، الإِرشَاد: ٢/ ١١٥، إِعلاَم الوَرىٰ بأَعلاَم الهُدَىٰ: ١/ ٤٧١، يَنَابِيع المَودَّة لذَوي القُربَىٰ: ٣/ ٨٧.

ثَكَلتكَ أُمّك يَا ٱبْن مَرجَانة »[١].

أَسِيرَة تَحْتَقر الحَاكِم الآسر وَتَزدَرِيه، وَلاَ ترهَب سُلطَانه وَبَطشَه!... أَجل، أَنَّها بِنْت عَليّ لاَ تَخْشىٰ المَوت، وَمَن لاَ يَخشىٰ المَوت لاَ يَخْضَع لشَيء، وَلاَ يُرهبَه شَيء.

وَمَا أَشبَه قَولهَا لِابْن زيَاد: « فَٱنظُر لمَن الفَلَج يَومَئذٍ.. ثَكَلتكَ أُمّك يَا ٱبْن مَرجَانة ». بقَول أُمّها للخَلِيفَة الأَوّل: « أَفِي كتَاب الله أنْ تَرثَ أَبَاك وَلاَ أَرثَ أَبي، لقَد جِئتَ شَيْئَاً فَريّاً!!؟؟ ثُمَّ ٱنْصَرفت عَنْه[٢]..؟..

أَجل، أَنَّ كُلّا مِنْهُما ـ المَعني بخطَاب الزَّهرَاء، وَالمَعني بخطَاب زَيْنَب ـ قَد تَرَك الكِتَاب، وَنَبذَه وَرَاء ظَهره عَن عَمد، وَلَم يَخْتَلفا فِي شَيء إلاَّ فِي الأُسلُوب وَالمَظهَر...

المَوقف الثَّالث: حِينَ دَخَلت مَجْلس يَزِيد، وَسَمِعَتهُ يَتَمثل بأَبيَات مَن قَالَ:

لَيتَ أَشيَاخي بِبَدر لَو رَأوا — مَصرَع الخَزرَج مِن وَقع الأَسَل
لأَهلّوا وَٱسْتَهلوا فَرحاً — ثُمَّ قَالوا يَا يَزِيد لاَ تَسل

فَقَالَت السَّيِّدَة:

(الحَمْد لله رَب العَالمِين، وَالصَّلاَة عَلىٰ جَدّي سَيِّد المُرسَلِين، صَدَق الله سُبْحَانه كَذَلَكَ يَقُول: ﴿ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾[٣]، أَظَنَنْتَ يَا يَزِيد حِينَ أَخَذْتَ عَلَينَا أَقْطَار الأَرْض،

---

(١) أُنظر، مُثِير الأَحزَان: ٧١، اللُّهُوف فِي قَتلىٰ الطُّفُوف: ٩٤.

(٢) تَقَدَّمت تَخْرِيجَاته.

(٣) ٱلرُّوم: ١٠.

وَضَيّقتَ عَلَينَا آفَاق السَّمَاء، فَأَصبحنَا لَكَ فِي آسَار، نُسَاق إِلَيكَ سَوقَاً فِي أقطَار، وَأَنْتَ عَلَينَا ذُو ٱقْتدَار إِنَّ بِنَا مِن الله هَوَاناً وَعَلَيكَ مِنْه كَرَامَة، وَٱمـتنَاناً، وَإِنَّ ذَلِك لِعُظَم خَطَرك، وَجَلاَلَة قَدَرك، فَشَمَخت بِأَنْفك، وَنَظَرت فِـي عَـطْفَك، تَـضْرب ٱصْدَرِيك فَرحَاً، وَتَنْقض مَذرويكَ مَرحَـاً، حِـينَ رَأَيتَ الدُّنـيَا لَك مُسـتَوسقَة، وَالأُمُور لَدَيك مُتّسقَة، وَحِينَ صَفَا لَكَ مُلكنَا، وَخَلصَ لَكَ سُلطَانَنَا، فَمَهْلاً مَهْلاً لاَ تَطش جَهلاً أَنَسِيت قَول الله عزّوجلّ: ﴿ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾[1]. أَمِنَ العَدْل يَاْبن الطُّلَقَاء؟! تَخدِيرُك حَرَائرك وَآمَائك، وَسَوقَك بنَات رَسُول الله سَبَايَا، قَد هَتَكتَ ستُورهُنَّ، وَأَبْدَيت وجُوههُنَّ، تَحدُوا بِهنَّ الأَعدَاء مِن بَلدٍ إِلىٰ بَلَد، وَتَسْتَشْرفهنَّ المَنَاقل، وَيَـتبرزنَّ لِأَهْل المَنَاهل، وَيَتَصفّح وجُوهُهنَّ القَرِيب وَالبَعِيد، وَالغَائِب وَالشَّهِيد، وَالشَّرِيف وَالوَضِيع، وَالدَّني وَالرَّفِيع لَيْسَ مَعَهنَّ مِن رِجَالهنَّ وَلي، وَلاَ مِن حُمَاتهنَّ حَمي، عَتوا مِنْك عَلىٰ الله، وَجحُوداً لِرَسِول الله، وَدَفعَاً لمَا جَاء بهِ مِن عِندَ الله، وَلاَ غَرو مِنْك، وَلاَ عَجَب مَن نَظَر فِي عَطْفه فِعْلك، وَأَنّىٰ يُرتَجىٰ مُرَاقبَة مَن لَفَظ فُوه أَكبَاد الشُّهدَاء، وَنَبتَ لَحمهُ بدِمَاء السُّعدَاء، وَنَـصَب الحَـرْب لسَـيِّد الأَنْـبيَاء، وَجَـمع الأَحزَاب، وَشَهر الحِرَاب، وَهَزَّ السِّيُوف فِي وَجْـه رَسُـول الله صلى الله عليه وآله أَشَـد العَـرْب جحُوداً، وَأَنْكَرهُم لهُ رَسُولاً، وَأَظْهَرهُم لهُ عُدوَاناً، وَأعْـتَاهُم عَـلىٰ الرَّب كُـفرَاً وَطُغيَاناً.... أَللَّهُمَّ خُذْ بِحَقنَا، وَٱنْتَقم مَن ظَالمنَا، وَٱحْلل غَضَبك عَلىٰ مَن سَفكَ دِمَائنَا، وَنَقض ذمَارنَا، وَقَتل حُمَاتنَا... ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ

(١) آل عِمْرَان: ١٧٨.

خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[١]، وَحَسبك بِـالله وَلِيَّاً وَحَاكِمَاً، وَبرَسُول الله خَصمَاً، وَبِجِبرَئِيل ظَهِيرَاً، وَسَيَعلم مَن بَوّأَك وَمَكّـنَك مِن رقَاب المُسْلِمِين.... فَكِد كَيدَك، وَاسع سَعيَك، وَنَـاصب جُـهدك، فـوَالله لاَ تَمحُو ذِكْرنَا، وَلاَ تُمِّيت وَحيَنَا، وَلاَ يُدحَض عَنْكَ عَارهَا، وَهَل رَأيُك إِلاَّ فَـنَد، وأَيَّامُك إِلاَّ عَدَد، وَجَمُعك إِلاَّ بَدَد)[٢].

ثُمَّ تَقُول غَير مُتَأَلِّم وَلاَ مُسْتَعظِم:

لأَهـلوّا وَٱسْـتَهلوا فَـرحـاً ثُمَّ قَالوا يَا يَـزِيد لاَ تَسـل

مُنْحَنياً عَلىٰ ثَنَايَا أَبِي عَبدالله سَيِّد شبَاب أَهْل الجَنّة، تَنْكتهَا بِـمَخصرَتك؟.. وَكَيف لاَ تَقُول ذَلِكَ؟.. وَقَد نَكَأْت القُرحَة، وٱستَأصَلت الشَّأفَة بإِرَاقَـتك دِمَـاء ذُرِّيَّة مُحَمَّد ﷺ، وَنجُوم الأَرْض مِن آل عَبدالمُطّلب، وَتَهتُف بأَشيَاخك...

زَعَمت أَنَّك تُنَادِيهِم، فَلتَردَن وَشيكاً مَوردهُم، وَلتَردَن أَنَّك شللّتَ وَبكمتَ، وَلَم تَكُن قُلت مَا قُلت، وَفَعلت مَا فَعَلت، أَللَّهُمَّ خُذّ لنَا بحقّنا، وَٱنْتَقم ممَّن ظَلَمنَا، وَٱحلل غَضَبك بمَن سَفك دمَاءنا، وَقَتل حُمَاتنَا، فوَالله مَا فَرَيت إِلاَّ جِلدَك، وَلاَ حَزَزت إِلاَّ لَحمك». وَيَأخُذ بحُبّهم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٣].

وَحَسبُك بِاللهِ حَاكِماً، وَبمُحَمّد خَصِيماً، وَبجبرِيل ظَهِيراً، وَسَيَعلم مَن سَوّل

---

(١) آل عِمْرَان: ١٦٩ ـ ١٧٠.

(٢) أنظر، أَخبَار الزَّينبيَّات: ٨٦، بَـلاَغَات النِّسَـاء: ٢١، الحَـدَائِـق الوَردِيـَة: ١ / ١٢٩، الإِحـتجَاج: ٢ / ٣٧، أَعْلاَم النِّسَاء: ٢ / ٥٠٤، مَقْتَل الحُسَين للخُوَارزمي: ٢ / ٦٤، اللُّهُوف فِي قَتْلىٰ الطُّفُوف: ٧٩، العَوَالم: ٢٠٥، بحَار الأَنوَار: ٤٥ / ١٦٠.

(٣) آلِ عِمْرَانَ: ١٦٩.

لكَ، وَمَكّنك مِن رقَاب المُسْلِمين بِئسَ للظَّالِمين بَدلاً وَأيّكُم شَرّ مَكَانَاً، وَأَضعَف جُندَاً.

وَلِئَن جرّت عَليّ الدَّوَاهي مُخاطَبتك، إنّي لأَسْتَصغر قَدرَك، وَأَسْتَعظم تَقرِيعَك، وَأَسْتَكثر تَوبِيخَك، وَلَكن العُيُون عَبرىٰ، وَالصّدُور حَرّىٰ... أَلاَ فَالعَجَب كُلّ العَجَب لقَتل حَزْب الله النُّجبَاء بحِزْب الشَّيطَان الطُّلقَاء!.... فَهذِهِ الأَيدِي تَنْطف مِن دمائنا، وَالأَفوَاه تَتَحَلب مِن لحُومنَا، وَتِلْكَ الجُثَث الطَّوَاهر الزَّوَاكي تَنْتَابهَا العوَاسل، وَتُعفّرهَا أُمّهَات الفَرَاعل.

وَلِئَن ٱتَّخذتنَا مَغْنَماً لتَجدنَا وَشِيكَاً مَغرمَاً حِين لاَ تَجد إلاّ مَا قَدَّمَت يَدَاك، وَمَا رَبّك بظَلاّمٍ للعَبِيد، وإلَىٰ الله المُشتَكىٰ، وعَلَيهِ المُعَوّل.

فَكِد كَيدَك، وَاسع سَعيَك، وَنَاصب جُهدك، فوَالله لاَ تَمحُو ذِكْرنَا، وَلاَ تُمِّيت وَحيَنَا، وَلاَ يُدحَض عَنْكَ عَارهَا، وَهَل رَأيُك إلاَّ فَنَد، وأَيَّامُك إلاَّ عَدَد، وَجَمْعك إلاَّ بَدَد. يَوْم يُنَادي المُنَادي أَلاَ لَعنَة الله عَلىٰ الظَّالِمين.

وَالحَمد لله رَبّ العَالَمِين الَّذي خَتَم لأَولنَا بِالسّعَادَة وَالمَغْفِرة، وَلآخرنَا بِالشَّهادَة وَالرَّحمَة، وَنَسأَل الله أَنْ يُكمل لَهُم الثَّواب، وَيُوجب لَهُم المَزِيد. وَيُحسن عَلَينَا الخِلاَفَة. أَنَّه رَحِيم وَدُود. وَحَسبنَا الله وَنِعمَ الوَكِيل»[1].

وَأدع تَحلِيل هَذِه الكَلمَات، وَبَيَان مَا فِيهَا مِن كنُوز وَأَسرَار، لأَنّي أَخشىٰ أَنْ لاَ أُعطِيهَا قِيمتهَا الحَقيقيَة، ومَعْنَاهَا الصَّحِيح، وَأُحَاول أَنْ أرسم مَا ٱسْتَشعَرته، وَأَنَا أَتَأمل، وَأُنعِم الفِكر فِي مَدلُول هَذِه الكَلمَات وَالنَّبرَات الَّتي هِي أَمضىٰ مِن

---

(١) أُنظر، أَخبَار الزَّينبيَّات: ٨٦، بَلاَغَات النِّسَاء: ٢١، الحَدَائِق الوَردِيَة: ١ / ١٢٩، الإِحتِجَاج: ٢ / ٣٧، أَعْلاَم النِّسَاء: ٢ / ٥٠٤، مَقْتَل الحُسَين للخُوَارزمي: ٢ / ٦٤، اللُّهُوف فِي قَتْلىٰ الطُّفُوف: ٧٩، العَوَالم: ٢٠٥، بحَار الأَنوَار: ٤٥ / ١٦٠.

حَدّ السُّيُوف، وَأَشَدّ مِن طَعن الرِّمَـاح.. وَأُقسـم أَنّـي قَـد نَسِيتُ ذَلِكَ المَشـهَد الرَّهِيب، وَوقُوف النِّسَاء والأَطْفَال أُسَارىٰ بَيْنَ يَدي يَـزِيد... نَسِيت كُـلّ هَـذِه المِحَن، وَأَنَا أَستَمع إِلَىٰ الحَوَارء، وَهِي تَصْفَع الطَّاغيَة بكَلمَاتها المُلتَهبة، وَتَلعنَه وَتُخزِيه، وَتُشفي مِنْهُ صدُور قَوم مُؤْمِنِين؛ أَجل، نَسِيتُ كُلّ شَيء إِلاَّ قَولهَا:

«يَآبن الطُّلَقَاء؟!... وَمَن لَفَظ فُوه أَكبَاد الأَزكيَاء.. وَنَـبَت لَـحْمه مِـن دمَـاء الشُّهدَاء...».

وَقَولهَا: «فَوَالله مَا فَرَيتَ إِلاَّ جِلدَك، وَمَا حَزَزت إِلاَّ لَحْمك....».

وَقَـولهَا: «إِنّـي لأَسْـتَصغر قَـدرَك، وَأَسْـتَعظم تَـقرِيعَك، وَأَسْـتَكثر تَوبِيخَك،.....».

وَقَولهَا: «هَل رَأْيك إِلاَّ فَنَد، وأَيَّامُك إِلاَّ عَدَد، وَجَمْعك إِلاَّ بَدَد... يَوْم يُنَادي المُنَادي أَلاَ لَعنَة الله عَلىٰ الظَّالِمين». أَي عَلَيهِ وعَلىٰ آبَائه، وعَلىٰ مَن مَهّد لهُ ولَهُم سِبِيل الحُكم وَالتَّحكم...»[1].

وَبَعد، فَلَيسَت هَذِه الكَلمَات نَفْثَة مَصدُور، وَلاَ هَذِه الرُّوح الَّتي خَاطَبت يَزِيد فِي هَذَا الجَور تَشبَه أَروَاحنا نَحْنُ أَبنَاء الأَرْض فِي شَيء. أَنَّها رُوح إِلٰهيَة لاَ تَرىٰ غَير جَبَّار السَّماء... وَلَو كَانَت زَيْنَب مِن هَذِه النُّسوَة لمَا آستَطَاعت غَير البُكَـاء وَالرَّجَاء... وَلَكنَّها مِن بَيْت، أَسَاسَه مُحَمَّد، وَبنَاؤه عَـليّ، وَفَـاطِمَة، وَالحَسَـن وَالحُسَين، وَبَانِيه الله الوَاحد الأَحَد.

أَنَّ كُلّ مَوقف مِن موَاقف أَهْل البَيْت، وَكُلّ كَلمَة مِن كَلمَاته، شَاهد صِدق وَعَدل عَلىٰ أَنَّهم إِنْ نَطقُوا نَطقُوا بلسَان الوَحي، وَإِنْ فَعَلوا فَعلُوا بتَسدِيد الله وَعنَايَته.

---

(١) أُنظر، بَلاَغَات النِّسَاء لِابْن طَيفُور: ٢٢، الإِحتجَاج: ٢ / ٣٦، مُثِير الأَحزَان لِابْن نَـما: ٨١، مَـقْتَل الحُسَين لأَبي مَخنَف الأَزدي: ٢٢٧.

وَقَد يَسأَل سَائِل : لمَاذَا صَبَر يَـزِيد عَـلىٰ هَـذَا التَّـقرِيع وَالتَّـوبِيخ ، وَالتَّـهدِيد وَالوَعِيد ، وَعَلىٰ لَعْنه وَلَعن آبَائه ؟ !..

وَلمَاذَا لَمْ يُسَكِّت السَّـيِّدَة ، أَو يَأمـر بـقَتْلهَا ، أَو إِخـرَاجـهَا ، وَهُـو الحَـاكِـم المُسَيطر ؟ !..

الجَوَاب :

أَنَّ يَزِيد لَم يَسْكُت عَن السَّيِّدَة ، لأَنَّها آمـرَأة ، وَالمَـرأَة لاَ تُـعَامل إلاَّ بِـالرِّفق وَاللُّطف... كَلَّا... إِنَّ يَزِيد لاَ يَردَعه شَيء... كَيف ؟ وَقَد تَجرَأ عَلىٰ قَتْل رَيحَانَة الرَّسُول ، وَذَبحَ أَطفَاله ، وَسَبىٰ نِسَائه.. وَإِنَّما سَكَت مَذهُولاً مِن هَـول الصَّـفعَة ، وَمِمَّا رَأىٰ مِن آضْطرَاب المَجلس بأَهْله ، وَسَمع مِن الصَّرخَات بسَبّه وَلَعْنه ، حَتَّىٰ مِن أَهْلِهِ وَنسَائه... فَلَقَد أَوقعَته السَّيِّدَة زَيْنَب بنبرَاتهَا وَكلمَاتهَا فِي مَأزَق خَطِير لاَ يَملك مَعَهُ إلاَّ الْإِعترَاف بعَظمَة الجَرِيمَة ، وَإلاَّ البَرَاءَة مِنْهَا ، وَإِلقَاءهَا عَلىٰ آبْن زِيَاد.

وَبالتَالي ، فَإِنَّ كَلمَات الزَّهرَاء بَعد يَوْم السَّقِيفة ، وَكلمَات آبْنَتها زَيْنَب فِي يَوْم كَرْبُلاَء ، وَبَعدَه ، وَكلمَات الْإِمَام زَين العَابدِين ، وَأُمّ كُلثُوم ، وفَاطِمَة بِنْت الحُسَين ، جَمِيعهَا تَرمي إِلىٰ غَرضٍ وَاحد ، وَهُو إِقَامَة الحُجَجّ وَالبَرَاهِين عَلىٰ أَنَّ أَهْل البَيْت هُم أَصحَاب الحَقّ فِي خِلاَفة الرَّسُول ، وَأَولىٰ بالطَّاعَة ، وَأَنَّ مَن عَارض وَعَـاند فَقَد رَدّ عَلىٰ الله وَرَسُوله.

فَأَهل البَيْت أَوّل مَن وَضَع أُسّس الحُجَاج لحَقهِم بالدَّلِيل وَالمَنْطق ، وأَوّل مَن تَكَلَّم فِي فضَائِلهم وَمَحَاسنِهم ، وَمَثَالب أَعدَائـهم وَمَسَـاوئهم ، وأَوَّل مَـن أَقَـام البَرَاهِين عَلىٰ وجُوب التَّمسك بحَبلهِم ، وَالبَرَاءَة ، وَمِن أَعدَائِهم ، ثُمَّ سَار عَلىٰ هَذَا النَّهج كُلّ موَال وَمُحبّ لله وَرَسُوله وأَهْل بَيْته.

الدَّعوَة لأَهْل البَيْت

لَمْ يَتوَان أَهْل البَيْت لَحظَة فِي إِعلاَن حَقّهم بخِلاَفَة جَدّهم الرَّسُول. وَبكُلّ مَا فَرَض الله لهُ عَلىٰ النَّاس مِن سُلطَان، وَطَاعَة، وَولاَء... فَلَقد أَعلنُوا هَذَا الحَـقّ، عَلىٰ أَنَّ الله سُبْحَانَهُ قَد خَصّهمُ بهِ، شَاء النَّاس أَو أَبَوا، تَمَاماً كمَا خَـصّ مُـحَمَّداً بالنُّبوّة؛ أَعلنُوا هَذَا الحَقّ، وَدَعوا إِلَىٰ الإِيمَان بهِ بشَـتىٰ الأَسَـالِيب وَالوسَـائِل، وَٱحْتَجُوا لهُ بمَنْطق العَقل، وَنصّ الكِتَاب وَالسُّنَّة.

فَمَا أَنْ تُوفّي النَّبيّ، وَتَولىٰ الخِلاَفَة أَبُو بَكْر، حَتَّىٰ ذَهَبَت الزَّهرَاء بنَفْسهَا إِلَىٰ المَسْجِد الجَامع، وَأَعْلَنَت هَذَا الحَقّ، وَٱحتجّت لهُ فِي مَلأ مِن النَّاس، وَمَـحضَر الخَلِيفَة وَالأَصحَاب، فَأَبْكَت النِّسَاء والرِّجَال، وَبَلبَلت الأَفكَار، وَٱعْـتَذر إِلَـيهَا الأَنْصَار، وَحَامت حَول خِلاَفَة الأَوّل أَلف شُبهَة وَشُبهَة...

وَلاَ أدري عَلىٰ أَي شَيء إِعْتَمَدَ مَن قَالَ: أَنَّ عَلِيّاً لَمْ يَحتَجّ لحَقهِ بالخِلاَفَة عَلىٰ أَبي بَكْر، وَجَهل أَو تَجَاهل أَنَّ إِحتجَاج الزَّهرَاء هُو إِحتجَاج عَليّ بالذَات، وَأَنَّها لَم تَنطق إِلاَّ بلسَانه، وَلَم تَحتَج إِلاَّ بدَلِيله وبُرهَانه.

هَذَا، إِلَىٰ أَنَّ الإِمَام لَم يَدع مُنَاسبَة إِلاَّ أَقَام فِيهَا الحُجّة البَالغَة عَلىٰ مَن جَـحَد وَعَانَد... نَذْكُر مِن ذَلِكَ عَلىٰ سَبِيل المِثَال قَوله مِن عَلىٰ المِنْبَر: «أَمَـا وَاللهِ لَـقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلاَنٌ، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحلِّي مِنْهَا مَحَلُّ القُطْبِ مِنَ الرَّحَـا. يَـنْحَدِرُ عَـنِّي

السَّيْلُ، وَلاٰ يَرْقَىٰ إِلَيَّ الطَّيْرُ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً، وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَىٰ طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّىٰ يَلْقَىٰ رَبَّهُ »[1].

وَقَولَه مِن كتَابٍ لَهُ إِلَىٰ مُعَاوِيَة:

« فَدَعْ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا، ـ أي نَحْنُ أُسرَاء فَضْل الله وَإِحسَانَه ـ وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا. لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمُ عِزِّنَا وَلاٰ عَادِيُّ طَوْلِنَا عَلَىٰ قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا، فَنَكَحْنَا وَأَنْكَحْنَا، فِعْلَ الْأَكْفَاءِ، وَلَسْتُمْ هُنَاكَ! وَأَنَّىٰ يَكُونُ ذٰلِكَ وَمِنَّا النَّبِيُّ وَمِنْكُمُ الْمُكَذِّبُ، وَمِنَّا أَسَدُ اللهِ، وَمِنْكُمْ أَسَدُ الْأَحْلَافِ، وَمِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمِنْكُمْ صِبْيَةُ النَّارِ، وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَمِنْكُمْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ، فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَعَلَيْكُمْ!

فَإِسْلاٰمُنَا قَدْ سُمِعَ، وَجَاهِلِيَّتُنَا لاٰ تُدْفَعُ، وَكِتَابُ اللهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ عَنَّا، وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأُولُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[2] وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3]، فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَىٰ بِالْقَرَابَةِ، وَتَارَةً أَوْلَىٰ بِالطَّاعَةِ. وَلَمَّا ٱحْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَىٰ الْأَنْصَار يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِرَسُولِ اللهِ ـ صلى الله عليه وآله ـ فَلَجُوا عَلَيْهِمْ، فَإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِهِ فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ، وَإِنْ يَكُنْ

(١) أنظر، نَهج البَلاغَة: الْخُطْبَةُ « ٣ ». وَتُعْرَفُ بالشِّقشِقِيَّة لِقَول الإمَام عليه السلام بعدَها: « تِلْكَ شِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ، ثُمَّ قَرَّتْ ».

(٢) ٱلْأَنفَال: ٧٥.

(٣) آلِ عِمْرَانَ: ٦٨.

بِغَيْرِهِ فَالْأَنْصَارُ عَلَىٰ دَعْوَاهُمْ[(١)].

وَزَعَمْتَ أَنِّي لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ، وَعَلَىٰ كُلِّهِمْ بَغَيْتُ، فَإِنْ يَكُنْ ذَٰلِكَ كَذَٰلِكَ فَلَيْسَتِ الْجِنَايَةُ عَلَيْكَ، فَيَكُونَ الْعُذْرُ إِلَيْكَ »[(٢)].

وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا[(٣)]

وَاحتجّ الحَسَن عَلَىٰ مُعَاوِيَة، وَالحُسَين عَلَىٰ أَهْل الكُوفَة بالحَدِيث المَشهُور « الحَسَن والحُسَين سَيِّدَا شبَاب أَهْل الجَنّة »[(٤)]... وَهُما إِمَامَان قَامَا أَو قَعدَا »[(٥)].

---

(١) قَالَ المُفِيد فِي كِتَاب « العُيُون وَالمَحَاسن »: زَعَم الجَاحظ أَنَّ الكُمَيت عَلَّم الشِّيعَة الحجَاج لتَقدِيم آل مُحَمَّد. وهَذِه حَمَاقَة وَسُخف مِن الحَافظ، فَإِنَّ أَمِير المُؤمِنِين وَأَبنَاءهُم هُم الَّذِين احتَجّوا لحَقهِم، وَعَلّموا النَّاس الحجَاج لهُ، وَإِنّما نَظَم الكُمَيت مَا قَالُوه وَأَعلنُوه، بَل أَنَّ مُتَكلّمي الشِّيعَة قَد احتَجّوا وَاستَدلُوا قَبْلَ الكُمَيت، وكَذَٰلِكَ أَصحَاب أَمِير المُؤمِنِين. (مِنْهُ ﷺ).

(٢) أنظر، نَهج البَلاغَة: الرِّسَالَة (٢٨).

(٣) يُنسب هَذَا الشِّعر إِلىٰ أَبِي ذُؤَيب الهُذَلِي مِن قَصِيدة طَوِيلة يَرثِي بَنِيه الْخَمْسَة فِي عَامٍ وَاحد أَصَابهُم الطَّاعون، وَتَارة يُنسب إِلىٰ ابن الزُّبَيْر، وَهَذَا هُو عَجز الْبَيْت.

وَعَيْرَهَا الْوَاشُون أَنِّي أُحِبّهَا ... وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنكَ عَارُهَا

أُنظر، دِيوَان الهُذليِّين: ١ / ٢١، شَرْح أَشعَار الهُذليِّين: ١ / ٧٠، خُزَانَة الأَدَب: ٩ / ٥٠٥، تَنوِير الحوَالك: ٢٠، المُحلّىٰ: ٦ / ٤٣، مُقدِّمة فَتح البَاري: ١٣٧، تَفْسِير القُرطُبي: ١٠ / ٣٨٤، مُعجم الأُدبَاء: ١١ / ٨٩، صَحِيح البُخَاريّ: ٩ / ٥٣، تَفْسِير الثَّعالبي: ٣ / ٥١٨، العِلَل لأَحْمَد بن حَنبل: ١ / ٩٤، الفَائق فِي غَرِيب الحَدِيث: ٣ / ٣٠٩، شَرح نَهج البَلاغَة لِابن أَبِي الحَدِيد: ١ / ٨٠ و: ١٥ / ١٨٣ و: ١٨ / ١٢٣ و: ٢٠ / ١٠٨، تَأرِيخ دِمشق: ٦٩ / ١١، تَهذِيب الكَمَال: ٣٥ / ١٢٤، البدَاية والنّهاية: ٨ / ٣٧٩، شَرح نَهج البَلاغَة لُمحمَّد عَبدَه: ٣ / ٣٣، النّهاية فِي غَرِيب الحَدِيث: ٢ / ٤٩٧.

(٤) أُنظر، كَنز العُمَّال: ٦ / ٢٢٠ و ٢٢١ و ٢١٧، و: ٧ / ١٠٧ و ١١١ و ١٠٨، و: ١٢ / ٩٦ و: ١٢ / ٣٤٢٤٦، و: ١٣ / ٣٧٦٨٢، صَحِيح التِّرمِذي: ٢ / ٣٠٦ و ٣٠٧، مُسْنَد أَحمَد: ٣ / ٣ و ٦٢ و ٨٢، حليَة الأَوْلِيَاء: ٥ / ٧١ و ١٣٩، و: ٤ / ١٣٩ و ١٩٠، مَجْمَع الزّوَائد: ٩ / ١٨٢ ـ ١٨٤ و ١٨٧، تَأرِيخ بَغدَاد: ٩ / ٢٣١ و ٢٣٢، و: ١٠ / ٩٠ و ٢٣٠، و: ١ / ١٤٠، و: ٢ / ١٨٥، و: ١٢ / ٤، و: ٦ / ٣٧٢،

وقالَت السَّيِّدَة زَيْنَب ليَزِيد فِيمَا قَالَت: «مَا قَتَل الحُسَين غيرك. وَلَولاَك لكَان ٱبْن مَرجَانَة أَقَل وَأَذَل، أَمَا خَشِيت مِن الله بقَتْله؟!.. وَقَد قَالَ رَسُول الله فِيهِ وَفي أَخِيه: الحَسَن والحُسَين سَيِّدَا شبَاب أَهْل الجَنَّة... فَإِنْ قُلتَ: لاَ، فَقَد كَذبتَ، وَإِنْ قُلتَ: نَعَم، فَقَد خَصَمتَ نَفْسك.. فَقَال يَزِيد: ذُرِّيَّة بَعضهَا مِن بَعْض.

وَقَالَ الإِمَام زَين العَابدِين لهُ، قَالَ المُؤذِّن: أَشهَد أَنَّ مُحَمَّداً رَسُول الله: هَذَا جَدِّي أَو جَدّك يَا يَزِيد[٦]!

وَللإِمَام السَّجَّاد أُسلُوب خَاصّ وَجَدِيد فِي بَثّ الدَّعوَة لأَهْل البَيْت، ذَلِكَ أَنّه لاَ يَبرز هَذِه الدَّعوَة بصُورتهَا بَل يُضفي عَلَيهَا ثَوب المُنَاجَاة وَالخضُوع وَالتَّضرع إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ، لتَمر فِي عَصْر الأُمويِّين بسَلاَم دُون أَنْ تُثِير أَي إِهتمَام، وَيَبدُو ذَلِكَ جَليَاً لمَن تَتبع وَتَأمّل مُنَاجَاته فِي الصَّحِيفة السَّجَّاديَّة.. فَمَا مَجّد الله وَشَكرَه، أَو سَأَله العَفو وَالرَّحمة أَو أَي شَيء بجُملَة إِلاَّ وَقَرنهَا بالصَّلاَة عَلَىٰ مُحَمَّد

⟷ الإِصَابَة: ١/ق ١/٢٦٦، و: ٦/ق ٤/١٨٦. مَناقب أَمِير المُؤْمِنِين مُحَمَّد بن سُليمان الكُوفي: ٣/ ٢٥٩، الجَامِع الصَّغِير للسِّيوطي: ١/ ١٩.

وأنظر، ذَخَائِر العُقْبَىٰ: ١٣٥ و ١٣٠ و ١٢٩، كُنُوز الحقَائق: ١١٨ و ٨١ و ٣٦، خَصَائص النَّسائي: ٣٤ و ٣٦، سُنن ٱبن مَاجه: ١/ ٤٤/ ١١٨، بَاب فَضَائِل أَصحَاب رَسُول الله صلى الله عليه وآله، الحَاكِم في المُستَدرَك: ٣/ ١٦٧ و ٣٨١، تَأَرِيخ دمَشق: ٧/ ١٠٣، أُسد الغَابَة: ٥/ ٥٧٤، صَحِيح ٱبن حبّان: ٢١٨، تَهذِيب التَّهذِيب: ٣/في تَرجمَة زيَاد بن جُبَير، سُنن التِّرمِذي: ٥/ ٣٢١/ ٣٨٥٦ و: ٣٢٦/ ٣٨٧٠، الفَضَائل لأَحْمَد: ٢/ ٧٧٩/ ١٣٨٤، الصَّوَاعِق: ١٨٧ و ١٩١ ب ١١ فصل ٢، الجَامِع الصَّغِير: ١/ ٥٨٩/ ٣٨٢٠ و ٣٨٢١ و ٣٨٢٢، مِنهَاج السُّنَّة: ٤/ ٢٠٩، فَرَائِد السِّمطَين: ٢/ ٣٥ و ١٤٠ و ١٣٤ و ١٥٣ و ٢٥٩، ينَابيع المَوَدَّة: ٣٦٩ و ٣٧٢.

(٥) أُنظر، سُنن التِّرمذي: ٣٢٣، الإِستِيعَاب: ١/ ٢٨٧، التّنبِيه وَالأَشرَاف: ٢٦٠، تَهذِيب التَّهذِيب: ٢/ ٢٩٩، مَناقب آل أَبي طَالب: ٣/ ١٤١، كَشف الغُمَّة: ١/ ٥٣٣، مَجْمَع البَيَان: ٨/ ٣٦١.

(٦) أُنظر، مَقْتَل الحُسَين للخوَارزمي: ٦٩ ـ ٧١.

وَآل مُحَمَّد، بحَيث يَتّجه القَاريء تلقَائِيّاً إِلَىٰ تَعظِيم أَهْل البَيْت وَتَقدِّيسهِم، وَٱقْتِرَان ٱسمهُم بِٱسم الله، وَٱسم جدّهم رَسُول الله، وهَذَا الأُسلُوب يُحدث أثراً مُعيناً فِي النَّفس مِن حَيث تُرِيد، أَو لاَ تُرِيد... وَقَد بَلَغت هَذِه الصَّلوَات القِمّة فِي دُعَائه الَّذي كَان يَدعُو بِهِ يَوْم عَرفَة.

قَالَ:

«رَبِّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ صَلاَةً تُجَاوِزُ رِضْوَانَكَ، وَيَتَّصِلُ ٱتِّصَالُهَا بِبَقَائِكَ، وَلاَ يَنْفَدُ كَمَا لاَ تَنْفَدُ كَلِمَاتُكَ. رَبِّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، صَلاَةً تَنْتَظِمُ صَلَوَاتِ مَلاَئِكَتِكَ وَأَنْبِيَائِكَ وَرُسُلِكَ وَأَهْلِ طَاعَتِكَ، وَتَشْتَمِلُ عَلَى صَلَوَاتِ عِبَادِكَ مِنْ جِنِّكَ وَإِنْسِكَ وَأَهْلِ إِجَابَتِكَ، وَتَجْتَمِعُ عَلَىٰ صَلاَةِ كُلِّ مَنْ ذَرَأْتَ وَبَرَأْتَ مِنْ أَصْنَافِ خَلْقِكَ رَبِّ صَلِّ عَلَيْهِ وَآلِهِ، صَلاَةً تُحِيطُ بِكُلِّ صَلاَةٍ سَالِفَةٍ وَمُسْتَأْنَفَةٍ، وَصَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ، صَلاَةً مَرْضِيَّةً لَكَ وَلِمَنْ دُونَكَ، وَتُنْشِئُ مَعَ ذَلِكَ صَلَوَاتٍ تُضَاعِفُ مَعَهَا تِلْكَ الصَّلَوَاتِ عِنْدَهَا، وَتَزِيدُهَا عَلَىٰ كُرُورِ الأَيَّامِ زِيَادَةً فِي تَضَاعِيفَ لاَ يَعُدُّهَا غَيْرُكَ»[١].

طَلَب الإِمَام مِن الله أَنْ يُصلّي عَلىٰ الرَّسُول وَآله عَدَد الصَّلوَات الَّتي صَلاَّهَا وَتُصَلِّيها المَلاَئِكَة، والأَنْبيَاء، وَالجنّ، وَالإِنْس، وَعَدد التَّسبيحَات الَّتي تُسبحهَا بِحدّه جَمِيع مَخلُوقَاته مِن حَيوَان، وَنبَات، وَجَمَاد[٢]، وَأَنْ تَبقىٰ صَلوَاته عَلَيهم ببقَائِهِ، وَتَدُوم بدَوَامه، عَلىٰ أَنْ تَتضَاعف فِي كُلّ لحَظَة أَضعَافاً لاَ يُحصِيها إِلاَّ

(١) أُنظر، فِي ظِلاَل الصَّحِيفَة السَّجَّاديَّة شَرح العَلاَّمَة الشَّيخ مُحمَّد جَوَاد مُغنيَة: الدُّعَاء السَّابع وَالأَربعُون، دُعَاؤُهُ فِي يَوم عَرَفَةَ: ٥٦٥، بتَحقِّيقنَا.

(٢) جَاءَ فِي الآيَة (٤٤) سُورَة الإِسرَاء: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾. (مِنهُ ﷺ).

هُو... وَبَديهَة أَنَّ هَذِه الصَّلوَات الَّتي لاَ يَعْرف مَدَاهَا إلاَّ الله، إنْ هِـي إلاَّ صَـدىٰ لعَظمَة الرَّسُول وَآله، وَمكَانَهم عِندَ الله وَمَلاَئِكَته وَرُسله.

وهَذِه صُورَة أُخْرىٰ أَصرَح وأَوضَح فِي بَثّ الدَّعوَة لأَهْل البَيْت، قَالَ:

«رَبِّ صَلِّ عَلَىٰ أَطَائِبِ أَهْلِ بَيْتِهِ الَّذِينَ ٱخْتَرْتَهُمْ لِأَمْـرِكَ، وَجَـعَلْتَهُمْ خَـزَنَةَ عِلْمِكَ، وَحَفَظَةَ دِيْنِكَ، وَخُلَفَاءَكَ فِي أَرْضِكَ، وَحُجَجَكَ عَلَىٰ عِبَادِكَ، وَطَهَّرْتَهُمْ مِنَ الرِّجْسِ، وَٱلدَّنَسِ تَطْهِيراً بِإِرَادَتِكَ، وَجَعَلْتَهُمُ الْوَسِيْلَةَ إِلَيْكَ، وَالْـمَسْلَكَ إِلَـىٰ جَنَّتِكَ»[1].

وأَطَائِبِ أَهْلِ البَيْت هُم الَّذِين نَزلَت بُهم آيَة التَّطهِير، وَآيَـة المُـبَاهَلَة، وَآيَـة المَودّة، وَحَدِيث الثَّقلَين، وَحَدِيث الموَالاَة، وَحَدِيث المَنزلَة عَلىٰ أَنَّـهم خَـزَنَة عِلمِه، وَحَفظَة دِينه، وَخُـلفَاؤه فِـي أَرضِـه، وَهُـم مُـحَمَّد، وعَـليّ، وَفَـاطِمَة، وَالحَسَن، والحُسَين.

وَقَالَ طَالباً مِن الله الصَّلوَات وَالرَّحمَة لشِيعَة أَهْل البَيْت:

«اللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَىٰ أَوْلِيَائِهِمُ الْمُعْتَرِفِينَ بِمَقَامِهِمُ، الْمُتَّبِعِينَ مَنْهَجَهُمُ، الْـمُقْتَفِينَ آثَارَهُمُ، الْمُسْتَمْسِكِينَ بِعُرْوَتِهِمُ، الْمُتَمَسِّكِينَ بِـوِلاَيَتِهِمُ، الْـمُؤْتَمِّينَ بِـإِمَامَتِهِمُ، الْمُسَلِّمِينَ لِأَمْرِهِمُ، الْمُجْتَهِدِينَ فِي طَاعَتِهِمُ، الْمُنْتَظِرِينَ أَيَّامَهُمُ، الْـمَادِّين إِلَـيْهِمْ أَعْيُنَهُمْ، الصَّلَوَاتِ الْمُبَارَكَاتِ الزَّاكِيَاتِ النَّامِيَاتِ الْغَادِيَاتِ الرَّائِحَاتِ وَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ، وَٱجْمَعْ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ أَمْرَهُمْ، وَأَصْلِحْ لَهُمْ شُئُونَهُمْ، وَتُبْ عَلَيْهِمْ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، وَخَيْرُ الْغَافِرِينَ، وَٱجْعَلْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ السَّلاَمِ بِرَحْمَتِكَ،

(١) أنظر، فِي ظِلاَلَ الصَّحِيفَة السَّجَّاديَّة شَرْح العَلاَّمَة الشَّيخ مُحَمَّد جَـوَاد مُـغنيَة: الدُّعَـاء السَّـابع وَالأَربعُون، دُعَاؤُهُ فِي يَوم عَرَفَة: ٥٧٠، بتَحقِيقنَا.

يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ »[١].

وَلَيْسَ مِن شَكٍّ أَنَّ الدُّعَاء للشِّيعَة بإِصلاَح شئُونهم، والتَّوْبَة عَلَيهم، وَالمَغْفرَة لَهُم، دعَايَة صَرِيحَة لأَهْل البَيْت، وَالتَّمسك بولاَئِهم، وَنَشر مَبَادِئهم؛ وَلَيْسَت مَبَادئهُم إِلاَّ مَبَادىء، الإِسلاَم وَتَعالِيم القُرآن.

وَنَقف قَلِيلاً عِندَ قَوْله: « وَٱجْعَلْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ السَّلاَمِ »، لنَتَساءَل: كَيف طَلَب الإِمَام مِن الله سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَله مَع شِيعَة أَهْل البَيْت، وَهُم الَّذِين يَرجُون النَّجَاة بشَفَاعَته، وَشفَاعَة آبَائه، وَيَسأَلون الله أَن يَحْشرهُم فِي زُمرَتِهِ، وَيَتَّخذُونه الوَسِيلَة إِلَىٰ رضوَان الخَالق وَرَحْمَته ؟..

الجَوَاب:

أَنَّ قَولَه هَذَا تَواضع لله لاَ لسِوَاه.. فَإِنَّ المَعرُوف مِن طَرِيقَة آل الرَّسُول إِذَا نَاجُوا رَبَّهم خَضعُوا وَتَذَلَّلوا، وَٱتهمُوا أَنْفسهم، وَلَم يُقِيمُوا لهَا أَي وَزن.. وَالشَّوَاهد عَلَىٰ ذَلِكَ لاَ يَبلغهَا الإِحصَاء، نَذْكر مِنْهَا هَذَا المِثَال مِن أَقوَال الإِمَام زَين العَابدِين: « إِنَّكَ إِنْ تَفعَلْ ذَلِكَ يَا إِلَهِي... تَفْعَلْهُ بِمَنْ لَا يَجْحَدُ ٱسْتِحْقَاقَ عُقُوبَتِكَ، وَلَا يُبَرِّئُ نَفْسَهُ مِنِ ٱسْتِيجَابِ نَقِمَتِكَ؛ تَفْعَلُ ذٰلِكَ يَا إِلٰهِي بِمَنْ خَوْفُهُ مِنْكَ أَكْثَرُ مِنْ طَمَعِهِ فِيكَ، وَبِمَنْ يَأْسُهُ مِنَ ٱلنَّجَاةِ أَوْكَدُ مِنْ رَجَائِهِ لِلْخَلَاصِ؛ لَا أَنْ يَكُونَ يَأْسُهُ قُنُوطاً، أَوْ أَنْ يَكُونَ طَمَعُهُ ٱغْتِرَاراً؛ بَلْ لِقِلَّةِ حَسَنَاتِهِ بَيْنَ سَيِّئَاتِهِ، وَضَعْفِ حُجَجِهِ فِي جَمِيعِ تَبِعَاتِهِ »[٢].

---

(١) أُنظر، فِي ظِلاَلَ الصَّحِيفَة السَجَّادِيَّة شَرْح العَلاَّمَة الشَيخ مُحَمَّد جَوَاد مُغنيَة: الدُّعَاء السَّابع وَالأَربعُون، دُعَاؤُهُ فِي يَومِ عَرَفَةَ: ٥٧٥، بتحقِّيقنَا.

(٢) أُنظر، فِي ظِلاَلَ الصَّحِيفَة السَجَّادِيَّة شَرْح العَلاَّمَة الشَيخ مُحَمَّد جَوَاد مُغنيَة: الدُّعَاء السَّابع وَالثَّلاَثُون، دُعَاؤُهُ فِي طَلَب العَفْوِ: ٤٥٦، بتحقِّيقنَا.

هَذَا، إِلَىٰ أَنَّ الإِمَام أَرَاد أَنْ يَعْرف الشِّيعَة المُجْتَمِعِين عَلَىٰ الخَير وَالتَّـقوىٰ أَنَّ لَهُم عِند الله الحُسنىٰ، وَالدَّرجَات العُليَا.

وَبالتَالي، فَإِنَّ أَهْل البَيْت قَد أَدْركُوا ـ مُنذ السَّاعَة الَّتي صُرف فِيهَا الأَمر إِلَىٰ غَيرهِم ـ أَنَّ دِين جَدّهم مُعَرّض للضَّيَاع وَالأَخطَار، لأَنَّ مَن قَام وَيَقُوم بالأَمر لاَ يُؤتَمن عَلىٰ شَيء.. لَقَد أَحسُوا وَعَلمُوا مُقدّماً بهَذَا الخَطر، فحَاولُوا بكُلّ سَبِيل أَنْ يَرشدُوا النَّاس إِلَىٰ الحَقّ وَأَهْله، وَيُفهمُوا الأَجْيَال أَنَّ الَّذِين تَوَلوا الحُكم والسُّلطَان بٱسم الدِّين لَيسُوا شُهدَاء لله فِي أَرْضه، وَلاَ خُلفَاء للرَّسُول فِي أَمرِهِ وَنَهيِهِ، وَإِنَّما الشُّهداء وَالخُلفَاء حَقّاً هُم الَّذِين أَمَر الله وَالرَّسُول بوَلاَئِهم وَالتَّمسك بِحَبلهِم، هُم الَّذِين لاَ يُفَارقُون الحَقّ، وَلاَ يُفَارقهُم فِي قَولٍ أَو فِعلٍ، وَيَدُور مَعَهُم كَيفمَا دَارُوا، وَأَنّىٰ ٱتَّجهُوا، تَمَاماً كَالقُرآن سوَاء بسوَاء.. وَبَدِيهَة أَنَّ هَذَا الوَصف لاَ يَنْطَبق إِلاَّ عَلىٰ أَهْل البَيْت بشَهَادَة حَدِيث الثَّقلَين.

لقَد أَرَاد أَهْل البَيْت أَنْ تُؤمِن وَتُدِين بهَذَا المَبدأ النَّاس. وَلَو طَائفَة مِن النَّاس، وَلاَ يَهمهُم بَعد ذَلِكَ أَنْ يَتَولىٰ الأَمر مَن يَتولاَّه؛ وَمِن أَجل الإِيمَان بهَذَا المَبدَأ كَانَت حَادثَة كَرْبُلاَء وَغَيرهَا مِن الحوَادث وَالمَجَازر... وَقد تَمَّ لَهُم مَا أَرَادوا فَهَؤلاَء شِيَعتهُم فِي شَرق الأَرْض وَغَربهَا يُحيُون آثَارهُم، وَيُقِيمُون شعَائرهُم، وَيَنشرُون مَنَاقبهُم وَمَآثرهُم.

صُوَرٌ مِن كَرْبُلاَء

بُكَاء أبْن سَعَد

حِينَ وَقَفَ الحُسَين وَحِيداً فِي وَسَط المَعْرَكَة، وَفي سَاعَتِهِ الأَخِيرَة. وَالأُلُوف تُحِيط بِهِ مِن كُلّ جَانب صَاح بأَعلىٰ صَوتَه:

هَل مِن ذَابٍّ يَذبُّ عَن حَرِيم رَسُول الله ﷺ[1]؟.

هَل مِن مُوحّد يَخَاف الله؟.

هَل مِن مُغِيث يَرجُو الله[2]؟.

فَأَغَاثُوه برَمي السِّهَام، وَطَعن الرِّمَاح، وَضَرب السُّيُوف، فَثَبَت وَصَبر، حَتَّىٰ قَالَ مَن رَآه: «مَا رَأيتُ مَكْثُوراً قَطّ، قُتل وُلدَه وَأَهْل بَيْته، وَأَصحَابه أَربَط جَأشَاً مِن الحُسَين، وَإِنْ كَانَت الرِّجَال لتَشدّ عَلَيهِ، فَيَشدّ عَلَيهَا بسَيفهِ، فَتَنكَشف عَنْهُ

---

(١) ذَكَرنَا، فِيمَا تَقَدّم، السِّر الَّذي مِن أَجلهِ خَرَج الحُسَين بحَرَم جَدّه رَسُول الله، وَاستغَاثَته هَذِه تُعزّز مَا قُلنَاه. (مِنْهُ ﷺ).

(٢) أُنظر، الحدَائق الوَرديّة (مَخطُوط)، نَسب قُرَيْش لمُصعب الزُّبيري: ٥٨، تَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢ / ٢١٧، مَقْتَل الحُسَين للخوَارزمي: ٢ / ٢٩، اللُّهُوف فِي قَتْلىٰ الطُّفُوف: ٥٧، الفُصُول المُهمَّة فِي مَعرفَة الأَئِمَّة لِابْن الصَّبَاغ المَالكي: ٢ / ١٤٨، بِتَحقِيقنا، نُور الأَبصَار للشّبلنجي: ٢ / ٣١، بتَحقِّيقنَا، الإِتْحَاف بِحُبّ الأَشْرَاف الشَّيخ عَبدُ الله بنَ مُحَمَّد بن عَامِر الشَّبرَاوي: ١٤٨، بِتَحقِّيقنَا.

إِنْكِشَاف المِعزىٰ إِذَا شَدّ فِيهَا الذِّئب »[١]. وكَان يُرَدّد فِي مَوقفهِ هَذَا كَلمَات، مِنْهَا:

- « لاَ حَوّل وَلاَ قُوّة إِلاَّ باللهِ العَليّ العَظِيم ».
- « أَللَّهُمَّ أَنَّك تَرىٰ مَا أَنَا فِيهِ ».
- « إِلٰهي إِنْ كُنتَ حَبَست عَنَّا النَّصر، فَٱجْعَلهُ لمَا هُو خَير مِنْهُ ».
- « أَللَّهُمَّ ٱجْعَل مَا حَلّ بنَا فِي العَاجل ذَخِيرَة لنَا فِي الْآجل ».
- « لاٰ وَاللهِ، لا أُعْطِيْهِمْ بِيَدِي إِعْطاءَ الذَّلِيلِ، وَلاَ أُقرُّ إِقْرارَ العَبِيد ».
- « إِنّي لأَرجُو أَنْ يُكرمني الله بالشّهَادَة ».
- « صَبرَاً عَلىٰ قَضَائك يَا رَبّ، لاَ إِلٰه سوَاك، يَا غِيَاث المُسْتَغِيثِين »[٢].

وَلمَّا نَزَف الدَّم مِن جَسَدِهِ الشَّرِيف، ضَعف وَهَوىٰ عَلىٰ الْأَرْض، فَدَنَا عُمَر بن سَعَد فِي جَمَاعَة مِن أَصحَابه، فَرَآه يَجُود بِنَفْسه، فَبَكىٰ وَسَالَت دمُوعَه عَلىٰ لِحْيَته، ثُمَّ صَاح، وَهُو يَبْكي: أنزلُوا إِلَيهِ وَأَرِيحُوه!...

بَكىٰ ٱبْن سَعَد عَلىٰ الحُسَين، وَفِي نَفْس الوَقت أَمر بذَبْحه[٣]...

وَتَدّلنَا هَذِه الظَّاهِرَة عَلىٰ أَنَّ الْإِنْسَان قَد يتَأثر وَيَنْفعل فِي مَوقف مِن المَوَاقف مِن غَير قَصْد وَشعُور، تَمَاماً كمَا يَتَنفس، وبهَذَا نَسْتَطِيع أَنْ نُفسّر بُكَاء المُجرمِين

---

(١) تَقَدَّمت تَخْرِيجَاته.

(٢) أنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٤ / ٣٤٢، البدَايَة وَالنّهايَة: ٨ / ٢٠٣، مَقْتَل الحُسَين لأَبـي مَـخْنَف: ١٧٢، تَرجمَة الإِمَام الحُسَين لِابْن عَسَاكر: ٣٣٢، جوَاهر المطَالب فِي منَاقب عَليّ بـن أَبـي طَـالب لِابْـن الدِّمَشْقِي: ٢ / ٢٨٨، الْإِرشَاد: ٢ / ١٠٨، مُثِير الأَحزَان: ٥٢، اللّهُوف فِي قَتلىٰ الطُّفُوف: ١٦٦، مَعَالي السِّبطَين: ١ / ٤٢٣، يَنَابِيع المَودّة: ٣ / ٧٧.

(٣) أُنظر، مَقْتَل الحُسَين للخوَارزمـي: ٢ / ٣٣، البَـيَان وَالتَّـبيين للـجَاحظ: ٣ / ١٧١ الطَّـبعَة الثَّـانيَة، المعَارف لِابن قُتَيبَة: ٢١٣، النّهاية: ٤ / ٣٤٣، تَذكرة الخوَاصّ: ٢٥٣.

القُسَاة، وَهُم يَسْتَمعُون إلَىٰ حَدِيث كَرْبُلاَء وَفَاجعتهَا.

وَعَن السَّيِّدَة زَيْنَب أنَّها قَالَت: حِين ٱسْتُشهد أخي الحُسَين هَجَم العَدوّ عَلىٰ خِيَامنَا للسَّلب وَالنَّهب، وَدَخل إلَىٰ خَيمَتي رَجُل أَزْرَق العينَين، فَأَخذ مَا فِي الخَيمَة، وَنَظر إلَىٰ زَين العَابدِين، وَهُو عَلىٰ نَطع، وكَان مَريضاً، فَجَذبَه مِن تَحْتَه وَرمَاه إلَىٰ الأَرْض، وَالتَفت إليّ، وَأَخَذ القِنَاع مِن رَأسي، وَقُرطَين كَانَا فِي أُذنيّ، وَجَعل يُعَالجهُما، وَيَبكي، حَتَّىٰ ٱنْتَزعهما... فَقُلتُ لهُ: تَسْلبني، وَأَنْتَ تَبْكي؟!.. فَقَال: أَبْكي لمُصَابكُم أَهْل البَيْت...

وَمَا يُدرِينَا أنَّ بَعْض مَن يَبْكي لمُصَاب أَهْل البَيْت يَحْمل رُوح هَذَا المُجرم؟... وَإنّه لَو تَسنىٰ لهُ أنْ يَسلب الحَورَاء خمَارها لفَعل... وَأيّ فَرق بَيْنَ أَزْرَق العَينَين هَذَا، وبَيْنَ مَن لاَ يَفْعل وَلاَ يَترك إلاَّ عَلىٰ أَسَاس مَنْفَعته وَمَصلَحته الخَاصّة، غَير مُكْتَرث بدِين وَلاَ بضَمِير؟..

وَإنّي أُقدّم هَذِه الصُّورَة، صُورَة بُكَاء أزرَق العَينَين، وَسَيِّدَه ٱبْن سَعد للَّذين يَحسبُون أنَّ مُجَرد البُكَاء «التَّباكي» يُدخلهُم الجَنّة، وَلَو رَاءَوْا وَنَافقُوا، وَدَسُّوا وَتآمرُوا، وَتَجسمُوا وَقَبضُوا...

وَأُقدّمها للَّذين يَصعدُون عَلىٰ مِنبَر سَيِّد الشُّهدَاء، يُشِيدُون ببطُولَته، وَإبَائِه، وَعَظَمته، وَمَبادئه وَاعظِين وَمُرشدِين إلَىٰ سَبيلهِ وَهدَايَته، حَتَّىٰ إذَا نَزَلوا عَنْهُ طَأطَأوا رُؤوسهُم للوجهَاء، وَمَدُوا أَيديهم للأَغْنيَاء.. وَإنّي رَأيتُ أَكْثَر مِن مَرّة عَلىٰ مِنْبر الحُسَين مَن يُسَبّح بحَمد الظَّالمِين، وَيكِيل لَهُم المَديح وَالثَّناء نَاسياً أَنَّ هَذَا المِنْبَر قَد نُصب لمُحَاربَة الظُّلم وَمُكَافحة الإجرَام...

وَأَيضاً أُقدّمها للَّذين يَقضُون حيَاتهُم فِي مُعَاقرَة الخَمْرَة، وَاللّعب فِي القِمَار،

وَفِـي حـوَانِـيت الدّعَـارَة، وَلاَ يَـنْطقُون إلاَّ بـالكُفر وَالفِسق، وَسبّ الأَديَـان وَالمَذَاهب، وَلاَ يَتَعرفُون عَلىٰ صَوم وَلاَ صَلاَة، حَتَّىٰ إِذَا جَاء يَـوْم العَـاشر مِـن المُحرّم لَبسُوا الأَكفَان، وَضَربُوا الجِبَاه بِالسّيوف، وَالأَكتَاف بالسَّلاَسل، وَأَظهرُوا الشِّيعَة وَالتَّشيُّع بأَبْشَع الصُّـور وَالمَـظَاهر، وَوَسـمُوا الذّكـرىٰ المُـقدّسَة بأَقـبَح السِّمات، وَأَفسحُوا المَجَال للمُفتَرِين وَالمُتقوّلين بأنَّـنا لاَ نَـصْلح للـحَيَاة، وَأَنَّ عَقِيدتنَا بِدعَة وَضَلاَلَة، وَسَلّحُوا العَدوّ بأَقوىٰ سِلاَح وَأَمضَاه، وَقَبعُوا فِي بيُوتهِم لاَ يُفْكرُون إِلاَّ فِي أَنْفسهِم، وَتَركُوا غَيرهم فِي وَسَط المَعْرَكَة يُكَافح، وَيُـنَاضل، بكُلِّ سِلاَح.

أَنَّ ذِكرىٰ الحُسَين مَا زَالَت وَلَن تَزَال حَيّة فِي القُـلُوب، فَـعَلينا أَنْ نَسـتَغلهَا لمَرضَاة الله وَرَسُولَه، لصَالح الإِسلاَم والمُسْلمِين، وَبثّ العِلم وَالوَعـي، وَجَـمع الكَلمَة، لاَ لإِشَاعَة الجَهل وَالتَّفرِيق، وَالإِتّجار بالدِين وَالعوَاطف.

أبتسَام الحُسَين

رُوي أَنَّ شِمرَاً، حَيت اَرْتَقىٰ الصَّدر الشَّرِيف، وَهَمّ بذَبح الإِمَام، اَبْتَسم عَلَيهِ أَفْضل الصَّلاَة وَالسَّلاَم، وَقَالَ لشِمر:

أَتَعرفني مَن أَنَا ؟.

قَالَ اللَّعِين: أَجل، حَقّ المَعْرفَة.. جَـدّك مُـحَمَّد المُـصْطَفىٰ، وَأَبُـوك عَـليّ المُرتَضىٰ، وَأُمّك فَاطِمَة الزَّهرَاء، وَخَصمي العَليّ الأَعلىٰ...[1].

(١) أنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٤ / ٣٤٦، الفُتوح لِابن أَعْثم: ٣ / ١٣٧، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٤ / ٤٠، مُرُوج ↔

لَمْ يَتَعَجب الحُسَين لهَذِه المُفَاجَأة الَّتي يَحْسب كُلّ إِنْسَان أَنَّها محَال، حَتَّىٰ فِي التَّصور وَالخَيَال، وَإِنّما ٱبْتَسم مُسْتَبشرَاً بالشّهَادَة، وَلقَاء جَدّه وَأَبيه، أُمّه وَأَخِيه، وَبالرَّحمَة مِن دَار البَلاَء وَالفنَاء إِلَىٰ دَار النَّعِيم وَالبَقَاء، تَمَامَاً كمَا ٱسْتَبشر أَبُوه مِن قَبْل بضَربَة ٱبْن مُلْجَم، وَقَالَ: «فُزْتُ وَرَبِّ ٱلْكَعْبَة»[1]... وَرُوي أَنَّ الحُسَين كَان فِي يَوْم الطَّفّ، كُلّمَا ٱشتَدّ الأَمر، أَشرَق وَجْهه، وَهَـدأَت جَـوَارحـه، وَسَكـنَت نَفْسه، حَتَّىٰ قَالَ النَّاس بَعْضهُم لبَعض: أُنظُروا لاَ يُبَالي بالمَوت...[2]

وَلَم يَقل الحُسَين لشِمر: هَل تَعرفني؟ ليُقِيم عَلَيهِ الحُجّة، لأَنّها قَائِمَة عَـلَيهِ، وَلاَ رَجَاء أَنْ يَتّعظ وَيَرتَدع، لأَنَّ الإِتعَاظ فِي حَقّه أَكْثَر مِن محَال، وَإِنّما سَأَله هَذَا

⟷ الذّهب: ٢ / ٩١، الأَخبَار الطّوال: ٢٥٨، تَهْذِيب تَأرِيخ دِمَشق لِابن عَسَاكر: ٣ / ٣٤٢، سَمط النّجوم العوَالي: ٣ / ٧٦، مَقْتَل الحُسين لأَبي مَخْنَف: ٢٠٠، مَـقْتَل الحُـسين لـلخوَارزمـي: ٢ / ٣٦ و ٣٧، المعَارف: ٢١٣، يَنَابِيع المَـودّة: ٣ / ٨٢ ـ ٨٣، اللّـهُوف فِـي قَـتلىٰ الطُّـفُوف: ٥١، المَـنَاقب لِابْـن شَهرآشُوب: ٣ / ٢١٥ و ٢٣٣، و: ٤ / ٥٨، النّهايَة: ٤ / ٣٤٣، تَذكرَة الخوَاصّ: ٢٥٣.

(١) ذُكرت قِصّة ضَرب ٱبن مُلْجَم مُقطّعة فِي بَعْض الكُتب التَّأرِيخِيّة، وأَهْل السِّيَر، وَلَكن نَـحْنُ بـصَدد تَحقِّيق هَذَا ٱلكِتَاب، ولَسْنَا بصَدد بَيَان وَجَمع المَقَاطع عَلَىٰ الرّغم مِن أَنّ بَعْض الكُتب قَد نَقلتهَا تَفصِيلاً مَع إختِلاَف يَسِير فِي الأَلْفَاظ، وكَذَلِكَ مِن التّقدِيم، والتَّأخِير.

أُنظر، تَأرِيخ الطَّبَرِيّ: ٥ / ١٤٣، مقَاتل الطّالبيِّين: ٢٩ و ٤٧، طَـبقَات ٱبْـن سَـعد: ٣ / ٣٥، أَنْسَـاب الأَشْرَاف: ٢ / ٤٨٩ و ٤٩٩ و ٥٢٤، مُرُوج الذّهب: ٢ / ٤١١، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة: ١ / ١٥٩، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٣ / ٣٨٩، مناَقب الخوَارزمي: ٣٨٠ ـ ٤١٠، مناَقب ٱبْن شَهرآشُوب: ٣ / ٣١١، تَأرِيخ ٱبْن عَسَاكر: ٣ / ٣٦٧ ح ١٤٢٤، تَأرِيخ دِمَشْق: ٣٨ / ٩٧، و: ٣ / ٣٠٣ ح ١٤٠٢ وَمَا بَعدهَا، كَنز الْعُمَّال: ١٣ / ٦٩٧، ٱلْفَتح الرّبّاني: ٢٣ / ١٦٣، والْحَاكِم فِـي الْمُسْـتَدرَك: ٣ / ١٤٤، ذَخَـائِر الـعُقْبَىٰ: ١١٠ فَضَائِل عَليّ عليه السلام، الصَّوَاعِق الْمحرِقَة: ١٣٣ بَاب ٩ فَصل ٥ مَع تَقدِيم وَتَأخِير بِمَا يُـنَاسب السّـيَاق، وَيَحفظ ٱسترسَال الْمَعْنَىٰ وَاللَّفظ. الْفُتُوح لِابْن أَعْثَم: ٢ / ٢٧٦، الاِسْتِيعَاب: ٣ / ٥٩ بـإِضَافَة «... لاَ يفُوتنكُم الكَلب»، أُسد الغَابَة: ٤ / ٣٨، يَنَابِيع المَودَّة: ١٦٤، أَرجَح المَطَالب: ٦٥١.

(٢) أُنظر، مَعَاني الأَخبَار للشَّيخ الصَّدوق: ٢٨٨، الإِعتقَادَات للشَّيخ المُفِيد: ٥٢.

السُّؤال ليَعلمه إِلَىٰ أَي حَدٍّ بَلَغ مَنع اللُّؤم، وَالضِّعة، وَالجُرأة عَلىٰ الله والرَّسُول... وَأَجَاب شِمر بمَا أَجَاب مُستَخفّاً بالله وَنَبّيه وَبجَمِيع الأَخْلاَق وَالقِيم.

وَقَد يَسأل سَائل: كَيف تَجرأ الشِّمر وَأَقدَم عَلىٰ مَا أَقدَم عَلَيهِ؟!. كَيف بَلَغت القَسوَة مِنْهُ هَذَا المَبلغ؟!. هَل هُو مِن البَشر، أَو مِن طَبِيعَة أُخْرىٰ؟!.

الجَوَاب:

إِنَّ الشِّمر فَردٌ مِن النَّاس لاَ يَخْتَلف عَنْهُم فِي لَحْمِهِ وَدَمِهِ، وَلاَ فِي طَبِيعَته وَفِطرَته الَّتي خُلق عَلَيهَا أَوّل مَا خُلق ـ وَلاَ فِي شَيء إِلاَّ أَنَّه مَارَس الذُّنُوب، وَاَعْتَادهَا، وَتَمادىٰ فِيهَا، وَاَستهَان بمَعصِيَة الله، حَتَّىٰ أَصْبَحَت عِندَه كشُرب المَاء، وَمَن كَانَت هَذِه حَالَه قَسَا قَلْبه، وَعميَت بَصِيرَته، وَلَم يَعد يُبَالي بشَيء مَهمَا كَان وَيَكُون.. قَالَ أَمِير المُؤمِنين: «مَا قَست القُلُوب إِلاَّ لكَثرَة الذُّنُوب»[1].

وَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[2].

وَهَكَذَا كُلّ مَن تَمَادىٰ فِي غَيّه، وَاَستَخفّ بدِينه، وَلَم يَخش حسَاباً وَلاَ عقَاباً، يَجُوز عَلَيهِ أَنْ يُقْدِم عَلىٰ مَا أَقدَم الشِّمر، قَالَ الإِمَام الصَّادِق: «إِذَا أَذنَب الرَّجُل خَرَج مِن قَلْبهِ نُكْتَة سَوداء، فَإِنْ تَاب زَالت، وَإِنْ زَاد اَزْدَادت، حَتَّىٰ تَغْلب عَلىٰ قَلْبه، فَلاَ يَصلُح بعَدهَا أَبَداً»[3].

المُرْتَزقَة:

خَطَب الحُسَين فِي جَيْش اَبْن سَعَد مَرّتين، وَمِمّا قَالَه فِي الخُطْبَة الأُولَىٰ:

---

(١) أنظر، عِلل الشَّرَائع: ٨١، وَسَائل الشّيعَة: ١٦ / ٤٥ ح ٥، رَوضَة الوَاعظِين: ٤٢٠.

(٢) اَلْمُطَفِّفِين: ١٤.

(٣) أُنظر، الكَافي: ٢ / ٢٧١ ح ١٣، وَسَائِل الشّيعَة: ١٥ / ٣٠٢ ح ١٢، رَسَائل الشَّهِيد الثَّاني: ١٠٥.

« أَيّها النَّاس ٱسمعُوا قَولي ، وَلاَ تَعْجلُوني حَتَّىٰ أَعظَكُم بِمَا يَجْب لكُم عَـليَّ . وحَتَّىٰ أَعْتَذر إِلَيكُم مِن مَقدَمي عَلَيكُم ، فَإِنْ قَـبَلتُم عُـذري ، وَصَـدّقتُم قَـولي ، وَأَنْصفتمُوني ، كُنتم بذَلِكَ أَسعَد ، ولَم يَكُن لكُم عَليَّ سَبِيل ، وَإِنْ لَم تَـقبلُوا مِـني العُذر فَٱجمعُوا أَمركُم وَشُركَائكُم ، ثُمَّ لا يَكُن أَمركُم عَلَيكُم غُمَّة ، ثُمَّ ٱقضُوا إِليَّ وَلاَ تَنظرُون وَلِيي الله الَّذي نَزَّل الكتَاب وَهُو يَتوَلىٰ الصَّالِحِين » .

« أَمَّا بَعْد . فَٱنسبُونِي ، فَٱنْظرُوا مَن أَنَا ، ثُـمَّ ٱرْجَـعُوا إِلىٰ أَنْـفُسكُم فَـعَاتبُوهَا ، وَٱنْظرُوا : هَلْ يَصْلُح لَكُم قَتْلي وَٱنْتِهَاك حُرْمَتي ؟ أَلَستُ ٱبن بِنْت نَبِّيكُم ﷺ ، وَٱبْن وَصيّه وَٱبن عَمّه ، وأَوّل المُؤْمِنِين بِالله ، وَالمُصَدِّق لرَسُولِه بمَا جَاء بهِ مِـن عِـنْدَ رَبّهِ ؟ أَو لَيْس حَمْزَة سيّدُ الشُّهدَاء عَمّ أَبي ، أو لَيْس جَعْفرُ الشَّهِيدُ الطَّيارُ عَمّي ؟ أَو لَم يَبلُغكُم قَولٌ مُستَفِيضٌ فِيكُم أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ لِي وَلأَخِي : « هَذَانِ سَـيّدا شَبَاب أَهْل الجَنَّة »[1] ؟ فَإِنْ صَدّقْتمُونِي بِمَا أَقولُ ـ وهُو الحَقُّ ـ والله مَا تَعمَدتُ كَذِباً مُذ عَلِمتُ أَنَّ الله يَمقُت عَلَيه أَهْله ، وَيضرّ بهِ مَن ٱخْتَلقَهُ ، وَإِنْ كَذبتمُوني فَإِنَّ فِيكُم مَن إِنْ سَألتمُوهُ عَن ذَلِكَ أَخبَرَكُم : سَلُوا جَابر بن عَبدالله الأَنْصَاري ، أَو أَبَا سَعِيد الخدْري ، أَو سَهل بن سَعد السَّاعدي ، أَو زَيد بن أَرْقم ، أَو أَنَس بن مَـالك يُخبرُوكُم أَنَّهُم سَمعُوا هَذِه المقَالة مِن رَسُول الله ٩ لِي وَلأَخي ، أَفمَا فِي هَذَا حَاجزٌ لكُم عَن سَفكِ دَمي ؟ » .

فَقَال لهُ شِمر بن ذِي الجَوشن :

هُو يَعبد الله عَلىٰ حَرف إِنْ كَان يَدرِي مَا تَقول .

فَقَالَ لهُ حَبِيب بن مُظَاهر :

---

(١) تَقدَّمَت تَخرِيجَاته .

وَالله إِنِّي لأَرَاك تَعبد الله عَلىٰ سَبعِين حَرفاً وَأَنا أَشْهد أَنَّك صَادق مَا تَدري مَا يَقول، قَد طَبع الله عَلىٰ قَلبك.

ثُمَّ قَال لَهُم الحُسين:

«فَإِنْ كُنْتُمْ فِيْ شَكٍ مِنْ هَذا القَولِ أَفَتَشُكُّونَ في أَنِّي آبْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ؟ فوَاللهِ مَا بَيْنَ المشْرِقِ والمغْرِبِ آبْنُ بِنْتِ نَبِيَ غَيْرِيْ مِنْكُمْ وَلاَ مِنْ غَيْرِكُمْ، وَأَنا آبْـنُ بِـنْتِ نَبِيِّكُمْ خَاصَّة. أَخْبِرُونِيْ أَتَطْلُبُونِيْ بِقَتِيْلٍ مِنْكُمْ قَتَلْتُهُ؟ أَوْ مَالٍ لَكُمْ آسْتَهْلَكْتُهُ؟ أَوْ بِقِصاصٍ مِنْ جِرَاحِةٍ؟».

فَأَخذُوا لاَ يُكلمُونه. فَنَادىٰ: يَا شِبث بن رِبعي، وَيَا حَجَّار بن آبْجُر، وَيَا قَيس بن الأَشْعث، وَيَا يَزِيد بن الحَارث، أَلَم تَكْتبُوا إِلَيَّ: إِنْ قَد آيْنَعت الثِّمَار، وَآخْضَرَّ الجنَاب، وَطَمت الجمَام، وإِنَّما تَقْدم عَلىٰ جُند لكَ مُجَند، فَآقْبِل. قَـالُوا لهُ: لَـم نَفْعَل. فَقَال: سُبْحَان الله!، بَلىٰ والله، لَقَدْ فَعَلتُم، ثُمَّ قَالَ: أَيُّها النَّاس: إِذْكَرهتمُوني فَدعُوني أَنْصرف عَنْكم إِلىٰ مَأمني مِن الأَرْض. فَقَال لهُ قَيس بن الأَشـعث أَوْلاَ تَنْزل عَلىٰ حُكم بَني عَمّك، فَإِنَّهم لَن يَروك إِلاَّ مَا تُحبّ، وَلَن يَصل إِلَـيك مِـنْهُم مَكرُوه، فَقَالَ لهُ الحُسين: أَنْت أَخُو أَخِيك، أُترِيد أَنْ يَطلبك بَنُو هَاشم بِأَكْثر مِن دَم مُسْلم بن عَقِيل؟[1].

«لاٰ وَاللهِ، لا أُعْطِيْهِمْ بِيَدِي إِعْطاءَ الذَّلِيلِ، وَلا أُقرُّ إِقْرارَ العَبِيد. عِبادَ اللهِ: إِنِّـي عُذْتُ بِرَبِّيْ وَرَبُكُمْ أَنْ تُرْجَمُونَ. أَعُوذُ بِرَبِّيْ وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤمِنُ بِيَوْمِ الحِسابِ»[2].

---

(١) أُنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٤/ ٢٨٠ ـ ٢٨١.

(٢) تَقَدَّمت تَخْرِيجَاته.

هَذي هِي لُغَة المُرتَزقِين المَأجُورِين الَّذين يُطَبلُون وَيُزَمرُون فِي كُلّ عِرس يَدفَع الأَجر، أَمَّا المَبَاديء وَالأَخْلاَق، أَمَّا الدِّين وَالعِلم فَكَلاَم فَارغ... سَأَلَهُم الحُسَين عَن مَكَانته فِيهم؟. وَهَل أَسَاء إِلَيهِم، وإِلَىٰ أَحد مِنْهُم؟.. فَاقَرّوا وَاعْتَرفُوا بأَنَّه قُدس الأَقدَاس، وَأَنّه خَير النَّاس أَبَاً وَأُمّاً، وَلَكنَّ الأَمِير هَكَذا أَرَاد... وَهُو طَوع لمَّا يُرِيد...

وَقَالَ لَهُم: كَيف تُنَاصرُون أَعدَاد الله عَلَىٰ أَوليَاء الله «مِن غَير عَدل أَفشُوه فِيكُم، وَلاَ أَمل أَصبَح لكُم فِيهم؟..»[1] فَوَضعُوا أَصَابعهُم فِي آذَانهِم، وَأَبُو إِلاّ طَاعَة اللِّئَام، لاَ بُغضاً للنَّبيّ وَأَهْل بَيْته ـ كمَا يَظن ـ وَلاَ حُبّاً بَأبي سُفْيَان وَآل أَبى سُفْيَان، كَلَّا وَأَلف كَلَّا.. بَل لأَنَّهم مُرتَزقَة، وَكَفىٰ... وَلَو كَانَت الدُّنْيَا مَع الحُسَين لكَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ الأُمويِّين، وَلفَعلُوا بِهم أَكْثَر مِمَّا فَعَلوا بهِ وَبأَهله، لَو أَرَاد.

هَذَا هُو مَبدَأ المُرتَزقَة فِي كُل عَصْر وَمَصْر... يَصنعُون كُلّ شَيء يَجر إِلَيهِم النَّفع.. فَيَطيعُون الأَمِير وَالزَّعِيم، وَلَو كَان يَزِيد وَابْن زيَاد، وَيَقتلُون الصَّادِق الأَمِين، وَلَو كَان مُحَمَّداً أَو حُسَيناً...

وَبَعد، فَإِذَا رَأيت مَن يَسِير فِي ركَاب زُعمَاء هَذَا العَصر وَحُكّامه فَاحكُم بأَنّه مُحْتَرف، حَتَّىٰ وَلَو تَوجَّع وَتَفجّع لمُصَاب أَهْل البَيْت.. وَلاَ تَشك بأَنَّ الحُسَين لَو كَان حَيّاً، وَأَمَره الزَّعِيم بقتَاله لأَقدَم، وأَوجَد لنَفسه أَلف مُبرّر وَمُبرّر.

---

(١) أُنظر، مَنَاقب آل أَبي طَالب: ٢ / ٢٥٧، مَقْتل الحُسَين لأَبي مَخْنَف: ١٩٤، كَشف الغُمّة: ٢ / ٢٢٨، الإِحتجَاج: ٢ / ٢٤.

لَحظَات فِي نُوْر أُمّ هَاشِم[1]

هِي ٱبْنَة الْإِمَام عَليّ كرّم الله وَجْهه، ٱبْنَة السَّيِّدَة فَـاطِمَة بِـنْت الرَّسُـول ﷺ، وَشَقِيقِة السِّبطَين النَّيرَين الحَسَن والحُسَين سَيِّدي شبَاب أَهْل الجَنّة، رَضـي الله عَنْهُم أَجْمَعِين[2].

كَانَت رَضي الله عَنْهَا مِن خِيرَة نِسَاء بَيْت النّبُوّة، ٱتّخذَت طوَال حَيَاتهَا تَقوىٰ الله بضَاعَة لهَا، وَلسَانهَا لاَ يَفْتَر عَن ذِكْر الله، عُرفَت بكَرِيمَة الدَّارِسِين، وَحُسبَت عِندَ أَهْل العَزْم بأُمّ العَزَائِم، وَعِندَ أَهْل الجُود وَالكَرم بأُمّ هَاشِم، وَهـي صَـاحبَة الشُّورىٰ طوَال حيَاتهَا.

وُلدت رَضي الله عَنْهَا سَنَة خَمْس مِن الهِجْرَة النَّبوِّيَّة، فَسُرّ لمَولدهَا أَهْل بَيْت النّبُوّة، وَنَشَأت نَشأَة حَسنَة كَاملَة فَاضلَة، تَرَبّت عَـلىٰ مَـائِدَة الطُّـهر وَالشَّـرف وَالْإِبَاء وَعِزّة النَّفس، مَحُوطَة بكتَاب الله الكَرِيم وَسُنّة جَـدّها العَـظِيم، وكَـانَت رِضوَان الله عَلَيهَا عَلىٰ جَانب عَظِيم مِن الجُود وَالكَرم، تَزوّجت رَضي الله عَـنْهَا بِٱبن عَمّها الْإِمَام عَبدالله بن جَعْفَر الطَّيَّار، وَأَعْقَبت مِنْهُ مُحَمَّداً، وعَلِيّاً، وَعَـبَّاسَاً

---

(١) أُنظر، جَرِيدَة الجُمهُوريّة المَصريّة (٣/١/١٩٧٣م). (مِنْهُ ﴿قُدِّس سِرّه﴾).

(٢) تَقَدّمت تَخْرِيجَاته.

تَسْتَكثر شَيئاً فِي سَبِيل الله وَطَاعَته ، حَتَّىٰ قُتل أَخِيهَا ، وَذُبح أَبنَائهَا ، وَالسَّير بـهَا مَسبيّة مِن بَلدٍ إِلَىٰ بَلَد . . . لَقَد قَدِم إِبْرَاهِيم عَلَىٰ ذَبح وَلَـده إِسـمَاعِيل طَـاعَة لله ، وَاَسْتَسلم الوَلد مُختَاراً للذَّبح اَمْتثَالاً لأَمر الله . . . وَهكذَا سَيِّدة الطَّفّ اَسْتَسلَمت لقضَاء الله ، وَرَضيت بِهِ ، وَلَم تَسْتَكثر وَتَستعظم مَا حلّ بهَا ، تَمَامَاً كـمَا اَسْـتَسلَم إِبْرَاهِيم وَإِسمَاعِيل لأَمر الله وَإِرَادَته .

شَأن أَهْل البَيْت

اَرْتَحل اَبْن سَعد بجَيشه مِن كَرْبُلاَء فِي زَوَال اليَوْم الحَادي عَشَر مِن المُحرّم ، ومَعَهُ نِسَاء الحُسَين وَصِبيَته وَجوَاريه ، وبَعْض نِسَاء أَصْحَابه الَّـذِين اَسْـتَشهدُوا مَعَهُ ، وكَانَت النِّسَاء عِشرِين اَمرَأة ، والإِمَام زَين العَابدِين ، وَوَلدهُ الإِمَام البَـاقر ، وكَان لهُ مِن العُمر سَنتَان وَشهُور ، وَثلاَثَة مِن أَبْنَاء الإِمَام الحَسَن ، وهُم الحَسَـن المَعرُوف بالمُثنىٰ ، وَزَيد ، وَعَمر ، وَطَلَبَت النِّسوَة مِن جَيْش الطُّغَاة أَنْ يَمرُوا بهُنَّ عَلَىٰ القَتلىٰ . . . وَحِين نَظَرنَّ إِلَىٰ جَسَد الحُسَين صِحنَّ وَبَكينَّ ، لَـطَمنَّ الخُـدُود ، فَاَشتَدّت الحَال عَلَىٰ الإِمَام السَّجَّاد ، وَجَاد بنَفسه ، وَقَد اَنْهَكه المَرض ، فَقَالَت لهُ سَيِّدَة الطَّفّ :

« مَالي أَرَاك تَجُود بنَفْسك يَا بَقيَّة جَدّي وَأَبي وَأُخوتي ؟ . . . فوَالله أَنَّ هَذَا لعَهد مِن الله إِلَىٰ جَدّك وَأَبيك . . . أَنَّ قَبر أَبِيك سَيكُون عَلمَاً لاَ يُدْرَس أَثره ، وَلاَ يُمحىٰ رَسمه عَلىٰ كُرُور اللَّيالي والأَيَّام ، وَليَجْتَهد أَئِمَّة الكُفْر ، وَأَشيَاع الضَّلال فِي مَحوه وَتَطمِيسه ، فَلاَ يَزدَاد أَثره إِلاَّ عُلّوَاً »[١] .

(١) أُنظر ، كَامِل الزِّيَارَات لِابْن قَولوَية : ٤٤٥ ، العَوَالم : ٣٦٢ ، البحَار : ٢٨ / ٥٧ و : ٤٥ / ١٧٩ .

وإذَا أَخذَت الْإمَام الرّقة وَالرَّحمَة عَلىٰ أَبيه، وَهُو عَلىٰ حَاله تِلْكَ، فَقْد حَزَن وَبَكىٰ النَّبيّ عَلىٰ وَلَده إبْرَاهِيم، حَتَّىٰ قَالَ لهُ بَعْض أَصحَابه:

مَا هَذَا يَا رَسُول الله؟.

فَقَال: أَنَّها الرَّحمَة الَّتي جَعَلهَا فِي بَني آدَم، وَإنّما يَرحم الله مِن عبَادهِ الرُّحمَاء.. ثُمَّ قَالَ: تَدمعُ العَين، وَيَحزنُ القَلب فَلاَ نَقُول مَا يُسخِط الرّب؛ وَلَولاَ أَنّهُ قَولٌ صَادق، وَوَعدٌ جَامع، وَسَبِيل نَأتِيه، وَأنَّ آخرنَا سيَتبعُ أوّلنَا؛ لوَجدنا عَلَيك أَشدّ مَن وجدنا بكَ، وَإنّا عَلَيك يَا إبرَاهيم لمَحزُونُون»[1].

وَآل الرَّسُول هُم أَهْل بَيْت النُّبوّة وَالرَّحمَة، يَحزنُون رَحمَة، وَيَبكُون رِقّة، وَلاَ يَقُولُون مَا يُسخط الرَّب، بَل يَرضُون بقضَائه، وَيَستَسلمُون لمَشِيئَته؛ وَقَد جَاء فِي مُنَاجَاة الْإمَام السَّجَّاد: «أَللَّهُمَّ سَهِّلْ عَلَيْنَا مَا نَسْتَصْعِبُ مِنْ حُكْمِكَ وَأَلْهِمْنَا الْانْقِيَادَ لِمَا أَوْرَدْتَ عَلَيْنَا مِنْ مَشِيَّتِكَ حَتَّىٰ لاٰ نُحِبَّ تَأْخِيرَ مَا عَجَّلْتَ، وَلاٰ تَعْجِيلَ مَا أَخَّرْتَ، وَلاٰ نَكْرَهَ مَا أَحْبَبْتَ، وَلاٰ نَتَخَيَّرَ مَا كَرِهْتَ وَاْخْتِمْ لَنَا بِالَّتِي هِيَ أَحْمَدُ عَاقِبَةً، وَأَكْرَمُ مَصِيراً، إِنَّكَ تُفِيدُ الْكَرِيمَةَ، وَتُعْطِي الْجَسِيمَةَ، وَتَفْعَلُ مَا تُرِيدُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[2]. وَبهَذَا، بحُسن العَاقبَة وَالمَصِير، بشّرت السَّيِّدَة اْبن أَخِيهَا الإِمَام، رَغم مَا هُما عَلَيهِ مِن الأَسر وَالسَّبي.

لقَد تَألّبَت قُرَيْش عَلىٰ رَسُول الله، وَاْتّفقَت عَلىٰ تَكْذِيبه وَإيذَائه، وَالقَضَاء

---

(١) أنظر، صَحِيح البُخَاري: ٢ / ٨٤ و ٨٥، كَنْز العُمّال: ح ٤٠٤٧٩، السّنن الكُبرىٰ للبَيهقي: ٤ / ٦٩، دَعَائِم الإسلاَم: ١ / ٢٢٤، بدَائِع الصَّنائع: ١ / ٣١٠، المُغني: ٢ / ٤١١، المُحلّى: ٥ / ١٤٦، مُسْنَد أحمَد: ٣ / ١٩٤، صَحِيح مُسْلم: ٧ / ٧٦، سُنن اْبن مَاجه: ١ / ٥٠٧، سُنن أَبي دَاود: ٢ / ٦٤، مُسْنَد أَبي يَعلىٰ: ٦ / ٤٣، المُصنّف: ٣ / ٢٦٧، الإحكَام للإمَام يَحيىٰ الهَادي: ١٥٠، ذَخَائر العُقْبىٰ: ١ / ٢٢٤.

(٢) أُنظر، الصَّحِيفَة السَّجاديَّة: ٤٢٢، الدُّعَاء الثَّالث وَالثّلاثُون، دُعَاؤُهُ فِي الاسْتِخَارَة. بتَحقِّيقنَا.

عَلىٰ دَعوَته بكُلّ وَسِيلَة... فَأَغرَت بِهِ سُفهَاءها، يَرشقُونه بالْأَحجَار، وَيَضعُون فِي طَرِيقهر الْأَشوَاك، وَيَلقُون عَلَيهِ الْأَوسَاخ، وَهُو فِي الصَّلاَة، وَعَذّبت أَتبَاعه، حَتّىٰ المَوت، وَكَان لاَ يَملك دفَاعاً عَنْهُم وَلاَ عَن نَفْسَه، وَمَع ذلِكَ كُلّه يَقُول لْأَنْصَار دِين الله: «سَتَرثُون أَرْض المُلُوك وَالجَبَابرَة وَتَأخذُون أَموَالَهُم، وَتَفْتَرشُون نِسَاءَهُم»[1].

وَقَالَت سَيِّدَة الطَّفّ، وَهي أَسِيرَة مَسبيَّة، وَرجَالهَا جُثَث بلاَ رُؤوس، قَالَت: (المُسْتَقبل لذِكرنَا، وَالعَظمَة لرجَالنَا، وَالحَيَاة لآثَارنَا، وَالعُلو لْأَعتَابنَا، وَالولاَء لنَا وَحدَنَا، وَجَابَهت يَزِيد بهَذهِ الحَقِيقَة، وَهُو فِي عَرشهِ، وَهي أَسِيرَة فِي مَجْلسهِ، وَصَرخَت فِيهِ قَائِلَة: فَكِد كَيدَك، وَاسع سَعيَك، وَنَاصب جُهدك، فوَالله لاَ تَمحُو ذِكْرنَا، وَلاَ تُمِّيت وَحيَنَا، وَلاَ يُدحَض عَنْكَ عَارهَا، وَهَل رَأيُك إلاَّ فَند، وأَيَّامُك إلاَّ عَدَد، وَجَمُعك إلاَّ بَدَد)[2].

وَصَدَقت نُبوءَة السَّيِّدَة، فَوَلاَؤهُم تُدِين بِهِ المَلاَيِّين، وَتَعالِيمهُم تُدرّس فِي الجَامعَات، وَالمَدَارس مِن مِئَات السِّنِين، وَمنَاقبهُم تُعلَن عَلىٰ المَنَابر لَيل نهَار، وَقبُورهُم، كَالْأَعلاَم عَلىٰ رُؤوس الجبَال، يَحجّ إِلَيهَا النَّاس مِن كُلّ فجّ عَمِيق.

أَنَّ الْأُمويِّين والعَبَّاسيِّين، وَمَعهُم الْإِنْس، وَالجنّ لاَ يَسْتَطيعُون أَنْ يَمحُوا ذِكْر أَهْل البَيْت إلاَّ إِذَا آستَطَاعوا أَنْ يُطفئُوا نُور الله، وَآسم مُحَمَّد آبن عَبدالله، وَيَأبىٰ الله إلاَّ أَنْ يَتمّ نُورَه بمُحَمّد وأَهْل بَيْت مُحَمَّد، وَلَو كَرِهَ المُشركُون.

---

(١) أُنظر، قَرِيب مِن هَذَا فِي الكَامِل لِابن الأَثِير: ٢ / ٥٧، ذَخَائر العُقبىٰ: ١٤٧، الإِستِيعَاب: ٣ / ١٠٩٥ ـ ١٠٩٦، مِيزَان الإِعتدَال: ١ / ٢٢٣ ـ ٢٢٤، مَجْمَع الزَّوَائد: ٩ / ١٠٣.

(٢) تَقَدّمت تَخرِيجَاته.

تَكْرِيت

عَن كتَاب « المُنْتَخب » أَنَّ عُبَيد الله بن زيَاد دَعَا شِمر بن ذِي الجَوشَن ، وَشِبث آبن رَبعي ، وعَمْرُو بن الحَجَّاج ، وَضَم إِلَيهِم أَلف فَارس ، وَأَمَرهُم بإِيصَال السَّبَايَا وَالرُّؤوس إِلَىٰ الشَّام[1] .

وَقَالَ أَبُو مَخْنَف ، مَرّ هَؤلاَء فِي طَرِيقهم بمَدِينَة تَكْرِيت ، وَكَان فِيهَا عَدَد مِن النَّصارىٰ ، فَلَمَّا حَاولُوا أَنْ يَدخلُوهَا إِجْتَمع القسيسُون وَالرُّهبَان فِي الكَنَائس ، وَضَربُوا النَّواقِيس حُزناً عَلىٰ الحُسَين ، وقَالُوا : إِنَّا نبرَأ مِن قَومٍ قَتَلُوا آبن بِنْت نَبّيهم ، فَلَم يَجرؤوا عَلىٰ دخُول المَدِينَة ، وَبَاتُوا لَيلتهُم فِي البَرِيَّة .

وَهكَذا كَانُوا يُقابلُون بالجَفَاء وَالإِعرَاض كُلَّما مَرّوا بدَيرٍ مِن الأَديرَة ، أَو بَلدٍ مِن بُلدَان النَّصارىٰ[2] .

لِينَا

وَحِينَ دَخَلُوا مَدِينَة « لِيْنَا » ، وكَانَت عَامِرَة بِالنَّاس ، تَظَاهَر أَهْلهَا رِجَالاً وَنِسَاء ، وَشِيباً وَشُبَاناً ، وَهتفُوا بالصَّلاة عَلىٰ الحُسَين وَجَدّه وَأَبيه ، وَلَعن الأُمويِّين وَأَشيَاعهُم وَأَتبَاعهُم ، وَصَرخُوا فِي وجُوه الطُّغَاة : يَا قَتَلة أَوْلاَد الأَنْبيَاء آخرجُوا مِن بَلَدنَا .

جُهَيْنَة

وَأَرَادُوا الدُّخُول إِلَىٰ « جُهَينَة » فَبَلغهُم أَنَّ أَهْلهَا تَجمعُوا وَتَحالفُوا عَلىٰ قتَالهِم

---

(١) أُنظر ، المُنْتَخب للطّريحي : ٣١١ ، و : ٣٠٥ طَبعَة آخر . (مِنهُ ﷺ) .

(٢) أُنظر ، مَقْتَل الحُسَين لأَبي مَخْنَف : ١١٣ . (مِنهُ ﷺ) .

إِذَا وَطِئُوا أَرْض بَلَدهم، فَعَدلُوا عَنْهَا، وَلَم يَدخلُوهَا.

مَعَرّة النُّعمَان

وَدَخلُوا مَعْرّة النُّعمَان فَاَسْتَقبلهُم أَهْلهَا بالتِّرحَاب، وَقَدّمُوا لَهُم الطَّعَام وَالشَّراب، وَالمَعرّة هَذِه هِي بَلدَة الشَّاعر الشَّهِير أَبي العَلاَء الَّذي قَالَ:

أَلَيسَ قُرَيْشكُم قَتَلَت حُسَيناً ... وَصَار عَلىٰ خِلاَفَتكُم يَزِيد

وَقَالَ[1]:

وَعَلىٰ الأُفق مِن دِمَاء الشَّهيدَيْـ ... ـن عَلِيّ وَنَجْله شَاهدَانِ

كُفْر طَاب

وَأَتُوا حِصْن «كُفْر طَاب»، فَأَغلَق أَهلهَا الأَبوَاب فِي وجُوهِم، فَطَلبُوا مِنْهُم المَاء. فَقَال أَهْل الحِصْن: وَالله لاَ نُسْقِيكُم قَطرَة، وَأَنْتُم مَنَعتُم الحُسَين وَأَصْحَابه مِن المَاء.

حِمْص

وَلمَّا دَخلوا حِمْص تَظَاهر أَهلهَا، وَهَتفُوا: أَكْفراً بَعد إِيمَان، وَضَلاَلاً بَعد هُدىٰ؟ وَقَتلُوا مِنْهُم رَشقاً بالحِجَارَة (٢٦) فَارسَاً.

بَعلْبَك

قَالَ صَاحِب كتَاب «الدَّمعَة السَّاكبَة»: حِين دَخَل جَيْش الشِّرك إِلَىٰ بَعْلَبكّ،

(١) أنظر، دِيوَان المَعرّي: ١٢٦، سَقط الزَّند: ١ / ٤٤١، دُررّ السّمط فِي خَبر السِّبط: ٩٣.

وَمَعهُم السَّبَايَا والأَطْفَال، زُيِّنَت المَدِينَة، وَنُشِرَت الأَعْلَام، وَدُقَّت الدُّفُوف، وَضُرِبَت البُوقَات، وَقَدَّمُوا للطُّغَاة الطَّعَام، وَالشَّرَاب، وَالحَلوىٰ(١).

---

(١) أُنظر، الدَّمعَة السَّاكبَة فِي المُصِيبَة الرَّاتبَة، وَالمنَاقب الثَّاقبَة، وَالمثَالب العَائبَة، مُحَمَّد بَاقر بن عَبدالكَرِيم الدَّمَشقي: ٤ / ٢٢١.

أَدَبُ الشِّيعَة

الشَّيخ عَبدالحَسِيب طَه حَمِيدَة عَالم مَصْري مِن عُلمَاء الْأَزْهَر وَمُدَرّس فِي كُلّيَة اللُّغَة العَربيّة. أَلَّف كتَابَاً أسمَاه «أَدَبُ الشِّيعَة.. إِلَىٰ نهَايَة القَرن الثَّاني الهِجْري». أثبَت فِيهِ بالأَرقَام أَنَّ أَدَب الشِّيعَة صَمِيم فِي عُروبَته، عَنِيف فِي ثورَته، وَأَنَّه قَد تَظَاهرَت عَلَىٰ إِبرَازه العَاطفَة، وَالإِحسَاس، وَالعَقِيدَة، وَأَنّه لذَلِكَ كَان جَدِيرَاً بالحَيَاة، وَأَنَّ الشِّيعَة قَد تَعَرضُوا للأَذىٰ فِي سَبِيل عَقِيدتهِم وَحُرّيَّتهم، فَلَم يَزدَادُوا إِلاَّ تمسكاً بِالحُرّيّة وَالعَقِيدَة.

وَكَشَف المُؤلّف عَن أَسرَار وجهَات فِي أَدَبُ الشِّيعَة لَم يَسْبقهُ أَحد إِلَىٰ شَرحهَا وَتَبسِيطهَا ـ فِيمَا أَعْلَم ـ وَجَرىٰ قَلَمه بالعِلم والحَقّ فِي كُلّ مَا سَطّرَه عَن حَقِيقَة هَذَا الْأَدَب وَأَغرَاضه وَصِلَته بالحَيَاة، كمُحَاربَته للظُّلم وَالطُّغيَان، وَلَكنَّه ـ يَا للْأَسَف ـ قَد انْحَرفَ بِهِ القَلم عَن غَير قَصد إِلَىٰ الْأَخْطَاء وَالْأَغلاَط، وَهُو يَتَحدث عَن عَقِيدَة الشِّيعَة، وَخَلَط بَيْنَ الفِرَق المُحقّة النَّاجيَة، وبَيْنَ الفِرَق المُغَاليَة البَائِدَة، فَكَان فِي حَدِيثه هَذَا كَغَيرِهِ مِن الَّذِين نَسبُوا إِلَىٰ الشِّيعَة أَشيَاء لاَ يَعلمُونهَا، والَّذي أَوقَع الشَّيخ فِي الخَلط وَالإِشتبَاه اعْتمَادَه عَلىٰ «وَلهَوسن» و «دُوزي»، و «فَان فلُوتن» وَغَيرهم مِن المُسْتَشرقِين وَالمُفتَرِين[1]، وكَان عَلَيهِ أَنْ يَعْتَمد عَلىٰ كُتب

---

(١) أُنظر، الفَصل الثَالث مِن كتَاب «أَدَبُ الشِّيعَة» بخَاصّة: ٧٥ الطَّبعَة الأُولَىٰ. (مِنهُ ﷺ).

العَقَائِد عِندَ الشِّيعَة أَنْفسِهِم، ككتَاب شَرْح التَّجرِيد للعَلَّامَة الحِلّيّ، وأَوَائل المَقَالاَت للمُفِيد، وَالعقَائِد للصَّدُوق، وَمَع الشِّيعَة الإِمَامِيَّة للمُؤلّف، وَغيره كثِير.

وَمهمَا يكُن، فنَحْنُ نُحَيي المُؤلّف، وَنَمْنَح ثِقتنَا الكَاملَة، وَتَقدِيرنَا البَالغ لكُلّ مَا جَاء فِي الكِتَاب، مَا عَدَا الفَصل الثَّالث، وَمَا يَتّصل بِهِ مِن نِسبَة الغُلو، وَالرَّجعَة، وَالتَّناسخ، وَالسَّبئيَّة[1] وَمَا إِلَىٰ ذَاك، إِلَىٰ عَقِيدَة الشِّيعَة بوَجه عَامّ، نَقُول هَذَا مَع الإِعترَاف بأَنَّ المُؤلّف لَم يَتعَمّد الإِسَاءَة إِلَىٰ الشِّيعة، كَيف؟ وَقَد ٱعْترَف لَهُم بِالفَضل فِي أَشيَاء كَثِيرَة وَإِنّما نُلاَحظ عَلَيهِ ٱعتمَاده فِي حَدِيثه عَن عَقِيدَة التَّشيُّع عَلىٰ غَبي جَاهل، أَو دَسّاس خَائن، وَإِهمَاله المَصَادر الشِّيعيَّة الصَّحِيحَة.

وَمهمَا يكُن، فَإِنَّ الغَرض مَن هَذَا الفَصل أَنْ نَذكُر فِيهِ مُقتَطفَات مِن أَقوَال المُؤلّف، تَصور أَدَبُ الشِّيعَة، وَالأَهدَاف الَّتي يَرمي إِلَيهَا، بخَاصّة فِيمَا يَتعلق بحَادثَة كَرْبُلاَء، قَالَ:

«أَنَّ أَدَبُ الشِّيعَة أَخَذ مِن لُغَة الآبَاء لُغَته وَأَلفَاظه، وَمِن القُرآن وَالحَدِيث أُسلُوبه وَحُجَجه، وَمِن عَقليَات العِرَاق وَحَضَارته مَعَانِيه وَأَخيلَته، ثُمَّ ٱسْتَخدم ذَلِكَ في أَغرَاضه الشِّيعيَّة: حُبّ آل الرَّسُول، وَالإِخلاَص لقَرَابَته، وَالإِحْتجَاج لحَقّهم فِي الخِلاَفَة، وَمُنَافحَة خصُومهم مِن أُموِيِّين وَزَبيرِيِّين، وَخوَارج وَعَبَّاسيِّين، وَرثَاء قَتلاَهُم، وَمَدح عَقِيدَتهم.

وكَانَت حَادثَة كَرْبُلاَء المُلطّخَة بدمَاء الحُسَين وَآل بَيْت الرَّسُول حَدّاً فَاصلاً بَيْنَ طَورَين مِن أَطوَار هَذَا الأَدَب الخَصب، كَان حُبّاً صَادقاً، وَمَدحاً خَالصاً،

(١) أَلّف السَّيِّد مُرتَضىٰ العَسكري كتَاباً أَسمَاه «عَبدالله بن سَبَأ» عَرَض فِيهِ الأَدلّة القَاطعَة عَلىٰ أَنَّ ٱبْن سَبَأ أُسطُورة لاَ وجُود لهُ أَبداً. (مِنْهُ رحمه الله).

وَموازنَة جَرِيئَة، وَحجَاجاً عَربيّاً صَرِيحاً، مُؤسّساً عَلىٰ نَظرَة العَربي الّذي هَذّبه الْإِسلاَم للرّيَاسَة، وبَيْت الرّيَاسَة، فَأَسبَق النَّاس إِلىٰ الْإِسلاَم، وَأَمسهُم رَحماً بِالرَّسُول، وَأَشدّهُم جهَاداً للعَدوّ وَبَلاَء فِي نُصرَة الدِّين، أَحَقّ النَّاس بخلاَفَة المُسْلِمين وَزَعَامتهُم، وذٰلِكَ كُلّه قَد إِجْتَمع لعَليّ ٱبْن أَبي طَالِب، لفَضلِه، وَسَبقه، وَقَرَابته، وَجهَاده.

كَانَت حَادثَة كَرْبُلاَء، تِلْكَ الحَادثَة المُروّعَة المَشئُومَة، فَاتحَة طَور جَدِيد مِن أَطوَار هٰذَا الْأَدَب الشِّيعي... كمَا كَانَت ذَات أَثر عَمِيق فِي النُّفُوس الْإِسلاَميّة، وَالعَقَائِد الشِّيعيَّة، وَالحَيَاة السِّياسيَّة؛ وَالوَاقع أَنَّ قَتل الحُسَين عَلىٰ هٰذِه الصُّورَة الغَادرَة، وَالحُسَين هُو مَن هُو دِيناً وَمَكَانَةً بَيْنَ المُسْلِمين لاَبُدّ أَنْ يُلْهب المَشَاعر، وَيُرهف الْأَحَاسِيس، وَيُطلق الْأَلسُن، وَيَترك فِي النَّفس الْإِسلاَميّة أَثراً حَزِيناً دَامِياً، وَيَجمع القُلوب حَول هٰذَا البَيْت المَنكُوب.

نَعَم. وَلاَ بُدّ أَنْ يُنْكر النَّاس هٰذَا التَّنكِيل الجَائِر، وَالتَّمثِيل الشَّائِن بعِترَة الرَّسُول، وَسلاَلته، وَفلذّات كَبده، وَقُرّة عَينه، وَيَروا فِيهِ إِذَايَة لهُ، وَكُفرَاناً بحَقّه، وَتَعرضاً لغَضَبه[1]:

مَاذَا تَقُولُون إِنْ قَالَ النّبيّ لَكُم … مَاذَا فَعَلتُم وَأَنْتُم آخر الْأُمَمِ
بِعترَتي وَبِأَهْلِي بَعْد مُفْتَقدِي … مِنْهُم أُسَارىٰ وَقَتْلَىٰ ضُرّجوا بِدَمِ

---

(١) أختُلف فِي نِسْبَت هٰذِه الأَبيَات، أُنظر، الفُتُوح لِابن أَعثَم: ٣ / ١٥٣، مُرُوج الذَّهب: ٢ / ٩٤، ذَخَائر العُقبىٰ: ١٥٠، اللُّهُوف لِابْن طَاوس: ٩٦، الكَامِل لِابْن الأَثِير: ٤ / ٣٦، الآثَار البَاقِية للبيرُوني: ٣٢٩، تأرِيخ الطَّبري: ٦ / ٢٦٨، و: ٤ / ٣٥٧ طبعَة آخر، عيُون الأَخبَار لِابْن قُتيبة: ١ / ٢١٢، مَجْمَع الزَّوَائد للهَيثمي: ٩ / ٢٠٠، كفَايَة الطَّالب فِي مَنَاقب عَليّ بن أَبي طَالب للحَافظ مُحمَّد بن يُوسُف الكَنجِي الشَّافعي: ٤٤١، تأرِيخ أَبن عسَاكر: ٤ / ٣٤٢، ذَخَائر العُقبىٰ لأَحمد بن عَبد الله الطَّبري: ١٥٠.

مَا كَان هَذَا جَزَائِي إذْ نَصَحتُ لَكُـم ... أَنْ تَخلفُوني بِسُوء فِي ذَوي رَحمي

فَبهَذَا وَأَمثَاله قَامَت النَّائحَات فِي العَوَاصم الإِسلاَميَّة يَندُبنَّ الحُسَين، وَيَبكينَّ مَصْرعه، وَبهَذَا وَأَمثَاله ٱنطَلَقَت الأَلسُن الشَّاعرَة تُرثي ٱبْن بِنْت الرَّسُول، وَتُصَور أَسف النَّبيّ فِي قَبرهِ، وَحُزنه عَلىٰ سِبْطهِ، وَٱحْتجَاجَه عَلىٰ أُمّته، وَتُلقي عَلىٰ بَني حَرْب سُوء فِعلهِم، وَقُبح ضَلاَلتِهِم، وَجَور سُلطانهم، وَتُسـجل، فِـي صَـرَاحَـة وَعُنف، مُرُوقهُم عَن الدِّين وَإِنْتهَاكهُم لحَرَم الله.

وَهَال النَّاس هَذَا الحَادث الجَلَل، حَتَّىٰ الأُمويِّين أَنْفسهِم، فَأَقَضّ المَضَاجع، وَأَذهَل العُقُول، وَٱرتَسم فِي الأَذهَان، وَصَار شُغل الجَمَاهِير، وَحَدِيث النَّوَادي.

وَمَكثَ النَّاس شَهرَين أَو ثَلاَثَة كَأَنَّما تُلَطّخ الحَوَائِـط بـالدِّمَاء سَـاعَة تَـطْلَع الشَّمس، حَتَّىٰ تَرتَفع، وَرَأىٰ مَن حَمَلَ رَأس الحُسَين نُوراً يَسطَع مِثْل العمُود إِلَىٰ الرَّأس وَطَيراً بَيضَاء تُرَفرف حَولَه، وَرَأىٰ ٱبْن عَبَّاس النَّبيّ فِي اللَّيلَة الَّتي قُتل فِيهَا الحُسَين، وَبِيَده قَارُورَة، وَهُو يَجْمع فِيهَا دمَاء. فَسَأَلهُ: مَا هَذَا يَا رَسُول الله؟

قَالَ: دمَاء الحُسَين وَأَصحَابه أَرفعهَا إِلَىٰ الله تَعَالىٰ.

وَأَمثَال هَذَا كَثِير، نَرَاه فِي الطَّبري، وَٱبْن الأَثِير، وَالأَغَاني، وَالعِـقد الفَـرِيد، وَصُبح الأَعشىٰ [1].

وَمَهمَا يَكُن مِن شَيء، فَقَد صَبَغت حَـادثَة الحُسَـين، وَلاَ تَـزَال تَـصبَغ أَدَب الشِّيعَة بالحُزن العَمِيق، وَالرِّثَاء النَّائح، وَالمَـدح المُـبتَهل، وَالعَـصبيَة الحَـاقدَة، وَأَمَدَته بمَدَد زَاخر مِن المَعَاني وَالأَخيلَة وَالعوَاطف، فَـعَزت مَـادَته، وَٱتّسـع

(١) وَٱبْن حَجر، وَالثَّعلبي، وَأَبُو نَعِيم، وَسِبط ٱبْن الجَوزي، وَالبَيهقي، وَٱبْـن سِـيرِين، وَٱبْـن القُـفطي، وَالتّرمذي، وَغَيرهم. (مِنْهُ رحمه الله).

مجَال القَوْل فِيهِ، وَغَدونَا أَمَام أَدَب تَبْعَثه عَاطفتَان بَارزتَان: عَاطفَة الحُزن، وَعَاطفَة الغَضَب، تصدَره الأُولىٰ حَزِيناً بَاكياً، وَتَبعثهُ الثَّانِيَة قَويَّاً ثَائراً.

وَالعَاطفَة أَقوىٰ دَعَائِم الأَدَب، فَإِذَا أُثِيرَت وَهَاجَت، وكَان بجَانبهَا لسَان طَلق، وَبَيَان نَاصع، وَنَفس شَاعرَة مُتوثبَة، فَهنَاك الأَدَب الحَي، وَالقَوْل السَّاحر، وكَذَلِكَ كَان الشِّيعَة. تَجَمعَت لَهُم كُلّ عنَاصر الأَدَب: لسَان وَعَاطفَة، وَفوَاجع مِن شَأنهَا أَنْ تَسْتَنزف الدَّم، وَتُذِيب القَلب، وَتُنطق الأَخرس، فَقَالُوا، وَبَكوا: قَالُوا فِي الحَقّ وَطَلبه، وَالإِرْث وَغَصْبه.

وَبَكوا عَلىٰ حَقّ ضَاع، وَدَام أُرِيق، وَحُرمَات ٱنْتُهكَت، وَبيُوت دُمّرت، وَجُثَث كَرِيمَة عَلىٰ الله وَالنَّاس مُثّل بهَا أَبْشع تَمثِيل، وَٱفتتَان أُموي أُثِيم فِي الفَتك بِالطَّالبيِّين وَشِيعَتهم، فَقَتل، وَصَلب، وَإِحرَاق، وَتَذْريَة، وَهُم يُقَابلُون ذَلِكَ بالشَّجَاعة، وَالصَّبر، وَالإِحْتسَاب.

وَكَانَت القَصَائِد البَاكيَة، وَالخُطب الرَّائعَة، وَالأَقوَال الدَّاميَة[1] صَدىٰ لهَذه الدِّمَاء المَسفُوحَة، وَالجُثَث المَطرُوحَة، تَبْعث ذكرهَا فِي كُلّ قَلب حُزنَاً، فَيَبعث الحُزن أَدباً، يُصور الآلاَم، وَيُعلن الفَضَائِل، وَيَستَمِيل القُلُوب، وَيُسجل العَقَائد، وَيَشرح القَضيَة الشِّيعيَّة، وَيَحْتَج لهَا فِي صَرَاحَة وَعُنف، فَيتنَاولهَا مِن أَطرَافهَا، مُتَفنناً فِي كُلّ ذَلِكَ، فمُفَاضلَة جَرِيئَة، وَمُعَارضَة شَدِيدَة، وَمُنَاقشَة فِقْهية، وَدعَايَة حِزْبيَّة».

نَقَلنَا هَذِه المُقْتَطفَات، وَهِي قَلِيل مِن كَثِير:

أَوّلاً: لأَنَّها تَتَّصل ٱتّصَالاً وَثِيقاً بمَوضُوع الكِتَاب.

---

(١) وَالمُؤلّفَات الَّتي مَلأَت المَكَاتب فِي الفَضَائِل وَالمَنَاقب.

ثَانِيَاً: لأَنَّها مِن شَيخٍ أَزْهَري.

ثَالثاً: لنُنَبّه إِلَىٰ هَذَا الكِتَاب القَيم الَّذي لَم يُؤلّف مِثْله فِي مَوضُوعه، وَالَّذي يَجْب أَنْ يَقرَأه كُلّ عَالم، وَكَاتب، وَطَالِب... وَالغَرِيب أَنْ يَكُون مَجهُولاً لدَىٰ كَثِير مِن الشِّيعَة، وَهُو فِيهم وَلَهُم، وَقَد مَضىٰ عَلىٰ تَألِيفه أَكْثَر مِن سِتِ سَنوَات.

وَإِذَا دَلَّ جَهلنَا بهَذَا الكِتَاب وَمَا إِلَيهِ عَلىٰ كُلّ شَيء فَإِنّما يَدل عَلىٰ أَننَا بَعِيدُون عَن الحَيَاة كُلّ البُعد، بَعِيدُون، حَتَّىٰ عَن تَأرِيخنَا، وَأَنْفسنَا وواقعنَا... لَقَد أدرنَا ظُهورنَا إِلَىٰ المَطَابع، وَمَا تَخرجهُ مِن كُتب وَصُحف، تُصور حَيَاة النَّاس، كُلّ النَّاس، وَاَسْتَقبلنَا بوجُوهنَا المَادّة، فَلاَ نُفكّر إِلاَّ بهَا، وَلاَ نَفْتَح أَعيُننا إِلاَّ عَلَيهَا، وَلاَ نَمد أَيدِينَا إِلاَّ إِلَيهَا، وَلاَ نَسْتَطعم شَيئاً سوَاها، وَمِن أَجْلهَا نُبغض وَنُحب، وَنَقف عَلىٰ الأَبوَاب نُطَبّل وَنُزمّر للزُّعمَاء وَأَبنَاء الدُّنْيَا. وَمَع ذَلِكَ أَعلَم النَّاس، وَأَحسَن النَّاس، وَأَشرَف مَن فِي الكَون...

قَبْر السَّيِّدَة

ٱنْتَقَلت السَّيِّدَة إِلَىٰ جوَار رَبّها وَرَحْمَته فِي (١٥ رَجَب سَنَة ٦٥ هـ». فَعَاشَت بَعد أَخِيهَا الحُسَين (٤ سَنوَات و ٦ أَشهُر، و ٥ أَيَّام). وَقِيل: أَنَّها أَوَّل مَن لَحق بِهِ مِن أَهْل بَيْته(١).

وَٱخْتَلفُوا فِي قَبرهَا عَلَىٰ ثَلاَثَة أَقوَال(٢):

القَوْل الْأَوّل: أَنَّها دُفنَت في مَدِينَة جَدّها رَسُول الله، وَمَال إِلَىٰ ذَلِكَ المَرحُوم السَّيِّد مُحسن الْأَمِين، مُستَدلاً بأَنّه قَد ثَبَت دخُولها إِلَىٰ المَدِينَة، وَلَم يَثْبت خُرُوجهَا، فَنُبقي مَا كَان عَلَىٰ مَا كَان... وَكَأَنّه عَلَيهِ الرَّحمَة يَتَمسك بالْإِسْتصحَاب لِإِثبَات دَفنهَا بالمَدِينَة... وَبَدِيهَة أَنَّ الْأَخذ بِالْإِسْتصحَاب هُنا لاَ

---

(١) أُنظر، السِّيرَة لِابن إِسحَاق: ٢٢٦، صَحِيح البُخَاري: ٣ / ١٣٦٠ ح ٣٥٠٦ و: ٤ / ١٥٥٥ ح ٤٠١٦ و: ٥ / ٢٤، تَهذيب الكَمَال: ١٤ / ٣٦٩، الاِسْتِيعَاب: ١ / ٢٤٢، الطَّبَقَات الْكُبْرَىٰ: ٤ / ٣٩، الْإِصَابَة: ١ / ٤٨٧، تَهذيب الْأَسمَاء: ١ / ١٥٥، التَّرغِيب والتَّرهِيب: ٢ / ٢٠٦ ح ٢١١٧، مَجْمَع الزّوائد: ٩ / ٢٧٣، الْمُعْجَم الْكَبِير: ٢ / ١٠٧ ح ١٤٦٧ و: ١١ / ٣٦٢ ح ١٢٠٢٠، أَنسَاب الْأَشرَاف: ٢ / ١٨٩، تَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢ / ٢١٣، تَأرِيخ الطَّبري: ٥ / ١٥٣.

(٢) أُنظر، أَنسَاب الأَشرَاف: ٢ / ١٨٩، تَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢ / ٢١٣، المنَاقب لِابن شَهرآشُوب: ٣ / ٣٥٨، تَأرِيخ الطَّبري: ٥ / ١٥٣، و: ٤ / ١١٨ طَبعَة أُخرىٰ، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٣ / ٣٩٧، و: ٤ / ٢٧٢، الْإِصَابَة: ٣ / ٤٧١، لسَان المِيزَان: ١ / ٢٦٨، مِيزَان الْإِعتدَال: ١ / ١٣٩، مقَاتل الطَّالبِيِّين: ٢٥ و ٨٦.

يَعْتَمد عَلىٰ أَسَاس[١].

لأَنَّ مَوضُوع الإِسْتصحَاب أَنْ نَعْلَم بوجُود الشَّيء، ثُـمَّ نَشك فِـي أرتـفَاعه، بحَيث يَكُون المَعلُوم هُو المَشكُوك بالذَات. كمَا لو فُرض أَنْ عَلمنَا بدَفن الجُثمَان الشَّرِيف فِي المَدِينَة قَطعَاً، ثُمَّ شَكّكنَا: هَل نُقل إِلَىٰ بَلدٍ آخر، أَو بَقي حَيث كَان. فَنسْتَحصب. وَنُبقي مَاكَان عَلىٰ مَاكَان. لإِتحَاد المَوضُوع. أَمَّا إِذَا عَلمنَا بدخُولهَا إِلَىٰ المَدِينَة. ثُمَّ شَكّكنَا فِي مَحل قَبرهَا فَـلاَ يـمُكن الإِسْـتصحَاب بـحَال. لأَنَّ الدُّخُول إِلَىٰ المَدِينَة شزيء، وَالقَبر شَيء آخـر... وَإِثـبَات اللاَّزم بـإِسْتصحَاب المَلزُوم بَاطل. كمَا تَقَرّر فِي عِلْم الأُصُول.

ثُمَّ لَو كَان قَبرهَا فِي المَدِينَة لعُرف وَٱشتُهر. وكَان مَزَارَاً للمُؤمِنِين كَغَيره مِـن قُبُور الصَّالحَات وَالصَّالِحِين.

القَوْل الثَّاني: أَنَّها دُفْنَت فِي قَرِيَة بضوَاحي دِمَشق. أَي فِي المَقَام المَـعرُوف بقَبر السّت وَلَم يُنْقل هَذَا القَوْل عَن أَحد مِن ثُقَاب المُتقدمِين.

القَوْل الثَّالث: أَنَّها دُفْنَت فِي مَصْر. وَنُقل هَذَا عَن جَمَاعَة مِنْهُم العُبَيدلي، وٱبْن عَسَاكر الدّمَشقي، وٱبْن طُولُون، وَغَيرهم[٢].

(١) أنظر، أَعيَان الشِّيعَة: ٣٣ / ٢٧٠. (مِنْهُ رحمه الله). أُنظر، تَأرِيخ المَدَارس: ٢ / ٣٤١، مَحَاسن الشَّام: ٢٢١، رحلَة الشَّام: ١٣، الرَّوض الغنَّاء فِي دمَشق الفَيحَاء: ١٣١، مُنْتخبَات لتَوَارِيخ دمَشق: ٣ / ٤٢٦.

(٢) أُنظر، مَشَارق الأَنوَار فِي آل البَيْت الأَخيَار، لعَبدالرَّحمن بن حَسَـن بـن عُـمر الأَجـهوري: ٢٦٠، الإِشرَاف عَلىٰ فَضْل الأَشرَاف، إِبرَاهِيم الحَسنيّ الشّافِعيّ السَّمهوديّ المَدنيّ: ١٨٦، بِتَحقِّيقنَا. أَنْسَاب الأَشرَاف: ٢ / ١٨٩، تَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢ / ٢١٣، تَأرِيخ الطَّبري: ٥ / ١٥٣، و: ٤ / ١١٨ طَبعَة أُخرىٰ، الكَامل فِي التَّأرِيخ: ٣ / ٣٩٧، و: ٤ / ٢٧٢، الإِصَابة: ٣ / ٤٧١، لسَـان المِـيزَان: ١ / ٢٦٨، مِـيزَان الإِعتدَال: ١ / ١٣٩، مقَاتل الطَّالبيّين: ٢٥ و ٨٦.

وَيُلاَحظ أَنَّ عُلمَاءنَا الَّذِين عَلَيهم الاِعْتمَاد، كَالكُلَيني، وَالصَّدوق، وَالمُفِيد، وَالطُّوسي، وَالحلّي لَم يَتَعرضُوا لمَكان قَبرهَا، حَتَّىٰ نُرَجّح بقَولهم كُلَّا أَو بَعضاً أَحد الأَقوَال الثَّلاَثَة، فَلَم يَبق إِلاَّ الشُّهرَة بَيْنَ النَّاس. وَلَكن الشُّهرَة عِندَ أَهْل الشَّام تُعَارضهَا الشُّهرَة عِندَ أَهْل مَصْر.

وَهَكذَا لاَ يُمكن الجَزم بشَيء.. وَلَيْسَ مِن شَكّ أَنَّ زيَارَة المَشهَد المَشهُور بالشَّام، وَالجَامع المَعرُوف بمَصر بِقَصد التَّقرب إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ تَعظِيماً لأَهْل البَيْت الَّذِين قَرّبهُم الله، وَرَفع دَرجَاتهم وَمَنَازلهم، حَسنَة وَرَاجحَة، لأَنَّ الغَرض إعلاَن الفَضَائِل، وَتَعظِيم الشّعَائِر، وَالمَكَان وَسِيلَة لاَ غَايَة، وَقَد جَاء فِي الحَدِيث: «نِيَّة المَرء خَيرٌ مِن عَمَله»[1].

---

(١) أُنظر، تَأْوِيل مُخْتَلَف الحَدِيث: ١ / ١٤٨ و ١٤٩، أُصُول الكَافي: ٢ / ٦٩ ح ٢، المَحَاسن: ١ / ٢٦٠ ح ٣١٥، أَمَالي الطُّوسي: ٢ / ٦٩، فَيض القَدِير شَرْح الجَامع الصَّغِير: ٦ / ٣٧٩، هَدِيَة العَارفِين: ١ / ١٥٦.

مَقَالَات فِي أَهْل البَيْت

الحُسَين وَمَعْنىٰ الإِسْتشهَاد

بِقَلَم كمَال النَّجمي

فِي طِبَاعَة كُويتِيّة أَنِيقَة، صَدَرَت هَذِه المَسْرَحيَّة الشِّعريَّة ذَات الفُصُول الخَمْسَة وَالمَنَاظر العِشرِين...

طِبَاعتهَا كُويتِيَّة لأَنَّ مُؤلّفهَا الشَّاعر المَصْري الشَّاب مُحَمَّد العَفِيفي مُقِيم فِي الكُوَيت الآن، يَعْمل مُدرسَاً أَو مُوظفَاً بَعد أَنْ عَمل فِي الصَّحَافَة المَصْرِيَّة بِضع سَنوَات.

وَقَد رَحَلتَ مَعَهُ إِلَىٰ الكُوَيت شَاعِريتَه، وَسَوف تَعُود مَعَهُ حِين يَعُود، لأَنَّها شَاعريَّة حَقِّيقيَّة أَشْبَه بشَاعرِية أعرابي قَدِيم مَطبُوع عَلىٰ قَول الشِّعر حَيثَمَا كَان!...

وَالعَفِيفي يَكَاد يَكُون غَرِيبَاً بَيْنَ شُعرَاء زَمَاننَا، فَإِنَّ فَصَاحَة بَيَانه تُلحقهُ بالأَقدَمِين، وَلَكن تَطَور فَنّه الشِّعري يُلحقهُ بالأَحدَثِين. وَقَد نَجَا مِن عُجمَة الشَّعارِير الشُّبان أَدعيَاء التَّجدِيد، وَمِن جمُود الشُّعرَاء الكَهُول النَّائِمِين عَلىٰ التُّرَاث، وَلَكن العوَائق فِي طَرِيقهِ لَم تُتَح لهُ حَتَّىٰ الآن بُلُوغ المَرَام!..

وَمَسرحيَّة الشِّعريَة الجَدِيدَة الَّتي طَارت إِلَينَا مِن الكُوَيت، هِي ثَالِث مَسرحيَاته الشِّعريَة، وَلهُ أَيضاً دِيوَانَان مِن الشِّعر الغِنَائي...

عُنوَان المَسرحِيَّة الجَدِيدَة: «هَكَذَا تَكَلَّم الحُسَين».. فَهل تَقُوم هَذِه

المَسرحيَّة عَلىٰ كَلاَم الحُسَين ؟ ! وَكَيف يُمكن أَنْ تَقُوم مَسرحيَّة عَلىٰ الكَـلاَم لاَ عَلىٰ الفِعل وَقَد قَرَّر سَادتنَا نُقَاد الدَّرَاما فِي صَحَائفهِم المَهيبَة أَنَّ المَسْرَح فِعْل لاَ كَلاَم ؟ !.

الحَقِيقَة أَنَّ العَفِيفي كَان يَسْعَه أَنْ يُسمي مَسرحِيَته : « هَكَذا فَعَل الحُسَـين » .. لَولاَ أَنَّ الحُسَين حِين قَالَ فَعَل ، فَكَلاَمه كَان دَعوَة إِلَىٰ عَـمل ، وَبـدَايَـة عَـمَل ، وَدفَاعَاً عَن عَمَل ... وَفي النّهايَة مَشىٰ إِلَىٰ الحَرْب ليُصبح كَلاَمه حَيَاةً وَمَوتَاً ... مُقَاومَةً وَاَسْتشهَاداً !..

أَرَاد الشَّاعر أَنْ يُبَين بالفِعل أَو بالدَّرَاما أَنَّ الكَلمَة حِين تَنْبَعث مُخلصَة صَادقَة ، لاَ تَنْطَفيء فِي العوَاصف بَل تَتَضوأ عَملاً وَنَجَاحَاً ، أَو تَشْتَعل مُقَاومَةً وَاَسْتشهَاداً . وإِذَا فَاتهَا الصّدق وَالْإِخلاَص ، فَمَا أَفْدَح الكَارِثَة وَمَا أَرْخَص الكَلاَم !..

مَع ذَلِكَ ، فَعُنوَان المَسـرحـيَّة لَـيْسَ كَـبير الأَهـميَّة ، بَـل لَـيْسَ مُـهمَاً عَـلىٰ الْإِطْلاَق ... المُهم حَقَّاً هُو المَسْرَحيَّة ذَاتها بفَنّها ، وَفِكرهَا ، وَشِعرهَا ، وَصرَاعـهَا وَمَا تُضيفَه إِلَىٰ المَسْرح الشِّعري العَربي الَّذي مَا زَال مُنذ بدَأَهُ شَوقي قَبْلَ أَرْبَعِين عَامَّاً يَخطُو بعَنَاء كَأَنَّه يَخطُو عَلىٰ الأَشوَاك !.

وَالْإِمَام الحُسَين بن عَليّ ـ بَطَل المَسْرحيَّة ـ شَخصيَّة تَأرِيخيَّة لاَ يَجْهلهَا أَحد . وَمَا زَال التَّأرِيخ مَهجَرَاً خِصبَاً للشِّعر المَسرحي فِي العَالم كُلّه قَدِيمَاً وَحَدِيثَاً ، لأَنَّ الشَّخصيَات التَّأرِيخيَّة بطَبِيعَة الحَال هَالاَت خَاصّة تَرفعهَا فَوق الوَاقع المُعَاشر ، فَإِذَا نَطَقت شِعرَاً لَم يَسْتَشعر جمهُور اَلمَسْرَح تَكلفَاً فِيمَا يُسمَع مِن هَذَا الشِّعر وَلَو كَان فَخمَاً جَزْلاً ، مَوزُونَاً مُقفىٰ ...

إِلاَّ أَنَّ التَّأرِيخ وَإِنْ كَان مَهجراً للشِّعر المَسْرَحي فَإِنّه لَيْسَ حِيلَة يَهْرب بهَا مِن

الحَيَاة المُعَاصرَة. وإِذَا فَرغَت المَسرحيَّة الشِّعريَّة مِن مَضمُون قَادر عَلىٰ مُخَاطبَة العَصْر فَرَغت مِن الحَيَاة.

وَمَسرحيَّة «هَكَذَا تَكلَّم الحُسَين» تَعُود بنَا سِيَاسيَّاً وَفِكريَّاً إِلَىٰ القَـرن الأَوّل الهِجري، وَلَكنّها تَقف عَلىٰ خَشَبة عَصرنَا بمَضمُون لَم يَسْتَنفد أَغرَاضَه، فَضلاً عَن أَنَّها بغَير هَذَا المَضمُون الإنسَاني الشَّامل قَادرَة عَلىٰ مُخَاطبَة جمهُور دِيني خَاصّ، هُو جمهُور الشِّيعَة، وَمَأسَاة الحُسَين جُرح فِي قَلْب هَذَا الجمهُور لاَ يَنْدَمل!...

تَدُور المَسرحيَّة حَول الصّراع بَيْنَ الإِمَام الحُسَين بن عَليّ وبَيْنَ الخَلِيفَة يَزِيد ٱبن مُعَاويَة الَّذي طَلَب البَيْعَة فِي بدَايَة خِلاَفَته مِن الحُسَين وَأَنْصَارَه فِي مَـدِينَة الرَّسُول، فغَادرهَا الحُسَين مُتوجّهَاً إِلَىٰ الكُوفَة فِي العِرَاق ٱستجَابَة لدَعوَة أَهلهَا، وَلَكن جُنْد يَزِيد حَالوا بَيْنَ الحُسَين وبَيْنَ الكُوفَة، وَحَاصرُوه فِي كَرْبُلاَء وَمَنعُوا عَنْهُ المَاء، وكَان جُنْد يَزِيد بضعَة آلآف، وَلَم يَكُـن يَـصحب الحُسَـين إِلاَّ بِـضع عَشرَات مِن أَنْصَارَه وبَعْض الأَطْفَال، والنِّسَاء مِن آل بَيْته...

وَقَالَ جُنْد يَزِيد للحُسَين: بَايع ليَزِيد، نَرفَع عَنْكَ الحِصَار وَلاَ يُنْلك مِـنَّا أَذىٰ وَتَذهَب حَيث أَردت!.. فَلَم يُبَايع، وَصَمَّم عَـلىٰ مُـعَارضَة يَـزِيد، لأَنَّـهُ تَـولّىٰ الخِلاَفَة عُنوَة وَأَحَالها إِلَىٰ فرَاش غَرَام وَمَجْلس شَرَاب، وَٱنْتَهك حدُود الدِّيـن، وَظَلم العِبَاد، وَأَفْسَد فِي البِلاَد...

وَجَادل الحُسَين قَادَة جُنْد يَزِيد مُجَادلَة بَلِيغَة طَويلَة حَتَّىٰ أَوشَك بَعْض الجُنْد أَنْ يَنْضَمُّوا إِلَيهِ مُقْتَنِعِين بوجْهَة نَظرَه، وَلَكـنَّ السَّـيف تَكـلَّم فِـي آخـر الأَمـر، وَعَصفَت السّهام وَالنّبَال، فَٱستُشهد الحُسَين وَرجَاله القَلاَئِل الشُّجعَان فِي حَرْب غَير مُتكَافِئَة كَان الرَّجُل مِنْهُم يُقَاتل فِيهَا مِئَة أَو أَكْثَر مِن جُنْد الخَلِيفَة المُغْتَصب

للخِلاَفَة... ٱنْهَزَمت كَلمَات الحُسَين وَٱنْتَصرَت أَسلحَة يَزِيد.

كَان الحُسَين مُنَاضلاً بالقَول وَالعَمل، عَلىٰ طَرِيقَة المُسْلمِين الأَوّلِين، وَشَتَّان بَيْنهَا وبَيْنَ طَرِيقَة أَهْل الطَّرِيق وَالصُّوفيِّين. وَلَو كَان الحُسَين مُتصَوفاً لقَبع فِي دَار أَو لَجَأ إِلَىٰ «الخَانْقَاه» يَتَعَبد وَيَأكل مِن مَال السُّلطَان.

وَلَكنَّ الحُسَين خَرَج يَتَكلّم وَيُرشد النَّاس وَيَزع المُفسدِين وَيُجَادلَهُم. ثُمَّ مَشىٰ إِلَىٰ الحَرْب ليُصبح كَلاَمَهُ حَيَاةً وَمَوتاً... مُقَاومَةً وَٱسْتشهَاداً.

السَّيِّدَة زَيْنَب[1]

قَالَ عَلَيهِ الصلاة وَالسَّلاَم، «أَرْبَعَة أَنَا لَهُم شَفِيعٌ يَوْم القِيَامَة: المُكرِّم لذُرّيَتي، وَالقَاضي حَوَائجهم، وَالسَّاعي لهُم فِي أُمورهِم عِندَما اَضطَرّوا إِلَيه، وَالمُحبّ لهُم بقَلْبِهِ وَلسَانه»[2].

وَالسَّيِّدَة زَيْنَب رَضي الله عَنْهَا مِن هَذِه الذُرِّيَّة الطَّاهِرَة الصَّالحَة المُؤْمِنَة، أُمّها فَاطِمَة الزَّهرَاء بِنْت الرَّسُول عَلَيهِ الصَّلاَة وَالسَّلاَم، وَأَبُوها عَليّ بن أَبي طَالِب كَرّم الله وَجْهَه.

وُلدَت فِي شَعْبَان مِن السُّنَّة الخَامسَة للهِجرَة، فَحَملتهَا أُمّها وَجَاءت بِهَا إِلَىٰ أَبِيها، وقَالَت:

ـ سَمّ هَذِه المَولُودَة.

فَقَال لهَا عليه السلام:

---

(١) أُنظر، جَرِيدَة الجُمهُوريَة المَصريَة (٣١ / ١٠ / ١٩٧٢م). (مِنْهُ رحمه الله).

(٢) أُنظر، الفِرْدَوْس بمَأثُور الخِطَاب: ١ / ٢٤ الطَّبعَة الأُولىٰ، مَودّة القُرْبىٰ: ١٣، كَنز العُمّال: ١٢ / ١٠٠ ح ٣٤١٨٠، و: ٨ / ١٥١، و: ٦ / ٢١٧، جَوَاهر العِقدَين: ٢ / ٢٧٤، الصَّوَاعق المُحرقَة: ١٧٥ و ١٧٦، الفُصُول المُهمّة فِي أَحْوَال الأَئِمَّة: ١ / ١٧٦، بِتَحقّيقنا، ذَخَائِر العُقْبىٰ: ١٨، يَنَابِيع المَودَّة لذَوي القُرْبَىٰ: ٢ / ١١٥ ح ٣٢٥ و ٣٨٠ و ٤٦٤ ح ٢٩٧، الإِشرَاف عَلىٰ فَضْل الأَشرَاف لإِبرَاهِيم السَّمهُوديّ: ٢٤٢ بِتَحقّيقنَا، تَسْدِيد القَوْس فِي تَرتِيب مُسْنَد الفِرْدَوْس، مَخْطُوط وَرقَة (٣٥)، مُسْنَد زَيد بن عَليّ: ٤٦٣.

مَا كُنت لأَسْبق رَسُول الله صلى الله عليه وآله، وَكَان فِي سَفرٍ لَه.

وَلمَّا جَاء النَّبيّ وَسَألهُ عَن ٱسمهَا قَالَ:

مَا كُنتُ لأَسْبق رَبّي.

فَهَبط جِبرِيل يَقرَأ عَلىٰ النَّبيّ السَّلاَم مِن الله الجَلِيل وَقَالَ لهُ:

ٱسم هَذِه المَولُودَة زَيْنَب، فَقَدْ ٱخْتَار الله لهَا هَذَا الاِسْم[1].

وَلَقِيَت زَيْنَب مِن جَدّها الأَعْظَم كُلّ عَطْف وَمَحبّة وَحنَان وَأَسْبَغ الله عَلَيهَا نُور النّبُوّة وَالحِكْمَة، وَدَرَجت تِلْكَ الدُّرّة فِي بَيْت الرِّسَالَة، وَرَضَعت لبَان الوَحي مِن لَدىٰ الزَّهرَاء البَتُول.

وَللسَّيِّدة زَيْنَب فِي طفُولتهَا مَوَاقف تُرِيح النَّـفس، وَتَـطمَئن الحِسّ، وَتُـبَشر بمُسْتَقبل لهَا عَظِيم، فَقَد حَدَث إنْ كَانَت جَالسَة فِي حِجر أَبِيها يُلاَطفهَا قَائِلاً:

(قُولي: وَاحد.

فَقَالَت: وَاحد.

قُولي: ٱثْنَين.. فَسَكَتت، فَقَال عَليّ بن أَبي طَالِب:

ـ تَكلّمي يَا قُرّة عَيني.

فَقَالَت الطَّاهِرَة:

يَا أَبْتَاه مَا أُطِيق أَنْ أَقُول ٱثْنَين بلسَان أَجرَيتَهُ بالوَاحد.

وَسَأَلت أَبَاهَا ذَات يَوْم:

أَتُحبّنا يَا أَبْتَاه؟.

فَأَجَاب عليه السلام:

---

(١) أُنظر، نَاسخ التَّوَارِيخ: ٢ / ٣٢١. (مِنْهُ رحمه الله).

وَكَيف لاَ أُحبّكم وَأَنْتُم ثَمرَة فُؤادي.

فَقَالَت:

يَا أَبْتَاه أَنَّ الحُبّ لله تَعَالىٰ وَالشَّفقَة لنَا)[(١)].

وَقدّر للسَّيِّدَة زَيْنَب أَنْ تَفْقد جَدّهاﷺ وَهي فِي الخَامسَة مِن العُمر، وَفقْدت أُمّها الزَّهرَاء بَعد ذَلِكَ بشهُور قلاَئِل فَحَزنت وَهي الصَّبيَّة الصَّغِيرَة عَلَيهما حُزناً شَدِيداً، وَوَاجَهت حَيَاة البَيْت وَرَعتهُ، وَأَدَارَت شُئُونه بعَقليَّة رَتِيبَة وَاعيَة وَحِسّ صَادق، وَقَلب مُؤمِن...

وَعِندمَا بَلَغت سِنّ الزَّوَاج طَلَبهَا شبَاب هَاشِم وقُرَيْش، وَٱخْتَار لهَا وَالدهَا عَبدالله بن جَعْفَر.

وَكَتَب عَلىٰ السَّيِّدَة زَيْنَب الجِهَاد مَع الحُسَينعليه السلام وَتَتَابعَت قَتلىٰ بَني هَاشِم، فَسَقط عَبدالله بن عَقِيل، وَعَون بن عَبدالله بن جَعْفَر، ومُحَمَّد ٱبن عَبدالله بن جَعْفَر، وَعَبدالرَّحمن بن عَقِيل بن أَبي طَالِب، وجَعْفَر بن عَقِيل وَغيرهم.

وَوَجَد بُالحُسَين ثَلاَث وَثَلاَثُون طَعْنَة وَأَرْبع وَثَلاَثُون ضَربَة غَير الرَّميَة.

وَتَحرك مَوكب الأَسرىٰ وَالسَّبَايَا مِن آل البَيْت النَّبوّي الشَّرِيف، وَمَا كَاد الرَّكب يَمرّ عَلىٰ سَاحَة المَعْرَكَة حَتَّىٰ صَاح النِّسَاء وصَاحت زَيْنَب:

«يَا مُحَمَّدَاه! هَذَا حُسين بِالعرَاء مُرمل بِالدِّمَاء مُقطع الأَعضَاء؟ يَا مُحَمَّد بنَاتُك سَبَايا، وَذرّيتُك مَقْتَلة فَأَبكَت كلّ عَدوّ وَصَدِيق»[(٢)].

---

(١) أنظر، نَاسخ التَّوَارِيخ: ٢ / ٣٢٤. (مِنْهُ رحمه الله).

(٢) أُنظر، خُطَط المَقريزي: ٢ / ٢٨٩، تَرجَمة الإِمَام الحُسين لِابن عَسَاكر: ٣٣٦، تَذكرَة الخواصّ: ١٥٣، مَقْتَل الحُسين للخوَارزمي: ٢ / ٧٦ الكَامل لِابن الأَثِير: ٤ / ٣٦، الآثَار البَاقية للبِيروني: ٣٢٩.

وَدَخل المَوكب الحَزِين الكُوفَة وَتَجمع أَهلهَا يَبكُون فَقَالَت لَهُم زَيْنَب:

«أَمَّا بَعد يَا أَهْل الكُوفَة

أَتبكُون؟ فَلاَ سَكَنت العَبرَة، ولاَ هَدَأت الرَّنَّة

إِنَّما مَثلكُم مَثل الَّتي نَقَضت غَزلهَا مِن بَعد قوّة أنْكَاثاً، تَتخذُون أَيمَانكُم دخلاً بَيْنكُم، أَلاَ سَاء مَا تَزرُون.

أَي والله، فَٱبكُوا كَثِيراً، وَٱضحكُوا قَلِيلاً، فلَقَدْ ذَهَبتُم بِعَارهَا وَشنَارهَا، فَلَن تَرحضُوهَا بِغَسل أَبدَاً

وَكَيف تَرحضُون قَتل سِبط خَاتم النّبوَّة، وَمَعْدن الرِّسَالة وَمدَار حُجَتكُم، وَمَنَار مَحجَتكُم، وهُو سيِّد شَبَاب أَهْل الجَنَّة....؟.

لَقَدْ أَتيتُم بِهَا خَرقَاء شوهَاء.

أَتْعجبُون لَو أَمْطَرت دَماً.؟.

أَلاَ سَاء مَا سَوّلت لكُم أَنْفسكُم أَنْ سَخط الله عَليكُم، وَفِي العَذَاب أَنتُم خَالدُون.

أَتَدرُون أَي كَبدٍ فَرَيتُم؟ وَأَي دَمٍ سَفكتُم؟ وَأَي كَرِيمَة أَبرَزتُم؟ لَقَدْ جِئتُم شَيئاً إِداً، تَكَاد السَّموَات يَتفطرن مِنْهُ وَتَنْشق الأَرْض، وَتَخرُ الجِبَال هَدّا».

قَالَ مَن سَمعهَا:

«فَلَمْ أَرَ والله خَفرَة أَنْطَق مِنْهَا، كَأَنَّما تَنْزع عَن لسَان أَمِير المُؤْمِنِين عَليّ بن أَبي طَالب. فَلاَ وَالله مَا ٱتَّمت حَدِيثهَا حَتَّىٰ ضَجَّ النَّاس بِالبُكَاء، وَذُهلوا، وَسَقط مَا فِي ٱيدِيهِم مِن هَول تِلكَ المِحْنَة الدَّهمَاء».

البدَاية وَالنّهايَة: ٨/ ٢١٠، تأرِيخ الطَّبري: ٣/ ٣٣٦ و: ٦/ ٢٦٨، ذَخَائر العُقبىٰ: ١٥٠، نُور الأَبصَار للشّبلنجي: ٢/ ٢٤٥، بتحقّيقنَا.

وَتَكلمَت فَاطِمَة بِنت الحُسَيْن فَقَالت فِي كَلاَمٍ لهَا :

« أَمَّا بَعد ، يَا أَهْل الكُوفَة ، يَا أَهْل المَكْر ، وَالغَدر ، وَالخُيلاَء ، فَإِنَّا أَهْل بَيْت ٱبتلاَنَا الله بِكُم ، وَٱبتلاَكُم بِنَا فَكَذبتمُونا وَكفّرتمُونا ، وَرَأيتُم قتَالنا حَلالاً ، وَأَموَالنا نَهباً .

وَيْلكُم ، أَتدرُون أَي يَد طَاعَنَتنَا مِنْكُم ، وَأَيَّة نَفْس نَزَعت إِلىٰ قِتَالنا ، أَمْ بِأَيَّـة رَجِل مَشَيتُم إِلينَا تبغُون مُحَارَبتنَا قَسَت قُلوبكُم ، وَختَم عَلىٰ سَمعكُم وَبَـصركُم وَسوَّل لكُم الشَّيطَان وَأَملىٰ لكُم ، وَجَعل عَلىٰ بَصركُم غشَاوة فَأَنتُم لاَ تَهتدُون .

« تَبّاً لكُم يَا أَهْل الكُوفَة ، أَي تُرَات لرَسُول الله قَبلكُم ؟ وَذحُول لهُ لدَيكُم ؟ بِمَا غَدَرتُم بِأَخيهِ عَليّ بن أَبي طَالب ، وَعِتْرَته الطَّيبين الأَخْيَار »[1] .

وَمَرّت الأَيَّام ، ثُمَّ أَمر يَزِيد النُّعمَان بن بَشِير أَنْ يُجهزهَا وَمَن مَعهَا بمَا يُصلحهُم فِي رِحْلَتهم إِلَىٰ المَدِينَة المُنورَة .

وَذَهَبت السَّيِّدَة زَيْنَب إِلَىٰ المَدِينَة ، وكَـان وجُـودهَا فِـيهَا كَـافيَاً لأَنَّ تُـلْهب المَشَاعر ، وَتُؤلّب النَّاس عَلىٰ الطُغَاة ، فأُخرجت مِن المَـدِينَة بَـعد أَنْ ٱخْـتَارَت مَصْر دَاراً لإِقَامَتهَا .

وَقَد شَرّفَت مَصْر بقدُومهَا رَضي الله عَنْهَا عِندَ بزُوغ هِلاَل شَعْبَان سَنَة إِحدىٰ وَستِين هِجريَّة .

وَتَقَدّم لهَا مَسْلَمَة بن مُخَلّد الأَنْـصَاري وَالي مَـصْر ، وَعَـزّاهَـا فِـي خشُـوع وَخضُوع ، وَبَكىٰ فَبَكت ، وَبَكىٰ الحَاضرُون .

مَحْمُود يُوسُف

---

(١) أُنظر ، مَنَاقب آل أَبي طَالب : ٣ / ٢٦١ ، بلاَغَات النِّسَاء : ٤ ، اللُّهوف فِي قَتلىٰ الطّفُوف : ٨٧ .

ثأرُ الله

بِقلَم: أمِير اَسْكَنْدَر

مُنذُ ثَلاَثَة عَشَر قَرنَاً، خَرَج الحُسَين مِن أَرْض الحِجَاز مُتوجّهَاً صَوب العِرَاق، مُلَبيّاً نداء أَهْلهَا، كِي يَعلي كَلمَة الله الحَقِيقيَة، كَلمَة الحَقّ، والعَدْل، وَالحُرّيَّة. وَكَان خُرُوجه حِينذَاك، نَذِيراً بِالنّهايَة لكُلّ قِوىٰ الشَّر، وَالبَغي، وَالظُّلمَة، فَتَربَصَت بهِ، وَتَحفَّزت لهُ كَي تَخْنق شعَاع الضَّوء الوَلِيد، وَتُحَاصر كَلمَة الحَقّ فِي الصَّحرَاء تَمُوت مِن الظَّمأ قَبْلَ أَنْ تَبْلغ أَهلهَا...

رِحلَة عَذَاب طَويلَة وَمُجِيدَة، مَا كَان يَقوىٰ عَلَيهَا سِوىٰ أَصحَاب الرِّسَالاَت وَحْدَهُم... نَاضل فِيهَا الحُسَين بالكَلمَة وَالسَّيف مَعاً، رَفَض السَّلاَم الخَانع وَاَرْتَفع فَوق السَّلاَمَة الشَّخصيَّة الذَّلِيلَة، وَظَل حَتَّىٰ آخر نَبْضَة فِي جَسَده قَوي الرُّوح، صَامد الإِرَادَة، مَرفُوع الرَّأس دَائِمَاً، حَتَّىٰ تَمَكّنَت مِنْهُ قِوىٰ الظَّلاَم وَالطُّغيَان فَقَتَلتهُ وَفَصَلت رَأسه عَن جَسَده، وَحَسِبَت أَنَّها بجَرِيمتهَا قَد اَطمَأَنّت، وَأَنَّ الأَرْض مِن تَحت أَقدَامها قَد اَستَقرّت. وَلَكنّها أَدرَكَت بَعد فَوات الأَوَان أَنَّها لَم تَسْتَطع أَنْ تَبلغ مِن أَمرهَا شَيْئَاً، فَلاَ السُّلطَان دَام وَلاَ دَعوَة الحَقّ زَالَت. قُتل الحُسَين، وَلَكن كَلمَته غَدَت رِسَالَة. قُطع رَأسه ولَكنَّه بَات رَمزاً للشّهَادَة. تَضَرّج دَمَه ولَكنَّه أَمسىٰ فِي عَصرهِ، وَفِي كُلّ العصُور، نداء يَصْرخ فِي المُؤمِنِين

وَالمُنَاضِلِين مِن البُسطَاء والفُقْرَاء أَنْ افتَحُوا دَائِماً عُيُونكُم، وَحَدّقُوا في كُل قِوىٰ الشَّر الَّتي تُحِيطكُم، وَاقمَعُوا كُلّ عوَامل الضّعف وَالتَّردد وَالخنُوع فِي أَعمَاقكُم وَأثَأرُوا لكَلمَة الله الحَقِيقَة... كَلمَة الحَقّ، وَالعَدْل، وَالحُرّيَّة.

أَيمكُن أَنْ نَعْثَر فِي تُرَاثنَا عَلىٰ قِصّة أَروَع مِن قصّة خُرُوج الحُسَين وَاستشهَادَه لنَسْتَلهم مِنْهَا العِبرَة، وَالمَثل، وَالقُدرَة عَلىٰ الفِدَاء؟ هَل يُمكن للفنَّان الَّذي يَعِيش بفِكْرِهِ وَوجدَانه هَذِه القصّة أَنْ يُقَاوم فِي نَفْسَه الرَّغبَة العَمِيقَة وَالمُخلصَة فِي تَجسِيد أَحدَاثهَا بوَسِيلَته الخَاصّة أَيّاً كَانَت شِعرَاً أَو لَونَاً أَو نَغْمَاً أَو حَرَكةً، أَو هَذِه كُلّها مَعَاً؟ وَكَيف يُمكننَا أَنْ نَظل لَيل نَهَار نَتحدّث عَن التُّرَاث العَرِيق الَّذي نَملكَه، دُون أَنْ تَتَقدّم خُطوَة نَحو بَعْث هَذَا التُّرَاث، وَاسْتخلاَص أَغلىٰ مَا فِيهِ، وَأَعزّ مَا فِيهِ وَأَبقىٰ مَا فِيهِ، وَنَشرَه وَإِشَاعَته بكُلّ الوسَائِل بَيْنَ النَّاس...

هَكَذَا صَنَع شَاعر كَبِير هُو عَبدالرَّحمن الشَّرقَاوي. وَهكَذَا صَنَع مُخرج مَسرحي كَبِير هُو كَرَم مطَاوع؛ لَقَد كَتَب الشَّرقَاوي مَأسَاة الحُسَين أَو مَلْحَمته، فِي مَسْرحيَّة شِعريَّة هِي بالتَّأكِيد آخر نُقطَة بَلغهَا فِي رِحلَته الفِكريَّة وَالفَنيَّة، وَهي أَيضَاً آخر نُقطَة بَلغهَا تَطور المَسرَح الشِّعري فِي بِلاَدنَا حَتَّىٰ الآن. وَتَنَاولهَا كَرَم مطَاوع مِن بَعْده، فَرَكّز فصُولهَا، وَكَثّف مشَاهدهَا حَتَّىٰ يُمكّنه تَجسِيدهَا عَلىٰ خَشبَة المَسرَح، لأَنَّها فِي أَصلهَا تَزِيد عَن أَربعمِئَة صَفحَة... وَاسْتَغرق الإِعدَاد وَالإِخرَاج شُهورَاً عِدّة. كَانَت الأَنْبَاء تُنْشَر فِي الصُّحف خلاَلهَا، عَن قُرب تَقدِّيمهَا للجمهُور، عَلىٰ خَشَبَة المَسْرَح القَوميّ.

وأَنَا لاَ أَكتُب فِي هَذَا السُّطُور نَقدَاً للنَّص المَسرَحي المَنْشُور فِي كتَاب أَو للعَرض المَسرَحي الَّذي أُتِيح لِي أَنْ أَشْهَد «بروفته» النَّهائيَة وَلَكنّني ـ للأَسَف ـ

أُرِيد أَنْ أُشِير إِلَىٰ رحلَة هَذِه المَسرحيَّة الطَّويلَة خَلف كوَاليس المَسـرَح، وَهِـي رحلَة حَافلَة بأَشَد أَلْوَان العَذَاب للفِكر وَالضَّمير، حَتَّىٰ يُتَاح لهَا أَنْ تَخرج للنَّاس. وَيَبدُو أَنَّ مَأسَاة الحُسَين الَّتي وَقَعت فِي العِرَاق مُنذ أَكثَر مِن ثَلاَثَة عَشَر قَرناً[1] تَتَكرّر هُنا مَرّة أُخرىٰ رَغم ٱخْتَلاف الظُّرُوف وَبَعد القُرون. فمَسرحيَّة الحُسَـين تَتَعرّض الآن مِثلَما تعَرّض الحُسَين نَفْسه فِي المَاضي للـتَّنكُر وَالْإِنْكَـار! وَهـي تُوشك أَنْ تَلقىٰ مَصِيرَه الدَّامي، مُخْتَنِقَة وَسَط حصَاد قِوىٰ غَريبَة تَسلك سُـلُوكَاً غَير مُبَرّر وَغَير مَفْهُوم...

* * *

وَحَتَّىٰ يَكُون القَارِيء عَلىٰ بَيْنَة مِن القصّة كُلّها، أَضَع أَمَامه هَذِه الوَقَائع الَّتي تَرسم صُورَة تَسْجِيليَّة لكُلّ مَا حَدَث حَتَّىٰ الآن...

• فِي (٨ يُوليُو عَام ١٩٧٠م) طَلَب مُؤلّف المَسرحيَّة عَبدالرَّحمن الشَّرقَاوي مِن االجِهَات المَعنيَّة فِي الأَزْهَر الشَّرِيف فَحص المَسرحـيَّة وَإِبـدَاء الرَّأي فِـيهَا، حَتَّىٰ يَتَسنىٰ البِدء فِي إِخرَاجها للمَسْرَح القَومي...

رَأىٰ الأَزْهَر تَقلِيد مُتّبع فِي الأَعمَال الَّتي تتنَاول مَوضُوعَات أَو شَخصيَّات لهَا مُسحَة دِينيَّة.

• فِي (٤ أَغسطُس عَام ١٩٧٠م) جَاءَت مُوَافقَة الأَزْهَر الشَّرِيف عَلىٰ نَصّ المَسرحيَّة مَع بَعْض التَّحفظَات الَّتي تَتَحَدَد فِي أَنْ يُؤدي المُمَثّل الَّذي يَقُوم بدَور الحُسَين دَورَه مُتّخذاً شَخصيَّة الرّاويَة عَن الحُسَين لاَ شَخصيَة الحُسَين نَفْسه، أَي أَنْ يَبدَأ كَلمَاته قَائِلاً «قَالَ الحُسَين...» وَأَنْ تُؤدي المُـمثّلَة الَّـتي تَـقُوم بـدَور

(١) نَحنُ الآنَ فِي القَرْن الرَّابع عَشَر الهِجْري. المُحقق.

السَّيِّدَة زَيْنَب دَورهَا مُتّخذَة هِي أَيضاً شَخصيَة الرَّاويَـة عَـن السَّـيِّدَة زَيْـنَب، لاَ شَخصيَة السَّيِّدَة زَيْنَب نَفْسهَا، أَي أَنْ تَـبدأ كَـلمَاتهَا قَـائِلَة «قَـالَت زَيْـنَب...» وَهَكذَا عَلىٰ طُول الرّوَايَة، وذَلِكَ كُلّه حَتَّىٰ يُمكن تَخطي عَقبَة التَّقْلِيد السَّائِر بِعَدم ظهُور الشَّخصيَات الدِّينيَّة عَلىٰ المَسْرَح أو عَلىٰ شَـاشَة السِّـينمَا وَالتّـليفزيُون. وَبالفِعل وَافق المُؤلّف وَالمُخرج عَلىٰ هَـذِه التّـحفظَات وَاْقـتضىٰ ذَلِك خُـرُوج «عَبدالله غَيْث وَأَمِينَة رِزق» فِي بدَايَة العَرض إِلَىٰ مُقدّمة الخَشَبة لِيَقُولا لجمهُور المُشَاهدِين أَنَّهُما لاَ «يُمثلاَن» الشَّخصِيتَين الكَرِيمَتَين: الحُسَين والسَّيِّدَة زَيْنَب وَإِنّما يَروِيَان عَنْهُما فَقط.

● فِي (١٢ نُوفمبَر عَام ١٩٧١م) وَافقَت الرّقَابَة عَلىٰ المُصنّفَات الفَنّيَة. عَلىٰ النَّص المَسْرَحي المُقَدم لهَا بنَاءً عَلىٰ موَافقَة االجِهَات المَعنيَّة فِي الْأَزْهَر الشَّرِيف عَلىٰ عَرض المَسرحيَّة فِي أَغْسطُس عَام (١٩٧٠م)، وَأَصبَح الْأَمر وَاضحاً بَعد هَذَا كُلّه؛ أَنَّ الضَّوء الأَخضَر مَفْتُوح إِمَام عَرض المَسرحيَّة مِن كُلّ الجِهَات الَّتي يَعْنِيها الأَمر، وَخَاصّة جهَات الأَزْهَر، بَل أَنَّ الدُّكتُور أَحمَد إِبْرَاهِيم مُـهنَا مُـدِير إِدَارَة البحُوث وَالنَّشر بمَجمَع البحُوث الإِسلاَميَّة أَرسَل إِلَىٰ المُؤلّف خطَاباً فِـي (٢١ أُكتُوبر عَام ١٩٧١م) يَقُول لهُ فِيهِ: «أَرجُو أَنْ تلتزمُوا بمَا اتُّفق عَلَيهِ بشَأن مَسرحِيّتكُم ـ يَقْصد عَدَم ظهُور الحُسَين وزَيْنَب إِلاّ كرَاويتَين ـ وَفقكُم الله».

● بَعد ذَلِكَ، عُقد إِجتماع ضَمَّ ثمَانيَة أَشخَاص هُم: الدُّكتُور مُـهنا، وَالشَّـيخ عَبدالمُهَيمن، والأُستَاذ عَبدالحَميد جَودّة السّحار رَئِيس هَيئَة المَسْرَح وَالسِّينما، وَسَيّد بُدير مُدِير عَام الهَيئَة، وَحَمدي غَيث مُستشَار قَطّاع المَسرَح، وَكَرم مطَاوع مُخرج المَسرحيَّة، وَعَبد الرَّحمن الشَّرقَاوي مُؤلّفهَا، وَسَـعد أَردش الَّـذي كَـان

يُشرف وَقتهَا عَلىٰ المَسرح القَومي. وَٱتّفق فِـي هَـذَا الإِجْـتمَاع عَـلىٰ الإِلتـزَام بِالتَّحفظَات الَّتي أَبدَاها الأَزْهَر؛ كمَا ٱتَّفق عَلىٰ ضَم جُزئَي المَسرحيَّة «الحُسَين ثَائرَاً والحُسَين شَهِيدَاً» وَتَقدِيمهُما مَعَاً بَعد التَّرِكيز وَالتَّكثِيف فِي عَرضٍ وَاحد.

● وَبَدَأت بَعدهَا برُوفَات المَسرحيَّة وَأَخذَت الصُّحف تَنْشر أَنبَاء تَتَابع العَمل فِي نُموه وَٱكتمَاله. ثُمَّ ظَهرَت فِي الصُّحف وَالمَجلَّات، وَعَلىٰ جوَانب الطُّرقَات، الإِعلاَنَات الَّتي تَقُول أَنَّ «ثَأر الله» سَوف تُعرَض عَلىٰ خَشبَة المَسرَح القَـومي هَذَا الأُسبُوع.

وَلَكن كَانَت هُنَاك مُفَاجَأة تَنْتظر الجَمِيع. قِيل: نَحْنُ لَـم نُـبد رَأيَـاً بَـعد فِـي المَسرحيَّة!... أَيَّة مَسرحيَّة؟.. قِيل أَنَّ ضَم جُزئَي المَسـرحـيَّة وَتَـركيزهَا فِـي عَرضٍ وَاحد يَحتَاج إِلَىٰ إِعَادَة نَظَر؛ مَا الَّذي يُمكن أَنْ يَتَغيّر فِي المَسرحـيَّة لَـو عُرضَت فِي سَاعَة أَو فِي سَبع سَاعَات مِن وجهَة نَظر بَعْض االجِهَات فِي الأَزْهَر الشَّريف...؟ أَنَّ تَحفظَاتها مُلتَزم بهَا سـوَاء ٱسْـتَغرق العَـرض سَـاعَة أَو عَشـر سَاعَات. أَنَّ مَسأَلة الإِقتصَاد فِي الوَقت وَالتَّرِكيز فِـي الفُـصُول وَالتَّكـيِّيف فِـي المَشَاهد، لأَنَّهم ـ بَعد ذَلِكَ ـ سِوىٰ العَاملِين فِي المَسرحيَّة وَجمهُورهَا وَنُقَّادهَا. أَلَيْسَ كَذَلِكَ... أَيُمكن أَنْ تَكُون هَذِه قَضِيَة خِلاَفيَة بـحَقّ؟... وَمَـع ذَلِكَ فَـلَقد أُرسَل لَهُم النَّص المُعَد للعَرض فِي (٩ دُيسَمبر عَام ١٩٧١ م) أَي مُنذ أَكْثَر مِـن شَهرَين، وحَتَّىٰ الآن لَم يَأت الرّد! رَغم أَنَّ النَّص الأَصلي للمَسرحيَّة الَّذي أُرسِل فِي عَام (١٩٧١ م) لَم تَسْتَغرق إِلاَّ أَقل مِن شَهر وَاحد!.

مَاذَا حَدَث إِذَن؟... مَاذَا يَجْري خَلف الكَوَالِيس؟... وَأَي جَدِيد طَرَأ اليَوْم حَتَّىٰ يَحتَاج الأَمر لإِعَادَة نَظر، وَإِعَادَة تَقيِّيم، وَمُرَاجعَة للموَافقَات السَّابقَة؟ وَمَا المَوقف الآن، بَعد أَنْ ظَهرَت الإِعلاَنَات فِي الصُّـحف وَالمَـجلَّات وَالطُّـرقَات،

وَٱكتَمل جُهد فِكري وَفنّي كَبير، وَأنْفق مَال حَلاَل مِن خَزِينَة الدَّولَة.

لَستُ أُرِيد اليَوْم أَنْ أَتسَاءل عَن الأَسَاس الَّـذي يَسْـتَند إِلَـيهِ أُولَـئك الَّـذِين يُطَالبُون اليَوْم بإِعَادَة النَّظر، أُرِيد أَنْ أَسأَل فَحَسب عَن مَعنىٰ الحِرمَان مِن عَملٍ كَبِير هُو بالتَأكِيد مِن أَفضَل الأَعمَال الَّتي أتِيح لمَسرحنَا أَنْ يُقدِّمها، وَمِن أَكْـثَره قِيمَة، وَمِن أَشدّها إِستجَابة للضَّرورَات الفِكريَّة، وَالوَطنيَّة، وَالرُّوحيَّة الَّتي نوَاجهها الآن؛ مَن الَّذي يَكْسب مِن هَذَا الحِرمَان بحَقّ؟ وَمَن الَّذي يَخْسَر فِـي النّـهايَة؟ وَبٱسم أَيّة قِيمَة فِكريَّة، أَو دِينيَّة تَحول جهَة مَا بَيْنَ الجمهُور وبَيْنَ هَذَا العَمل الَّذي قَالَ عَنْهُ بَعْض رجَال الأَزْهَر الشَّرِيف أَنْفسهم مِثل الأُستَاذ عَبدالكَرِيم الخَطِيب، وَالشَّيخ عَبدالرَّحِيم فُودَة: أَنَّه خِدمَة كَبيرَة للقِيَم الإِسلاَميَّة، وَيَجب أَنْ يُعرض؟.

* * *

أَنَّ حُرّيَّة الفِكر الَّتي نَصَّ عَلَيهَا الدُّستُور، لَيْسَت مُجَرد عبَارَة مُجَردَة، وَلكنّها يَنْبَغي أَنْ تَكُون فِعلاً وَمُمَارسَة. وَعَلينَا جَمِيعَاً أَنْ نَحرص عَلَيهَا، وَأَنْ نُنَاضل مِن أَجلهَا، فَهي فِي النّهايَة حَجر الزَّاويَة فِي أَي بنَاء إِجْتمَاعي، وَسيَاسي، وَثـقَافي مُتَحضّر.

ونَحنُ.. نُنَاشدكُم أَيُّها السَّادَة أَنْ تَرفعُوا أَيدِيكُم عَن هَذَا العَمل الَّذي يُدَافع عَن أَغْلىٰ وَأَعز، وَأَبقىٰ مَا فِي ترَاثنا المَاضي، وَحَيَاتنَا الرَّاهنَة... أَنَّ الحُسَين العَظِيم لَم يَكُن مُجرّد شَخصيَّة دِينيَّة فَقَط؛ ولَكنَّه كَان أَيضاً رَمزاً إِنْسَانياً نَبيلاً يَنْحَني لهُ المُسْلِمُون وَغير المُسْلمِين، وَيُجَسّد لَهُم كُلّ مَعَاني التَّضحيَة الشَّرِيفَه فِي سَـبِيل أَسمىٰ مَا يُدَافع عَنْهُ الإِنْسَان مِن قِيَم.

وَهَل هُنَاك أَسمىٰ مِن قِيَم الحَقّ، والعَدْل، وَالحرّيَّة؟.

أَلَيْسَت هَذِه بحَقّ، كَلمَة الله الحَقِيقيَّة؟...

يَسْأَل ٱبْنَتهُ فِي العِيْد

مِن أَينَ لَكِ هَذَا ؟[1]

تَحَدّث التَّأرِيخ عَن بطُولاَت عَليّ بن أَبـي طَـالِب، وَشَـجَاعَته، وَفـدَائِـيتَه، وَتَضحيَاته، كمَا تَحدّث عَن زُهدَه، وَعِلْمه، وَبَلاَغَته، وتِلْكَ صَفحَة مُشرقَة مِـن حَيَاته يَروِيها التَّأرِيخ عَنْهُ، وَنَسْتَشف مِنْهَا عَدله، وَيَقْظَته، وَشُدّته فِـي الحـفَاظ عَلىٰ أَموَال الدَّولَة، وَتَطبِيق قَانُون «مِن أَينَ لَكِ هَذَا» ؟.

فَقْد حَدّث عَليّ بن أَبي رَافع قَائِلاً[2]: كُنتُ عَلىٰ بَيْت المَال أَيَّام ولاَيَة عَليّ بن

---

(١) أُنظر، جَرِيدَة الْأَخْبَار المَصْرِيَّة: (٢ / ١ / ١٩٦٨م). (مِنْهُ ﷺ).

(٢) أَبُو رَافع: هُو مَوْلىٰ رَسُول الله ﷺ، اُختُلف فِي اسمه، فقِيل: اسمه إبرَاهِيم، وقِيل: أَسْلَم، وقِـيل: ثَابت، وقِيل: هُرمز، وصَالح.

يُعَدُّ فِي الطَّبقَة الْأُولىٰ مِن الشِّيعَة، كَان قِبطيّاً عِند العبَّاس بن عَبدالمُطّلب، فَوهبَه لرَسُول الله ﷺ، فَلمّا بُشّر ﷺ بإسْلاِم العبَّاس أَعْتَقه.

هَاجر مِن مكَّة إِلىٰ الْمَدِينَة، وشَارَك مَع الْمُسْلِمِين فِي غَزوَات رَسُول الله ﷺ.

لَزِم أَمِير الْمُؤْمِنِين عَليّ بن أبي طالب عليه السلام، وشَهِد مَعهُ حرُوبَه، وَبَعد اَسْتشهَاد الْإِمَـام عليه السلام رَجـع إِلىٰ الْمَدِينَة مَع الْإِمَام الحَسَن عليه السلام، حَيْث أَعْطَاه قِسماً مِن بَيت عَليّ عليه السلام، لأَنَّه بَاع دَاره عِند خـرُوجَه مَـع الْإِمَام عَليّ عليه السلام إِلىٰ الْكُوفَة.

أُنظر، تَـرجَـمته فِـي: طَـبقَات ابْـن سَـعد: ٤ / ٧٣ ق ٤، أُسـد الغَـابَة: ١ / ٥٢، تَـهذِيب التَّـهذِيب: ٤ / ٢١٢ ح ٢، و: ١٢ / ١٠٠، الْإِصَـابَة: ١١ / ١٢٨، رِجَـال النَّـجَاشي: ٤ / ١، الكُـنىٰ والْأَلقَـاب: ١ / ١٧٤، تنقِيح المقَال: ٣ / ١٦ (بَاب الكُـنىٰ)، وتَأسِـيس الشِّـيعة: ٣١٩ و ٣٤١، أعْـيَان الشِّـيعة:

↔

أَبي طَالِب عليه السلام، وَكَان فِي بَيْت المَال عِقْد، فَأَرسَلَت إِليَّ بِنْت عَليّ بن أَبـي طَـالِب تَقول: بَلَغني أَنَّ فِي بَيْت المَال عِقْد لُؤلُؤ، وَأُحبّ أَنْ أَستَعِيرَه لأَتجمّل بهِ فِي يَوْم عِيد الأَضْحىٰ، فَأَرسَلْتُ إِليهَا قَائِلاً: العِقْد عَاريَة مَضمُونَة مَردُودَة بَعد ثَلاَثَة أَيَّام، فَقَبلت، وَرَدّت تَقُول: نَعَم، العِقْد عَاريَة مَضمُونَة مَردُودَة بَعد ثَلاَثَة أَيَّام؛ فَدَفَعتهَا إِلَيهَا.

فَلَمَّا رَآه أَمِير المُؤمِنِين فِي جِيدهَا قَالَ لهَا: مِن أَينَ جَاء إِلَيكِ هَذَا العِقْد؟.

فَقَالَت: ٱسْتَعرتَه مِن ٱبْن أَبي رَافع لأَتَزَيّن بِهِ يَوْم العِيد ثُمَّ أَردّهُ.

فَبَعَث أَمِير المُؤمِنِين إِلَىٰ ٱبْن أَبي رَافع وَٱبْتَدرَه بقَوله: يَا ٱبْن أَبي رَافع، أَتَخُون المُسْلمِين؟.

قَالَ: مَعَاذ الله يَا أَمِير المُؤمِنِين أَنْ أَخُون المُسْلمِين.

فَقَال: قَد أَعرْتَ العِقد الَّذي فِي بَيْت المَال بغَير إِذني وَرضَاي.

قَالَ: يَا أَمِير المُؤمِنِين أَنَّها ٱبْنَتك.

فَقَال عَليّ عليه السلام: رَدّه مِن يَوْمك، وَإِيَّاك أَنْ تَعُود إِلَىٰ مِثْل هَذَا، فَتِلكَ عـقُوبَتي، وَوَيل لاِبْنَتي[1].

عَليّ عِمْرَان

↔ ٢ / ٣٥٠، سِير أَعلام النُّبلاء: ٢ / ١٦ / ٣، الجَرح والتَّعدِيل: ٢ / ١٤٩، تَأرِيخ ٱبن مُعِين: ٤ / ٧٠٤.

والرَّاوي لهَذه القِصَّة هُو عَليّ بن أبي رَافع، والَّذي عَدّه الشَّيخ مِن أَصْحَاب أَمِير الْمُؤْمِنِين عليه السلام، وَكَان كَاتِباً لهُ، ومِن خوَاصّ أَصْحَابه، ولهُ كتَاب فِي قضَايا أَمِير الْمُؤْمِنِين عليه السلام، وكتَاب فِي مَنْ شَهد مَع أَمِير الْمُؤْمِنِين عليه السلام، الْجَمَل، وصِفِّين، والنَّهْرَوَان مِن الْصَّحَابَة.

أُنظر، رِجَال النَّجاشي: ٣، رِجَال البَرقي: ٤، رِجَال الطُّوسي: ٤٧، أُسد الغَابَة: ٢ / ١٥٥، الْإِصَـابَة: ١ / ٤٨٥.

(١) أُنظر، تهذِيب الأَحْكـام: ١٠ / ١٥١، وَسَـائِل الشِّـيعَة: ٢٨ / ٢٩٢ ح ١، مـنَاقب آل أَبـي طَـالب: ١ / ٣٧٥، حليَة الأَبرَار: ٢ / ٢٨٦، بحَار الأَنْوَار: ٤٠ / ٣٣٨ ح ٢٢.

أَهْل البَيْت

بِقَلَم: مُحْسن مُحَمَّد

تَلاَشىٰ الزَّمن... ٱخْتَفت القُرُون الَّتي تَفْصل بَـيْني وبَـيْنَهُم وَأَحْسَست كَأنَّـي أقف أَمَامهُم فِي بَيْت النّبُوّة.

هَؤلاَء هُم «أَهْل البَيْت» فَاطِمَة الزَّهرَاء ـ ٱبْنَة النَّبيّ ﷺ، وزَوّجهَا عَليّ ـ ٱبْن عَمّ الرَّسُول ـ وأَولاَدهُما الحَسَن وَالحُسَين... وَأَحفَادهُما[١].

وَلَقد زُرتُ مَكّة وَالمَدينَة، وَوَقَفت بكَـرْبُلاَء وَعَـبَرتُ الطَّـرِيق إِلَـىٰ النَّـجف وَالكُوفَة... وَتَمَثّلتَ لِي فِي كُلّ لَحظَة موَاقفهم... بطُولاَتهم... ٱستشهَادهم.

وَلَقد سَرَح بِي الفِكْر فِيمَا رَأيتُ مِن بقَايَا آثَارهم وَأَنَا أَقرأ آخر وَأَحْـدَث مَـا كُتبَ عَنْهُم... قَد جَمَعهُم المُؤلّف فِي كتَاب وَاحد... وَرَوىٰ قَصصّ حَـيَاتهم... وَآرَاءهُم... وَحكَايَاتهُم... وَموَاقِـفهُما البـطُوليّة وَالإِنْسَـانِيَّة مَـعاً وَوَصَـايَاهُم لأَهلهم وَللنَّاس، وَلاَ يُوجد سَطر فِي هَذَا الكِتَاب الجَـدِيد ـ أَكْـثَر مِـن (٦٠٠) صَحفَة، إِلاَّ وَقَد عَزَّزه الكَاتب البَاحث المُحقّق بدَلِيل تَأرِيخي يُؤيد وجْهَة نَظرَه وَبمَرجع عَربي أَو أَجْنَبي.... وبوَقَائع ثَابتَة وَمُـحدّدة... وَيَـنتهي الكَـاتب إِلَـىٰ

(١) تَقدَّمت تَخرِيجَاته.

النَّتيجَة الَّتي يَنْتَهي إِلَيهَا... وَتَحس فِي نِهَايَة المَطَاف بأَنَّه لاَ تُوجَد نهَايَة أُخْرىٰ... أَو نَتيجَة أُخْرىٰ غَير تِلْكَ الَّتي وَصَل إِلَيهَا الكَاتب تَوفِيق أَبُو عَلَم وَكِيل وَزَارَة العَدْل وَرَئِيس مَجْلس إِدَارَة مَسْجد السَّيِّده نَفْسيَة... وَهي وَاحدة مِن أَهْل البَيْت.

فَالكتَاب خُلاَصَة حُبّ طَوِيل... وَشفَافِيَّة ٱسْتَغرقَت العُمر كُلّه... وَكُلّ صَفحَة مِن الكِتَاب تَجْعلك تَشعر بأَنَّ الكَاتب يُرِيد أَنْ يَنْقل إِلَيكَ الحُبّ الكَبِير الَّذي عَاشَه، وَوَهْبَه لأَهْل البَيْت.

أَصْغَر البنَات

هَذِه هِي السَّيِّدَة فَاطِمَة الزَّهرَاء أَصْغَر بنَات الرَّسُول وَأَحبّهُنَّ إِلَيه.

أُمّها السَّيِّدَة خَدِيجَة الَّتي جَاءهَا النَّبيّ مِن غَار حَرَّاء بَعد نزُول الوَحي خَائِفاً مُتردّداً غَرِيب النَّظرَات... فَإِذَا بهَا تَردّ إِلَيهِ السَّكِينَة، وَالأَمن، وَتَسبغ عَلَيهِ ودّ الحَبِيبَة، وَإِخلاَص الزَّوجَة، وَحنَان الأُمّهات.

تَعَلّمَت مِن أُمّها أَعظَم الدّرُوس فكَانَت ـ فَاطِمَة ـ تُضَمّد جرَاح أَبِيها ـ النَّبيّ ـ فِي غَزْوَة أُحد... وَتَقُوم وَحدهَا بعَمل البَيْت لاَ يُعِينهَا أَحد، عَاشَت عَلىٰ الكفَاف لاَ تَكْذب وَلاَ تَشكُو، وكَانَت تُردّد دَائِماً قَول أَبِيها: «طُوبىٰ لمَن هُدي للإِسلاَم وَكَان عَيشَه كفَافَاً قَنَع بِهِ»[1]. تَركت الإِعترَاض وَالسّخط. وَأَعرضَت عَن طَيبَات الدُّنْيَا، وَٱستَوىٰ عِندهَا الفَقْر، والغِنَىٰ، وَالرَّاحَة، وَالعَنَاء، وَالصّحَة، وَالمَرض،

---

(١) أُنظر، تَفْسِير آبن كَثِير: ٢ / ٥٨٦ و: ٤ / ٥٥، المُسْتَدرَك عَلىٰ الصَّحِيحَين: ١ / ٩٠ ح ٩٨ و: ٤ / ١٣٦ ح ٧١٤٤، سُنن التّرمذي: ٤ / ٥٧٦ ح ٢٣٤٩، مُسْنَد أَحْمَد: ٦ / ١٩ ح ٢٣٩٨٩، المُعجَم الكَبِير: ١٨ / ٣٠٥ ح ٧٨٦ و ٧٨٧، كَشف الخفَاء: ١ / ١٧٨ ح ٤٧٣ و: ٢ / ٦٢ ح ١٦٨١.

وَالفَنَاء، وَالبَقَاء، وَالموت، وَالحَيَاة.

صَنَع لهَا النَّبيّ زيّاً جَدِيداً للَيلَة عرسهَا وَزفَافها... وكَان لها زَي قَـدِيم، فَـإذَا بسَائلَة فِي البَاب تَطْلب زَيّاً قَدِيماً فَقدَّمت لهَا القَدِيم، ثُمَّ تَذَكرت قَول الله: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1] فَدَفعَت إِلَيهَا بالجَدِيد.

رَوَت عَن النَّبيّ كَثِيراً مِن الأَحَادِيث، وَسَمعَته وَهُو يَقُول: «أَنَّ فِـي ٱلـجُمُعَة لسَاعَة لاَ يوَافقهَا رَجُل مُسْلِم يَسأَل الله عزَّوجلّ فِيهَا خَيراً إِلاَّ أَعطَاه»[2].

وَلَكن فِيهَا مَلاَمح النِّسَاء جَمِيعاً...

بَلَغ العتَاب يَوْماً بَيْنَ فَاطِمَة وزَوّجهَا عَليّ مَا يَبْلغهُ مِن خصُومَة بَيْنَ الزَّوجَين، عِندَمَا عَلِمَت أَن عَلِيّاً يَزمَع الزَّوَاج عَلَىٰ مَأْلُـوف عَـادَة قَـومة فِـي الجَـمع بَـيْنَ زَوّجَتين وأَكْثَر... وَيَفْعَل مَا أَبَاح لهُ الإِسلاَم مِن تَعَدُد الزَّوجَات... قَصَدَت أَبَاها النَّبيّ تَروي القصّة قَائِلَة: إِنَّ قَومَك يَتحَدثُون أَنَّك لاَ تَغْضَب لبَنَاتك، وهَذَا عَـليّ نَاكح ٱبْنَة أَبِي جَهْل؟.

قَالَ المُسَوْر: فَقَام النَّبيّ ﷺ فَسمعتَهُ حِينَ تَشَهد، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّـا بَـعْد، فَـإِنّي أَنْكَحت أَبَا العَاص ٱبْن الرَّبِيع فَحدّثني فَصَدّقني، وَإِنَّ فَاطِمَة بَضْعَة مِنّي، وَإِنَّـمَا أَكرَه أَنْ تفتنُوهَا، وَإِنّه وَالله لاَ تَجْتَمع بِنْت رَسُول الله ﷺ وبِنْت عَدوّ الله عِندَ رَجلٌ وَاحد أَبَداً». قَالَ: فَترَك عَليّ الخُطْبَة»)[3].

---

(١) آل عِمْرَان: ٩٢.

(٢) أُنظر، مُسْنَد أَحْمَد: ٢ / ٢٣٠ ح ٧١٥١ و: ٢ / ٤٥٧ ح ٩٨٩٣ و ١٠٠٧٠ و ١٠٤٦٤، صَحِيح مُسْلِم: ٢ / ٥٨٤ ح ٨٦٢، السُّنن الكُبرىٰ: ٦ / ١٣٢ ح ١٠٣٠٧ و ١٩٣٠٨، مَجْمَع الزَّوَائِد: ٢ / ١٦٦ و: ٥ / ٩٢، سُنن البَيهقي الكُبرىٰ: ٩ / ٣ ح ١٧٤٨، المُصنّف لِابن أَبي شَيبَة: ١ / ٤٧٧ ح ٥٥١٠.

(٣) أُنظر، صَحِيح البُخَاري: ٤ / ١٩٠٣ ح ٢٤٤٩، صَحِيح مُسْلِم: ٣ / ١٣٦٤ ح ٣٥٢٣، صَحِيح ٱبن

وَيَعدل عَليّ عَن هَذَا الزَّوَاج الجَدِيد. وَتَمُوت فَاطِمَة فِي سِنّ الثَّامنَة وَالعِشرِين[١]... وقَبْلَ أَنْ تَمُوت تُوصي زَوّجهَا بالزَّوَاج من بِنْت أُختهَا[٢]، وأَنْ تُدفَن لَيلاً[٣].

↔ حَبَّان: ١٥/٤٠٨ح ٦٩٥٧ و ٧٠٦٠، مُسْنَد أَبي عَوَانه: ٣/٧١ح ٤٢٣٥، سُنَن البَيهقي الكُبرىٰ: ٧/٣٠٨ح ١٤٥٧٧، سُنن آبن مَاجه: ١/٦٤٤ح ١٩٩٩، المُصنَّف لعَبدالرَّزاق الصَّنعَاني: ٧/٣٠١ح ١٣٢٦٧ ـ ١٣٢٦٩، مُختَصر المُختَصر: ١/٣٠٧، مُسْنَد أَحْمَد: ٤/٣٢٦ح ١٨٩٣١ و ١٨٣٢، مُسْنَد أَبي يَعلىٰ: ١٣/١٣٤ح ٧١٨١، المُعْجَم الكَبِير: ٢٠/١٨ح ١٨ و ٢١، البَيَان وَالتَّعرِيف: ١/٢٧٠، فَتح البَاري: ٩/٣٢٨، سِير أَعلاَم النُّبلاَء: ٢/١٣٣، فَضَائِل الصَّحابَة لأَحْمَد بن حَنْبل: ٢/٧٥٦ح ١٣٢٩ ـ ١٣٣٤، الذُّرِّيَّة الطَّاهِرَة: ١/٤٧ح ٥٥.

(١) آختُلف فِي وَفَاة الصِّدِّيقَة عَلىٰ أَقوَال. أُنظر، المنَاقب للخوَارزمي: ١/٨٣، الإِصَابة: ٤/٣٨٠، مقَاتل الطَّالبيين: ٣١، الطَّبقَات الكُبرىٰ: ٨/١٨، المِلل وَالنِّحل: ١/٥٧، لسَان المِيزَان: ١/٢٩٣، فرَائد السّمطَين: ٢/٣٦، شَرح النَّهج لِابن أَبي الحَدِيد: ١٤/١٩٣، إِثبَات الوَصيَّة للمَسعُودي: ٢٣، الذُّرِّيَّة الطَّاهرة: ٢١٦، مُرُوج الذَّهب: ١/٤٠٣، المَعَارف: ١٤٢.

(٢) أُمَامَة بِنْت أَبي العَاص بِنْت زَيْنَب بِنْت رَسُول الله صلى الله عليه وآله تَزَوَّجهَا بَعْد مَوت خَالتهَا فَاطِمَة البَتُول. أُنظر، البدَاية وَالنّهاية: ٦/٣٩٠، الطَّبقَات الكُبرىٰ: ٨/٢٣٣، الإِصَابة: ٧/٢٠٩، جوَاهر المَطَالب فِي مَنَاقب الإِمَام عَليّ: ٢/١٢٢، النَّعِيم المُقِيم لِعترَة النَّبأ العَظِيم، الشَّيخ العَلاَّمة شَرف الدِّين أَبي مُحمَّد عُمر بن شُجَاع الدِّين العَارف المُتوفّىٰ سَنَة (٦٤٦ ه‍): ٢٢٩، بِتَحقِيقنَا، تَأرِيخ الطَّبري: ٤/١١٨، الهدَاية الكُبرىٰ: ٤٠٧، أَنْسَاب الأَشرَاف: ٢/١٨٩ المعَارف: ٢١٠، مِيزَان الإِعتدَال: ١/١٣٩، الكَامل فِي التَّأرِيخ: ٣/٣٩٧، الإِصَابة: ٣/٤٧١، لسَان المِيزان: ١/٢٦٨، دَلاَئل الإِمَامَة: ١٣٤، تَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢/٢١٣، تذكرَة الخوَاصّ: ٥٧.

(٣) أُنظر، صَحِيح البُخاري: ٢/٣٩، و: ٥/١٧٧، صَحِيح مُسْلم: ٢/٧٢، شَرح النَّهج لِابن أَبي الحَدِيد: ٦/٤٩ و ٥٠، و: ١٦/٢١٤ و٢١٨، أُسد الغَابة: ٥/٥٢٤، الإِستِيعَاب: ٢/٧٥١، مُسْنَد أَحمَد: ٦/٤٦١، الإِصَابة: ٤/٤٧٨، تَأرِيخ الطَّبري ٤/٤٧٤، المنَاقب للخوَارزمي: ١/٨٤، مُستَدرك الحَاكم: ٣/١٦٣، رَوَائع الحِكم فِي أَشعَار الإِمَام عَليّ عليه السلام الدِّيوَان: ٩٢، فرَائد السّمطَين: ٢/٨٨، مُروج الذَّهب: ٢/٢٩٨.

وَلمَّا عَلم المُسْلِمُون بوفَاتها وَجدُوا أَرْبَعِين قَبراً بَنَاه عَليّ حَتَّىٰ لاَ يَعْرف قَبرهَا أَحَد وَهي الَّتي لَمْ يَترك النَّبيّ غَيرهَا مِن الأَوْلاَد[1].

وَلَقَد تَرَكَت وَصَايَا كَثِيرَة... تَركَتهَا لِابْنهَا الحَسَن دُعَـاء يُـرَدّدهُ: «الحَـمْد لله الَّذي لاَيَنسىٰ مَنْ ذَكرَهُ، وَلاَ يَخيب مَن دَعَاه، وَلاَ يَقْطع رَجَاء مَن رَجَاه»[2].

الإمَام عَليّ عليه السلام

وهَذَا عَليّ بن أَبي طَالِب قَالَ عَنْهُ النَّبيّ: «لَقَد كفَاني أَمْري وَهُـو ٱبْـن (١٢) سَنَة، وَضَرب بَيْنَ يَدي بالسَّيف وَهُو ٱبْن (١٦) سَنَة. وَقَتل الأَبْطَال وَهُـو ٱبْـن (١٩) سَنَة. وَفرّج هُمُومي وَهُو ٱبْن (٢٠) سَنَة، وَرَفع بَاب خَيْبَر وَهُو ٱبْن (نَيف وَعشرِين) سَنَة، وَكَان لاَ يَرفَعهُ (٥٠) رَجُلاً»[3].

ٱخْتَلف عَليّ عَن الخُلفَاء بلَقب الإمَام. لَمْ يَبدَأ أَحداً يَوْماً بقتَال. وَدَخَل عَلَيهِ أَحدهُم يَوْماً فَوَجد بَيْنَ يَدَيه لَبَناً حَامضاً وَكِسرَة يَابسَة، فَقَال الرَّجُل:

ـ لَقَد آذَتْني حمُوضَة اللَّبن يَا أَمِير المُؤمِنين. أَتَأكُل هَذَا.

فَقَال عَليّ:

(١) أنظر، تَأرِيخ الطَّبريّ: ٢/٤٤٨، البُخَاريّ: ٣/٣٨، صَحِيح مُسْلِم: ١/٧٢ و: ٥/١٥٣، ٱبن كَثِير: ٥/٢٨٥، ٱبن عَبد رَبّه: ٣/٦٤، ٱبن الأَثِير: ٢/١٢٦، كفَاية الطَّالب: ٢٢٥، المَسعُوديّ: ٢/٤١٤، التَّنبيه والأَشرَاف: ٢٥٠، الصَّوَاعِق المحرِقَة: ١/١٢، الإمَامَة وَالسِّياسَة: ١/١٤، والسُّنن الكُبرَىٰ: ٦/٣٠٠. كلّ هَذِه المصَادر تتحدث بأنّه ـ أبو بَكر ـ، لَم يُصلِّ عَلَيْهَا، بَل دُفِنَت سرّاً.

(٢) أنظر، مَشَارق الأَنوَار فِي آل البَيْت الأَخيَار، لعَبدالرَّحمن بن حَسَن بن عُمر الأَجـهوري المَـصري الأَزهَري المَالكي (المُتوفّىٰ ١١٩٨ هـ): ٢٦٦، تَأرِيخ مَدِينة دِمَشق، تَرجمَة الإمَام الحَسَن عليه السلام: ١٠.

(٣) أنظر، الأَمَالي للشَّيخ الصَّدوق: ٤٨٣، رَوضَة الوَاعِظِين: ١٢٠، بحَار الأَنوَار: ٤٠/٦، أمالي الشيخ الطوسي: ٤٣٩ ح ٤٠، دَلاَئِل الإمَامَة: ٧٠.

ـ كَان رَسُول الله يَأكُل أَيْبَس مِن هَذَا... وَأَخْشَن مِن هَذَا...[١]

وَمُنذ اليَوْم الأَوّل لخِلاَفَة عَليّ هَزل الولاَة الَّذِين آستبَاحوا الغَنَائم المَحظُورَة... وَتمرغُوا بالدُّنيَا... وَطَمعُوا وَأَطمعُوا رعَايَاهُم فِي بَيْت مَال المُسْلمِين... وَجَنّب الصَّحَابَة الطَّامحِين إِلَىٰ الإمَارَة فِتْنَة الولاَيَات خَوفاً عَلَيهم مِن غوَايتهَا.

وَيَترك لوَلدَه الحَسَن وَصِيَّتة:

(أُوصِيكُمَا بِتَقْوَىٰ اللهِ، وَأَلَّا تَبْغِيَا الدُّنْيَا، وَإِنْ بَغَتْكُمَا وَلَا تَأْسَفَا عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْهَا، زُوِيَ عَنْكُمَا وَقُولَا بِالْحَقِّ، وَآعْمَلَا لِلْأَجْرِ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً، وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً.

أُوصِيكُمَا، وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي، بِتَقْوَىٰ اللهِ، وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ، وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا ـ صلى الله عليه وآله ـ يَقُولُ: «صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ».

اللهَ اللهَ فِي الْأَيْتَامِ، فَلَا تُغِبُّوا أَفْوَاهَهُمْ، وَلَا يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ.

وَاللهَ اللهَ فِي جِيرَانِكُمْ، فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ. مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ، حَتَّىٰ ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ.

وَاللهَ اللهَ فِي الْقُرْآنِ، لَا يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ.

وَاللهَ اللهَ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ.

وَاللهَ اللهَ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ، لَا تُخَلُّوهُ مَا بَقِيتُمْ، فَإِنَّهُ إِنْ تُرِكَ لَمْ تُنَاظَرُوا.

وَاللهَ اللهَ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ.

وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَاصُلِ وَالتَّبَاذُلِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّدَابُرَ وَالتَّقَاطُعَ. لَا تَتْرُكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ

---

(١) أنظر، الغَارَات: ١ / ٨٥، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابْن أَبي الحَدِيد: ٢ / ٢٠١، مَكَارم الأَخلاَق: ١٥٨.

وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُوَلَّىٰ عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ، ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ.

ثُمَّ قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُلْفِيَنَّكُمْ تَخُوضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضاً، تَقُولُونَ: «قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ». أَلَا لَا تَقْتُلُنَّ بِي إِلَّا قَاتِلِي.

انْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هَذِهِ، فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَةٍ، وَلَا تُمَثِّلُوا بِالرَّجُلِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ـ ﷺ ـ يَقُولُ: «إِيَّاكُمْ وَالْمُثْلَةَ وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ»[1].

وأَوصىٰ الإمَام الحَسَن: «إِنِّي أُوصِيكَ يَا حَسَنُ[2] وَكَفىٰ بِكَ وَصيّاً بمَا أَوصَاني بِهِ رَسُول الله ﷺ فإذا كَان ذَلكَ يَا بُنيّ فَالزَم بَيْتك وَابكِ عَلىٰ خَطِيئَتك، وَلاَ تَكُن الدُّنيَا أَكْبَر هَمّك، وَأُوصيك يَا بنيّ بِالصَّلاة عِند وَقتها، وَالزَّكَاة فِي أَهلهَا عِند مَحلّها، وَالصَّمت عِند الشُّبهة، وَالإِقتصَاد، وَالعَدل فِي الرِّضَا وَالغَضب، وَحُسن الجوَار، وَإِكرَام الضَّيف، وَرَحمَة المَجهُود، وَأَصحَاب البَلاَء، وَصِلة الرّحم، وَحُبّ المَسَاكِين وَمُجَالستهُم، وَالتَّواضع فَإِنّه أَفضَل العِبَادَات، وَقصر الأَمل، وَذِكر المَوت، وَالزُّهد فِي الدُّنيَا فَإِنّك رَهن مَوتٍ وَغَرض بَلاَء وَطَرِيح سُقم.

وَأُوصيكَ بِخَشيَة الله تَعَالىٰ فِي سِرّ أَمرك وَعَلانِيتك، وَأَنهَاك عَن التَّسرّع بِالقَول وَالفِعْل، وَإِذَا عَرض شَيء مِن أَمر الآخرَة فَابدَأ بِهِ، وَإِذَا عَرض شَيء مِن أَمر الدُّنيَا

---

(١) أُنظر، نَهج البَلاَغَة: الرِّسَالَة (٤٧)، وَالحَدِيث فِي مَجمَع الزَّوائد: ٦/٢٤٩ و: ٩/١٤٢، المُعْجَم الكَبِير: ١/١٠٠ و: ١٢/٤٠٣ ح ١٣٤٨٥ و: ١٨/١٥٧ ح ٣٤٣ و ٣٤٥، البدَايَة فِي تَخريج أَحَادِيث الدّرَايَة: ٢/٣٨ ح ٤٩٨، نَصب الرَّاية: ٣/٢٢٤، السِّير الكَبِير للشّيباني: ١/١١٠ و: ٣/١٠٢٩، تَنزِيه الأَنْبِيَاء: ٢١٨، وهُنالك أَحَادِيث كَثِيرة تَنهى عَن الْمُثْلَة كمَا جَاء فِي مُسنَد أَحمَد: ٤/٢٤٦ و ٤٤٠ و: ٥/١٢، شَرح مَعَاني الآثَار: ٣/١٨٣، السُّنن الكُبْرَىٰ: ٩/٦٩.

(٢) أُنظر، المُعمّرون وَالوَصَايا للسّجستَاني: ١٤٩، تَاريخ الطَّبري: ٦/٨٥ و ٦١، الأَمَالي للزّجَاجي: ١١٢، مُرُوج الذَّهب: ٢/٤٢٥، ذَخَائر العُقبىٰ: ١١٦، المعَارف: ٢/١٧٨.

فَتأَنّه حتّىٰ تُصيب رُشدك فِيهِ، وَإيّاك وَمواطن التُّهمَة وَالمَجلس المَظنُون بِهِ السّوء، فَإِنّ قَرين السّوء يُغير جَلِيسه.

وَكُن لله يَا بنيّ عَاملاً، وَعَن الخنَا زَجُوراً، وَبِالمَعرُوف آمِراً، وَعَن المُنْكَر نَاهِياً، ووَاخِ الإِخوَان فِي الله، وَأحبّ الصّالح لصَلاَحه، وَدَار الفَاسق عَن دِينك وَٱبغضهُ بِقَلبك، وَزَايلهُ بِأَعمَالك لِئَلا تَكُون مِثْله، وَإيّاك وَالجُلوس فِي الطُّرقَات، وَدَع المُمَارَاة وَمُجَاورَة مَن لاَ عَقْلَ لهُ وَلاَ عِلْم.

وَٱقْتَصد يَا بُنيّ فِي مَعْيِشتك، وَٱقتَصد فِي عِبَادتك، وَعَليك فِيهَا بِالأَمر الدَّائم الَّذي تُطِيقه، وَالزَم الصَّمت وَبهِ تَسلم، وَقَدّم لنَفسك تَغنم، وَتَعلّم الخَير تعلم، وَكُن ذَاكراً لله تَعَالىٰ عَلىٰ كُلّ حَال، وَٱرحَم مِن أَهْلك الصَّغِير، وَوَقّر مِنْهُم الكَبِير، وَلاَ تَأكلنّ طعَاماً حَتّىٰ تَتَصدّق مِنْهُ قَبل أَكْله، وَعَلَيك بِالصّوم فَإنّه زَكَاة البَدن، وَجُنّة لأَهله.

وَجَاهد نَفْسك، وَٱحذَر جَلِيسك، وَٱجْتَنب عَدوّك، وَعَليك بمَجَالس الذِكر، وَأَكثر مِن الدُّعَاء فَإِنّي لَم آلك يَا بُنيّ نُصحاً وَهَذا فِرَاق بَيْني وَبَيْنك.

وَأُوصِيك بِأَخيَك مُحمَّد خَيراً فَإِنَّه شَقِيقك ٱبن أَبِيك وَقَد تَعلم حُبّي لهُ. أَمّا أَخُوك الحُسَين فَإِنّه شَقِيقك وَٱبن أُمّك وَأَبيك، وَلاَ أُزِيد الوِصَاة بِذَلك، أَزِيدُك وَصيَاته، وَالله الخَلِيفَة عَلَيكُم، وَإيّاه أَسْأَل أَنْ يُصلحكُم، وَأَنْ يَكفّ الطُّغَاة وَالبُغَاة عَنْكُم، وَالصَّبر الصَّبر حَتّىٰ يَقضي الله الأَمر، وَلاَ حَول وَلاَ قُوّة إِلّا بِالله العَليّ العَظِيم[1].

ـ ثُمّ قَال للحَسَن: يَا حَسَن أَبَصرُوا ضَاربي، أَطعمُوه مِن طَعَامي، وَٱسقُوه مِن

---

(١) أُنظر، الكَامل فِي التَّأريخ: ٢ / ٤٣٦.

شرَابي »[١].

الحَسَن عليه السلام

كَان يَحْضَر مَجْلس جَدّه النَّبيّ فيَحفظ الوَحي يَستَمع إلَىٰ دُعَائه: « أللَّهُمَّ أَهْدني فيَمن هدَيت، وَعَافني فِيمَن عَافَيت، وَتولّني فِيمَن تولَّيت، وَبَارك لِي فِيمَا أَعْطَيت، وَقِني شرّ مَا قَضَيت فإنّك تَقضي وَلاَ يُقضىٰ عَلَيك، وَإِنّه لاَ يَذل مَن وَاليت. تَبَاركتَ رَبّنَا وَتَعَالَيت »[٢].

وَيَسْتَمع إلَىٰ نَصِيحَة النَّبيّ: « دَع مَا يُريبُك إلَىٰ مَا لاَ يُريبُك فَإِنَّ الشَّر رِيبَة وَالخَير طُمَأنيَة »[٣]...

كَان الحَسَن جَرِيئاً...

وَكَان لاَ يَرىٰ للمَال أَهميَّة سِوىٰ مَا يَردّ بِهِ جُوع جَائع، أَو يَكسُو بِهِ عَارِيَاً، أَو يُغيث بِهِ مَلهُوفَاً أَو يَفي بِهِ دَين غَارم... وَرَفض جَمِيع مَبَاهج الحَيَاة وَزَهد فِي نَعِيمهَا[٤]. وَرَدَّد نُصح النَّاس فَقَال: « مَن لَمْ يُؤمن بقَضَاء الله وَقَدره.. خَيرَهُ

---

(١) أُنظر، الفُصُول المُهمّة فِي مَعرفَة الأَئِمّة لِابْن الصَّباغ المَالكي: ١ / ٦٢٧، بِتَحقّيقنَا)، نُور الأَبصَار للشّبلنجي: ١ / ٤١١، بتَحقّيقنَا.

(٢) أُنظر، مَجْمَع الزَّوائِد: ٢ / ٢٤٤، سُنن التّرمذي: ٣ / ٢٤٨ ح ١٧٤٦، مُسْنَد أَحمَد: ١ / ١٩٩ ح ١٧١٨، فَتْح العَزِيز: ٣ / ٤٢١ ـ ٤٣٠ و: ٤ / ٢٤٩، المُغني: ١ / ٨٢١، الشَّرح الكَبِير: ١ / ٧٥٧، سُنن التّرمذي: ٢ / ٣٢٨ ح ٤٦٤، سُنن أَبي دَاود: ٢ / ٦٣ ح ١٤٢٥، سُنن آبن مَاجه: ١ / ٣٧٢ ح ١١٧٨، سُنن البَيهقي: ٢ / ٤٩٨، تَأرِيخ بَغدَاد: ١٠ / ٢٨٤، تَأرِيخ دِمَشق: ١٣ / ١٦٤.

(٣) أُنظر، صَحِيح آبن خُزَيمَة: ٤ / ٥٩ ح ٢٣٤٨، صَحِيح آبن حبّان: ٢ / ٤٩٨ ح ٧٢٢، المُسْتَدرك عَلىٰ الصَّحِيحَين: ٢ / ١٥ ح ٢١٦، المُعْجَم الكَبِير: ٣ / ٧٦ ح ٢٧١١ و: ٢٢ / ٨١ ح ١٩٧.

(٤) أُنظر، حَيَاة الحَيوَان للدّميري: ١ / ١٦٥، حليَة الأَوليَاء: ٢ / ٣٧، المنَاقب لِابن شَهرآشوب: ٣ /

وَشَرّه . . . فَقَدْ كَفَر . . »[(١)].

وَنَصح الحَكَم فَقَال: «إِنَّ الحَاكِم المِثَالي هُـو مَـن إِذَا خَـاف الله فِـي السِّـر وَالعَلاَنيَة . . وَعَدل عِند الغَضَب والرِّضَا. وَقَصد فِـي الفَـقْر والغِـنَىٰ. وَلَـم يَأخُـذ الأَموَال غَصْبَاً. وَلَم يَأكُلها إِسرَافاً وَتَبذِيراً»[(٢)].

وَآمَن الحَسَن بالمُسَاوَاة. وَفِي ذَات يَوْم جَاءَته آمرَأتَان تَشْكـوَان فَـقرهُما، فَأعطَاهُما، ولكنْ إِحدَاهُما سَألَته أَنْ يزِيدَها، ويُفضلهَا عَلَىٰ صَاحبتهَا، لِأَنَّهَا هِي عَرَبية، وصَاحبتهَا مِن المَوَالي، فَأَخَذ قَبْضَة مِن تُرَاب، ونَظر فِيهِ وَقَـالَ: «إِنِّـي نَظَرْتُ فِي كتَاب الله فَلم أَجْد فَضَلاً لَولد إِسْمَاعِيلَ عَلَىٰ وِلد إِسْحَق، وَلاَ أَعْلَم أَنَّ الله فَضل أَحداً مِن النَّاس عَلَىٰ أَحدٍ إِلّا بالطَّاعَة، والتَّقْوَىٰ»[(٣)].

وَتَنَازل عَن الإِمَارَة لمُعَاوِيَة، وَعَقد مَعَهُ صُلحاً[(٤)] . . . وكَان هَـذَا الصُّـلح، ثُـمَّ

↔ ١٨٠، تَأرِيخ دِمَشق لِابْن عَسَاكر (تَرجَمة الإِمَام الحَسن): ١٤٢، سُنن البَيهقي: ٤ / ٣٣١، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابْن أَبي الحَدِيد: ١٦ / ١٠، تأرِيخ الخُلفَاء: ٧٣.

(١) أُنظر، فِقه الإِمَام الرِّضَا: ٤٠٨، المُعْجَم الكَبِير: ٢ / ٤٨ ح ٩٠٣.

(٢) أُنظر، تَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢ / ٢٢٧. وَنَسَب القَول إِلىٰ غَير الإِمَام.

(٣) أُنظر، الإِمَام جَعْفر بن مُحَمَّد الصَّادق للجُندي: ٣١٣. وَقَد نَسَبها إِلىٰ الإِمَام عَليّ.

(٤) أَنَّ الشَّرِيعَة الإِسْلاَميّة اَلإِنْسَانية تَقوم عَلَىٰ أُسّس عَدِيدة، أَهمهَا، وَأَدقّها رعَايَة الـمَصْلَحَة، ودَفـع الْمفْسَدَة، لأَنَّ أَحْكَام اَلإِسْلاَم تَبْتَني بكلاَمهَا عَلَىٰ هَذَا الأَسَاس، وقَد يَكُون فِي الحَـادثة، أَو الفِـعْل مَصلَحة مِن جِهة، ومَفسدَة مِن جِهَة ثَانِيَة، وَعِندهَا لاَ مَفرّ مِن عَمليّة المَوازَنة بَيْنَ رِعَاية الـمَصْلَحَة، ودَفع الْمفْسَدَة، وَتقدِيم الأَهَم عَلَىٰ المُهم، فَإِنْ كَانَ دَرء الْمفْسَدَة أَوْجَبَ تجَاهلنَا الْمَصْلَحَة، وعَـقدنَا الهُدْنَة، والمُصَالحة مَع الْمفْسَدَة إِلَى أَنْ تَحِين الْفُرْصَة، وتَسْنَح، والشّرط الأَوَّل فِيمَن يَـجري عَـمليّة المُوَازَنَة أَنْ يَكُون مِن اَلعَارفِين الحُكمَاء.

وَآختَلف المُؤرّخون آختلاَفاً كَثِيراً فِيمَن بَدر لطَلب الصُّلح، فَآبن خُلدُون فِي تَأرِيخه: ٢ / ١٨٦ ذَهب ↔

اُستْشهَاد الحُسَين بَعد ذَلِكَ مِن دعَائم الْإِسلاَم، وَلَولاَهُما لمَا بَقِي للْإِسلاَم اُسم.

الحُسَين عليه السلام

وهَذَا هُو الحُسَين وتِلْكَ كَلمَاته البَاقيَة عَلَىٰ مَرّ الزّمن:

● «لاَ تَتكَلّف مَا لاَ تُطِيق. وَلاَ تَتعرض لمَا لاَ تُدرك. وَلاَ تَعد بمَا لاَ تَقْدَر عَلَيهِ. وَلاَ تُنفق إلاَّ بِقَدر مَا تَسْتَفِيد. وَلاَ تَطلب مِن الجَزَاء إلاَّ بِقَدَر مَا صَنَعت، وَلاَ تَفْرَح إلاَّ بمَا نِلتَ مِن طَاعَة الله تَعَالىٰ، وَلاَ تَتنَاول إلاَّ مَا رَأَيت نَفْسَك أَهلاً لَهُ»[1].

أَقْدَم عَلىٰ المَوت مُقدّماً نَفْسَه وَأَولاَده وَأَطفَاله وَأَهْل بَيْته للقَتل، وَكَان يُرَدّد: «لَستُ أَخَاف المَوت. مَوْت فِي عزٍّ خَير مِن حَيَاة فِي ذُلٍّ»[2].

(وَاُرْتَكب أَحد عُمّاله جنَايَة تُوجب التَّأدِيب، فَأَمر بتَأدِيبه، فَقَال العَامِل: قَالَ الله تَعَالىٰ ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾[3].

قَالَ الحُسَين: خَلّوا عَنْهُ كَظِمَت غَيْظَي.

↔ إلىٰ أَنّ المُبَادر لذَلك هُو الْإِمَام الحَسن عليه السلام، وَالكَامل لِابـن الأَثـِير: ٣ / ٢٠٥، وَالفُـتُوح: ٢ / ٢٩٢، تَأرِيخ الطَّبري: ٦ / ٩٢، البدَايَة وَالنّهايَة: ٨ / ١٥. مِثل ذَلكَ.

أَمّا الفَرِيق الآخر فَقَد ذَكَر أَنّ مُعَاويَة هُو الَّذي طَلَب وَبَادر إلىٰ الصُّلح بَعد مَا بَعث إلَيه بِرَسَائِل أَصحَابه المُتضمّنة للغَدر وَالفَتك بِهِ مَتىٰ شَاء مُعَاويَة أَو أَرَاد، كمَا ذَكر الشَّيخ المُفِيد فِي الْإِرشَاد: ٢ / ١٣، وَكَشف الغُمّة: ١٥٤، مَقَاتل الطَّالبيّين: ٧٤، تَذكرَة الخوَاصّ: ٢٠٦ وَلكنَّنا نَعْتَقد أَنّ مُعَاويَة هُو الَّـذي طَـلب الصُّلح، وَمِمّا يَدل عَلىٰ ذَلك خِطَاب الْإِمَام الحَسن عليه السلام الَّذي أَلقَاه فِي المَدَائن.

جَاء فِيهِ: أَلاَ وَإِنّ مُعَاويَة دَعَانا لأَمر لَيس فِيهِ عِزّ وَلاَ نِصفه....

(١) أُنظر، أَسرَار الحُكمَاء: ٩٠، أَعيَان الحُكمَاء: ١ / ٦٢١.

(٢) أُنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٥ / ٦٧١، منَاقب آل أَبي طَالب: ٣ / ٢٢٤، أَعيَان الشِّيعَة: ١ / ٥٨١.

(٣) آل عِمْرَان: ١٣٤.

قَالَ العَامِل: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾[١].

قَالَ الحُسَين: عَفوتُ عَنْكَ.

قَالَ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٢] فَأَعْتَقَهُ وَأَعطَاه)[٣].

وَقْفَتَهُ في كَرْبُلاَء، وَحَرْبهُ مَعروفَة عِندَما قَاتَل جيُوش الأُمويِّين.. قُتل أَمَامه ولدَهُ وأَهْل بَيْته وَأَصْحَابه، ولَكنَّه ٱستَمر يقَاتل، وَمِثْلهُ في هَذِه المواقف يُسلّم وَيَسْتَسلم، ولَكنَّه وَقَف أَمَام ثَلاَثين أَلف[٤] كَالجرَاد المُنْتَشر، يَنْهزمُون بِسَيفهِ، وَهُو يَقُول: «لاَ حَوْل وَلاَ قُوّة إلاَّ باللهِ العَليّ العَظِيم»[٥].

وَفِي كَرْبُلاَء... فِي يَوْم عَاشُورَاء... ٱستِشهد كُلّ كَبيرٍ وَصَغيرٍ مَن أَبْنَاء عَليّ... وَٱستُشهد الحُسَين، وَحَمل قَاتِله الرَّأس إِلَىٰ زَوّجَته ـ زَوّجَة القَاتِل، قَائِلاً:

ـ جِئْتُكِ بغَني الدَّهر... هَذَا رَأس الحُسَين مَعَك فِي الدَّار.

فَقَالَت الزَّوجَة:

ـ وَيّحك. جَاء النَّاس بالذَّهب وَالفضّة... وَجِئتَ برَأس ٱبْن بِنْت رَسُول الله. وَالله لاَ يَجْمع رَأسي وَرَأسك بَيْت[٦].

---

(١) آل عِمْرَان: ١٣٤.

(٢) آل عِمْرَان: ١٣٤.

(٣) أُنظر، شُعب الإِيمَان: ٦/٣١٧ ح ٨٣١٧، تَأريخ دِمَشق: ٤١/٣٨٧، الدُّر المَنثُور: ٢/٧٣، مَنَاقب آل أَبي طَالب: ٣/٣٩٦، البِدَايَة وَالنّهايَة: ٩/١٢٥، رَوضَة الوَاعِظِين: ١٩٩، كَشف الغُمّة: ٢/٢٩٨، الإِرشَاد: ٢/١٤٧، الفُصُول المُهمّة فِي مَعرفَة الأَئِمّة لِابْن الصَّباغ المَالكي: ٢/٩١، بتَحقِّيقنَا).

(٤) تَقَدَّمت تَخْرِيجَاته.

(٥) تَقَدَّمت تَخْرِيجَاته.

(٦) أُنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٤/٣٤٨، مَقْتَل الحُسَين لأَبي مَخْنَف: ٢٠٣، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٤/٨٠.

وَلَقد كَانَت حَركَة الحُسَين عَمليَة اَستشهَاد.. كَلّف الأَيَّام ضِدّ طبَاعهَا.

عزَّ عَلَيهِ ـ عَلىٰ الحُسَين ـ النَّصر العَاجل.. وَاَبْتَغىٰ النَّصر الآجل بَعد مَـوته.. ليُحيي بِذَلِكَ قَضيَّة مَخذُولة لَيْسَ لهَا بغَير ذَلِكَ حَيَاة... وَقد رَفَض الحُسَين إلاَّ أَنْ يَصحَبَ أَهْله ليَشهدُوا النَّاس عَلىٰ مَا يَقْتَرفه أَعدَاؤه بمَا لاَ يُبَرّره دِين، وَلاَ وَازع مِن إنْسَانِيَّة، فَلاَ تَضِيع قَضيَّة مَع دَمه المُرَاق فِي الصَّحرَاء.

وإذَاكَان الحُسَين قَد هُزم فِي مَعْرَكَة حَربيَّة أَو خَسَر قَضيَّة سيَّاسيَّة، فَلَم يَعْرف التَّأرِيخ هَزِيمَة كَان لهَا مِن الأَثَر لصَالح المَهزُومِين كمَا كَان لدَم الحُسَـين، فَـقَدْ قَامَت ـ بَعد وَفَاته ـ الثَّوارَات لتَدك عَرش بَني أُمَيَّة.

أمّ العَوَاجِز

وَتَمضي صَفحَات الكِتَاب مَع أَهْل البَيْت لتَنْتَهي عِندَ السَّيِّدَة نَفِيسَة الَّتي لُقّبَت بنَفِيسَة الدَّارَين، وَنَفِيسَة العِـلم، وَنَـفِيسَة المَـصْرِيِّين.. وَأُمّ العَـوَاجـز... وَلأُمّ العَوَاجز حَدِيث آخر.. يَطُول[1].

---

(١) أُنظر، نُور الأَبصَار للشَّـبلنجي: ٢ / ٢٥٩ ـ ٢٧٦، بِـتَحقِّيقنَا، فَـوَات الوَفَـيَّات: ٢ / ٣١٠، وَفَـيّات الأَعيَان: ٢ / ١٦٩، خُطَط المُبَارك: ٥ / ١٣٥، عُمدَة الطَّالب: ٢٤٩، لسَان المِيزَان: ٢ / ٢٠٨، المُجدي فِي أَنْسَاب الطَّالبيين: ١٦، الأَعلاَم للزَّركلي: ٣ / ٦٧، كتَاب الشّهاب للقُضَاعي: ١٣، دُرَر الأَصْدَاف فِي فَضل السَّادَة الأَشرَاف، لعَبد الجوَاد بن خُضر الشَّربِيني، المَآثر النَّفِيسَة فِي مَناقب السَّيِّدة نَفِيسَة، لجمَال الدِّين مُحمد الرُّومي، طَبعَة الحَجَر: ٤٧.

فِي طَرِيق الشَّام

القُرْبَان :

بَعْد أَنْ قُتل الحُسَين وَقَفَت سَيِّدَة الطَّفّ عِند جَسَده الشَّرِيف ، ثُمَّ نَظَرت إِلَىٰ السَّمَاء ، وقَالَت :

« أَللَّهُمَّ تَقَبل منَّا هَذَا القَلِيل مِن القُربَان »[1] ...

مِن أَي مَعْدن هَذِه الرُّوح الَّتي عَرفَت حَقِيقَة الحُسَين وَعَظمَته عِندها وَأَبِيهَا عَليّ ، وَأُمّها فَاطِمَة ، وأَخِيهَا الحَسَن ، وَلَكنّها تعرف أَيضاً عَظَمة الدِّين ، الله وَطَاعَته وَمَرضَاته ؟..

أَجل ، أَنَّها تَعْرف عَظَمَة الحُسَين ، بَل تَرىٰ فِيهِ شَخص جَدّها مُحَمَّد ، وَقَد حَاوَل الأُمويُون القَضَاء عَلَيهِ ، فَقْدم آل الرَّسُول الحُسَين فدِاء لهُ .. وَأَنَّه يُفدىٰ بكُلّ عَظِيم ، وَيُضحي فِي سَبِيله ، حَتَّىٰ بالأَنْبيَاء والأَوْصِيَاء .. فَيحَاة الحُسَين عَظِيمَة وَغَاليَة ، كحَيَاة جَدّه وَأَبِيه ، وَلَكنَّ الدِّين أَغلىٰ وَأَثمَن ، وَقَد حَاول الأُمويُون القَضَاء عَلَيهِ ، فَقْدَّم آل الرَّسُول الحُسَين فدَاء لهُ .

وَتَضَرعت سَيِّدة الطَّفّ إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ أَنْ يَتَقَبل هَذَا القُربَان القَلِيل ، لأَنَّها لاَ

---

(١) « زَيْنَب الكُبرىٰ » للنَّقدي عَن كتَاب « الطِّرَاز المُذهَّب » . (مِنْهُ ﷺ) .
و : ٥٧ و ٩٦ ، الكِبرِيت الأَحمَر : ٢ / ١٣ .

وَأُمّ كُلثُوم[1]، وَعُرف عَنْهَا أَنَّها كَانَت رضوَان الله عَلَيهَا خَير أُمّ صَالحَة فِي رعَايَة زَوّجهَا وَأَولاَدهَا، كمَا عُرفَت عَنْهَا الشَّجَاعَة النَّادرَة وَالجُرأَة العَظِيمَة الَّتي ظَهرَت بَعد مَوقعَة كَرْبُلاَء وَمَوقفهَا مِن يَزِيد.

فَلَقد خَاطَرت السَّيِّدَة زَيْنَب بحيَاتها لمَّا ذَهَب أَخُوها الإِمَام الشَّهيد أَبي عَبدالله الحُسَين إِلَىٰ العِرَاق، وَصَاحِبَته إِلَىٰ تِلْكَ البِلاَد وَٱشْتَغلت بتَضمِيد الجَرحىٰ، وَالسَّهر عَلَيهم، وَإِعَانَة أَهْل مَن قُتل مِن جَيْش أَخِيهَا، وَجَاهدَت فِي سَبِيل الله حَقّ الجِهَاد إِلَىٰ أَنْ ٱستُشهد الحُسَين وَكَثِير مِن أَهْل بَيْته، فَحَزنت، لَكنّها صَبَرت صَبر أَيُوب، وَأَخذَت تُخَاطب الظَّالمِين، وَالقَتَلة الكَافرِين بأَعْنَف وَأَغلَظ الأَقوَال قَائِلَة: مَاذَا تَقُولُون إِذَا قَالَ النَّبيّ لكُم وَطَالبكُم بدَم أَخي الحُسَين؟

ومَاذَا يَكُون الجَوَاب إِذَا سَألكُم جَدّي رَسُول الله عَن رَحمه وَضيَاع حَق آل بَيْت النّبُوّة عَلىٰ يَد يَزِيد قَبّحهُ الله.

وَكَانَت رَضي الله عَنْهَا عَنِيفَة فِي قَولهَا لِابْن زيَاد مِمَّا جَعَل بَعْض الكَافرِين مِن أَصحَاب ٱبْن زيَاد وَالموَالِين ليَزِيد أَنْ يَهْجم عَلىٰ خبَائهَا وَيَقتل الإِمَام عَليّ زَين العَابدِين ٱبْن أَخِيهَا الحُسَين وَالَّذي أَبقىٰ بِهِ الله نَسل النُّبوّة إِلَىٰ يَومنَا هَذَا وحَتَّىٰ قِيَام السَّاعَة، فَصَرخَت فِي وَجْهَه صَرخَة شَدِيدَة قَائِلَة:

وَالله لاَ يُقْتل حَتَّىٰ أُقتَل قَبْلَه... فَأَلقىٰ الله فِي قَلب ذَلِكَ الغَادر الرُّعب، وَسَقط السَّيف مِن يَده وَلَم يَتَعرض لهُما بسُوء وَرَجع خَاسرَاً[2].

بَعد ذَلِكَ رَحَلت وَمَن مَعهَا مِن السَّادَة الأَطْهَار إِلَىٰ الشَّام، وَلمَّا مَثُلَت فِي

---

(١) تَقَدَّمت تَخْرِيجَاته.

(٢) تَقَدَّمت تَخْرِيجَاته.

مَجْلس يَزِيد وَظَهر عَلَيهِ الحِقد وَمَا أَبدَاه مِن الشَّمَاتة وَمَا تَفوّه بِهِ مِن أَلفَاظ، قَالَت لهُ السَّيِّدَة زَيْنَب: صَدَق الله يَا يَزِيد: ﴿ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾[1] أَظَنَنت أَننَا غُلبنَا وَسُقنا كَالأَسَارىٰ هوَاناً مِن الله لَنا، وَأَنتَ جَذل فَرح حِين رَأيت الدُّنْيَا مُستَوثقَة لَك، فَالله أَكبَر وَأَملَك: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[2]

ثُمَّ رَحلَت بَعد ذَلِكَ إِلَىٰ المَدِينَة، ثُمَّ إِلَىٰ القَاهِرَة، إِلَىٰ أَنْ تُوفِّيت سَنَة (٦٢) وَدُفْنَت فِي مَسْجدهَا المَعرُوف[3].

حُسَين البَتْنُوني

(١) ٱلرُّوم: ١٠.

(٢) آل عِمْرَان: ١٧٨. أُنظر، أَخْبَار الزَّينبيَّات: ٨٦، بَلاَغَات النِّسَاء: ٢١، الحَدَائِق الوَردِيّة: ١ / ١٢٩، الإِحتجَاج: ٢ / ٣٧، أَعْلاَم النِّسَاء: ٢ / ٥٠٤، مَقْتَل الحُسَين للخُوَارزمي: ٢ / ٦٤، اللُّهُوف فِي قَتْلَىٰ الطُّفُوف: ٧٩، العَوَالم: ٢٠٥، بحَار الأَنوَار: ٤٥ / ١٦٠.

(٣) تَقدَّمت تَخْرِيجَاته.

كِتَاب للْإِمَام جَعفَر الصَّادِق

فِي أَلف صَفحَة

أَنَّ جَابر بن حَيَّان الَّذي اَعْتَرفت أُوربَا أَنَّ الكِيميَاء هِي صَنعَة جَابر، حَتَّىٰ أَطلقُوا عَلَيهَا اَسم «كَيميَاء جَابر» هَذَا العَبْقَري الَّذي أَسّس عِلم الكِيميَاء وَنَظرِيّاته الحَدِيثَة ينْسَب كُلّ موَاهبه العِلمَّية إِلَىٰ التَّعالِيم المُحَمّديّة، وَلهُ نَظرِيَّة تَربط بَيْنَ الدِّين وَالعِلم، ويَقُول المُسْتَشرق الأُوربي «كَراوس» فِي دَائرَة المَعَارف عَن نَظريَة جَابر بن حَيَّان الَّتي يَربط بهَا بَيْنَ الدِّين وَالعِلم وَحَتميَّة ذَلِكَ فَيقُول: «يَربط جَابر بَيْنَ نَظريّات العِلم الطَّبيعي وَعِلم الأَدْيَان وَيُسمّي أُستَاذه جَعْفَر الصَّادِق مَعْدن الحِكْمَة»...

وَكَان النَّاس فِي بَغدَاد أَيَّام العَبَّاسيِّين يَهرعُون إِلَىٰ جَعْفَر الصَّادِق ليَتَفقهُوا فِي الدِّين وَفِي عُلُوم الْإِسلاَم... وَكَان جَابر بن حَيَّان يَنْسب كُلّ مَعَارفه فِي عِلم الكِيميَاء إِلَىٰ الْإِلهام المُحَمّدي، فَيقُول عَن ذَلِكَ وَهُو يَتَحدّث عَن كُتُبه العِلميَّة:

«تَأخذ مِن كُتبي عِلم النَّبيّ وَعَليّ... وَسَيّدي «جَعْفَر الصَّادِق» وَمَا بَيْنَهُم مِن أَوْلاَد»...

وَجَعْفَر الصَّادِق حَفِيد رَسُول الله كَان مِن عُلمَاء الكِيميَاء، وَلَهُ كتَاب فِي هَذَا العِلم يَقع فِي أَلف صَفْحَة كمَا تَقُول دَائرَة المَعَارف.

أي أَنَّ جَابر بن حَيَّان عَبْقري الكِيميَاء فِي التَّأرِيخ البَشري كُلّه وَالَّذي أَسقَط نَظريَّة « أرسطُو » فِي تَكوِين « الفِلزّات » ، يَنسب هَذَا العِلم الخَطِير إِلَىٰ الْإِلهَام المُحَمّدي . .

وَهُو يَرىٰ أَنَّ مَزج عُلُوم الدِّين بعُلُوم الدُّنْيَا يَجْعَل الْإِنْسَان مُتوَحداً فِي مَسِيرَته الكَونيَّة . . . وَلاَ مَفرّ مِن ذَلِكَ ، لأَنَّ العِلم فِي يَد الجُهّال ، كمَا يَقُول جَابر بن حَيَّان ، فِيهِ خَرَاب العَالم . . . وَالجُهّال هُم الكَفْرَة ! ! .

وَرُوح الحَضَارَة الْإِسلاَميَّة تَتَبلوَر فِي شعَار الأَمل أَمَام البَاحث فِي العُلُوم .

وَجَابر بن حَيَّان يَنْصح تَلاَمِيذَه وَهُم مِن العُلَمَاء أَيْضاً بأَنَّ الأَمل هُو طَرِيق العِلم . . . وَكَان يُرَدّد هَذِه الْآيَة :

﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[1] .

وكَان جَابر بن حَيَّان يَعْتَقد أَنَّ الوَحي مُسْتَمر بَعد رَسُول الله ، لَكن فِي الخَفَاء ، وَيَأتي هَذَا الوَحي بالعُلُوم إِلَىٰ الأَئِمَّة ، ومِنْهُم إِلَىٰ الرَّعيَّة .

عَليّ الدَّالي

---

(١) يُوسُف : ٨٧.

مَعْنَىٰ الْإِحْتفَال بمَوْلِد السَّيِّدَة

المِثَال لعَظَمَة الفِدَاء وَسِيَّادَة الحُبّ

وَالدَّاعِيَة إِلَىٰ... وحدَة الصُّفُوف[1]

تَحْتَفل مَصْر الآن بمَولد السَّيِّدَة الطَّاهرة زَيْنَب ٱبْـنَة الْإِمَـام عَـليّ رَضـي الله عَنْهُما، وَحَفِيدَة النَّبيّ ﷺ مِن ٱبْنَته فَاطِمَة الزَّهرَاء... أَنَّ مِئَات الْأُلُوف مِن النَّاس يَفدُون إِلَىٰ الحَي الزَّينبي للمُشَاركَة فِي هَذَا الْإِحْتفَال. يَقُودهُم إِلَـيهِ حُبّ النَّـبيّ وَعِترَته... فَالسَّيِّدة زَيْنَب بضعَة مِنْهُ وَعِطر مِن سِيرَته وَقَبس مِن نُـوره... وَهُـم يَعلمُون جَمِيعَاً أَنَّ الأَحْجَار، وَالأَعْتَاب، وَالأَضْرحَـة لاَ تَـنْفع أَحـداً وَلاَ تُـعطي شَيئَاً... وَلَكنّهم يَعُودُون جَمِيعَاً وَمَعهُم فَضل مِن دُعَاء صَالح وَقَبضَة مِن أَثَر دَعوَة النَّبيّ البَاقيَة الخَالدَة.. إِلَىٰ الحُبّ وَلَيْسَ إِلَىٰ البُغض.. وإِلَىٰ السَّلاَم وَلَـيْسَ إِلَـىٰ الخصَام... وإِلَىٰ الوحدَة وَلَيْسَ إِلَىٰ الفُرقَة... دَعوَتهُ إِلَىٰ طَهَارَة القَلب... وَأَمَانَة الْإِيمَان... وَسمَاحَة الْإِسلاَم...

كَانَت أُسرَة الرَّسُول فِي مَكّة ـ قَبْلَ بِعثَته ﷺ ـ جَدِيرَة بأَنْ تُطوقهَا السَّـعَادَة،

---

(١) أنظر، جَرِيدَة الأَخْبَار المَصْرِيَّة: (٢٥ / ٧ / ١٩٧٢م). (مِنْهُ ﷺ).

وَأَنْ تُرَفرف عَلَيهَا السَّكينَة ، وَأَنْ تَتجَافاهَا الهمُوم ، وَأَنْ يَتطَامن لهَا الزَّمن ، فَقَدْ كَان الزَّوجَان صَالحَين ، قَد غَنيَا بتجَارة رَابحَة ، وَهُما يَتفيَآن ظِلاَل بَيْت الله ، وَيَحلّان مِن قُرَيْش سَدَنة البَيْت فِي أَرْفَع مَحل... وَمَكّة حَافلَة بكُلّ عَجِيب مِن السِّلع وَالرَّفَاهَات ، وَالأَخبَار...

وَلَكنَّ الله الَّذي رَزق مُحَمَّداً وخَدِيجَة طِفلَيهمَا القَاسم وَعَبدالله يَستَردهُما إِلَيهِ فِي سِنّي الطّفُولة ، بَعد أَنْ مَلأَ البَيْت سُرُوراً وَحُبُوراً ، فِي مُجْتَمع كَان الفتيَان فِيهِ يَشغلُون مَكَان الطَّلاَئع ، فَمَاذَا كَان يَعْني ذَلِكَ بِالنِّسبَة للزَّوجَين السَّعِيدَين المُتوَافقَين ؟... مَاذَا كَان يَعْني أَنْ يَذْهَب الأَبْنَاء دَائِماً - حَتَّىٰ فِيمَا بَعد عِندَما جَاء مَع الشَّبِيه إِبْرَاهِيم - وَأَنْ يَبقىٰ البَنَات الوَدِيعَات البَارّات ؟.

أَلَيْسَ هَذَا السُّؤَال مِمَّا يَرد بالبَال.. تَرىٰ لَو أَنَّ الله كَان قَد أَطَال فِي أَعمَار القَاسم ، وإِبْرَاهِيم حَتَّىٰ غَدَوا «رِجَالاً» يُشَاركُون بَعد أَبِيهم فِي السَّعي ، وَفِي الرَّأي ، وَفي الجِهَاد عَن الدِّين والجَمَاعَة ، أَمَا كَان تَأرِيخ المُسْلِمين فِي أَهَم مُنْعطفَاته قَد تَغيير إِلَىٰ قُرُون طَويلَة ؟.

سُؤَال هَل سَأَله أَحد ؟... وَهَل أَجَاب عَنْهُ أَحد ؟... وَهَل وَصَل إِلَىٰ حِكْمَته أَحد ؟. وإِذَا كُنَّا نَسأَله لأَنْفسنَا اليَوْم - تَفْكِيراً بِصَوت مَسمُوع - وَنَحْنُ نَكْتُب بمُنَاسبَة مَولد السَّيِّدَة الطَّاهرة المُطَهّرَة «زَيْنَب» إِحدىٰ شَهيرَات أَسبَاط الرَّسُول... أَفلاَ يَقُودنا هَذَا إِلَىٰ تَلمس الحِكمَة - إِنْ إِستَطعنَا - فِي أَنْ تَكُون سِبطيَة أَسبَاط الرَّسُول - عَلَىٰ غَير المَألُوف - مِن طَرِيق بنَاته ، وَلَيْسَ مِن طَرِيق أَبْنَائه ؟..

أَلَم يَكُن هَذَا بِنَفسهِ مَطْعَناً لبَعض المُشْرِكين عَلَيهِ ، وَلبَعض المُستَشرقِين وَالحَاقدِين أَيضَاً ؟... فَلمَاذا لاَ يَكُون ذَلِكَ لحِكمَة ، وَكَرَامَة ، وَرَحمَة أَرَادهَا الله

لنَبِّيه وَللمُؤمِنِين... وَعَلينَا أَنْ نَعرفهَا جَمِيعاً؟.

حَقّاً، فِي كُتب السِّيرَة أَنَّ النَّبيّ ﷺ آشتَاق للوَلد، كَمَا أَنّه أَدرَك لذَعَة الثّكل الَّتي تُعَانيهَا زَوّجَته الأَثِيرة إِلَيهِ رَضي الله عَنْهَا. وكَان زَيد بن حَارثَة قَد عَرَض للبَيع رَقِيقاً فِي مَكّة ثَمرَة مِن ثمَار حرُوب العَرب المُسْتَمرة، فَطَلب إِلَىٰ السَّيِّدَة خَدِيجَة أَنْ تَبتَاعه، فَلَمَّا فَعَلت أَعْتَقه وَتبنّاه، وَأَصبَح يُعرف بَعد ذَلِكَ بأَنّه زَيد بن مُحَمَّد... لقَد أَصبَح زَيد أَخاً بالتَّبني لكُلّ مِن زَيْنَب، وَرُقيَّة، وَأُمّ كُلثُوم، وَفَاطِمَة رَضي الله عَنْهُنَّ.

وَكَانَت البِعْثَة... وَقَام الرَّسُول بِالدَّعوَة... قَام يَدعو قَومه.. ثُمَّ يَدعو قَومَه وَكُلّ العَرب... ثُمَّ يَدعو قَومه وَكُلّ النَّاس... وَظَهر مِن المُشْرِكِين مَن يُعَيّرهُ بأَنَّه «الأَبْتَر» الَّذي سَيَنقَطع ذِكرَه بَيْنَ النَّاس لأَنَّهُ لاَ وَلَد لهُ... وَهُنا تَظهر أَوَّل الأَضوَاء عَلىٰ الحِكمَة الَّتي نبحث عَنْهَا.. تظهر في قول الله ردا عَلىٰ المشرك وتأمينا للنبي: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾[1]..

إِنَّ الإِنْقَطاع إِذَن هُو الكُفْر وَلَقد وَهَب الله نَبّيه «ٱلْكَوْثَر».. أَي وَهَبهُ كَثْرَة الذَّاكِرين لسِيرَته، وَالسَّائِرين بذِكرَه وَالمُصلّين عَلَيهِ فِي صَلاَة كُلّ يَوْم مِن

(١) ٱلْكَوْثَر: ١ ـ ٣. وَقَدْ آتّفق المُفسرُون عَلىٰ أَنَّ العَاص قَالَ: أَنّي لأَشنَأ مُحَمَّد الأَبْتَر، فَأَنزل الله فِيهِ، كَان عَمْرُو بن العَاص مِنْ الَّذِين عَادوا النَّبيّ وَآذوه، وَكَاودا لهُ وَكَذبُوه: وَقَاتَله مَع جيُوش الشِّرك، وَهَجَاه بِسَبعِين بَيْتاً مِنْ الشِّعر، فَقَال رَسُول الله: «أَللَّهُمَّ إِنّي لاَ أَقول الشِّعر، وَلاَ يَنْبَغي لِي، أَللَّهُمَّ إِلعَنه بِكُلّ حَرفٍ أَلف لعْنَة، فكَان عَلَيه مِنْ الله مَا لاَ يُحصىٰ مِنْ اللَّعنَات». أُنظر، شَرح النَّهج لِابن أَبي الحَدِيد: ٦ / ٢٩١، شَرح الحُمَيدي: ٢ / ١٠١ ـ ١٠٤، جوَاهر المطَالِب فِي مَنَاقب الإِمَام عَليّ لِابن الدِّمَشقي: ٢ / ٢٢٣.

المُؤمِنين... أَبَد الآبدِين وَدَهر الدَّاهرِين[1].

وَهُنا يَظْهر أَيْضاً مَعْنىٰ تَبَني الرَّسُول الكَرِيم لزَيد بَعد عِتْقه.. يَظهَر مَعْنىٰ البَدِيل الَّذي ٱتّخذَه عَن وَلَديه مِن ظَهره... لَقد جَاء مُحمَّد ﷺ ليُعتق وَيُحرّر جَمِيع المُؤمِنين بالإيمَان ـ كمَا عَتَق زَيداً... ثُمَّ يَكُون بحَقّه عَلَيهم أَباً كَرِيماً، وَرَسُولاً رَحِيماً، وَأُسرَة حَسَنة.. مَا قَامَت الدَّعوَة إِلَىٰ الله والإِسلاَم عَلىٰ أَرْض البَشر.

وَهُنا تَظْهر حِكمَة الله للمَرّة الثَّالِثَة عِندَمَا وُلِد إِبْرَاهِيم بالمَدِينَة، وَعِندمَا مَات وَٱشتَدّ حُزن الرَّسُول عَلَيهِ... وَكَان أَسبَاطه ﷺ مِن أَحّب بنَاته إِلَيهِ وَأَشدّهم حُزنَاً عَلَيهِ فَاطِمَة الزَّهرَاء، هُم أَبنَاؤها مِن الإِمَام عَليّ عليه السلام: الحَسَن، والحُسَين، وَمُحسن، وزَيْنَب، وَأُمّ كُلثُوم.

قَالَ ٱبْن إِسحق فِي السِّيرَة: «كَان رَسُول الله ﷺ لاَ يَسمع شَيْئاً يَكْرَهه، مِن رَدّ عَلَيهِ، وَتَكذِيب لهُ، فَيحزنه ذَلِكَ، إِلاَّ فَرّج الله عَنْهُ بخَدِيجَة رَضي الله عَنْهَا، إِذَا رَجع إِلَيهَا تُثَبتهُ وَتُخفف عَنْهُ، وَتُصدّقه وَتُهون عَلَيهِ أَمر النَّاس، حَتَّىٰ مَاتَت رَضي الله عَنْهَا»[2].

عَلىٰ هَذَا السَّمت مِن البِر، وَتَفرِيج الأَحْزَان، وَالتَّثبِيت وَالتَّخفِيف، فِي الدَّعوَة إِلَىٰ الله، والجِهَاد فِي سَبِيل الله كَانَت بنَات الرَّسُول صَلوَات الله وَسَلاَمه عَلَيهِ، وَبنَات السَّيِّدَة خَدِيجَة رَضي الله عَنْهَا... وكَان أَسبَاطه وَأَسبَاطها مِنهُنَّ.. وَكَانَت السَّيِّدَة زَيْنَب رَضي الله عَنْهَا...

---

(١) أُنظر، صَحِيح البُخَاري: ٧ / ٢٠٧، المُستَدرَك عَلىٰ الصَّحِيحَين: ٢ / ٥٣٧، تُحفَة الأَحوذي: ٩ / ٢٠٥، تَفْسِير ٱبن كَثِير: ٤ / ٥٩٦، تَفسِير مُجَاهد: ٢ / ٧٩٠، زَاد المَسِير: ٨ / ٣٢٠، تَفسِير الثَّعَالبي: ٥ / ٦٣٢، الكَوَاكِب النّيرَات لِابن كيَال الشَّافعي: ٧٣.

(٢) أُنظر، سِيرَة ٱبن إِسْحٰق: ٦٩. (مِنْهُ رحمه الله).

وكَان حَظّ السَّيِّدة زَيْنَب أَنْ تَكُون المُكرسّة لموَاسَاة أَخِيهَا الإِمَام الحُسَين، وَأَنْ تَمضي مَعَهُ عَلىٰ طَرِيق مَأسَاته إِلَىٰ آخرهَا، تُثَبّته وَتُخَفف عَنْهُ، وَتُبدي لَهُ الرَّأي، وَتَتبَعهُ إِلَىٰ مَا يُرِيد، فَلَمَّا كَان اَستْشهَاده وَقَفَت كَالقصَّاص العَادل مِن قَاتلِيه، وَمِمَّن غرّرُوا بِهِ.. ثُمَّ تَبعَت رَأسه الطَّاهر إِلَىٰ دِمَشق تَدفَع عَن ذِكرَه وَتُبين عَن حَقّه، وَتَطلب حُكم الله بَيْنَهُ وبَيْنَ مَن أَصَابُوه، وَبَغوا عَلَيهِ.

وَلمَّا أَوَت إِلَىٰ المَدِينَة لَمْ تَنْثَن عَن ذِكرَه حَتَّىٰ ضَجرُوا بهَا، وَضَجرَت بِهم.. وَطَلبوا إِلَيهَا أَنْ تَختَار غَير المَدِينَة مَنْزلاً.. وَجَاءهَا نِسَاء مَن بَني هَاشِم وَعَلىٰ رَأسهنَّ اَبْنَة عَمّها «زَيْنَب بِنْت عَقِيل» الّتي قَالَت لهَا مُشفقَة عَلَيهَا: «يَا اَبْنَة عَمّي قَد صَدَقنَا الله وَعدَه، وأَورَثنَا الأَرْض نَتَبَوأ مِنْهَا حَيث نَشَاء، وَسَيجيزي الله الشَّاكرِين.. إرحَلي إِلَىٰ بَلدٍ آمِن»[1].

(١) أُنظر، وَفيَّات الأَئِمَة: ٤٦٨.

خِلافَة النَّبيّ ﷺ لِمَن بَات عَلىٰ فِرَاشه

لَيْلَة الهِجْرَة

ٱلتزَمتُ فِي « التَّفسِير الكَاشِف » بمَا يَدل عَلَيهِ ظَـاهر الآيَـة مِـن مَـعْنىٰ مَـع التَّركِيز، وَالوضُوح، وَالإِيجَاز، وَإِزَاحَة كُلّ شُبهَة يُمكن أَنْ تَمر بـالخَاطر حَـول الآيَة وَدلاَلتهَا.. هَذَا فِي غير الآيَات الَّتي نَزلَت فِي فَضْل أَهْل البَيْت عليهم السلام، حَيثُ تَركتُ الحَدِيث عَنْهَا لعُلمَاء السُّنَّة وَالمُفسرِين مِنْهُم، ٱتّقَاء للتُّهمَة وَسُـوء الظَّـن، فَوَجَدتُ فِي تَفَاسِيرهِم وَمَا نَقْلوه مِن أَحَادِيث الرَّسُول ﷺ فِي أَهْل بَيْته ـ مَا عِندَ الشِّيعَة وَزِيَادَة... حَتَّىٰ إِسلاَم أَبي طَالِب الَّذي قَالَ عَنْهِ السَّيِّد قُطب فِي « ظِلاَله » مَا قَالَ عَلىٰ عَكْس مَا صَرّح بِهِ صَاحِب رُوح البَيَان عِندَ تَفْسِير الآيَة (٥٤) مِـن سُورَة يُوسُف: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾. وَقَالَ: « لقَد آسىٰ أَبُو طَالِب رَسُول الله ﷺ وَذَبّ عَنْهُ مَا دَام حَيّاً، فَالأَصَحّ أَنّه مِن الَّذِين هَدَاهُم الله للإِيمَان كمَا سَبق فِي المُجلَّد الأَوّل ».

وَحَذَف المُتعصبُون الَّذِين فِي قُلوبِهم مَرض الكَثِير مِمَّا يَتّصل بـفَضَائِل أَهْـل البَيْت الَّتي كَانَت ثَابتَة فَي الطَّبعَة الأُولَىٰ مِن كُتب التَّفسِير والحَدِيث عِندَ السُّنَّة، بخَاصّة الأَحَادِيث الصَّرِيحَة الوَاضحَة الَّتي لاَ تَقْبل التَّأوِيل بحَال كحَدِيث: « هَذَا

أَخي وَوَصيِيّ وَخَلِيفَتي فِيكُم، فَاْسمعُوا لهُ، وَأَطِيعُوا»[١] .... وَلَكن السَّيِّد الفَاضل مُرتَضىٰ الحُسَيني الفَيرُوز آبَادي تَتبع الطَّبعَات الأُولَىٰ لكُتب التَّفسِير وَالأَحَادِيث عِندَ السُّنَّة، وَنَقل عَنْهَا كُلّ مَا يَتّصل بأَهل البَيْت، وَذَكَر رَقم الجُزء وَالصَّفحَة، وتَأرِيخ الطَّبع فِي كتَابه القَيّم.وَالوَحِيد فِي بَابِهِ الَّذي أَسمَاه «فَضَائِل الخَمْسَة مِن الصِّحَاح السِّتة» فِي ثَلاَثَة أَجزَاء تَبلغ حوَالي (١٣٠٠) صَفْحَة.

وَ«فِي ظِلاَل نَهج البَلاَغَة» سَلَكتُ نَفْس الطَّرِيق الَّتي اْلتَزمتها بـالتَّفسِير الكَاشف مِن الأَخد بظَاهر اللَّفظ مَع التَّركِيز وَالوضُوح وَالإِيجَاز، وَفِيمَا يَعُود إِلَىٰ فَضَائِل أَهْل البَيْت نَقَلتُ عَن كُبّار عُلمَاء السُّنَّة وَأُدبَائهُم كَالبُخَاري، ومُسْلِم، واْبن حَنْبَل مِن القُدَامىٰ، وَطَه حُسَين، وَعَبدالرَّحمن الشَّرقَاوي، وَأَحمَد عَبَّاس صَالح، وَعَبدالكَرِيم مِن الجُدّد... ومَرّة ثَانيَة أُشِير إِلَىٰ أَنّي وَجَدتُ فِي هَذِه الأَقوَال مَا عِندَ الشِّيعَة وَزيَادَة.. حَتّىٰ القَوْل: أَنَّ مَا حَدَث لأَهْل البَيْت فِي كَرْبُلاَء

(١) ذَكَر هَذَا الحَدِيث مُحَمَّد حُسَين هَيكل فِي كتَاب «حيَاة مُحَمَّد» طَبْعَة أُولىٰ. ثُمَّ حَذَفه فِي الثَّانيَة لقَاء (٥٠٠) جُنَية، وَدَلِيلنا المُقَابلة بيْنَ الطَّبعتَين. أُنظر، التَّعلِيق: ١٤٤ مِنْ «أَعيَان الشِّيعَة» ١ / قِسم ١ طَبْعَة عَام (١٩٦٠م). أُنظر، مُسنَد أَحْمَد بن حَنبل: ٤ / ٢٨١، الصَّواعق لِاْبن حَجر: ٢٦، التَّمهِيد فِي أُصول الدّين لأَبِي بَكْر البَاقلاَني: ١٧١، الرِّياض النَّضرة لُمحبّ الدِّين الطَّبري: ٢ / ١٦٩، حيَاة عَليّ اْبن أَبِي طَالب للشّنقيطي: ٢٨، المِلل وَالنِّحل المَطبُوع بهَامش الفَصْل فِي المِلل وَالأَهوَاء وَالنِّحل لِاْبن حَزم الظَّاهري: ١ / ٢٢٠، المنَاقب للخوَارزمي: ٩٤، التَّفسير الكَبِير لفَخر الدِّين الرَّازي: ٣ / ٦٣٦ النِّهَاية لِاْبن الأَثِير: ٤ / ٢٤٦، كفَاية الطَّالب للحَافظ الكَنجي: ١٦، التَّذكرة لِاْبن الجَوري: ١٨، فرَائِد السِّمْطَين للجُويني البَاب الثَّالث عَشر، مشكَاة المصَابِيح: ٥٥٧.
وأُنظر، البدَاية وَالنِّهاية لِاْبن كثير الشَّافعي: ٥ / ٢٠٩، خُطَط المَقريزي: ٢ / ٢٢٣، كَنز العُمَّال: ٦ / ٣٩٧، وفَاء الوَفَا بأَخبَار دَار المُصطَفىٰ للسَّمهُودي الشَّافعِي: ٢ / ١٧٣، الموَاهب اللّدنِية لشَهاب الدّين القَسطلاني: ٢ / ١٣.

وَغيرهَا إِنّما هُو للثّأر مِن رَسُول الله ﷺ بأَهل بَيْته، أَمَّا الزِّيَادَة فَاقرَأها فِيمَا يَلي لعَبد الكَرِيم الخَطِيب، وَهُو يَتحدّث وَيُحَلل مَبِيت الإِمَام فِي فِرَاش النَّبيّ لَيْلَة الهِجْرَة... وَإِنْ دَلّ هَذَا عَلىٰ شَيء فَإِنّه يَدل عَلىٰ أَنَّ الشِّيعَة وَالسُّنَّة يَنْهلُون مِن نبع وَاحد، «مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْثُ السَّرَائِرِ، وَسُوءُ الضَّمَائِرِ»[1]. كمَا قَالَ الإِمَام عَليّ عليه السلام.

وَقَالَ فِي خُطْبَة أُخرىٰ: «أَنَا وَضَعْتُ فِي الصِّغَرِ بِكَلاَكِلِ الْعَرَبِ، وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ. وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَىٰ صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ. وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيه، وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ، وَلاَ خَطْلَةً فِي فِعْلٍ، وَلَقَدْ قَرَنَ اللهُ بِهِ ـ ﷺ ـ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلاَئِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنَ أَخْلاَقِ الْعَالَمِ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ»[2]. وَكَتَبُ فِي شَرْح هَذِه الجُملَة فِيمَا كَتَبتُ، وَنَقلتُ عَن أُدبَاء السُّنَّة مَا يَلي:

رَافق عَليّ النَّبيّ ﷺ فِي مرَاحلِهِ كُلّها، وَسَبق النَّاس إِلَىٰ الإِيمَان بدَعوَته، وَالتَّمسك بعُروَته، وَدَافع عَنْهُ وعَنْها بنَفْسه لاَ يَرجُو إِلاَّ رضَا الله وَمودّة الرَّسُول، بَل كَان عَليّ يَبث الدَّعوَة لمُحمّد ﷺ قَبْلَ البِعْثَة، وَيُحدّث الغلمَان مِن أَترَابهِ عَن خلق مُحمَّد وَعظَمته، قَالَ الأُستَاذ عَبدالرَّحمن الشَّرقَاوي فِي كتَاب «مُحمَّد رَسُول الحرّيّة»: «كَان عَليّ، وَهُو فِي الثّامِنَة يُحَدّث الغِلْمَان فِي مِثل سِنهِ اَبن

(١) أُنظر، نَهج البَلاَغَة: الخُطْبَة (١١٣).

(٢) أُنظر، نَهج البَلاَغَة: الخُطْبَة (١٩٢).

عَمّه، ويَقُول: إنّ مُحَمّداً ألغىٰ فِي بيْتِهِ كَلِمَة العَبِيد والجَوَارِيَ، وأَحَـلَّ مكَـانَهُما كَلِمَة فَتَايَ، وفَتَاتِي، وهُو يَصْبر عَلىٰ الخَدَم، فمَا يَقُول لِواحدٍ مِنْهُم «أُفٍ» مَهمَا يُخطىء»[١].

وكَان عُتَاة قُرَيْش يَغْرُون الصِّبيَان بِرَسُول الله ﷺ فيَصحب مَعهُ عَلِيّاً يُذبهُم عَنْهُ. ومِن جِهَاده فِي الْمَرْحَلَة الأُولَىٰ مَبِيتَه عَلىٰ فِرَاش رَسُول الله لَيْلَة الْهِجْرَة. وهُنا أَدع الحَدِيث لِغَيْرِي لمَوَاضع التُّهَم.. فَقَد نَشَرت جَرِيدَة الأَخْبَار المِصْرية، كَلِمَة بِعنوَان «مُشَاهدَات فِدَائِية فِي تَأرِيخ الإِسْلاَم» جَاء فِيهَا:

«إنّ تَأرِيخ الإِسْلاَم حَافل بِضرُوبٍ بَاسِلَة مِن أمثِلَة الفِدَائِية النَّبِيلَة... وأظهَر مِن نَعرف مِن فِدَائِيي العَصر النَّبوّي عَليّ بن أبِي طَالب، ومَوَاقفهِ الفِدَائِيَة أَكْثَر مِن أنْ تُحصر، لعَل أوّلها فِي تَأرِيخ الدَّعْوَة مَبِيتَه لَيْلَة الْهِجْرَة عَلىٰ فِرَاش ٱبن عَمّه مُتوَقِعاً مَا سَيُحِيق بِهِ مِن الْمَوْت المُبَاغت إذْ أحَاط بِهِ الأَعْدَاء مِن كلّ صُوب، فهَانَت عَلَيْهِ نَفْسَه وَرَاء مَا يَنْشُد مِن تَفدِيَة صَاحِب الدَّعْوَة، ومَكَث ٱللَّيْل الطَّوِيل يَنْتَظر مَا بَيْنَ لحَظَة وأُخرىٰ، وقَد بَرَقت الأَسِنَّة، ولَمَعَت السّيُوف... إنّ مُخَاطَرَات عَليّ الفِدَائِيَة تَغلغَلت فِي أعْمَاقه حَتَّىٰ غَدت إحدىٰ وَسَائِل النَّصر فِي بطُولاَته، وحَسبُك أنْ تَعْلَم إنّه فِي طَلِيعَة الْمُتَقَدمِين فِي مِيدَان المُبَارزَة الْحَرْبِيَة، وإنّه بَطل الإِسْلاَم»[٢].

أمّا الكَاتِب الإِسْلاَمِي المِصْري الأُستَاذ عَبد الكَرِيم الخَطِيب فقَد ٱستوحىٰ مِن المَبِيت مَعْنَىً دَقِيقَاً مَا سَبَقهُ إِلَيْهِ عَالِم وبَاحِث، قَال:

---

(١) أنظر، كِتَابَه «مُحَمّد رَسُول الْحُرِّيَّة»: ٦٥، الطَّبعَة الأُولَىٰ. (مِنْه ﷺ).

(٢) أُنظر، تَأرِيخ نَشر المقَال فِي الجَرِيدَة: ٨ـ ١٢ ـ ١٩٦٧م. (مِنْهُ ﷺ).

« هَذَا الَّذي كَان مِن عَليّ فِي لَيْلَة الْهِجْرَة .... لَمْ يَكُن أَمْرَاً عَارِضَاً ، بل هُو عَن حِكْمَة لهَا آثَارها ومُعقبَاتها فَلنَا أنْ نَسأل : أَكَانَ لإِلْبَاس الرَّسُول ﷺ شَخْصِيَة لِعَليّ أَكْثَر مِن جَامِعَة القَرَابَة القَرِيبَة بَيْنهُما ؟ . وهَل لنَا أنْ نَسْتَشف مِن ذَلِكَ ـ أي مِن أنّ الرَّسُول أَلبَس شَخْصِيَتَه لِعَليّ أَنّه إذَا غَاب شَخص الرَّسُول كَان عَليّ هُو الشَّخْصِيَة المُهيَأة لأنّ يَخلفَه ، ويُمثل شَخْصِيتَه ، ويَقُوم مقَامَه ؟ . .

وأَحْسَب أننَا لَمْ نَتعَسف كَثِيراً حِين نَظرنَا إلىٰ عَليّ ، وهُو فِي بُرد الرَّسُول ، وفِي مَثوىٰ مَنَامَه الَّذي ٱعْتَاد أنْ يَنَام فيهِ ـ فقُلنَا : هَذَا خَلَف الرَّسُول والقَائِم مقَامَه »[1] .

وبحَقٍّ قَال الأُستَاذ الخَطِيب : إنّ شِيعَة عَليّ لاَ يُقيمُون شَاهِداً مِن هَذِه ٱلْوَاقِعَة يَشهد لِعَليّ أنّه أَوْلَىٰ بِرَسُول الله عَلىٰ حِين نَرَاهُم يَتعَلقُون بكلِّ شَيء يرفَع عَلِيّاً إِلىٰ تِلكَ الْمَنْزِلة أي ٱلْخِلاَفَة .

وَلِي أنْ أُجَيب عَن الشِّيعَةِ : بأنّهُم لاَ يَسْتَدلُون بِشيء عَلىٰ خِلاَفَة إمَامهم إلاّ بِأَقْوَال السُّنّة ، وعَلىٰ هَذَا جَرت عَادَتهم مُنذُ القَدِيم تَجنُباً لموَاطن الْتُّهم ... ومَا رَأوا أَحَداً قَبل الأُستاذ الخَطِيب ٱستَدل بِهَذه ٱلْوَاقِعَة عَلىٰ أَوّلِيَة عَليّ بِالْخِلاَفَة ، ولمّا أَنْطَقه الله بِهِ أَخَذُوهُ عَنْه ، كمَا فَعَلت أنَا . ثُمّ قَال الخَطِيب الكَرِيم :

« إنّ عَلِيّاً خَدَع قُرَيْشاً بِمَبِيتَه عَلىٰ فِرَاش رَسُول الله ، ومَكَر بِهَا عَن مُحَمّدٍ حَتّىٰ أُفلِت مِن بَيْنَ أَيدِيها ، وسَلِمَ مِن الْقَتْل ، وقَد صَفعهَا عَليّ بِفعلَتِه هَذِه صَفعَة مُذلّة مُهِينَة ، فأضْمَرت قُرَيْش لِعَليّ السُّوء ، وأرْهَقَته وتَجَنَت عَلَيْهِ بَعد أنْ دَخَلْت الْإِسْلاَم ... إنّ هَذَا الَّذي كَان مِن عَليّ لَيْلَة الْهِجْرَة فِي تَحدِيه لقُرَيْش ، هَذَا التَّحَدي

(١) أُنظر ، كِتَابه « عَليّ بن أَبِي طَالب بَقِيَة النُّبوَّة ، وخَاتَم ٱلخِلاَفَة : ١٠٥ ، ومَا بَعدَها طَبعَة سَنَة ١٩٦٧م . (مِنْهُ ﷺ) .

السَّافر، وفِي ٱسْتخْفَافه بِهَا، إنّ ذَلِكَ لاَ تَنسَاه قُرَيْش لِعَليّ أَبداً، ولَوْلاَ أَنَّهَا وَجدَت فِي قَتل عليّ يَوْمَئِذٍ إثَارة فِتْنَةٌ تُمزِق وحدَتها لِشَفت مَا بِـصدرِها مِـنْهُ، ولَكِـنَّها تَركَته، وٱنْتَظرت الأَيَّام لتُسوِي حِسَابها مَعَه... وَلَحِقّ النَّبيّ بِـالرَّفِيق الأعـلىٰ، وتَرَك عَلِيّاً وَرَاءه بِالأَحْدَاث، ويُكَابد الشَّدَائِد حَتّىٰ يَلحَق بِالرَّسُول... ألّا يَبدُو لنَا مِن هَذِه الموَافقَات مَا نَسْتَشف مِنْهُ أنّ لِعَليّ شَأنَاً فِي رِسَالَة الرَّسُول، ودُوراً فِي دَعْوَة الإِسْلاَم لَيْسَ لأحَد غَيْره مِن صحَابَة الرَّسُول».

وبَعْد، فإنّ الأُستَاذ عَبد الكَرِيم الخَطِيب لاَ يَمُتُ إِلىٰ الشِّيعَة بِأُمٍّ ولاَ أَبٍ، ولاَ بِتَربِيَة وبِيئَة، وإنّما نَطَق بوَحيٍ مِن ضَمِيرَه ودرَاسَته مُجرداً عَن كلِّ غَايَة، فٱلتَقىٰ مَع شِيعَة عَليّ مِن حَيْث لا يُرِيد... ثُمّ تَنَبَّه للعُوَاقِب، وخَاف مِن تُـهمَة التَّشـيع، وثُورَة المُتَعَصِّبين مِن الشّيُوخ، فٱتقَاهُم بقَوْله: «وَبَعد فهَذه خَطرَات لاَ نَـحسبها عَلىٰ تِلكَ القَضِيَّة، ولاَ نَأخذ بِها فِيهَا». ولكن أُسلُوبك فِي التَّعبِير ـ أيُّها الأُسـتَاذ الكَرِيم ـ يَنُم عَن شعُور قَلْبك وإِيمَانه، لاَ عَن خَطرَات خَيَالك ووسَاوسه، إنّ هَذِه الخَطرَات والوَسَاوس تَتَجلىٰ فِي ٱعتذَارك بِقُولك «لا نَأخذ بِـها فِـيها» إنّ هـذَا الأُسلوب إنْ دَلَّ عَلىٰ شَيء فإِنَّه يَدلُّ عَلىٰ الشَّك والحَيرَة والاِرْتبَاك. وعَلىٰ أيّـة حَال فأنْتَ مَعذُور لقَوْله تَعَالىٰ: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾[1].

قَدَّمنَا أنّ الدَّعْوَة الإِسْلاَمِية مَرّت بِثلاَث مَرَاحل أسَاسِية:

الأُولَىٰ: مُجرَد الإِيمَان والإِعْلاَن مَع الثَّبَات والصَّبر عَلىٰ الأَذَىٰ.

وَالثَّانِيَة: رَدع العُدْوَان.

---

(١) آلِ عِمْرَان: ٢٨.

وَالثَّالِثة : الهجُوم الرّادع ، وأشرنَا إلىٰ جِهاد الإمَام فِي الْمَرْحَلَة الأُولَىٰ . ومن جِهادِهِ فِي الْمَرْحَلة الثَّانِيَة بَلاؤه يَوْم بَدْر ، وبَعد أنْ تَحدث عَبد الكَرِيم الخَطِيب عَن هَذَا اليَوْم ، قَال : « فَأنْتَ تَرىٰ كَيْفَ كَان ٱبن أبِي طَالب سَيْفاً بَتّاراً يَضرب أئِمَة الكُفر مِن قُرَيْش » [١] .

وَقَالَ عَن يَوْم أُحُد : « كَان لِعَليّ يَوْم أُحُد مَا كَان لهُ يَوْم بَدْر من الإطَاحة برُؤُوس أئِمَة الكُفر مِن قُرَيْش . . . ومِن قَتلىٰ عَليّ فِي هَذَا اليَوْم طَلْحَة ٱبن أبِي طَلْحَة صَاحب رَايَة ٱلْمُشْرِكين فِي تِلكَ الْوَاقِعَة ، فغَيْر مَنْكُورٍ إذَنْ تِلكَ اليَد الضَّارِبَة ، وَهذَا السَّيْف لِعَليّ فِي مَعركَة الإسْلاَم ، وأيضاً غَيْر مَنْكُورٍ التُّرَاثُ الّتي كَانَتْ لِلمُشْرِكِينَ عِند عَليّ ، والّتي لَمْ يَخلُ مِنْهَا بَيْت مِن بُيُوْت قُرَيْش » [٢] .

وَقَالَ عَن وَقْعَة ٱلأحْزَاب [٣] : « قَال النَّبِيّ ﷺ ، حِينَ بَرَزَ عَليّ لِابْن وَدّ يَوْم

---

(١) أُنظر ، كِتَابَه « عَليّ بن أبِي طَالب بَقِيَة النُّبُوَّة ، وخَاتَم ٱلْخِلاَفَة : ١٠٨ ، ومَا بَعدَها طَبعَة سَنَة ١٩٦٧م . (مِنْهُ ﷺ) .

(٢) أُنظر ، كِتَابَه « عَليّ بن أبِي طَالب بَقِيَة النُّبُوَّة ، وخَاتَم ٱلْخِلاَفَة : ١٢٥ ، ومَا بَعدَها طَبعَة سَنَة ١٩٦٧م . (مِنْهُ ﷺ) .

(٣) غَزْوَة الْخَندَق وَقَعت فِي شوَال سَنَة خَمسة مِن الْهِجْرَة ، وتُسمىٰ بِغَزْوَة ٱلأحْزَاب ، وتَأتِي بَعد غَزْوَة بَنِي النَّضِير كمَا جَاء في السِّيرَة الحَلبِيَة بهَامش السِّيرَة النَّبوِيَّة : ٢ / ٣٠٩ ، أمّا ٱبن قُتَيْبَة فِي معَارفه : ١٦١ أنّها وَقَعت سَنَة أرْبع ويُوم بَنِي المُصْطَلق ، وبَنِي لِحيان سَنَة خمس . ولَسْنَا بِصَدد بيَان سَببها تفصِيلاً بل نُشير إلىٰ ذَلِكَ إشَارة وَهِي :
لمّا أجْلىٰ رَسُول الله ﷺ بَنِي النَّضِير مِن الْمَدِينَة بِسَبب نَقْضهُم العَهد ، سَارُوا إلىٰ خَيبر . وخَرَج جَمَاعَة مِنهُم عَبدالله بن سَلاّم بن أبِي الحُقَيق النَّضري ، وحُيَيّ بن أخْطَب ، وكنَانة بن أبي الحُقَيق (الرَّبيع) ، وهَوْذَة بن قَيْس الوَالبي ، وأبو عُمَارَة الوَالبي إلىٰ مَكّة قَاصدِين أبا سُفيَان لِيعلمهم بِشدة عَدَاوَته لِلنَّبيّ ﷺ وتشوّقه إلىٰ إرَاقة الدِّمَاء والقِتَال لمَا نَاله هُو وزوّجته هِند ـ أمّ مُعَاوِيَة ـ مِنْهُ ﷺ يُوم بَدر ،
↔

الْخَنْدَق: «الآن بَرَزَ الإِسْلاَم كُلّه لِلشِّرك كلّه[1]... وَقَالَ حُذَيْفَة بن الَيمَان: «لَو

وسَألوه المعُونَه عَلىٰ قتَاله صلى الله عليه وآله وَقَالَ لهُم: أنَا لكُم حَيْث تُحبّون فاْخرجُوا إلىٰ قُرَيْش واْدْعُوهُم إلىٰ حَرْبه واْضمَنُوا لهُم النُّصرَة حَتَّىٰ تَستَأصلُوه، فطَافُوا عَلىٰ وجُوه قُرَيْش، ودَعَـوهم إلىٰ حَـرْبه صلى الله عليه وآله فـقَالت قُرَيْش: أيْدِينَا مَع أيدِيكُم ونَحْنُ مَعَكُمْ... فتَجهزَت قُرَيْش بِقيَادة أبِي سُفيَان وتَبعتها بَعْض القبَائِل، واليَهُود وخَرَجت غَطفَان وقَائدها عُيَيْنَةُ بن حُصين في بَنِي فزَارة، والحَارث بن عُوف فِي بَنِي مُـرّة، وبرّة بن طَرِيف في بَنِي أشجَع.

فلمّا سَمع رَسُول الله صلى الله عليه وآله بِاجْتمَاع الْأَحْزَاب اْستشَار أَصْحَابه وأجمَع رَأيهم عَلىٰ البقَاء فِـي الْـمَدِينَة وحَرْب الْقَوْم إنْ جَاؤوا إلَيهِمْ، وهُنا أشَار سَلْمَان رضي الله عنه بِحفر الْخَنْدَق، فأمَر رَسُول الله صلى الله عليه وآله بِحَفره وعَمل فيهِ بِنَفسه، وعَمل فيهِ الْمُسْلِمُون لمُدة أَكْثَر مِن سِتّة أيَّام وقَطعه رَسُول الله صلى الله عليه وآله أَرْبَعِين ذِرَاعاً بَيْنَ كلّ عَشرة، ولذَا اْختلَف الْمُهَاجِرُون والأَنْصَار فِي سَلْمَان كلّ يَقول هُو مِنّا، فَقطع الرَّسُول صلى الله عليه وآله نزَاع الْقَوْم وَقَالَ قَوله المشهُور: سَلْمَان منّا، سَلْمَان مِن أَهْل الْبَيْت.

وفَرَغ رَسُول الله صلى الله عليه وآله من حَفر الْخَنْدَق قَبل قُدُوم قُرَيْش بِثلاثَة أَيَّام.

وحَاصرَت قُرَيْش المَدِينَة بِضعاً وعشرِين لَيْلَة ولَمْ يَكُن بَينهُم حَرْب إلاّ الرَّمي بالنَّبْل، ولمّا رَأىٰ صلى الله عليه وآله الوَهن والضَّعْف فِي قُلوب أكْثَر الْمُسْلِمِين بَعث إلىٰ عُيَيْنة، والحَارث يَدعُوهُما إلىٰ الصُّلح، والرُّجُوع عَن حَرْبه عَلىٰ أنْ يُعطِيهم ثُلث ثِمَار الْمَدِينَة، واْستشَار فِي ذَلِكَ أَصْحَابه مِنهُم سَعد بن معاذ، وسَعد بن عَبادة وغَيْرهما. ولَسْنَا بِصَدد بيَان قَوْل كلّ مِنْهُمَا. بل نَقلنا ذَلِكَ بتصرّف من المصَادر التَّالية:

تَأرِيخ دمشق لِابْن عساكر الشَّافعي: ١ / ١٥٠، السِّيرَة الحَلبِية بهَامش السِّـيرَة النّـبَوِيَّة: ٢ / ٣٠٩، كشف الغُمّة: ١ / ٢٦٧، أعيَان الشِّـيعَة: ١ / ٢٩٢ و ٣٩٤، تَأرِيـخ الطَّـبَري: ٢ / ٢٦٥، و: ٣ / ٢٣٤، و: ٥ / ٢٩ ـ ٣٣، الكَامِل لِابْن الأثِير: ٣ / ١٧٨، دَائرة المعَارف الإِسْلاَمِية الشِّيعِية: ١ / ٢٦٢ «مَعركة الْخَنْدَق»، السِّيرَة لِابْن هُشـام: ٣ / ١٨٤ و ١٩٢ و ٢٢٥ و ٣٢٠ ـ ٣٢٢، مـغازي الوَاقـدي: ٢ / ٤٤١ و ٤٧٧، الإِرْشَاد للشَيخ المُفيد: ١ / ٩٤، كَشف الْيَقِين في فَضَائِل أَمِير الْمُؤْمِنَين عليه السلام: ١٣١، تَأرِيـخ اليَعقوبِي: ٢ / ٥٠ ـ ٥١، إمْتَاع الأَسْمَاع للمَقْرِيزِي: ٢٣٥ و ٢٣٦، تَـفْسِير البَـغوي المُـسمىٰ بمَـعَالِم التَّنزِيل: ٣ / ٥٢٣، وأُنظر، الطَّبَقَات الْكُبْرَىٰ لِابْن سَعد: ٢ / ١٧ و ١٨.

(١) فَقَد رَوىٰ المُؤرّخُون فِي مُبارزَة عَليّ عليه السلام يُوم الْخَنْدَق، وأنّها أفضَل مِن أعْمَال الأُمّة إلىٰ يُوم القِيَامَة بألْفَاظ مُختلفة تُؤدِّي إلىٰ نَفْس الْمَعْنَىٰ. فَقَد روىٰ صَاحب المُسْتَدرَك عَن سِفيَان الثُّوري أنّه صلى الله عليه وآله قَال ذَلِكَ لِعَليّ عليه السلام يُوم الْخَنْدَق. ورواه الخَطِيب البَغدَادي فِي تَأرِيخه: ١٣ / ١٩ عـزن إسْـحَاق بـن بِشـر

القرشيّ. وذكره الفخر الرّازي في تفسيره الكبير: ٣٢ / ٣١، وفي ذيل تفسير سورة القدر ورد بلفظ: لمبارزة عليّ عليه السلام مع عمرو بن عبدودّ أفضل من عمل أمّتي إلى يوم القيامة. وذكر ابن أبي الحديد في شرح النّهج أيضاً: ١٩ / ٦١ أنه ﷺ قال حين برز عليّ عليه السلام لعمرو بن عبدودّ: برز الإيمان كلّه إلى الشّرك كلّه. وقال الإيجي في شرح المواقف: ٦١٧ قوله ﷺ: لضربة عليّ يوم الخندق أفضل من عبادة الثّقلين. وفي السّيرة الحلبية بهامش السّيرة النّبويّة: ٢ / ٣٢٠ قال ﷺ: قتلُ عليّ لعمرو بن عبدودّ أفضل من عبادة الثّقلين.

وقال الفخر الرّازي في نهاية العقول في دراية الأصول: ١١٤ أنه ﷺ قال: لضربة عليّ يوم الخندق أفضل من عبادة الثّقلين، تأريخ دمشق ترجمة الإمام عليّ عليه السلام: ١ / ١٥٥، فرائد السّمطين: ١ / ٢٥٥ ح ١٩٧، وهامش تأريخ دمشق: ١٥٥، وشواهد التّنزيل: ٢ / ١٤ ح ٦٣٦، المناقب للخوارزمي: ١٦٩ ح ٢٠٢ و ٥٨ الفصل ٩، كتاب المواقف: ٣ / ٢٧٦، هداية المرتاب: ١٤٨، كنز العمّال: ٦ / ١٥٨ الطّبعة الأولى، شرح المختار قال ابن أبي الحديد في (٢٣٠) فى باب قصار كلام أمير المؤمنين من نهج البلاغة: ٥ / ٥١٣ بإضافة: ... تعدل أعمال المهاجرين والأنصار وطاعاتهم كلّها، وفي الدّر المنثور: ٥ / ١٩٢.

وها هو عليه السلام يقول: ... نشدتكم الله، أفيكم أحدٌ يوم عبر عمرو بن عبدودّ الخندق وكاع عنهُ جميع النّاس فقتله غيري؟ قالوا: اللّهمّ لا. (انظر تأريخ بغداد: ١٣ / ١٩، مقتل الحسين للخوارزمي: ٤٥، تلخيص المستدرك: ٣ / ٣٢). ويوم الخندق لمّا سكت كلّ منهم ولم يجب طلب عمرو بن عبدودّ العامري. وكادت تكون هزيمة نكراء لو لم ينهض بها عليّ بن أبي طالب، وبهذا قال ﷺ: برز الإيمان كلّه إلى الشّرك كلّه.

وبهذا وذاك تذهب أدراج الرّياح إيرادات، وإشكالات، وتبريرات ابن تيمية حين قال كما ورد في السّيرة الحلبية ومعها هامش السّيرة النّبويّة: ٢ / ٣٢٠: إنّها أي ضربة عليّ يوم الخندق أفضل من عبادة الثّقلين ـ من الأحاديث الموضوعة الّتي لم ترد في شيء من الكتب الّتي يُعتمد عليها ولا بسند ضعيف، وكيف يكون قتل كافر أفضل من عبادة الثّقلين الإنس والجنّ ومنهم الأنبياء؟! ثمّ قال: بل إنّ عمرو بن عبدودّ هذا لم يُعرف لهُ ذكر إلّا في هذه الغزوة.

والجواب نحنُ لسنا بصدد هذا الكلام ومناقشته بل نورد ما قاله العلّامة بُرهان الدّين الحلبي الشّافعي في نفس كتابه السّيرة الحلبية وفي نفس الجزء والصّفحة: إنّ عمرو بن عبدودّ هذا لم يُعرف لهُ ذِكر إلّا في هذه الغزوة، قول ليس لهُ أصل، وكان عمرو بن عبدودّ قد قاتل يوم بدر حتّى أثبتته الجراحة فلم

قُسمت فَضِيلَة عَليّ بِقتل عَمْرُو يَوْم الْخَنْدَق بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ أَجْمَعَهُم لوَسَعَتْهُم »(١). وَقَالَ ٱبن عبَّاس فِي قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾(٢) بِعَليّ. والْحَقّ أنّ مكَان عَليّ فِي معَارِك الإِسْلاَم أكبَر من أنْ تُخفىٰ وَرَاء التَّعصُّب فِي موَاقِف الْخُصُومَة والمُلاَحَاة، ولَو أنّ بطُولَة عَليّ كَانَتْ موضع شَكّ لمَا سَار الحَدِيث عَنْهَا مَسِير المَثل، فكَان مِمَّا قِيل: « لاَ فَتَىٰ إلاّ عَلي، ولاَ سَيْف إلاّ ذُو الفِقَار »(٣). إِنّ عَلِيّاً أَكْثَر ٱلْمُسْلِمِينَ شِدّة عَلىٰ مُشْرِكِي قُرَيْش، وإفْجَاعاً لهُم فِي

↔ يَشهد يُوم أُحُد، فَلمّا كَان يُوم الْخَنْدَق خَرج معلَماً... وأنّه نَذر لا يمسّ رَأسه دهناً حَتَّىٰ يَقتل مُحَمّد ﷺ... وقوله « كَيف يَكُون قَتلُ كَافرٍ أفضَل من عِبَادة الثَّقلين » فِيهِ نَظر لأَنّ قَتل هَذَا كَان فِيهِ نُصرة لِلدِّين وخُذْلاَن الْكَافِرين... وَقَالَ الشَّيخ المُظفر في دلاَئل الصِّدْق: ٢ / ٤٠٢: لمُبَارزة عَليّ لعَمْرُو أفضَل من... فكَان هُو السَّبب فِي بقَاء الإِيمَان وٱستمرَاره وَهو السَّبب فِي تَمكِين الْمُؤْمِنِينَ مِن عِبَادتهم إلىٰ يُوم الدِّين، لَكن هَذَا ببَركة النَّبيّ الْحَمِيد ودَعوته وجِهاده في الدِّين.... وأُنظر أيضاً المِعيار والموَازنة: ٩١، حيَاة ٱلْحَيَوَان الْكُبْرَىٰ للدّميري: ١ /٢٣٨ طَبْعَة مِصْر عَام (١٣٠٦ هـ)، المَطبعَة المَشرفيّة، عَليّ بن أبي طالب بَقِية النُّبُوَّة: ١٤٥ طَبع مِصْر عَام (١٣٨٦ هـ)، مَطبعَة السُّنَّة الْمحَمّدِيّة، الإِمَام عَليّ أسد الله وَرَسُوله: ٢٨، الإِمَام عَليّ رَجل الإِسْلاَم المُخلّد لِعَبد المَجيد لُطفي: ٧٥، خَاتم النَّبِيين لمُحمّد أبُو زُهره: ٢ /٩٣٨.

(١) أُنظر، شَرح نَهج ٱلْبَلاَغَة لِابْن أبِي ٱلْحَدِيد: ١٣ / ٢٨٤، شَرح إحقَاق الْحَقّ: ٢٠ / ٦٢٦.

(٢) ٱلأَحْزَاب: ٢٥.

أُنظر، تَفْسِير القُرطُبي: ١/ ٨٤، منَاقب آل أبِي طَالب: ٢/ ٣٢٤، تَفْسِير الدُّر المَنثور للسّيُوطي: ٥ / ١٩٢. وَكَان ٱبن مَسعُود يقرأ: وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ بِعَليّ، وَكَان الله قَوِيّاً عَزِيزاً. وفِي مِيزان الإِعْتِدَال: ٢ /١٧ مِثْله. وَفي شوَاهد التَّنزيل: ٢ /٧ ح ٦٢٩ ـ ٦٣٢، ٱلنُّور المشعل: ١٧١ الطَّبعة الأُولَىٰ، ٱبن عساكر في تَأريخ دمشق: ٢ /٤٢٠ الطَّبعة الثَّانِيَة ح ٩٢٧، كفَاية الطَّالب: ٢٣٤ بَاب ٦٢، وأُنظر أيضاً تَهذِيب التَّهذِيب: ٦ / ٣٤، شَرح النَّهج لِابْن أبِي ٱلْحَدِيد: ١٣ / ٢٨٤، خصَائص الوَحي: ٢١٩، تَفْسِير المِيزان: ١٦/ ٣١٤، المناقب لِابْن شهرآشوب: ٣/ ١٣٤، الدَّلائل للشَّيخ المُظفر: ٢ / ١٧٤ طَبعة بَصيرتِي /قُم، ينَابِيع المَوَدَّة: ٩٤ طَبْعَة بَصِيرتِي /قُم، نُور الأَبْصَار: ٩٧.

(٣) الرِّوَايَة المَشهُورَة هِي أَنّ جِبرَائِيل عليه السلام هُو الَّذي كَان يُنادِي: لاَ سَيْف إلاّ ذُو الفقَار وَلاَ فَتى إلاّ عَليّ.

الْأَبْنَاء، والْآبَاء، والْأَعْمَام، والْأَخْوَال، وهَذِه الاِحَن عَلىٰ عَليّ، وتِلكَ التِّرَات فِي نفُوس قُرَيْش المُشْرِكَة ظَلَّت حَيَّة بَعد أنْ دَخَلْت فِي الْإِسْلاَم... وبَعد مَوْت النَّبيّ تَنَاولت قُرَيْش بِسيُوفها شِيب بَنِي هَاشم، وشَبَابها، وصِبيَانها، وشَرّدَت عقَائِلها، وحرَائِرها، وكَأنّما تَثْأر بهَذا لِقَتلاَها فِي بَدْر وأُحُد، وحَسبُنا أنْ نَذْكر هُنا مَصرَع الحُسَيْن وآل بِيْتَه فِي كَربَلاء، ومَا تَلا ذَلِكَ من وقَائِع »[1].

مُحَمَّد جوَاد مُغْنيَّة

↔ وقِيل: إنّ رَضوَان عليه السلام هُو المُنَادِي، وهُما مَلكَان كَرِيمَان كمَا وَرد فِي كَنز الْعُمَّال: ٣ / ١٥٤ بعد أنْ سَاق حَدِيث الإِمَام عَليّ عليه السلام يُوم بَيْعَة عُثْمانَ فقَال عليه السلام: أنَاشدكُم الله أنّ جِبرَائِيل نَزَل عَلىٰ رَسُول الله ﷺ فقَال: يَا مُحَمّد: لاَ سَيْف إلّا ذُو الفقَار ولاَ فَتىٰ إلّا عَليّ، فهَل تَعْلمُون هَذَا كَان لِغَيْري؟ وَوَرد في ذَخَائِر الْعُقْبَىٰ: ٧٤ أيضاً عَن الْإِمَام أبِي جَعفر مُحمّد بن عَليّ عليه السلام قَال: نَادىٰ مَلك مِن السَّمَاء يُوم بَدْر يُقَال لهُ رضوَان، أنْ: لاَ سَيْف إلّا ذُو الفقَار ولاَ فَتىٰ إلّا عَليّ. ووَرد فِي الرِّيَـاض النَّـضرة: ٢ / ١٩٠، وَالمنَاقب لِابْن المغَازلي: ١٩٧ـ١٩٩ ح ٢٣٤ و ٢٣٥.

وأُنظر، شَرح النَّهج لِابْن أبِـي الْـحَدِيد: ١ / ٢٨، و: ٧ / ٢١٩، و: ١٠ / ١٨٢، و: ١٤ / ٢٥١. تَأرِيـخ الطَّبَرِيّ: ٢ / ١٩٧ و ٥١٤. فرَائد السِّمطَين: ١ / ٢٥٦ـ٢٥٨ ح ١٩٨ و ١٩٩. تَأرِيخ دِمَشق: ١ / ١٤٨ ح ٢١٥ و ١٦٧. المنَاقب للخوَارزمي: ١٦٧ و ٢١٣ طَبْعَة الحَيدريَّة ح ٢٠٠. كفَاية الطَّالب: ٢٧٧. أبن هِشَام فِي السِّيرة: ٣ / ٥٢ و ١٠٦. سُنن البَيْهَقِيّ: ٣ / ٢٧٦. المُسْتَدرَك: ٢ / ٣٨٥. الرِّياض النَّـضرة: ٣ / ١٥٥. مِيزان الْإِعْتِدَال: ٢ / ٣١٢ و ٣١٧، و: ٣ / ٣٢٤ طَبْعَة بَيرُوت. الكَامِل في التَّأرِيخ: ٢ / ١٠٧. تَذكرة الخَواصّ: ٢٦. مَجْمَع الزّوَائد: ٦ / ١١٤ و ١٢٥. تَأرِيخ الطَّبَرِيّ: ٢ / ١٩٧ طَبْعَة آخـر. رَبـيع الأبرار: ١ / ٨٣٣. مَعارج النُّبوَّة: الرُّكن الرَّابـع: ١٠٧ و ١٦٨ طَـبْعَة لكـنهو. الأَغَـاني لأبِـي الفَـرج الاِصفهانِي: ١٥ / ١٩٢. نُظم دُرر السِّمطَين للزَّرندِي: ١٢١.

(١) أُنظر، كِتَابَه «عَليّ بن أبِي طَالب بَقِيَة النُّبوَّة، وخَاتَم الْخِلاَفَة: ١٣٥. ومَا بَعدَها طَبعَة سَنَة ١٩٦٧ م. (مِنْهُ رحمه الله).

الشَّعْب المَصْرِي وَآل البَيْت[1]

لمَاذَا نَحْتَفل بمَولد الحُسَين. وَتَزخَر القَاهِرَة العَامَرة بالوَافدِين إلَىٰ مَسْجده لإحيَاء ذِكرَاه فِي هَذَه الأَيَّام مِن كُلّ عَام...؟.

إنَّ الإحتفَال بمَولدهِ، أَنَّ بمَولد جَدّه عَلَيهِ السَّلاَم أَو بمَولد وَلّي مِن أَوْلِيَاء الله الصَّالِحين لَمْ يَرد بِهِ أَمر فِي كتَابٍ أَو سُنّة، وَلَكن طَبيعَة هَذَا الشَّعْب الطَّيب المُؤْمِن المُتَدَين تَهْتَز إعجَاباً ببطُولة الأَبْطَال، وَحُبّاً لأَهْل البَيْت وَتُعبّر عَن إعجَابهَا لهَذِه الإحْتفَالاَت الَّتي تُقيمها فِي كُلّ مُنَاسبَة طَيّبَة.

وَقَد كَان الحُسَين عليه السلام مَثَلاً فَريداً فِي شَجَاعة القَلْب، وَشَرف الكَلمَة وَإبَاء الضَّمِير، وَكَانَت مَكَانَته فِي قَلْب رَسُول الله صلى الله عليه وآله مَكَانة الإبْن مِن قَلْب أَبِيه. ثُمَّ هُو ٱبْن فَاطِمَة بِنْته، وعَلِيّ ٱبْن عَمّه، وَهُو مِن الَّذِين ضَمّهم النَّبيّ صلى الله عليه وآله تَحت كسَائِه وَقَالَ: «أَللَّهُمَّ هَؤلاَء أَهْل بَيْتي فَأَذْهِبْ عَنْهُم الرِّجْس وَطَهّرْهُم تَطْهِيراً»[2].

وَلاَ شَكّ أَنَّ مَكَانَة أَهْل بَيْته فِي قُلُوب المُؤمِنِين بالمَثَابَة الَّتي يُشَف عَنْهَا قَول الله: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ﴾[3]، وَقَول

---

(١) أُنظر، جَرِيدَة الأَخْبَار المَصْرِيَّة: (٢٥ / ٥ / ١٩٧٢م). (مِنْهُ رحمه الله).

(٢) تَقَدَّمَت تَخْرِيجَاته.

(٣) ٱلأحْزَاب: ٦.

النَّبيّ ﷺ: « وَالَّذي نَفْسي بِيَده لاَ يُؤمِن عَبد حَتَّىٰ أَكُون أَحبّ إِلَيهِ مِن نَفسهِ، وَأَبَويه، وَأَهْله وَوُلده، وَالنَّاس أَجْمَعِين »[1].

وَقَد قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[2]. وَقَد كَان الحُسَين ـ وَهُو مِن ذُرِّيَّته شَبِيهاً بهِ فِي مَلاَمحه وَصِفَاته وَسمَاته، وكَان مَوقفَه مِن الَّذين أَحدُقوا بهِ وَأَطبقُوا عَلَيهِ، شَبِيهاً بِموقف جَدّه عَلَيهِ السَّلاَم وَهُو يُوَاجه الَّذِين تَحزبُوا ضِدّه وَتَألبُوا عَلَيهِ بقَوله لعَمّه: « لَو وضِعَت الشَّمس فِي يَمِيني، وَالقَمر فِي شمَالي مَا تَركتُ قَوْل: لاَ إِله إِلاَّ الله مُحَمَّد رَسُول الله أَبَداً، حَتَّىٰ أنفذَه أَوْ أُقْتل دُونه »[3].

وَقَد بَذَل فِي سَبِيل كَلِمَة الحَقّ وَالشَّرف دَمَهُ الزَّكي، وَبَقي ٱسمهُ خَالداً مَاجداً فِي سِجل المَجد وَالخُلود... رَضي الله عَنْهُ، وَأَرضَاه.

عَبد الرَّحِيم فودَة

---

(١) تَقَدَّمَت تَخْرِيجَاته.

(٢) ٱلطُّور: ٢١.

(٣) أُنظر، دَلاَئِل النُّبوَّة، الإِصْبهَاني: ١ / ١٩٧، السِّيرَة النَّبوِيَّة لِابْن هِشَام: ٢ / ١٠١، تَأرِيخ الطَّبري: ١ / ٥٤٥.

حَقّ الجَمَاعَة يَغْلب حَقّ النَّفس![1]

ذَهَب النَّبيّ ﷺ ذَات يَوْم إِلَىٰ بَيْت ٱبْنَته فَاطِمَة ليَزُورهَا وَعِند بَاب البَيْت وَعندَمَا أَوشَك أَنْ يَدخُل تَرَاجع وَعَدل عَن زِيَارتهَا. وَتَضْطَرب فَاطِمَة وَتُسرع إِلَىٰ زَوّجهَا عَليّ بن أَبي طَالِب كَرّم الله وَجْهه تَطْلب إِلَيهِ أَنْ يَلحَق بالرَّسُول ليَسأَلهُ عَن سَبَب عدُولَه عَن زِيَارَتهَا.

وَيَسِير عَليّ إِلَىٰ الرَّسُول يَسأَلهُ فَيُجِيبَه عَلَيهِ السَّلاَم: «إِنّي رَأيتُ عَلىٰ بَابهَا سِتراً مُوْشيّاً!!.

وَيَعود عَليّ إِلَىٰ زَوّجَته ليُخبرهَا الخَبَر فَتَقُول: ليَأمرني فِيهِ بمَا يَشَاء، وَأَمر النَّبيّ عَلَيهِ السَّلاَم ـ بمَا مَعْنَاه ـ أَنْ تُعطِيه إِلَىٰ أَهْلٍ يَحتَاجُون إِلَيه[2].

وَيُرِيد النَّبيّ زِيَارتهَا مَرّة أُخْرىٰ، ولَكنَّه يَعُود دُون أَنْ يَدخُل بَيْتهَا، وَتَبعَث إِلَيهِ بمَن يَسأَلهُ عَن السَّبَب فَيقُول عَلَيهِ السَّلاَم: «إِنّي وَجَدت فِي يَدَيهَا سوَارَين مِن ذَهَب!!.

---

(١) أنظر، جَرِيدَة الأَخْبَار المَصْرِيَّة: (١٦/٢/١٩٦٨م). (مِنْهُ ﷺ).

(٢) أنظر، صَحِيح البُخَاري: ٢/٩٢٢ ح ٢٤٧١، سُنن أَبي دَاود: ٢/٢٧٨ ح ٤١٤٩ و: ٤/٧٢ ح ٤١٥٠، فَتح البَاري: ٥/٢٢٩، عَون المَعبُود: ١١/١٣٨، شُعب الإِيمان: ٧/٣١٢ ح ١٠٤١٦، سُبل الهُدىٰ وَالرَّشَاد: ٩/٥٥.

وَلمَّا بَلغهَا ذَلِكَ أَرْسَلتهُما إِلَيهِ فَبَاعهُما ـ عَلَيهِ السَّلاَم ـ بدرهَمَين وَنَصف درهَم تَصَدّق بهَذَا المَبلَغ عَلىٰ الفُقْرَاء[1].

وَيُعَلق الكَاتب الرَّاحل مُصْطَفىٰ صَادق الرَّافعي عَلىٰ ذَلِك فَيَقول:

يَا بِنْت النَّبيّ العَظِيم:

وَأَنْتِ أَيضاً لاَ يَرضىٰ لَكِ أَبُوك حليَة بدرهَمَين وَنِصف درهَم وَفي المُسْلِمِين فُقرَاء لاَ يَملكُون مِثْلهَا؟.

أَي رَجُل شَعبي عَلىٰ الأَرْض كَمُحَمَّد عَلَيهِ السَّلاَم فِيهِ للأُمّة كُلّها غَرِيزَة الأَب، وَفِيهِ ـ عَلىٰ كُلّ أَحوَاله ـ اليَقِين الَّذي لاَ يَتَحول، وفِيهِ الطَّبِيعَة التَّامّة الَّتي يَكُون بهَا الحَقِّيقي هُو الحَقِّيقي.

يَا بِنْت النَّبيّ العَظِيم:

أَنَّ زِينَة بدرهَمَين وَنِصف درهَم لاَ تَكُون زِينَة ـ فِي رَأي الحَقّ ـ إِذَا أَمْكَن أَنْ تَكُون صَدَقَة بدرهَمَين وَنِصف درهَم!!.

أَنَّ فِيهَا حِينَئذٍ مَعْنىٰ غَير مَعْنَاهَا:

فِيهَا حَقّ النَّفس غَالِباً عَلىٰ حَقّ الجَمَاعَة.. وفِيهَا الإِيمَان بالمَنْفَعة حَاكماً عَلىٰ الإِيمَان بالخَير... وفِيهَا مَا لَيْسَ بضَرُوري قَد جَاء عَلىٰ مَا هُو الضَّرُوري.. وفِيهَا خَطَأ مِن الكَمَال إِنْ صَحّ فِي حسَاب الحَلاَل وَالحَرَام، لَمْ يَصحّ فِي حسَاب الثَّواب وَالرَّحمَة.

---

(١) أنظر، مُسْتَدرك الوَسَائل: ٦/ ٥١٢ ح ٦، بحَار الأَنوَار: ٨٥/ ٩٤ ح ٦٢.

نَظْرَة وَالنَّبيّ[1]

وَفِي جَرِيدَة الْأَهرَام كَتَب وَزِير الثَّقَافَة السَّابق الْأُستَاذ فَتْحي رضوَان مَقَالاً مُطَولاً عَن حَي السَّيِّدَة زَيْنَب بِنْت أَمِير المُؤمِنِين عَلَيهِ السَّلاَم، جَاء فِيهِ.

مَسْجِد السَّيِّدَة زَيْنَب تُشَدّ إِلَيهِ الرِّحَال، وَكَأنّه الكَعبَة، أَكْثَر مِمَّا تُشَدّ الرِّحَال حَتَّىٰ إِلَىٰ المَسْجِد الحُسَيني، فَالأُلُوف الَّذِين يَقصدُون هَذَا المَسْجِد مِن فُقرَاء الرِّيف وَالحَضَر، مِن النِّسَاء والرِّجَال، مِن المَرضىٰ وَأَصحَاب الحَاجَات، مِن المَغلُوبين عَلىٰ أمرهِم والَّذِين سُدّت فِي وجُوهِهِم الأَبوَاب، وَتَحطّمت الْآمَال، كَانُوا قَد أَطلقُوا عَلىٰ صَاحبَة الضَّرِيح أَسمَاء تَدخل إِلَىٰ قُلوبهِم العَزَاء، وَتَبعَث فِيهما الرجَاء، فَقْد كَانُوا يَهتفُون «يَا أُمّ العَوَاجز وَيَا أُمّ هَاشِم».

وَلكَم رَأيتُ رِجَالاً ونِسَاءً، فِي مُقْتَبل العُمر، وَفي خَرِيف الحَيَاة، قَد وَضعُوا أَيدِيهم عَلىٰ شبّاك ضَرِيح السَّيِّدَة، وَرَائحَة البخُور تَملأ المَسْجِد كُلّه ثُمَّ رَاحوا يَهمسُون فِي أُذن أُمّ العَوَاجز، وَقَد تَمَثَّلت لَهم بَشَراً سَوِيّاً، يَسمَع وَيَتَنفس، وَيَمد رَاحتَيه وَيَضع بَيْنَهُما أَيدي الزَّائرِين وَالقَاصدِين، وَلَكن سَمعتُ هَذَا الهَمس الخَفِيض، وَأَنَا صَبي أَكَاد أُمَيّز الأَشيَاء، فَأَشعُر أَنّ هَذَا لَيْس سِوىٰ لقَاء هيَام وَغرَام، يَصل فِيهِ الوَجد إِلَىٰ أَقصَاه وَتَرق المُنَاجَاة تَهطل فِيهِ الدُّمُوع، وَتَصعَد فِيهِ

---

(١) أُنظر، جَرِيدَة الْأَهرَام المَصْرِيّة: (٢٣/ ٦/ ١٩٧٢م). (مِنْهُ ﷺ).

الأُمَّهات، وَتَتوالىٰ خِلاَله القُبلاَت، وَأَسمَع: يَا أُمّ العَوَاجز يَا أُمّ هَاشِم يَا طَاهِرَة.. يَا أُخت الإِمَام.. يَا بِنْت الإِمَام.. نَظرَة وَالنَّبيّ...

الفَهارس الفَنيِّة العَامَّة

فَهْرِس الْآيَات

فَهْرِس الْأَحَادِيث

فَهْرَسُ المصَادِر المَطْبُوعَة وَالمخْطُوطَة

١. الْقُرْآن الْكَرِيم ، كِتَاب الله تَبَارَك وتَعَالىٰ الحَيّ القَيُّوم .

حَرْف الْأَلف

٢. الْإِبانة عَن أُصُول الدِّيَانة ، لِابْن بَطّة الفَلكي ، دِمَشق ، الطّبعة الْأُولىٰ .

٣. الْإِبانة عَن أُصُول الدِّيَانة ، لأَبي الحَسن عَليّ بن إِسمَاعِيل الأَشعَريّ ، طَبعَة القَاهِرَة ١٣٥٩ هـ، وَطَبعَة مَكْتَبة دَار البَيَان دِمَشق ١٤٠١ هـ.

٤. الْإِتحَاف بِحُبّ الْأَشرَاف ، للشَّبرَاويّ الشَّافِعيّ (ت ١١٧٢ هـ ق) ، تَحقِيق : مُحَمّد جَابر ، المَطبعَة الهِندِية العَرِبية ١٢٥٩ هـ وَطَبعَة ـ مَصْر ١٣١٣ هـ، وأُعيد طَبعَه فِي ـ إِيرَان ١٤٠٤ هـ، وَطَبعَة دَار الكتَاب الْإِسلاَمي بِتَحقِّيقنا .

٥. إِتحَاف السَّادَة المُتقِين بِشَرح إِحيَاء عُلُوم الدِّين ، لأَبي الفَيض مُحَمّد بن مُحَمّد الحُسَيْنيّ الزّبَيديّ ، طَبعَة دَار الفِكر ـ بَيرُوت .

٦. إِسعَاف الرَّاغِبين فِي سِيرة المُصْطَفىٰ وَأَهل البَيْت الطَّاهِرِين (بهَامش نُور الأَبصَار) ، للشَّيخ مُحَمّد بن عَليّ الصَّبان ، طَبع العُثمَانِية .

٧. الْآثَار البَاقِية عَن القرُون الخَالِية ، لِمُحَمَّد بن أَحْمَد البَيرُوني . طَبْعَة لَيبك

عَام ١٩٢٣م.

٨. **الأَخْبَار الطّوَال**، لأَحـمَد بـن دَاود الدّيـنوريّ (أَبُـو حَـنِيفَة ت ٢٨٢ هـ) تَحْقِّيق: عَبدالمُنعم عَامر. طَبْعَة دَار المَسِيرة ـ بَيْرُوت، طَبْعَة دَار إِحـيَاء الكُـتْب العَربِية سَنَة (١٩٦٠ م).

٩. **الأَنوَار القُدسيَّة فِي بَـيَان العـهُود المُـحمّديَّة**، عَـبدالوهّـاب بـن أَحـمد الشَّعرَاني، أُخذ بالوَاسطَة.

١٠. **الأَنوَار القُدسيَّة للسَّنهُوتي**، أُخذ بالوَاسطَة.

١١. **الإِرشَاد الهَادي إِلىٰ مَنْظُومَة الهَادِي فِي العَقَائِد الزَّيدِيَّة**، لِابْن الوَزِيـر، (مَخْطُوط)، دَار الكُتب المَصْرِيَة رَقَم «٥٨٧».

١٢. **أَسْبَاب النُّزول**، أَبِي الحَسَن عَـليّ بـن أَحْـمَد بـن مُـحَمَّد الوَاحِـدِي. (ت ٤٦٨هـ/ ١٠٧٦ م) وَبِهَامشه ٱلنَّاسخ وَالمَـنْسُوخ لِهِـبَة الله سَـلاَمَة. عَـالم الكُتْب. بَيْرُوت: لُبْنَان.

١٣. **الإِستِيعَاب فِي مَعْرِفَة الأَصْحَاب**، يُوسُف بن عَبدالله بن مُحَمَّد القُرطبي أَبُو عُمْر المَشهُور بِٱبن عَبد البر النّمري، (ت ٤٦٣هـ). تَحْقِّيق: عَليّ مُحَمَّد مُـعوض دَار الكُتُب العِلْمِيَة. بَيْرُوت ـ لُـبْنَان. وتَـحْقِّيق عَـليّ البَـجَاوي. طَـبْعَة القَـاهـرَة وَبِهَامش الإِصَابَة.

١٤. **أُسد الغَابَة فِي مَعْرِفَة الصَّحَابَة**، لأَبِي الحَسَن عِزّ الدّين عَليّ بن أَبِي الكَرَم مُحَمَّد ٱبن مُحَمَّد بن عَـبد الكَـريم الشّـيبَانيّ المَـعْرُوف بِٱبـن الأَثـير الجَـزْريّ (ت ٦٣٠ هـ ق)، تَحْقِّيق: مُـحَمَّد إِبـرَاهِـيم، طَـبْعَة ـ القَـاهـرَة ١٣٩٠ هـ، وَطَـبع بِالأُفست فِي المَكْتَبَة الإِسْلاَمِيَّة للحَاج رِيَاض، وَطَبع المَطْبَعَة الوَهبِية بِمَصْر.

١٥. **أسنىٰ المطالب في نجاة أبي طالب**، لأحمد زيني دحلان (ت ١٣٠٤هق)، طبعة ـ مصر ١٣٠٥هـ. وطبع دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٥هـ.

١٦. **أسنىٰ المطالب في أحاديث مختلفة المراتب**، لمحمّد بن دويش الحوت البيروتي، دار الكتاب العربي ١٣٩١هـ، ومطبعة مصطفىٰ ـ مصر ١٣٥٥هـ، طبعة مصر ١٤١٦هـ، طبعة دار الفكر الإسلامي بيروت ١٤٠٨هـ.

١٧. **أسنىٰ المطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب**، لمحمّد بن عليّ بن يوسف الجزريّ الشّافعيّ (ت ٨٣٣هق)، طبعة ـ مكّة المكرمة ١٣٢٤هـ، وطبع دار إحياء التّراث العربي ١٣٢٨هـ.

١٨. **الإشراف علىٰ فضل الأشراف**، لإبراهيم الحسنيّ الشّافعيّ السّمهوديّ المدنيّ تحقيق: سامي الغريري، طبع دار الكتاب الإسلامي.

١٩. **الإصباح علىٰ المصباح في معرفة الملك الفتّاح**، الإمام النّاصر لدين الله إبراهيم بن محمّد بن أحمد المؤيدي، تحقّيق: السّيّد العلاّمة عبدالرّحمن بن حسين شايم، طبع مؤسّسة الإمام زيد الثّقافية.

٢٠. **الإصابة في تمييز الصّحابة**، محمّد بن حبيب البغدادي. طبعة مولاىٰ عبدالحفيظ. القاهرة (١٣٢٨هـ).

٢١. **الإصابة في تمييز الصّحابة**، (بهامش الإستيعاب لابن عبدالبر). أحمد ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ ـ ٨٥٢هـ). دار العلوم الحديثة. وطبعات أخرىٰ لاحقة.

٢٢. **الأعلام**، قاموس تراجم لأشهر الرّجال... خير الدّين بن محمود بن محمّد ابن عليّ بن فارس، أيلول سبتمبر ١٩٩٢م دار العلم بيروت ـ لبنان.

٢٣. **أعلام النّساء**، عمر رضا كحالة سنة (ت ١٤١٣هـ) مؤسّسة الرّسالة

بَيْرُوت ـ لُبْنَان.

٢٤. الْأَغَاني، لأَبِي الفَرج الإصبهَانِي (ت ٣٥٦ هـ)، تَحْقِيق: خَلِيل مُحييّ الدّين دَار الكُتْب المَصْرِيَة، الطَبْعَة الأُولىٰ ١٣٥٨ هـ، وَكَذا طَبْعَة دَار الفِكر بَيْرُوت عَام (١٤١٢ هـ).

٢٥. الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة، لأَبِي مُحَمَّد عَبد الله ابن مُسْلِم المَعْرُوف بابن قُتيبة الدّينوريّ (ت ٢٧٦ هـ ق)، مَكْتَبَة ومَطْبَعَة مُصْطَفىٰ بَابي الحَلبي، مَصر ١٣٨٨ هـ.

٢٦. السِّيرة الحَلبية (إِنْسَان العُيُون فِي سِيرة الأَمِين المَأمُون)، عَليّ بن بُرهَان الشّافعي الحَلبي، دَار الفِكر العَربِي بَيْرُوت ١٤٠٠ هـ.

٢٧. الأَنْسَاب، عَبدالكريم مُحَمَّد السَّمعاني (ت ٥٦٢ هـ). طَبْعَة لَيدن. وبتَحْقِيق: عَبدالرَّحمَن المَعْلَمي اليمَاني. طَبْعَة ـ بَيْرُوت. الطَبْعَة الأُولىٰ ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م دَار الجنَان بَيْرُوت ـ لُبْنَان.

٢٨. أَنْسَاب الأَشْرَاف، لأَحمد بن يَحْيَىٰ بن جَابر البَلاذريّ، (ت ٢٧٩ هـ ق)، تَحْقِيق: كَمَال الحَارثيّ، طَبْعَة مَكْتَبَة الخَانجيّ ـ مَصْر ١١٢٥ هـ، طَبْعَة مَكْتَبَة المُثنّىٰ بَغْدَاد ١٣٩٦ هـ، وتَحْقِيق المَحمُودي، مُؤسّسة الأَعلمي بَيْرُوت.

حَرْف البَاء

٢٩. البدَاية والنّهاية، لأَبِي الفدَاء إِسْمَاعِيل بن كَثِير الدّمشقي، تَحْقِيق: عَليّ شِيري، دَار الكُتْب العِلْمِيَة، الطَبْعَة الخَامسَة، (١٤٠٩) هـ، مَطْبَعَة السّعادة مَصْر عَام ١٣٥١ هـ.

٣٠. كتَاب بَحر الدَّم فِيمَن تَكلّم فِيهِ الإِمَام أَحْمَد، طَبعَة القَاهرَة.

٣١. البدَاية والنّهَايَة، مُحَمَّد بن عَبدالحرّ الكنَاني (ت ١٣١٢ هـ). طَبْعَة القَاهرَة (١٣٥١ ـ ١٣٥٨ هـ).

٣٢. بِشَارة المُصطَفىٰ لشِيعَة المُرتَضىٰ، عمَاد الدّين أَبُو جَعْفَر مُحَمّد بن القَاسم الطّبري، المَطْبعَة الحَيدرِية، النّجف الأَشرَف، الطّبعَة الثّانية ١٣٨٣ هـ، وَنَشر مَطْبعَة الخَانجي مَصْر ١٤٠٠هـ.

٣٣. بُغيَّة الوعَاة فِي طَبَقَات اللُّغوين والنُّحاة، جَلاَل الدِّين السِّيوطي (ت ٩١١هـ). طَبْعَة مَصْر سَنَة ١٣٢٦ هـ. طَبْعَة أُخرىٰ بتَحْقِّيق: مُحَمَّد أَبُو الفَضْل إبرَاهِيم. القَاهرَة (١٩٦٤م).

٣٤. البُلدَان، لأَبِي بَكر أَحْمَد بن مُحَمَّد الهَمدَاني المَعْرُوف بِابن الفَقِيه، طَبْعَة النَّجَف الأَشْرَف، طَبْعَة لَيدن.

٣٥. البيَان وَالتّبيين، لعَمرُو بن بَحر الجَاحظ، (ت ٢٥٥ هـ ق)، شَرح حَسَن السّندوبيّ، نَشر دَار الجَاحظ ١٤٠٩ هـ، وَمَطبعَة الإستقَامة، الطّبعَة الثّالثَة القَاهرَة ١٣٦٦ هـ، وَطَبعَة دَار الوَعي سُوريا ١٤٠٢هـ.

٣٦. بُلُوغ الأَرب وَكنُوز الذَّهب فِي مَعرِفة المَذْهَب، لعَلي بن عَبدالله بن القَاسم ابن مُحَمَّد بن الإِمَام القَاسم بن مُحَمَّد الحَسَني الشّهاري الصَّنعَاني، تَحقِيق عَبدالله بن عَبدالله بن أَحْمَد الحُوثي، طَبع مُؤسَّسة الإِمَام زَيد بن عَليّ الثّقَافِية.

حَرْف التّاء

٣٧. تَأرِيخ بَغْدَاد، لأَحمد بن عَليّ الخَطِيب البَغداديّ، طَبْعَة دَار السَّعادة مَصْر.

٣٨. التَّأرِيخ يَحْيَىٰ بن مَعِين (ت ٢٣٣هـ)، روَاية عَبَّاس الدُّوري. تَحقِّيق:

أَحْمَد مُحَمَّد نُور سَيف. طَبْعَة مَكَّة المُكَرَّمة ١٩٧٩م.

٣٩. التَّأرِيخ الكَبِير لِمحَمَّد بن إِسْمَاعِيل البُخاريّ، طَبْعَة حَيدر آبَاد الدّكن.

٤٠. تَأرِيخ جُرجَان. للسَّهمي حَمْزَة بن يُوسُف (ت ٤٢٧ هـ). طَبْعَة حَيدر آبَاد الدّكن ٣٦٩/ ١٩٥٠م.

٤١. تَأرِيخ ابْن خُلدُون، المُسمىٰ التَّأرِيخ أو العِبر ودِيوَان المُبتَدأ أو الخَبر. عَبد الرَّحْمَن بن مُحمَّد المَشهُور بابن خُلدُون (ت ٨٠٨ هـ)، طَبْعَة دَار الكِتَاب العَربيّ بَيْرُوت ١٩٧١ هـ.

٤٢. تَأرِيخ الخُلفَاء لعبدالرَّحْمَن بن أَبِي بَكر السّيوطيّ (ت ٩١١هـ)، تَحقِّيق مُحيي الدِّين عبدالحَمِيد، طَبْعَةالقَاهرَة، ١٩٥٩م) طَبْعَة دَار السّعادة مَصْر عَام (١٤١٦ هـ).

٤٣. تَأرِيخ الخَمِيس فِي أحوَال أَنفس نَفِيس، لحُسين بن مُحَمَّد بن الحَسَن الدّياربكريّ (ت ٩٦٦ هـ)، طَبْعَة القَاهرَة ١٢٨٣ هـ.

٤٤. تَأرِيخ دِمشق، حَمْزَة بن أَسد القَلانسي (ت ٥٥٥ هـ). طَبْعَة بَيْرُوت عَام (١٩٠٨م).

٤٥. تَأرِيخ دِمَشق، عَليّ بن الحُرّ بن عَسَاكر (ت: ٥٧١ هـ). طَبْعَة دِمشق ١٩٥١ ـ ١٩٥٤م. طَبْعَة (١٩٨٢م).

٤٦. تَأرِيخ الإِسْلاَم، مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عُثمان الذّهبيّ، (ت ٧٤٨هـ) مَكْتَبَة القُدسي القَاهرَة (١٣٦٨ هـ تَحقِّيق بَشَار عوَاد مَعْرُوف طَبْعَة القَاهرَة (١٩٧٧م).

٤٧. تَأرِيخ الإِسْلاَم السِّيَاسي وَالدِّيني والثَّقافِي وَالإِجتَماعي، الدُّكتُور حَسَن إِبرَاهِيم، طَبْعَة دَار الكِتَاب بَيْرُوت ١٤٠١ هـ.

٤٨. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هق)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، طبعة دار الرائد العربي ـ القاهرة ١٤٠٥هـ، ونشر دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٤١١هـ وطبعة حيدر آباد الدكن ١٣٥٤هـ.

٤٩. تاريخ الطبري تاريخ الرسل والأمم والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (... ـ ٣١٠هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف القاهرة (١٩٦٠م) طبعة أوربا، طبعة الإستقامة مصر.

٥٠. تاريخ ابن عساكر (تاريخ دمشق)، الأجزاء التي حققها المحمودي، ترجمة الإمام علي والإمام الحسن والإمام الحسين.

٥١. تاريخ المدينة المنورة (أخبار المدينة)، لعمر بن شيبة. تحقيق: فهيم محمد شلتون. دار التراث والدار الإسلامية ١٩٩٠م بيروت: لبنان.

٥٢. تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر العباسي المعروف باليعقوبي، طبعة النجف الأشرف ١٣٥٤هـ.

٥٣. تاريخ اليعقوبي، لابن واضح. طبعة دار صادر بيروت. وأيضاً النجف.

٥٤. تاج العروس في جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي. طبعة مصر.

٥٥. التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي، أخذ بالواسطة.

٥٦. تحفة الناظرين، فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين، طبعة مصر.

٥٧. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لعبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري، طبع سنة (١٢٨٢هـ)، دار الكتب العلمية.

٥٨. تحفة الأزهار، لابن شدقم، أخذ بالواسطة.

٥٩. تُحفَة الأحبَاب ،للسَّخاوي ، أُخذ بالوَاسطَة .

٦٠. التُّحفة اللَّطيفة فِي تأرِيخ المَدينَة الشَّريفَة ، طَبْعَة الرِّيَاض .

٦١. التُّحفَة الأُنسيَّة عَلىٰ المُقدَّمة الأُجرُوميَّة ، لشَمس الدِّين مُحمَّد الأَزهَري المَالكي ، طَبع مَطْبعَة الفجَّالة .

٦٢. تُحف العُقُول ، لأَبي مُحمّد الحَسن بن عَليّ الحرَّاني المَعرُوف بِاْبن شُعبَة ، مُؤسَّسة النّشر الإِسلاَمي ـ قُـم ، الطّـبعَة الثّـانِية ١٤٠٤ هـ، وإِنْـتشَارات جَـامعَة مُدرسِين ، وَطَبعَة دَار إِحيَاء التُّراث العَربيّ ١٤٠٦ هـ.

٦٣. التَّذكرَة ، لِعبد الرّحمان بن عَليّ بن مُحمّد بـن عَـليّ البَكـري الحَـنبلَي البَغدَادي (اْبن الجَوزي الحَنفي) ، طَبعَة حَيدر آبَاد الدّكن .

٦٤. تَتمّة المُخْتصر لِابن الوَردي : (حَيَاة الإِمَام مَالِك) ، أُخذ بالوَاسطَة .

٦٥. تَذكرَة الحفَّاظ ، مُحمَّد أَحْمَد بن عُثمَان الذّهبيّ ، (ت ٧٤٨هـق) ، تَحْقِّيق : أَحْمَد السّقا ، طَبْعَة ـ القَاهرَة ١٤٠٠ هـ، طَبْعَة حَيدر آباد الدّكن ١٣٨٧ هـ طَبْعَة دَار إِحيَاء التُّراث العَربيّ مَكْتَبَة الحَرم المَكيّ بِمَكّة المُكَرمَة .

٦٦. تَذكرَة الخوَاص (تذكرَة خوَاص الأُمَّة) ، لِيُوسُف بن فَرغلي بن عَـبد الله المَعْرُوف بِسبط اْبْن الجَوزيّ ، الحَنبَليّ ثُمَّ الحَنفيّ ، نَزِيل دِمشـق (ت ٦٥٤ هـ) ، طَبْعَة ـ بَيْرُوت الثَّانِيَة ١٤٠١ هـ،طَبْعَة النَّجف الأَشْرَف ، طَبْعَة مَصْر .

٦٧. تَرجَمة الإِمَام عَليّ بن أَبِي طَالب عليه السلام ، مِن تَأرِيخ دِمشق الكَبِير ، لعَليّ بن هِبة الله المَعْرُوف بِاْبن عسَاكر ، طَبْعَة دِمشق .

٦٨. تَرجَمَة الإِمَام الحُسَيْن مِن كتَاب الطَّبْقَات الكَبِير القِسْم الغَير المَطبُوع ، لِاْبْن سَعِيد الزُّهري (٢٣٠ هـ) . تَحقِّيق : السَّيِّد عَبدالعَزِيز الطَّبَاطَبائي . نَشْر مُؤسَّسَة آل

البَيْت لإحياء التُّراث. ١٤١٥ه.

٦٩. تَرجمَة الإمَام الحَسَن مِن تَأرِيخ دِمشق الكَبِير (٥٧١ه)، تَحْقِّيق: مُحَمَّد بَاقر المَحْمُودي. مُؤسَّسَة المحمُودي. (١٤٠٠ه).

٧٠. تَفرِيح الخَاطر فِي تَرجمَة عَبدالقَادر، طَبعَة عِيسىٰ البَابي الحَلبي وَشُركاؤه عَام «١٣٣٩ه».

٧١. تَفْسِير رُوح الْمَعَانِي، لأَبي الفَضْل شهَاب الدِّين السَّيِّد مُحَمّد الآلُوسي. طَبْعَة مَكْتَبة المُثنىٰ بَغدَاد ١٣٩٦ه.

٧٢. تَفْسِير القُرآن العَظِيم، (تَفْسِير ابْن كَثِير)، لإسمَاعِيل بن عُمر بن كـثرير البَصريّ الدّمشقيّ، (ت ٧٧٤ه). طَبْعَة بَيْرُوت دَار المَعْرِفَة ١٤٠٧ه، طَبْعَة دَار إحيَاء التُّراث العَربيّ، طَبْعَة دَار صَادِر.

٧٣. تَفْسِير البَيضَاويّ، (أنوَار التّنزِيل وَأسرَار التّأويل)، لأَبي سَعِيد عَبدالله ابن عُمر الشّيرازيّ البَيضَاويّ، طَبعَة دَار النّفَائس ١٤٠٢ه، وَطَبعَة مُصطَفىٰ مُحمّد ـ مَصْر.

٧٤. تَفْسِير الكَشّاف، لأَبي القَاسم جَار الله مَحمُود بن عُمر بن مُحَمّد بن أَحمَد الزّمَخشري (ت ٥٣٨ه)، طَبعَة دَار المَعرفَة بَيرُوت، قُم، دَار البَلاَغَة.

٧٥. تَفْسِير الثَّعلبي (الكَشف وَالبيَان فِي التّفسِير)، لأَحمَد بن مُحَمّد بن إبرَاهِيم النّيسابُوري، (ت ٤٣٧ه)، مَطبُوع الجُزء الأَوّل علىٰ الحَجر، وَ(مَخطُوط) فِي مَكتبَة المَرعَشي النّجفي العَامّة.

٧٦. تَفْسِير الخَازن لعَلاَء الدّين الخَازن الخَطِيب البَغدَاديّ، (ت ٧٢٥ه ق)، طَبعَة دَار الفِكر ـ بَيرُوت ١٤٠٩ه، وَطَبعَة مَصر ١٤١٥ه دَار الكُتب العَربية الكُبرىٰ.

٧٧. **تَقْرِيب التَّهْذِيب**، مُحَمَّد بن حَبِيب البَغْدَادِي (ت ٢٤٥ هـ). تَحْقِيق: عَبدالوهَاب عَبداللطِّيف. طَبْعَة القَاهرَة (١٣٨٠ هـ).

٧٨. **تِهذِيب التَّهذِيب**، لأَبي الفَضل أَحمَد بن عَليّ بن حَجر العَسقلانيّ (ت ٨٥٢ هـ ق)، تَحقِيق: مُصطَفىٰ عَبد القَادر عَطا، طَبعَة دَار الكُتب العِلمِية الطَّبعَة الأُولىٰ ـ بَيرُوت ١٤١٥ هـ، وَمَطبعَة مَجْلس دَائرة المعَارف النّظامِية الهُند ١٣١٥ هـ، النّاشر، دَار صَادر بَيرُوت ـ مصَور مِن طَبعَة دَائرة المعَارف العُثمَانية، حَيدر آباد ـ الهِند ١٣٢٥ هـ.

٧٩. **تَهْذِيب تَأرِيخ دِمشق الكَبِير لِابْن عسَاكر**، الشَّيخ عَبدالقَادر رَيدرَان. دَار المَسيرة بَيْرُوت: لُبْنَان.

٨٠. **تَهذِيب الأَحكَام**، لأَبي جَعْفَر مُحَمَّد بن الحَسَن الطُّوسي (المُتوفّىٰ ٤٦٠هـ)، تَحقِّيق الحُجَّة السَّيِّد حَسَن الخرسَان، الطَّبعَة الثَّالِثة، بَيْرُوت دَار الأَضوَاء عَام (١٤٠٦ هـ).

٨١. **تَهْذِيب الأَسْمَاء وَاللُّغَات**، يَحْيَىٰ بن شَرف مُحي الدِّين (ت ٦٧٦ هـ). طَبْعَة القَاهرَة (١٣٤٩ هـ).

٨٢. **تَهْذِيب الكَمَال**، يُوسُف بن عَبدالرَّحمَن المَزي (ت ٧٤٢ هـ). طَبْعَة دَار المَأمُون دِمشق، ومَطَبْعَة مُؤسَّسَة الرِّسَالة.

حَرْف الثَّاء

٨٣. **الثِّقَات**، لأَبِي حَاتِم مُحَمَّد بن حَبَّان بن أَحْمَد التَّمِيمِي البَستي، (٣٥٤ هـ) الطَبْعَة الأُولىٰ، مَطْبَعَة مَجلس دَائِرَة المَعَارف العُثْمَانِيَّة بحَيدر آبَاد الدّكن، الهِند،

عَام ١٣٦٩ هـ.

٨٤. **ثَمرَات الأَورَاق**، للشَّيخ تَقّي الدِّين أَبي بَكْر بن عَليّ المَعرُوف بآبن حُجَّة الحَموي، أُخذ بِالوَاسطَة.

حَرف الجِيم

٨٥. **جَامع الأُصُول فِي أَحَاديث الرّسول**، لأَبي السّعادَات مَجد الدّين المُبَارك بن مُحَمّد آبن مُحمّد المَعرُوف بِآبن الأَثِير الشِّيبَاني الشّافعي، (ت ٦٠٦ هـ) طَبعَة الفَجَّالة مَصر ١٤٠٦هـ.

٨٦. **جَامع البَيَان عَن تَأوِيل القُرآن**، أَبِي جَعْفَر مُحَمَّد بن جَرِير الطَّبري (المُتوفَّىٰ ٣١٠ هـ).

٨٧. **الجَامع الصَّحِيح (سُنن التّرمذي)**، لأَبِي عِيْسَىٰ مُحَمَّد بن عِيْسَىٰ بن سَورَة التّرمذي (ت ٢٩٧ هـ) تَحْقِّيق: أَحْمَد مُحمَّد شَاكر، دَار إِحيَاء التُّرَاث، بَيْرُوت.

٨٨. **الجَامِع الصَّحِيح (صَحِيح مُسْلِم) بشَرْح النّووي**، لمُسلم بن الحَجَّاج بن مُسْلِم القُشِيري النّيشابوري (ت ٢٦١ هـق)، تَحْقِّيق: مُحَمَّد فُؤَاد عَبد البَاقي، دَار الحَدِيث، القَاهرَة، الطَبْعَة الأُولىٰ ١٤١٢ هـ.

٨٩. **الجَامِع الصَّغِير**، فِي أَحَادِيث البَشِير النَّذير جَلاَل الدِّين عَبد الرَّحْمَن بن أَبِي بكر جَلاَل الدّين السّيوطي (ت ٩١١ هـق)، الطَبْعَة الأُولىٰ ـ القَاهرَة ١٣٦٥ هـ.

٩٠. **الجَامِع لأَحكَام القُرآن**، لأَبِي عَبد الله مُحَمَّد بن أَحْمَد القُرطبيّ (ت ٦٧١ هـ)، طَبْعَة الفَجَّالة القَدِيمة مَصْر.، والطَبْعَة الأُولىٰ، دَار إِحيَاء التُّرَاث العَربي، تَصحِيح أَحْمَد عَبد العَلِيم البَردُوني.

٩١. **الجَرح والتَّعدِيل**، عَبدالرَّحمَن بن أَبِي حَاتم مُحَمَّد بن إدرِيس المُـنذر (ت ٣٢٧ هـ). تَحْقِّيق: عَبدالرَّحمَن المَعلَمي اليَمَاني. حَيدر آباد.

٩٢. **جوَاهر العِقدِين فِي فَضْل الشَّرفَين شَرف العِلْم الجَلي وَالنَّسب العَلي**، لعَلي بن عَبد الله الحَسني السَّمهُودي (٨٤٤ ـ ٩١١ هـ)، تَحقِّيق: الدّكتور مُوسىٰ بِنَاي العَلِيلي، مَطْبَعَة العَاني بَغدَاد ١٤٠٥ هـ، نَشْر وزَارَة الأَوقَاف العرَاقِية.

٩٣. **الْجَمَل**، للشَّيخ المُفِيد. طَبْعَة الحَيْدَرِيَّة. النَّجف الأَشرَف. الْعِرَاق. سَـنَة (١٣٨١ هـ.ق).

٩٤. **جَمْهَرة أَنْسَاب العَرْب**، عَليّ بن أَحْمَد بن جَزم (ت: ٦٥٥هـ). تَـحْقِّيق: عبدالسَّلام هَارُون. طَبْعَة القَاهرَة (١٩٦٢ م).

حَرْف الحَاء

٩٥. **الأَحْكَام السُّلطانِية**، لأَبِي الحَسن عَليّ بـن مُـحَمَّد البَـصري البَـغْدَادِي المَاوَردي، الطَّبعَة الأُولىٰ مَصْر، ١٣١٩ هـ.

٩٦. **الإِحكَام لِابْن حَزم**، لعَليّ بن أَحْمد بن حَزم الأَندلسي، أَبُو مُـحمّد، دَار الحَدِيث، القَاهرَة، ١٤٠٤ هـ، طَبْعَة ١.

٩٧. **الإِحكَام للآمُدي**، لعَليّ بن مُحمّد الآمدي، أَبُـو الحَسـن، دَار الكـتَاب العَربي، بَيْرُوت ١٤٠٤ هـ، تَحقِّيق: الدّكتُور سيّد الجُمِيلي.

٩٨. **حَاشِية البجِيرمي عَلىٰ شَرح النَّهج لمُحَمّد عَلي البجِيرمي**، المَطْبَعَة الهِندِية العَربية مَصْر ١٣١٣ هـ.

٩٩. **حَاشِيَة الشَّيخ عَليّ عَلىٰ نهَايَة المُحتَاج إلىٰ شَرْح المِنهَاج**، لشَّمس الدِّين

مُحَمَّد بن أَحْمَد بن حَمْزَة الرَّمليّ (ت ١٠٠٤ هق)، طَبعَة القَاهرة ـ مَصْر (١٢٤٥ هـ).

١٠٠. **حَاشِية ردّ المُخْتَار عَلىٰ الدُّر المُخْتَار لِابْن عَابدِين**، المَطْبع المُصطفَائي، لَكهنو.

١٠١. **الحَاوي للفَتَاوي**، لجَلاَل الدِّين عَبد الرَّحمن بن أَبي بَكْر مُحَمَّد السّيُوطيّ (ت ٩١١هق)، تَحقِّيق: مُحيي الدِّين، طَبعَة السَّعادَة ـ مَصْر ١٣٥٦ هـ.

١٠٢. **الحَاكم فِي مَعْرِفَة علُوم الحَدِيث**، لأَبِي عَبد الله مُحَمَّد بن عَبد الله بن الحَاكم النّيشابوري (ت ٤٠٥ هـ)، طَبْعَة دَار الكِتَاب العَربِي.

١٠٣. **الحَدَائِق الوَردِيَّة فِي مناقِب الْأَئِمَّة الزَّيدِيَّة**، لأَبِي عَبدالله الشَّهيد حُمَيد ابن أَحْمَد المحَلي التِّميمي الوَادعِي، مَطْبُوع، ومَخْطُوط فِي مَكْـتَبَة آل كَـاشف الغِطَاء برَقم «٧١٣»، ومُصَوَّرَة عـن مَـخْطُوطة نُسـخَت سَـنَة (١٣٥٧ هـ). دَار أُسَامة. دِمَشْق ١٤٠٥ هـ.

١٠٤. **حليَة الْأَوليَّاء وطَبْقَات الْأَصفيَاء**، أَحْمَد بن عَبدالله. أَبُو نَعِيم الإِصبهَانِي (المُتوفّىٰ ٤٣٠ هـ).

١٠٥. **حَيَاة الصّحَابة**، لمُحمّد بن يُوسف إليَاس الحَنفي الهِندي، طَبع لاَهُور.

١٠٦. **حَيَاة الحَيوَان الكُبرىٰ**، مُحَمَّد بن مُوسىٰ الدّميري (ت ٨٠٨ هـ). طَبْعَة المَكْتَبَة الْإِسْلاَمِيَّة ـ بَيْرُوت.

١٠٧. **الحَيوَان**، للجَاحظ. طَبْعَة القَاهرَة ١٣٦٥ هـ، وَكَذا طَبْعَة الحَلبي مِن سَنَة (١٣٥٧ هـ).

حَرْف الخَاء

١٠٨. **خَصَائِص أَمِير المُؤْمِنِين ـ ضِمن السُّنن**، الحَافظ النّسائي (٣٠٣هـ) دَار الكُتْب العِلْمِيَة ـ بَيْرُوت.

١٠٩. **خَصَائص أَمِير المُؤْمِنِين عَليّ بن أَبِي طَالب**، للحَافظ أَبِي عَبدالرَّحمَن أَحْمَد آبن شُعيب النّسائي. دَار الكِتَاب العَربي، بَيْرُوت: لُبْنَان.

١١٠. **الخَصَائِص الكُبرىٰ (كفَاية الطَّالب اللَّبيب فِي خَصَائص الحَبِيب)**، جَلاَل الدِّين السّيوطي. طَبْعَة دَار الكِتَاب العَربي.

١١١. **خُزَانة الأَدَب وَلُب لُبَاب لسَان العَرْب**، عَبدالقَادر بن عُمر البَغْدَادِي. طَبْعَة عَام ١٢٩٩هـ.

١١٢. **خُلاَصَّة الأَقوَال فِي مَعْرِفَة الرِّجَال (رِجَال العَلاَّمَة الحِلي)**، لجَمَال الدّين أَبِي مَنْصُور الحَسَن بن يُوسُف بن عَليّ بن المُطهر الحِلي (ت ٧٢٦هـ)، تَصحِيح مُحمَّد صَادق بَحر العُلُوم، مَنْشورَات الشَّريف الرَّضي، الطَبْعَة الأُولىٰ (١٤٠٢هـ).

١١٣. **خُلاَصة تَذهِيب تَهذِيب الكَمَال**، أَحْمَد بن عَبدالله الخَزرَجي الأَنصَاري (ت ٩٢٣هـ). طَبْعَة بُولاق (١٣٠١هـ)، وَكَذا طَبْعَة سَنَة (١٣٩١هـ).

١١٤. **الخُطَط التَّوفِيقيَة**، لعَليّ مُبَارك بَاشا بن سُليمَان بن إِبرَاهِيم الرّوجي المَصْري، أُخذ بالوَاسطَة.

حَرْف الدَّال

١١٥. دَائِرَة مَعَارف القَرن العشرِين، مُحمَّد فَريد وَجدي. دَار المَعْرفَة، بَيْرُوت.

١١٦. دَائِرَة المَعَارِف الإِسْلاَمِيَّة، نَقَلها إِلىٰ العَربية مُحمَّد ثَابت الفَندي وآخرُون.

دَار المَعْرِفَة . بَيْرُوت ـ لُبْنَان .

١١٧. دُرَّر الْأَصْدَاف فِي فَضل السَّادَة الْأَشرَاف ، لعَبد الجوَاد بن خُضر الشَّربِيني .

١١٨. الدُّر المَنْثُور فِي طَبْقَات رَبَّات الخدُور ، العَاملي ـ زَينَب (ت ١٣٣٢ ه) . طَبْعَة القَاهرَة (١٣١٢ ه) .

١١٩. الدُّر المَنْثُور فِي التَّفسِير بِالمَأثُور ، جَلَال الدِّين السّيوطي (ت ٩١١ ه) . دَار الفِكر بَيْرُوت : لُبْنَان .

١٢٠. دَلَائل النُّبوَّة ، أَبُو نَعِيم أَحْمَد بن عَبدالله الْأَصبهَاني (ت ٤٣٠ ه) . نَشْر دَار الوَعي ـ حَلب (١٣٩٧ ه) .

١٢١. دَلَائِل النُّبوَّة ، أَبُو بَكر أَحْمَد بن الحُسَيْن البَيهقي (٤٥٨ ه) نَشْر دَار الوَعي حَلب ١٣٩٧ ه .

١٢٢. دِيوَان أَبي الْأَسود الدُّؤلِيّ ، تَحقِّيق : عَبد الكَرِيم الدُّجيليّ ، طَبْعَة بَيرُوت (١٤١٩ ه) .

١٢٣. دِيوَان أَبي طَالب ، جَمع وَتَحقِّيق : العَانيّ ، المَطْبعَة الخَيريَّة بغَدَاد ١٤٢٠ ه ، وَطَبعَة دَار كُوفَان ـ المَملَكة المُتحدَة فِلندَه ، وَطَبعَة فَيض رسَان ـ بَمبي .

١٢٤. دِيوَان البُوصِيريّ (ت ٨٤٠ هق) ، تَحقِّيق : مُحَمَّد الكَوثريّ ، طَبعَة دَائرَة المعَارف العُثمَانيَّة ـ بيرُوت ١٤٠٦ ه .

١٢٥. دِيوَان المُتنبي ، تَحقِّيق : عَليّ الطَّيب الزَّغلُول ، طَبعَة دَار الكتَاب العَربي ـ بَيرُوت (١٤١٥ ه) .

١٢٦. الدُّرر الكَامنة فِي أَعيَّان المِئة الثَّامنة ، مُحَمَّد بن حَبِيب البَغْدَادِي (ت ٢٤٥ ه) . تَحْقِّيق : عَبدالمَعِين خَان . طَبْعَة حَيدر آباد (١٩٧٢ م) .

١٢٧. الدِّيبَاج المُذهب فِي مَعْرِفَة أَعيَّان المَذهب، إبرَاهِيم بن عَليّ ٱبْن فَرحُون (ت ٧٩٩ هـ). تَحْقِّيق: مُحَمَّد الأَحمدي أَبُو النُّور. طَبْعَة القَاهرَة (١٣٥١ هـ).

١٢٨. ديوَان أَمِير المُؤْمِنِين وَسيِّد البُلغَاء وَالمُتَكلمِين عَليّ بن أَبِي طَالب، النَّاشر: دَار ٱلنَّجْم. بَيْرُوت ـ لُبْنَان.

حَرْف الذَّال

١٢٩. الذُّريَّة الطّاهرَة، لمُحمّد بن أحمَد الدّولابي (مَخْطُوط)، وَتَحقِيق: مُحَمّد جوَاد الجَلالي، مُؤسَّسة النَّشر الإِسلاَمي ١٤٠٧ هـ.

١٣٠. ذَخَائر العُقبىٰ فِي منَاقب ذَوي ٱلْقُرْبَىٰ، لُمحبّ الدّين أَحْمَد بن عَبدالله الشّهير بالُمحبّ الطّبري، (ت ٦٩٤ هـ ق)، نَشْره حُسام الدّين القُدسي بالقَاهرَة ١٣٥٦ هـ.

١٣١. ذَيل المُذيل فِي تأرِيخ الصَّحَابة وَالتَّابعِين لِابْن جَرِير الطَّبري مُلحق بأَحد أجزَاءه مِن تأرِيخ الأُمم والمُلوك مُؤسَّسَة الأَعلَمي بَيْرُوت.

١٣٢. ذَيل المُذَيل لتَّأرِيخ بَغدَاد، طَبْعَة دَار السَّعادة مَصْر

١٣٣. الذَّهَب المَسبُوك فِي ذِكر مَن حَجَّ مِن الخُلفَاء والمُلوك، أَحْمَد بن عَليّ المَقْرِيزي (ت ٨٤٥ هـ). تَحْقِّيق: الشّيال. طَبْعَة القَاهرَة ١٩٥٥ م.

حَرْف الرَّاء

١٣٤. رِبيع الأَبرَار، لأَبي القَاسم جَار الله مَحمُود بن عُمر بن مُحَمّد بن أَحمَد الزّمخشري (ت ٥٣٨هـ).

١٣٥. رِجَال النَّجاشي، لأَبي العَبَّاس أَحْمَد بن عَليّ النَّجاشي تَحْقِّيق مُحَمَّد

جوَاد النَّائِيني طَبْعَة دَار الأَضوَاء بَيْرُوت .

١٣٦. رَشفَة الصّادي مِن بحُور فضَائل بَني الهَادي ، لأَبي بَكْر بن شَهاب الدّين العَلوي ، الحُسَيْنيّ الشّافعي ، طَبع مَصر ١٣٠٣ هـ.

١٣٧. الرّوض الأُنف ، لعَبدالرَّحمن بن عَبدالله السُّهيلي (٥٨١ هـ) تَحْقِّيق طَه عَبدالرَّؤوف سَعد طَبْعَة القَاهرَة .

١٣٨. الرِّيَاض النَّضرة فِي فَضَائل العَشرَة ، لُمحّب الدِّين الطَّبريّ الشّافعِيّ (ت ٦٩٤ هق) ، طَبْعَة بَيْرُوت ١٤٠٣ هـ، وَطَبْعَة ثَانِية فِي مَصْر ، ودَار الغَرب الإِسْلاَميّ بَيْرُوت ١٩٩٦ م ، تَحقِّيق : عِيسىٰ عَبدالله مُحمّد مَانع الحمْيَري .

١٣٩. رَغبَة الآمل مِن كتَاب الكَامل (شَرْح الأَعلاَم لكتَاب الكَامل للمُبرد) ، السَّيِّد اَبن عَليّ المَرصَفي . طَبْعَة مَصْر ١٣٤٦ .

١٤٠. الرَّوْض النَّضِير شَرْح مَجْمُوع الفِقْه الكَبِير ، لشَرف الدِّين الحُسين بن أَحمَد اَبن صَالح السِّياغي : ١ / ٧٧ ، طَبع مَكْتَبة المُؤيد الطَّائف سَنَة ١٩٨٦ .

١٤١. الرَّوض الفَائِق فِي المَوَاعظ وَالرَّقَائِق ، الشَّيخ شُعِيب عَبدالله بن سَعد المَصْري ثُمَّ المَكّي المَشهُور بالحُريفِيش (المُتوفّىٰ ٨٠١ هـ) . طُبع فِي القَاهرة بِجُزئَين وَكَذلك طُبع طَبعَة بُولاَق .

حَرف الزَّاي

١٤٢. زَاد المَسِير فِي عِلم التَّفسِير لعَبدالرَّحمن بن الجَوزِي البَغْدَادي (٥٠٨هـ) ، المَكتب الإِسْلاَميّ بَيْرُوت .

١٤٣. الزُّهد ، الإِمَام أَحْمَد بن مُحمَّد بن حَنبل (ت ٢٤١ هـ) . طَبْعَة دَار الكُتُب

العِلْمِيَة ـ بَيْرُوت .

١٤٤. زُهر الْأَدَب وَثَمر الْأَلْبَاب ، إِبرَاهِيم بـن عَـلِيّ الحُـصري القَـيروَانـي (ت ٤٥٣ هـ). تَحْقِّيق : مُحي الدِّين عَبدالحَمِيد . طَبْعَة القَاهِرَة ١٩٥٣ م .

حَرْف السِّين

١٤٥. سُبل السّلام شَرْح بلُوغ المَرَام مِن جَمْع أَدلة الْأَحكَام ، لمُحَمَّد بن إِسمَاعِيل الكَحلاني ثُمَّ الصّنعاني اليَمني ، مَطْبَعَة مُصطَفىٰ البَابي الحَـلبي وَأَوْلَاده بِـمَصر ، الطّبعَة الرّابعَة ١٣٧٩ هـ.

١٤٦. سُبل الهُدىٰ وَالرَّشاد ، لصَّالح الشَّامي . طَبْعَة مَصْر .

١٤٧. سِرّ السِّلسِّلة العَلوية (مَخْطُوط) ، حيَاة الْإِمَام زَيد .

١٤٨. سَفِينة البحَار ، المُسمَّىٰ سَفِينة بحَار الْأَنوَار وَمَدِينة الحُكم وَالآثار . عَبَّاس ٱبن مُحَمَّد رِضا القُمي . طَبْعَة النَّجف سَنَة ١٣٥٥ هـ.

١٤٩. السَّقِيفة (أَو) أَئِمَّة الشِّيْعَة ، سَلِيم بن قَيس الكوفِي الهـلَالي العَـامري (المُتوفّىٰ ٩٠ هـ). طَبْعَة مُؤسَّسَة الأَعلمي . بَيْرُوت ـ لُبْنَان .

١٥٠. السُّنن الكُبرىٰ ، لأَبِي بَكـر أَحْـمَد بـن الحُسَيْن بـن عَـليّ البَـيهقي (ت ٤٥٨ هـ ق) ، تَحْقِّيق : مُحَمَّد مُحيي الدّين عَبد الحَـمِيد ، دَار إِحـيَاء التُّـرَاث العَربي ـ بَيْرُوت ١٤٠٥ هـ. وتَحْقِّيق : مُحَمَّد عَبد القَادر عَطا ، طَـبْعَة دَار الكُـتْب العِلْمِيَة ، الطَبْعَة الْأُولىٰ ـ بَيْرُوت ١٤١٤ هـ مُصَوَّرَة مِن دَائِرَة المَعَارِف العُـثمَانية ، حَيدر آبَاد الدّكن ١٣٥٣ هـ.

١٥١. سُنن ٱبْن مَاجه ، لأَبِي عَبد الله مُحَمَّد بـن يَـزيد بـن مَـاجه القَـزوِينيّ

(ت ٢٧٥هق) ، تَحْقِّيق : فُؤاد عَبد البَاقي ، دَار إِحـيَاء التُّـراث ، بَـيْرُوت ، الطَـبْعَة الأُولىٰ ١٣٩٥ هـ. ونَشر دَار الفِكر ، طَبْعَة ـ بَيْرُوت ١٣٧١ هـ.

١٥٢. سُنن التّرمذي ، لأَبِي عِيْسَىٰ مُحَمَّد بن عِـيْسَىٰ بـن سَـورة التّـرمذي (ت ٢٩٧ هـ) تَحْقِّيق : أَحْمَد مُحَمَّد شَاكر ، دَار إِحيَاء التُّرَاث ، بَيْرُوت .

١٥٣. سُنن الدَار قُطني ، لأَبِي الحَسَن عَليّ بن عُمر البَغْدَادِي المَعْرُوف بالدَار قطني ، (ت ٢٨٥ هـ) تَحْقِّيق : أَبُو الطّيب مُحَمَّد آبادي ، عَالم الكُـتْب ، بَـيْرُوت ، الطَبْعَة الرّابعة ١٤٠٦هـ، طَبْعَة بُولاَق بالقَاهرَة .

١٥٤. سُنن النّسائِي ، الحَافظ المُتوفّىٰ سَنَة (٣٠٣هـ) . طَبْعَة دَار الكُتْب العِلْمِيَة . بَيْرُوت ـ لُبْنَان .

١٥٥. سُنن أَبي دَاود ، لأَشعث السّجستانيّ الأَزديّ (ت ٢٧٥ هـ ق) ، إعـدَاد وَتَعلِيق : عِزّت عَبد الدّعاس ، طَبْعَة دَار الْحَدِيث الطَّبْعَة الأُولىٰ ـ حِمص ١٣٨٨ هـ وطَبْعَة مُصطَفىٰ البَابيّ ـ مَصْر ١٣٩١ هـ.

١٥٦. سِير أَعْلاَم النُّبلاء ، مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عُثْمان الذَّهَبي (ت ١٣٧٤ م) . تَحْقِّيق : مَجْمُوعة مِن البَاحِثِين تَحت إِشرَاف : شُعِيب الأَرنَاؤط . مُؤسَّسَة الرِّسَالة بَيْرُوت ـ لُبْنَان .

١٥٧. السِّيرة النَّبوّية ، لأَبِي مُحَمَّد عَبد المَلك بن هِشام بن أَيُوب الحمْيَري ، (ت ٢١٣ أو ٢١٨ هـ ق) ، تَحْقِّيق : مُصْطَفىٰ السّقا ، وإِبـرَاهِـيم الأَنْـبَاري ، وعَـبد الحَفِيظ شَلبي ، مَكْتَبَة المُصْطَفىٰ ، قُم ، الطَبْعَة الأُولىٰ ١٣٥٥ هـ.

١٥٨. السِّيرة النَّبوّية بهَامش السِّيرة الحَلبِية ، لأَحمد بـن زَيـني بـن أَحْـمَد دَحلاَن (ت ١٣٠٤ هـ) طَبْعَة دَار الكِتَاب العَربي بَيْرُوت ١٤٠٨ هـ.

١٥٩. الشَّافِي ـ فِي الجوَاب عَلىٰ الرِّسَالة الخَارقة للفَقِيه عَبدالرَّحِيم بن أَبِـي القَبَائل، تَألِيف الإِمَام عبدالله بن حَمْزَة الحَسَني (٥٦١ ـ ٦١٤). الطَـبْعَة الأُولىٰ ١٩٨٩م. مَنْشُورات مَكْتَبَة اليَمَن الكُبرىٰ، اليَمَن ـ صَنْعَاء.

حَرْف الشِّين

١٦٠. شَذرَات الذَّهب فِي أَخْبَار مَن ذَهَب، لأَبِي الفَلاَح عَبد الحَي المَعْرُوف بآبن العِمَاد (ت ١٠٨٩ هق)، تَحْقِّيق: الأَرنَاؤط، طَبْعَة ـ بَيْرُوت، ودِمشق ١٤٠٩ هـ، ونَشْر مَكْتَبَة القُدسي، القَاهرَة ١٣٥٠ هـ.

١٦١. شَرْح البَحر الرَّائق، لزَين الدّين بن إِبرَاهِيم بن مُحَمّد المَعرُوف بآبن نُجِيم المَصْري الحَنفي.

١٦٢. شَرْح نَهْج البَلاَغة، للشَّيخ مُحَمَّد عَـبده، طَـبْعَة دَار الكِـتَاب العَـربيّ ١٤٠٦ هـ، طَبْعَة الفَجَّالة الجَدِيدَة ـ مَصْر ١٤٠٣ هـ.

١٦٣. شَرْح نَهْج البَلاَغَة؛ للخُوئيّ، طَبْعَة دَار الفِكر بَيْرُوت ١٤٠٦ هـ.

١٦٤. شَرْح نَهْج البَلاَغة، لِابْن أَبِي ٱلْحَدِيد المُعتَزليّ (ت ٦٥٦ هق)، تَحْقِّيق: مُحَمَّد أَبُو الفَضل، طَبْعَة ـ بَيْرُوت ١٤٠٩ هـ.

١٦٥. شَرْح نَهْج البَـلاَغَة، ٱبْـن أَبِـي ٱلْـحَدِيد، عَـبدالحَـمِيد بـن هِـبة الله (ت: ٦٥٥ هـ). طَبْعَة بَيْرُوت (١٣٧٤ هـ). وبتَحْقِّيق: مُحَمَّد أَبُو الفَضل إبرَاهِـيم. طَبْعَة دَار إِحيَاء الكُتُب العَربِية ـ مَصْر.

١٦٦. شَرْح الشُّريشي عَلىٰ المَقامَات الحَريريَة، أُخذ بالوَاسطَة.

١٦٧. الشِّفَاء بِتَعرِيف حقُوق المُصْطَفىٰ، لقَاضي أَحْمَد بن عَيَّاض بن مُحَمَّد بن

عَبد الله ٱبن مُوسىٰ بن عَيَّاض اليَحصبُي ، أندلسِي الأَصْـل ،(٤٩٦ هـ ـ ٥٤٤ هـ) طَبْعَه بَيْرُوت .

١٦٨. شَوَاهد التّنزيل لقوَاعد التّفضِيل، لأَبِي القَـاسم عُـبيد الله بـن عَـبد الله النّيسابوري المَعْرُوف بالحَاكم الحَسكَاني (مِن أَعْلَام القَرن الخَامس ، والمُتوفّىٰ بَعد سَنَة ٤٧٠ هـ) ، تَحْقِّيق : مُحَمَّد بَـاقر الـمحمُوديّ ، مُـؤسَّسَة الطّـبع والنّشـر ، طَهرَان ، الطَبْعَة الأُولىٰ ـ ١٤١١ هـ.

١٦٩. الشَّجرَة المُبَاركة فِي أَنْسَاب الطَّالبِيين ، مُحَمَّد بن عُمر . الفَخر الرَّازي (٦٠٦هـ) . تَحْقِّيق : السَّيِّد مَهدي الرَّجَائي . طَبْعَة مَكْتَبَة المَرعشي النَّـجْفي ـ قُـم سَنَة (١٤٠٩ هـ).

١٧٠. شَرْح ديوَان حَسَّان بـن ثَـابت ، وَضَـعة وَضَـبط الدِّيـوَان وصَـحَحه : عَبدالرَّحمَن البَرقُوقي . دَار الكِتَاب العَربِي . بَيْرُوت : لُبْنَان .

١٧١. شَرْح المُوَاهب اللَّدنِية لمُحَمَّد عَبدالبَاقي الزَّرقاني (١١٢٢هـ) ، دَار المَعْرِفَة بَيْرُوت .

١٧٢. الشِّعر وَالشُّعرَاء ، عَبدالله بن مُسْلِم ٱبْن قُتيبَة (ت ٢٧٦ هـ) . تَحْقِّيق : أَحْمَد شَاكر . طَبْعَة القَاهرَة (١٩٦٦م) .

١٧٣. الشَّمَائل المُحَمَّدية ، مُحَمَّد بن عِيْسَىٰ التّرمذي (ت ٢٧٩ هـ) . تَحْقِّيق : عِزَّت عُبِيد الدَّعاس . حِمص (١٩٧٦م) .

حَرْف الصَّاد

١٧٤. صَحِيح البُخَاري ، لأَبِي عَبدالله مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل بن إبرَاهِيم بن المُغِيرَة

الجَعفي البُخَاري ، (ت ٢٥٦ هـ) ، تَحْقِّيق : مُصْطَفىٰ دِيب البَـغا ، دَار آبْـن كَـثِير ، بَيْرُوت ، الطَبْعَة الرّابعَة ١٤١٠ هـ ، ومطبَعَة المُصطفَائِي ١٣٠٧ هـ.

١٧٥. شَرْح صَحِيح البُخَاريّ ، عَبد الله مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل ، لَمحمُود بن أَحْمَد العَينيّ (ت ٨٥٥ هـ ق) ، مطبَعَة الفَجَّالة الجَدِيدَة ـ مَصْر ١٣٧٦ هـ.

١٧٦. صَحِيح التّرمذيّ ، لِعِيسىٰ بن سَورة التّرمذيّ ، (ت ٢٩٧ هـ ق) ، طَـبْعَة بَيْرُوت ١٤٠٥ هـ. مطبَعَة المَكْتَبَة السّلفِية بِالمَدِينة المُنورَة .

١٧٧. الصَّحِيح مِن سِيرَة النَّبيّ الأَعظم صلى الله عليه وآله ، السَّيِّد جَعْفَر مُرْتَضىٰ العَامِلي . دَار الهَادي دَار السِّيرة . بيْرُوت ـ لُبْنَان .

١٧٨. صَـحِيح مُسْـلِم ، لأَبِـي الحُسَيْن مُسْـلِم بـن الحَـجَّاج القُشِـيري النّيسابُوري ، (ت ٢٦١ هـ ق) ، تَحْقِّيق : مُحَمَّد فُؤاد عَبد البَاقي ، طَبْعَة ـ بَـيْرُوت ١٣٧٤ هـ. دَار الحَدِيث ـ القَاهرَة ، الطَبْعَة الأُولىٰ ١٤١٢ هـ ، ودَار إِحـيَاء التُّـرَاث العَربِي ، بَيْرُوت .

١٧٩. صَفوَة الصَّفوة ، لأَبِي الفَرج عَبدالرَّحمَن بن عَليّ الجَـوزِي (٥٩٧ هـ) . مُؤَسَّسَة الكُتُب الثَّقَافِية . بَيْرُوت : لُبْنَان . وبتَحْقِّيق : مَاخُوري قَلعَجي .

١٨٠. الصَّوَاعق المُحرقة ، لِابْن حَجر الهَيثمي (٩٧٤ هـ) . تَحْقِّيق : عَبدالوَهَّاب اللَّطِيف . مَكْتَبَة القَاهرَة .

حَرْف الضَّاد

١٨١. الضُّعفَاء الصَّغِير ، مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل البُخَاري (ت ٢٥٦ هـ) . تَحْقِّيق : مَحمُود إِبرَاهِيم زَايد . دَار الوَعي ـ حَلَب (١٣٩٦ هـ) .

١٨٢. **الضُّعفَاء الكَبِير**، أَبُو جَعْفَر العُقيلي (٣٢٢هـ). تَحقِّيق الدُّكتُور: عَبدالمُعطي أَمِين القَلعجي. دَار الكُتْب العِلْمِيَة ـ بَيْرُوت. الطَبْعَة الأُولىٰ (١٤٠٧هـ).

حَرْف الطَّاء

١٨٣. **الطّبقات الكُبرىٰ**، لُمحَمَّد بن سَعد الوَاقدي الزُّهري (ت ٢٣٠هـ)، دَار صَادِر، بَيْرُوت ١٤٠٥هـ، طَبْعَة أُوربا، طَبْعَة لَيدن.

١٨٤. **طَبْقَات الشّافِعِية**، لعَبد الوَهَّاب بن عَليّ تَاج الدِّين السَّبكي (٧٧١هـ)، تَحقِّيق: الحلُو، والطّناحي، دَار إِحيَاء الكُتْب العَربِية بالقَاهرَة ١٣٩٦هـ.

١٨٥. **طَبْقَات الحفّاظ**، لعَبد الرَّحْمَن بن أَبِي بَكر جَلاَل الدّين السّيوطي (ت ٩١١هـ)، طَبْعَة بُولاَق.

١٨٦. **طَبْقَات الحَنَابلة**، لأَبِي يَعلىٰ، تَحقِّيق: مُحمَّد حَامد الفَقي، مطَبْعَة السُّنَّة المُحمَّدية.

١٨٧. **طَبْقَات الشّافِعِية الكُبرىٰ**، لتَقي الدّين أَبِي الحَسَن عَليّ بن عَبد الكَافيّ السّبكيّ (ت ٧٧١هـ ق)، تَحقِّيق: عَبد الفتَّاح مُحمَّد الحلُو، وَمَحمُود مُحَمَّد الطّناحي، دَار إِحيَاء الكُتب العَربِية. طَبْعَة عِيسَىٰ البَابيّ ـ مَصْر ١٣٨٣هـ.

١٨٨. **طَبْقَات الفُقهَاء**، إِبرَاهِيم بن عَليّ الشِّيرَازي، أَبُو إِسحَاق (ت ٤٧٦هـ)، تَحقِّيق: إِحسَان عَبَّاس. الطَبْعَة الثَّانِيَة ـ بَيْرُوت ١٩٨١م، وَكذَلك طَبْعَة ـ بَغْدَاد.

حَرْف العَين

١٨٩. **العِقد الفَرِيد**، أَحْمَد بن مُحمَّد بن عَبد رَبِّه الأُندلسِي (ت ٣٢٨هـ). دَار

الكُتْب العِلْمِيَة . بَيْرُوت : لُبْنَان . وبتَحْقِيق أَحْمَد أَمِين وَجمَاعة ، طَـبْعَة القَـاهِرَة . وتَحْقِيق : مُحَمَّد سَعِيد العريَان .

١٩٠. **عُمدَّة الطَّالب فِي أَنْسَاب آل أَبِي طَالب** ، لِابْن عنبه أَحمَد بن عَليّ جمَال الدِّين الحُسَيْنيّ (ت ٨٢٨ هـ) ، المَطْبَعة الحَيدرِية النَّجف الأَشرَف عَام ١٣٨٠ هـ.

١٩١. **عُيُون الأَثر** ، لأَحمد بن عَبدالله بن يَحْيَىٰ المَشهُور بِابن سَـيّد النَّـاس (ت ٧٣٤ هـ ق) ، طَبْعَة دَار المَعْرِفَة ـ بَيْرُوت ١٤٠١ هـ ، طَبْعَة القُدسي ١٣٥٦ هـ.

١٩٢. **عُيُون أَخبَار الرّضا** عليه السلام ، لأَبي جَعْفر مُحمّد بن عَليّ بن الحُسَيْن بن بَابوَيه القُمي المَعرُوف بِالشَّيخ الصّدوق (ت ٣٨١ هـ) ، ، مَنشُورَات المَكتَبة الحَـيدرِية ، النّجف الأَشرَف .

١٩٣. **عُيُون الأَخبَار وَفنُون الآثَار** ، لِابْن قُتِيبة الدّينوري (ت ٢٧٦ هـ) ، طَبْع دَار الكِتَاب العَربِي ، وطَبْع قَدِيم .

١٩٤. **عُيُون الأَخبَار** ، لِابْن قِتِيبة . طَبْعَة المُؤسَّسة المَصْرِيَة العَامة . سَنَة ١٣٩٢ هـ.

١٩٥. **العِقْدُ الثَّمينُ في إِثبَاتِ وِصَايَةِ أَمِيرِ المُؤمِنين** عليه السلام ، للقَاضي الحَافظ الضَّابط المحَدث شَيخ الإِسْلاَم مُحَمَّد ابن عَليّ بن مُحَمَّد الشَّوكَانيّ اليـمَانيّ الصَّـنعانيّ المُتوفّىٰ بِمَدِينة صَنعَاء فِي جُمَادَىٰ الأَخِـرَة سَـنَة ١٢٥٠ هـ. تَـحقِّيق : سَـامي الغُريري .

١٩٦. **العقُود الجَوهريَّة فِي مَدَائح الحَضرة الرِّفَاعيَّة** ، طَبع مَصر سَنَة « ١٣٠٦ هـ» .

١٩٧. **العِلل ومَعْرِفَة الرِّجَال** ، أَحْمَد بن مُحَمَّد بن حَنبل (ت ٢٤١ هـ) . تَحْقِّيق : الدُّكتُور طَلعت قُورج بَيكت ودَاود إِسْمَاعِيل جَراح أوغلي . طَبْعَة أَنقره (١٩٦٣ م) .

١٩٨. **عُمدَة القَارىء (شَرْح صَحِيح البُخَاري)** ، بَدر الدِّين مَحمُود بن أَحْمَد

العَيني (٨٥٥ هـ). دَار إحيَاء التُّرَاث العَربِي ـ بَيْرُوت .

١٩٩. العُمدّة ، الحَسَن بن رَشِيق (ت ٤٥٦ هـ). تَحْقِّيق : مُحَمَّد مُحيي الدِّين عَبدالحمِيد طَبْعَة القَاهرَة .

حَرْف الغَين

٢٠٠. الغَارَات ، لأَبي إِسحَاق إبرَاهِيم بن مُحَمّد بن سَعِيد المَعرُوف بأبن هِلال الثّقفي ، مَنْشُورات أَنجمن آثَار ملّي ـ طَهرَان .

حَرْف الفَاء

٢٠١. الإفَادة فِي تَأرِيخ الأَئِمَّة السَّادَة ، لِلإمَام النَّاطق بِالحَقِّ أَبِي طَالب يَحْيَىٰ أبن الحُسين بن هَارون الهَارُوني الحَسَني ، تَحقِّيق : إبرَاهِيم بن مَجد الدِّين بن مُحَمَّد المُؤيدِي ، وَهَادي بن حَسَن بن هَادي الحَمزَّاوي ، مَنْشورَات مَركَز أَهْل البَيْت للدِّرَاسَات الإِسلاَمِيَّة ، اليَمَن صَعْدَة ، الطَّبعَة الأُولىٰ عَام (١٤٢٢ هـ). وَ (مَخْطُوط) .

٢٠٢. فَتح البَاري شَرْح صَحِيح البُخَاري ، مُحَمَّد بن حَبِيب البَغْدَادِي (ت ٢٤٥ هـ). طَبْعَة بُولاق (١٣٠١ هـ). طَبْعَة السَّلفِية (١٣٩٠ هـ).

٢٠٣. فَتح البَاريَ شَرْح صَحِيح البُخَاري ، لأَحمَد بن عَليّ بن مُحَمَّد بن حَجر العَسقلاَني ، (ت ٨٥٢ هق) ، النّاشر : دَار إحيَاء التُّرَاث العَربِي ، بَيْرُوت ، والمطْبَعَة السّلفية مَصْر ١٣٨٠ هـ، وتَحْقِّيق : عَبد العَزِيز بن عَبدالله بن بَاز ـ القَاهرَة ١٣٩٨ هـ

٢٠٤. اَلْفَتْح القَدِير (تَفْسِير) ، لُمحَمَّد بن عَليّ الشّوكَاني ، (ت ١٢٥٠ هـ) ، دَار

إحيَاء التُّرَاث العَربِي، طَبْعَة دَار الكُتُب العِلْمِيَة بَيْرُوت ١٤٠٣ هـ.

٢٠٥. الفُتُوح، أَحْمَد بن أَعْثَمْ الكُوفِي. أجزاء. دَائِرَة المَعَارِف الحَيْدَرِيَّة. النَّجف ١٩٦٢ م / ١٣٨٢ هـ.

٢٠٦. فُتُوح البُلدان، أَحْمَد بن يَحْيَىٰ البَلاَذري (ت ٢٧٩ هـ). تَحْقِّيق: رَضوَان مُحَمَّد رَضوَان. السَّعَادَة، القَاهرَة (١٩٩ م)، وَكَذا طَبْعَة (١٣١٩ هـ).

٢٠٧. الفَخرِي فِي أَنْسَاب الطَّالبِيين، للسِّيد عزّ الدِّين بن أَبِي طَالب إِسْمَاعِيل ٱبن الحُسَيْن. تَحْقِّيق: السَّيِّد مَهدي الرَّجَائي. مَكْتَبَة آية الله العُظمىٰ المَرعَشي. قُم (١٩٨٩ م / ١٤٠٩ هـ).

٢٠٨. الفُرْدُوس بِمَأثُور الخِطَاب، لأَبي شجَاع شِيرَويه بن شَهردَار بن شِيرَويه بن فَنا خُسرو الدّيلمي الهَمدَاني (إلْكِيا) (ت ٥٠٩ هـ ق)، تَحقِيق: السّعيد بن بَسيوني زَغلول طَبعَة دَار الكُتب العِلميَة بَيرُوت، الطّبعة الأُولىٰ ١٤٠٦هـ، و ١٤١٩ هـ.

٢٠٩. فرَائِد السِّمْطَين فِي فضَائِل المُرتَضىٰ وَالبَتُول والسّبطِين وَالأَئِمة مِن ذُرِّيتهم، لإِبرَاهيم ٱبْن مُحَمَّد بن المُؤيد بن عَبد الله الجُويني الحمُويني، (ت ٧٢٢ أو ٧٣٠ هـ ق)، تَحْقِّيق: مُحَمَّد بَاقر المحمُودي، طَبْعَة مُؤسّسة المحمُودي بَيْرُوت ١٣٩٨ هـ.

٢١٠. فَيض القَدِير، لُمحَمَّد بن عَليّ الشّوكاني، (ت ١٢٥٠ هـ)، طَبْع دَار الصَّحَابَة.

٢١١. فَيض القَدِير شَرْح الجَامِع الصَّغِير، لأَبِي زَكرِيا يَحْيَىٰ بن مُحَمَّد عَبد الرّؤوف المَناويّ (ت ١٠٣١ هـ ق)، الطَبْعَة الأُولىٰ ـ القَاهرَة ١٣٥٦ هـ.

٢١٢. الفُصُول المُهمَّة فِي مَعْرِفة الأَئِمَّة. عَليّ بن مُحَمَّد الصَّباغ المَالكِي (٨٥٥ هـ).

مُؤسَّسَة الأَعلمي للمَطبُوعات ـ بَيْرُوت. (١٤٠٨ هـ)، وَكَذا طَـبْعَة الحَـيْدَرِيَّة ـ النَّجف. الْعِرَاق عَام (١٣٨١ هـ)، وَكَذا طَبْعَة دَار الحَدِيث قُم.

٢١٣. الفَضَائل، لأَبي الفَضل سَدِيد الدّين شَاذان بن جِبرِيل بن إِسمَاعِيل بن أَبي طَالب القُمي (ت ٦٦٠ هـ)، طَبعَة دَار الكتَاب العربيّ بَيرُوت ١٤٠٦ هـ، وَالمَطبعَة الحَيدرِية النَّجف الأَشرَف، الطَّبعة الأُولىٰ ١٣٣٨ هـ.

٢١٤. فَضَائل الصّحَابة، لأَبِي عَبدالله أَحْمَد بن مُحمّد حَنْبل الشّيبَانيّ (٢٤١هـ)، تحَقِّيق: وَصي الله بن مُحمّد عبَّاس، دَار العِلم، الطَّبعَة الأُولىٰ ١٤٠٣ هـ، وَطَـبْعَة جَامعَة أُمّ القُرىٰ السّعودِية.

٢١٥. فَضَائل الخَمْسَة مِن الصّحَاح السِّتة، لمُرتَضىٰ الحُسَيْنيّ الفَيروز آبَادي، مُؤسَّسَة الأَعلمي للمَطبُوعات، بَيْرُوت، الطَبْعَة الثّالثَة ١٩٧٣ م.

٢١٦. الفَصل فِي المِلل وَالأَهوَاء وَالنِّحل، عَليّ بن أَحْمَد بن حَزم (ت ٤٥٦ هـ). طَبْعَة القَاهرَة (١٣٢١ هـ).

٢١٧. الفَهْرَست، لأَبِي جَعْفر مُحَمَّد بن الحَسَن المَعْرُوف بِـالشَّيخ الطّـوسيّ (ت ٤٦٠ هـ ق)، طَبْعَة ـ بَيْرُوت ١٤١٢ هـ.

٢١٨. الفصُول اللُّؤلؤيَة فِي أُصول العِتْرَة النَّبوِيَّة، لإِبرَاهِيم بن مُحَمَّد بن عَبدالله ابن إِبرَاهِيم ابن عَليّ المُرْتَضىٰ الصَّنعَاني الشَّهِير بِالوَزِيري الزَّيدِي، مَخْطُوط.

٢١٩. فوَات الوَفِيَّات، مُحَمَّد بن شَاكر الكُتْبي (ت ٧٦٤هـ). تَحْقِّيق: إِحسَان عَبَّاس. طَبْعَة بَيْرُوت (١٩٧٣ م).

حَرْف القَاف

٢٢٠. قَاموس الرِّجَال فِي تَحْقِّيق رواة الشِّيْعَة وَمُحدثِيهم، لُمحَمَّد تَقي بن كَاظم التُّستري (ت ١٣٢٠ هـ)، مُؤسَّسَة النّشر الإسْلاَميّ، قُم الطَبْعَة الثَّانِيَة ١٤١٠ هـ.

٢٢١. القَامُوس المحِيط، لُمحَمَّد بن يَعقُوب الفَيروز آبَادي، مطبَعَة مُصْطَفىٰ البَابي الحَلبي القَاهرَة، الطَبْعَة الثَّانِيَة ١٩٥٢ م.

٢٢٢. القَامُوس، لُمحَمَّد مُرتَضىٰ الزّبيديّ (ت ١٢٠٥ هـ ق)، طَبْعَة دَار إحيَاء التُّرَاث العَرِبي ـ بَيْرُوت ١٤٠٥ هـ.

٢٢٣. قُرّة العُيُون بِأخبَار اليَمَن المَيمُون، لأَبي الضِّيا عَبدالرَّحمن بن عَليّ الدّيبع الشَّيبَاني الزُّبيدي (الرَّازي)، حَقَقَّه وَعَلّق عَلَيه مُحَمَّد بن عَليّ الأَكوع الحـوَالي طَبع بَيرُوت سَنَة ١٩٨٨. (وَمَخْطُوط).

٢٢٤. القَول المُبِين فِي فَضَائِل أَهْل البَيْت المُطَهرِين عليهم السلام، مُحَمَّد بن عَـبدالله سُليَمان العزيّ، طَبع مُؤسَّسة الإمَام زَيد بن عَليّ الثَّقَافِيه.

حَرْف الكَاف

٢٢٥. الكَافِي (الأُصُول)، المطبَعَة الإسْلاَمِيَّة. عَام (١٣٨٨ هـ.ق). طَهرَان، ثُمَّ طَبعَ سَنَة (١٣٧٧ هـ. ق) الحَيدرِي. طَهرَان ـ إيرَان.

٢٢٦. الكَامل فِي التَّأرِيخ، لأَبِي الحَسَن عَليّ بن أَبِي الكرَام مُحَمَّد مُحَمَّد بن عَبدالكَرِيم الشَّيبَاني المَعْرُوف بِأبن الأَثِير (ت ٦٣٠ هـ). عُني بمرَاجَعة أُصـوله: نُخبَة مِن العُلمَاء. دَار الكِتَاب العَربِي. بَيْرُوت ـ لُبْنَان.

٢٢٧. كتَاب الهوَاتف لِابْن أَبِي الدُّنيا، أُخذ بِالوَاسطَة.

٢٢٨. كَنز العُمّال فِي سُنن الأَقوَال وَالأفعَال، لعَلاَء الدّين عَليّ المُتّقي ابن حُسَام الدّين الهِندي (ت ٩٧٥ هـ)، تَصحِيح صَفوَة السّقا، مَكْتَبة التُّرَاث الإسلاَمي - بَيْرُوت، الطّبعة الأُولىٰ ١٣٩٧ هـ، وَطَبْع دَار الوَعي حَلب ١٣٩٦ هـ.

٢٢٩. كَشف الغُمَّة فِي مَعْرِفَة الأَئِمَّة، لعَليّ بن عِيْسَىٰ الإربليّ (ت ٦٨٧ هـ)، تَصحِيح هَاشم الرّسولي المحلاتي، دَار الكِتَاب الإِسْلاَميّ، بَيْرُوت، الطَبْعَة الأُولىٰ ١٤٠١ هـ، طَبْعَة تَبريز بدُون تأرِيخ.

٢٣٠. كَشف الظّنُون، عَبدالرَّحمَن بن مُحَمَّد بـن إدرِيس الرَّازي، ابْـن أَبِـي حَاتم (ت ٣٢٧هـ). طَبْعَة أستَانبُول (١٩٤١ م).

٢٣١. الكَامل فِي الضُّعفَاء، عَبدالله بن عَدي (ت ٣٦٥هـ). تَحْقِّيق: عَبدالمُعطي قَلعجي. طَبْعَة بَيْرُوت ١٩٨٤ م.

٢٣٢. كَشف الظّنون عن أَسَامي الكُتْب وَالفنُون، لمُصطَفىٰ بـن عَـبدالله القَسْطَنطِيني (ت ١٠٦٧ هـ ق)، طَبْعَة - القَاهِرَة ١٣٨٩ هـ.

٢٣٣. كَشف الظّنون عن أَسْمَاء الكُتْب والفنُون، حَاجي خَلِيفة، مَنْشورَات مَكْتَبَة المُثنّىٰ، بَغْدَاد.

حَرْف اللاَّم

٢٣٤. اللُّبَاب، لأَبي السَّعَادَات مَجد الدّين المُبَارك بن مُحَمّد بن مُحَمّد المَعرُوف بِابن الأَثِير الشَّيبَاني الشّافِعِي، (ت ٦٠٦ هـ)، طَبعَة بُولاَق.

٢٣٥. لبُاب النّقول فِي أَسبَاب النّزول، لعَبد الرّحمن بن أَبي بَكْر جَلاَل الدّين السّيُوطي (ت ٩١١ هـ)، طَبعَة مُصْطَفىٰ البَابي الحَلبي.

٢٣٦. لسَان العَرْب، لأَبي الفَضل جمَال الدّين مُحَمَّد بن مُكرم بن مَنظُور الأَفرِيقي المَصْري، (ت ٧١١هق)، الطَبْعَة الأُولىٰ دَار صَادِر ـ بَيرُوت ١٤١٠هـ.

٢٣٧. لسَان المِيزَان، لأَبِي الفَضل أَحْمَد بن عَليّ بن حَجر العَسقلاَنيّ (ت ٨٥٢هق)، تَحْقِيق: عَادل أَحْمَد عَبد المَوجُود، وعَليّ مُحَمَّد مُعوض، طَبْعَة دَار الكُتُب العِلْمِيَة بَيرُوت، الطَبْعَة الأُولىٰ ١٤١٦هـ.

حَرْف المِيم

٢٣٨. مَآثر الإِنَافة فِي مَعَالم الخِلاَفة، لأَحمد بن عَبدالله القَلْقَشندي (ت ٨٢١هـ) تَحقِّيق: عَبد السّتار فرَّاج، طَبْعَة عَالم الكُتب بَيرُوت.

٢٣٩. المَآثر النَّفِيسَة فِي مناقب السَّيِّدة نَفِيسَة، لجمَال الدِّين مُحَمد الرُّومي، طَبعَة الحَجْر.

٢٤٠. المِئة المُخْتَارة، لعَمرُو بن بَحر الجَاحظ بن مَحبُوب الكنَاني اللّيثي (ت ٢٥٥هـ).

٢٤١. المُختَصر فِي أَخْبَار البَشر، (تأرِيخ أَبِي الفدَاء)، لعمَاد الدّين إِسْمَاعِيل أَبُو الفدَاء، (ت ٧٣٢هق)، نَشْر مَكْتَبَة القُدسيّ، طَبْعَة ـ القَاهرَة ١٤٠٨هـ، طَبْعَة إدَارة ترحَاب السُّنَّة ـ بَاكستَان، المَكْتَبَة الإِعدَادِية.

٢٤٢. المُدونَّة الكُبرىٰ للإِمَام مَالِك، طَبع القَاهرَة.

٢٤٣. مُخْتَصر تَأرِيخ العَرب، سيّد أَمِير عَليّ، أُخذ بِالوَاسطَة.

٢٤٤. مَجْمَع الزّوَائد ومَنبع الفوَائد، لعَليّ بن أَبِي بَكْر الهَيثميّ (ت ٨٠٧هق)، تَحْقِّيق: عَبدالله مُحَمَّد دَرويش، طَبْعَة دَار الفِكر، الطَبْعَة الأُولىٰ ـ بَيرُوت

١٤١٢هق)، مُصَوَّرَة عن طَبْعَة القُدسيّ ١٣٨٩هق، طَبْعَة ـ القَاهرَة الثَّانِيَة بدُون تأرِيخ.

٢٤٥. **المَحَاسن**، لأَبي جَعْفر أَحمَد بن مُحَمّد بن خَالد البَرقي (ت ٢٨٠ه)، تَحقِيق :السَّيِّد مَهدي الرَّجَائي، المَجْمَع العَالمي لأَهل البَيْت ـ قُم، الطّبعَة الأُولىٰ ١٤١٣ه.

٢٤٦. **مُحَاضرَات الأُدبَاء**، الرّاغب الإِصفهَاني، طَبعَة بَيرُوت.

٢٤٧. **المُخْتَصر**، الحَسن بن سُيلمَان الحِلي، طَبعَة النَّجف الأَشرف.

٢٤٨. **المُحَلىٰ**، لأَبي مُحَمّد عَليّ بن أَحمَد بن سَعِيد اَبن حَزم الظّاهري، دَار الفِكر.

٢٤٩. **مُروج الذَّهَب وَمَعَادن الجَوهر**، لأَبِي الحَسَن عَليّ بن الحُسَيْن المَسعُوديّ (ت ٣٤٦هق)، تَحْقِيق: مُحَمَّد مُحييّ الدّين عَبد الحَمِيد، مطَبْعَة السّعادة، الطَبْعَة الرّابعة ـ القَاهرَة ١٣٨٤ه.

٢٥٠. **المُستَدرك عَلىٰ الصَّحِيحَين**، لأَبِي عَبدالله مُحَمَّد بن عَبدالله الحَـاكـم النّيسابُوري، دَار الكُتُب العِلْمِيَة ـ بَيْرُوت، الطَبْعَة الأُولىٰ ١٤١١ه، طَبْعَة حَيدر آبَاد.

٢٥١. **مُسْنَد الإِمَام زَيد بن عَليّ زَين العَابدِين**، جَمع عَليّ بن سَالم الصّنعانيّ، طَبعَة دَار الصَّحَابة ١٤١٢ه. طَهرَان دَار الكُتب الإِسلاَميَّة، الطّبعَة الثّانية.

٢٥٢. **مُسْنَد أَحمَد**، لمحَمَّد بن حَنبل الشّيبانيّ (ت ٢٤١هق)، تَحْقِّيق: عَبد الله مُحَمَّد الدّرويش، طَبْعَة دَار الفِكر، الطَبْعَة الثَّانِيَة ـ بَيْرُوت ١٤١٤ه، طَبْعَة جَامعة أُم القُرىٰ السّعودية، طَبْعَة دَار العِلم ١٤٠٣ه.

٢٥٣. مُسْنَد ابْن مَاجه، لُمحَمَّد بن يَزيد القَزوينيّ (ت ٢٧٥هق)، تَحْقِيق: فُؤاد عَبد البَاقي، نَشْر دَار الفِكر، طَبْعَة ـ بَيْرُوت ١٣٧١ هـ، دَار إِحيَاء التُّرَاث، بَيْرُوت، الطَبْعَة الأُولىٰ ١٣٩٥هـ.

٢٥٤. مُسْنَد الطّيالسيّ، لسُليَمان بن دَاود الطّيالسيّ (ت ٢٠٤هق)، طَبْعَة دَار صَادِر ـ بَيْرُوت ١٤٠٢هـ.

٢٥٥. المَصَابِيح، لأَحمَد بن إِبْرَاهِيم بن الحَسَن بن عَليّ بن إِبْرَاهِيم بن مُحمَّد بن سُليَمان ابن دَاود بن الحَسَن بن الحَسَن السِّبط بن أَمِير المُؤمِنِين عَليّ بن أَبِي طَالب: ٢٤٨، تَحقِيق عَبدالله بن عَبدالله بن أَحْمَد الحُوثي، طَبع مُؤسَّسة الإِمَام زَيد ابن عَليّ الثَّقَافِية.

٢٥٦. مَصَابِيح السُّنَّة، البَغوي الشّافِعي، طَبع مُحمّد عَليّ صَبِيح.

٢٥٧. مَطَالب السّؤول فِي مناقب آل الرَّسول، لكمَال الدّين مُحمّد بن طَلحَة الشّافعي (ت ٦٥٤هـ)، النَّجف الأَشرف، وَنُسخَة خَطيَّة فِي مَكتبَة المَرعَشي قُم.

٢٥٨. المُصنَّف، عَبدالرَّزاق بن هَمَّام الصَّنعاني (٢١١هـ). تَحْقِيق: حَبِيب الرَّحمن الأَعظمي. مَنْشُورات المَجلس العِلمي، طَبْعَة بَيْرُوت سَنَة (١٣٩٠هـ) وَمَا بَعدها.

٢٥٩. المَعَارف، لأبي مُحَمّد عَبد الله بن مُسْلم المَعْرُوف بِابن قُتَيبَة الدّينوريّ (ت ٢٧٦هق)، حَقَّقه وَقدمَّ لهُ ثَروت عُكَاشه: مَنشورَات الشَّرِيف الرّضيّ الطّبعَة الأُولىٰ ١٤١٥هـ.

٢٦٠. مَعَالم التّنزيل، لمُحَمّد الحُسَيْن بن مَسعُود الفرَّاء البَغويّ (ت ٥١٦هق)، تَحقِيق: خَالد مُحمّد العَك، وَمروَان سوَار، نَشر دَار المَعرفَة، الطّبعَة الثّانِية ـ

بيروت ١٤٠٧هـ.

٢٦١. مَعَالم العِترَة النّبوّية وَمَعارف الأئِمّة أهْل البَيْت الفَاطِمِية، لأبي مُحَمّد تَقيّ الدّين عَبدالعَزيز بن مَحمُود بن المُبارك بن الأخضر الجنابذي الحَنْبلي (٥٢٤ ـ ٦١١ هـ)، (مَخطُوط)، وَمَطبُوع فِي بَيرُوت ١٤٠٧هـ.

٢٦٢. مُعجَم الأُدبَاء، لأَبي عَبدالله يَاقوت الحَمويّ البَغدَاديّ المغَازيّ (ت٦٢٦هق)، طَبعَة دَار المَأمُون ـ بَغدَاد ١٣٥٥هـ.

٢٦٣. مُعْجَم البُلدَان، لأَبي عَبدالله شَهاب الدّين يَاقُوت بن عَبدالله الحَمويّ الرّوميّ (ت٦٢٦ هـ)، طَبعَة دَار إِحيَاء التّراث العَربيّ بَيرُوت الطّبعة الأُولىٰ ١٣٩٩هق.

٢٦٤. المُعجَم الصَّغِير، لأَبِي القَاسم سُليَمان ابن أَحْمَد بن أَيُوب بن مُطير اللَّخمي الشّامي الطّبراني (ت ٣٦٠هـ)، تَحْقِّيق: مُحَمَّد عُثْمان، دَار الفِكر، بَيْرُوت، الطَبْعَة الثَّانِيَة ١٤٠١هـ.

٢٦٥. المُعْجَم الأوسَط، أَبُو القَاسم سُليمان بن أَحْمَد الطَّبري (٣٦٠هـ). مَكْتَبَة المَعَارِف – الرِّيَاض. الطَبْعَة الأُولىٰ (١٤٠٧ هـ). قَام بإِخرَاجه: إِبرَاهِيم مُظفر وآخرُون. تَحت إِشرَاف: مَجْمَع اللُّغة العَربِية ـ مَصْر.

٢٦٦. المُعْجَم الكَبِير، لأَبِي القَاسم سُليَمان بن أَحْمَد اللَّخمي الطّبراني (ت ٣٦٠هـ)، تَحْقِّيق: حَمدي عَبد المَجِيد السّلفي، دَار إِحيَاء التُّرَاث العَربِي، بَيْرُوت الطَبْعَة الثَّانِيَة ١٤٠٤هـ

٢٦٧. المُعْجَم الأوسط، لأَبِي القَاسم سُليَمان ابن أَحْمَد بن أَيُوب بن مُطِير اللَّخمي الشّامي الطّبراني (ت ٣٦٠هـ)، تَحقِّيق: طَارق بن عُوض الله، وعَبد

الحَسَن بن إبرَاهِيم الحُسَيْنيّ، دَار الحَرمِين، القَاهرَة، ١٤١٥ هـ.

٢٦٨. مُعْجَم رِجَال الحَدِيث، السَّيِّد أَبُو القَاسم بن عَليّ أكبر الخُوئي، طَبْعَة دَار إحيَاء التُّرَاث بَيْرُوت ١٤٠٦ هـ، وَمَنشُورات مَدِينة العِلم، قُم، الطَبْعَة الثَالثة ١٤٠٣ هـ.

٢٦٩. المُعمّرون وَالوَصايا، لأَبي حَاتم السِّجستَاني (ت ٢٥٠ هـ)، تَحقِيق: عَبد المُنعم عَامر، الطَّبعَة المَيمَنية بمَصر ١٣٥٦ هـ.

٢٧٠. المِعيَار وَالموَازنة، لأَبي جَعْفر مُحَمّد بن عَبدالله الإسكَافي (ت ٢٤٠ هـ)، تَحقِيق: مُحَمّد بَاقر المَحمُودي.

٢٧١. مَجْمَع البَيَان فِي تَفْسِير القُرْآن، لأَبِي عَليّ الفَضل بن الحَسَن الطّبرسيّ (ت٥٤٨ هـ ق)، طَبْعَة دَار المَعْرِفَة ـ بَيْرُوت ١٤١٩ هـ، طَبْعَة دَار إحيَاء التُّرَاث العَربِي.

٢٧٢. المَغَازي، لمُحَمّد بن سَعد الوَاقدي الزُّهري، (ت ٢٣٠ هـ)، تَحقِيق: الدّكتور مَارسُون جُونس، مُؤسَّسة الأَعلمي للمَطبُوعات، بَيرُوت، وَطَبعَة مَصر، الدّار العَامرة.

٢٧٣. المُغني، لأَبِي مُحَمَّد مُوفق الدّين مُحَمَّد بن عَبد الله بن أَحْمَد بن قُدَامة المَقدسي (ت ٦٢٠ هـ)، دَار الكِتَاب العَرِبي بَيْرُوت ١٣٥٩ هـ، طَبْعَة مُحَمَّد عَليّ صَبِيح وَأَولاَده.

٢٧٤. المُغني، لأَبِي مُحَمَّد عَبدالله بن أَحْمَد بن مُحَمَّد بن قُدَامة المَقدسيّ، عَلىٰ مُخْتَصر لأَبِي القَاسم عُمر بن الحُسَيْن بن عَبد الله بن أَحْمَد الخَرقي مطبَعَة المنَار ـ مَصْر ١٣٤٢ هـ.

٢٧٥. مُغني المُحتَاج إلىٰ مَعْرِفَة معَاني أَلفَاظ المِنهَاج، الشَرْح للشَّيخ مُحَمَّد الشّربِيني الهجري، دَار إحيَاء التُّرَاث العَربِي، بَيْرُوت.

٢٧٦. مُقدَّمة اَبن خُلدُون، لِابْن خُلدُون المَغربي (ت ٨٠٨ هـ)، دَار الجَبل بَيرُوت.

٢٧٧. مُقَدِّمَة كتَاب المَجْمُوع، شَرْح المُهَذب للنَّووي، أُخذ بِالوَاسطَة.

٢٧٨. المِلل والنِّحل، لأَبِي مَنْصُور عَبد القَاهر بن طَاهر بن مُحَمَّد الّتمِيمي البَغْدَادِي (ت ٤٢٩ هـ)، تَحْقِّيق: البِير نَصري نَادر، طَبْعَة دَار المَشرق، بَيْرُوت ١٩٧٠م.

٢٧٩. المِلل والنِّحل، لأَبِي اَلْفَتْح، مُحَمَّد بن عَبد الكَرِيم الشّهرستَاني (ت ٥٤٨ هـ) عَلىٰ هَامش (الفَصل)، لِابْن حَزم الظَّاهري، الطَبْعَة الثَّانِيَة، أُفست، دَار المَعْرِفَة بَيْرُوت.

٢٨٠. مَناقب آل أَبِي طَالب، لأَبِي جَعْفر رَشِيد الدّين مُحَمَّد بن عَليّ بن شهر آشُوب المَازندراني (ت ٥٨٨ هـ)، المطبَعَة العِلْمِيَة قُم، طَبْعَة النَّجَف الأَشْرَف.

٢٨١. مَناقب أَمِير المُؤْمِنين عَليّ بن أَبِي طَالب، لُمحَمَّد بن سُليَمان الكُوفِي القَاضي (ت ٣٠٠ هـ)، تَحْقِّيق: مُحَمَّد بَاقر المحمُودي، مَجْمَع إحيَاء الثّقافة الإِسْلاَميّ، قُم، الطَبْعَة الأُولىٰ ١٤١٢ هـ.

٢٨٢. مَنَاقب المغَازلي، لأَبي الحَسن عَليّ بن مُحَمّد بن مُحَمّد الوَاسطي الشّافِعي المَعرُوف بِاَبن المغَازلي (ت ٤٨٣ هـ)، إعدَاد: مُحَمّد بَاقر المَحمُودي، دَار الكُتب الإِسلاَمية، طَهرَان، الطّبعَة الثّانية ١٤٠٢ هـ.

٢٨٣. مَناقب السَّيِّد الرِّفَاعي للبَكْري، أُخذ بالوَاسطَة.

٢٨٤. المِنَن وَالْأَخلاَق فِي بَيَان وجُوب التَّحدث بِنعمَة الله، الشَّعرَاني.

٢٨٥. مقَاتل الطَّالبيين، أَبُو الفَرج عَليّ بن الحُسَيْن بن مُحَمَّد القَرشي الإِصبهَانِي الأُمـوري (٢٨٤ ـ ٣٥٦ هـ). شَـرْح وتَـحْقِيق: السَّـيِّد أَحْـمَد صَـقر. مُـؤسَّسَة الأَعلمي. بَيْرُوت ـ لُبْنَان.

٢٨٦. مَقْتَل الحُسَيْن عليه السلام ومَصْرع أَهْل بَيْتَه وَأَصحَابه بِكربلاَء (المُشتَهر: مَقْتَل أَبِي مِخْنَف)، أَبُو مِخْنَف لوط بن يَحْيَىٰ. مَكْتَبَة العُلوم العَامة. البَحرين. مَكْتَبَة الخَير. صَنْعَاء ـ ج. ي. (مُصور عن أَصل مَخْطُوط) يَقع فِي (١٤٤) صَفحَة.

٢٨٧. مَقْتَل الحُسَيْن، لمُوفق بن أَحمَد المَكي الخوَارزمي الحَنفي (ت ٥٦٨ هـ)، تَحقِيق: مُحمّد السّماوي، مَكتبَة المُفِيد، قُم، وَطَبع مَطبعَة الزّهراء عليها السلام.

٢٨٨. مُنْتَخَب كَنز العُمَّال، عَليّ بن حسَام الدِّين بن عَبد المَلك (٨٨٥ـ ٩٧٥هـ). دَار إِحيَاء التُّرَاث العَربِي. بَيْرُوت ـ لُبْنَان.

٢٨٩. مَوسُوعَة المِلل والنِّحل، أَبِي الْفَتْح الشَّهرستاني عَام ١٩٨١م. بدُون ذِكر لإِسم الدَار النَّاشر.

٢٩٠. مَودّة القُربىٰ، للسَّيِّد عَليّ بن شَهاب الدّين الحُسَيْنيّ العَلوي الشّافِعِي الهَمدَاني، طُبع ١٩٩٠م.

٢٩١. مِيزَان الإِعتدَال فِي نَـقد الرِّجَـال، لأَبِـي عَـبد الله مُـحَمَّد بـن أَحْـمَد الذّهبي، (ت ٧٤٨ هـ ق)، تَحْقِّيق مُحمَّد البَجَاوي، طَـبْعَة دَار المَـعْرِفَة للـطّباعَة والنّشر بَيْرُوت ١٩٦٣م، وطَبْع القَاهرَة ١٣٢٥هـ. دَار الفِكر بَيْرُوت.

٢٩٢. المِيزَان فِي تَفْسِير القُرْآن، لُـمحَمَّد حُسِين الطَّـبَاطَبَائِي، دَار الكُـتُب الإِسْلاَمِيَّة، طَهران، الطَبْعَة الثَّالِثة ١٣٩٧ هـ.

٢٩٣. مِيزَان الإعتدَال، مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عُثْمان الذَّهَبي (ت ٧٤٨ هـ). تَحْقِيق: عَليّ البَجَاوي. طَبْعَة القَاهرَة (١٩٦٣ م).

٢٩٤. مُعْجَم مَا استعْجم مِن أَسْمَاء البِلَاد والموَاضع، عَبدالله بن عَبدالعَزِيز البَكْري (ت ٤٨٧ هـ). تَحْقِيق: مُصْطَفىٰ السَّقاء. طَبْعَة القَاهرَة (١٩٤٥ م)، وَكَذا الطَبْعَة الثَّالِثة لعَالم الكُتُب. بَيْرُوت ـ لُبْنَان. سَنَة (١٤٠٣ هـ).

٢٩٥. مُعْجَم المَطبُوعَات العَربِية وَالمُعرَبة، سركِيس، يُوسُف إليَان (ت ١٣٥١ هـ). طَبْعَة القَاهرَة (١٩٢٨ م).

٢٩٦. المَعْرِفَة والتَّارِيخ، يَعقُوب بن سُفيَان الفَسَوِيّ (ت ١٢٧٧ هـ). تَحْقِيق: أَكرَم ضِيَاء العُمري. طَبْعَة بَيْرُوت (١٩٨١ م).

٢٩٧. مَعْرِفَة علُوم الحَدِيث، مُحَمَّد بن عَبدالله الحَاكم (ت ٤٠٥ هـ). طَبْعَة القَاهرَة (١٩٣٧ م).

٢٩٨. مَعَاهد التَّنصِيص علىٰ شَوَاهد التَّلخِيص، عَبدالرَّحمَن بن عَبدالرَّحمَن العَبَّاسي (ت ٩٦٣ هـ).

٢٩٩. مفتَاح السَّعَادَة وَمصبَاح السَّعَادَة، لطَاش كُبرىٰ زَادة. طَبْعَة حَيدر آبَاد عَام (١٣٢٩ هـ).

٣٠٠. مَنْهَل السَّاعة، فِي ذِكر شَيء مِمَّا كَان عَلَيه بَعْض صَفوَة السَّادة مِن الزُّهد وَالوَرَع وَالعِبَادة، السَّيِّد العَلَّامة عَليّ بن مُحَمَّد العَجري، تَحقِيق: عَبدالله بن حمُود العزيّ، طَبع مُؤسَّسة الإمَام زَيد بن عَليّ الثَّقَافِية.

٣٠١. المُوطأ، مَالك بن أَنس بن مَالك الأَصبحي الحِمْيَري. تَحْقِيق: مُحَمَّد فُؤاد عَبدالبَاقي. المَكْتَبَة الثَّقافِية. بَيْرُوت ـ لُبْنَان بِالإضَافة إلىٰ طَبعَات أُخرىٰ، وَكَذا

طَبْعَة القَاهرَة.

حَرْف النُّون

٣٠٢. النّهاية فِي غَرِيب الحَدِيث والْأَثر، لأَبِي السّعادات مُبَارك بن مُبَارك الجَزري المَعْرُوف بابن الأَثِير الشَّيبَاني الشَّافِعي (ت ٦٠٦ هـ)، تَحْقِّيق: ظَاهر أَحْمَد الزّاوي، مُؤسَّسَة إسمَاعِيليان، قُم، الطَبْعَة الرّابعة ١٣٦٧ هـ.

٣٠٣. نهَايَة الْإِرَب فِي فنُون الْأَدَب، لشَهَاب الدّين النّويريّ (ت ٧٣٢ هـق)، تَحْقِّيق: كمَال مَروَان طَبْعَة ـ القَاهرَة ١٢٤٩ هـ.

٣٠٤. نهَايَة الْإِرَب فِي مَعْرِفَة أَنْسَاب العَرْب، لأَحمَد بن عَبدالله القَلقَشنديّ (ت ٨٢١ هـق)، نَشْر إدَارة البحُوث العِلْمِيَة، طَبْعَة ـ بيْرُوت ١٤٠٢ هـ.

٣٠٥. نهَايَة الْإِرَب فِي مَعْرِفَة أَنْسَاب العَرْب، للقَلقَشندي. طَبْعَة بَغْدَاد.

٣٠٦. النّزَاع وَالتَّخَاصم فِيما بَيْن بَني أُميّة وبَني هَاشم، تَحقِيق: حُسين مُؤنس القَاهرة دَار التَّعارف سَنَة ١٩٨٨ م.

٣٠٧. نَسَب قُرَيْش، لأَبِي عَبدالله المُصعب بن عَبدالله بن المُصعب الزُّبَيْري (١٥٦ ـ ٢٣٦ هـ). عُني بِنَشره. إليفي بروفنسال. دَار المَعَارِف ـ القَاهرَة.

٣٠٨. نُظم دُرر السِّمْطَين فِي فضَائل المُصطَفىٰ وَالمُرتَضىٰ وَالبَتُول والسِّبطين، جمَال الدّين مُحمّد ابن يُوسف الزّرَندي، (٦٩٣ ـ ٧٥٠ هـ)، طَبع بَيرُوت، دَار الثّقافة للكتَاب العَربي ١٤٠٩ هـ.

٣٠٩. نهَاية الْإِرَب فِي فنُون الْأَدب، لشَهاب الدّين النّويريّ (ت ٧٣٢ هـق)، تَحقِيق: كمَال مَروَان طَبعَة ـ القَاهرة ١٢٤٩ هـ.

٣١٠. نهَاية الإِرَب فِي مَعرفَة أَنسَاب العَرب، لأَحمد بن عَبدالله القَلقشنديّ (ت ٨٢١هـ ق)، نَشر إِدَارة البحُوث العِلمِية، طَبعَة ـ بَيرُوت ١٤٠٢هـ.

٣١١. نَصْب الرَّايَة، عَبدالله بن يُوسُف الزِّيلَعي (ت ٧٦٢هـ). طَبْعَة القَـاهرَة (١٩٣٨م).

٣١٢. النُّجوم الزَّاهرة فِي مُلوك مَصْر والقَاهرَة، اَبْن تَـغري بَـردي، يُـوسُف الأَتَابكي (ت ٨٨٤هـ). القَاهرَة (١٩٢٩ ـ ١٩٥٦م).

٣١٣. نُور العَين فِي مَشْهد الحُسين، لأَبي إِسحَاق الإِسفرَاييني، طَبع القَاهرَة.

حَرْف الهَاء

٣١٤. هَدِيَّة العَارفِين فِي أَسْمَاء المُصنفِين، إِسْمَاعِيل بن مُحَمَّد البَابَاني البَغْدَادِي (ت ١٣٣٩هـ). طَبْعَة أستانبُول (١٩٦٠م).

حَرْف الوَاو

٣١٥. الوَفَاء بأَخْبَار المُصْطَفىٰ، لِابْن الجَوزِي. طَبْعَة ١٣٩٥م. مطْبَعَة السَّعَادَة. مَصْر.

٣١٦. الوَافِي بالوَفِيَّات، لصَفيّ الدّين خَلِيل بن أَيـبك الصّـفدي، دَار النّشـر فرانزشتانيز ـ قيسبادان.

٣١٧. وَفِيَّات الأَعْيَان وَأنبَاء أَبْنَاء الزّمان، لشَّمْس الدّين أَبِي العَبَّاس أَحْمَد بن مُحَمَّد البَرمكيّ المَعْرُوف بأَبن خَلّكان (ت ٦٨١هـ ق)، تَحْقِيق: الدّكتور إِحسَان عَبَّاس، طَبْعَة دَار صَادِر ـ بَيْرُوت ١٣٩٨هـ.

٣١٨. وَقعَة صِفِّين، لنَصر بن مزَاحم المَنقريّ، تَحْقِّيق وشَـرْح عَـبدالسَّـلاَم هَارُون، القَاهرَة، الطَبْعَة الثَّانِيَة ونَشْر مَكْتَبَة السَّيِّد المَرعشيّ النّجفيّ قُم ١٣٨٢ هـ.

٣١٩. الوزرَاء وَالكُتَّاب، لأَبِي عَبدالله مُحَمَّد بن عَبدوس بن يَحْيَىٰ بن عَبدالله المَعْرُوف بالجهشيَاري.

حَرْف اليَاء

٣٢٠. يَنَابِيع المَوَدَّة لذَوي ٱلْقُرْبَىٰ، لسُليَمان ٱبن إبرَاهِيم القَندُوزيّ الحَنفيّ (ت ١٢٩٤ هـ)، تَحْقِّيق: عَليّ جَمَال أَشْرَف الحُسَيْنيّ، طَبْعَة أُسوة الطَبْعَة الأُولىٰ ـ قُم ١٤١٦ هـ، وَالطَّبْعَة الحَيْدَرِيَّة فِي النَّجَف الأَشْرَف.

